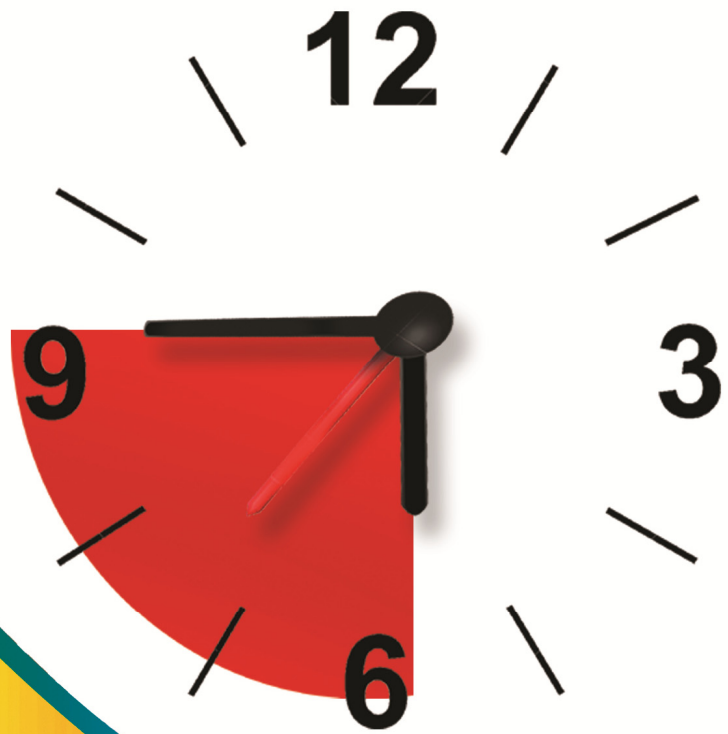


المرصد

AL - MARSAD

مجلة دورية إلكترونية جامعية، لأبرز الأحداث والتطورات

Third Season



الربع الثالث
2018

قضايا دولية

رؤى - تحليلات - دراسات

رئيس التحرير:

محمد شيخ عثمان

+964-7701564347

هيئة التحرير:

محمد مجيد عسكري

ديارى هوشيار خال

ليلى رحمن الجاف

هه لو ياسين البرزنجي

الاشراف اللغوي:

عبدالله علي سعيد

الاشراف الفني:

هريم عثمان امين

العنوان:

السليمانية-اقليم كردستان-العراق

e-mail: ensatmagazen@gmail.com

Facebook : ENSAT.PUK

هذا المرصد...

تمر المنطقة والعالم بمرحلة دقيقة وبألغة الحساسية والتي افرزت محاور عديدة تتصارع فيما بينها على مصير المنطقة ومستقبل النظام العالمي الجديد ونفوذها وثقلها في هذا النظام، ويصح القول بان هنالك عاصفة كبرى تعبرها وهي خطيرة ومعقدة جدا فيما يبدو ان الإمكانيات التي تتوفر لدى بعض دول المنطقة قوية وكثيرة وفي المقابل ضعيفة او غير مدروسة عند غيرها وهذه العوامل المتعارضة ستدفع التوتر إلى مرحلة اكثر حساسة بالتأكيد.

اتجاهات الاحداث واهداف الاحلاف ومآلات الصراعات الخفية والمكتشوفة ومعرفة الحدث اليومي والرؤية الدقيقة والثاقبة للحاضر والآتي تتطلب اللامام التام بسير التطورات والمواقف في السابق والماضي البعيد للوصول الى مستوى من القدرة على تحليل آفاق وابعاد مجمل القضايا العالمية التي تشوبها الابهام وعنصر المفاجأة في اغلب الاحيان عند الكثيرين ولكن عند المطلع على خلفية هذه الاحداث وبداياتها لن تكون مبهما او حتى مفاجئا الا في حالات نادرة. انطلاقا من هذه الحقائق، نضع بين ايدي القاريء الكريم النخبة السياسية والاعلامية وصناع القرار والمؤرخين حصادا شاملا لفصول العام ٢٠١٨ .

وحسب اطلعنا على ابرز المنشورات التحليلية على مستوى المنطقة وجدنا ان (المرصد) هي الاولى من نوعها التي تتضمن ابرز التحليلات السياسية والستراتيجية فيما يخص القضايا الكردستانية والعراقية والشرق اوسطية والابرز عالميا وقد تم تصنيف المواضيع بمايسهل على القراء اختيار ما يخص توجهاتهم الفكرية واهتماماتهم البحثية والتحليلية وقد ارتائنا في مرصد العام ٢٠١٨ ان تقتصر الاعداد بفصولها الاربعة كالآتي :

١. من العراق واقليم كردستان... اخبار وتقارير

٢. قضايا كردستانية ... رؤى وتحليل ودراسات

٣. اضواء عراقية ... رؤى وتحليل ودراسات

٤. قضايا عالمية ... رؤى وتحليل ودراسات

٥. المشهد السوري ... اخبار ورؤى ودراسات

٦. المشهد التركي ... اخبار ورؤى ودراسات

مجموع اعداد المجلة الديجتالية الذي يبلغ (٢٤) عددا اضافة الى نشرها في رابط المجلة على موقع مكتب اعلام الاتحاد الوطني(www.pukmedia.com/ensat) سيتم تقديمها الى النخبة الاعلامية والسياسية والمؤرخين على قرص خاص بعنوان(٢٠١٨ في المرصد) .

الربع الثالث يوليو 2018

نهاية الاستبداد حتمية تاريخية

* محمد هنييد

صحيفة (الوطن) القطرية : ٢٠١٨/٧/١

الموقف اليوم في المنطقة العربية منقسم عامة إلى قسمين أساسيين:

- الموقف الأول يتمثل في قناعة بأن المنظومة الاستبدادية القمعية قد عادت من جديد بل وبشكل أشد شراسة وعنفا من ذي قبل.

- الموقف الثاني لا يزال يؤمن بشعارات الثورة العربية ويرى أنها سائرة لامحالة في طريق تحقيق شعاراتها. لا شك أن الموقف الثاني هو الطاغي اليوم رسميا وإعلاميا وسياسيا خاصة بعد الثأر الكبير الذي أخذته قوى الاستبداد العربي من الثورة أو من خطوط إمداد الثورات والداعمين لها أو حتى من الذين رفضوا الانقلاب عليها. فالانقلاب المصري وكل الخراب والدمار الذي تسببت فيه المنظومات الاستبدادية العربية في ليبيا وفي سوريا وفي اليمن ليس إلا محاولة جادة لتدمير الثورات ومخرجاتها حتى يقتنع عموم العرب بأن الاستبداد قدره وأنه ليس في الإمكان أفضل مما هو كائن.

المحاولات الانقلابية الفاشلة في تركيا وفي قطر وفي تونس تدخل هي أيضا في هذا الإطار من أجل تجفيف الروافد الحية التي قد لا تزال تلهم الحلم بالتغيير وبالخروج من النفق الذي تقبع فيه الأمة منذ عقود. الموقف الثاني يمثل موقف الجمهور العريض الذي لا تمثله المنصات الإعلامية العربية الرسمية إلا نادرا لكنه يظهر جليا على مواقع التواصل الاجتماعي حيث المواقف الحرة والتعبيرات التلقائية التي لا تطالها غالبا عصا الرقابة والتوجيه.

هذا الموقف هو الأشد إيمانا بالثورات وشعاراتها ومطالبها لأنه موقف يعيش الشروط التي أنتجت الثورة ونفخت في نارها فأوقدتها. الفقراء والمسحوقون والمعتطلون من سكان هامش المدن وأحياء الصفيح هم الذين قامت الثورة من أجلهم وهم الذين دفعوا ثمنها من الشهداء ومن الجرحى ومن المساجين.

هؤلاء لا يزالون يؤمنون بها رغم كل المحاولات التي تقوم بها الثورة المضادة وتصرف عليها المليارات في وسائل الإعلام وغيرها من أجل تخدير الجماهير ومنعهم من التحرر.

إن نهاية الاستبداد العربي لا تتعلق بهذين الموقفين رغم أنهما يمثلان فواعل أساسية داخل المشهد العربي نفسه. نهاية الاستبداد العربي حتمية تاريخية لا مناص ولا هروب منها لسبب مبدئي وهي أنها تحمل بذور فنائها في داخلها.

الاستبداد قمعٌ ومصادرة لحرية الرأي ومنعٌ لكل أشكال الحريات التي لا يمكن للإنسان أن يعيش بدونها وفرضٌ لأمر واقع مناقض لإنسانية الإنسان وهو بهذه الشروط لا يمكن أن يستتب وأن يدوم بل هو مرحلة عابرة في عمر الحضارات والشعوب والدول وإن اعتقد أغلبنا غير ذلك.

- د. محمد هنييد أكاديمي تونسي وأستاذ بجامعة السوربون - باريس.

الرأي العام بين انعكاسات الواقع والصناعة الإعلامية

*علي العوادي

صحيفة (العالم) البغدادية: ٢٠١٨/٧/١

عندما تتقارب الآراء أو تتوافق بين فئات المجتمع الواحد حول قضية ما قد تخص فردا أو شريحة معينة أو تتعلق بمصير وطن برمته يتولد عندئذ (الرأي العام)، والذي غالبا ما يكون تحصيل حاصل لانعكاسات واقع حياتي ايجابي أو سلبي - على الأغلب - يمر به المجتمع سرعان ما يتحول إلى أفعال يطغى عليها طابع الانفعال والعفوية - أحيانا - كالتظاهرات والاعتصامات. وقد تتولد عنها نتائج متباينة، فإن كانت في خانة الإيجاب سرعان ما تنتفخ أوداج من هم في قمة الهرم السياسي كأبطال قوميين! وإن كانت سلبية فلا تؤخذ تلك النتائج على محمل الجد من قبل رجال السياسة المتمرسين، فيلجؤون إلى امتصاص فورانها من خلال إطلاق الوعود الكاذبة والكلمات الرنانة التي تدغدغ أسماع المنتفضين وعقولهم، فتثبط همهم وتقتل طموحاتهم فيتراجعون دون تحقيق أي هدف، وما أن تمضي فترة معقولة حتى تبدأ الاعتقالات والتحقيقات تحت ذريعة العبث بالمال العام وتهديد امن الدولة، وقد يكون لثعالب السياسة الدولية الدور الأخطر في (صناعة الرأي العام) وتوجيهه بما يخدم أجندات معينة غايتها تحقيق أهداف استراتيجية - آنية أو مستقبلية - تكون نتائجها في مصلحة بلدانهم، فهم يتربصون لأي حدث طارئ حتى لو كان فرديا كما حدث في (تونس)، وإن لم يأت ذلك الطارئ فأنهم يصنعونه بطرق ذكية، لتبدو الأحداث للآخرين وكأنها وليدة معاناة شرائح مجتمعية مهمة عانت الإهمال والحرمان لعقود خلت، وقد آن لتلك الشرائح أن تسترد حقوقها وبأي ثمن كان! فيلجأون إلى تشغيل ماكيناتهم الإعلامية كالفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي والصحف المطبوعة، ليشبعوا آذان الناس وأبصارهم بالأخبار والتقارير التي تغلف الأباطيل برداء الحقيقة، فتصبح التجمعات الشعبية المنتفضة والثائرة من اجل التغيير نحو حياة أفضل كرقعة شطرنج بين أيديهم، يوجهون جنودها كيفما يشاءون ويقتلون ملكها متى ما يشاءون، والمحصلة النهائية أن الشعوب تخرج من هذه المعمة خالية الوفاض! والأمثلة على ذلك كثيرة، منها نتائج ثورات الربيع العربي، فبعد الاعتصامات والتضحيات والحماس الوطني الملتهب لم تتعد المكاسب من أن تكون إطلاقا جزئيا للحريات العامة ومنها حرية التعبير وحرية السفر، قابلها تلك في توفير الخدمات العامة وانهايار في القطاعين الصناعي والزراعي وارتفاع الأسعار، وعجز شبه تام عن سد الاحتياجات المحلية لتصبح تلك البلدان أسواق رائجة لكل من هب ودب من تجار السلاح والمخدرات والبضائع (البائرة)، أما في الجانب السياسي فان حالة التخبط في التخطيط السليم وفي اتخاذ القرارات الاستراتيجية هي السائدة، وإن استبعدت رموز كانت تحقق نسبة ٩٩٪ في الانتخابات العامة، فان الوجوه التي حلت محلها ترى انه من المعيب أن يكون نصيبها اقل من تلك النسبة، وبعد أن أصبحوا في نعمة فاكهين ركبوا الموجة أيا كان اتجاهها، فان كان الاتجاه العام قوميا صاروا قوميين متشددين، وإن كان دينيا صاروا زهادا ناسكين، وإن كان الاتجاه تحرييا نبذوا ما وراء ظهورهم وأصبحوا متحررين! وتبقى الشعوب في حيرة من أمرها، ترزح بين مطرقة المتأمرين وسندان السلاطين.

رياح التغيير الاجتماعي والخليج

*د. عبد الحميد الأنصاري

صحيفة (الجريدة) الكويتية : ٢٠١٨/٧/١

هبت رياح عاتية على منطقة الخليج على امتداد العقدين الأخيرين، وعصفت بعادات وتقاليد وموارث اجتماعية ترسخت عبر قرون، وأضفت عليها الاجتهادات الفقهية، صبغة شرعية، حتى ظن الناس أنها من الثوابت الدينية، وما هي كذلك، تهب هذه الرياح لتحديث تغييرات سريعة: سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية وفكرية.

الخليج اليوم غير خليج الماضي قبل سبعين عاماً، لم يعد الشيخ الفقيه أو القاضي الشرعي هو المرجع العام أو الحكم الفصل للمجتمع في الشؤون الدينية والاجتماعية، وبخاصة الأمور الاجتماعية المتعلقة بالمرأة: حقوقها المدنية والسياسية، تعليمها، عملها، توليها الوظائف القيادية، اختلاطها، سفرها، حريتها الشخصية، الولاية عليها، إرادتها الحرة.

أصبحت للمرأة الخليجية شخصيتها المستقلة في كل تعاملاتها المدنية، وحرية حركتها المجتمعية، وسقط آخر القلاع الاجتماعية المناهضة لحركة المرأة الخليجية في منطقة الخليج، اليوم أصبحت المرأة السعودية تفقد سيارتها مثل بقية أخواتها الخليجيات، فتذهب إلى عملها بنفسها بدون الاحتياج إلى خدمة السائق الأجنبي وكلفته المالية، وتأخذ أولادها إلى مدارسهم بأمان، وتعين زوجها في أعماله، ما كان كل ذلك يتحقق لولا القوة المتصاعدة لحركة التاريخ نحو إحقاق الحقوق وإنصاف المظلوم ورد الاعتبار للمهمش، ذلك مكر التاريخ أو الأدق ذكاؤه، يسري في عمق بنية المجتمعات، فيغير العادات والتقاليد والموروثات، طوعاً أو كرهاً، فيها، بالرغم من أهلها، وذلك حكم القرآن الكريم، كما يحدثنا المولى تعالى في سورة يوسف، عليه السلام "كذلك كدنا ليوسف" وهو الكيد الإيجابي، كما يحذرنا عز وجل عن مصائر أقوام وأمم جمدت على موارثها البالية، وأبت أن تنصاع لدعوات الحق لرسلاها وأنبيائها ومصلحيها، وأغلقت عقولها وعاندت وتمسكت بتقاليد الآباء والأجداد من غير أي مراجعة أو تفكير نقدي، ورفضت التغيير، واستمرت في ظلمها وبغيها واستغلالها وجبروتها على الضعيف والفقير والمسكين ومن لا ظهر له من الفئات الاجتماعية المهمشة، فكانت عاقبتها الخسران والدمار والفناء.

ويختم القرآن في أعقاب تلك التغييرات العاصفة دائماً، بآية بالغة الدلالة على ما ذكرنا من حتمية التغييرات رغماً عن المجتمعات، يقول المولى تعالى "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ". هذه الآية تعبر بدقة عما يعتمل في بنية الأعماق البعيدة للمجتمعات من تغييرات خفية تتراكم بمرور الزمن، فتحدث تغييرات نوعية مفاجئة، تنقل المجتمعات من وضعية اعتادت عليها إلى وضعية مغايرة، من شأنها إنصاف من حرم من حقوقه، وما رسالة الأنبياء والرسول والمصلحين في النهاية، إلا تغيير المجتمعات لتكون أكثر إنصافاً للمظلوم واليتيم والفقير والضعيف والمهمش.

التغيير الاجتماعي المتعلق بالمرأة هو الأصعب في دنيا العرب، تغيرت وضعية المرأة العربية في المجتمعات العربية الحضارية المركزية: مصر، سورية، العراق، منذ زمن مبكر، وبقيت الأوضاع الاجتماعية في معظم الدول الخليجية تقاوم التغيير، تغيرت أمور كثيرة في الخليج، إلا ما يمس وضعية المرأة وحريتها الاجتماعية، عانت المرأة في مجتمعاتنا العربية قروناً متطاولة، من الظلمات: ظلمة الجهالة، وظلمة الدونية، وظلمة اللامساواة وانتقاص الحقوق وسوء المعاملة، وكان دعاة الإصلاح والتغيير يجاهدون في سبيل إنصافها، ورفع الظلم عنها، لكن مجتمعاتنا الأسيرة للتقاليد والعادات والموروثات الراسخة في بنيتها، أدارت ظهرها لتلك الدعوات، واتهمت المصلحين باطلاً، فلم تفلح الجهود في تغيير الأوضاع الاجتماعية إلا قليلاً، وهكذا كان تدخل القيادات السياسية المؤمنة بإنصاف المرأة، أمراً ملحاً ومثمراً، لتغيير القنوات المجتمعية وإحداث التغيير المنشود، وهو ما حصل في كل التغييرات التي أدت إلى حصول المرأة العربية على حقوقها، في المجتمعات العربية عامة، على امتداد أكثر من قرن في مسيرة المرأة العربية ونضالها لنيل حقوقها المشروعة.

ختاماً: المجتمعات الذكية هي التي تسارع لأخذ زمام المبادرة، وقيادة التغيير، وتطوير تشريعاتها بما ينصف مواطنيها، قبل أن يفرض عليها من الخارج، الواقع الاجتماعي الخليجي أفرز وصول المرأة الخليجية اليوم، إلى مواقع صنع القرار، لكن التشريعات الاجتماعية المتعلقة بالأسرة، لا تواكب التحولات المجتمعية المتسارعة، هناك فجوة تشريعية واسعة بين حركة المرأة العربية والخليجية وجمود التشريعات، والمطلوب اليوم إعادة النظر في هذه التشريعات ومراجعتها طبقاً للتحولات المتسارعة، وتفعيلها بما يتوافق وحقوق الإنسان والمواثيق الدولية التي صادقت عليها دولنا.

* كاتب قطري

الديموقراطية.. ومتاعب انخسارها!

*عبدالله بشارة

صحيفة (القبس) الكويتية : ٢٠١٨/٧/١

كتب الصديق د. عبد الحميد الأنصاري مقالاً في صحيفة الجريدة يوم الإثنين الماضي (١٨ يونيو ٢٠١٨) ينعى فيه الوله العربي للديموقراطية، ويصف أغلب الأنظمة العربية بالتحايل على الدعوة العالمية للانفتاح بممارسة تجميلات مساحيقية لا تمس مرتكزات الحكم الدكتاتوري الشامل، وبذلك نجحت هذه الأنظمة بالمرأوة والادعاءات في الهرب من الضغوط العالمية، لا سيما الأمريكية. وينسب الكاتب ذلك إلى الثقافة العربية المتوارثة التي تستأنس حكم الفرد مع تراث شعري وفلسفي في تمجيده وعدم الاعتراض على قراراته.

بودي أن أشير في هذا الصدد إلى تجربتين فيهما رعب عسكري من الحكم الديموقراطي ومن الانفتاح، وهما تجربة مصر وتجربة باكستان، وكل منهما عانى من هذا الرعب، الذي أطلق عليه العالم البرانويا Paranoia، فعندما قامت ثورة مصر في ١٩٥٢ بضباط الطبقة الوسطى، كان الدافع تحقيق ما لم يقدر عليه النظام الليبرالي المصري الذي جاء مع ثورة ١٩١٩، فحقيقة أوهام التفوق تنطبق على جميع الثورات، لكن الحالتين المصرية والباكستانية تميزتا بالتعامل مع القوى العالمية - المطالبة بالانفتاح - بالمرأوة في باكستان، فالجيش الباكستاني نجح في خلق غطاء بحكم مدني صوري يتألف من باشوات وملاك الأراضي سمح لهم الجيش بالتحرك الشكلي في الميدان الدبلوماسي الخارجي.

اختار الحكم العسكري المصري الممارسة بالمواجهة المباشرة من دون تجميلات مدنية، الأمر الذي وضع القيادات العسكرية المصرية في صدام مع القوى الديموقراطية العالمية التي كانت لها شكوك في أهداف الثورة وفي آليات تحقيقها، وبدأت المواجهة بين الرئيس عبدالناصر والقوى الغربية، لا سيما بعد تبنيه الدبلوماسية العربية كمسار للسياسة المصرية الخارجية، وما أفرزته من تجاذبات داخل الجامعة العربية مست بالمصالح الأوروبية والأمريكية، مع تأميم القناة وحرب السويس والوحدة السورية وحرب اليمن، مع خوف دائم من تربص الخصوم بضرب الثورة.

في الفترة ما بين ١٩٥٦ حتى مجيء السادات لم تنج مصر من التوتر الحاد في علاقاتها الدولية، وكانت القوى الحاكمة في حالة من التصور الدائم بأن مؤامرات تُحاك ضدها لتقويض الحكم.

أفرزت حالة البارانويا أجهزة للوقاية متنوعة الشكل ومختلفة الأهداف، فبرز محمد حسنين هيكل على رأس ماكينة اعلامية للتنقيف بسلامة الثورة ولطافة أهدافها، مع أجهزة مخابراتية توحشت في أساليبها الداخلية وتوسعت في مساراتها الخارجية، لكن ذلك لم يخفف حدة العصبية التي رافقت حكم عبدالناصر وانتقلت إلى السادات في ما بعد، لكنه أدرك عقم الأسلوب المتوارث، فتبدل وتآلف مع أنظمة الحكم في امريكا وأوروبا، لكن الخوف من الأصابع الخارجية لم يختفِ وظل حياً في مصر حتى في عهد مبارك مع انخفاض الزخم تدريجياً.

في العصر الحالي، عمل الرئيس عبدالفتاح السيسي على صياغة جديدة تختلف تماماً عن فصل الخوف من شبك التآمر بعد تثبيت شرعية الحكم بالانتخاب وتجديد الهياكل الحزبية المصرية للوصول إلى معارضة وطنية بناءة تساعد في أعباء الدولة.

ومع ذلك يظل التساؤل: هل ينجح الرئيس في الحد من تواجد الجيش في مقعد القيادة؟ وهل تستوحي مصر النموذج الباكستاني؟ تساؤلات فيها منطق.

في باكستان ما زال الجيش القوة المؤثرة البارزة وما زال مسكوناً بالخوف من تداخلات واشنطن، لا سيما مع مشكلة أفغانستان التي يدير شؤونها الجيش الباكستاني ولا يسمح للمدنيين بالتدخل، فما زالت العلاقات العسكرية مع «طالبان» مستمرة في حماية لكبارها المتحصنين بالجبال الباكستانية الوعرة.

لم تنجح أمريكا في تحييد باكستان في دعمها للقوى الإسلامية المعارضة^١ لأن الجيش – صاحب الكلمة الأولى – ترك الساحة الدبلوماسية لصراع السياسيين العقيم، وأطبق على القضايا الاستراتيجية الجوهرية بصلابة، وأهم ما فيها السلاح النووي الباكستاني الذي يبقى في يد العسكريين وحدهم من دون دور لمحترفي السياسة. كيف تبني الديمقراطية في أجواء من الفزع؟

لا يمكن أن تتواجد ديموقراطية في مجتمع يعاني من الفزع، هناك دول أخرى مسكونة بالخوف الدائم، مثل إيران وسوريا، والجميع يراقب تجربة مصر في صيغتها الجديدة التي هندسها الرئيس السيسي، ففي نجاحها يكون الرئيس المصري قد وضع مصر على طريق السلامة والانفتاح والانطلاق بحيوية مصر المحبوسة في نظام مغفول منذ ١٩٥٢.

قرأت خلال فترة العيد ما نشره الكاتب المصري مصطفى بكري في كتاب «ناصر ١٩٦٧ هزيمة الهزيمة»، وهي محاضر اجتماعات الرئيس عبدالناصر مع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي التي توالى بعد هزيمة ١٩٦٧، وفيها صرخة الرئيس من النظام المغلق كما يصفه ويناشد الأعضاء بمساعدته بالرأي والاسهام بالمناقشة، وكان الرئيس يردد «نريد تحرير المواطن من الخوف طريقاً لتحرير الوطن»، ومع ذلك يردد الرئيس بأنه لا يريد انفتاحاً يعيد الباشا فؤاد سراج الدين، ولا الرجعيين، فيسعى لخلق ديموقراطية منحوتة وفق منظوره، مع معارضة أليفة من أهل الدار، مع التركيز على قضايا الوطن وليس المناكفات.

كما كان يتألم من اختفاء النقاوة الثورية التي حافظ عليها لكنها تلاشت من الآخرين المساعدين له، وكان الرئيس مسكوناً بالخوف من ضياع نظام الحكم عند غيابه، لا سيما الصيغة الاشتراكية.

كانت هذه المناقشة في اغسطس ١٩٦٧، نحن الآن في يونيو ٢٠١٨، تغيرت مصر كثيراً، راح الاتحاد الاشتراكي وراح الكثير من أجهزة ذلك الزمن، ومع ذلك بقيت بعض المظاهر من التركة تعيق مصر في انطلاقها، والسبب أسلوب التدرج الملتزم به الرئيس.

فالرئيس يراعي القدرة على الاستيعاب فلا يمطر المواطن بجمرات يصعب هضمها.

ومن التجربة المصرية يمكن أن يتوافر الرد على تساؤلات د. عبدالحميد الأنصاري بأن الثقافة العربية تغرد للدكتاتورية، خصوصاً بعد أن وقفت الشعوب العربية على مخلفاتها في مصر وتوحشها في سوريا والعراق وليبيا، ومواقع أخرى حطمت آدمية الانسان.

في باكستان تعبئة عسكرية دائمة، متيقظة وقابضة ولن تتبدل، وفي مصر البدء في تصويب مسار الثورة، وكل بلد له أولوياته.

التفكير الفقير في الغني

*د. عبد المنعم سعيد

رئيس المركز الاقليمي للدراسات في القاهرة ٢٠١٨/٧/١

على مدى التاريخ كان هناك دوماً تيار فكري يرى أن حل مشكلات البشر يكون بإعادة توزيع الثروة طوعاً أو كرهاً. وربما كانت المدرسة الاشتراكية في كل أشكالها الماركسية أو الديمقراطية تضع في جوهر تصوراتها لإدارة الدولة أن تحدث عملية إعادة التوزيع هذه إما عن طريق أشكال مختلفة من «التأميم» أو من خلال الضرائب التصاعدية.

وفي الأشكال المخففة من الليبرالية الاقتصادية كانت إعادة التوزيع هذه تتم عن طريق أساليب مختلفة من الحماية الاجتماعية أو الجمعيات الأهلية التي تعتمد على النوازع الطيبة والدينية لدى الأغنياء للقيام بهذه المهمة. وتذخر الكتب المقدسة بدم هؤلاء الذين يكتنزون الذهب والفضة، وتحدثنا عن المصير التعس لقارون وغيره ممن حققوا ثروات طائلة لم تفدهم ولا مجتمعاتهم.

المعضلة هي أن المجتمعات الحديثة باتت مختلفة عما سارت عليها المجتمعات ربما حتى نصف قرن مضى " فالأغنياء والمليارديرات لم يعد لديهم بالضرورة لا ذهب ولا فضة ولا مغارة علاء الدين التي تكتنز فيها الأموال والمجوهرات من مرجان وياقوت.

وعندما بات بيل غيتس صاحب مايكروسوفت أغنى أغنياء العالم بثروة بلغت ٩٣ مليار دولار، وعندما اعتلى وارن بافيت المقدمة بثروة قدرها ٦٥ مليار دولار في أحد الأعوام، فإن هذه الثروات جميعاً لا توجد في شكل سائل، أو حتى توجد في البنوك تحت «حساب جاري» وإنما هي كم هائل من «الأصول» والشركات والمصانع والهيئات والجمعيات التي يعمل فيها مئات الألوف ويستخدم منتجاتها الملايين.

ولا يفترق هذا الحال في مصر عنها في بقية أنحاء العالم، حيث إن الخمسة أو الستة من المليارديرات الذين أوردت قائمة «فوربس» أسماءهم تتجسد الأغلبية الساحقة من أموالهم في شكل أصول وشركات وهيئات وتنظيمات إنتاجية وخدمية. وسواء كانت الثروات في الدولة المعنية أو خارجها، وفي دول غنية أو فقيرة، فإن الثروات لا توجد مع الأغنياء لا توجد بشكل قابل للتوزيع، وإنما هي مندرجة في البنوك أو في استثمارات أو في شركات تأمين تؤمن على هذه الثروات، وكلاهما البنوك وشركات التأمين، يقومان بدورهما بالاستثمار ليس في بلد واحد وإنما على مدى البصر في الكون كله.

وفي عام ١٩١٢ قام العالم الإيطالي كواردو جيني بابتكار «مقياس جيني» الذي يمكنه قياس تفاوت الثروة في البلد الواحد ما بين الشرائح العليا والدنيا في الدخل منسوبة إلى الدخل القومي الإجمالي. هذا المقياس رغم التحفظات الواردة عليه من قبل علماء الاقتصاد، فإنه الأكثر ذيوماً واعتماداً من قبل الهيئات الدولية في قياس قدر المساواة وعدم المساواة في دول العالم.

وفيما يتعلق بمصر فإن هذا المقياس يضعها ضمن الدول «المعتدلة» من حيث توزيع الثروة بقدر ٣٠٨ نقاط، وهذا لا يجعلها ضمن الدول الأفضل توزيعاً للثروة مثل الدول الإسكندنافية وألمانيا وبريطانيا وما مثلاً من دول، ولكنه يجعل مصر أفضل حالاً من دول كثيرة مثل الولايات المتحدة الأمريكية والرأسمالية والصين الشيوعية وتركيا الإسلامية وشيلي المسيحية والهند الهندوسية والبرازيل وقائمة طويلة من الدول، حيث يوجد التوزيع المتوحش فعلاً للثروة بين الفئات الاجتماعية.

النتيجة التي خلص إليها العالم في تجاربه الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية خلال قرنين من تجارب الدول الحديثة كانت أن إعادة توزيع الثروة سواء كان ذلك تحت راية الاشتراكية أو بريق الرحمة الرأسمالية لا يحل معضلة التفاوت في الثروات بين الأغنياء والفقراء.

ما يحلها فعلاً أمرين: أولهما زيادة الثروة أو «الكعكة» الاقتصادية بحيث يكون متاحاً للجميع أغنياء وفقراء قدرأ أكبر منها، وثانيهما إتاحة الفرصة للفقراء في الحراك الاجتماعي من الفقر إلى الغني من خلال اكتساب المهارات والقدرات التي تتيح لهم الانتقال من شريحة اجتماعية دنيا إلى أخرى أعلى.

كما أن جذب الأغنياء للاستثمار يجعل هذه الفرصة مؤكدة. وفي حالة مصر فإنه ليس مطلوباً هنا إعادة توزيع الثروة ما بين المحافظات الغنية والأخرى الفقيرة وإنما إعطاء الفرصة لهذه الأخيرة لكي تكون أكثر جاهزية لاستقبال الاستثمارات من حيث البنية الأساسية والتعليم والصحة، وتشجيع الاستثمارات المحلية والأجنبية من خلال حوافز ضريبية وعينية في الطاقة وغيرها للاستثمار في المناطق الأكثر احتياجاً. ولعل ذلك هو ما تسعى الحكومة حالياً للقيام به بالإضافة إلى إدارة للاقتصاد أكثر رشادة وقدرة على اتخاذ قرارات صعبة لإعطاء الحيوية للاقتصاد.

حينما تكون المصالح أهم من المبادئ

* محمد أرسلان

موسوعة "صدي البلد" المصرية: ٢٠١٨/٧/٢

إنها الميكافيلية العمياء التي باتت أساس التعامل العام والخاص في كافة مناهي الحياة والتي جلبت معها معظم الكوارث التي نعيشها في مفردات أيامنا الصغيرة منها والكبيرة، حتى أصبحت الحياة بكل معانيها الواسعة والكبيرة والجميلة التي نحلم بها، مجرد مصطلحات نرددها ولا نعيشها لأنها كما يقول أخوتنا المصريين "ما بتوكل عيش". ونبحث عن أسباب أخرى نعيش من خلالها علناً نشبع جشعنا المادي الذي بات هدفاً في حياتنا.

الوسيلة حينما تصبح هدفاً تنقلب عوامل نجاح الحياة رأساً على عقب، كأن نضع العربية أمام الحصان ونريدها أن تسير بشكلها الطبيعي. إنها الكوميديا التي نتحسسها ونضحك بها على ذاتنا ونقول: إن "الدنيا غدارة" أو "خاينة". نبحث في النتائج ونتعالم ونتجاهل الأسباب. إنها العقلية المنقطعة عن الماضي والتاريخ والتي لا تفكر سوى باللحظة التي تعيشها هي دون غيرها، ويصل بنا المطاف بأن نجعل من ذاتنا المحور الذي ينبغي على الجميع أن يلتفت حوله، ولا ندرك بأننا أيضاً جزءاً من هذا الكل، الذي يشكل في النهاية ما نسميه "الحياة".

نعشق الحياة لأننا نحب الوطن، ومن لا يدافع عن وطنه لا يستحق الحياة. هنا لا مكان للميكافيلية والمصالح، بل الذي يحدد مسيرة وهدف الحياة هي المبادئ التي لا يمكن التهاون فيها والنظر إليها على أنها مواد ترفيهية أو من كماليات الحياة، هي أساس الحياة وحينما تم التخلي عنها لم يعد للحياة وكذلك للوطن أي طعم.

الخطابين القومي والديني باتت تسيطر عليهما المصالح بعد أن تخلتا عن المبادئ والنتيجة هي ما نعيشه اليوم من صراعات وحروب جعلناها مقدسة لصالح فئة مستفيدة، إن كانوا من أصحاب العمامات البيضاء منها أم السوداء أو من أصحاب الكرافيتات والطقم الرسمي.

من يتحلى بالمبادئ بات يوصف بالأهبل والمخبول والمجنون في عالم لا يعترف بوجود أمثال هؤلاء، لأنه عالم الرياء والاستسلام للمادة والعبودية للمصالح ولتذهب المبادئ في "ستين داهية".

هذا ما كان مما شاهدناه في ثورات ما سميت بـ "الربيع العربي" والتي تحولت إلى حالة جمع الثروات على حساب الشعوب والمجتمعات. ومتى ما أدركنا وعن قناعة أن المصالح ليست سوى حفرة قبور لمن يكون أسيراً لها، حينها ربما يكون بمقدورنا أن نعي المعنى الكامن في الثورة التي هي من أجل التغيير المجتمعي.

إننا اليوم شهود عيان على وأد الثورة السورية التي بدأت من درعا تحت شعار "الحرية" قبل سنوات سبيع، لكن سماسرة الحروب وجمع المال السياسي منه والديني والقومي عملوا بكل ما أوتوا من إمكانيات على بيع بكارة الثورة في بازارات النخاسة العثمانية، وهامهم الآن يتباكون كذباً وزوراً على وأد الثورة السورية من حيث خرجت. هؤلاء السماسرة الذين تخلوا عن مبدأ الحرية ولهثوا وراء المال والسلطة والمصالح هم المسؤولون عن ما يمكن تسميته كوميديا الثورة السورية، التي من مصالحها أنه على الكل أن يقتل الكل واقصاء الآخر والأنانية الليبرالية المتوحشة القاتلة التي قال عنها يوماً أمين معلوف "هويات قاتلة".

لكن يبقى للتاريخ مساره الذي يحفره هو بذاته بعيداً عن تدخل الإنسان والذي يفرضه على كل من يرغب السير معه. إنه الماضي والتاريخ واللحظة التي نعيشها والمستقبل تُعاش في نفس الوقت ولا يمكن الفصل بينهما البتة. ومن يدرك هذه الفلسفة حينها سيفتح التاريخ له أبوابه مشرعة وكأنه يقول له "سرياً عبيدي إنني ملكك". مسيرة شاقة وصعبة وفيها الكثير من التضحيات الجسام والإرادة القوية المبنية على بعث المبادئ من جديد لبناء حياة أفضل.

هذا ما كانت عليه ميزوبوتاميا على ضفاف نهري دجلة والفرات وحواف جبال زاغروس منذ آلاف السنين والتي كانت المهدي الذي ترعرعت فيه الإنسانية وانتشرت منه نحو الأطراف على ضفاف أنهر النيل والأصفر والبنجاب. وكأن التاريخ يكرر نفسه أو الأصح يبعث ذاته من جديد وينمو على جذوره الضاربة في أعماق الأرض. والتي من مبادئها أن يكون الكل مع الكل ويعيش من أجل الكل وكذلك الروح الجماعية والعيش المشترك وأخوة الشعوب والتي قال عنها يوماً أوج آلان "هويات جامعة".

"السلطويات العربية" حين تنتقد التجربة التركية

*خليل العناني

العربي الجديد: ٢٠١٨/٧/٢

أقامت السلطويات العربية "سرادق عزاء" على خلفية نتائج الانتخابات التركية التي انتظمت أخيراً، ورسخت حكم حزب العدالة والتنمية في تركيا سنواتٍ مقبلة. ولم يتوقف إعلام هذه السلطويات عن ترويج خطاب مبتذل، غارق في النزق والتضليل بشأن ما جرى في تلك الانتخابات إلى الدرجة التي جعلت منافسي "العدالة والتنمية" يسخرون من فرط بؤس هذا الإعلام ومن يمولونه ويدعمونه. وهو فضلاً عن كونه خطاباً غارقاً في الابتذال والانحطاط الأخلاقي، حتى أصبح مدرسة بذاته في ترويج فنون الإعلام الهابط، فهو خطابٌ مثير للشفقة والغثيان. ومرد ذلك أنه في كل مرة يخرج فيها ذاك الإعلام بترهاتٍ عن تركيا وأوضاعها السياسية والاقتصادية، يتلقى هزيمة لا تجعله يتوقف عن ترويج تلك الترهات، وإنما تزيد جنونه. وتذكر جيداً قبل عامين، حين تبنى الإعلام السلطوي المحاولة الانقلابية في تركيا، وكان من أوائل الناقلين والداعمين لها على الهواء، إلى درجة الزعم بهروب الرئيس رجب طيب أردوغان إلى خارج البلاد، ولم يتوقفوا عن ذلك، إلى أن نجح الرجل في السيطرة على الموقف، وإجهاض المحاولة الانقلابية. ومذاك، أصيب ذلك الإعلام بصدمة جعلت من يديرونها في حالة جنون لا تتوقف.

لا يهاجم الإعلام السلطوي، ومن يقفون وراءه ويمولونه، التجربة التركية بسبب صراعٍ سياسي مع رجلها الأول أردوغان فحسب، وإنما كون التجربة ذاتها تمثل حرجاً كبيراً لهم، إن على مستوى الديمقراطية التي تتبناها إطاراً للصراع السياسي، أو نتيجة المكانة التي تحظى بها التجربة لدى مواطنين عربٍ كثيرين. ويبدو الأمر أنه كلما نجحت تركيا سياسياً واقتصادياً، شعر السلطويون العرب بفشلهم الذريع، وبؤس حكمهم وخياراتهم. وهم أشبه بتلميذٍ بليدٍ يريد أن يلتحق به أقرانه في بلادته وفشله، لا أن يجتهد هو ليكون مثلهم ويتفوق عليهم. وهم لا يريدون انتخاباتٍ نزيهة، ولا تنمية اقتصادية، ولا عدالة اجتماعية، ولا تنوعاً سياسياً وثقافياً، وهو ما يجعل مواطنيهم ينظرون إلى النموذج التركي بتقدير واحترام كبيرين. وهم يريدون أن تتحول تركيا إلى دولة فاشلة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، حتى لا تُظهر ضعفهم وفشلهم. وهم هنا لا يفعلون الشيء نفسه مع إسرائيل التي تتفوق عليهم في المجالات كافة، من دون أن تهتز لهم شعرة أو يتحرك لهم ساكن.

وبينما لم يجرؤ الإعلام الغربي الذي يناصب أردوغان العداء منذ سنوات على التشكيك في نزاهة الانتخابات الرئاسية والبرلمانية أخيراً في تركيا، فقد قطع الإعلام السلطوي شوطاً كبيراً في الترويج الكاذب والفاضح لتزوير الانتخابات، مدعياً خسارة أردوغان السلطة، ومروجاً أن منافسه، محرم إنجه، مرشح حزب الشعب الجمهوري، هو الذي فاز بها، وذلك إلى أن خرج هذا الأخير على الملأ وأعلن خسارته وفوز منافسه أردوغان.

لا يخجل السلطويون العرب من مهاجمة التجربة التركية، بينما بلادهم غارقة في طبقاتٍ من القمع والظلم والفساد. وهم لا يشعرون بأي حرج أو ذنب في تمويل حملات التشويه والتضليل ضد هذه التجربة، بينما كثير من مواطنيهم يعيشون تحت خط الفقر. وفي الوقت الذي نجحت فيه تركيا في تحسين أوضاع مواطنيها الاقتصادية والاجتماعية، ورفع معدلات التنمية في أقل من عقدين، فإن مجتمعات عربية كثيرة تعاني بمرارة من وطأة تلك الأوضاع منذ عقود. والمدهش أن السلطويين العرب على استعداد أن ينفقوا مليارات الدولارات على تدمير التجربة التركية وسحقها، ولا ينفقونها على تنمية بلدانهم ومجتمعاتهم. وهناك دولٌ عربية غنية بثرواتها الطبيعية، لا تتورع عن تمويل الحروب، وتدمير المجتمعات، وحصار الشعوب، والتخطيط للانقلابات، وشراء الذمم والنفوس، لا لشيء سوى لتحطيم خصومها، خصوصاً من تيارات الإسلام السياسي. ولو أنها أنفقت تلك المليارات على المجتمعات العربية الفقيرة، كما الحال في اليمن، لكان أفضل لها ولسمعتها.

قطعاً، ليست التجربة التركية مثالية، كما أنها لا تخلو من المشكلات والعيوب، خصوصاً في مجال التضيق على الصحفيين وحرية التعبير منذ المحاولة الانقلابية في صيف ٢٠١٦، ولكنها لا تقارن من قريب ولا من بعيد بما نراه في بلداننا العربية. كما أنها تجربة تستحق الوقوف عندها، والتعلم منها، وليس الهجوم عليها، ومحاولة هدمها وإفشالها. وإذا كان من نقدٍ يوجه إلى هذه التجربة، فلا يجب أن يأتي من دولٍ لا يُسمح لمواطنيها بحرية الصمت أو الكلام، ذلك أن فاقد الشيء لا يعطيه.

نداء الفاشية في المجتمعات الغربية

*مادلين أولبرايت

عن <لوبيوان> الفرنسية: ٢٠١٨/٧/٢

ثمة أوجه شبه بين ما يجري في أوروبا وثلاثينات القرن الماضي. وثمة نازع حاد الى التطرف القومي، وأحزاب اليمين المتطرف تبرز- وشريان حياتها هو الانقسامات في المجتمع، وغياب احترام الآخر. وهذه الميول متفشية في فرنسا وألمانيا وإيطاليا وفي أوصال أوروبا. والأسوأ يدور في بولندا وهنغاريا مع فيكتور أوربن. وأحد أبرز عوامل الفاشية هو تحميل الآخر تبعة المسؤوليات، وغالباً ما يكون الآخر هو الغريب أو من يشهر ديانة مختلفة. وهذا ما نزل باليهود في أوروبا، وينزل اليوم بالمهاجرين. فالرئيس ترامب وصف المهاجرين بـ «الحيوانات»، والمكسيكيين بالمغتصبين والإرهابيين، وقيد دخول المسلمين الى البر الأمريكي. وفي هنغاريا، يُنفخ في الخوف من غير الأقحاح. ومن سمات الفاشية كذلك ذبوع البروبغندا وانتشارها. وليس سيراً تعريف الفاشية. فهي لا تتشابه من بلد إلى آخر ومن زمن إلى آخر. ولا أرى أن العودة الى الرايخ الثالث ممكنة. واليوم، الفاشية الفعلية هي في كوريا الشمالية: سلطة مركزية ركنها زعيم أعلى منزله يستخدم القوة ضد شعبه. وأمثلة ما قيل في تعريف الفاشية صدر عن موسوليني: «انتفوا ريش الدجاجة ريشة ريشة فلا يلاحظ أحد (ما يجري)». واليوم، في بعض البلدان، خسرت الدجاجة كثيراً من الريش. ولذا، لا مناص من قرع ناقوس الخطر.

وفي القرن الحادي والعشرين نازعان كبيران: العولمة- وجوانب كثيرة منها إيجابية. ولكن الجانب القاتم منها هو غموضها. فهي من دون وجه، فيبحث الناس عن هوية تسمهم، وينزلقون الى القومية- وهذه قد تكون خطيرة. والنازع الثاني هو التكنولوجيا. وأوجهها إيجابية، ولكن المقلب الآخر منها سلبي: فالناس انفصلوا عن الواقع ولا يستمعون إلى الخطاب الذي يبائعونه. وهذا يفاقم الانقسامات. وأستعير في كتابي «الفاشية: تحذير» من وادي السيليكون عبارة تقول: المواطنون يتوجهون الى حكوماتهم بواسطة تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين، والحكومات تصغي اليهم بواسطة تكنولوجيا من بنات القرن العشرين، وتقتصر عليهم حلولاً من القرن التاسع عشر». فالحكومات لا تنزل على حاجات الناس الذين فقدوا الثقة في المؤسسات. وتسعى الشعوب وراء زعيم يلم بكل شيء، من دون إدراك مخاطر احتكار السلطة.

وفي أوروبا، يبدو أن الاشتراكيين- الديموقراطيين أخلوا بمسؤولياتهم، والشعب كذلك يتصرف وكأنه في حل من التزاماته. فالعقد الاجتماعي يقضي بتخلي الأفراد عن بعض حقوقهم مقابل حماية الحكومة ومساعدتها (الصحة، التعليم...). أما في الولايات المتحدة، فيبدو أن الجسور تقطعت بين الحزب الديموقراطي وقاعدته.

وليس دونالد ترامب فاشياً، ولكنه أقل الرؤساء الأمريكيين في العصر المعاصر، احتراماً للمبادئ الديموقراطية. فهو يعادي الديموقراطية معادة فطرية. وهو فاقم انقسامات المجتمع، وأعلن أن الصحافة هي عدوة الشعب، وهو لا يحترم المؤسسات، وخصوصاً العدالة.

* وزيرة خارجية امريكا في إدارة بيل كلينتون

كيف تموت الديمقراطية؟

دروس من صعود المستبدين بالدول الضعيفة

تقرير خاص (الإيكونوميست)؛ ٢٠١٨/٧/٢

هل الديمقراطية في ورطة؟ بعد مرور ٣٠ عاماً على إعلان فرانسيس فوكوياما نهاية التاريخ وانتصار الديمقراطية الليبرالية، لم يعد طرح هذا السؤال غريباً في واقع الأمر. فالولايات المتحدة، التي كانت منذ فترة طويلة منارة للديمقراطية، يحكمها رئيس يدوس على أعرافها وقواعدها. ويقوم شي جين بينغ بتوجيه دفعة الصين السلطوية نحو نظام حكم الرجل الواحد. وفي كل أنحاء العالم الناشئ، يتقدم الرجال الأقوياء والمستبدون. فمن المرجح أن يفوز الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، بعد قيامه بسجن أو تطهير أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ تركي لأسباب سياسية، في الانتخابات المقبلة التي تبدأ في ٢٤ حزيران (يونيو)، وأن يتمتع بعدها بسلطات شبيهة بالسلطان. ويقوم نظام نيكاراغوا بقلع أظافر أقدام المتظاهرين. ويوشك فلاديمير بوتين على جني ثمار انقلاب دعائي ضخم من مسابقة كأس العالم التي تقام في بلده.

تظهر مؤشرات صحة الديمقراطية تدهوراً مزعجاً منذ الأزمة المالية ٢٠٠٧-٢٠٠٨. ويظهر مؤشر نشرته حديثاً "وحدة استخبارات الإيكونوميست"، المؤسسة الشقيقة لهذه المجلة، تراجع الديمقراطية في ٨٩ دولة في العام ٢٠١٧، مقارنة بـ ٢٧ دولة تحسنت فيها فحسب. وتجد بعض الدراسات الاستقصائية أن أقل من ثلث الشباب الأمريكيين يعتقدون أن من "الضروري" العيش في نظام ديمقراطي. ولا عجب في أن يشهد هذا العام طفرة في الكتب التي تحمل عناوين مخيفة مثل "كيف تنتهي الديمقراطية" و"الشعب في مقابل الديمقراطية".

ينبغي وضع هذا التشاؤم في السياق. إنه تغير حديث في وجهة سير الديمقراطية بعد تقدم ملحوظ حققته في النصف الثاني من القرن العشرين. ففي العام ١٩٤١، كان هناك نحو دزينة من الديمقراطيات فقط، وبحلول العام ٢٠٠٠، لم تكن هناك سوى ثمانية بلدان فقط لم تقم بإجراء انتخابات على الإطلاق. وأظهر استطلاع واسع النطاق شمل ٣٨ بلداً أن أربعة من أصل خمسة أشخاص يفضلون -نمطياً- العيش في نظام ديمقراطي. وليست كل التهديدات التي تتوجه إلى التعددية من نفس النوع. ففي الديمقراطيات الناضجة مثل أمريكا، تقوم الضوابط والموازنات القوية بتقييد حتى أكثر الرؤساء تعطشاً للسلطة. وفي الديمقراطيات غير الناضجة، تكون مثل هذه المؤسسات الرقابية أضعف، ولذلك يستطيع رجل قوي أن يقوضها بسرعة، وغالباً من دون ضجة كبيرة. وهذا هو السبب في أن التدهور الأكثر إثارة للقلق، والذي يحدث في كل من عدد البلدان وسرعة التراجع، إنما يوجد في الديمقراطيات الفتية والهشة في العالم الناشئ. ومن فنزويلا إلى هنغاريا، تكشف هذه الانعكاسات في الواجهة أوجه تشابه ملفتة ومدهشة. ولعل في هذا ما يقترح أسباباً للتفاؤل -بالإضافة إلى دروس يمكن للغرب استخلاصها.

كيف يتم تقويض الديمقراطية

إذا أردنا التلخيص، فإنه عادة ما يتم تفكيك الديمقراطيات الجديدة على أربع مراحل. أولاً، تنشأ مظالم وشكاوى شعبية أصيلة وحقيقية من الوضع الراهن، وفي الغالب، من النخب الليبرالية التي تكون في موضع المسؤولية. ومن ذلك ما حصل للمجريين الذين ضربتهم الأزمة المالية، ثم روعتهم جحافل اللاجئين السوريين الذين يمرون بهم في طريقهم إلى ألمانيا. وشعرت الأغلبية المسلمة الملتزمة في تركيا بأن النخبة العلمانية تقوم بتهميشها. ثانياً، يقوم الرجال الأقوياء المحتملون بتحديد أعداء ليلقي الناخبون الغاضبون باللوم عليهم. وفي هذا الإطار، يتحدث بوتين عن مؤامرة غربية لإذلال روسيا. ويلقي الرئيس نيكولاس مادورو باللوم على أمريكا في التسبب بمشاكل فنزويلا. ويلقي رئيس الوزراء المجري، فيكتور أوربان، باللوم على جورج سوروس في مشاكل بلده أيضاً. ثالثاً، بعد أن يستولوا على السلطة باستغلال الخوف أو الاستياء، يقوم الرجال الأقوياء بإضعاف إمكانية وجود صحافة حرة، ونظام قضائي

محاييد ومؤسسات أخرى تشكل الجزء "الليبرالي" من الديمقراطية الليبرالية - وكل ذلك باسم تثبيط أعداء الشعب" فيتهمون القضاة المخلصين بسوء التصرف ويستبدلوهم بأزلام، أو يطلقون مفتشي الضرائب على محطات التلفزة المستقلة ويجبرون أصحابها على بيعها.

هذه المرحلة هي "الديمقراطية غير الليبرالية"، حيث يتم تقويض الحقوق الفردية وسيادة القانون، وإنما يظل بإمكان الرجال الأقوياء التظاهر بأنهم ديمقراطيون - بما أنهم يفوزون في انتخابات حرة. ثم، في نهاية المطاف، في المرحلة الرابعة، يؤدي تآكل المؤسسات الليبرالية إلى موت الديمقراطية في كل شيء ما عدا الاسم. ويكون مراقبو الانتخابات المحايدون مكتمين" ومرشحو المعارضة مسجونين" وحدود المحافظات والمقاطعات معادة الترسيم" والدساتير محرفة" وفي الحالات القصوى، تكون الهيئات التشريعية مخصية وعاجزة.

كسب المعركة لا يكون دائماً للرجل القوي

ليست هذه العملية حتمية ولا عصية على الشفاء. فقد تمتعت الهند بديمقراطية نابضة بالحياة منذ ٧٠ عاماً. وتمتعت بمثلها بوتسوانا لأكثر من ٥٠ عاماً أيضاً. ويمكن وقف التدهور، بل وعكس وجهته أيضاً. ففي الأسابيع الأخيرة صوت الماليزيون لصالح إقصاء نجيب رزاق وحزب "أومنو" الذي حكم البلاد منذ الاستقلال" وكسر المحتجون في أرمينيا عقداً من حكم الحزب الواحد. وفي كانون الأول (ديسمبر) الماضي، أجبر سكان جنوب إفريقيا الرئيس جاكوب زوما، الرجل القوي الذي سمح لحاشيته بنهب الدولة، على الخروج من السلطة. وحتى تركيا ليست منذورة للفشل الحتمي أيضاً" حيث تمتلك أحزاب المعارضة فيها فرصة جيدة لكسب السيطرة على البرلمان هذا الشهر.

من الصعب معرفة أي الديمقراطيات هي المعرضة للخطر. وغالباً ما يكون الركود الاقتصادي وتدفقات الهجرة الكبيرة سلائف للمتعاب، لكنهما ليسا سببين ضروريين ولا كافيين. كان عدد قليل من الناس ليتوقعوا أن تتداعى الديمقراطية في بولندا، وهي اقتصاد مزدهر مع القليل من المهاجرين، والتي استفادت بشكل كبير من عضوية الاتحاد الأوروبي. ولعل الأكثر أهمية من الظروف الكامنة هي الدرجة التي يمكن أن يتعلم بها المستبدون المحتملون من بعضهم البعض - كيف يتم نشر الأخبار المزيفة، وسحق الصحفيين المثيرين للمتعاب، واللعب بورقة الشعبوية. كما أن نقاط ضعفهم متشابهة بشكل ملحوظ أيضاً. فمن ماليزيا إلى جنوب أفريقيا، أصبح الرجال الأقوياء في نهاية المطاف محلاً للاشمئزاز الشعبي بسبب حجم فسادهم.

تنطوي هذه التشابهات على بعض الدروس. ولعل الدرس الرئيسي هو أن المؤسسات تهم. ولطالما ركز تعزيز الديمقراطية الغربية على جودة الانتخابات. لكن القضاة المستقلين والصحفيين المشاكسين يشكلون في واقع الأمر خط الدفاع الأول للديمقراطية. وينبغي على الجهات المانحة والمنظمات غير الحكومية مضاعفة جهودها لدعم حكم القانون والصحافة الحرة، على الرغم من أن الحكام المستبدين سيتهمون حتماً أولئك الذين يتلقون المساعدة بأنهم عملاء أجانِب.

الدرس الثاني هو أن انتكاسات الديمقراطية كانت مدفوعة بعمل رجال أقوياء انتهازيين أكثر من كونها ناجمة عن احتضان الناحيين للأيديولوجية الليبرالية. ويؤدي هذا في النهاية إلى جعل هذه الأنظمة المستبدة هشّة. وعندما يسرق الأوتوقراطيون بوقاحة شديدة وعلى رؤوس الأشهاد، لن تستطيع أي رقابة منع الناس من معرفة ذلك - والإطاحة بالمستبدين في بعض الأحيان. والدرس الأخير غير المريح أكثر ما يكون، هو أن المثال الذي تضعه الديمقراطيات الناضجة يهّم كثيراً. سوف تقيد المؤسسات القوية في أمريكا يد الرئيس دونالد ترامب في الداخل، لكنها لا يمكن أن تمنع ازدهاره للأعراف الديمقراطية - بالكذب المتسلسل، والتودد مع الدكتاتوريين - من توفير غطاء للمستبدين المحتملين في الأماكن الأخرى.

إن التقارير عن وفاة الديمقراطية مبالغ فيها إلى حد كبير. لكن أقل نظام حكم تم ابتكاره سوءاً على الإطلاق أصبح في مأزق. وهو يحتاج الآن إلى مدافعين.

«ترامب المنتصر»: الشرق الأوسط بين اتفاقين نوويين

معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى؛ ٢٠١٨/٧/٢

حسن منيمنة: صورة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، إذ يوقع «اتفاق نزع السلاح النووي» إلى جانب الزعيم الكوري الشمالي كيم جونج أون، في سنغافورة يوم الثاني عشر من حزيران يونيو الجاري، تقدم مادة خصبة إضافية لكل من السرديتين المتنافستين في الإطار العربي، لتدفعهما باتجاه تأكيد الرؤيتين المتضادتين لواقع الأمور في الشرق الأوسط. فالرؤية الأولى تدرج اللقاء في سياق تصحيح شامل لسياسات القوة العظمى الوحيدة في مختلف الملفات الدولية، بما يخدم تحقيق الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط، فيما الرؤية المضادة ترى في اللقاء عينه إرهاباً بالمزيد من التوتر والنزاع في المستقبل المنظور للمنطقة. أما المفارقة فهي أن الرؤيتين تتفقان أن ترامب هو الممسك بزمام المبادرة، وأن الولايات المتحدة هي في موقع القوة، وإن اختلفتا في تقييم هذا الإنجاز، سلباً وإيجاباً. وإدارة الرئيس ترامب، إذ هي تشهر تخليها عن سياسات الرئيس السابق باراك أوباما، بل تجاهر بإدانتها لهذه السياسات، تجد تأييداً يكاد أن يكون دون تحفظ من ثلاث عواصم شرق أوسطية، هي القدس والرياض وأبو ظبي. وكان وجه الاعتراض الأول في هذه العواصم إزاء الإدارة الأمريكية السابقة أن واشنطن تزاхمت للاستحصال على اتفاق مع إيران، وفق شروط يرى البعض أنها غير موائمة للمصالح الأمريكية، ودون اعتبار لمصالح الشركاء والحلفاء في المنطقة، ودون إصغاء لنصائحهم. بل شكواهم هي أيضاً أن إدارة الرئيس أوباما قد أخفت عنهم تفاصيل تواصلها مع إيران رغم الأثر البالغ للموضوع على أمنهم الوطني.

فمن وجهة نظر كل من السعودية والإمارات وإسرائيل يظهر انسحاب إدارة الرئيس ترامب من الاتفاق النووي الإيراني، وإعلانها السعي إلى توجه جديد بعيد المدى للتصدي للتوسع الإيراني، كتصويب لشطح في المواقف على درب تصحيح لعلاقات كانت قد تضررت. وبعد أن كانت الوسائل الإعلامية المرتبطة بكل من السعودية والإمارات قد سايرت الاهتمام العام بمتابعة مواقف الرئيس ترامب، بعيد انتخابه، كنموذج جديد في الرئاسة، غير مقيد بأصول معتادة وميال إلى الممارك الجانبية، فإنها قد شهدت تدريجياً إعادة تصوير لترامب بما يتيح فهم مواقفه وأقواله على أنها منسجمة مع ذاتها ومندرجة في إطار خطة محكمة متجانسة، وإن لم تكن جلية للمشاهد العادي.

والواقع أن هذا النموذج لشخص القائد، والذي جرى اعتماده أخيراً لقراءة ترامب، متوافق مع الصيغة السائدة في التأطير المعيارى للحكم والحاكم لدى كافة الوسائط الإعلامية الخليجية، وإن اختلفت بعض الإعلام المرتبط بقطر قدر من الارتباك بهذا الشأن، وفق منطق أبوية الحاكم كمسؤولية واستحقاقه إزائها للولاء. أبوية الحاكم جلية في الإعلام المدعوم إماراتياً بالتركيز على دور قادة الإمارات في دفع بلادهم قدماً إلى التطور، ولكنه واضح كذلك في النقد الضمني والصريح لمسارات «الربيع العربي» على أنها تجارب هدامة في تحديها لمشروعية الحكام الوطنيين وهيبة الدول. والأبوية قد نالت زخماً جديداً في السياق السعودي، في التركيز على شخصية الأمير الشاب ولي العهد محمد بن سلمان، وفي تصويره على أنه الحاكم المسؤول الراشد صاحب الرؤية والصائب على الدوام. ويلاحظ أن الإعلام المدعوم قطرياً (والمدان سعودياً وإماراتياً للمساحة الانتقائية والمتفاوتة) التي يمنحها للقراءات النقدية، لم يعتنق التصوير المضاد لترامب كزعيم متهور طائش، رغم شيوع هذا التصوير في الإعلام الغربي عامة وفي الولايات المتحدة خاصة. ففيما ترد التعليقات في هذا الاتجاه الطاعن ضمن المساحة المخصصة للرأي في هذا الإعلام، فإن الجهد التحريري ينحو إلى ما يظهره على أنه موضوعية أو حيادية، لتأتي التغطية الجمالية منافية للتصوير السلبي لدونالد ترامب. بل إن طاقة النقد اللاذع لدى قناة الجزيرة وغيرها من الوسائل الإعلامية التي تدعمها قطر أمست تقتصر أو تكاد على شؤون الخصوم الخليجيين.

والأسلوب المعتاد في الإعلام العربي لتغطية أخبار القادة السياسيين هو من خلال التركيز على الشكل مع تطرق ضئيل للمضمون، وعليه فإن قمة سنغافورة الأمريكية الكورية الشمالية، قد وافقت هذا الأسلوب في تقديمها استفاضة استعراضية كدليل مرئي على أهميتها. والعبارة المستعملة على مدى الإعلام الناطق بالعربية، بما فيه المحطات الدولية التي تبث من أوروبا، لم تميز في تغطيتها لحفل التوقيع عند نهاية اللقاء بين بيان قمة واتفاق مبرم. بل، وعلى الرغم من تنويه متكرر من عدد من الضيوف والمراسلين، جرى التأكيد على الطبيعة «التاريخية» للقاء وعلى مفصليته في العلاقات الدولية وعلى الإنجاز غير المسبوق المتحقق على مستوى نزع السلاح النووي. وقد لا تكون هذه المواقف الإعلامية تعبيراً عن قراءة متأنية للمجريات بقدر ما هي إعادة تموضع عملي إزاء الولايات المتحدة في ظل إدارة ترامب.

ففي الإعلام العربي الذي يدعمه حلفاء الولايات المتحدة وشركاؤها، يظهر ترامب بصورة الرئيس الحازم صاحب المبادرة والإقدام والقادر على تمزيق اتفاق نووي لا يفي مصالح بلاده حقها (مع إيران)، وعلى تحقيق اتفاق آخر ينسجم مع مطالبه (مع كوريا الشمالية). ولا فارق سواء شكل هذا التصوير قناعة لدى أصحاب القرار في السعودية والإمارات وقطر، أم لا.

فكوريا الشمالية هي خارج الأفق السياسي لهذه الدول، فيما همّ اجترح البديل للاتفاق النووي مع إيران قد تراجع إلى المرتبة الثانية أو الثالثة بالنسبة لها.

إيران، دون شك، تبقى في صلب الهمّ الأول، غير أن الخطر الذي تشكله إيران بالنسبة لكل من السعودية والإمارات هو ذو بعد جغرافي أولاً، وليس نووياً. فعلى مدى أعوام استطالت إلى الثلاثة وتزيد، تجد القوات العسكرية السعودية والإماراتية نفسها متورطة في حرب مكلفة في اليمن، تهدف إلى منع سقوط اليمن بالكامل بيد القوات المسلحة غير النظامية الحوثية، ذات الانتماء الزيدي الشيعي، والتي تجتهد إيران في استمالتها سياسياً وعقائدياً. وفي حين أن الهجوم السعودي الإماراتي على اليمن كان قد انطلق ابتداءً دون استشارة واشنطن، وذلك قبل انتخاب دونالد ترامب، فإنه قد فشل في تحقيق مبتغاه، في حين أنه قد ضاعف من الأزمة الإنسانية في اليمن، عبر قطعه لخطوط إمداد المساعدات، وعبر إيقاعه أعداد مرتفعة من الضحايا في صفوف غير المحاربين، بما لا يمكن تبريره.

فالهّم السعودي والإماراتي الأول في واشنطن هو أن تتمكن إدارة الرئيس ترامب من تجاوز اعتراضات الكونغرس وأن تقدم الدعم الميداني والإمداد بما يتيح للتحالف العربي الانتصار في اليمن. أما الهمّ الثاني هنا لكل من السعودية والإمارات فهو أن تسمح الولايات المتحدة بتحركهما المشترك ضد قطر، أو على الأقل أن تلتزم موقفاً حيادياً إزاء مضاعفتها للضغط الاقتصادي والسياسي والإمدادي لإرغام الدوحة على الانكسار. أما من وجهة النظر القطرية، فالهّم الأعلى هو الرغبة المعاكسة، أي المحافظة على المظلة الأمريكية المعارضة للخطوات العدائية السعودية الإماراتية. ففي هذه الدول الثلاث، وفي غيرها في عموم المنطقة، الشأن الكوري الشمالي بحد ذاته ليس ذا اعتبار، فالإشادة بالإنجاز المفترض في سنغافورة هي وسيلة متوفرة دون تحفظ، ودون كلفة، لمتتين العلاقة المرجوة مع إدارة الرئيس ترامب.

أما في الإعلام العربي المعادي للولايات المتحدة، فالغالب عند تقييم خطوات الرئيس ترامب ومواقفه وصولاً إلى لقاء القمة مع الزعيم الكوري الشمالي في سنغافورة، هو التشديد على المناورات الوصولية والتي تراوحت من التهديد المدوي بالنار والغضب، إلى الوعود الناعمة بالحماية والدعم، ومن الإلغاء المباغت للقاء المرتقب إلى العودة المفاجئة كذلك إليه، بما يحفظ للرئيس الأمريكي اليد العليا، وذلك كله في سياق التشديد على أن الولايات المتحدة متعنتة في فرضها لمشيتها وملتزمة فقط بمصالحها. البعض، في هذا الإعلام المعادي للولايات المتحدة، تناغم مع الموقف الإيراني القائل بأن هذا الرئيس الأمريكي حديث العهد بالسياسة ويفتقد لسلامة الرأي. ولكن حتى عند الجنوح إلى هذا التصوير، فإن الميل كان بالإبقاء على التأكيد على خبث الولايات المتحدة إذ تحكمها، وفق هذا القول، «الدولة العميقة» والتي تتأصل فيها النوايا السيئة. وهدف الإقرار السريع للاتفاق النووي مع كوريا الشمالية، وفق كافة هذه القراءات، هو الانتهاء من قضية دولية شائكة، أي التوتر في شبه الجزيرة الكورية، أو التخفيض من حدتها، وذلك لحصر الاهتمام والجهود بقضية أخرى، أي إيران تحديداً. فالإشارات التي وردت على لسان الرئيس الأمريكي بشأن إيران خلال مؤتمر الصحافي في سنغافورة لم تكن عرضية على الإطلاق. بل إن الهدف النهائي من لقاء كيم جونج أون هو تحسين موقع الولايات المتحدة في عداؤها لإيران.

والآراء السياسية العربية قد ذهبت في اتجاهين متعارضين حول المقتضى من لقاء القمة الأمريكي الكوري الشمالي. الأوساط المعادية للولايات المتحدة اعتمدت النصيحة الإيرانية لكوريا الشمالية ألا تثق بالولايات المتحدة، والتي إذ أخلت بتعهداتها وفق الاتفاق مع إيران، لن تفي بالتزاماتها ضمن الاتفاق الجديد مع كوريا الشمالية. أما الإعلام المدعوم من حلفاء الولايات المتحدة فقد توجه بالتنبيه إلى إيران حول وجوب السير على خطى كوريا الشمالية والإقرار بمتوجبات التصميم والعزم لدى الرئيس الأمريكي الجديد.

قليل ما وردت في الإعلام والسياسة في الوسط العربي مسالة لهذا النجاح المفترض لدونالد ترامب هل نتج عن لقاء سنغافورة بالفعل إنجاز ملموس، وهل بيان اللقاء قد أرسى بالفعل، فيما يتعدى النوايا المبهمة، عملية نزع سلاح نووي؟ لا تصوير ترامب على أنه قد استدرج من خصم فاقه دهاءاً، ولا أنه نمر من ورق يسوق انتصارات وهمية لأغراضه السياسية، من القراءات المفيدة، لا للمواقف المؤيدة للسياسة الأمريكية إزاء إيران، ولا المعارضة لها. فبالنسبة للمؤيدين للولايات المتحدة إثارة قراءات من هذا النمط يشتت القدرة على استنهاض تأييد واشنطن لقضاياها، فيما بالنسبة للإعلام الداعم للموقف الإيراني، تضعف هذه القراءات الزخم للتعبئة لمواجهة الغطرسة والاستكبار والقوة الغاشمة، والمنسوبة للولايات المتحدة. بل والتقييم الراجح لدى وسائل الإعلام العربية هي أن المتابع العربي غير معني بتفاصيل من واشنطن ذات دوافع وأبعاد محض داخلية أمريكية. فبالنسبة لأصحاب القرار، وبالنسبة للمولجين بتعميم الآراء بشأنه، في كل من المعسكرين الموالي والمعادي للولايات المتحدة، فيما يتعلق بهذه المقايضة التي أطاحت باتفاق نووي ونصبت آخر، التوافق متحقق حول اعتماد مقولة «ترامب المنتصر».

الخرطوم تساهم في تعزيز السلام بين أطراف الصراع في جنوب السودان

وكالات متعددة: ٢٠١٨/٧/٢

بعد اعترافها بتقرير مصير جنوب السودان واستقلاله عن السودان، تساهم الخرطوم في المصالحة بين الاطراف المتنازعة في جنوب السودان وقد قال وزير الخارجية السوداني الدرديري محمد أحمد إن رئيس جنوب السودان وقع اتفاق سلام مع المتمردين يوم الأربعاء يبدأ بموجبه وقف لإطلاق النار خلال ٧٢ ساعة، لكن المتمردين رفضوا نقاطا أخرى في الاتفاق.

ويهدف الاتفاق الذي تم إبرامه في العاصمة السودانية الخرطوم لإنهاء حرب أدت إلى مقتل عشرات الآلاف. وانهارت اتفاقات أخرى للسلام في السابق.

وقال أحمد لرويتز "ستواصل الأطراف السودانية محادثات في الخرطوم لبحث ترتيبات تنفيذ وقف إطلاق النار، وبعد بداية تنفيذ وقف إطلاق النار سيتم مناقشة ملف قسمة السلطة".

وأضاف أن الاتفاق الإطاري يأتي قبل اتفاقية نهائية وسيسمح "بفتح الممرات للمساعدات الإنسانية وإطلاق سراح الأسرى" وتشكيل حكومة وحدة انتقالية بعد أربعة أشهر.

ويأتي الاتفاق كذلك بعد محادثات استمرت يومين بين الرئيس سلفا كير وزعيم المتمردين ريك مشار الذي كان في السابق نائب الرئيس. وبدأت الحرب الأهلية في جنوب السودان في ٢٠١٣، بعد مرور أقل من عامين على استقلاله عن السودان.

وقال مشار للصحفيين بعد مراسم التوقيع "هذا الاتفاق الذي تم توقيعه اليوم ووقف إطلاق النار سينهيان الحرب في جنوب السودان ويفتحان صفحة جديدة. ورحب بما قال إنه سيكون بناء للثقة مع الجار الشمالي لجنوب السودان.

وقال أحمد إن الاتفاق الذي وقعه أيضا قادة آخرون بالمعارضة سيسمح لحكومة الوحدة الجديدة بإدارة البلاد لثلاث سنوات يعقبها إجراء انتخابات عامة. وقال كير إنه سيلتزم بالاتفاق ويحترمه.

وكانت إحدى النقاط المقترحة في الاتفاق وجود ثلاث عواصم لجنوب السودان من أجل تقاسم السلطة، لكن متحدثا باسم مشار رفض الاقتراح.

وقال المتحدث مبيور قرنق مبيور "سنوقع إطار العمل اليوم مع بعض التعديلات.. أهمها أننا نرفض مسألة العواصم الثلاث. جنوب السودان بلد واحد. ونرفض دخول قوات أجنبية أراضيها". وكان يشير على ما يبدو إلى اقتراح بأن تراقب الهيئة الحكومية للتنمية (إيجاد) وقوات الاتحاد الأفريقي وقف إطلاق النار.

وشجع مسؤول بوزارة الخارجية الأمريكية إيجاد على تنفيذ وقف إطلاق النار خلال ٧٢ ساعة. وقال المسؤول أيضا إن الولايات المتحدة ترحب بالالتزام بوقف إطلاق النار وتشجع الأطراف على الاستفادة من الاتفاق.

* هدية للشعب

قال مبيور "نرفض أيضا استئناف إنتاج النفط قبل التوصل إلى تسوية شاملة من خلال التفاوض". وقال الرئيس السوداني عمر البشير الذي استضاف المحادثات هذا الأسبوع إن الاتفاق "هدية لمواطني جنوب السودان".

وأضر انفصال جنوب السودان بشدة باقتصاد السودان لأن الانفصال أعطى الجنوب الكثير من إمدادات النفط بالمنطقة. ويشهد السودان أسوأ أزمة مالية منذ سنوات.

وعلى هامش محادثات السلام في الخرطوم اتفق البلدان على خطة لزيادة إنتاج النفط من الجنوب إلى مثليه لكن لم ترد تفاصيل بشأن كيفية تحقيق ذلك.

واتفقت الخرطوم وجوبا هذا الشهر على إصلاح البنية الأساسية التي دمرتها الحرب وذلك في غضون ثلاثة أشهر من أجل زيادة الإنتاج، وقالتا إنهما ستشكلان قوة مشتركة لحماية حقول النفط من هجمات المتمردين.

قادة الاتحاد الأوروبي يتجاوزون الخلافات ويعلنون النصر في قمة الهجرة

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/٧/٢

بعد ليلة طويلة من المفاوضات، توصل رؤساء دول الاتحاد الأوروبي وحكوماته إلى اتفاق حول نهج مشترك لإدارة الهجرة، وينص على مجموعة من النقاط الرئيسية.

وفي مسألة تعزيز الحدود الخارجية للاتحاد، التي تعتبر الشاغل الأول للدول الأعضاء، شدد البيان الختامي، الذي صدر في الساعات الأولى من صباح اليوم الجمعة، على أن النهج المتبع حتى الآن يؤدي ثماره، إذ انخفض عدد الوافدين بشكل غير قانوني إلى الاتحاد الأوروبي بنسبة ٩٥٪ منذ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٥، مبرزاً أن على الدول الأعضاء الموجودة في الخطوط الأولى لمواجهة موجات الهجرة، أي إيطاليا واليونان وإسبانيا، وإلى حد ما مالطا، ضمان السيطرة على حدودها التي تعتبر الحدود الخارجية للاتحاد، بدعم مالي ولوجستي من الاتحاد الأوروبي.

كما يسعى الأوروبيون إلى زيادة الدعم لدول منطقة الساحل الأفريقي وخفر السواحل الليبية والدولة الواقعة في شمال أفريقيا، منطقة انطلاق معظم المهاجرين، الذين يودون العبور من جنوب حوض المتوسط إلى إيطاليا.

وقد أصرت كل من إيطاليا ومالطا على أن السفن المستأجرة من قبل المنظمات غير الحكومية لإنقاذ قوارب المهاجرين في البحر الأبيض المتوسط عليها "احترام القوانين وعدم عرقلة عمل خفر السواحل الليبية"، وهو ما يعني بروز مخاوف جدية حول كيفية معاملة المهاجرين. كما دعا القادة الأوروبيون المفوضية الأوروبية والمجلس الأوروبي لـ "استكشاف إمكانيات إنشاء مراكز أو منصات لاستقبال المهاجرين الذين يتم إنقاذهم في البحر في الدول الأفريقية"، وذلك بالتعاون مع المفوضية السامية للأمم المتحدة للاجئين والمنظمة الدولية للهجرة، على أن تعمل هذه المنصات على الفرز بين المهاجرين الاقتصاديين عن الأشخاص الذين يمكنهم المطالبة باللجوء، دون أن يجري تحديد الدول التي ستستقبل هذه المنصات، وبأية شروط.

كما اتفق الأوروبيون على نقل المهاجرين الذين يصلون إلى أوروبا إلى مراكز في الدول الأعضاء على أساس طوعي، وأن هذه المراكز ستسهر هي الأخرى على عملية الفرز بين المهاجرين غير النظاميين، وأولئك الذين يحتاجون إلى الحماية الدولية.

وفي خطوة لمواصلة العمل مع تركيا، سيعمل الاتحاد الأوروبي على إطلاق الدفعة الثانية من ثلاثة مليارات يورو تدفع لأنقرة كجزء من خطة الاتحاد وتركيا، والتي بموجبها تقوم أنقرة بمنع المهاجرين من استعمال بحر إيجه للوصول إلى اليونان. وفي الوقت نفسه، سيتم تحويل ٥٠٠ مليون يورو إلى الصندوق الائتماني لأفريقيا، الموجه إلى البلدان الأفريقية التي يفترض أنها تقوم بالمهمة نفسها.

واعتبرت القمة الأوروبية أن الهجرة الداخلية لطالبي اللجوء، من دولة عضو إلى أخرى، "مشكلة حادة بشكل خاص"، الأمر الذي يهدد نظام اللجوء المشترك ومنطقة شنغن وحرية التنقل.

وحذرت النمسا ومنطقة بافاريا في ألمانيا من أنهما ستغلقان حدودهما إذا استمر هؤولاء المهاجرون في الوصول من دول أعضاء أخرى، وهو الملف الذي يضعف المستشارية الألمانية، أنجيلا ميركل، ويهدد بإسقاط حكومتها، فيما اتفقت الدول الأعضاء على أنها "ستتخذ جميع التدابير التشريعية والإدارية للحد من هذه التدفقات الداخلية". بالإضافة إلى ذلك، ينتظر أن توقع ألمانيا اتفاقيات ثنائية مع العديد من الدول الأعضاء لاستعادة المهاجرين.

وكان رئيس الوزراء اليوناني، أليكسيس تسيراس، أول من قدم ردا إيجابيا على المطلب الملح لبرلين. وقد أظهرت أزمة الهجرة لعام ٢٠١٥ أنه من الضروري إصلاح نظام دبلن، الذي يضع على عاتق الدول الأولى التي تستقبل المهاجرين إدارة طلبات اللجوء وإعادة الأشخاص الذين لا يحق لهم الحصول على الحماية.

وعلى الرغم من العمل الذي أنجز حتى الآن لإصلاح النظام، فإن الملف بقي عالقا بسبب معارضة بلدان أوروبا الوسطى لاستقبال المهاجرين، حتى على أساس طوعي.

وتطالب إيطاليا بـ "إيجاد حل وتفعيل مبدأي المسؤولية والتضامن بين الدول الأعضاء".

وقد اتفق قادة الاتحاد الأوروبي بشأن العمل على إصلاح نظام دبلن خلال الرئاسة النمساوية للاتحاد الأوروبي، التي ستبدأ في الأول من يوليو/تموز المقبل. وسمحت القرارات المتخذة لرئيس الحكومة الإيطالية الجديد، جوزيبي كونتي، الذي كان قد عرقل صدور البيان الختامي، بأن يعتبر أن بلاده لم تعد بمفردها في مواجهة مشكلة الهجرة، وهو الملف الذي سيفرض نفسه مجددا على جدول أعمال القمة الأوروبية القادمة في أكتوبر/تشرين الأول.

ولطالما أصر كل من الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، ورئيس الوزراء البلجيكي، شارل ميشال، على ضرورة مراعاة جميع جوانب سياسة الهجرة: السيطرة على الحدود الخارجية، والعلاقات مع دول ثالثة، والبعد الداخلي، بدلا من اتفاقية تقتصر على عنصر واحد من تدابير الطوارئ، مثل مراكز استقبال المهاجرين.

وفي السياق، لم يتردد الرئيس الفرنسي في التصريح عند نهاية القمة بأنه "سيتمتع على أوروبا التأقلم مع ضغوط الهجرة لوقت طويل. يجب أن ننجح في التصدي لهذا التحدي، وأن نكون صادقين في الوقت نفسه مع قيمنا".

العالم يحن إلى القبلية: انفجار أشكال مختلفة من الشعبوية غير المتسامحة

صحيفة (العرب) اللندنية: ٢٠١٨/٧/٢

واشنطن - قد تبدو فيتنام وأفغانستان والعراق عوالم بعيدة عن الولايات المتحدة، لكن، منذ انتخاب الرئيس دونالد ترامب، تبين أن الأمريكيين ليسوا محصنين عن "السياسات القبلية" التي عصفت بهذه البلدان الثلاثة. ويميل الأمريكيون إلى التفكير في الديمقراطية كقوة موحدة، لكن مثلما يتعلم الأمريكيون اليوم، يمكن للديمقراطية في ظل ظروف معينة أن تحفز الصراع بين المجموعات وتؤدي إلى ظهور نوع من القبلية السياسية والمجتمعية، وهي ظاهرة لم تقتصر فقط على القسم الأمريكي من العالم بل تمتد إلى أوروبا وغيرها في علاقة بظهور ميل نحو الانعزال ورغبة في وضع حدود للعولمة المطلقة.

وترصد إيمي تشوا هذا الصعود في كتابها "القبائل السياسية: غريزة الجماعة ومصير الأمم"، والذي نشرت مجلة فورين إفيرز جزءاً منه، مشيرة إلى أن هذه التطورات ناتجة في جزء منها عن تحول ديموغرافي هائل، ف لأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة نجد البيض على حافة خسارة مكانتهم باعتبارهم أغلبية في البلاد. وبدرجات متفاوتة ظلت الأقليات في الولايات المتحدة تشعر بالضعف وبأنها مهددة، واليوم يشعر البيض بالشيء نفسه.

وفي السنوات الأخيرة شرعت الولايات المتحدة في استعراض ديناميات سياسية مدمرة تعرف أكثر على أنها من خصائص البلدان النامية وغير الغربية وتتمثل في بروز حركات إثنية قومية، وتآكل الثقة في المؤسسات ونتائج الانتخابات، والغوغائية الداعية للكراهية، وردة فعل شعبية ضد "المؤسسة" والأقليات الخارجية، وفوق كل شيء تحويل الديمقراطية إلى محرك قبلية سياسية صفرية الحاصل.

وبيّنت دراسة أن أكثر من نصف الأمريكيين البيض يعتقدون أن "البيض أخذوا مكان السود باعتبارهم الضحايا الأوائل للتمييز". وعندما تشعر الجماعات بالتهديد تنسحب إلى القبلية حيث يقترب أفرادها من بعضهم أكثر فأكثر ويصبحون أكثر عزلة ويتخذون مواقف أكثر دفاعية ويزداد تركيزهم على "نحن" مقابل "هم".

وفي حالة الأغلبية البيضاء المنكمشة اجتمعت ردات الفعل هذه لتكوّن ردة فعل عنيفة، مما أدى إلى زيادة التوترات في مناخ اجتماعي يتميز أصلاً بالاستقطاب وتشعر فيه كل مجموعة (من بيض وسود ولاتينيين وآسيويين، مسيحيين ويهود ومسلمين، أسوياء ومثليين، ليبراليين ومحافظين، رجال ونساء) بأنها تتعرض للهجوم والتنمر والاضطهاد والتمييز.

لكن، يوجد سبب آخر لظهور هذه الأمراض القبلية الجديدة اليوم. فتاريخياً لم تكن في الولايات المتحدة أقلية مهيمنة على السوق، بل بالعكس كانت البلاد على مدى معظم تاريخها تسيطر عليها، اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، أغلبية بيضاء موحدة نسبياً، وهذا يعني وجود وضع مستقر، وإن كان غير عادل.

وفي السنوات الأخيرة طرأ تغيير ما. فبسبب وجود مستويات قياسية للتفاوت الاقتصادي والتراجع الصارخ في الصعود الاجتماعي، أصبح الأمريكيون البيض أكثر انقساماً بشكل حاد على خطوط طبقية مقارنة بالحال التي كانوا عليها على مدى أجيال.

ونتيجة لذلك قد تكون الولايات المتحدة بصدد تجربة نسختها الخاصة من ظاهرة الأقلية المهيمنة على السوق، وهي المجموعة التي حظيت بنقاش مستفيض وكثيراً ما يشار إليها بعبارة "النخبة الساحلية".

ومن المؤكد أن عبارة “النخب الساحلية” هي عبارة مضللة، ويمكن القول إنها كاريكاتور بطريقة ما، إذ أن أفراد المجموعة ليسوا كلهم ساحليين ولا كلهم نخباً، على الأقل بمعنى الثراء.

وفي الولايات المتحدة، يسيطر على الثروة عدد قليل نسبياً من الناس ويعيش أغلبهم على السواحل. وهذه الأقلية تهيمن على القطاعات الاقتصادية الأساسية بما في ذلك وول ستريت والإعلام ووادي السيليكون. وعلى الرغم من أن النخب الساحلية لا تنتمي إلى إثنية واحدة تجدهم متميزين ثقافياً وكثيراً ما يتقاسمون قيماً عالمية مثل العلمانية والتعددية الثقافية والتسامح مع الأقليات الجنسية، وسياسة تقدمية مؤيدة للمهاجرين. ومثلها مثل الأقليات الأخرى المهيمنة على السوق، تتميز النخب الساحلية الأمريكية بانعزالية شديدة حيث تتعامل وتتزاوج أساساً من داخل المجموعة وتعيش في الجماعات السكانية نفسها وتذهب إلى المدارس نفسها. زيادة على ذلك، كثيراً ما ينظر إليها الأمريكيون المتوسطون على أنها لا تكثر بمصالح البلاد أو أنها معادية لها أصلاً.

ما حدث في الانتخابات الرئاسية الأمريكية لسنة ٢٠١٦ هو تماماً ما يمكن التنبؤ بحدوثه في دولة نامية تنظم انتخابات بوجود أقلية مهيمنة على السوق مكروهة كرها شديداً، ألا وهو ظهور حركة شعبية تدعو فيها أصوات غوغائية الأمريكيين “الحقيقيين” بحسب تعبير دونالد ترامب إلى “استعادة بلدنا”.

وعلى خلاف أغلب ردود الفعل العنيفة ضد الأقليات المهيمنة على السوق في العالم النامي، فإن شعبية ترامب ليست معادية للأثرياء، بل على العكس من ذلك ترامب نفسه أعلن نفسه مليارديراً، مما دفع الكثيرين إلى التساؤل كيف أمكن له “استغلال” قاعدته المناهضة للمؤسسة حتى تساند فرداً من الأثرياء الفاحشين ستجعل سياساته الأثرياء جداً أكثر ثراءً.

الجواب يكمن في النزعة القبلية. فبالنسبة إلى البعض، دعوة ترامب عنصرية، فهو بصفته مرشحاً وبصفته رئيساً أدلى بتصريحات كثيرة تستميل التحيزات العنصرية لدى بعض النخب البيضاء سواء كان ذلك بشكل صريح أو بشكل مشفر. لكن الصورة لم تكتمل بعد. فمن ناحية الذوق والحساسيات والقيم، ترامب يشبه في الواقع بعض أفراد الطبقة العاملة من البيض.

وباتت القبلية السياسية تقسم الولايات المتحدة محولة البلاد إلى مكان حيث يرى الناس من قبيلة معينة الآخرين ليس على أساس أنهم المعارضون فحسب بل على أنهم غير أخلاقيين وأشرار ومعادين لأمريكا. وإذا كانت هناك طريقة للخروج فيجب أن تتم معالجة الاقتصاد والثقافة معاً.

تزدهر القبلية السياسية في ظل ظروف تتميز بعدم الأمان الاقتصادي وغياب الفرص، فعلى مدى المئات من السنوات ساعدت الفرص الاقتصادية والصعود الاجتماعي الولايات المتحدة على دمج شعوب متباينة جداً بشكل أنجح من أي بلد آخر. ومن ثم يجب اعتبار انهيار الصعود الاجتماعي في الولايات المتحدة على أنه حالة طوارئ وطنية.

بيد أن تفاقم النزعة القبلية ليست مشكلة أمريكية فقط، إذ تنفجر أشكال مختلفة من الشعبية القبلية غير المتسامحة في مختلف أنحاء أوروبا مما يقلص المساندة للكيانات فوق الوطنية مثل الاتحاد الأوروبي ويهدد النظام الدولي الليبرالي. التصويت لفائدة خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي (البريكست) على سبيل المثال كان ردة فعل شعبية عنيفة ضد نخب في لندن وبروكسل ينظر إليها الكثيرون على أنها تتحكم في المملكة المتحدة من بعيد ولا صلة لها بالبريطانيين “الحقيقيين”، أي “الملاك الحقيقيين” للأرض الذين يرى الكثير منهم المهاجرين خطراً.

الحالمون بـ"الحريات" يكفرون دُعاة الحريات

معركة البحث عن الهوية متواصلة

صحيفة (العرب) اللندنية: ٢٠١٨/٧/٣

وسام حملي؛ ما نجحت في تحقيقه الجماهير التونسية التي اجتاحت شوارع موسكو في مونديال ٢٠١٨ وغصت برقصها وغنائها الساحة الحمراء بما تحمله من رمزية تاريخية نخبا للحياة وانتصارا للحدث والتقدمية للبرهنة على أن تونس بريئة من الإرهاب والإرهابيين، كسرتة داخليا حوافر خيل دعاة التطرف والقتل والسحل الذين شنوا بأبشع أدوات الحضارة حملات تشويه وتكفير مُمنهجة ضد بشرى بلحاج حميدة رئيسة لجنة الحريات الفردية والمساواة التي قدمت مؤخرا للرئيس التونسي الباجي قائد السبسي تقريرا ثوريا حول الحريات في كل تفصيلاتها. ما إن قدمت لجنة الحريات الفردية والمساواة مطلع شهر يونيو تقريرها المفصل للرئيس التونسي والذي يتضمن قرابة ٢٢٠ صفحة كانت كافية لتزرع في قلب غالبية التونسيين بمختلف مشاربهم الأيديولوجية أملا جديدا في إمكانية ميلاد تونس جديدة ديمقراطية وعصرانية ومواكبة لدستور الجمهورية الثانية المصادق عليه في عام ٢٠١٤، حتى انهارت دعوات الحالمين بـ"الحر العين" لسحل أو نصب المشانق للنائبة بالبرلمان ورئيسة اللجنة بشرى بلحاج حميدة.

في قلب الأزمة السياسية الخانقة التي تعيش على وقعها البلاد منذ أشهر، ظهر بما لا يدع مجالا للشك أن الإسلاميين في تونس وفي مقدمتهم حركة النهضة متمكنين جيدا من أوراق وخيوط اللعبة السياسية في البلاد، وبكل ذلك لم يكن مستغربا كل الجدال الدائر حاليا بشأن تقرير لجنة الحريات والمساواة الذي جاء وفق كل المراقبين والمعنيين بحقوق الإنسان محليا ودوليا ثوريا ومنتصرا بصفة قاطعة لأسس الدولة المدنية. بداية الانزعاج من تقرير لجنة الحريات الفردية والمساواة، ترجمتها العديد من دعوات بعض الدعاة المغالين في الدين والهادفين لسلب الحريات تُطقا باسم الله، ومن بينهم عادل العلمي الذي حرض بشكل مباشر ضد أعضاء اللجنة وعلى رأسهم بشرى بلحاج حميدة بدعوته الصريحة إلى محاكمتها شعبيا بل وإلى رجمها أمام "المؤمنين" حسب تعبيره الديني.

لم يقتصر التشكيك في نوايا أعضاء لجنة الحريات أو حتى في إسلامهم على بعض الوجوه المألوفة والمتخفية وراء ستار الإسلام، لتظهر هذه المرة في سابقة منذ بناء الدولة الوطنية التونسية عقب الاحتلال من المستعمر الفرنسي في خمسينات القرن الماضي، ثلة من مشايخ جامعة الزيتونة أعلنت بصريح العبارة أن كل بنود تقرير لجنة الحريات علمانية ومناقضة لشرع الله مما يعني وجوبا اصطلاحا أو لغة الانسلاخ عن الدين. وبحسب بحث أساتذة في أصول الدين والشريعة وعلى لسان رئيس جامعة الزيتونة هشام قريسة، فإن تقرير لجنة الحريات الفردية والمساواة "مناقض للقرآن والسنة وما هو معلوم من الدين وأجمعت عليه الأمة". الحكم القاطع الذي أصدره رئيس الجامعة استند إلى أن التقرير مس "من حكم تحريم الزنا واللواط والسحاق ومخالف لأحكام الأسرة في الإسلام، من ذلك أحكام النفقة والمهر والميراث"، مشددا على أن التقرير "يلغي المصطلحات المعبرة عن الهوية الإسلامية" من قبيل المسلمين، الشرع وغيرها.. ليصدر حكمه بأن التقرير صادم لهوية الشعب ومعتد على مقدساته ودينه.

ولئن كان الضرب الممنهج والتحريض، ضد النائبة بالبرلمان بشرى بلحاج حميدة متوقعا، فإن صلاح الدين الجورشي (سليل الفكر الإسلامي) بدوره، وهو عضو لجنة الحريات، لم يسلم من عمليات التحريض والتكفير والعنف اللفظي.

وأعرب الجورشي، الذي كان من مهندسي تقرير الحريات، أنه كان يتوقع مثل هذه الحملات الممنهجة بالنظر إلى ارتفاع سقف مطالب الحريات، إلا أنه شبه الجدال الدائر حول التقرير وما تواجهه اللجنة بما وقع للمفكر والمصلح التونسي الطاهر الحداد الذي تعرض لهجمة شرسة بعد نشر كتابه "أمرأتنا في الشريعة والمجتمع" في ثلاثينات القرن

الماضي، حيث وقع تكفيره وتجريده حتى من الشهادة التي تحصل عليها من المؤسسة الزيتونية (منارة الدين في تونس).

وكان نزول مؤسسة جامعة الزيتونة، بثقلها، لنقد تقرير لجنة الحريات المتضمن لمقترحات إصلاحية تخص مواضيع حساسة كالمساواة في الإرث وإلغاء عقوبة الإعدام أو الحريات الجنسية بمثابة المدخل أو الهدية لبعض أئمة المساجد الذين خصصوا خطبة الجمعة للتهجم على أعضاء اللجنة وتحديدًا على رئيسها بشري بلحاج حميدة. وأكدت لي بلحاج حميدة، سليفة الفكر اليساري ومن مؤسسي جمعية النساء الديمقراطيات عام ١٩٨٩ في حديث دار بيننا أن حملات التحريض الممنهجة ضدها شخصيًا وضد زملائها من اللجنة، لن تثنيها عن المواصله في الدفاع عن الحريات والمضي قدما في بناء تونس حرة وتقدمية، مشيرة إلى أن الجدل الذي أثاره التقرير يتطلب وجوبا مراجعة العديد من الأشياء في تونس الثائرة.

وأكدت أن لديها تسجيلات صوتية تثبت أن بعض أئمة المساجد وتحديدًا بأحد بجوامع تونس العاصمة حرضوا ضدها بل وشككوا حتى في دينها. وأشارت رئيسة اللجنة، إلى أن لديها جزما بأن كل الذين ينتقدونها ويكفرونها لم يطلعوا على التقرير بل تحركهم نوازع متطرفة فيها جانب سياسي ولا تمت للدين الإسلامي بصلة. وحذرت بشري بلحاج حميدة من أن العنف اللفظي والتحريض لا يؤديان في النهاية إلا إلى العنف أو الاغتيالات، مستشهدة بما وقع للناشط اليساري شكري بلعيد الذي تم اغتياله بيد الإرهاب في فبراير عام ٢٠١٣. وانتقدت كيف أن الحسابات السياسية تخرس أصوات الأحزاب المدنية والحداثية التي لم تعلن عن موقف واضح من تقرير لجنة الحريات والمساواة.

تزامنا مع تشابك وتعقد الأزمة السياسية الخائقة في تونس التي تداخلت فيها ثنايا مستقبل حكومة يوسف الشاهد وهوس كل الأحزاب بالانتخابات الرئاسية في عام ٢٠١٩، نجحت حركة النهضة في خطوة تكتيكية في مسايرة الرياح بانتزاع ملف الجدل الدائر حول لجنة الحريات وتوظيفه لخدمة أجنداتها ومخططاتها السياسية. أطلت النهضة، بعد يومين فقط من إعلان ناطقها الرسمي عماد الخميري عن نية زعيمها راشد الغنوشي الترشح للانتخابات الرئاسية المقبلة، للدافع عن لجنة الحريات وعن رئيسها بشري بلحاج حميدة أكثر حتى من الأحزاب التي تدعي الحداثة والتقدمية، في خطة اتصالية مدروسة تولى تنفيذها الذراع اليمنى للغنوشي لطفي زيتون الذي فاجأ الجميع بمن في ذلك الغاضبين على تيار وتوجهات الغنوشي من صقور النهضة بتصريح قال فيه إنه متضامن بصفة تامة مع بشري بلحاج حميدة رغم الاختلافات السياسية والفكرية بينهما. وكانت النهضة قالت في بيان عقب صدور التقرير إنه يعد "منطلقا لحوار مجتمعي".

وفي هذه الأزمة التي تعيد إلى الأذهان معركة الهوية في السنوات الأولى لثورة يناير ٢٠١١، بقيت كل الأحزاب اليسارية والتقدمية وفق الملاحظين على الربوة متألمة ما يحصل من تطورات بالكثير من الخوف والتلعثم والارتباك رغم أن الأزمة تخص أهم مرتكزات أدبياتها الفكرية. واعتبر مراقبون أن أحزابا مثل الجبهة الشعبية (تجمع أحزاب يسارية) أو أحزاب حركة مشروع تونس وآفاق تونس والبدیل التونسي، لم تكلف نفسها عناء إصدار بيانات تندد بما وقع من تحريض ضد أعضاء لجنة الحريات والمساواة، واكتفت بتذليل بعض بياناتها السياسية للتعريض على الأزمة بصفة باهتة وبرقية.

ويفسر الكثير من المتابعين، خذلان الأحزاب اليسارية والعلمانية لملف الحريات والمساواة الذي يرتبط عميق الارتباط بمستقبلها السياسي، بتخوفات مبنية على تكتيكات سياسية مرتكزة بالأساس على التطلع إلى الانتخابات التشريعية والرئاسية في عام ٢٠١٩، أي بمعنى التوجس من أن تُوجه لها أصابع الاتهام أو حملات التكفير التي قد تفقدها الرهان على شرائح اجتماعية واسعة وهامة في الاستحقاقات الانتخابية المنتظرة بعد فشلها الذريع في كل المحطات السابقة وآخرها الانتخابات المحلية التي تصدرتها القوائم المستقلة وحركة النهضة.

*صحافي تونسي

كوسوفو.. القصة الكاملة لأمة دفعت أنهاراً من الدم ثمناً للاستقلال

وكالة ساسة بوست: ٢٠١٨/٧/٣

محمد صلاح قاسم: ما زال كأس العالم ينتزع اهتمام مئات الملايين حول العالم. وللسياسة والتاريخ نصيبهما منه كذلك. لاعبان اثنان في صفوف المنتخب السويسري لكرة القدم، هما تشاكا خط وسط نادي أرسنال الإنجليزي، وشاكيري لاعب نادي ستوك سيتي الإنجليزي، خطفا الأنظار في مباراة فريقهما ضد المنتخب الصربي في الجولة الثانية من دوري المجموعات بكأس العالم، بهدفيهما اللذين ضمنا فوز سويسرا، وتعزيز فرصها في الصعود للدور التالي، وأكثر من الهدفين بما فعله كل منهما بعد إحرازه الهدف، وذلك بالتلويح للجماهير الصربية بإشارة باليدين ترمز للنسر الألباني.

كان من المتوقع أن يتعرض اللاعبان لعقوبة تنظيمية من قبل الفيفا، قد تصل للإيقاف لمبارتين في المونديال، لكن آل الأمر إلى غرامة مالية توازي قيمتها حوالي ١٠ آلاف دولار، والتي لن تمثل مشكلة كبيرة لأي منهما. عموماً، جددت هذه الواقعة ذكريات أليمة لما شهدته منطقة البلقان - جنوب شرق أوروبا - في التسعينيات من مجازر صربية ضد العنصريين الأخرى في المنطقة خاصة ألبان البوسنة وكوسوفو، والذين تعود أصول تشاكا وشاكيري إليهم. بالعودة إلى التاريخ الشخصي لكلا اللاعبين، لن يكون التصرف مستغرباً أبداً. فكلهما من ألبان كوسوفو، قبل اللجوء لسويسرا والحصول على جنسيتها. فمثلاً سجن والد تشاكا، وتم تعذيبه من قبل السلطات الصربية في التسعينيات نتيجة اشتراكه في حملات داعية لاستقلال إقليم كوسوفو ذي الأغلبية الألبانية، - جدير بالذكر كذلك أن لتشاكا أخاً يلعب في صفوف المنتخب الألباني لكرة القدم -، يُذكر كذلك أن شاكيري يلعب بحذاءين، على أحدهما طبع العلم السويسري، وعلى الآخر طبع علم كوسوفو. والآن نعود ٢٠ عاماً للوراء.

١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٩م.. إقليم كوسوفو

للمرة الأولى تصل العالم صوراً مما يحدث في هذا الإقليم، ولعلها كانت المرة الأولى التي يسمع فيها معظم الناس كلمة كوسوفو، ٤٥ شاباً من العرق الألباني السائد في كوسوفو، يُعثر عليهم مقتولين بصورة وحشية في قرية راجاك جنوب الإقليم، بينما تشير أصابع الاتهام إلى قوى الأمن الصربية التي كانت تشن منذ شهور حملة من القمع الدموي في الإقليم الذي تعالت فيه الأصوات المطالبة بالاستقلال عن صربيا، وتحولت منذ العام السابق إلى حرب عصابات مفتوحة ضد السلطات الصربية في كوسوفو، يتزعمها تنظيم مقاوم مسلح هو «جيش تحرير كوسوفو».

حتى روسيا الحليف السياسي والعسكري الأكبر لصربيا، التي تمثل آخر قلاع نفوذها الأوروبي، وتشارك معها في الأصول العرقية السلافية وفي المسيحية الأرثوذكسية، اضطرت لركوب موجة الإدانة الدولية الواسعة، واستنكرت المذبحة، ودعت لتحقيق موضوعي شفاف في الأمر.

لم تكن هذه آخر البشاعات، إذ كلما تصاعدت وتيرة المقاومة الألبانية في كوسوفو، والإدانة الدولية للعنف الصربي، زاد الجيش والأمن والميليشيات الصربية إفراطاً في العنف، ومحاولة لتغيير الواقع الديموغرافي على الأرض، باستخدام المذابح، لترويع الأغلبية الساحقة من ألبان كوسوفو - غالبيتهم من المسلمين - ودفعهم لهجر أراضيهم، والفرار إلى الدول المجاورة خاصة البانيا، لكسر شوكة المقاومة المسلحة، ولتمكين الأقلية الصربية في كوسوفو من مفاصل الإقليم.

لم يتصور الكثيرون أن هذه الأحداث ستقع فيما تمر أربع سنوات على انتهاء حروب تفكك يوغوسلافيا - الفيدرالية الشيوعية الكبيرة، والتي تزامن تداعياتها مع ضعف الاتحاد السوفيتي وتفككه وأواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات - وما تخللها من جرائم بشعة، صنّف بعضها تحت بند الإبادة الجماعية، والتطهير العرقي، خاصة ما تعرض له البوشناق المسلمون على يد الصرب في حرب البوسنة، والتي لم تتوقف عام ١٩٩٥م - بعد أربعة أعوام من المذابح - إلا بعد تدخل الناتو عسكرياً ضد صربيا في أعقاب مذبحة سربرينيتسا التي راح ضحيتها أكثر من ١٠ آلاف مدني تحت سمع وبصر قوات حفظ السلام الدولية.

في مارس (آذار) ١٩٩٩، سيصل عدد اللاجئين من ألبان كوسوفو إلى حوالي ٢٠٠ ألف، وفي أواخر هذا الشهر، سيرتج العالم لمذبحة جديدة ترتكبها الميليشيات الصربية، اشتهرت إعلامياً بـ«مذبحة الحديقة»، عندما أوقفوا أكثر من ٢٠ أما وطفلاً أمام الحائط، وفتحوا عليهم نيران البنادق الآلية. كان هذا على هامش جولات من المفاوضات ترعاها القوى الدولية لحل أزمة كوسوفو سلمياً.

تزامناً مع المذبحة الأخيرة، كانت عجلة الهجوم العسكري للنااتو ضد صربيا قد بدأت في الدوران، إذ لم يعد أمام النااتو مزيد من الأعذار لتأخير التدخل أمام إبادة جماعية جديدة يرتكبها الصرب، وأزمة لاجئين ضخمة تتفاقم في قلب أوروبا. وبدأت العمليات العسكرية الدولية ضد صربيا في ٢٤ مارس ١٩٩٩م. لكن لماذا فعل الصرب كل هذا لمنع استقلال إقليم كوسوفو الذي لا تتعدى نسبة الصرب فيه ١١٪، ولماذا تصر صربيا حتى الآن على عدم الاعتراف باستقلاله؟

من العثماني إلى ميلوسيفيتش

في ٢٨ يونيو (حزيران) ١٢٨٩م، تندلع معركة تاريخية ضخمة في سهول كوسوفو، ينتصر فيها الجيوش العثمانية بقيادة السلطان مراد الأول العثماني، على جيوش أمير صربيا لازار انتصاراً ساحقاً، يفتح الأبواب أمام الهيمنة العثمانية ليس فقط على إقليم كوسوفو الصغير، إنما على مساحات واسعة من منطقة البلقان. سيستمر الحكم العثماني أكثر من خمسة قرون حتى عام ١٩١٢م، عندما يُهزم العثمانيون في الحرب البلقانية الأولى، وتحصل صربيا على استقلالها، ويصبح كوسوفو جزءاً منها.

يترك العثمانيون في البلقان مزيجا متنوعاً من الأعراق والأديان، بتباينات كبيرة في النسب حسب كل منطقة. ورغم أن العرق الصربي – مسيحيون أرثوذكس – كان هو الأكثر عدداً في البلقان ككل، فقد كان يغلب على إقليم كوسوفو العرق الألباني، وهم مسلمون في معظمهم. يحتوي إقليم كوسوفو على العديد من الكنائس الأرثوذكسية التاريخية، ولذلك يعتبره كثير من الصرب عاصمة ثقافية ودينية لهم.

ستندلع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م نتيجة اغتيال ولي عهد إمبراطورية النمسا في سراييفو عاصمة البوسنة، على يد قومي صربي معارض لمطامع النمسا في منطقة البلقان، وستصبح هذه المنطقة من أهم مسارح الحرب، بانتهاء الحرب بهزيمة النمسا وتفككها، تسيطر مملكة صربيا على معظم البلقان، وتعاني الأقليات العرقية والدينية المختلفة في البلقان من التمييز من قبل الأكثرية الصربية.

عام ١٩٤١م، سيحتل النازيون بالتعاون مع فاشيي إيطاليا، كامل أراضي مملكة صربيا، ويصبح إقليم كوسوفو جزءاً من جمهورية ألبانيا العظمى التي شكلها موسوليني تحت هيمنة إيطاليا، وسيواجه الاحتلال النازي مقاومة كبيرة خاصة من الشيوعيين، والذين ينجحون عام ١٩٤٥م في هزيمة النازيين بمعونة الاتحاد السوفيتي، ويتشكل الاتحاد اليوغوسلافي الفيدرالي الشيوعي ليرث مملكة صربيا في كامل أراضيها.

يعترف دستور يوغوسلافيا عام ١٩٧٤م بأن كوسوفو فيدرالية مستقلة داخل الاتحاد، لكن في عام ١٩٨١م، تقمع القوات الأمنية احتجاجات واسعة في إقليم كوسوفو ضد الأوضاع المعيشية الصعبة، ويسقط العشرات من القتلى، وتتفاقم الحساسية العرقية في يوغوسلافيا، وتزداد المشاعر القومية لدى ألبان كوسوفو نمواً.

سلوبودان ميلوسيفيتش

عام ١٩٨٧م، يصل إلى زعامة الحزب الشيوعي في صربيا، وزعامة اتحاد الأحزاب الشيوعية في يوغوسلافيا، القومي الشعبوي المتطرف سلوبودان ميلوسيفيتش، ضُغط ميلوسيفيتش لإلغاء الحقوق الفيدرالية لكوسوفو، وعارض محاولات الحكومة الفيدرالية في يوغوسلافيا للانفتاح التدريجي على الغرب، لمواجهة الانهيار الاقتصادي، وتداعي الحليف الشيوعي الأكبر وهو الاتحاد السوفيتي.

في عام ١٩٨٩م، بمناسبة ذكرى مرور ٦٠٠ عام على معركة كوسوفو ضد العثمانيين، دعا ميلوسيفيتش أنصاره لمظاهرات ضخمة، وتعزز نفوذه بين الصرب خاصة في صربيا والجبل الأسود وكوسوفو، وأواخر هذا العام، اختار البرلمان الصربي ميلوسيفيتش رئيساً لصربيا، أكبر أقاليم يوغوسلافيا، وأعلن ميلوسيفيتش بوضوح أنه لن يسمح بأية محاولات انفصالية مهما كان الثمن.

في يوليو (تموز) ١٩٩٠م، أعلن قادة ألبان كوسوفو استقلالهم عن صربيا، وحاولوا بالطرق السلمية - كالمظاهرات والإضرابات العمالية، ومقاطعة المؤسسات الصربية... إلخ - تثبيت ذلك. رد ميلوسيفيتش بالقوة، وأحكم القبضة الأمنية على كوسوفو، وقام بفصل عشرات الآلاف من العمال الألبان من وظائفهم.

عام ١٩٩١م، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي، بدأ انهيار الاتحاد اليوغوسلافي، عندما أعلنت مقدونيا وسلوفينيا وكرواتيا، وتبعها البوسنة ذات الأغلبية المسلمة انفصالها عن الفيدرالية.

يرفض ميلوسيفيتش هذا الانفصال، ويحاول بالقوة منع استقلال سلوفينيا، فيفشل بعد حرب قصيرة، لكن يطول الصراع العسكري في كل من كرواتيا والبوسنة، وتقوم القوات الصربية وميليشيات الصرب في البوسنة وكرواتيا بمذابح مروعة، غالبية ضحاياها من المسلمين الألبان والبوشناق في مختلف مناطق البوسنة. تنتهي الحرب باتفاقية دايتون ١٩٩٥م، والتي أعقبت تدخل الناتو عسكرياً ضد صربيا، ونجاح القوات البوسنية والكرواتية في تحقيق انتصارات على الأرض ضد قوات صرب البوسنة. وهكذا انتهت الحرب في كرواتيا والبوسنة، وتعزز استقلالهما، لكن تُرِكَت قضية كوسوفو دون حل.

عام ١٩٩٢م، كان ألبان كوسوفو قد أجروا انتخابات غير رسمية في الإقليم، وانتخبوا إبراهيم راجوفا رئيساً، والذي حاول أن يخلق منظومة تعليمية وصحية موازية للألبان، لكن وقفت صربيا في وجه كل محاولاته، رغم ذلك تمسك الرجل بالوسائل السلمية للحصول على استقلال كوسوفو، حتى لقبه البعض بـ«غاندي البلقان».

في الشهور التالية لانتهاج حرب البوسنة، يخيم اليأس على الكثير من ألبان كوسوفو من الحلول السلمية، ويبدأ البعض في تبني المقاومة المسلحة ضد صربيا. عام ١٩٩٦م، تتصاعد حرب العصابات ضد القوات الأمنية الصربية في كوسوفو، وتستهدف العديد من المراكز الأمنية، والمعسكرات. عام ١٩٩٧م، يظهر للعلن اسم «جيش تحرير كوسوفو»، والذي يصدر بيانات عسكرية يدعو فيها كل الألبان للتسلح، ويعلن أنه سيواصل الحرب ضد صربيا حتى استقلال كوسوفو أولاً، ثم تشكيل دولة ألبانيا العظمى لتضم كافة الألبان الموزعين بين دولة ألبانيا، ومقدونيا، وكوسوفو.

حظي جيش التحرير بتعاطف كبير في صفوف الألبان، وبدعم مالي من الألبان المقيمين في الخارج، وبدأ في تهريب المزيد من الأسلحة عبر الحدود مع ألبانيا. عام ١٩٩٨م، تحول الأمر إلى تمرد مسلح كبير في كوسوفو، فعززت صربيا التواجد الأمني في كوسوفو، وبدأت في حملة قمع دموي غير مسبوق، تتضمن استهدافاً واسعاً للقرى والمدن الألبانية في كوسوفو، وتهجير عشرات الآلاف من بيوتهم، واعتقال الآلاف، وتعذيبهم بوحشية بتهمة المشاركة في التمرد المسلح. كذلك وضع راجوفا تحت الإقامة الجبرية، وأجبر على الظهور تلفزيونياً مع ميلوسيفيتش، ثم نفى إلى إيطاليا.

في فبراير (شباط) ١٩٩٩م، رعى الناتو مفاوضات بين صربيا و«جيش تحرير كوسوفو» في فرنسا، لكن تعنت الوفد الصربي، واستمرت المذابح والتهجير على الأرض، واستمرت في المقابل عمليات جيش تحرير كوسوفو. في ٢٤ مارس ١٩٩٩م، يبدأ الناتو حملته العسكرية ضد صربيا، والتي ستستمر ٧٨ يوماً.

أكبر أزمة لاجئين في أوروبا

لا ينبغي أن نسمح بحدوث التطهير العرقي والإبادة، خاصة عندما يكون هذا على حافة أوروبا * من كلمة للرئيس الأمريكي بيل كلينتون مبرراً التدخل العسكري ضد صربيا لحسم قضية كوسوفو.

توقع قادة الناتو أن يستسلم ميلوسيفيتش سريعاً مع بدء القصف الجوي والصاروخي ضد صربيا، وأن يبدأ في سحب قواته من إقليم كوسوفو، لكن نجح ميلوسيفيتش في استغلال القصف، في تجييش المشاعر القومية لدى الصرب، والحصول على المزيد من دعمهم لاستمرار عمليات قوات بلادهم في كوسوفو.

رداً على تصاعد قصف الناتو، أمر ميلوسيفيتش قواته بتصعيد حملتها القمعية في كوسوفو لتتحول إلى تطهير عرقي شامل، وطرد كافة الألبان من الإقليم. خلال أسابيع قليلة، أصبح هناك مئات الآلاف من اللاجئين الألبان في البلدان المجاورة خاصة ألبانيا، وتحول الأمر لكارثة إنسانية كبرى، وقص هؤلاء اللاجئين آلاف القصص المرعبة عما تفعله القوات الصربية.

بدأ الناتو ينسق مع قوات «جيش تحرير كوسوفو»، والتي بدأ وضعها العسكري على الأرض يتحسن مع تكثيف الناتو لضربات ضد المواقع العسكرية الصربية في كوسوفو، مستفيداً من المعلومات الاستخباراتية التي يمدّها به مقاتلو جيش التحرير من الأرض.

كثف الناتو ضرباته ضد المواقع العسكرية والبنى التحتية داخل صربيا، وليس فقط في إقليم كوسوفو لإجبار ميلوسيفيتش على الاستسلام، وإيقاف المزيد من موجات التهجير. في ١٠ يونيو ١٩٩٩، أعلن ميلوسيفيتش قبوله بالانسحاب الكامل من إقليم كوسوفو، مقابل إيقاف ضربات الناتو العسكرية.

بدأ اللاجئون الألبان في العودة تدريجياً لأراضيهم، وحدثت أعمال انتقامية واسعة ضد الصرب، ونشرت الأمم المتحدة قوات لحفظ السلام في كوسوفو. بدأ جيش تحرير كوسوفو في نزع سلاحه ذاتياً، وانخرط الكثير من أفرادها في القوات الأمنية الجديدة لكوسوفو التي تم تأسيسها تحت إشراف الأمم المتحدة، وأسس بعض قادته أحزاباً سياسية. عانت صربيا من التكلفة الاقتصادية والسياسية للهزيمة، وتزايدت معدلات الغضب الشعبي ضد ميلوسيفيتش. في سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٠م، جرت انتخابات رئاسية في يوغوسلافيا والتي كانت عبارة عن صربيا والجبل الأسود. أعلنت المعارضة فوز مرشحها كوستونيتشا، لكن رفض ميلوسيفيتش الاعتراف بالنتيجة، فاندلعت المظاهرات والإضرابات في أرجاء صربيا، حاولت الشرطة قمعها بالقوة. يوم ٥ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٠٠م، دعت المعارضة لمظاهرة مليونية كبرى في العاصمة الصربية بلجراد. فشلت القوات الأمنية في السيطرة على الجماهير الثائرة التي بدأت في اقتحام بعض الأماكن الحيوية، وأضرمت النيران في مبنى البرلمان. في اليوم التالي اضطر ميلوسيفيتش للاستقالة، وأصبح كوستونيتشا رئيساً.

ميلوسيفيتش في قبضة العدالة.

عام ٢٠٠١م ستسلم السلطات الصربية ميلوسيفيتش للمحكمة الدولية لجرائم الحرب في يوغوسلافيا السابقة، ومقرها لاهاي بهولندا. تتأخر المحاكمة مرات عديدة بسبب الحالة الصحية لميلوسيفيتش، والذي يعثر عليه ميتاً في زنزانته يوم ١١ مارس ٢٠٠٦م.

بالتأكيد للقوميين الصرب ولحلفائهم روايتهم المختلفة لكل حدث، والتي تحاول تحميل الانفصاليين الألبان خاصة «جيش تحرير كوسوفو» المسؤولية الكبرى عن الجرائم الإنسانية التي حدثت أثناء الحرب، وتركز على الخسائر التي تعرض لها المدنيون الصرب جراء قصف الناتو. شاهد مثلاً هذا الفيلم الوثائقي من إنتاج التلفزيون التشيكي، والذي لا يتحدث فقط عن حرب التسعينيات، إنما عن جذور الصراع منذ مطلع القرن العشرين، خاصة فترة الحرب العالمية الثانية التي يسلط فيها الضوء على مذابح وتهجير تعرض لها الصرب في كوسوفو على يد «القوميين المتطرفين الألبان» من مؤيدي الاحتلال النازي للبلقان حينها.

دولة كوسوفو

في يوم ١٧ فبراير (شباط) ٢٠٠٨م، في تمام الساعة الثالثة و٤٩ دقيقة عصراً، أعلنت قيادة إقليم كوسوفو المنتخبة أن كوسوفو دولة مستقلة ذات سيادة، منفصلة تماماً عن صربيا. يعترف بوجود كوسوفو وسيادتها عدد كبير من دول العالم يصل إلى ١١٠، كانت أولاهم كوستاريكا في يوم إعلان الاستقلال نفسه، ثم تبعها في اليوم التالي الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا وأفغانستان وبريطانيا.

وكوسوفو الآن «دولة ديمقراطية مستقلة»، رئيس وزرائها حالياً هو راموش هاراديناي، الذي كان قائد جيش تحرير كوسوفو أثناء الحرب، والذي فاز حزبه الديمقراطي بالانتخابات العامة عام ٢٠١٧م، والتي كانت ثالث انتخابات عامة يشهدها كوسوفو منذ الاستقلال. جدير بالذكر أن راموش تمت ترئسته مرتين أمام المحكمة الدولية لجرائم الحرب في يوغوسلافيا السابقة، من تهم ارتكاب جرائم إنسانية أيام الحرب، لكن تصر صربيا على اتهامه بارتكاب جرائم حرب ضد الصرب في كوسوفو.

استقرت الأوضاع سياسياً وعسكرياً منذ سنوات، وأصبح شبح الحرب أبعد وأبعد مع مرور الأيام، لكن لا تزال دولة كوسوفو تعاني من بعض المصاعب الاقتصادية، وارتفاع نسب البطالة، والفساد، وبعض الاحتكاكات الطائفية من حين لآخر، خاصة في شمال البلاد حيث يتركز وجود الصرب.

هل نحن أمام تحالف روسي صيني تركي إيراني هندي مضاد؟

افتتاحية صحيفة (راي اليوم) اللندنية: ٢٠١٨/٧/٣

حدد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب موعد الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل كموعِد لبدء فرض العقوبات الاقتصادية الخانقة ضد إيران، وأبرزها منع استيراد النفط منها، ولكن عدداً قليلاً من الدول الأوروبية والآسيوية قد تلتزم بها، بينما قد تُعارضها الغالبية العظمى، وعلى رأسها دول مثل الصين والهند وروسيا.

التمرد الأسرع على هذه العقوبات أعلنه السلطات التركية أمس على لسان الدكتور إبراهيم كالن، المتحدث باسم الرئيس رجب طيب أردوغان الذي أكد أن بلاده لن تخضع للتهديدات الأمريكية وتراجع بالتالي عن صفقة "إس ٤٠٠" الروسية التي ستسلمها العام المقبل، كما أنها لن تلتزم بالعقوبات الأمريكية التي ستفرض حظراً على استيراد النفط من إيران، وستتحرك وفقاً لمصالحها الاقتصادية، فإيران دولة جارة، وشريك اقتصادي هام.

ومن غير المستبعد أن تحذو عدة دول آسيوية وأوروبية حذو تركيا، وتستمر في استيراد النفط الإيراني على رأسها الصين التي تحتل المرتبة الأولى وتستورد ٦٠٠ ألف برميل يومياً، تليها الهند ٤٥٠ ألف برميل، ثم كوريا الجنوبية ٢٥٠ ألف برميل، ثم تركيا التي تحتل المرتبة الرابعة، ويبلغ حجم وارداتها من النفط الإيراني ٢٠٠ ألف برميل يومياً.

ومن المفارقة أن هناك أربع دول أوروبية تستورد النفط الإيراني هي إيطاليا (١٨٠ ألف برميل)، وفرنسا (١١٠ آلاف برميل)، واليونان (١٠٠ ألف برميل)، وإسبانيا (٧٠ ألف برميل)، إلى جانب دولة الإمارات العربية المتحدة التي تستورد ١٠٠ ألف برميل يومياً أيضاً، رغم أنها دولة مُصدرة للنفط، وتنتج ثلاثة ملايين برميل يومياً تقريباً. الحكومة الصينية أعربت عن قلقها من هذه التهديدات الأمريكية باعتبارها أكثر الدول استيراداً للنفط الإيراني، وما زال من غير المعروف ما إذا كانت ستتخذ موقفاً رافضاً ومُتحدياً مثل الموقف التركي، أم أنها سترضخ للتهديدات الأمريكية حرصاً على العلاقات التجارية الضخمة بين البلدين؟ من المبكر إعطاء إجابة جازمة في هذا الإطار.

تستخدم الولايات المتحدة ورقة حلفائها العرب، والمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص، لتعويض هذه الدول عن أي نقص في وارداتها النفطية من إيران، وأعلن السيد خالد الفالح، وزير الطاقة السعودي استعداد بلاده وجهوزيتها في هذا الإطار بسبب قدراتها التصديرية النفطية العالية على غرار ما فعلت عندما استحوذت على الحصة العراقية أثناء الحصار الذي فرضته أمريكا على بغداد بعد حرب الكويت، ويصل حجم هذه الحصة إلى أربعة ملايين برميل يومياً.

العلاقات التركية الأمريكية تتجه نحو المزيد من التوتر حتماً، ليس بسبب رفض الرئيس رجب طيب أردوغان وحكومته التهديدات الأمريكية في حال إقدام حكومته على إكمال صفقة شراء صواريخ "إس ٤٠٠" الروسية، أو المضي قدماً في استيراد النفط الإيراني، وإنما أيضاً بسبب دعم أمريكا لقوات الحماية الشعبية الكردية، وحزب الاتحاد الديمقراطي، الجناح السياسي لكرد سورية، وتوفيرها، أي أمريكا، الحماية للداعية التركية فتح الله غولن، المقيم على أراضيها، ورفضها طلبات تسليمه.

تركيا لم تعد تُعول كثيراً على علاقاتها مع الولايات المتحدة وحلف "الناتو"، وباتت تتجه شمالاً نحو روسيا، وشرقاً نحو العراق وإيران والصين والهند، فإيران شريك تجاري ضخم لها، ويبلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين حوالي ١١ مليار دولار سنوياً، وجرى الاتفاق على رفعه إلى ٣٥ مليار دولار في السنوات الأربع القادمة، وربما هذا ما قصده الدكتور كالن في حديثه عن إيران كشريك تجاري مهم لبلاده تركيا.

الدول الأوروبية، وخاصة فرنسا وإيطاليا وألمانيا، تعهدت بالاستمرار في التزامها بالاتفاق النووي الإيراني رغم الانسحاب الأمريكي منه، واستيراد النفط من طهران، واستخدام عملتها "اليورو" كبديل للدولار، لتسديد أثمان هذه الواردات، لكن شركات أوروبية عملاقة مثل "توتال" الفرنسية النفطية، و"بيجو" المصنعة للسيارات، بدأت خطوات الانسحاب من الأسواق الإيرانية تجنباً للعقوبات الأمريكية.

الرئيس ترامب بارع في خلق الأعداء، وزعزعة استقرار العالم بأسره، وعقوباته التي بصدد فرضها على إيران دليل إضافي يُثبت هذه الحقيقة، لكن التجاوب مع هذا الابتزاز لن يكون مضموناً، وربما تأتي النتائج عكسية تماماً، وسيكون لتركيا أردوغان السبق في رفع الكرت الأحمر، وقيادة مسيرة التمرد.. والله أعلم.

عن مسؤولية اليسار في المنطقة

*عمرو حمزاوي

مركز كارنيغي/سياسات الشرق الأوسط: ٢٠١٨/٧/٧

تظهر دراسة الخبرة السياسية والمجتمعية المعاصرة لعدد من بلدان شرق ووسط أوروبا وأمريكا اللاتينية والقارة الإفريقية حقيقة تزامن بدء عمليات التحول الديمقراطي مع هيمنة رؤية إيجابية . تفاؤلية للحاضر والمستقبل ترتكز إلى إمكانات التغيير لحياة أفضل، ليس درءاً للأخطار بل لاحقاً بروح العصر وأمل في التقدم. فلم تكن لحظة نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات في أوروبا الاشتراكية السابقة، على سبيل المثال، معبرة عن انتفاضات مفاجئة لشعوب خشيت على وجودها إن بحكم عوامل خارجية (الصراع مع الغرب) أو داخلية (الجمود المجتمعي الشامل)، بل عن دينامية قوى وتنظيمات مجتمعات رغبت في المزيد من الرقي من خلال إصلاح مسار تطورها السياسي (الحريات المدنية) والاقتصادي (مركزية القطاع الخاص).

أما مقولات الخطر واللحظات الاستثنائية، وتلك تهيمن على نقاشاتنا العربية، فلم تنتج تاريخياً إلا بدايات أو ردادات فاشية. وأجدي هنا مستدعياً لأفكار الفيلسوف وعالم القانون الألماني كارل شميت (١٨٨٨ . ١٩٨٥) الذي شكلت كتاباته خاصة «اللاهوت السياسي» (١٩٢٢) تبريراً معرفياً لوصول النازية إلى سدة الحكم في ألمانيا ثلاثينيات القرن الماضي وانقلابها على نظام جمهورية فيمار الديمقراطي (١٩١٩ . ١٩٣٣). لحظة شميت الاستثنائية هي لحظة تهديد وجود الدولة والنظام المجتمعي على أرضية اختلال الأنساق القيمية والدينية، وفقها هو حق البطل المنقذ في الإدارة الشمولية للمجتمع وإعادة التأسيس الديكتاتوري لمعنى القانون والصالح العام.

من الهام هنا أن نتذكر الترابطات على مستويي الخطاب والفعل السياسي بين حرب فلسطين وحريق القاهرة وانقلاب الضباط الأحرار في مصر، بين ادعاءات الخيانة والتصفية الجماعية وانقلاب صدام حسين في العراق، وغيرهما الكثير. مقولات الخطر هي صنو ميثولوجيا البدايات والاسترجاعات الشمولية والجبهات الوطنية الموحدة، وليست أبداً المقدمة الوظيفية للتحول الديمقراطي. يسهل الترويج لمقولات الخطر ولصياغات دراماتيكية عن فناء قريب وخلص يأتي به بطل منقذ، يسهل لاستبدال أفكار وقيم الديمقراطية والتعددية والتحديث بفاشية تدعي الدفاع عن مصلحة الوطن وأمن البلاد.

تظهر نقاشاتنا العربية الراهنة أيضاً غلبة مفردات الليبرالية الجديدة على خطابات التحول الديمقراطي والتغيير المجتمعي في مقابل غياب ملحوظ لأجندة اليسار وإشكالياته. تدور صياغات منتجي رؤى وبرامج التغيير من نخب حكومية وأحزاب معارضة وفاعلي المجتمع المدني ومثقفين في فلك البحث عن استراتيجيات لتعظيم مساحات الحرية السياسية واحترام حقوق الإنسان والحد من سطوة الدولة القمعية ورقابتها المسحية على المجتمع من خلال عمليات التحول الديمقراطي والتحديث المؤسسي. أما معالجات الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية للتغيير المجتمعي المنشود فتكاد تقتصر على مستويين بهما الكثير من الاختزال "من جهة أولى التشديد على ضرورة استكمال التحول نحو اقتصاد السوق وحتمية تراجع دور الدولة الاقتصادي وبالتعبية تخليها عن الجزء الأكبر من مسؤوليتها إزاء الفئات الاجتماعية الفقيرة ومحدودة الدخل، ومن جهة ثانية الدفع بعدد محدود من القضايا النوعية . القطاعية من شاكلة تمكين المرأة (السعودية) وخلق مجتمع المعرفة (الإمارات وقطر) وتحديث البنى التعليمية (مصر) إلى صدارة النقاش

العام في محاولة لإضفاء شرعية مجتمعية على مضامين خطاب الليبرالية الجديدة. أما اختلال معدلات توزيع الثروة في بلاد العرب وأزمات البطالة والفقر التي تعاني منها الأغلبية بين المحيط والخليج والتهميش المتصاعد للطبقات الوسطى وتراجع سرعات الحراك الاجتماعي مقارنة بمراحل سابقة مثل خمسينيات وستينيات القرن العشرين، كافة هذه الأمور الحيوية تغيب عن نقاشات التحول الديمقراطي والتغيير المجتمعي.

أعلم أن استعادة المجتمع من قبضة الدولة السلطوية تقتضي تراجع مجالات فعل الأخيرة والهبوط التدريجي لسقف استحقاقات المواطنين تجاهها وتزايد أهمية المبادرات الأهلية غير الحكومية. «فالدولة الأب» التي ينتظر منها كل شيء ويفترض أن تبسط شبك أمنها المجتمعي الشامل على رعاياها هي دولة تجرد في ذات اللحظة هؤلاء، فرادى وجماعات، من حقوق المواطنة والحريات السياسية والمدنية. أعلم ذلك، إلا أنه لا يعني بالضرورة انسحاب الدولة التام من المجتمع ولا يبرر تراجع مركزية التعامل مع الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية للتغيير المنشود. تقترب الصورة الليبرالية الجديدة التي ترسمها معظم نقاشات التحول والتغيير العربية من الحقبة التاتشرية في بريطانيا الثمانينيات ومن واقع بعض الدول الأوروبية الشرقية في النصف الأول من التسعينيات، لكن الفارق بينهم وبيننا هو وضعية المجتمعات المتقدمة أو ذات الحظوظ المتوسطة من التطور هناك وحقيقة التخلف الجاثم على أنفاسنا هنا. بل أن الحالات الصارخة للاهوت الليبرالية الجديدة بدولتها المتراجعة واقتصاديات السوق المتجاهلة للالتزام الاجتماعي قد انتهت جزئياً في أوروبا إما بعودة اليسار (التقليدي والجديد) أو بتشكيل قوى يمينية وقومية لحكومات ائتلافية ركزت في سياساتها مجدداً على مسؤولية الدولة تجاه المواطنين.

لا نملك في بلاد العرب ترف تجاهل قضايا المساواة والعدالة التوزيعية وتكافؤ الفرص والضمانات الاجتماعية إن أردنا بالفعل تحولا ديمقراطياً تؤيده قطاعات وحركات مجتمعية واسعة لا يقتصر على النخب ولا يخطط له فقط في مجالس مغلقة. نحن نحتاج إلى صياغة توازن توافقي بين حتمية إخلاء الدولة لعدد من مساحات الفعل السياسي والقبول بتعددية فاعليها بين تواصل دور الدولة الاقتصادي والاجتماعي في ظل شراكة مع القوى المدنية والأهلية. دون ذلك يصير تحديث الدولة والمجتمع مجرد آلية لتجديد دماء النخب الحاكمة، دون ذلك يقتصر الحديث عن الحكم الرشيد على محاربة الفساد وتلغى منه مضامين التداول الديمقراطي للسلطة وحكم القانون والمساءلة السياسية.

مبدئياً، تقع مسؤولية مواجهة الأجندة الليبرالية الجديدة على عاتق قوى اليسار بتنويعاتها المختلفة في بلاد العرب. قوى اليسار قديمة وجديدة، برلمانية وغير برلمانية، ماركسية لقومية عليها هي يقع عبء المواجهة في ظروف سياسية ومجتمعية بالغة الصعوبة. وللإضطلاع بالمواجهة تحتاج قوى اليسار لإعادة تعريف دورها ومساحات فعلها وخطابها في سياق عملية انفتاح مزدوجة على الأجندة العالمية لحركات مناهضة الرأسمالية وخطابها الليبرالي الجديد وعلى حركات الاحتجاج الشبابية والطلابية والنسوية التي تعج بها بلاد العرب إن فوق السطح أو تحته.

عودة الشعبوية على طريقة أمريكا اللاتينية

*جافير كوراليس

صحيفة (نيويورك تايمز) : ٢٠١٨/٧/٧

ترجمة قاسم مكي : تشهد أمريكا اللاتينية عودة الشعبوية بعد انحسارها في العقد المنصرم. ففي ١٧ يونيو الماضي انتخب الكولومبيون رئيسا من حزب شعبي يميني. ومن المرجح أن ينتخب المكسيكيون اليوم ١ يوليو رئيسا يقود حملة شعبية يسارية صنعها بنفسه. تتقاسم الحركات الشعبوية في العادة خصيصة، فهي بحشدها جماعات جرى إقصاؤها في السابق لا تخاطب كل شرائح المجتمع وفي ذات الوقت توجد عوائق بل مشاقا لخصومها. كما تشكك علنا في المؤسسات التي تقيد السلطات الرسمية للرئاسة بل تصل إلى حد إلغائها. ورغم اختلاف أولويات سياسات حركتي كولومبيا والمكسيك إلا أنهما كليهما تنظران إلى النظام السياسي من منظور الخيار والأشعار، أو رعاة البقر والهنود الحمر. وتعتبران الرئاسة المنصب الذي يمسك بزمام حملة صليبية تستهدف جماعات معينة، وبالتالي لا تشعان بالارتياح من القيود المفروضة على السلطات الرئاسية. قد لا تقتل هذه الحركات الديمقراطية كما يرى بعض منتقديها، لكنها ستؤذي المؤسسات الديمقراطية.

أما الشعبوية في كولومبيا فتعود من خلال الرئيس المنتخب إيفان دوكي (٤١ عاما) ربيب الرئيس السابق ألفارو أوريبى أشهر شعبي يميني في أمريكا اللاتينية. ويمكن تلخيص شعاره الشعبي بثلاث كلمات هي: التشدد في الأمن. وكان يعني خلال رئاسة أوريبى استخدام القوة العسكرية بلا هوادة ضد المتمردين. أما في الأعوام الخمسة الماضية حين صار أوريبى معارضا كان هذا الشعار يعني مهاجمة جهود الحكومة لعقد اتفاق سلام مع المتمردين، وقعت عليه أخيرا في عام ٢٠١٦. ودوكي تكنوقراطي كان يعمل مع بنك انترأمريكان للتنمية في واشنطن، حين قرر دخول السياسة الكولومبية بالانضمام إلى معسكر أوريبى في ٢٠١٤. وتبنى الموقف المتشدد للرئيس السابق ضد اتفاق السلام. في المقابل ساند أوريبى ترشيحه لمجلس الشيوخ والآن للرئاسة. هذا التحالف مع أوريبى يمثل «المرسة السياسية» لدوكي وسبب صعوده السياسي السريع. ولن يستطيع فكاكا من هذه المرساة.

أما الفائز المحتمل في المكسيك فهو أندريس مانويل لوبيز أوبرادور الذي يصوب الشعبوية على شيء مختلف. فبدلا من الأمن يركز على الفساد وتوزيع الثروة. لقد التزم بمراجعة كل برامج الدولة وكل عقد خاص بحثا عن أدلة للفساد وسيحاسب المذنب أخيرا في ظل حكمه. وستكون الوفورات المتحققة من التطهير ضخمة بحيث يمكن للمكسيك التوسع كثيرا في الإنفاق العام دون زيادة الضرائب، كما صرح. المشكلة مع هؤلاء الشعبويين ليست تضخيمهم لقضايا انصرافية، ولكن عدم تعرفهم على القضايا الأخرى. بجانب ذلك، حين يُعَلَى السياسي موضوع الأمن على كل شيء آخر من السهل أن يدفعه الحماس إلى الإفراط في معاقبة الطرف الآخر. وهذا ما يمكن أن يعرض السلم للخطر. كما يمكن أن يفقده الحساسية تجاه المشاكل الأخرى مثل اللامساواة.

، ويدفعه إلى المبالغة في التسامح تجاه الجرائم الأخرى كالفساد. توجد في حزب دوكي شخصيات كثيرة جدا متورطة في انتهاكات حقوق الإنسان والفساد. كما شرع الحزب في رعاية أتباع الأنجليكانية. وإذا اختار الرئيس المنتخب حماية هذه المجموعات والتشدد تجاه المعارضة، سوف لن يعني التزامه بالمصالحة شيئا. وبالمثل حين يضع زعيم سياسي الفساد على رأس الأجندة كما فعل لوبيز أوبرادور سينطوي ذلك على خطر بسط سيطرته على كل فروع الحكم. يتحدث لوبيز أوبرادور عن حكومته المستقبلية وكأنه يحلم ليس فقط بتولي الرئاسة ولكن أيضا بالسيطرة على التشريع والقضاء نظرا لأنه سيقدر وحده ما يعتبر فسادا ومن هو المذنب. ولأنه غير مقتنع بأن مؤسسات المكسيك ديمقراطية فقد يغيرها حينما يشاء. يفضل لوبيز أوبرادور ممارسة السياسة على النحو المعتاد

في المكسيك حتى أعوام الثمانينات. أي بالمراسيم الشخصية مع جرعة كبيرة من اللغة الغاضبة. وهذا هو النمط السائد لدى الشعبويين الجدد.

وفي حين أن دوكي ألقى بمرساته (استند) على سياسي آخر إلا أن لوبيز أوبرادور ألقاها (اعتمد) على نفسه. من السهل فهم جاذبية «المراسي السياسية» فهي واحات استرخاء يلجأ إليها القادة حين تقسو أحوالهم ويقاومهم النظام السياسي. ومن المؤكد أن هؤلاء القادة سيواجهون مقاومة، لكن المشكلة هي أن المرستين اللتين اختارهما هذان الزعيمان مؤذيتان جدا في حد ذاتهما. فالتشدد اليميني يفتقر بشدة إلى المرونة ويعمى عن رؤية المجتمع المدني. والغضب اليساري الحاد مفرط في احتقاره للمؤسسات وقوى السوق. ولكي يكون هذان الزعيما أقل استقطابا سيلزمهما فعل المزيد للتخلي عن المرساة السياسية. سيكون دوكي بحاجة إلى الابتعاد عن «محافظة» أوريبي ولوبيز أوبرادور عن نرجسيته. إن التخلي عن السند السياسي صعب دائما، لكنه سيكون أشق في هذه العملية. فالقوانين الانتخابية والفصل بين سلطات الحكم والحوافز الخارجية كلها ضعيفة في المكسيك. والقوانين الانتخابية وتحديد انتخابات الجولة الثانية باعثة على التخلي عن السند. فهي تجبر الشعبويين على تقديم تنازلات للجماعات السياسية الأخرى. وهي تنازلات تضفي شعبية على تحالفاتهم وتخفف من عبادة شخصياتهم. وليس صدفة أن تظهر حكومات شعبية قليلة أو تبقى بعد انتخابات الجولة الثانية في أمريكا اللاتينية. لقد نجح دوكي في انتخابات الجولة الثانية التي أجبرته على البحث عن السند من خارج تحالفه. لكن في المكسيك كما في الولايات المتحدة لا توجد انتخابات جولة ثانية على المستوى الرئاسي. وسيكون التحالف الحاكم للوبيز أوبرادور أقل انفتاحا تجاه التسوية من تحالف دوكي. إن مؤسسات الفصل بين السلطات أقوى في كولومبيا. ومنذ إقرار دستورها الذي اشتهر عنه تبني اللامركزية في عام ١٩٩١ تقدمت كولومبيا خطوات نحو تقوية البرلمان والمحاكم والصحافة والحركات الاجتماعية. أما في المكسيك فقد ضُمَّت مؤسسات الفصل بين السلطات نتيجةً لانفجار الجريمة وانشغال الساسة بخدمة أنفسهم. ويشمل ذلك الرؤساء الذين سيَسُوا المؤسسات حماية لأنفسهم من تحقيقات الفساد.

وأخيرا تلعب القوى الخارجية دورا. فعلى الرغم من أن الشعبوية دائما ظاهرة محلية النشأة لكن يمكن أن تتضخم أو تنكمش استجابة لمحفزات خارجية. فالشعبوية المحلية تتمدد حين تواجه بشعبية معاكسة وعدوانية من الخارج. وليس مصادفة أن حظوظ أوريبي ازدهرت في أواخر العشرية الأولى حين كانت الشعبوية اليسارية لاتزال مزدهرة في فنزويلا المجاورة تحت حكم هوغو شافيز المعادي له. إن المكسيك وليست كولومبيا هي التي تواجه الآن شعبية معاكسة وعدائية من جارِها هو الولايات المتحدة. وليس سرا أن شعبية ترامب اليمينية تهاجم المكسيك وتتهمها بالممارسات التجارية المؤذية ومشاكل الهجرة والإخفاق في أنفاذ القانون. وسياسات ترامب تجاه المكسيك هي الأكثر عدائية لأي رئيس أمريكي منذ بدايات القرن العشرين. وستكون المكسيك محاصرة بهذه الشعبوية اليمينية من الولايات المتحدة هذا إذا لم تخنقها مما سيلهب الشعبوية اليسارية. ومن الأخبار المفرحة أن كلا من دوكي ولوبيز أوبرادور أدركا في الأسابيع الأخيرة الحاجة إلى الانفكاك من مرستيهما. فقد وعد الرئيس الكولومبي المنتخب بأن يكون «لطيفا» تجاه المتمردين الذين يتم تسريحهم. وشكل لوبيز أوبرادور فريقا اقتصاديا محترما ما يعني أنه سيكون أكثر حذقا في سياساته. والمؤسف أن أحاديث التخلي عن وعود الحملة الشعبوية تحتاج إلى أكثر من التعهدات الشخصية. فالقوانين الانتخابية ومؤسسات الفصل بين السلطات والعوامل الخارجية كلها مهمة. وفي كولومبيا تشير هذه القوى إلى تحل ممكن ولكن ليس حتميا عن هذه الوعود وفي المكسيك إلى التخندق.

* الكاتب أستاذ العلوم السياسية بكلية أمهرست ومؤلف <إصلاح الديمقراطية: لماذا يفشل التغيير الدستوري كثيرا في تعزيز الديمقراطية بأمريكا اللاتينية.>

رسالة إلى الشعب البرازيلي

*لويس إيناسيو لولا دا سيلفا

كوريتيبا: ٢٠١٨/٧/٧

أنا محتجز منذ شهرين ظلماً، من دون أن أرتكب أي جرم. منذ شهرين وأنا عاجز عن التنقل في البلد الذي أحبّ لنشر رسالة الأمل في برازيل أفضل وأكثر عدلاً توفر فرصاً للجميع، على غرار ما قمت به طوال ٤٥ عاماً من الحياة العامة.

حُرمت حياتي اليومية مع أبنائي وابنتي، مع أحفادي وحفيداتي، ومع حفيدة ابنتي، ومع أصدقائي ورفاقي. لكنني لا أشك في أنهم وضعوني هنا لحرمانني أن أكون مع عائلتي الأوسع: الشعب البرازيلي. ذلك أكثر ما يزعجني، لأنني أدرك أن في الخارج توجد كل يوم عائلات أكثر قد عادت للعيش في الشوارع، تخلّت عنها الدولة التي يجب أن تحميهم.

من مكاني هذا، أريد أن أجدد رسالة الإيمان في البرازيل وفي شعبنا. معاً، استطعنا تجاوز أزمات صعبة، وأزمات اقتصادية وسياسية واجتماعية. معاً، في ظل حكومتي، تجاوزنا الجوع والبطالة والركود والضغط الهائلة من رأس المال العالمي وممثليه في البلاد. معاً، قلّصنا داء الحيف الاجتماعيّ العضال الذي بدأ مع تأسيس البرازيل: إبادة السكان الأصليين، استرقاق السود واستغلال عمال المدن والريف.

حاربنا الظلم بلا هوادة. رافعين رؤوسنا، صرنا نعدّ أكثر شعوب العام تفاؤلاً. جذّرنا ديموقراطيتنا وحزنا على بروز عالمي بتأسيس «اتحاد دول أمريكا الجنوبية» و«مجموعة دول أمريكا اللاتينية والكاريبي» و«البريكس» وعلاقة التضامن مع الدول الأفريقية. صار صوتنا مسموعاً في مجموعة الدول الثماني ضمن أهمّ منتديات العالم. أنا واثق بقدرتنا على إعادة بناء هذه البلاد والحلم، مرّة أخرى، كأمة عظيمة. ذلك ما يدفعني قدماً. لن أرضى بمعاناة الفقراء والعقاب المسلط على الطبقة العاملة، كما لن أرضى بما يحصل لي.

مهزلة قضائية

من يتهمونني بقضية «عملية غسل السيارة» يعرفون أنهم يكذبون، لأنني لم أملك قط، ولم أحز ولم أمض ليلة واحدة في شقّة غواروجا. من أدانوني، سيرجيو مورو وقضاة المحكمة الإقليمية الفيدرالية الرابعة، يعرفون أنهم فبركوا مهزلة قضائية لإيقافي لأنني قادر على إثبات براءتي في القضية، فيما عجزوا هم عن تقديم دليل على الجريمة التي يتهمونني بها.

ما زلت أتناول إلى حدود هذا اليوم: أين الدليل؟

لم أعامل من قبل مدعي القضية ومورو وقضاة المحكمة الإقليمية الفيدرالية الرابعة كمواطن متساوٍ مع البقية. عُولمت كعدو. لا أحمل أي كراهية أو ضغينة، لكنني أشك في قدرة جلاديّ على النوم قريبي الأعين. ضدّ كل المظالم، لدي الحق في الاعتراض على الحكم وأنا خارج السجن، لكنني حُرمت ذلك الحق حتى الآن، فقط لأن اسمي لويس إيناسيو لولا دا سيلفا. لذلك السبب، أعتبر نفسي سجيناً سياسياً في بلدي. عندما صار واضحاً أنهم سيسجنونني بالقوة، من دون جريمة أو دليل، قرّرت البقاء في البرازيل ومواجهة جلاديّ. أعرف مكانتي في التاريخ، وأعرف المكانة المحجوزة لمن يحاكمونني اليوم. أنا واثق من أن العدالة ستجعل الحقيقة تسود.

في القافلة التي شاركت فيها أخيراً، على امتداد البرازيل، رأيت الأمل في عيون الناس. ورأيت كذلك كرب من يعانون عودة الجوع والبطالة، سوء التغذية، الانقطاع المدرسيّ، الحقوق المسلوقة من العمال، وتدمير سياسات الدمج الاجتماعيّ المضمونة دستورياً التي صارت الآن منكراً عملياً.

أنا مرشح - مرة أخرى!

بغرض إنهاء معاناة الشعب سأ تقدّم مرة أخرى لمنصب الرئيس. سأ تولى هذه المهمة لأنّ لديّ مسؤوليّة كبرى تجاه البرازيل، ولأنّ للبرازيليين الحقّ في التصويت بحريّة لمشروع عدالة أوسع، بلد أكثر عدلاً وسيادة، والمحافظة على مشروع الاندماج الأمريكيّ اللاتينيّ. سأ ترشّح لأنّي أعتقد بصدق بأنّ المحكمة الانتخابيّة ستكون متناسقة مع سوابقها القضائيّة منذ ٢٠٠٢، ولن تنحني أمام الابتزاز فقط لتمسّ حقّي وحقّ الناخبين في اختيار أفضل ممثّل لهم. ترشّحت عدة مرات خلال مسيرتي، لكنّ هذا السباق مختلف: إنّه التزام عمري. من حظوا بامتياز رؤية البرازيل تتقدّم من أجل الفقراء، بعد قرون من الإقصاء والهجر، لا يمكنهم الانسحاب خلال أصعب الأزمنة التي يمر بها شعبنا.

أدرك أنّ ترشّحي يمثّل الأمل، وسنحمله إلى آخر مآلاته، لأننا نملك قوّة الشعب إلى جانبنا.

أدرك أنّ ترشّحي يمثّل الأمل وسنحمله إلى آخر مآلاته لأننا نملك قوّة الشعب

لدينا الحقّ في الحلم مجدداً، بعد الكابوس الذي فرضه علينا انقلاب ٢٠١٦. لقد كذبوا لإسقاط الرئيسة المنتخبة شرعياً ديلما روسيف. لقد كذبوا قائلين إنّ البلد سيتحسنّ في حال إبعاد حزب العمال من الحكومة، وإنّه سيكون هناك وظائف أكثر وتنمية أكبر. لقد كذبوا لفرض برنامج هُزم في انتخابات ٢٠١٤. لقد كذبوا لتدمير برنامج القضاء على الفقر المدقع الذي وضعناه خلال فترة حكمي. لقد كذبوا للتفريط في ثروة البلد لمصلحة القوى الاقتصادية والماليّة، في خيانة مخزية لإرادة الشعب التي عبّر عنها بوضوح وجلاء في ٢٠٠٢، ٢٠٠٦، ٢٠١٠ و ٢٠١٤.

ساعة الحقيقة قادمة

أريد أن أكون رئيس البرازيل مرة أخرى لأنّي أثبتت سابقاً أنّ من الممكن بناء برازيل أفضل لشعبنا. أثبتنا أنّ بإمكان البلاد النموّ لمصلحة الجميع عندما تضع الحكومة العمال والفقراء في مركز اهتماماتها، ولا تصبح عبداً لمصالح الأثرياء والأقوياء. وأثبتنا أن دمج ملايين الناس الفقراء يمكن أن يجعل الاقتصاد ينمو ويتعافى. نحكم لمصلحة الشعب، وليس لمصلحة السوق. يتناقض ذلك مع حكومة خصومنا التي تخدم الرأسماليين والشركات العابرة للأقطار، والتي تخلت عن الحقوق التاريخيّة للعمال، خفضت الأجور الحقيقيّة، اقتطعت الاستثمارات في الصّحة والتعليم، وفي تدمير برامج مثل «المنحة العائليّة» و«بيتي» و«حياتي» و«برنامج دعم الزراعة الأسريّة» و«النور للجميع» و«الجامعة للجميع» و«صندوق تمويل الطلاب»، من بين عديد الأعمال الموجهة نحو العدالة الاجتماعيّة.

أحلم بأن أكون رئيس البرازيل لأنهي معاناة من لم يعد معهم مال لشراء الغاز، الذين يجب عليهم الآن استعمال الخشب للطبخ، أو حتى أسوأ، أولئك الذين يستخدمون الكحول ويصبحون ضحايا حوادث وحروق خطيرة. تلك إحدى أقسى النكسات التي سببتها سياسة تدمير شركة «بتروبراس» والسيادة الوطنيّة، التي قادها أنصار حزب «الديموقراطيّة الاجتماعيّة البرازيليّة» الذين دعموا انقلاب ٢٠١٦.

لم تخلق «بتروبراس» لجني أرباح لمصلحة مضاربي وول ستريت في نيويورك، بل لضمان الاكتفاء الذاتي من النفط للبرازيل بأسعار تتماشى مع الاقتصاد الشعبيّ. يجب أن تصير «بتروبراس» برازيليّة مرة أخرى. تأكدوا أنّنا سننهي قصّة بيع أصولها، لن تكون رهينة لـ«الشركات عبر القطريّة» مرة أخرى. ستلعب مرة أخرى دوراً استراتيجياً في تنمية البلد، بما يشمل توجيه موارد نفط «ما قبل الملح» إلى التعليم الذي يمثّل جواز سفرنا نحو المستقبل. كونوا متأكدين أيضاً أنّنا سنحول دون خصخصة شركات «إلتروبراس» و«برنكو دو برازيل» و«كايكسا»، وتفرغ «البنك القوميّ لتنمية البرازيل» وجميع الأدوات المتوافرة للبلاد حتى تدعم التنمية والرعاية الاجتماعيّة.

أحلم بأن أكون رئيس بلاد يهتم فيها القضاة بالدستور أكثر من عناوين الأخبار. يكون فيها حكم القانون هو القاعدة، دون إجراءات استثنائية.

أحلم ببلد تعلق فيه الديمقراطية على رغبة أي شخص، واحتكار الإعلام، والأحكام المسبقة والتمييز. أحلم بأن أكون رئيس بلد تكون فيه للجميع حقوق، ولا يكون فيه امتيازات خاصة لأحد. بلد يمكن الجميع فيه أن يأكل ثلاث وجبات في اليوم، ويكون بمقدور الأطفال الذهاب إلى المدرسة، وللجميع الحق في العمل بمرتبات كريمة وفي الحماية القانونية. بلد يكون فيه لكل عامل فلاحياً نفاذ للأرض حتى ينتج، ويتمتع بالتمويل والمساعدة التقنية. بلد يسترجع فيه الناس الثقة بالحاضر والأمل في المستقبل، ويستعيد بذلك احترامه دولياً، ويدعم الاندماج الأمريكي اللاتيني والتعاون الأفريقي مرة أخرى، ويمارس سيادته في الحوارات العالمية حول التجارة والمحيط، من أجل السلام والصداقة بين الشعوب.

انتخابات حرة وديموقراطية

نعرف كيف ننفذ تلك الأحلام. اليوم، يمر ذلك عبر إجراء انتخابات حرة وديموقراطية، بمشاركة جميع القوى السياسية، من دون استثناء يشمل مرشحاً وحيداً. فقط حينها سيكون لنا حكومة لها شرعية لرفع تحديات عظيمة، بمقدورها التحاور مع جميع الفاعلين من جميع الأمم مدعومة بتصويت شعبي. تلك هي المهمة التي سأتولاها بقبولي اختياري مرشحاً رئاسياً عن حزب العمال. لقد أظهرنا بالفعل أنّ بمقدورنا تشكيل حكومة إرضاء وطني، تقود البرازيل في اتجاه البرازيليين، خاصة الفقراء والعمال.

حكومتي كانت حكومة دمجت الفقراء في ميزانية البلد، وضمنت توزيعاً أكبر للدخل وجوعاً أقل مع صحة أشمل ومعدل وفيات أطفال أقل، وعنف أقل وتعليم أشمل ونسبة انقطاع عن الدراسة أقل ونفاذ أكبر للجامعات والتعليم التقني وشباب مقصي من المستقبل أقل وسكن شعبي أكثر ومشاكل سكنية في المدن أقل وتسويات وتوزيع أراضٍ أكثر وصراعات عقارية في الريف أقل احترام أكبر للسكان الأصليين و«الكويلامبولاس»، وزيادة أكبر في المرتبات وضمانات لحقوق العمال، وحوار أوسع مع النقابات والحركات الاجتماعية والمنظمات التجارية، وصراعات اجتماعية أقل. كان ذلك زمن سلام وازدهار، لم نشهده من قبل.

أعتقد من صميم قلبي أنه يمكن البرازيل أن تكون سعيدة مرة أخرى، وأن بمقدورها التقدم أكثر بكثير مما حققناه معاً عندما كانت الحكومة تنتمي إلى الشعب.

حتى نحقق ذلك الهدف، يجب علينا توحيد جميع القوى الديمقراطية في البرازيل، مع احترام استقلالية الأحزاب والحركات، لكن مع الإبقاء دائماً على مرجعية مشروع تضامن أكبر وبلد أكثر عدلاً سينقذ كرامة وأمل شعبنا الذي يعاني. أنا متأكد أننا سنكون معاً حتى نهاية الطريق.

من مكاني هذا، ومع التضامن والطاقة الآتية من زوايا البرازيل والعالم الأربع، يمكنني التأكيد لكم أنني سأواصل العمل على تحويل أحلامنا إلى حقيقة. لذلك أنا مستعد، بإيمان بالله وبكثير من الثقة، لليوم الذي سأجتمع فيه مرة أخرى مع الشعب البرازيلي الحبيب.

فقط في حال سلب حياتي مني، لن يحصل الاتحاد. وفقط في حال فقدي حياتي، ولن يحصل الاتحاد.

أراك قريباً، يا شعبي.

تحيا البرازيل! تحيا الديمقراطية! يحيا الشعب البرازيلي!

*الرئيس البرازيلي الأسبق

القومية تقترب من الإفلاس

*أناطول كالتسكي

بروجيكت سنديكييت: ٢٠١٨/٧/٧

يبدو أن المواجهة بين القومية والعولمة - وليس المواجهة بين الشعبوية والنخبوية - باتت تحدد شكل الصراع السياسي خلال هذا العقد. وحيثما نظرنا تقريبا (إلى الولايات المتحدة أو إيطاليا أو ألمانيا أو بريطانيا، ناهيك عن الصين وروسيا والهند) نجد أن الارتفاع المفاجئ في المشاعر الوطنية أصبح القوة الدافعة الرئيسية وراء الأحداث السياسية.

وعلى النقيض من هذا لم يكن التمرد المفترض من قبل "عامة الناس" ضد النخب واضحا، فقد استولى أصحاب المليارات على السياسة الأمريكية في عهد الرئيس دونالد ترامب ويدير أساتذة جامعيون غير منتخبين الحكومة الإيطالية "الشعبوية".

وفي مختلف أنحاء العالم، جرى تخفيض الضرائب على الدخل المتزايدة الارتفاع التي يحصل عليها الممولون، والمتخصصون في التكنولوجيا، ومديرو الشركات.

ومن ناحية أخرى، تقبل العمال العاديون بصمت حقيقة أن الإسكان العالي الجودة، والتعليم الجيد، بل وحتى الرعاية الصحية، كلها أمور أصبحت بعيدة عن متناولهم على نحو ميؤوس منه.

وتسود هيمنة النزعة القومية على المساواة بشكل خاص في إيطاليا وبريطانيا، الدولتين اللتين اشتهرتا ذات يوم بالحس الفاتر بالهوية الوطنية.

فمن الملاحظ في بريطانيا غياب الأعلام حتى عن المباني الحكومية، وحتى الاستفتاء على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي كان الناس هناك مسترخين حول سيادتهم القومية، إلى الحد الذي جعلهم عاجزين حتى عن إزعاج أنفسهم بمحاولة الاتفاق على اسم دولتهم: المملكة المتحدة، أو بريطانيا، أو إنجلترا، أو ويلز، أو أسكتلندا.

وكان الإيطاليون أقل حسا بالقومية" فمنذ تأسيس الاتحاد الأوروبي، كان الإيطاليون أكبر مؤيدين للفدرالية، حيث أظهرت استطلاعات الرأي - حتى وقت قريب - أن ثقة الناخبين في زعماء الاتحاد الأوروبي ببروكسل أكبر من ثقتهم في حكومتهم بروما.

والإيطاليون شغوفون بثقافتهم وتاريخهم وأطعمتهم وكرة القدم، لكن وطنيتهم كانت موجهة في الأغلب إلى المناطق والمدن، وليس إلى الدولة القومية. وهم يفضلون أن يحكموا من بروكسل وليس من روما.

وحتى هذا العام كان حزب الرابطة اليميني المتطرف - وهو العضو الأصغر في الحكومة الائتلافية الجديدة في إيطاليا - لا يزال يسمى رابطة الشمال.

وكان واحدا من شعاراته المفضلة "غاريبالدي لم يوحد إيطاليا" بل قسم أفريقيا"، وكان مطلبه السياسي الرئيسي حل الدولة، مناديا - بدلا من ذلك - بإنشاء دولة جديدة تحت مسمى "بادانيا"، والتي تفصل المناطق المزدهرة في الشمال عن الفساد والفقر في روما وما دونها جنوبا.

ما الذي يفسر إذن الهيمنة المفاجئة للقومية؟ الواقع أن القومية الجديدة في إيطاليا وبريطانيا - أو حتى في الولايات المتحدة - لا تنطوي على أي قدر يذكر من الوطنية الإيجابية.

بل يبدو أن هذا الارتفاع المفاجئ في المشاعر الوطنية راجع إلى حد كبير إلى ظاهرة كراهية الأجانب، كما عرفها عالم الاجتماع التشيكي الأمريكي كارل دويتش: "الأمة مجموعة من الناس يربط بينهم خطأ شائع حول أصولهم وكراهية مشتركة لجيرانهم".

فالأوقات العصيبة (انخفاض الأجور، والتفاوت بين الناس، والحرمان الإقليمي، والتكشف بعد الأزمات) تحفز على البحث عن كبش فداء ومن الواضح أن الأجانب هدف مفر دائما.

ولا شيء أبعد عن الوطنية من عدااء ترامب للمهاجرين المكسيكيين والواردات الكندية، أو سياسات الحكومة الإيطالية الجديدة المعادية للمهاجرين، أو تصريح تيريزا ماي الأكثر شهرة بعد توليها منصب رئيس وزراء بريطانيا: "إن كنت تعتقد أنك مواطن العالم فأنت لست مواطنا لأي مكان. وأنت لا تفهم معنى المواطنة".

لننتقل الآن إلى خبر سارٍ لهؤلاء الذين ما زالوا يفخرون بكونهم "مواطنين للعالم" فالجهود المدفوعة بكرهية الأجانب لإلقاء اللوم عن المصاعب الاقتصادية على الأجانب مألها الفشل حتماً.

ولننظر هنا في الجهود التي بُذلت بعد الأزمة لتحويل الغضب الشعبي من انهيار اقتصادات أصولية السوق نحو "مصرفيين جشعين". فقد فشلت هذه الجهود - في نهاية المطاف - جزئياً لأن المصرفيين لديهم موارد ضخمة للدفاع عن أنفسهم، وهو ما لا يتوفر للأجانب في عموم الأمر.

لكن تقريع المصرفيين فشل في تهدئة الغضب العام أساساً لأن مهاجمة التمويل لم تفعل أي شيء لتعزيز الأجور، أو تضيق فجوة التفاوت، أو عكس مسار الإهمال الاجتماعي. وسيصدق نفس الشيء على الهجمات الحالية التي تُشن على النفوذ الأجنبي، سواء من خلال الهجرة أو التجارة.

فالآن تستفيق بريطانيا مثلاً على حقيقة مفادها أن القضايا الأوروبية لا علاقة لها بالمظالم السياسية الحقيقية التي حفزت جزءاً كبيراً من التصويت لصالح "الخروج". وبدلاً من ذلك، ستهيمن مفاوضات خروج بريطانيا الآن على السياسة البريطانية فتشتتها لسنوات عديدة، أو ربما حتى لعقود.

وستزود المواجهة القومية بين بريطانيا وبقية أوروبا الساسة من كل الأحزاب بأعذار بلا نهاية لفشلهم في تحسين الحياة اليومية. وفي الأشهر والسنوات المقبلة سيتعلم النخبون في أمريكا وإيطاليا نفس الدرس. فهناك أيضاً لن يفعل تقديم التأثيرات الأجنبية ككبش فداء - سواء عبر التجارة أو الهجرة - أي شيء لرفع مستويات المعيشة، أو معالجة مصادر السخط السياسي.

صحيح أن إيطاليا لديها شكاوى مشروعة ضد الاتحاد الأوروبي: السياسات المناقصة وغير المنصفة في التعامل مع اللجوء وعمليات الإنقاذ في البحر، والقواعد المالية المدمرة للذات، والسياسات المالية الأمية اقتصادياً. لكن الحكومة الجديدة تستغل أيضاً الارتفاع المفاجئ للمشاعر القومية لمهاجمة الإصلاحات التي لا علاقة لها بأوروبا، والتي تشكل أهمية بالغة لنجاح إيطاليا الاقتصادي.

دأبت الحكومات الإيطالية المتعاقبة - منذ الأزمة المالية - على إرساء الأسس تدريجياً لإصلاح معاشات التقاعد، وسوق العمل، والقطاع المصرفي.

وقد أوجدت هذه التغيرات الظروف الملائمة لتعزيز التعافي الاقتصادي الذي بدأ العام الماضي في أعقاب عشر سنوات من الركود، لكنها لم تحظ بقدر كبير من الشعبية على المستوى السياسي، والآن تتوالى عليها الإدانات بوصفها رموزاً للقمع الأجنبي النخبوي.

وإذا تخلت الحكومة الجديدة عن مشاريع الإصلاح الثلاثة، فربما ينبغي للإيطاليين أن يتخلوا أيضاً عن الأمل في التعافي الاقتصادي، وربما لعشر سنوات أخرى.

ستكتشف الولايات المتحدة أيضاً أن مهاجمة المصالح الأجنبية ليست الدواء الشافي من كل داء، بل وربما تزيد من قسوة المصاعب الحالية. يتصور ترامب أن التدابير التي اتخذها ضد الواردات من الصين وألمانيا وكندا، ستُلحق الأذى بهؤلاء الشركاء التجاريين وتخلق فرص عمل أمريكية. وربما كان هذا سعيّاً صحيحاً عندما كان الاقتصاد الأمريكي يعاني من ضعف النمو والانكماش.

ولكن في عالم يتسم بالطلب القوي وارتفاع معدل التضخم سيجد المصدرون الألمان والصينيون أسواقاً جديدة لمنتجاتهم، في حين سيواجه المصنعون في الولايات المتحدة مصاعب جمة لإحلال الموردين الأجانب.

وستكون أحوال شركات مثل "بي أم دبليو" و"هواوي" على ما يرام، في حين تعمل التعريفات الجمركية الجديدة كضريبة مفروضة على المستهلكين الأمريكيين من خلال الأسعار الأعلى، وعلى الشركات الأمريكية وأصحاب المساكن الأمريكيين من خلال أسعار الفائدة الأعلى. إن الوجه المقابل للقومية الشعبوية ليس نخبوية العولمة بل الواقعية الاقتصادية. وفي النهاية ستكون الغلبة للواقع.

*رئيس معهد الفكر الاقتصادي الجديد

المفوضية الأوروبية تقدّم اقتراحاً لحماية الحدود الخارجية للاتحاد

وكالات متعددة: ٢٠١٨/٧/٧

أعلن رئيس المفوضية الأوروبية جان كلود يونكر أن المفوضية ستقدّم اقتراحاً جديداً حول حماية الحدود الخارجية للاتحاد، في أيلول (سبتمبر) المقبل.

وكان المستشار النمساوي سيباستيان كورتز الذي تتولى بلاده الرئاسة الدورية للاتحاد للأشهر الستة المقبلة، أعرب عن أمله بأن يتوصل قادة الاتحاد إلى اتفاق حول تعزيز وكالة حماية الحدود الأوروبية (فرونتكس).

في باريس، اعتبر المجلس الدستوري الفرنسي أن مساعدة مجانية لأجانب في وضع غير قانوني، لا يمكن أن تعرّض صاحبها لملاحقات، مكرساً للمرة الأولى «مبدأ الأخوة» باعتباره واحداً من أبرز مبادئ القانون الفرنسي.

وذكر المجلس في قراره أن «شعار الجمهورية الفرنسية هو حرية، مساواة، أخوة»، والدستور يستند إلى هذا «المثال المشترك». وكان المجلس يدرس طلباً قدّمه سيدريك هيرو، وهو مزارع بات رمزاً لمساعدة المهاجرين على الحدود الفرنسية- الإيطالية، بإلغاء «جنتة التضامن».

ولفت هيرو وناشط آخر، دينا بتقديم «مساعدة على صعيد إقامة غير قانونية»، إلى مادتين في قانون دخول الأجانب وإقامتهم، تنصّ إحداها على معاقبة مقدّم المساعدة في الدخول والتنقل والإقامة غير القانونية بالسجن ٥ سنوات حداً أقصى، وبغرامة ٣٠ ألف يورو. واعتبر مدافعون عنهما أن نصّ المادتين «غامض جداً»، ويتيح معاقبة المساعدة الإنسانية بالطريقة ذاتها التي تعاقب بها الجريمة المنظمة للمهريين.

وأشاد وزير الداخلية الفرنسي جيرار كولومب بالقرار، مستدركاً أنه لن يكون مناسباً تمديد إعفاءات لـ «الدخول غير المنتظم إلى الأراضي الفرنسية».

إلى ذلك، نقلت صحيفة «فونكه» الألمانية عن مكتب حماية الدستور الألماني، وهو جهاز الاستخبارات الداخلية الألماني، أن هجمات اليمينيين المتطرفين في البلاد شهدت تراجعاً حاداً عام ٢٠١٧، مضيفاً أن عدد الهجمات العنيفة على مراكز إيواء لمهاجرين انخفض بنسبة ٧٠ في المئة.

وعزا المكتب الأسباب إلى صدور أحكام بالسجن لمدد طويلة على المتهمين بارتكاب جرائم مشابهة، إضافة إلى انخفاض عدد المهاجرين الذين دخلوا ألمانيا عام ٢٠١٧. لكنه ذكر أن اليمينيين المتطرفين لا يزالون يمثلون تهديداً لا يُستهان به، مشيراً إلى زيادة في التواصل والتعاون بين هذه الجماعات في أوروبا أخيراً.

ولفت إلى أن حفلات لموسيقى «الروك» ينظمها يمينيون في ألمانيا، بات يحضرها نازيون جدد من إيطاليا والنمسا وسويسرا وتشيكيا وهنغاريا وسلوفاكيا، فيما يشارك يمينيون متطرفون ألمان في مسيرات للنازيين الجدد في أثينا وبودابست وصوفيا.

كما أوردت صحيفة «نويه أوسنابروكر تسايتونغ» أن بيانات حكومية أولية أظهرت تراجعاً متواصلاً في عدد الهجمات على مراكز المهاجرين. وأضافت أن الشرطة الجنائية الاتحادية سجّلت ٧٤ هجوماً من هذا النوع في الأشهر الستة الأولى من هذا العام، في مقابل ١٧٤ في الفترة ذاتها من عام ٢٠١٧، وأكثر من ٧٠٠ هجوم في الفترة ذاتها من عام ٢٠١٦.

حرب جديدة تختمر في منطقة الخليج

روسيا اليوم : ٢٠١٨/٧/٧

تحت العنوان أعلاه، كتب سيرغي أكسيونوف، في "سفوبودنايا بريس"، حول احتمال تفخيخ إيران لمضيق هرمز رداً على حظر شراء النفط الإيراني، وأن ذلك سيؤدي تلقائياً إلى اندلاع حرب. وجاء في المقال: إذا حظرت الولايات المتحدة بيع النفط الإيراني، فإن طهران ستغلق مضيق هرمز. هذا ما هدد به نائب قائد الحرس الثوري الإسلامي، إسماعيل كوثري، في طهران. وفي الصدد، قال الخبير العسكري، الضابط البحري المتقاعد، سيرغي إيشينكو، للصحيفة: هناك إمكانية حقيقية لمنع خروج السفن من الخليج نحو المحيط، لأن من السهولة بمكان تفخيخ مضيق هرمز. فالمياه هناك ليست عميقة.

وهل بمقدور إيران فعل ذلك؟

لدى إيران الآن سلاح بحرية قوي بما يكفي. بالإضافة إلى ذلك، فلدى طهران قوات جوية، وتكنولوجيا صاروخية متطورة. بمقدور الإيرانيين تغطية الخليج بالنار.

لكن الأمريكيين سيحاولون فك حصار الخليج..

سيؤدي ذلك إلى حرب مباشرة.

ومن جهته ذكر الاقتصادي نيكيتا ماسلينيوكوف، بأن مياه الخليج مهمة جداً لاستخراج النفط، فقسم مهم من نفط الشرق الأوسط يمر عبر مضيق هرمز. ولكن، على الرغم من مضي أكثر من يوم على التهديد الإيراني فإن استجابة السوق لذلك كانت ضعيفة.

أمر غريب.. لماذا؟

لا تؤمن الأسواق بجدية النوايا التي أعلنتها طهران، لأن هذا سيعني فوراً فرض عقوبات واسعة النطاق على إيران وحصار إمدادات النفط. تنظر الأسواق إلى التهديد بإغلاق المضيق ضمن حزمة وعود طهران بمواجهة الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية، التي ربما تزيد من إنتاجها على حساب إيران.. إلخ. الأسواق في هذه الحالة أذكى من السياسيين. فلكي تصدّق يجب أن يكون التهديد قابلاً للتحقيق...

إلا أن الكلام قليل...

هناك أيضاً أسباب داخلية لذلك. فعلى الرغم من أن العقوبات الرئيسية لم يتم تطبيقها بعد، إلا أن الوضع الاقتصادي تعثر بالفعل. يواجه الرئيس روحاني حاجة إلى تغيير الكتلة الاقتصادية في الحكومة واتخاذ بعض القرارات الاقتصادية دون اعتبار للعقوبات. بطبيعة الحال، في هذه الظروف، تطلق مثل هذه الكلمات القاسية. لكن من المستبعد أن تفعل طهران ذلك.

الصدع بين صفتي الأطلسي يتسع... هل يفجر ترامب قمة الناتو؟

مجلة إكونوميست : ٢٠١٨/٧/٧

أشارت مجلة "إكونوميست" البريطانية للأزمة الحالية التي تعصف بالاتحاد الأوروبي وتهدد وحدته، قائلة إن أمريكا ساهمت بقدر أكبر من أية دولة أخرى في تشكيل أوروبا ما بعد الحرب العالمية الثانية. يتهم ترامب الاتحاد الأوروبي بالعمل "على استغلال الولايات المتحدة وإقامة علاقات تجارية غير عادلة معها وترى المجلة أن أمريكا لعبت في الأربعينيات والخمسينيات دور القابضة التي ساعدت على ولادة المعاهدة التي قادت لتشكيل الاتحاد الأوروبي والناتو، تحالف عسكري انتصر في الحرب الباردة.

وفي مساعدتها لأوروبا عملت الولايات المتحدة جزئياً من باب العمل الخيري، لكن بشكل رئيسي لأجل خدمة مصالحها. فقد أرادت، بعد أن جُرّت إلى حربين عالميتين، القضاء على التنافس بين فرنسا وألمانيا، فضلاً عن بناء متراس ضد الاتحاد السوفييتي.

وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي في ١٩٩١، ساعد الحلف على إرساء دعائم الديمقراطية في دول أوروبية شرقية تحررت حديثاً من الحلف السوفييتي.

وترى المجلة أن صدعاً يفصل اليوم بين أمريكا وأوروبا، وهو يتسع يوماً بعد آخر. وتبدو الأجواء في بروكسل قبل قمة الناتو في ١١ و ١٢ يوليو (تموز) سيئة. وفيما يتهم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الأوروبيين بالتخلي عن التزاماتهم المالية، يتهمونه بدورهم باتباع سياسة مدمرة.

وتقول "إكونوميست" إن قمة ثانية سوف تعقد بين فلاديمير بوتين ودونالد ترامب في هلسينكي يوم ١٦ يوليو (تموز)، قد تشهد أمراً غريباً إذا عامل رئيس أمريكي خصمه الروسي أفضل مما يعامل حلفاؤه.

وبرأي المجلة، إذا انتهت القمتان دون إثارة سجالات، وهو متوقع بالنظر لقدرة ترامب على إرباك منتقديه، لن يتلاشى التباين بين أولويات ومعتقدات. ولأن التحالف الأوروبي يعاني من اضطرابات ومشاكل، فمن شأن ذلك أن يقلق أوروبا وأمريكا والعالم كله.

وتقول "إكونوميست" إنه لكل حلف توتراته، لكن الحلف الغربي يواجه جبهات عدة. فقد ضاق ترامب وجنرالاته ذرعاً نتيجة إخفاق عدد من الدول الأعضاء في الناتو بشأن الإيفاء بتعهداتهم حيال وجوب زيادة حجم إنفاقهم العسكري ليصل إلى ٢٪ من إجمالي ناتجهم القومي، بحلول ٢٠٢٤. كما يميل اليمين الأمريكي لانتقاد الدعم الأوروبي للصيغة النووية مع إيران (والتي انسحب منها ترامب)، وما يعتبرونه انحيازاً ضد إسرائيل. كما يعتقد صناع قرار من كلا الحزبين الأمريكيين، أنه فيما يركز العالم اهتمامه على آسيا، فإن "أوروبيين كثيرين الشكوى ومدعي التهذيب، لا يستحقون الكثير من وقتهم".

علاوة عليه يتهم ترامب الاتحاد الأوروبي بالعمل "على استغلال الولايات المتحدة وإقامة علاقات تجارية غير عادلة معها".

وفي الوقت نفسه، تبدو أوروبا منقسمة فيما. فقد استلم تحالف شعبي جديد السلطة في إيطاليا، وهو ميل نحو بوتين. وكذا حال تركيا، عضو في الناتو، وليس في الاتحاد الأوروبي، لكنها تعادي قيماً الديمقراطية الليبرالية التي تجمع بين دول الاتحاد.

لذلك كله، تدعو المجلة لتعزيز التعاون الأمني والعسكري والفكري بين دول الاتحاد الأوروبي، وبين الدول الأعضاء في الناتو، لأن الناتو بحسب "إكونوميست" ما زال قوة يعتد بها بالنسبة لأمريكا وأوروبا مجتمعين. وتختتم المجلة افتتاحيتها بالإشارة إلى أن تحالفات أمريكا تعتبر مصدر قوة لها، وهي موضع حسد كل من روسيا والصين. كما يعد الناتو إرثاً ثميناً لا يمكن الاستغناء عنه لأمريكا وحلفائها.

الحاجة إلى تحالفات استراتيجية لمكافحة الإرهاب

افتتاحية "أخبار الساعة" الإماراتية الاستراتيجية: ٢٠١٨/٧/٧

تواصل دولة الإمارات العربية المتحدة جهودها الدؤوبة في مكافحة الإرهاب" وقد اتخذت الدولة على المستوى الوطني استراتيجية واضحة تقوم على محاربة الظاهرة بشكل شامل من مختلف الزوايا، وذلك بهدف التخلص منها" كما تنخرط الدولة في كل الجهود الإقليمية والدولية الرامية إلى القضاء على هذه الظاهرة بشكل كامل" وقد أظهرت بالفعل التزاماً قوياً مع المجتمع الدولي في هذا المجال" ولذلك لا عجب إذا رأينا أن هناك اهتماماً بموقف الإمارات وتقديراً لدورها في مكافحة التطرف بكل أشكاله، ومحاربة الإرهاب أياً تكن طبيعته أو مبرراته. ولا شك أن هناك نجاحات تحققت على المستوى الدولي في هذا الطريق" ومع ذلك فإن هناك حاجة إلى تبني مقاربة أكثر شمولية، وتأخذ في الاعتبار تشعب هذه الظاهرة، من حيث الأسباب والدوافع، وكذلك الانعكاسات والتأثيرات التي لم يسلم منها شعب أو دولة أو منطقة من مناطق العالم" ومن هنا فقد حذرت الإمارات في البيان الذي أدلى به سعادة سالم الزعابي رئيس اللجنة الوطنية لمكافحة الإرهاب، أمام المؤتمر الرفيع المستوى الذي عقدته الأمم المتحدة على مدار يومين لرؤساء أجهزة مكافحة الإرهاب بالدول الأعضاء، من التحديات الدولية المعقدة والخطيرة التي تشكلها ظاهرة الإرهاب العابرة للحدود، والتي لا تنحصر آثارها في دول معينة فحسب، بل تمتد تهديداتها إلى العديد من الدول والقارات حول العالم.. مشيراً إلى أنه «ليس هناك أي منطقة في العالم لا يستهدفها شر هذا الوباء الذي يعيش على نشر الظلم والقتل والصراع الطائفي.» وتؤمن الإمارات أكثر من أي وقت مضى، أن التعامل مع مسألة الإرهاب بسبب هذه التعقيدات، يتطلب بالفعل وجود تنسيق دولي أقوى وأوسع نطاقاً، وخاصة أن الظاهرة لم تعد عابرة للحدود فقط، ولكن جذورها ربما توجد في كل مكان" كما هو تأثيرها الذي لم يعد يسلم منه أحد. ولهذا، فقد أعربت الإمارات عن قناعتها بأن التصدي لهذه الظاهرة بأشكاله كافة، يحتاج بالفعل إلى وضع استراتيجيات شاملة ومتعددة الأطراف تركز في جوهرها على الوقاية ومنع التطرف.

وهذه المرة ليست الأولى التي تدعو فيها الإمارات إلى مثل هذه الاستراتيجيات أو التحالفات" فقد سبق أن طالبت الدولة منذ سنوات، حتى قبل ظهور تنظيم داعش الإرهاب، بجهد دولي منظم وتعاون إقليمي وعالمي، أكثر قوة لمواجهة الظاهرة" وهي تجدد الدعوة لأسباب موضوعية وحيوية، من أهمها:

أولاً، أثبتت التجارب الدولية السابقة والقائمة لمواجهة الإرهاب، أن الاستراتيجيات المتبعة على أهميتها لم تحقق الهدف المنشود" وهو التخلص منها برغم مرور وقت ليس بالقليل على انتشار الظاهرة. ثانياً، إن الظاهرة مع مرور الوقت، وبرغم التخلص من بعض الجماعات وتفكيك بعضها الآخر، قد تعقدت، حيث لجأت الجماعات المتطرفة والإرهابية إلى أساليب جديدة، وفي الوقت نفسه خطيرة" ولا يمكن مواجهتها من دون تحالفات حقيقية ملتزمة. ثالثاً، أكدت الإمارات وتؤكد دائماً، أن التخلص من الإرهاب لا يكون فقط عبر الوسائل الأمنية أو وسائل الإكراه أياً كان شكلها" بل لا بد من مقاربات شاملة تستهدف الفكر والأيدولوجيات، التي تلعب دوراً حاسماً في خلق الظاهرة وفي انتشارها. فالأيدولوجيات المتطرفة التي تدعو إلى الكراهية وتحرض على القتل، ربما تكون الأخطر من بين الأسباب التي تغذي العنف والإرهاب. صحيح أن العوامل الأخرى كالظروف الاقتصادية والحياتية الأخرى مهمة، ولها علاقة مباشرة بظهور التطرف والإرهاب، وربما تكون أكثر تأثيراً في بعض الحالات، ولكن الواقع يثبت أن الأفكار والأيدولوجيات هي الأخطر، لأنها تؤثر في بعض فئات المجتمع، وخاصة الشباب بشكل حاسم، وتدفعهم إلى المجهول إلى درجة التضحية بأنفسهم وبغيرهم طمعاً أو أملاً فيما يعتقدون أنه سيكون أفضل لهم.

ومن هنا، فلا بد بالفعل من تأطير الجهود الإقليمية والدولية لمكافحة الإرهاب في تحالفات استراتيجية تتبني نهجاً شاملاً يستهدف محاربة الخطاب المتطرف بالفكر والمنطق، وعدم التهاون تحت أي ظرف مع أي رسائل تحمل دعوات للكراهية" وهنا تقدم الإمارات نموذجاً يمكن أن يحتذى" حيث حققت نجاحات مشهودة من خلال مراكز ومنصات مهمة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: مركز هداية لمكافحة «التطرف»، الذي ينشط على مستويات عدة محلية وخارجية للبحث في سبل تمكين طاقات الشباب لمحاربة التطرف" ومركز «صواب» الهادف في جهوده إلى مكافحة أكاذيب الإرهابيين وفضحها عبر إطلاق حملات توعية عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

فشل دولة المواطنة في المنطقة

*د. شفيق ناظم الغبرا

الدول العربية "الميليشياوية" تعيش حالة عداة مزمنة مع المواطن

موقع قنطرة الألماني: ٢٠١٨/٧/٨

في عدد كبير من البلدان العربية تنتشر في صفوف الأنظمة الحاكمة "روح ميليشياوية" على حساب عقلية الدولة الحديثة ونظام المؤسسات، بل تبدو الدولة العربية وكأنها استعارت من عالم العصابات والميليشيات غير الحكومية الكثير من الأساليب والوسائل.

اختبرت الشعوب العربية الروح الميليشياوية للأنظمة العربية عبر طريقة هذه الأنظمة في تصفية الخصوم واقتحام مناطق سكنهم وخطفهم بلا سند قانوني وبلا إعلان عن أماكن وجودهم. شاهدنا كيف تقوم جهات أمنية في دول عربية يفترض انها مسؤولة بتصفية معارضين ثم بالإعلان بأنهم كانوا مسلحين بينما لم يكونوا في عدد من الحالات من حملة السلاح، وشاهدنا كيف يهاجم الاعلام و"الذباب الالكتروني" معارضين ونقادا ومثقفين بوسائل تتميز بالوضاعة والركاكة بل والعنصرية.

لقد أصبح التشويه جزءا من واقع النظام العربي الرسمي، وكأن الرسالة الموجهة للشعوب بأن النظام بشكله الراهن لم يعد يمتلك ما يسمح له بالبقاء سوى آلة القمع والتشويه والخوف؟. النظام العربي في معظم حالاته فقد الحد الأدنى من المصادقية بسبب هذه التصرفات. هذا بالتحديد هو احد اهم أسباب بروز ظاهرة "الميليشياوية" التي حولت الدول إلى شبه دول.

فشل دولة المواطنة

لنأخذ بعض الأمثلة: شكل استبداد الدولة في سوريا في ظل نظام الأسد وطبيعة تعامله العنيف مع الثورة السورية هو الأساس، الذي أنتج تسليح الثورة وبداية المجموعات المكونة من الميليشيات المسلحة. ولو درسنا ذات الوضع في العراق، سنجد ان نظام صدام السابق في العراق احتوى على ميليشياوية في التفكير والتطبيق تجاه كل الطوائف والقوميات العراقية، وهذا أدى لبروز ميليشيات معارضة دعمتها إيران في مرحلة لاحقة. أما النظام الجديد بعد ٢٠٠٣ وفيفضل سياسات العزل الموجهة لقطاع كبير من السنة العراقيين نشأت ميليشيا الدولة الاسلامية و الحروب التي ارتبطت بصعودها وتراجعها، كما ونشأت ميليشيات تابعة للنظام. إن الدولة التي تسلك سلوكا ميليشياويا ستنتج ما يشبهها في صفوفها وبين معارضيه.

ولو درسنا حالة حزب الله بصفته ميليشيا متقدمة التنظيم والادارة، لوجدنا ان نشوء الحزب لم يكن خارج السياق. فبالأساس كانت عقلية الدولة اللبنانية تستثني الشيعة بصورة اساسية ثم كانت تستثني المسلمين السنة بصورة ثانية. هذا الوضع تفاقم بسبب حرب ١٩٦٧ التي شنتها اسرائيل والتي نتج عنها هزيمة الدول العربية و نشوء المقاومة الفلسطينية. المقاومة الفلسطينية كانت بالأساس نتاج السياسات الاسرائيلية في اقتلاع الشعب الفلسطيني من الارض. لكن تحالف المقاومة مع الشارع اللبناني او أجزاء أساسية منه وعلى الأخص المسلمين في الجنوب غير التوازنات اللبنانية الداخلية. هذا الوضع خلق الاحتقان اللبناني - اللبناني الذي أدى إلى انزلاق البلاد في الحرب الاهلية المنذلة عام ١٩٧٥.

وقد استغلت اسرائيل اجواء الحرب الاهلية اللبنانية والخلاف العميق اللبناني اللبناني فوجهت ضربتها لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان عام ١٩٨٢. لكن اقتلاع منظمة التحرير الفلسطينية من جنوب لبنان وبيروت أدى إلى فراغ كبير في لبنان وفي الجنوب. وقد حاولت قوى عديدة ملء هذا الفراغ. لهذا برز حزب الله من واقع الاحتلال الاسرائيلي، وأصبح دعم إيران لحزب الله نتيجة تلاقي المصالح والرؤى، فإيران التي فرض عليها الحصار بعد

الثورة عام ١٩٧٩ شعرت بالاختناق من قبل الولايات المتحدة ثم بشكل أكبر أثناء حرب ٨ سنوات (١٩٨٠ - ١٩٨٨) بين العراق وإيران.

دولة قبلية في اليمن

ويمكن القول أيضا بأنه كان من الطبيعي أن تؤدي طبيعة الدولة اليمنية القبلية وحروبها مع المختلفين معها واستبدالها خاصة مع نظام علي صالح لنشوء ميليشيا الحوثيين. فبغيا التغيير الديمقراطي الوطني، الذي يساوي بين المواطنين على أرضية الحقوق نشأت جماعات مسلحة معارضة تتصرف وكأنها دولة، في هذا نشأت ظاهرة الحوثيين.

من جهة أخرى تتكرر ذات الابعاد في مصر. فطالما أن النظام العسكري في مصر قادر على عزل فئات كبرى في المجتمع المصري ستبقى الحرب في سيناء وسيبقى التفكك في المجتمع وستظل فئة لا تقل عن ثلث المجتمع المصري تريد الإنتقام من كل ما وقع في مصر منذ ٢٠١٣. يجب عدم التقليل من حجم الاحقاد المدفونة تحت سجادة القمع والعنف في مصر.

في المشهد العربي الذي يتطور منذ عقد، نجد بأن النظام العربي يعيش حالة عداء مزمنة مع المواطن، بل ربما يعتبر النظام المواطن عدوه الاول. فالمواطن محب للحرية ويريد تعليما مفيدا ويبحث عن حياة متوازنة ويريد نظاما عادلا، وقادة يمثلونه. لكن عجز الدول وضعف مسؤوليتها الاجتماعية والسياسية تجاه مواطنيها وضعها في حرب مع المواطن. هذا أساس تطور الأسلوب الميليشيائي في النظام العربي. فهي تشك في ولاء المواطن، وتسعى لتحويله لتابع لا حول له ولا قوة.

في هذه الحرب تقع عملية تهيمش المواطن وتجهيله، بل وجعله بلا مياه نظيفة وبلا بيئة صحية وبلا تعليم نوعي وبلا حقوق. بعد نصف قرن على التنمية والتطوير والتعليم تجد الشعوب العربية، مع استثناءات محدودة، انها وصلت لحافة الهاوية: فهي بلا حقوق وبلا دساتير وبلا حماية من قوة الأجهزة وسلطة ميليشيا الدولة.

إن اتهامات النخب الموالية للأنظمة بأن الشعب جاهل وغير مستعد للممارسة الديمقراطية والحقوق يعكس مدى جهل الدولة بمقتضيات العصر والتعليم الحديث والبناء. لقد امتص النظام عافية المجتمع وافقد الناس والأفراد حس الانجاز، بل قامت الدولة بكل ما تستطيع لمنع الخيار الديمقراطي ولمنع تعلم الناس لأسس الديمقراطية. لقد استمر فساد الدولة من خلال تشجيعها على الطائفية والقبلية، فبالنسبة اليها كل هذه الابعاد ادوات تستخدم للحفاظ على السلطة.

لقد تحالفت الدولة العربية مع الخارج على حساب الداخل، واعتمدت على شراء الأسلحة كوسيلة للحماية، وهي بنفس الوقت تعاملت مع المواطن صاحب المصلحة الحقيقية في تطور الدولة كمنافس لها بل وكعدو. لهذا انتهت الدولة ضعيفة أمام الخارج لأنها عزلت جزءا كبيرا من مجتمعا.

بل أمنت الدولة العربية بأن القوة والقمع وأسلوب الميليشيا يمكن أن يحل كل المشكلات مما ساهم في زيارة عدد المعارضين وحول الشعب لمشروع للهجرة، لقد إجتثت الدولة المعارضين المدنيين لتصطدم بصعود الإسلاميين، وإجتثت الإسلاميين لتصدم بأن المشكلات تفاقت والفساد انتشر في كل مكان والمجتمع إنهار.

لمنع مزيد من التدهور على الدولة العربية إعادة النظر بجميع سياساتها مع المختلفين معها ومع المواطنين. لأن لم يبدأ مشروع الدولة القائم على البنين الحقوق والمواطنة المكتملة الأبعاد. في البلدان العربية استثمرنا عقودا في مشروع الاستبدال والحكم و مشاريع الميليشيا التي لا علاقة لها ببناء الدول والمجتمعات الحية. في ٢٠١٨ لازلنا نبحث عن طريق يخرجنا من هاوية.

*شفيق ناظم الغبرا كاتب ومحلل سياسي عربي معروف يعمل أستاذًا للعلوم السياسية في جامعة الكويت

بوتين وترامب.. قمة ينتظرها العالم

*د. سامي عمارة

مركز الأهرام للدراسات: ٢٠١٨/٧/٨

عادت السياسة الأمريكية إلى «مغازلة» موسكو بعد فترة وصفها الرئيس فلاديمير بوتين بأنها «الأسوأ في تاريخ العلاقات بين روسيا والولايات المتحدة». فبعد إعلان الرئيس دونالد ترامب عن ضرورة عودة روسيا الى مجموعة «الثمانية الكبار»، وتصريحات وزير خارجيته مايك بومبيو حول يقينه من ان «حضور روسيا كطرف في النقاشات الجيوسياسية المهمة أمر لا مفر منه»، وتأكيداته على ضرورة عودتها دون ارتباط ذلك بإعادة القرم، وإيفاد واشنطن جون بولتون مستشار الرئيس الأمريكي لشؤون الأمن القومي إلى موسكو للقاء بوتين، يمكن القول ان العالم يبدو على أعتاب «انفراجة» في علاقات القطبين العظميين، بما قد ينسحب بالتالي على سياسات واشنطن تجاه الكثير من مفردات العلاقات الدولية والاقليمية، وإن تظل هناك تحفظات كثيرة تحول دون الاغراق في التفاؤل.

القمة الروسية الأمريكية المرتقبة التي أعلنت مصادر الكرملين والبيت الابيض أنها سوف تعقد في هلسنكي في السادس عشر من يوليو الجاري، قد تكون علامة فارقة في تاريخ علاقات روسيا والولايات المتحدة، وبداية نحو حوار متعدد المستويات والموضوعات، لن تقف بطبيعة الحال عند العلاقات الثنائية للبلدين، وقضايا «الاستقرار الاستراتيجي»، وما يرتبط به من الحد من التسلح، لتتجاوزها صوب الاوضاع في أوكرانيا وسوريا وشبه الجزيرة الكورية، وعدد من القضايا الاقليمية الاخرى. وكان الرئيسان الروسي والأمريكي قد سبق أن أعربا عن يقينهما من أهمية وضرورة اللقاء الذي سبق واتفقا حول أهميته منذ لقاؤهما الاول على هامش قمة العشرين في هامبورغ في العام الماضي، نظرا لتراكم الكثير من المشكلات والقضايا العالقة بين البلدين، منذ ما قبل تقلد الرئيس ترامب مهام منصبه في البيت الابيض، وهو الذي طالما أطلق الكثير من الوعود خلال حملاته الانتخابية حول عزمه تحسين علاقاته مع موسكو، وقال أنه لا ينوي اغلاق الأبواب أمام مواصلة الحوار مع نظيره الروسي بوتين، مؤكدا أن ذلك لا يخدم وحسب مصالح البلدين، بل قضايا الأمن والسلام العالميين.

الإتفاق حول عقد القمة المرتقبة، اعتراف ضمني من الجانبين بالاستعداد لتقديم التنازلات المتبادلة، وإن كانت الظروف الدولية تقول إن الوقت لم يحن بعد للكشف عن المدى الذي يمكن ان يقطعه كل من الجانبين على هذا الطريق، وكذلك عن الموضوعات والقضايا التي يمكن ان تكون محل نقاش وجدل في هذا الصدد. المراقبون في معظمهم، يقولون ان قمة هلسنكي لن تسفر سوى عن «مجموعة من اعلانات النوايا «للاستهلاك المحلي والدولي»، وإن كان هناك من يقول انها يمكن ان تصل الى اتفاق حول تشكيل مجموعات عمل سوف يُعْهَد اليها الدراسة والفحص والبحث عن حلول للقضايا الخلافية. وثمة من يعيد الى الاذهان قمة ترامب مع زعيم كوريا الشمالية، التي حاول الرئيس الأمريكي ان يضفي على نتائجها الكثير من «الايجابيات» التي لم ير العالم منها بعد، سوى انها كانت اعلانا عن «نزع فتيل المواجهة والتوتر» بين الرئيسين والبلدين، بمساعدة صينية روسية.

عموما، الحوار الذي ينتظر العالم بدايته في هلسنكي، يعتبر في حد ذاته انجازا. بل وهناك ما يشير الى ان الاتفاق على موعد عقد القمة يبدو اضافة الى مكاسب بوتين. وكان الرئيس الروسي رفض موعد ١٥ يوليو الذي عرضه الأمريكيون بسبب عدم امكانية ان يظل ترامب بعيدا عن الولايات المتحدة مدة ثلاثة ايام بعد قمة بروكسل وزيارته بريطانيا، وهو ما اضطر الى قبوله نزولا على «اصرار» بوتين على البقاء في موسكو في هذا التاريخ الذي يوافق موعد اختتام بطولة العالم لكرة القدم-٢٠١٨ التي نظمتها روسيا باقتدار غير مسبوق، ونجاح منقطع النظير.

هذا الحوار سوف تنصده الى جانب العلاقات الثنائية، الازمات الاقليمية ومنها الاوضاع في اوكرانيا وفي سوريا والاتفاق حول البرنامج النووي الايراني. وثمة من يقول ان هذه الملفات يمكن ان تحمل بين طياتها ما يقال حول «آليات الانفراج»، واحتمال ان يكون منها ما يمكن ان يروح «ضحية التنازلات المتبادلة»، على غرار ان يسلم ترامب بمصالح روسيا في سوريا وخروج قواته من هناك، مقابل تنازلات من جانب موسكو فيما يتعلق بالملف الايراني، في

حدود المسائل المتعلقة بوجود فصائل الحرس الثوري في سوريا والحد من رغبات اقامة قواعد ايرانية هناك، مع تأمين قوى المعارضة السورية. وكانت صحيفة «واشنطن بوست» كتبت تقول ان اتفاقا غير معلن جرى التوصل اليه بين روسيا والولايات المتحدة واسرائيل حول الاعتراف ببقاء بشار الاسد رئيسا لسوريا، مقابل ان تضمن روسيا «الحد من النفوذ الايراني» في سوريا. وفي هذا الصدد نقلت الصحف الروسية ما أشارت اليه كثير من الصحف الامريكية والبريطانية ومنها «واشنطن بوست»، و«نيويورك تايمز»، و«انديبندينت» حول استكانة الرئيس الامريكي لنجاحات بوتين في توطيد علاقاته مع كل بلدان منطقة الشرق الاوسط، بغض النظر عن خلافاتها وتناقضاتها الداخلية، ومنها تركيا وايران واسرائيل. اما عن الازمة الاوكرانية فيقول مراقبون روس إنها لم تكن من اولويات ترامب خلال حملاته الانتخابية، وهو الذي وعد بتحسين العلاقات مع روسيا دون ربط ذلك باعادة القرم الى أوكرانيا، فضلا عن قوله خلال لقاء مع المستشارة الالمانية ميركل، ان «الازمة الاوكرانية مسؤولية الاتحاد الاوروبي».

واذا كان هناك من يقول ان القمة المرتقبة تصب في مصلحة الرئيس الروسي وتدعم مواقفه على خريطة السياسة الاقليمية والدولية، وذلك صحيح الى حد كبير، فان الواقع يقول أيضا ان ما جرى ويجري من أحداث يأتي في وفاق مع ما أعلنه ترامب من سياسات تصب في مجملها لصالح ما يتخذه من قرارات على الصعيد الداخلي ويدعم مواقفه في مواجهة خصومه قبيل الانتخابات النصفية للكونجرس في نوفمبر الماضي. وذلك ما يؤكد ارتفاع نسبة شعبيته ولم يكمل نصف ولايته الاولى. وكان ترامب قد حقق الكثير على صعيد «ترويض» العديد من فرسان الساحات السياسية في أوروبا، بما يخدم مصالح المؤسسة الصناعية العسكرية وكبريات الشركات والمؤسسات الامريكية في أوروبا ومنطقة الشرق الاوسط، في توقيت مواكب لدعم علاقاته مع أبرز نجوم المعسكر الشرقي في روسيا والصين وكوريا الشمالية.

ونقلت وكالة «انترفاكس» عن دميتري بيسكوف الناطق الرسمي للكرملين ما قاله نقلا عن الرئيس بوتين حول ان روسيا على استعداد للمضي في طريق تطوير العلاقات مع الولايات المتحدة بنفس الدرجة التي تبدو واشنطن على استعداد لها. وكانت صحيفة «موسكوفسكس كومسوموليتس» قد استطلعت آراء بعض مشاهير الخبراء والمعلقين الروس والاجانب تجاه النتائج المتوقعة من القمة المرتقبة ومنهم الخبير الالمني في الشؤون الروسية الكسندر رار الذي قال انه «إذا لم نتوقع تحقيق أهداف عالية جداً، ولم نستسلم لأوهام احتمالات تطبيع العلاقات بين البلدين، فانه يمكن توقع تحقيق النجاح في هذا الاجتماع. اما الأهم فهو أن الأجواء في العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا يمكن أن تتغير. هناك إمكانية لاتفاقات بشأن سوريا ونزع السلاح».

ومضى رار ليقول «هناك احترام متبادل بين ترامب وبوتين. سيكون حديثا قاسيا، لكن لدى كل من الجانبين مساحة للحلول الوسط. السياسيون في بريطانيا وألمانيا، يخشون بحق من احتمالات تنازلات من جانب ترامب لروسيا. ففي السنوات الماضية، ولأسباب مختلفة، قاموا ببناء موقف سلبي تجاه روسيا. وهم يخشون أن لا يتصرف ترامب في مصلحة هذه النخب التي تحكم أوروبا».

اما فيدور لوكيانوف رئيس تحرير مجلة «روسيا في السياسة العالمية»، ورئيس مجلس شؤون السياسة الخارجية والدفاع المعروف بعلاقته الوثيقة مع الخارجية الروسية، فقد اشار الى انه لا ينبغي توقع اختراقات، إذا كان كل ما تبقى على الاجتماع أسبوعين فقط فإن الحد الأقصى الذي يمكن تحقيقه هو ترسيم حدود معينة لما ينبغي التحدث عنه. إذا حدث ذلك وتم اعتماد وثيقة، فسيكون ممكنا القول إن الاجتماع كان ناجحاً. واستطرد لوكيانوف ليشير الى اقراره بمدى تأثير تطورات الاوضاع الداخلية في الولايات المتحدة على مباحثات القمة المرتقبة بين بوتين وترامب، وإن قال بضرورة عدم الافراط في تضخيم مثل هذه الظاهرة، مؤكدا ان ترامب يركز معظم اهتمامه بالدرجة الاولى على الاقتصاد العالمي رغبة من جانبه في تغييره لصالح بلاده، بما يعني ضمنا انه يولي روسيا الاهمية التي تعادل قدر تأثيرها على الاقتصاد العالمي. ورغم صحة تقديرات لوكيانوف فان الواقع الراهن يقول إن ذلك لا يمكن ان يكون القول الفصل، نظرا لان روسيا تظل لاعبا محوريا على خريطة القوى الجيوسياسية وهو ما يقر به العالم كله بما فيه الولايات المتحدة. ومن هذا المنظور تحديدا يمكن قياس المدى الذي يمكن ان تذهب اليه نتائج قمة هلسنكي في السادس عشر من يوليو الجاري.

هل من الممكن أن تتأقلم التعددية؟

*جين بيسانى فييري

بروجيكت سنديكيت : ٢٠١٨/٧/٨

في أواخر التسعينيات، وبعد فجوة دامت ثمانية عقود من الزمن، بدأت عملية إعادة توحيد الاقتصاد العالمي. وكان الانفتاح الاقتصادي هو التوجه السائد. وانطلق تحرير التمويل. وسرعان ما بدأت شبكة الإنترنت الوليدة تعطي كل إنسان على كوكب الأرض القدرة على الوصول إلى المعلومات. وإدارة الاعتماد المتبادل المتزايد التنامي، جرى تطوير مؤسسات دولية جديدة. وبعثت الحياة في منظمة التجارة العالمية. وتم للتو إبرام اتفاق المناخ الملزم، بروتوكول كيوتو.

وكانت الرسالة واضحة: فالعولمة لم تكن تعني تحرير التدفقات من السلع، والخدمات، ورؤوس الأموال فحسب، بل كانت تعني أيضا تأسيس القواعد والمؤسسات اللازمة لتوجيه الأسواق، وتعزيز أواصر التعاون، وتسليم المنافع العامة العالمية.

والآن، نعود إلى الوقت الحاضر في عام ٢٠١٨. على الرغم من عشر سنوات من المحادثات، لم تصل مفاوضات التجارة العالمية التي بدأت في عام ٢٠٠١ إلى أي نتيجة. فقد تفتتت شبكة الإنترنت وربما تزداد تفككا. وأصبحت الإقليمية المالية في صعود. وتعتمد الجهود العالمية المبذولة لمكافحة تغير المناخ على مجموعة من الاتفاقيات غير الملزمة، والتي انسحبت منها الولايات المتحدة.

صحيح أن منظمة التجارة العالمية لا تزال قائمة، لكنها أصبحت غير فعالة على نحو متزايد. ويحاول الرئيس الأمريكي دونالد ترمب، الذي لا يخفي ازدراءه للقواعد التعددية، عرقلة نظام تسوية المنازعات التابع لها. وتتظاهر الولايات المتحدة، ضد كل الأدلة بأن الواردات من شركة بي إم دبليو تشكل تهديدا للأمن القومي. وتؤمر الصين بقسوة - خارج أي إطار متعدد الأطراف - بزيادة وارداتها، وخفض صادراتها، وقطع إعانات الدعم، والامتناع عن شراء شركات التكنولوجيا الأمريكية، واحترام حقوق الملكية الفكرية. ويبدو أن مبادئ التعددية، وهي إحدى الركائز الأساسية للحوكمة العالمية، أصبحت من بقايا ماض بعيد.

ماذا حدث؟ إنه ترمب بكل تأكيد. لقد خاض الرئيس الأمريكي الخامس والأربعين حملته الانتخابية وكأنه ثور هائج في متجر للخزف الصيني، فأخذ على عاتقه تدمير صرح النظام الدولي الذي بناه وصانه كل الرؤساء الذين سبقوه منذ فرانكلين روزفلت. ومنذ تولى منصبه، كان حريصا على الوفاء بتعهداته، فانسحب من الاتفاق الدولي لتو الآخر وفرض تعريفات استيراد على الأصدقاء والأعداء على حد سواء.

مع ذلك، علينا أن نواجه الحقيقة: فلم تبدأ مشاكل اليوم مع ترمب. فلم يكن ترمب هو الذي قتل مفاوضات كوبنهاجن في عام ٢٠٠٩ حول اتفاق المناخ. ولم يكن ترمب المسؤول عن فشل جولة الدوحة التجارية. ولم يكن ترمب هو الذي طلب من آسيا أن تنسحب من شبكة الأمان المالي العالمية التي يديرها صندوق النقد الدولي. فقبل ترمب كان التعامل مع المشاكل أكثر تهديبا وتأديبا، لكن المشاكل كانت قائمة.

التفسيرات كثيرة. ومن بين أكثرها أهمية أن العديد من المشاركين في النظام الدولي مترددون في تقييم أثر العولمة. فالتصور الشائع على نطاق واسع في الدول المتقدمة هو أن ريع الإبداع التكنولوجي تاكل بسرعة كبيرة. فكان عامل المصنع في الولايات المتحدة بالأمس مدينا لمستواه المعيشي لهذا الريع. ولكن كما أظهر رجل الاقتصاد ريتشارد

بولدوين ببراعة في كتابه "التقارب العظيم"، أصبح الوصول إلى التكنولوجيا أكثر سهولة، وجرى تقسيم علميات الإنتاج، واختفت أكثر مصادر الربح.

يذهب تفسير ثانٍ إلى أن الاستراتيجية الأمريكية في التعامل مع روسيا والصين كانت فاشلة. ففي تسعينيات القرن العشرين، تصور الرئيس جورج بوش الأب ومن بعده بيل كلينتون أن النظام الدولي قد يساعد في تحويل روسيا والصين إلى "ديمقراطية السوق". ولكن لم تتقارب روسيا ولا الصين سياسياً. صحيح أن الصين تتقارب في ما يتصل بالنتائج المحلي الإجمالي والتطور العلمي والتكنولوجي، لكن نظامها الاقتصادي يظل متباعداً. وكما زعم مارك وو من جامعة هارفارد في بحث نُشر له في عام ٢٠١٦، فرغم أن قوى السوق تلعب دوراً قوياً في الاقتصاد، فإن التنسيق من قبل الدولة (وسيطرة الحزب الشيوعي) يظل متغلغلاً. وقد اخترعت الصين قواعد اقتصادية خاصة بها.

ثالثاً، الولايات المتحدة ليست على يقين من أن النظام القائم على القواعد يوفر أفضل إطار لإدارة تنافسها مع الصين. صحيح أن النظام المتعدد الأطراف ربما يساعد القوة المهيمنة القائمة والقوة الصاعدة في تجنب الانزلاق إلى ما يسمى "فخ ثوسيديديس" (المواجهة العسكرية). لكن التصور السائد في الولايات المتحدة هو أن التعددية تفرض من القيود على سلوكها أكثر مما تفرضه على الصين.

وأخيراً، تبدو القواعد العالمية عتيقة على نحو متزايد. ففي حين لا تزال بعض مبادئها - بدءاً بالفكرة البسيطة المتمثلة في التعامل مع القضايا على نحو تعددي بدلاً من النهج الثنائي - قوية كما كانت في أي وقت مضى، فإن بعضها الآخر كان مصمماً لعالم لم يعد موجوداً. والواقع أن ممارسات التفاوض التجاري الراسخة لم تعد منطقية في عالم سلاسل القيمة العالمية والخدمات المتطورة. كما بدأ تصنيف الدول وفقاً لمستويات التنمية يفقد جدواه، وذلك لأن بعضها يجمع بين شركات عالمية من الطراز الأول وجيوب من التخلف الاقتصادي. لكن القصور الذاتي لا يزال قوياً، وإن لم يكن ذلك إلا لأن الإجماع مطلوب لتغيير القواعد.

ما العمل إذن؟ يتلخص أحد الخيارات في الحفاظ على النظام القائم إلى أقصى حد ممكن. وكان هذا هو النهج الذي جرى تبنيه بعد أن سحب ترمب الولايات المتحدة من اتفاقية باريس للمناخ: فلا يزال الموقعون الآخرون ملتزمين بها. والميزة في هذا الأسلوب أنه يحتوي الضرر الناجم عن السلوك الغريب من قبل دولة واحدة. لكن بقدر ما يُعد سلوك الولايات المتحدة عَرَضاً، فإن نهج الحفاظ على النظام القائم لا يعالج المرض.

ويتمثل خيار ثانٍ في استخدام الأزمة كفرصة للإصلاح. إذ ينبغي للاتحاد الأوروبي، والصين، وبعض الدول الأخرى - بما في ذلك كما نأمل الولايات المتحدة عند نقطة ما - أن تأخذ زمام المبادرة في إنقاذ جوانب التعددية القديمة التي لا تزال مفيدة، ولكن مع دمجها في ترتيبات جديدة أكثر عدالة ومرونة وملاءمة لعالم اليوم.

وتتمثل الميزة في هذه الاستراتيجية في تحديد واستيعاب الدروس المستفادة من استنفاد الترتيبات التقليدية وظهور ترتيبات جديدة. لكن هل يتوفر القدر الكافي من الزعامة والإرادة السياسية للذهاب إلى ما هو أبعد من التسويات الفارغة لإنقاذ ماء الوجه؟ مكن الخطر هنا هو أن الإصلاح الفاشل قد يؤدي إلى التفكيك الكامل للنظام العالمي.

في النهاية، لا يتمثل الحل في تشجيع الحنين إلى نظام الأمس ولا في غرس الأمل في أشكال مفككة وغير فعّالة من التعاون الدولي. إذ يتطلب العمل الجماعي الدولي القواعد، لأن المرونة وحسن النية وحدهما لا يكفيان لمعالجة المشاكل العصبية. ويتمثل المسار الضيق إلى الأمام في تحديد متطلبات الحد الأدنى من العمل الجماعي الفعّال، على أساس كل حالة على حدة، وصياغة التوافق بشأن الإصلاحات التي تلبي هذه الشروط. ولا شك أن أولئك الذين يؤمنون بوجود هذا المسار، يعلمون أنهم لا يملكون ترف إهدار الوقت في البحث عنه.

أوهام الخلافة وأحلام السياسة

*د. مصطفى الفقي

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/٧/٨

استهلكت قضية الخلافة في التاريخ الإسلامي المعاصر قدراً كبيراً من الجهد والوقت وخلقت من الصراعات أكثر مما صنعت من حوارات وظلت دائماً هاجساً يبدو حلماً لدى كثيرين ممن يرون ارتباطاً بين عصور الإسلام الزاهرة ومفهوم الخلافة، أي إنها قضية تاريخية أكثر منها دينية، وإذا بدأنا بالعام الأول للفتنة الكبرى، فإننا نتذكر حواراً بين معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص يخاطب فيه معاوية عمراً بقوله: (إن ما نفعه إنما هو لوجه الله ورسوله) فيرد عليه عمرو بن العاص بدهائه المعهود قائلاً: (ويحك يا معاوية! إن ما نفعه إنما هو لدنيا نطلبها ونبتغي الجاه فيها).

وهذا الحوار البسيط يجسد إلى حد كبير كيفية استغلال رسالة الإسلام في خدمة أغراض دنيوية وتوظيفها في صراعات حياتية لا تتوقف، ولعلنا نضرب أمثلة أخرى:

أولاً: بعد سقوط حكم آل عثمان وانهيار دولة الخلافة التي ظلت تحتضر لأكثر من قرن كامل تحت مسمى (رجل أوروبا المريض) فإن التطلع إلى وراثة العثمانيين قد ظهر بشكل واضح، وانعقدت مؤتمرات للخلافة في لندن بل وفي الهند وغيرها من العواصم التي يعيش فيها مسلمون وظهرت قوى ثلاث يرى كل منها الأحقية في الخلافة وأولهم الهاشميون من أبناء (الشريف حسين) الذي كان قابلاً في قبرص يعاني الإحباط بسبب الخديعة التي مارسها عليه البريطانيون الذين حارب في صفوفهم في الحرب العالمية الأولى في ظل وعود كاذبة وأوهام تبخرت مع انتصار الحلفاء ووصولهم إلى الغايات التي حاربوا من أجلها، والفصيل الثاني من المتطلعين للخلافة الإسلامية ولو بشكل مختلف هم (آل سعود) في نجد والحجاز بعد أن بسط (عبدالعزیز الكبير) سلطانه الكامل على الجزيرة العربية، أما المنتظر الثالث فكان هو (الملك فؤاد) حفيد محمد علي وعاهل مصر الذي زينته له سلطته ذلك الحلم في أكبر دولة عربية باعتباره وريث محمد علي ذلك الحاكم القوي في مصر والشام وأطراف الحجاز.

ولقد استبد الوهم بالملك فؤاد إلى أن جاءت اللطمة الكبيرة من خلال الصفعة القوية التي وجهها الشيخ علي عبدالرازق الصعيدي المنشأة، الإسلامي التربية، الفرنسي الثقافة، حيث أصدر كتابه الشهير (الإسلام وأصول الحكم) ليبعد لدى الملك ما كان يتوهمه أو يتوقعه لذلك كان العقاب شديداً خصوصاً من جانب الأزهر الشريف الذي جرد ذلك الشيخ المستنير ابن المنيا في صعيد مصر من لقبه ودرجته العلمية تملقاً للملك فؤاد وتأكيداً لحجم الصدمة التي أصابت العرش الملكي في مصر.

ثانياً: لم يقف الأمر عند هذا الحد بل إنه امتد إلى الملك فاروق بن فؤاد حيث زين له البعض أن يكون خليفة للمسلمين حتى أطلق الملك لحيته وظل يكرر أدبيات الإخوان المسلمين وبعض القطاعات السلفية بشكل لا ينم عن عمق في الدراسة، أو فهم صحيح للإسلام.

ثالثاً: وصل الفاروق إلى العرش صغيراً فزين له بعض معاونيه ومستشاريه بل وخدمه المحيطين به التعلق بأهداب الخلافة، ولقد حدث في القمة العربية الأولى في مدينة (إنشاص) ما يمكن أن نعول عليه إذ دفعت المراسم الملكية بالفاروق لكي يؤم المصلين من ملوك ورؤساء في إشارة إلى أحقية مصر في الخلافة إذ إن حفيد محمد علي هو الأجدر بها، وهكذا ظل حلم الخلافة يراود العائلات الكبرى خصوصاً في مصر والشام الكبير والمملكة العربية السعودية.

رابعاً: إننا نعلم جيداً أن الإسلام يتدخل في أحوال تابعيه منذ سنوات الطفولة الأولى مروراً بالزواج والطلاق ويتطرق إلى شؤونهم مؤكداً أن الدين المعاملة لذلك فإننا نرى في الدين تنظيمًا لأسلوب الحياة، أي اشتباكاً مع المجتمع وليس تدخلاً في السياسة والحكم كما يتوهم البعض خصوصاً أن تاريخ الحضارة العربية الإسلامية لا يرى الخلافة من منظور ديني، ولكنه يراها من منظور تاريخي بحت، فقصور الخلفاء ومباهج الحياة في بعض مظاهر التاريخ الإسلامي هي مسائل حياتية حيث يدخل الشعراء يدهنون الحاكم، والمغنون يلعبون على أوتار مشاعره فهي في النهاية ملك عضود، وباستثناء حكم الخلفاء الراشدين لا نجد امتداداً حقيقياً للخلافة الإسلامية إلا في ومضات عابرة لعلنا نضيف إليها خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز لذلك فإننا نرى أن الذين قالوا بأن (الحاكمية لله) إنما كانوا يتحدثون عن أوهام لا ترقى إلى مرتبة الأحلام، فالله هو الخالق الذي ترتفع مكانته عن شؤون الدنيا ومقاصد الحياة.

خامساً: إن الذين قالوا بأن الدين علاقة بين الخالق والمخلوق أي بين الله والإنسان كانوا هم أكثر الناس شفافية وقدرة على رؤية المستقبل واستشراف ما هو قادم، والذين درسوا الفلسفة الإسلامية يعرفون أن نقطة الانطلاق لدى المتصوفة هي الاعتراف بوحداية الله والذوبان في عشقه سبحانه وتعالى، ولحسن الحظ فإنه لا كهانة في الإسلام ولا وساطة إلا لمن ابتغى من الله الوسيلة، فالدين يقوم على التسامح والمحبة ورحابة الصدر وسعة الأفق كما أن عنصر الإرادة لدى الإنسان لا يبدو معطلاً حتى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)، فالله يعلم المستقبل ولكنه لا يلغي إرادة الإنسان والعقل لذلك فالخلافة هي صناعة دينوية وليست إرادة إلهية.

إنني أكتب في هذا الموضوع المهم تحديداً بسبب تصاعد نغمة الحديث المتكرر عن نعيم دولة الخلافة وجسيم الدولة المدنية، وذلك أمر يبدو أبعد ما يكون عن روح الدين وتعاليمه الحقيقية.. إن الدين لله وإن الوطن للجميع.

هل يحتاج التعاون الدولي إلى قيم مشتركة؟

*نايري وودز

بروجيكت سنديكيت: ٢٠١٨/٧/٨

إن إقامة أنظمة التوفيق المتبادل التي تعمل على تسهيل تحقيق المصالح المشتركة أمر ممكن، وإذا لم تعد المنظمات الدولية الراسخة محل ثقة بالقدر الكافي للقيام بهذه المهمة، فربما تحتاج الولايات المتحدة وأوروبا إلى ترتيبات محلية جديدة.

بين النزاعات التجارية المتصاعدة والانقسامات في قمة مجموعة الدول السبع هذا الشهر، بات انهيار الحكم العالمي واضحاً بدرجة صارخة، فلم يعد من الممكن الاعتماد على الولايات المتحدة لدعم القواعد القائمة، ناهيك عن إنفاذها، ولم يعد بوسعنا أن نفترض أن الدول في عموم الأمر تتفق على مجموعة مشتركة من المعايير، ناهيك عن الالتزام بها. هل يعني هذا أن العالم القائم على القواعد محكوم عليه بالفشل؟

على مدار العقود السبعة الماضية، كانت القيم الديمقراطية تؤسس للجهود التي قادتها الولايات المتحدة وأوروبا لتعميق التعاون الدولي، ومنذ نهاية الحرب الباردة، عندما ادعى الغرب انتصار الديمقراطية الليبرالية، كان القادة الأمريكيون والأوروبيون يستشهدون في كثير من الأحيان بالقيم المشتركة في مننديات مثل منظمة حلف شمال الأطلسي ومجموعة الدول الكبرى السبع (التي كانت معروفة باسم مجموعة الدول الكبرى الثماني قبل تعليق عضوية روسيا في عام ٢٠١٤ بعد خرقها لتلك القيم في أوكرانيا).

لكن العالم تغير، فلم تعد روسيا في احتياج إلى أن تكون جزءاً من نادي "المنتصرين" في الحرب الباردة لتعزيز مصالحها الجيوستراتيجية، ولم تكن الصين عضواً في هذا النادي قط، لكنها رغم ذلك ارتفعت إلى مرتبة القوى العالمية الكبرى، والواقع أن هذه الدول، جنباً إلى جنب مع غيرها من الاقتصادات الناشئة الكبرى، تتحدى على نحو متزايد الهيمنة الجيوسياسية التي تصور الغرب أنه نجح في تأمينها.

ومع ذلك فإن التحدي الأكثر قوة يأتي من داخل الغرب ذاته، حيث تكتسب القوى السياسية المعادية للمؤسسة، في الولايات المتحدة وأوروبا، الدعم من خلال تحدي القيم وأشكال التعاون التي ظلت مقبولة لفترة طويلة.

من المؤكد أن الغرب لم يتخل عن مفهوم القيم المشتركة، على الرغم من تصويت المملكة المتحدة للخروج من الاتحاد الأوروبي والدبلوماسية الأمريكية الأحادية والتعريفات التجارية في عهد الرئيس دونالد ترامب، فبعد محاولة ترمب منع المواطنين من سبع دول ذات أغلبية مسلمة من دخول الولايات المتحدة، قالت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل إن ذلك القرار "غير مبرر". وكانت تتحدث في مؤتمر صحفي إلى جانب رئيس الوزراء السويدي ستيفان لوفين، الذي وصف القرار بأنه "مؤسف للغاية". ثم أشار لوفين إلى أن السويد وألمانيا "تتشاركان قيماً أساسية" وأكد على "الدور المهم الذي يؤديه الاتحاد الأوروبي في تعزيز القيم وحقوق الإنسان". ومن جانبها، استشهدت ميركل بأهمية القيم المشتركة في الاستجابة لتحديات مثل الإرهاب الدولي.

ولكن من الحماقة أن تتصور القوى الأوروبية أنها تستطيع أن تعتمد على القيم المشتركة لتحقيق التعاون الدولي، تماماً كما كان من الحماقة أن يعتقد الغرب أن الانضمام إلى عضوية منظمة التجارة العالمية من شأنه أن يحول الصين على نحو ما إلى ديمقراطية ليبرالية. فمن غير المرجح أن تتمكن الدول الأوروبية من إقناع الصين، أو روسيا، أو إدارة ترامب، بتبني نظرتها للعالم.

هذا لا يعني أن التعاون الدولي صار مستحيلاً، ولا يعني أن الدول لم يعد لديها اختيار غير أن تسلح نفسها استعداداً لعصر قادم من التحالفات المختلة، أو الصراعات بالوكالة، أو حتى الحرب، بل يعني بدلاً من ذلك أن التعاون لا بد أن يكون راسخاً في المصالح الاستراتيجية الطويلة الأجل لا القيم المشتركة، ويتحتم على دول العالم الآن أن تحدد مصالحها الاستراتيجية الطويلة الأجل وكيف تتداخل (أو لا تتداخل) مع مصالح الآخرين وما هي أنظمة التوفيق المتبادل التي قد تساعد في تعزيز هذه المصالح.

في تقييم المصالح المشتركة، تُعد التجارة منطقة واضحة تدعو إلى القلق، ولا شك أن التعريفات التي فرضها ترامب على الواردات من الصلب والألمنيوم تحظى بشعبية على الأقل بين بعض المنتمين إلى قاعدته الجماهيرية، لكنها أثارت غضب أقرب حلفاء أمريكا، الذين شرعوا في اتخاذ تدابير انتقامية بالفعل.

يتوقع خبراء الاقتصاد أن تتسبب تعريفات إدارة ترامب في خسارة أكثر من ٤٠٠ ألف وظيفة في الولايات المتحدة- وهي الخسارة التي تترجم إلى ١٦ خسارة في مقابل كل وظيفة يجري إنقاذها في صناعات الصلب والألمنيوم، ومن الواضح أن هذا النهج لا يصب في المصالح الاستراتيجية طويلة الأجل لأي طرف، حتى لو قدم فوائد سياسية قصيرة الأجل.

ويجب أن تركز نظرة الدول لمصالحها الاستراتيجية على التكنولوجيا. الآن، تتنافس شركة غوغل مع شركة علي بابا لاجتذاب أفضل مهندسي الكمبيوتر في العالم، وكثيرون منهم أوروبيون، من أجل الفوز في سباق السيطرة على بيانات العالم، وتطوير الحوسبة الكمية (التي سيعتمد عليها الجيل التالي من التشفير) لإنشاء تطبيقات أكثر ربحية للذكاء الاصطناعي.

لقد أصبح الأوروبيون يعتمدون على مثل هذه الشركات، وجميعها في الصين أو أمريكا، ومع ذلك، كانت أوروبا تركز على فرض القيم المشتركة في قطاع التكنولوجيا- في الأساس من خلال تعزيز الضوابط التنظيمية التي تحكم خصوصية البيانات- بشكل أكبر من تركيزها على تطوير استراتيجية طويلة الأجل لتمكينها من المنافسة، ومن الممكن أن يساعد تعريف مثل هذه الاستراتيجية أوروبا في تحديد مجالات التوفيق المتبادل.

المجال الثالث الذي ينطوي على إمكانية التعاون الاستراتيجي هو مساعدات التنمية والاستثمار في أشد دول العالم فقرا وأكثرها هشاشة، وهذا التعاون ضروري لمحاربة الإرهاب، والاتجار بالبشر والهجرة. ولكن هنا أيضا، تعمل الدول ضد مصالحها، حيث تواصل الولايات المتحدة وأوروبا خفض ميزانيات المساعدات وتحاول السيطرة على الهجرة على الحدود.

في هذه الأثناء، تدير الصين استثمارات كبرى في الدول الأكثر فقرا، ولكن بطرق تعتبرها الولايات المتحدة وأوروبا ممارسات بغيضة، ففي حين تتعامل الولايات المتحدة وأوروبا مع قضية التنمية من منظور خفض الفقر والحكم الرشيد، تعطي الصين أولوية أعلى لدعم تطوير البنية الأساسية كجزء من سياسة صناعية، بل إنها استحوذت على مشاريع البنية الأساسية في دول منطقة اليورو المتعثرة مثل البرتغال واليونان، وهو التحرك الذي يعكس الافتقار إلى الفكر الاستراتيجي على الجانب الأوروبي.

ولكن من غير المرجح أن ينجح أي من النهجين في غياب التوفيق المتبادل، وهذا هو مضمون النتائج التي توصلت إليها في أبريل لجنة LSE-Oxford بشأن هشاشة الدول، والنمو، والتنمية، والتي يترأسها رئيس الوزراء البريطاني السابق ديفيد كاميرون، وكما يزعم تقرير اللجنة، تحتاج كل القوى الكبرى إلى تبني نهج أكثر واقعية وصبرا ولا يركز على قوائم طويلة من أهداف مستحيلة، بل على الاحتياجات والقدرات المحلية.

في خطوة واعدة نحو التوفيق الاستراتيجي، أنشأت الصين وكالة التعاون الدولي لكي ترافق مبادرة الحزام والطريق الطموحة التي أطلقتها البلاد، وستسمح الهيئة الجديدة للمساعدات بأن "تؤدي دورها المهم في دبلوماسية القوى العظمى". والآن تحتاج الولايات المتحدة وأوروبا إلى بذل المزيد من الجهد لتطوير أهدافهما الاستراتيجية طويلة الأجل والبحث عن طرق جديدة لتحقيق التعاون على المستوى الدولي.

إن إقامة أنظمة التوفيق المتبادل التي تعمل على تسهيل تحقيق المصالح المشتركة أمر ممكن، وإذا لم تعد المنظمات الدولية الراسخة محل ثقة بالقدر الكافي للقيام بهذه المهمة، فربما تحتاج الولايات المتحدة وأوروبا إلى ترتيبات محلية جديدة. على سبيل المثال، اقترح وزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق هنري كيسنجر إنشاء منصب دائم داخل البيت الأبيض لإدارة العلاقات مع الصين، ومع استمرار تدهور الإدارة العالمية القائمة على القيم، تصبح الحاجة إلى مثل آليات التفاعل المستمر هذه شديدة الإلحاح.

* العميدة المؤسّسة لكلية بلافاتيكتيك للإدارة الحكومية في جامعة أكسفورد

«فيسبوك»... مشكلة الموقع أم المستخدم؟

صحيفة (واشنطن بوست) : ٢٠١٨/٧/٨

نيكولاس كار: إن الشيء الوحيد الأسوأ من الوجود على «فيسبوك» هو عدم المشاركة على «فيسبوك». وتلك هي النتيجة الوحيدة الواضحة التي يمكننا استخلاصها من الجدالات الأخيرة المتعلقة بالشبكة الاجتماعية الأشهر على مستوى العالم.

وعلى الرغم من انتهاكات الخصوصية، وعلى الرغم من قذائف الأكاذيب والشتائم والسباب، وعلى الرغم من الانتقادات الحادة من السياسة والصحافة، لا يزال «فيسبوك» قادراً على امتصاص قدر هائل من وقت البشر واهتمامهم. وأظهر التقرير المالي الأخير للشركة، والصادر في أعقاب فضيحة «كامبريدج أناليتيكا»، وحملة (إلغاء «فيسبوك» - DeleteFacebook)، أن «فيسبوك» قد اجتذب ملايين الأعضاء الجدد خلال الربع الأول من العام الحالي، مع ارتفاع مبيعات الإعلانات عبر الموقع. وأصبح «فيسبوك» أحد أفضل الأصدقاء والأعداء في الوقت ذاته. وفي كتابها المعنون «الإعلام المعادي للمجتمع» يقدم البروفسور سيفا فيدياناثان، من جامعة فيرجينيا، طرحاً كاملاً ودقيقاً عن خطايا «فيسبوك» وأخطائها. وأغلب هذه الانتقادات معروفة لأي شخص يتابع أخبار شركة «فيسبوك». لكن ما يميز كتاب البروفسور فيدياناثان هي مهارته الفذة في عرض ظاهرة الإعلام الاجتماعي عبر سياق قانوني، وتاريخي، وسياسي أوسع.

ويوضح البروفسور فيدياناثان في كتابه، على سبيل المثال، لماذا كان طرحنا ونقاشنا بشأن خصوصية البيانات ضحلاً وضئيلاً للغاية، ذلك لأن الرؤية الأمريكية للخصوصية تشكلت من واقع حظر التعديل الدستوري الرابع لما يعرف بـ «عمليات البحث والضبط غير المعقولة» ولأننا نميل إلى التعامل مع الخصوصية من زاوية الاصطلاحات القانونية الضيقة: ما نفعله سراً محمي من أعين المتطفلين وما نفعله جهراً متاح للفحص والمراقبة. والآن، المعلومات الشخصية التي كان الناس يحتفظون بها داخل أدرج مكاتبهم الشخصية صارت متاحة على المشاع عبر الخزانات السحابية للشركات العملاقة، وبالتالي تلاشى تماماً التمييز القانوني القديم بشأن الخصوصية الشخصية. وصار كل شيء متاحاً للرصد والفحص والمراقبة.

ويُفتقد من البعد القانوني أي حس بالعواقب الأخلاقية من خلال متابعة الحياة الطبيعية ونحن تحت المراقبة المستمرة. ونحن لا نرى أن وضعنا تحت الرصد، والفحص، والتصنيف قد يعتبر مناقضاً للكرامة الإنسانية. وانصرافنا عن البعد الأخلاقي للخصوصية يناسب شركة «فيسبوك» وغيرها من الشبكات الاجتماعية إذ يمكنهم التعاطي مع مخاوف الخصوصية من خلال اللغة التعاقدية الغامضة وخانات الاختيار التي لا نهاية لها، الأمر الذي يقلل من المسألة إلى مجرد مسألة اختيار للمستهلك. ونجد أنفسنا في مواجهة الخصوصية بصفتها سلعة يمكن تداولها في مقابل التطبيقات والمواد الترفيهية.

وتعد انتقادات البروفسور فيدياناثان حادة غير أنها متوازنة. فهو يكشف عن بعض المزاغ الأكثر تطرفاً حول تأثير وسائل الإعلام الاجتماعية على الرأي العام. ولقد خلص إلى القليل من الأدلة التي تؤيد الفكرة الشائعة القائلة إن خطط التلاعب بالناخبين عبر الإنترنت التي تديرها الأطراف الخارجية لها تأثير حاسم على نتائج تصويت الخروج البريطاني داخل بريطانيا أو في الانتخابات الرئاسية الأمريكية لعام ٢٠١٦.

غير أنه يقول إن «فيسبوك» وأمثالها من المنصات الاجتماعية تعمل على الحط من قدر السياسة على أي حال. والرسائل التي تنال أكبر قدر من الاهتمام على وسائل التواصل الاجتماعي مستهدفة وبشدة، وهي دعوات مشحونة بالعاطفة للغاية، وليست حججاً منطقية بحال. ولم يعد من الضروري أن يطرح المرشح السياسي «رؤية عامة للحكومة أو المجتمع». وفي عصر المراسلات الدقيقة للقوة الإلكترونية الغاشمة، فإن الحزبية تتفوق كثيراً على الحنكة السياسية، الأمر الذي يؤدي إلى تقويض مهارات صناعة السياسات. و«فيسبوك» هي «أسوأ المنتديات التي يمكن من خلالها إدارة الحوار السياسي»، كما يقول البروفسور فيدياناثان. لكنه، بكل أسف، هو المنتدى الذي توافد عليه العامة والخاصة من كل حذب وصوب.

وتفاقت المشكلة من خلال ممارسات «فيسبوك» لتخصيص الموظفين في شتى الحملات السياسية بغية ضمان استخدام المرشحين لبياناتهم وإعلاناتهم بأكثر الطرق الفاعلة الممكنة. ويقول البروفسور فيدياناثان، إن المستشارين المدرجين لدى «فيسبوك» قد لعبوا دوراً مركزياً بشكل خاص في صياغة الإعلان الإلكتروني الخاص بالسيد دونالد ترمب خلال السباق لرئاسي لعام ٢٠١٦. ولقد أداروا الحملة صوب نوع من الرسائل الملتهبة والمرهقة بصرياً والتي تثير المشاعر وتنتشر على نطاق واسع عبر مختلف أرجاء الشبكة. واستفادت شركة «فيسبوك» مادياً من أرباح مبيعات المزيد من الإعلانات، واستفاد السيد ترمب من جذب المزيد من أصوات الناخبين، والمزيد من المتطوعين والمساهمين. ومن خلال «التقاء المصالح»، كما أشار البروفسور فيدياناثان، حصل السيد ترمب على ميزة متقدمة للغاية.

لا يعتبر كتاب «الإعلام المعادي للمجتمع» كتاباً مفعماً بالأمل. ولا يعتقد البروفسور فيدياناثان في إمكانية إصلاح «فيسبوك» من الداخل، إلا أن الرئيس التنفيذي مارك زوكربيرغ قد واصل الاعتذار والتعهد بتحسين الأداء. وكتب البروفسور فيدياناثان في كتابه يقول «إن المشكلة مع (فيسبوك) هي (فيسبوك) ذاته». ولا يقتصر الأمر على أن الشركة تحقق الأرباح من خلال بيع المستخدمين إلى الجهات المعلنة. بل تكمن المشكلة في أن الشركة قد صارت ضخمة للغاية لدرجة صار من المحال لديها التخلص من الأشخاص المتسلقين الذين يستمرون في شروهم حتى بعد التسبب في الأضرار العميقة. ويخلص البروفسور فيدياناثان إلى أن «فيسبوك» قد أصبح أكبر من محاولات الترويض. وسوف تستمر الشركة في جهود التنظيف، وتواصل توسل مغفرتنا عن تلك الخطايا والزلات.

وإن كان كتاب «الإعلام المعادي للمجتمع» يحمل طابعاً أكاديمياً، فإن كتاب «عشرة أسباب لإلغاء حساباتك على مواقع التواصل الاجتماعي فوراً» من تأليف عالم الحواسيب جaron لانبيه، الذي صار أحد أبرز المنشقين عن «سيليكون فالي»، يهدف إلى إقناع القراء بأن «فيسبوك»، و«تويتر»، وغيرهما من منصات التواصل الاجتماعي المختلفة هي بيئات فاسدة للغاية، وآثارها مدمرة جداً على المستويين الشخصي والاجتماعي، وأننا في حاجة ملحة إلى الابتعاد عنها تماماً، وبسرعة» إذ يقول البروفسور لانبيه في كتابه إن «الانسحاب التام هو الخيار الوحيد للتغيير المنشود».

ويعتبر جaron لانبيه أن وسائل الإعلام الاجتماعي من أنظمة التلاعب التي تحط من قدر كل من يتردد عليها. وكلما زاد مقدار المعلومات التي نقدمها عن أنفسنا، تحسنت أساليب تلك المواقع في توجيه أفكارنا وآرائنا. والمهمة الجوهرية لشركة مثل «فيسبوك»، كما يقول، هي تعديل السلوك. فالشركة لا تجمع فقط البيانات التفصيلية للغاية عن عادات وتفضيلات المستخدمين، وإنما هي تدير أيضاً كماً هائلاً من التجارب التي تهدف إلى تحديد نوعية الرسائل وغيرها من المحفزات التي من الأرجح لها أن تجذب الانتباه، وتثير ردود الفعل القوية، وتحفز الاستهلاك القسري للمعلومات. وغني عن القول، أن هذه النوعية من أساليب الهندسة النفسية المعقدة والمتطورة هي ذات أهمية كبيرة للجهات الإعلانية التي تسعى لبيع المنتجات إلينا. كما أنها ذات قيمة كبيرة ومماثلة للناشطين السياسيين، سواء كانوا شرعيين أو غير شرعيين، والذين يهدفون إلى تشكيل آرائنا ووجهات نظرنا.

ونظراً لأن هذه الأساليب غامضة علينا، إذ تتعامل شركات التواصل الاجتماعي مع تلك اللوغاريتمات على أنها من الأسرار التجارية الخاصة، فنادرًا ما ندرك الطرق المستخدمة في التلاعب بنا. وبما أن البرمجيات تمارس المزيد من التأثير على ما نراه وعلى طرق التفكير، فإننا نبدأ في فقدان الإرادة الحرة وإحساسنا بالتفرد، ونعجز عن مجرد التفكير لأنفسنا، فإننا ننحرف في طريق القبلية العميقة، ونسلم هويتنا الذاتية لإحدى القوى البدائية للطبيعة البشرية، ونعيد تأسيس الهويات من خلال المشاركة في التفكير الجمعي وإرغام وإجبار أولئك الذين يحملون أفكاراً تختلف عن أفكارنا.

التكنولوجيا الكبرى مشكل عويص

*كينيث روغوف

بروجيكت سنديكييت: ٢٠١٨/٧/٨

يعتقد المجتمع الاستثماري الدولي أن الشركات التكنولوجية الكبرى - أمازون وأبل وفيس بوك وجوجل ومايكروسوفت - قد نمت بشكل كبير وأصبحت غنية وقوية بما فيه الكفاية، حيث أضحي من الصعب على رجال القانون والسياسيين مراقبتها، هذا ما توصل إليه مجتمع المستثمرين الدوليين بشأن تقييمات التكنولوجيا العالية للغاية. ولكن في حين أن هذا قد يكون خبرا سارا بالنسبة للقلة التكنولوجية، لكن من غير الواضح إن كان جيدا بالنسبة للاقتصاد.

ولكي نكون منصفين، في العقود الأخيرة، كان الاقتصاد في الولايات المتحدة فخورا بقطاع التكنولوجيا، فقد كان بمثابة منبع للابتكار. وتعد سرعة وقوة محرك البحث في جوجل مذهلة، مما يساعدنا في الحصول على معلومات استثنائية. تتيح المحادثة عبر الإنترنت للأصدقاء والأقارب وزملاء العمل والتفاعل وجهاً لوجه مع النصف الآخر من العالم بتكلفة بسيطة للغاية.

ومع ذلك، ورغم كل هذا الابتكار، لا تزال سرعة نمو الإنتاجية في الاقتصاد بطيئة. يصف العديد من الاقتصاديين الوضع الحالي بأنه "لحظة سولو الثانية"، إشارة إلى ملاحظة عام ١٩٨٧ الأسطورية لخبير الاقتصاد في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا روبرت سولو: "يمكنك أن ترى عصر الكمبيوتر في كل مكان باستثناء إحصاءات الإنتاجية".

هناك العديد من الأسباب وراء بطء نمو الإنتاجية، وليس أقلها عقداً من الاستثمار الضعيف في أعقاب الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨. والأكثر إثارة للقلق، أن شركات التكنولوجيا الخمس الكبرى أصبحت شاملة ومهيمنة ومربحة للغاية، مما يجعل من الصعب على الشركات الناشئة تحديها، وبالتالي خنق الابتكار. في السابق، تمكن كل من الفيسبوك وجوجل من التغلب على مايكسبيس وياهو، وكان ذلك قبل أن تصل تقييمات التكنولوجيا إلى القمة، مما يمنح الفاعلين الراسخين ميزة تمويل هائلة.

وبفضل استثماراتهم العميقة، يمكن لشركات التكنولوجيا الكبيرة أن تلتهم أي شركة جديدة تهدد خطوط الأرباح الأساسية. وبطبيعة الحال، لا يزال بإمكان رجل أعمال شاب مقدام رفض الاحتكار، لكن القول أسهل من الفعل. ليس الكثير من الناس شجعان بما فيه الكفاية (أو حمقى بما فيه الكفاية) لرفض مليار دولار اليوم على أمل الحصول على المزيد في وقت لاحق. يكمن الخطر في استخدام عمالقة التكنولوجيا جيوشها الضخمة من المبرمجين لتطوير منتج مماثل، والدفاع عنه من خلال مواردهم القانونية الواسعة.

قد تزعم شركات التكنولوجيا الكبرى أن جميع رؤوس الأموال التي تصب في منتجات وخدمات جديدة تساعد على تعزيز الابتكار. ومع ذلك، في العديد من المجالات، يكون الهدف هو إضعاف المنافسة المحتملة.

والجدير بالذكر أن شركات التكنولوجيا الكبرى لا تزال تستمد معظم إيراداتها من المنتجات الأساسية لشركاتها - على سبيل المثال، أبل أيفون، و ميكروسوفت أوفيس، ومحرك بحث جوجل. ومن الناحية العملية، من المرجح أن يتم القضاء على التكنولوجيات الجديدة المدمرة كما يتم تعزيزها.

وقد حققت بعض التكنولوجيات عدة نجاحات. تعرف شركة ديب مايند البريطانية للذكاء الاصطناعي، والتي اشترتها جوجل مقابل ٤٠٠ مليون دولار في عام ٢٠١٤، نموا ملحوظا. اشتهرت ديب مايند بتطوير برنامج "جو" Go الذي هزم أفضل لاعب في العالم، والتي دفعت الجيش الصيني لبدء جهد شامل لقيادة الذكاء الاصطناعي. ولكن على العموم، تعد ديب مايند استثناءا.

تكمّن المشكلة بالنسبة للهيئات التنظيمية في أن الأطر القياسية لمكافحة الاحتكار لا تنطبق في عالم تكون فيه التكاليف بالنسبة للمستهلكين (بشكل أساسي في شكل بيانات وخصوصية) غير شفافة. لكن هذا عذر ضعيف لعدم تحدي الشركات المنافسة للمنافسة نسبياً، مثل استحواذ الفيسبوك على الانستغرام (مع شبكته الاجتماعية المتنامية بسرعة) أو استحواذ جوجل على خدمة الخرائط "ويز".

ربما يكون التدخل الأكثر إلحاحاً هو إضعاف قبضة الشركات التكنولوجية الكبرى على بياناتنا الشخصية، والتي تسمح لجوجل وفيسبوك بتطوير أدوات إعلانية مستهدفة تسيطر على أعمال التسويق. لقد أشار رجال القانون الأوروبيون إلى أحد السبل الممكنة إلى إيجاد حل، بينما لم يتخذ نظراؤهم الأمريكيون أي إجراءات بهذا الشأن. ويطالب قانون حماية البيانات العامة الجديد للاتحاد الأوروبي الشركات بالسماح للمستهلكين - وإن كانوا فقط في الاتحاد الأوروبي - بتسليم بياناتهم.

في كتابهما الأخير الذي يحمل عنوان "الأسواق المتطرفة"، يعتقد كل من الاقتصاديين غلين وييل وإيريك بوزنر أنه يجب على الشركات التكنولوجية الكبرى دفع المال مقابل الحصول على بياناتك الشخصية، بدلاً من المطالبة بها لاستخدامها الخاص. ومن الناحية العملية، فمن المؤكد أن للمستهلكين الأفراد الحق في معرفة البيانات الخاصة بهم التي يتم جمعها وكيفية استخدامها.

وبطبيعة الحال، يحتاج الكونغرس والهيئات التنظيمية في الولايات المتحدة إلى كبح جماح "الشركات التكنولوجية الكبرى" في العديد من المجالات الرئيسية الأخرى أيضاً. على سبيل المثال، يمنح الكونغرس حالياً الشركات على مواقع الإنترنت ممراً بصفة مجانية لنشر أخبار مزيفة. وفي حال لم تُقيد منصات الشركات التكنولوجية الكبرى بمعايير تتماشى مع تلك المطبقة على المطبوعات والإذاعة والتلفزيون، ستبقى التقارير المتعمقة وفحص الحقائق بلا فائدة. هذا أمر سيئ لكل من الديمقراطية والاقتصاد.

يتعين على المنظمين والسياسيين في منطقة الشركات التكنولوجية الكبرى اتخاذ إجراءات حاسمة. لطالما كان ازدهار الولايات المتحدة يعتمد على قدرتها على تسخير النمو الاقتصادي إلى الابتكار القائم على التكنولوجيا. ولكن في الوقت الحالي، تعد الشركات التكنولوجية الكبرى جزءاً من المشكلة بقدر ما تمثل جزءاً من الحل.

النظام الدولي.. إلى أين؟

*د. أحمد يوسف أحمد

صحيفة (الخليج) الإماراتية: ٢٠١٨/٧/٨

تأرجحت البنية القيادية للنظام الدولي بين بنية تعددية دامت قروناً حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، مع تغيرات في موازين القوى من حين لآخر، وبنية ثنائية شهدت احتكار الوظيفة القيادية في النظام الدولي من قبل قوتين عظميين تناقضت أيديولوجيتهما وتوازنت قواهما، ما جعل استحالة الحرب المباشرة بينهما سمة أساسية لنموذج القيادة في ذلك النظام، فكانت الحرب الباردة بينهما والحروب بين حلفائهما بالوكالة عنهما سمتين أساسيتين لنموذج التفاعلات بينهما، ثم تكفل جورباتشوف اعتباراً من منتصف ثمانينيات القرن الماضي ومطلع تسعينياته بوضع نهاية للكيان السوفييتي، مما مهد لانفراد الولايات المتحدة بقيادة العالم. وبدا هذا الملمح شديد الوضوح حين أقدمت على غزو العراق في ٢٠٠٣ ضاربة عرض الحائط بالأمم المتحدة، وكانت هذه الحالة التي شهدت فورة الانتشاء باحتكار القيادة هي بداية الانعطاف إلى وضع التعددية الطبيعي، وإن اختلف المحللون في تقدير الدرجة التي وصل إليها. غير أنه من الواضح في السنوات الأخيرة أن التحولات التي يمكن أن يشهدها النظام الدولي لن تقف عند هذا الحد، وإنما ثمة اتجاهات أخرى بالغة الأهمية قد تسفر عن تغيرات حقيقية فيه، أواخر منها الثلاثة الآتية:

يتعلق الاتجاه الأول بانشقاق ظاهر في التحالف الغربي يحدث للمرة الأولى بهذه الدرجة نتيجة سياسات ترامب، وقد كانت نذر هذا الانشقاق بادية منذ الحملة الانتخابية لترامب حين عزف كثيراً نغمة أن شركاء حلف شمال الأطلسي (الناتو) لا يتحملون نصيبهم العادل من العبء المالي للحلف، وبعد أن فاز أمكن لوزير خارجيته السابق في أول اجتماع وزاري يحضره للحلف أن يهدئ الأمور إلى أن تفجر الخلاف من باب آخر هو السياسات الحمائية لترامب التي أفضت إلى بدء حرب تجارية بين أمريكا وحلفائها الغربيين كالاتحاد الأوروبي وكندا، ومن المؤكد أن طرفي الحرب سوف يخسران معاً، لكن نتيجتها سوف تكون بالغة الدلالة على بنية القوة في النظام الدولي. ويذكر أن قوة عالمية كالصين طرف في الحرب بما يصعب احتمال حسمها لمصلحة الولايات المتحدة.

ومن الأهمية بمكان أن هذه الحرب تضرب سياسات العولمة في الصميم إن لم تكن قد ضربتها بالفعل، وهي السياسات التي كانت الولايات المتحدة راعيتها الأساسية.

ويرتبط الاتجاه الثاني بالأول، فقد ترتبت على السياسات غير المألوفة لترامب اعتراضات دولية واضحة، كما حدث في انسحابه من اتفاقية المناخ الذي لاقى استهجاناً دولياً، واعترافه بالقدس عاصمة لإسرائيل الذي أفضى إلى هزائم دبلوماسية لواشنطن في الأمم المتحدة، وترتب على ذلك نفورها من المحافل الدولية التي لا تستطيع فرض إرادتها عليها، فانسحبت من «اليونسكو» ومن مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، وهو نفور متبادل، إذ استبعدت الدول الأعضاء في منظمة الهجرة الدولية مرشحاً ترامب لإدارتها، ساحبين من الولايات المتحدة سلطتها التاريخية على الهيئة. ويعني هذا أن ثمة اتجاهات متبادلاً للعزلة بين الولايات المتحدة والعالم فلا هي تريده إن لم ينصع لتوجهاتها، ولا هو يريد لها إن أصرت على مواصلة تجاهل مصالح دوله.

أما الاتجاه الثالث والأخير، فهو صعود اليمين المتطرف في أوروبا وما يمكن أن يترتب عليه من آثار دولية هامة، وقد بدا أن هذا الصعود محصور في البداية في دول أوروبية غير رئيسية، كالمجر وبولندا والنمسا، لكن هذا التيار مثل تهديداً حقيقياً لبنية السلطة القائمة في فرنسا وألمانيا، ثم تحول التهديد إلى أمر واقع في إيطاليا، وها نحن نشهد الأزمة الأوروبية الحالية حول قضية الهجرة بعد أن أضيف الثقل الإيطالي إلى أصحاب المواقف المتشددة إزاءها. والمشكلة أن اليمين الأوروبي المتطرف يتبنى مواقف معادية تجاه الاتحاد الأوروبي، ما يعني أن استمرار هذا التيار في الصعود سوف يحمل أنباء غير سارة لمشروع التكامل الأوروبي. ومن ناحية أخرى فإن الهيمنة المحتملة لهذا التيار قد تعني رأب الصدع الذي سبقت الإشارة إليه في التحالف الغربي ولو جزئياً، نظراً لإعجاب أنصاره بسياسات ترامب، بل إنهم معجبون أيضاً بسياسات بوتين، ما يعني أن هيمنة اليمين المتطرف على السلطة في أوروبا ستقود انقلاباً في النظام الدولي.

إخضاع الخصوم: "الحروب السياسية" .. تغيرات استراتيجية .. إرغام الدول .. وقت السلم

مركز الأهرام للدراسات: ٢٠١٨/٧/٩

عرض: محمد محمود السيد- باحث متخصص في الشؤون العربية: تطورت أساليب الحروب وأدواتها عبر التاريخ، فكانت تغدو في كل مرحلة تاريخية أكثر تعقيداً من حيث الأدوات، وأكثر فتكاً بحيوات البشر. وقد كان الشغل الشاغل للإنسان هو كيف يخوض حرباً ينتصر فيها، بعد أن يُوقع أكبر قدرٍ من الخسائر في صفوف العدو، ويخرج هو بأقل خسائر ممكنة. وهو الأمر الذي انتهى في نهاية المطاف بظهور ما يُسمى "الحروب السياسية". وفي هذا الشأن، أصدرت مؤسسة "راند" الأمريكية للأبحاث عام ٢٠١٨، كتاباً بعنوان: "الحروب السياسية الحديثة: الممارسات الحالية والاستجابات المحتملة"، قام بإعداده مجموعة من الباحثين. ويتضمن مراجعة تاريخية لتجربة الولايات المتحدة مع الحروب السياسية، وتقييماً جاداً لبعض دراسات الحالة التي استُخدمت فيها بشكل واسع أدوات الحروب السياسية. ويقدم المؤلفون توصيات للحكومة الأمريكية من أجل تطوير قدراتها الاستراتيجية على ردع تهديدات أمنها القومي، ومواجهة الحروب السياسية التي تُثار ضدها.

مفهوم "الحروب السياسية":

يركز الكتاب على تحليل ظاهرة الحروب، كممارسة سياسية، تقوم بها الدولة والفواعل السياسية الأخرى من غير الدول. وينطلق من تعريف الدبلوماسي الأمريكي "جورج كينان" في عام ١٩٤٨ مع بداية الحرب الباردة لمصطلح "الحرب السياسية"، حيث عرّفها بأنها "توظيف كافة الوسائل - خلال وقت السلم - لتحقيق الأهداف الوطنية للدولة، من خلال عمليات علنية وسرية، تتراوح بين إدارة التحالفات السياسية واتخاذ التدابير الاقتصادية، وصولاً إلى تشجيع عناصر المعارضة السرية في الدول المعادية".

ويرى المؤلفون أن الحرب السياسية ليست سوى مصطلح واحد من بين عدة مصطلحات تصف حالات الصراع التي لا تدخل حيز الحروب التقليدية. فالمحللون الصينيون استخدموا مصطلح "الحرب غير المقيدة"، أما الروس فقد تداولوا مسمى "القوة الناعمة" و"حرب الجيل الجديد"، أما الولايات المتحدة فقد أسست لعدد من المصطلحات، منها: "نزاعات المنطقة الرمادية" و"الحرب الهجينة" و"الحرب غير المتماثلة" و"الحرب غير النظامية".

وكان المصطلح الأخير هو الذي تم اعتماده في العقيدة العسكرية الأمريكية من قبل وزارة الدفاع، والغرض الأساسي من طرح هذه التسميات الجديدة، هو التركيز والتأكيد على العناصر غير العسكرية وغير القاتلة لهذا الشكل من أشكال الحروب.

بالطبع يمكن استخدام مثل هذه العناصر في الحروب التقليدية العادية، لكن التركيز عليها يسمح لنا بالكشف عن قدرات صناع القرار على افتعال الصراعات وإضعاف الخصوم وزعزعة استقرارهم، وأحياناً تعطيلهم، وخلق عواقب أكثر دراماتيكية، مثل ضم روسيا "شبه جزيرة القرم" بشكل سريع ودون اللجوء إلى حرب شاملة.

الحروب السياسية الأمريكية:

يشير الكتاب إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية قد مارست الحروب السياسية في وقتٍ مبكر من تاريخ تأسيسها، وحتى قبل التأسيس، ولكنها أصبحت رائجة خلال حقبة الحرب الباردة، حيث استخدمت واشنطن مجموعة واسعة

من التدابير السياسية والثقافية والإعلامية والاقتصادية، وذلك من خلال عدد من المؤسسات، مثل: وكالة الولايات المتحدة للمعلومات USIA، والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية USAID، ووزارة الخارجية، ووكالة الاستخبارات المركزية.

ومن بين التدابير التي استخدمتها الولايات المتحدة في محاربة الشيوعية، كانت الجهود الاجتماعية، حيث تم دعم عدد من المؤلفين والفنانين والمجلات، بالإضافة إلى إذاعة "صوت أمريكا". وكذلك تدابير اقتصادية شملت تقديم مساعدات طويلة الأمد للدول والأحزاب السياسية والنقابات والتنظيمات الأخرى. ناهيك عن التدابير السرية التي شملت عمليات اغتيال، والتي صارت مقيدة بعد ذلك من قبل الكنيسة ولجنة تحقيقات "بايك". وبسبب هذه التحقيقات، أصدر الرئيس جيرالد فورد عام ١٩٧٦ قراراً يحظر على أي مؤسسة أمريكية القيام بأي نوع من أنواع الاغتيالات السياسية، وقد أكدت الأوامر التنفيذية اللاحقة هذا الحظر.

وبعد الحرب الباردة، تم تفكيك العديد من المؤسسات الأمريكية، مثل وكالة المعلومات USIA، وتم تخفيض التمويل المالي والبشري لكل من وزارة الخارجية ووكالة الأمريكية للتنمية الدولية، ولكن في أواخر التسعينيات، تم بذل جهود لإعادة إحياء بعض هذه التدابير، من حيث الإبقاء على الإذاعات والتليفزيونات الأمريكية في الخارج، وتطوير نموذج جديد للديموقراطية وبرامج اقتصادية عبر "الصندوق الوطني للديمقراطية NED" و"مؤسسة تحدي الألفية MCC".

حروب الجيل الجديد:

تناول الكتاب كيف استخدمت روسيا أدوات الحرب السياسية، وهو ما ظهر جلياً في مواجهة دول البلطيق بعد حادث "الجندي البرونزي" عام ٢٠٠٧ (هي الأزمة التي جاءت عقب إعلان الولايات المتحدة عن نيتها نشر أجزاء من نظام دفاعها الصاروخي في كل من جمهوريتي التشيك وبولندا، وبدأت الأزمة فعلياً عندما تمت إزالة النصب التذكاري للجندي السوفيتي الواقع في قلب العاصمة الأستونية "تالين"، والذي يمثل ذكرى مشاركة القوات السوفيتية في الحرب العالمية الثانية).

ويشير إلى أن روسيا تؤكد أن أنشطتها كانت دفاعية بامتياز، وجاءت كرد فعل لممارسات الولايات المتحدة. فهي ترى أن الأنشطة الأمريكية، سواء التي تتعلق بتعزيز الديمقراطية في بعض أنحاء العالم، أو دعم المجتمع المدني ووسائل الإعلام المفتوحة، ما هي إلا أدوات للحرب السياسية التي تهدد موسكو في كثير من الأحيان. ويُضيف الكتاب أن "حروب الجيل الجديد" بالنسبة لروسيا تعتمد بشكل أساسي على فرض النفوذ الاقتصادي، واستخدام مفهوم الوكالات الاجتماعية، واختراق وسائل الإعلام. وأن موسكو استثمرت بكثافة في الدعاية كإحدى أدوات الحرب السياسية، ولكن ليس عن طريق إقناع الخصوم والمحايدين بوجهة نظرها، بل عن طريق عمليات التشويش والتضليل المعلوماتي والإعلامي.

فخلال الأزمة الأستونية عام ٢٠٠٧، اعتمدت روسيا على السياسة الانتهازية بدلاً من نهج "حروب الجيل الجديد". وبعبارة أخرى، استخدمت روسيا التدابير الدعائية الموجهة ضد خصومها، ثم ما لبثت أن استغلت كافة أدوات الحرب السياسية التي تمتلكها في هذه المواجهة.

الحروب بالوكالة:

وعن الأساليب الأخرى للحرب السياسية، يشير الكتاب إلى استخدام إيران مجموعة واسعة من الأدوات دون اللجوء للحروب التقليدية وذلك لتحقيق أهدافها السياسية الإقليمية. ويشير إلى أن تصريحات كبار المسؤولين هناك توثق لأبرز ملامح التوجهات الرسمية الإيرانية فيما يتعلق بأدوات إدارة معاركها الإقليمية.

وبينما تركز الكثير من الأدبيات السياسية على دراسة مؤسسات الحرب في إيران، كالحرس الثوري الإيراني وفيلق القدس، فإن الكتاب يتناول تفصيلاً مضمون البرامج السياسية والثقافية والإعلامية والاقتصادية التي تستخدمها طهران في مدّ نفوذها وشراكاتها حول العالم. وتناول أيضاً تفاصيل تطوير إيران لميليشياتها في العراق وسوريا، لتصبح بمثابة قنوات للتأثير الديني والسياسي والعسكري.

وقد توصل المؤلفون إلى أن استراتيجية "القوة الناعمة" الإيرانية تركز بشكل كبير على التأثير الثقافي والسياسي والديني، كرافعات رئيسية وقوية. وهي تستخدم مداخل مختلفة للتأثير على مختلف الفئات، سواء كانوا شيعة أو سنة، أو عرباً أو كرداً. وأن طهران تستخدم شبكة عالمية من المنظمات الثقافية والإعلامية ذات التأثير الواسع، وتقوم بدعمهم مادياً. ويعتبر "فيلق القدس" جزءاً من هذه الشبكة.

وتقوم إيران بتوظيف ميليشياتها العسكرية على مرحلتين: الأولى من خلال دفعهم إلى حروب بالوكالة في جبهات عسكرية لتحقيق أهداف سياسية، وبعد تثبيت أقدام هذه الميليشيات في ساحات المعركة، تأتي المرحلة الثانية، وهي منح صفة الديمومة لتواجد هذه الميليشيات في تلك الساحات، عن طريق عمليات إحلال وتجديد دائمة في صفوفها. وأن استخدام طهران لوكلاء عرب في سوريا (الميليشيات العراقية والقوات شبه العسكرية التابعة لحزب الله) له نفس أهمية التدخل العسكري المباشر بالنسبة لها.

فاعلية وسائل التواصل الاجتماعي:

اكتسب تنظيم داعش شهرة واسعة بسبب ممارساته الوحشية وقدرته على إدارة المناورات العسكرية. ومع ذلك، فقد تميز أيضاً بالفتنة والابتكار في استخدام أدوات وتدابير الحروب غير العسكرية، بما في ذلك وسائل الإعلام الاجتماعية (للمساهمة في عمليات الدعاية والتجنيد) وتطبيق سياسات وتكتيكات اقتصادية على المناطق المسيطر عليها، والعمل على تخويف السكان الأصليين من بطش التنظيم. ومن خلال تحليل ما تم العثور عليه من وثائق التنظيم التأسيسية، إضافة إلى تحليل المحتوى الدعائي الذي نشره التنظيم على صفحاته على مواقع التواصل الاجتماعي، باللغتين العربية والإنجليزية، توصل الكتاب إلى أن إعلان "الخلافة" من قبل التنظيم جاء -في المقام الأول- لتوحيد المقاتلين الإسلاميين المتطرفين تحت راية واحدة، وتعزيز عمليتي الدعاية والتجنيد. وأن التنظيم يجرّد المجندين الجدد من هوياتهم القديمة، بحجة إبعادهم وإنقاذهم من طريق "الضلال".

وبعد أن اعتمد تنظيم داعش على موقع "تويتر" كمنبر رئيسي على شبكة الإنترنت، تم حظر معظم الحسابات التابعة له، ولكن التنظيم امتلك مرونة كبيرة في عملية الاتصالات، وتصدير رسائله الإعلامية، من خلال تنويع مصادر بثه الإعلامي، وعمل نسخ احتياطية من تلك الرسائل والبيانات على أكثر من موقع. ويشير الكتاب إلى أن تنظيم داعش استهدف فئات مختلفة من الجماهير بأنماط مختلفة من الرسائل. ففي رسائله التي تم بثها باللغة العربية، استخدم تعبيرات عنيفة ولغة انفعالية، وهو ما يتغير بشكل جذري في المحتوى الذي كان يقدمه باللغة الإنجليزية، والذي كان أكثر تحفظاً.

خصائص عدة:

من خلال استعراض دراسات الحالة السابقة، ينكشف أن هناك مجموعة من السمات الرئيسية التي تُشكل ظاهرة الحرب السياسية، وكذلك هناك مجموعة من القيود التي تحد من فاعلية أدوات هذه الحرب“ فهناك بيئات يصعب فيها استخدام تكتيك الحرب السياسية، وهي التي يفتقد فيها الخصم للمصادقية والشعبية، والتي يتمتع فيها المجتمع بالمرونة على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وعلى ذلك يمكن تلخيص أبرز خصائص الحرب السياسية فيما يلي:

- ١- يمكن للفاعلين السياسيين من غير الدول أن يصلوا إلى مستويات غير مسبقة في ممارسة الحروب السياسية.
- ٢- تستخدم الحروب السياسية كافة عناصر القوة الوطنية.
- ٣- غالباً ما تعتمد الدول في حروبها السياسية على قوات وأدوات غير مُحددة المصدر أو الجهة.
- ٤- ساحة المعلومات هي واحدة من أبرز معارك الحروب السياسية، والتفوق فيها يمنح صاحبه قدرة متزايدة على حسم الحرب لصالحه.
- ٥- هناك أكثر من تكتيك لإدارة حرب المعلومات، وتتراوح بين التضخيم والتشويش، والإقناع في بعض الأحيان. ولكن يجب أن نعرف أن تقديم الأدلة المقنعة في الوقت المناسب هو أفضل "ترياق" للتضليل.
- ٦- لكي تتمكن الدول -في مرحلة مبكرة- من الكشف عن الحروب السياسية التي تُدار ضدها، يجب أن تستثمر موارد كبيرة في العمليات الاستخباراتية.
- ٧- بالطبع يمكن أن تُولد الحروب السياسية حزمة من العواقب التي لم يكن من المقصود تحقيقها.
- ٨- غالباً ما تُفضّل الدول الكبرى استخدام "النفوذ الاقتصادي" باعتباره أحد أهم أسلحتها في الحروب السياسية.
- ٩- تستغل بعض الدول الأزمات العرقية أو الدينية لإحداث انشقاقات حادة داخل الدولة الخصم، وذلك خلال مراحل الحروب السياسية.
- ١٠- غالباً ما تشغل الحروب السياسية مدى زمنياً أطول من الحروب التقليدية، كما يمكن من خلالها أن تُلحق بخصمك آثاراً تدميرية أعمق وبتكلفة أقل.

مواجهة التهديدات:

لم يكن الكتاب معنياً بتحليل وتفصيل المصالح الاستراتيجية الأمريكية في الوقت الحالي، ولكنه ركز على تحليل المتطلبات الأساسية لاتباع نهج غير عسكري وفعال وغير مُكلف، قادر -في وقت مبكر- على ردع التهديدات المختلفة، أو منع الصراعات من التصعيد، أو التخفيف من آثارها، وفي بعض الحالات قد يعمل هذا النهج على ردع التهديدات الأولية وهي في مرحلة التشكل.

وتعتبر وزارة الخارجية هي القيادة المعينة بصنع السياسة الخارجية وتمثيل مصالح الولايات المتحدة في الخارج. لذا، ومن المنطقي أنها يجب أن تقود أي جهد حكومي يُبذل لمواجهة تهديد خارجي سياسي أو دبلوماسي، وهي المنوطة أيضاً بالتنسيق بين وكالات صنع القرار الأخرى التي يطلب منها الرئيس الأمريكي الاستشارة، حيث يمتلك موظفو الخارجية معرفة متعمقة بتاريخ البلدان وديناميات عمل أنظمتها السياسية والاقتصادية الحالية، وهو الأمر الذي يفتقده موظفو "مجلس الأمن القومي" الأمريكي، والذي يستحوذ حالياً -ومنذ عقدين ماضيين- على قدر كبير من مهام وزارة الخارجية.

وبجانب ضرورة استعادة وزارة الخارجية لدورها التاريخي والتقليدي في مواجهة الحروب السياسية، فقد أشار الكتاب إلى ضرورة تعزيز قدرة الحكومة الأمريكية على العمل المشترك مع الدول الأخرى في مواجهة تحديات الأمن العالمي“ حيث عمليات التخطيط والتنسيق المشترك مع تلك البلدان التي تتعرض بالفعل للعدوان أو التخريب أو الإكراه أو محاولات زعزعة الاستقرار، وهو ما يمنح فاعلية أكبر لجهود ردع الحروب السياسية.

إعادة تفكير في النظام العالمي الجديد

*عاطف الغمري

صحيفة (الخليج) الاماراتية : ٢٠١٨/٧/٩

تعددت في السنوات القليلة الماضية المناقشات تتناول مفهوم «النظام العالمي»، وهل يبقى على حاله الذي اعتاده العالم طوال عقود طويلة ماضية، وأنه مهياً للتغيير بشكل جديد ومختلف؟... وتضمنت التساؤلات المطروحة سؤالاً، عما إذا كانت القوى الغربية وخاصة الولايات المتحدة ما زالت تملك القدرة على فرض استمرارية النظام العالمي بأنماطه القديمة، أم إن التحولات في العالم دولياً وإقليمياً، تحدّ من قدرات القوى التقليدية سواء بناء على رغبتها أو رغماً عنها، على فرض استمرارية النظام الدولي القائم والقديم.

ربما يكون هنري كيسنجر في كتابه «النظام العالمي» world Order، قد استحوذ على الاهتمام، لما حمله من أفكار تحاول تخطي حدود الواقع الراهن، إلى آفاق المستقبل. وإن كانت قد تتابع من ورائه مؤلفات تتجاوز ما عرضه كيسنجر من أفكار.

كيسنجر حاول في كتابه، أن يقدم خبرته كدارس أكاديمي، ثم كسياسي محترف، شغل منصب وزير الخارجية، ومستشار الأمن القومي، لاثنتين من الرؤساء - نيكسون و جيرالد فورد - وأيضاً طوافه بالعالم، والتقاءه بزمعاء العالم.

وهو في كتابه يركز اهتمامه على أمريكا وأوروبا، وأيضاً يتطرق إلى الصين والهند وروسيا، والشرق الأوسط. ويقترب أحياناً من ظواهر حديثة أسماها اللانظام الدولي وليد الفوضى من ناحية، والتفاهم الدولي من ناحية أخرى.

ولا ننسى أن كيسنجر وهو من أنصار ما يسمى في الولايات المتحدة بالواقعية، وهي مدرسة تؤمن بسيادة أمريكا على العالم، لكن بمشاركة آخرين، وباستخدام وسائل القوة الناعمة لدى الولايات المتحدة. وإن كان قد سبق له أن مدّ بصره إلى المستقبل، وقال إن توقعاته ترى أن النظام الدولي القادم سوف يقوم على تعددية القوى على قمة هذا النظام، وأن أمريكا ستكون واحدة ضمن مجموعة قوى تدير النظام الجديد، معترفاً بأن النظام العالمي الراهن قد صاغته أوروبا، وعززت من قوته الولايات المتحدة من أجل مصالحهما.

ويبني كيسنجر رؤيته على قابلية أي نظام دولي للتواءم مع ما جرى من تحولات في مواقع وإمكانات القوى الصاعدة في العالم، ومشيراً كذلك إلى أن تجربة أمريكا في العراق قيدت من حدود قدرة الولايات المتحدة على استمرارية فرض النظام الدولي بما يستجيب فقط لأهدافها.

في المقابل كان كتاب «إعادة التفكير في النظام العالمي الجديد»، للبروفسور جورج سورنسون، قاطعاً في القول بأن مشروعية النظام العالمي الذي يقوده الغرب، قد تراجعت في السنوات الأخيرة. وأن أي نظام عالمي جديد ينبغي أن يعتمد على مفهوم المشروعية، بما يعني تشارك أكثر من دولة في السياسات العالمية، وبمساحة لإسهامها تتسع، بالنظر إلى أن العالم ينتقل بالفعل من نظام إلى آخر.

سورنسون يطرح في كتابه تساؤلات عن طبيعة النظامين القديم والجديد، على ضوء حالة عدم اليقين تجاه ما هو متوقع من أحداث في العالم، وما أسماء هشاشة بعض الدول. وهو ما يعني أوضاع الفوضى التي سادت عدة دول في الشرق الأوسط، والتي استغللتها منظمات الإرهاب لتوسيع وجودها ونشاطها.

ويقول: نحن ندخل مرحلة جديدة، وحيث صار النظام الذي أقامته أمريكا ودول حلف الأطلسي محل تساؤلات عديدة. سورنسون يحدد ثلاثة محاور لبنية النظام الجديد وهي - الظروف الداخلية - والظروف الدولية - والتوزيع العالمي للقوة خاصة فيما يتعلق بالقوة الاقتصادية والاستراتيجية للصين، وصعود دول أخرى في آسيا وأمريكا اللاتينية. وبالتالي يلزم أن يقوم النظام الجديد على تفهم لمنظومة التوزيع العالمي للقوى الدولية. وأن القوة وحدها بمعناها التقليدي لم تعد وسيلة للمحافظة على النظام العالمي، لأن قوة الدولة وحدها لا تكفي إذا لم تكتمل بالمصادقية، والإدارة، لكي يمكن لها قيادة النظام العالمي، ومن ثم لنا أن نتوقع أنماطاً مختلفة لطبيعة النظام العالمي الجديد.

يشير سورنسون إلى ظواهر التفاوت بين الثراء الفاحش لدى قوى غربية، والفقر المدقع في دول في العالم الثالث، في إطار النظام العالمي الذي حرصت فيه الدول التي أقامته على المحافظة على تميزها اقتصادياً وتجارياً. وينصح المؤلف بتخلي الدول المسيطرة، خاصة أننا دخلنا عصراً صارت فيه التحديات الزمنية تطول الجميع وتندق أبوابها دون استثناء. وأن عالم اليوم في أمس الحاجة للتبادلية في المصالح، وإلى نبذ أفكار حتمية الحروب، حتى لو كانت لها نتائج اقتصادية لمصالح بعض القوى الكبرى.

إرادات الشعوب ليست صلصلا بأيدي القوى الكبرى

* محمد الجوادي

الجزيرة/المعرفة: ٢٠١٨/٧/٩

في أحيان كثيرة تنجح حملات الحروب النفسية الدائبة في أن تقنع الرأي العام في الشعوب المظلومة بسطوة وقوة وحتمية جبروت الإمبريالية السافر، القادر على رسم حدود الأوطان وتطويع إرادتها على نحو ما يريده المستعمر، أو على نحو ما تقررته توجهات ساسته أو نزواتهم أو تحالفاتهم المرحلية، أو تطورات استراتيجياتهم المفصلية. ومع تكرار سيطرة هذه الفكرة واستحواذها على الرأي العام ولغة الخطاب الإعلامي/السياسي الموجه إلى الشعوب المستضعفة فقد تحولت معارضتها الجادة إلى نوع من النحت في الصخر، وهكذا ضعفت القوة التي تحلت بها -في العادة أو بحكم الطبيعة- عناصر كثيرة من مقومات المناعة الموروثة لدى الشعوب المستضعفة والأوطان المستهدفة على حد سواء.

بيد أن الحاجة البشرية إلى التدافع أو الصراع الوجودي -متمثلة في حروب البقاء- استبقت للبشرية درجات معقولة من الحرص الصادق على احترام الذات والهوية، وخلقت من آليات التفاعل وردود الفعل ما مكن الإنسانية نفسها -على مدى تاريخها الطويل- من أن تتجنب الانسحاق لقوة العتاد الحربي، وهو الانسحاق الكفيل نظريا بنهاية البشرية والجنس البشري.

ومع هذا، فإن طموحات القوى التوسعية كانت -ولا تزال- تدفع بالصراعات المتجددة إلى زوايا وكواليس الحروب النفسية، التي تجعل فكرة الانهزام تحت شعار الاعتدال الذكي بمثابة أحد البدائل غير المستبعدة. وهكذا كانت فكرة صلصالية الدول الصغيرة تعود من آن لآخر لثقل برأسها في بعض المواقف التي بدت للمتعاملين معها مستعصية على الحسم، ومستعصية أيضا على التفاوض، وكانت هذه الفكرة -وهذا هو موطن الاعتبار- تلقى قبولا لدى المؤمنين أو المقتنعين بصحة نظرية المؤامرة.

ومع أن التاريخ علمنا -بوقائعه المتعددة ومساره المتصل- أن هذه الفكرة (أي فكرة الصلصالية أو القابلية للتشكل) لا تعدو أن تكون أكذوبة كبرى، حتى وإن كانت بعض مكوناتها أضحت بارزة المعالم والتضاريس بصورة واضحة، في حدود وكيانات الدول الحديثة التي كانت قد بدأت تتشكل بوضوح عقب الحريين العالميتين الأولى والثانية، وتتصور نفسها -كما يتصورها غيرها- مكرسة للخلود والتمتع بوجود وحدود وسيادة.

بيد أن المعضلة الحادة -التي واجهت فكرة تشكيل كيانات الدول بقرارات دولية أو فوقية- تمثلت في عدم الاقتناع الذاتي أو انعدام الرضا الداخلي، إذ إن فكرة التشكيل التوافقي ناقضت نفسها بنفسها وجاءها التآكل من داخلها، بل بلغ الأمر عند معارضي آلية التشكيل أن اعتبروا التكوين المتشكل مرتبطا بشخص من أئمه، وهو مستدعى للزوال أو للانفصام بعد وفاة ذلك الدكتاتور الذي أئمه.

وتنبئنا الأدبيات السياسية (بل والروائية أيضا) في الدول التي رفضت قبول استمرار التكوين المتشكل بالسياسة أو الأيديولوجيا المهندسة حدوديا، أن عامة المواطنين في هذه الدول -ومن دون الانخراط في برامج تربية سياسية أو مدنية- كانوا واعين تماما للفكرة القائلة بأن وجود مكون ما في أي تشكيل سياسي لا يعني سيطرته. وإلا كنا كمن يقول عن البيت الأبيض إنه كيان من اللون الأبيض فحسب، مع أن الأبيض ليس إلا لون الطلاء الظاهر لبيت حجري خراساني مؤثث، يرى الكثيرون أن قلبه في معظم أوقاته مفعم بالسواد.

ومن العجيب مرة أخرى أن أكثر من يعتقدون صلصالية الدول -من سكان منطقة الشرق الأوسط التي نعيش فيها- هم المتدينون السلفيون (أو الأصوليون) المتأثرون بالاختراق الفكري البطيء المفعول، من الذين لا يدركون طبيعة الاختراق الفكري ولا خباثته ولا أساليبه.

وهؤلاء -كما نعرف- هم أنفسهم المكونون الفاعلون للطوائف الدينية المتكررة في كل الأديان والمذاهب، والتي تتخذ في خطابها المرجعية المتמاسة مع نصوص الدين الظاهرية أو الشكلائية، ومع عناصر الفضيلة التي ترفع راية أفضلية السلفية أو تفوق الأصولية، وترفض كل ما من شأنه أن يقارب بين أوليات الماضي وآليات الحاضر.

ومن ثم فإن هؤلاء يرحبون فجأة بما هو جاهز على أيدي غيرهم، وكأنهم يريحون ضمائرهم من التورط في التشكيل الفاعل أو المتفاعل، الذي هو في نظرهم عمل لا أصولي.

والواقع أن التاريخ المعاصر -بسخونته وحرارته وغيومه ورياحه- قد علّمنا أن نظرية التكوين المتشكل بالسياسة شهدت انهيارها المدوي بدون سابق إنذار، وكان السبب في غياب الإنذار هو الاعتماد على فاعلية وكفاءة ذلك الستار الحديدي الذي اقترن وجوده هو نفسه بوجود هذه النظرية ثم انهار معها.

وقد جاء هذا الانهيار على صورة لم تستطع كل مراكز الأبحاث أن تتنبأ بها أو أن تتوقعها أو أن تتوقع سرعتها، لكن الصورة نفسها كانت هي الطبيعة الفيزيائية الملازمة لكل الانهيارات في كل الماديات.

وهكذا فإنه -في وقت واحد تقريبا- حدثت الانفراطات الثلاثة في الاتحاد السوفياتي والاتحاد اليوغسلافي وحلف وارسو، ومع أن جوزيف بروز تيتو -وهو رمز الاتحاد اليوغسلافي- كان قد توفي في ١٩٨٠، فإن أحدا لم يكن ليصدق نبوءته المتوقعة لانهيار الاتحاد اليوغسلافي بغيايه، وعجزه هو نفسه عن أن يجد خليفة حقيقيا له، لكن هذا هو ما حدث بصرف النظر عن اعتقاد تيتو تألهه من عدمه.

وقلّ مثل هذا فيما يتعلق بالزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف الذي كان رمزا متجسدا للموت البطيء، أو كان رمزا دالّا على الجمود المستमित، ومع هذا فإن غيابه سرّع وعجّل معدل القبول بالانهيار والتفكير فيه والعمل من أجله. وقد حدث هذا تحت شعارات براقّة لم تنتبه إلى أن إتمام صناعة نسيج القماش السوفياتي لم يتحقق إلا على أشلاء الملايين من البشر الأبرياء، الذين لم يكن لهم ذنب ولم يتحقق لذرياتهم أي عائد من صناعة هذا النسيج السوفياتي العريض.

بعيدا -في الظاهر- عن هذه الدروس الواضحة الدلالة (وقريبا تماما من جوهرها) فإن العقول المعنية بمستقبل منطقة الشرق الأوسط تحاول الآن -على مضض وبشيء من الأرق- أن تحل مشكلاتها السياسية والنفسية والنفوذية، بمحاولة اتباع أي نموذج من نماذج إعادة التشكيل.

وذلك رغم الاستحالة الظاهرية لنجاح مثل هذه الحلول في العصر الذي نعيشه، والذي تحولت البشرية فيه إلى قرية صغيرة. هذا فضلا عن أن المشكلات البنيوية التي تعانيها المنطقة لا ترتبط في تفكيكها بإعادة التشكيل، ولا بإعادة النظر في الديموغرافيا الحاكمة.

ويبدو لي -بوضوح وبلا مبالغة في التبسيط أو الاختزال- أن السبب الرئيسي في ظهور الدعوة إلى مثل هذه الحلول يكمن في سبب طريف، وهو أن الخبراء المعنيين بما وراء الكواليس لا يستحضرون من ذاكرتهم تجارب الحياة المعاصرة، وإنما يستحضرون ما درسوه من كتب تناولت حلولاً قديمة لمشكلات أقدم.

وذلك لأنهم -لأسباب متعددة- لم يطوروا معرفتهم المنهجية بالمشكلات الحديثة نسبيا، ولا بحلولها غير التقليدية التي لم تكن معروفة في الوقت الذي كتبت فيه المراجع التي يعتمدون عليها في التشخيص والفهم ورسم خطط العلاج.

لا أريد أن أقحم على القارئ كثيرا من أمثلة الطب والعلاج، ولكنني أكتفي بنموذج واحد أخصه بطريقة مبسطة وإن كانت غير دقيقة تماما، وهو حالة كانت تُشخص على أنها ورم المعدة الخبيث، وكانت أفضل النصائح الطبية المخلصة تحت المريض على المسارعة باستئصال هذا المرض الخبيث، الذي كان مساره السريع يدفع بالمصاب به إلى الوفاة.

ثم جاء عصر من البحث الطبي الناضج أثبت أن هذا المرض في بداياته لا يتعدى أن يكون التهابا قاسيا وخطرا، يستأهل العلاج السريع والمكثف لكنه لا يستدعي ما كان يستدعيه من باب الروتين: الاستئصال ولا الجراحة.

والحق أن المشكلات الراهنة في منطقتنا لا تبتعد في حقيقتها عن هذه الصورة التي لا تتطلب -في المقام الأول- تغيير السياسات ولا حتى السياسيين، وإنما تتطلب أساسا تغيير الخبراء، وتطوير طريقة الاستماع إليهم وإلى نصائحهم.

فلربما كانت بعض المشكلات هي الحل الأمثل لمشكلات أخرى تبدو مستعصية على الحل، ولربما كانت بعض الحلول المفضلة أو المطروقة هي نفسها ما صعب حل المشكلة أو عقدها، وهذا موضوع حديث آخر بإذن الله تعالى.

خواء الخطاب "الإسلاموي" حيال تركيا ومفارقاته

*عريب الرنتاوي

الحرّة/شبكة الشرق الأوسط للإرسال (أم. بي. أن): ٢٠١٨/٧/٩

كثرة كاثرة من الإسلاميين العرب، جعلت من تركيا العدالة والتنمية "نموذجاً" لها، ومن زعيمها "الكاريزمي" رجب طيب أردوغان "قدوة" و"إماماً"... ومن تابع كتابات هؤلاء وسجلاتهم التي سبقت ورافقت وأعقبت الانتخابات التركية الأخيرة، خصوصاً على وسائل التواصل الاجتماعي، ظن أن فجر "الخلافة" قد بزغ من جديد، وأن أردوغان استحق عن جدارة، لقب "خامس الخلفاء الراشدين".

"طوفان" الادعية والابتهالات للرئيس وحزبه بالفوز على خصومه من علمانيين وملاحدة و"كماليين"، الذي فاض على صفحات "السوشيال ميديا"، أظهر حجم التعلق بالتجربة والرجل، وشكل سداً، حال ويحول، دون الانخراط في أي نقاش حقيقي حول التجربة والزعيم، بما لهما وما عليهما.

ولقد تكشف هذا "الطوفان" عن جملة من المفارقات الصادمة، التي تشفّ عن شقاء العقل "الإسلاموي" وضالته... وتقدم الدليل تلو الدليل، على قدرة "الأيديولوجيا الشمولية المغلقة" على حجب الرؤية عن المصايين بها وتعطيل أبصارهم وبصائرهم عن معرفة الحقيقة وتتبع خيوطها... بل إنها، عند الأشد غلوا منهم، تنتهي إلى بناء "عوالم افتراضية" منبثة عن الواقع المعاش، فيحل الحديث عن "تركيا المتخيلة" محل الحديث عن "تركيا الواقعية"، وتصبح أية قراءة أو معلومة خارج هذا السياق الافتراضي، ضرباً من التآمر على الإسلام والمسلمين، وعملاً من أعمال "الاستكبار العالمي".

من هذه المفارقات الفجة، اختلاق دوافع و"أسباب موجبة" لتعظيم التجربة التركية وتمجيد زعيمها، غير تلك التي يتحدث بها أصحابها ومناصروها من الأتراك أنفسهم... هنا، في المنطقة العربية، تجد الإصرار على تقديم التجربة بوصفها "إسلامية خالصة"، تستنهض "الأمة" وتؤسس لاستعادة مجدها التليد. وهناك، في تركيا، يجري تقديم جردة حساب شاملة بالمكاسب والمنجزات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كسبا لتأييد الناخبين وطمعاً في أصواتهم.

هنا، الإصرار على هجاء "القومية" و"الوطنية" بوصفها مفاهيم "عصبوية" وافدة على الفكر والتراث الإسلاميين، ونقيض لمفهوم "الأمة الإسلامية الواحدة"... وهناك، يجري نسج عرى التحالف الوثيق مع الحركة القومية التركية، والتي من دون دعمها وأصوات ناخبها وجمهورها لما أمكن "للسلطان" أن يصبح رئيساً مطلق الصلاحيات ولا لائتلافه الانتخابي أن يستأثر بغالبية مقاعد البرلمان.

هنا الإصرار على تقديم الزعيم التركي بوصفه زعيماً لأمة المليار ونصف المليار مسلم، ومن دون منازع، وتصوير فوزه الانتخابي بـ "النصر الإلهي"... وهناك يقف نصف الشعب التركي في موقع النقيض للحزب الحاكم وزعيمه، إذ بالكاد أمكن لـ "العدالة والتنمية" ورئيسه الحصول على ٤٢ بالمئة من أصوات الأتراك أنفسهم، بعد احتساب الكتلة التصويتية للحركة القومية.

هنا لا يتوقف الحديث عن تركيا بوصفها السد المنيع في وجه "الاستكبار الأمريكي/الأطلسي/الإسرائيلي"، فلا ينقطع سيل القصص والحكايات عن الانتصارات التي سجلها الحزب والزعيم في مسعاه لإحباط خطط "الصليبية الجديدة" ومؤامراتها، والانتصار للشعب الفلسطيني وحقوقه، والأمة الإسلامية ومقدساتها... وهناك يتكشف الإصرار على توثيق عرى التحالف مع واشنطن، وإنجاز صفقة الـ"٣٥"، وإتمام تسوية "منبج"، وتعظيم مكانة تركيا في حلف "الناتو"، وزيادة معدلات التبادل الاقتصادي والتجاري والسياحي مع إسرائيل، حتى وإن تم ذلك تحت سحابة كثيفة من الخطابات الغاضبة التي يتقنها السيد أردوغان ويشتهر بها.

هنا تقام الدنيا ولا تقعد ضد "صفقة الغاز" المبرمة بين إسرائيل والأردن على سبيل المثال، ويحظى مهرجان جرش للثقافة والفنون بحملة "مكارثية" تستخدم فيها جميع أسلحة الإفتاء الديني... وهناك يضرب صفحا عن نقل النفط من ميناء جيهان إلى ميناء عسقلان، والاستخدام التركي الكثيف لميناء حيفا وبرامج تحفيز السياحة الإسرائيلية إلى تركيا... كما أن أحدا لا ينبس ببنت شفة، عن "الدراما التركية" أو مرافق السياحة والترفيه الطافحة بكل ما يتنافى مع ما يعتقده هؤلاء من ضوابط وقيود "شرعية".

هنا يجري صب اللعنات بالجملة والتفصيل على مسار أستانا في الأزمة السورية، وتنعت أدوار كل من روسيا وإيران بأقذع النعوت وأقذرها، مع إصرار متعمد على تجاهل دور "الضامن والشريك الثالث" في هذا المسار: تركيا، وأدوارها في تأزيم وتأجيج الأزمة السورية، منذ بواكيرها الأولى... هناك، يجري توصيف المسألة على نحو مغاير، محكوم بالضبط بمعايير المصلحة القومية من جهة وشروط استمرار الحزب والزعيم في سدة الحكم والرئاسة من جهة ثانية.

هنا، تتجلى الدوغمائية بأبشع صورها، وهناك، تتجلى البراغماتية الميكافيلية كما لم يحدث من قبل. هي المفارقة الكاشفة والصادمة عندما نتحدث عن "نموذج" لا تقتدي به، ولا تسعى في استلهامه حتى لا نقول إعادة إنتاجه، أو عندما نتحدث عن "قدوة" لا تحتذي بها أو تسير على خطاها، من دون أن تلفت إلى التناقض والازدواج في الخطاب والممارسة، وإلى حالة "الانقسام" في العقل والتفكير والممارسة.

هي حالة "الخواء" المتفشية فكريا ومعرفيا وسياسيا في أوساط هذا التيار، وهي حالة ممتدة إلى التيارات الأخرى على أية حال، حتى لا نتحامل على فريق دون آخر، وهي الثمرة الطبيعية للبحث عمّن يملأ الفراغ حتى وإن تطلب الأمر استحضار "الرمز" و"الزعيم" من خارج حدود الأوطان والقوميات. ولكم كان مؤسفا أن ترى البعض من هؤلاء، يلهج بالدعاء لأردوغان بالفوز على أعدائه، أعداء الإسلام من الأتاتوركين، ليواصل حربه من أجل تحرير سورية والعراق من "الروافض" و"النصيريين".

وهو "الخواء" ذاته الذي كان دفع بكثرة من هؤلاء، قبل عشرة سنوات أو أزيد قليلا، لاستقبال تجربة العدالة والتنمية في بداياتها بكثير من الشكوك والاتهامات (مثل اتهامه بأنه يمثل الإسلام الأمريكي)، قبل أن ينقلبوا بخفة على شكوكهم واتهاماتهم ويتحولوا إلى "جوقة" من المسبحين بحمد "خامس الخلفاء الراشدين" والمبشرين بفجر الخلافة الذي انبلج من اسطنبول أو يكاد.

تعليق: "الإرهاب التجاري" الأمريكي يتحدى العالم

صحيفة (الشعب) الصينية: ٢٠١٨/٧/٩

ترجمة وتحرير/ د. فايزة سعيد كاب: تشير إدارة ترامب أكبر حرب تجارية في تاريخ الاقتصاد العالمي بشن حرب تجارية ضد الصين متجاهلة قواعد منظمة التجارة العالمية. ويخشى أن اعلان ترامب عن أن الحروب التجارية جيدة وسهلة الفوز مبالغ في تقدير الذات وافراط في تقدير الولايات المتحدة.

ويرى هوايي ون باحث في الشؤون الدولية في تعليق نشر في صحيفة الشعب اليومية، النسخة الدولية، أن الولايات المتحدة انخرطت في "الارهاب التجاري" وخسرت اخلاقها. حيث أن التعريف العام للإرهاب هو خلق حالة من الذعر الاجتماعي والخوف وما الى ذلك بالنسبة لدولة أو حكومة أو حزب سياسي أو جماعي أو منظمة دولية من خلال العنف والترهيب والاكراه وما الى ذلك من أجل تحقيق أغراض سياسية وايدولوجية وغيرها. وفي المقابل، فرضت إدارة ترامب ضغوطا شديدة وابتزازا على الصين في القضايا الاقتصادية والتجارية، وهددت الصين مرارا وتكرارا تحت راية "الاولوية الأمريكية" لإجبارها على التخلي عن حق تطوير صناعاتها وترقيتها. ويعتبر هذا النوع من المضايقات التجارية بمثابة "الارهاب" في مجال التجارة. والصينيون يقومون بالأعمال التجارية مع ايلاء الاهتمام بمنطق "الربح والثروة يأتيان من الأخلاق والعدالة". وأن كسب الأموال من العدالة يزيد الأخلاق والثروة، والعكس، يجعل الحصول على الأرباح طويلة الامد صعب". وعليه، ينبغي على ترامب أن يعرف بأن منطق رجل الاعمال بين العدالة والثروة.

كما أن انخراط الولايات المتحدة في "الارهاب التجاري" سيضر بالعالم، حيث أن مثل هذا الفعل الانفرادي ينتهك قواعد منظمة التجارة العالمية، ويقوض النظام التجاري المتعدد الأطراف، ويلقي بظلاله على زخم الانتعاش وآفاق التنمية للاقتصاد العالمي. وقد بدأت إدارة ترامب حربا تجارية في محاولة لتقويض مركز الصين المهم في السلسلة الصناعية والمكانة المهمة لسلسلة القيم، وستضر هذه الخطوة ايضا بمصالح جميع الاطراف في السلسلة الصناعية العالمية، بما في ذلك مصالح الشركات الأمريكية والمستهلكين الأمريكيين. وانخراط إدارة ترامب في التداول القسري والابتزاز والاكراه سيشوه التجارة الحرة وتحدي لتعددية الاطراف.

كما يعتقد هوايي ون أنه من الصعب أن يهزم "الارهاب التجاري" الأمريكي مكانة الصين، وأن مؤامرة إدارة ترامب باستخدام الحرب التجارية ضد الصين كنقطة انطلاق لاحتواء وقمع التنمية لن تنجح، ولا يوجد فائز في الحرب التجارية، لكن هذه الحرب التجارية بذات ستفوز بها الصين. كيف يمكن أن نقول ان لا فائز في الحرب التجارية، وفي نفس الوقت، الصين ستفوز؟.. يكون للحروب التجارية تأثير سلبي على الأعمال والمستهلكين والسلاسل الصناعية وسلاسل القيمة والنمو الاقتصادي والتجاري إذا ما تم قياسها بمصالح ومؤشرات اقتصادية وتجارية محددة قصيرة الاجل، ولكن بالنسبة للصين، هناك القيادة القوية لـ CCP، وتفوق النظام الاجتماعي، ودرجة عالية من وحدة إرادة البلاد، والوحدة الوطنية والدعم القوي لشعب البلاد، والقوة الوطنية الصلبة التي تشكلت خلال الأربعين سنة من الإصلاح والانفتاح، والتعميق الشامل للإصلاح، وبالتصميم الثابت على مواصلة توسيع الانفتاح والتفاعل مع العالم، ستكون الصين قادرة على تحويل الضغط إلى دوافع، والعمل بجهد، والتغلب على الصعوبات، وخلق اقتصاد أعلى جودة وبلد أكثر استقراراً. ومن هذا المنظور، ستفوز الصين في هذه الحرب التجارية.

مشاركة الولايات المتحدة في "الإرهاب التجاري" وفرض العزلة على نفسها، حيث لا تضع حكومة الولايات المتحدة نفسها مثالا للعالم فيما يتعلق بالقضايا المختلفة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للولايات المتحدة والمنافسة الدولية التي تواجهها، لكنها أثنائية وبلطجية. ويعتبر هذا النوع من التعسف وعدم الصدق، سلوك مخادع لا يمكن إلا أن يدمر السمعة ويخلق عجزا. ولا يرغب أحد من جيران الولايات المتحدة وحلفاء إدارة ترامب في الدخول في "المنافسة الاستراتيجية". وتدرك الكثير من البلدان أن نظام متعدد الاطراف حجر الزاوية في التجارة الدولية، وستكون حذرة من أن تؤثر الآثار الاحادية والحمايية التجارية على الاقتصاد العالمي.

وخلص هوايي ون في تعليقه الى أن الولايات المتحدة وضعت نفسها في عكس العالم وضد اتجاه العالم. وفي النهاية، ستجد إدارة ترامب أن الحرب التجارية ليست جيدة ولاسهلة الفوز، وأنها ستكون ضد العالم، والآخر هو من سيفوز.

الثورات كوارث على الأوطان

*د. عبد الحميد الأنصاري

صحيفة (الجريدة) الكويتية : ٢٠١٨/٧/١٠

مضى على الثورة السورية ٧ سنوات، ولم تحقق أي هدف من أهداف الشعب السوري، بل خلفت دماراً هائلاً وكوارث تشيب لها الولدان، مليون إنسان بين قتييل وجريح ومعوق وأسير، وملايين أخرى بين مهجر ولاجئ ونازح ومشرّد، اليوم، وفي ظل هذه العواقب الوخيمة من حقنا أن نتساءل: هل كان المتظاهرون سلمياً ضد النظام وقادتهم المحرضون، لو عاد بهم الزمان سيرتهم الأولى، قبل انطلاقة شرارة الثورة، يفكرون في القيام بما قاموا به؟!!

وهل كانت الأطراف الإقليمية والدولية التي تدخلت ودعمت الثورة السورية بالمال والسلاح والمقاتلين والدعم السياسي والديني، في سبيل تحقيق الحرية والعدالة والكرامة للشعب السوري، هل كانت هذه الأطراف تقدم على ما أقدمت عليه؟!!

من كان يستطيع التكهّن بالعواقب قبل ٧ سنوات؟ كلنا تحمسنا وكتبنا وأيدنا ثورة الشعب السوري في أهدافه المشروعة! كل هذه التساؤلات مشروعة، ويجب طرحها اليوم على أنفسنا، فما حصل ويحصل في الساحة السورية، أمر يدمي الفؤاد، ويذرف العبرات ويطلق الحشرات على أرواح أبرياء نساء وأطفال وشباب وشيوخ ذهب، وكرامات أهدرت، ومدن آمنة مستقرة يأتيها رزقها قد دمرت.

الآن: ما الدروس والعبر المستخلصة من الثورة السورية، ومن الثورات العربية عامة؟

هناك من لا يزال يدافع عن مشروعية الثورة على الأنظمة الظالمة عامة، والسورية خاصة، ويذكر العشرات من المبررات الشرعية والأخلاقية والحقوقية والإنسانية وغيرها، ومع تفهمي لرأيهم ووجهة مبرراتهم إلا أنني مع رأي أن الثورات لم تأت بخير:

أولاً، المبررات الشرعية: صحيح أن عشرات الآيات في القرآن الكريم والأحاديث في السنة النبوية في العديد من المرويات نهت نهياً قاطعاً عن الظلم، واعتبرته من الكبائر، وتوعدت الظالم: فرداً أو حاكماً، بأشدّ العذاب، وخصت الحاكم الظالم بعذاب أكبر، إلا أن النصوص الدينية صريحة في تحريم الخروج المسلح على الحاكم، ولو كان ظالماً.

ثانياً، التجارب التاريخية السابقة: ذهب جمهور الفقهاء القدامى والمعاصرين إلى تحريم الخروج المسلح على الحاكم: فرداً أو جماعة، بل اعتبروا الخروج الجماعي نوعاً من البغي، وما دفعهم إلى ذلك ليس مجرد النصوص الدينية، إنما ما وقع في زمنهم من وقائع مأساوية، استخلصوا منها الدروس والعبر.

لقد عانوا عواقب ثورة الإمام الحسين على مظالم الحكم الأموي واستشهاده، رضي الله تعالى عنه، في سبيل إقرار الحق والعدل والكرامة، وخبروا الأهوال التي نتجت عن الصراع المسلح على السلطة، منذ الفتنة الكبرى، مروراً بصراعات الأمويين فالعباسيين إلى العثمانيين وصراع الدويلات، لذلك نادوا بالصبر على مظالم الحكام، لا إقراراً بالظلم والمظالم، وإنما إثارةً لأهون الشرين: شرور الحكام الظلمة، والشرور الناتجة عن الفوضى والفتن والصراعات المسلحة، كما نشاهدها اليوم في المشهد العربي العام.

ثالثاً، التجارب العربية المعاصرة: أثبتت أن كل الثورات، شعبية أو انقلاباً، ومنذ أول انقلاب عسكري ٢٩ مارس ١٩٤٩ كانت وبالأعلى أوطانها، ولم تحقق أي شعار، لا الديمقراطية قامت، ولا التنمية نجحت، ولا العدالة الاجتماعية تحققت، ولا فلسطين تحررت، تفاقم الفساد وانتشرت البطالة وهربت الكفاءات والاستثمارات وتبددت الثروات وزاد الطغيان وأهدرت الكرامات، بل أضافت ثورات الربيع ثلاث كوارث جديدة: تمكين التنظيمات الإرهابية، وتصدير آلاف اللاجئين الذين يبتلع البحر بعضهم، وتهجير الأقليات، وحتى في ثورة الياسمين، عروس الربيع، ما زال الشاب التونسيون العاطلون يحلمون بالسباحة إلى الضفة الأخرى، لتتحقق مقولة "الثورة يفجرها حالم ويجني ثمارها انتهازي".

ختاماً: ليس معنى تحريم الخروج المسلح على الحاكم، الرضا بالظلم والطغيان، والاستكانة للذل، فحق الشعوب في مراقبة السلطة الحاكمة وأجهزتها حق شرعي أصيل، وحق الناس في مقاومة الظلم والفساد ومناهضة الفاسدين ومناصرة العدل فريضة شرعية، إننا بحاجة لما قاله الأمير الحسن بن طلال إلى (ميثاق يحمي قيم الربيع العربي) وإلى غرس ثقافة (المساءلة) في البنية المجتمعية، كما فعل الخليفة الراشدي، الصديق، رضي الله تعالى عنه "إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني". فالتقويم لا يتحقق إلا بتبني الرأي العام لثقافة المساءلة، شريطة أن تتم بالوسائل السلمية: المنابر الإعلامية، ومنظمات المجتمع المدني، والحوار الوطني، والمنتديات والديوانيات، ولا حرج من الإفادة من الأساليب الحديثة في المعارضة، من غير تحريض على النظام أو تخوينه، أو تجريح المسؤولين، لأن الهدف نقد العمل وتقويمه لا التجريح الشخصي.

* كاتب قطري

خطر الانفجار السكاني

*محمد المحمود

الحرّة/ شبكة الشرق الأوسط للإرسال (أم. بي. أن) : ٢٠١٨/٧/١٠

كانت - ولا تزال - إشكالية النمو الديموغرافي في العالم العربي من أكبر الإشكاليات التي لم تؤخذ بعد مأخذ الجد رغم كثرة الحديث عنها، سواء في الأطروحات الثقافية العامة، أو في التوصيات/ التوجيهات الحكومية ذات الاختصاص. فالحكومات إلى الآن تكتفي بالتوجيه وصياغة الإرشادات العامة. على استحياء دون أن تجرؤ على سن القوانين التشريعية الصارمة القادرة على تلافي كل هذه الكوارث المتعددة الناجمة بالضرورة عن هذا الانفجار السكاني الآخذ في الاتساع والذي يقف منه العالم العربي اليوم على فوهة بركان.

على امتداد عقد ونصف تحدثت، وفي أكثر من مقال لي، عن خطر الانفجار السكاني على مستقبل عالمنا العربي من حيث كونه كفيلا بتحطيم جميع المنجزات الراهنة، رغم ضآلتها، وتعطيل أية إمكانية لتحقيق التنمية الواعدة التي يجري التخطيط لها في معظم الأقطار العربية على نحو محدد في الزمان والمكان. كثيرون تحدثوا، وحذروا، خاصة في العقود الأربعة الأخيرة، وكثير من المنظمات العالمية والعربية تحدثت وحذرت، ولكن لا شيء عمليا يجري على أرض الواقع رغم أن الكارثة تتضخم يوما بعد يوم، والأرقام تدق نواقيس الخطر، والمعاناة اليومية لهذه الشعوب العربية تصدق هذه الأرقام.

جميع دول العالم التي عانت - أو لا تزال تعاني - من هذه المشكلة، حتى في حدودها الدنيا، وضعت خططاً واضحة وعملية لمحاصرة المشكلة، وشرعت - منذ أمد - للتثقيف العام بخطورها، وسنت القوانين لوضع تلك الخطط موضع التنفيذ بالقوة. لكننا للأسف لا نزال نراوح مكاننا في ما قبل الخطوة الأولى من هذا المضمار. أي أننا لا نزال لم نطرحها كمشكلة خطيرة، كمشكلة شاملة تحتضن في رحمتها الكثير من المشكلات، سواء أكانت تنتجها بالأصالة، أم كانت تمنحها ما تحتاجه من القوة والشيوع بحيث تحولها من مشكلات عابرة/ ظرفية/ معزولة يمكن احتمالها إلى إشكاليات مزمنة ذات طابع علائقي، وبالتالي كفيلة بتحقيق الإعاقة الشاملة الدائمة لمجتمع عربي لا يزال نامياً، أو - على نحو أدق - لا يزال نائماً.

لقد كان عدم توفر الإحصائيات الدقيقة عن السكان في العالم العربي، وخاصة في العقود الماضية، من أهم المشاكل التي تعيق مسارات البحث في تفاصيل هذا الخطر الداهم. يدل على ذلك التباين الكبير في الأرقام الصادرة عن كثير من مراكز البحوث. لكن، ولحسن الحظ، في السنوات القليلة الماضية بدأت تظهر كثير من الإحصائيات الدقيقة نسبياً بعد أن أخذت كثير من الدول العربية مسألة التعداد السكاني مأخذ الجد في ظل توفر آليات إحصاء متطورة من شأنها أن تقلل من حجم الأخطاء. ومع هذا يظن أن أكثر عمليات الإحصاء لم تحط إحاطة كاملة بالتعداد الكلي للسكان. ما يعني أن العدد الحقيقي يفوق - قليلاً أو كثيراً - العدد المعلن، خاصة في بعض البلدان العربية ذات الكثافة السكانية العالية، والتي تفتقر - في الوقت نفسه - لشبكة واسعة من الطرق المتنوعة، وإلى منظومة متكاملة من الشبكات المعلوماتية المتطورة القادرة على إمداد أبحاثها الرقابية/ الإشرافية بكل التقنيات الضرورية التي تحتاجها لبسط رقابتها على كامل رقعة الأرض الوطنية بكل ما فيها من هوامش ريفية نائية وعشوائيات طرّفة مبعثرة، حدودها ومعالم وحداتها وتفصيلها وتحولاتها متوالية عن الأنظار عن قصد، أو بحكم واقع الحال.

سنأخذ بالتقديرات، وسنبني أحكامنا على المتاحة، وهو كاف لرسم معالم النمو السكاني في هذا العالم العربي. نتحدث الإحصائية الأخيرة المنشورة على موقع (عربية نيوز) عن العدد الإجمالي لسكان العالم العربي هذا العام ٢٠١٨، وتقرر أنه بلغ أكثر من ٤٢٣ مليون نسمة. وفي تشرين الأول/أكتوبر من العام الماضي ٢٠١٧ أعلنت مصر أن عدد سكانها بلغ ١٠٤ مليون نسمة وفق الإحصائية التي أجريت في السنة نفسها. وحجم النمو - كما في كثير من الإحصائيات التي تتعلق بالسكان في العالم العربي - بلغ نحو ٣ في المئة سنوياً. وفي مصر بلغ معدل النمو ٢,٥٦ في المئة سنوياً في الفترة بين ٢٠٠٦ - ٢٠١٦.

وتكاد معظم الإحصائيات تتفق على أن عدد سكان العالم العربي في عام ١٩٩٨ بلغ ٢٨٠ مليون نسمة، بينما بلغ ٢٠٠٣ أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة، أي بزيادة عشرين مليون نسمة في خمس سنوات فقط. واليوم بلغوا ٤٢٣ مليون نسمة، أي بزيادة ١٢٣ مليون نسمة في ١٤ عاما فقط. وفي مصر، نجد أن كل الإحصائيات الصادرة، على اختلافاتها الطفيفة، تشير إلى أن عدد سكان مصر ارتفع في السنوات العشر الأخيرة بزيادة تتجاوز ٢٢ مليون نسمة. وبناء على تنامي نسبة النمو من جهة، وارتفاع عدد السكان إلى أكثر من ١٠٤ مليون نسمة، سيزيد عدد سكان مصر في السنوات العشر المقبلة أكثر من ٢٦ مليون نسمة“ ليبغ عدد السكان الإجمالي المتوقع أكثر من ١٣٠ مليون نسمة في عام ٢٠٢٨.

ماذا تعني كل هذه الأرقام في دول عربية لا تزال يعاني أكثرها من انعدام الاستقرار السياسي، ومن اختناقات اقتصادية وتنموية وتعليمية، ومن اضطرابات اجتماعية تمارس خلخلة حقيقية لمنظومة القيم، ومن انحطاط كبير في الخدمات الصحية... إلخ؟

لنتأمل المشهد الكارثي أمامنا كما تنطق به لغة الأرقام. مصر، في غضون عشر سنوات، ورغم كل ما تعانيه، ستكون مضطرة لتحمل عدد إضافي من السكان (٢٦ مليون) يفوق العدد الإجمالي لسكان سورية. دولة، كالجائر أو المغرب، ستكون مضطرة لتحمل الكثير مما يفوق طاقتها، إذ سيكون العدد الإضافي لكل منهما بحجم سكان الأردن ولبنان مجتمعين. السعودية في السنوات العشر القادمة سيزيد عدد سكانها ستة ملايين تقريبا، أي سيكون على السعودية أن تتحمل عددا من السكان بحجم بلد كالأردن. السودان، كيف يستطيع النهوض وهو في السنوات العشر القادمة سيتحمل عبئا سكانيا يماثل عدد سكان تونس!

إن كل خطط التنمية. ولو أتت بما يشبه المعجزات. لن تؤثر“ مع هذا الانفجار السكاني المروع. كل معدلات النمو الاقتصادي/ التنموي، ومهما كان حجمها، ستلتهمها هذه الزيادة السكانية النامية بوتيرة جنونية. ثمة نمو تنموي حقيقي في البلدان العربية. صحيح أنه بطيء، ومتعثر أحيانا، ولكنه حقيقي، هناك مدارس تبنى، ومستشفيات مدعومة بالضروري من التجهيزات، ومطارات واسعة، وشبكة مواصلات أرضية... إلخ، تستطيع أن توفر الحدود الدنيا من الخدمات لو كان النمو السكاني في حدود المتعارف عليه عالميا. ولكن للأسف. ها هي الأرحام تقذف بالملايين التي تجتاح كل البنى التحتية كالطوفان المدمر“ وإن لم يكن الدمار مباشرا وسريعا. والعجب أن كل هذا يحدث على مرأى ومسمع من الجميع، والجميع يعاني من ويلاته ليل نهار، الجميع يشتهي من الأزمات الاقتصادية، ومن تردي الخدمات، ومن عدم كفاية المنجزات، ومع هذا لا يجتمع رأيهم على تحديد السبب الرئيس الذي يقف خلف هذا الانسداد التنموي الحاد.

حتى عندما يفكر المعنيون في العالم العربي بهذه المشكلة في لحظة صفاء تنموي، فإنهم يفكرون فيها بطريقة تقليدية، طريقة مشروطة. صراحة أو ضمنا. بمكونات الوعي التقليدي العام. عندما تطرح قضية السكان، يتحدث المعنيون، بل وكثير من مدعي الثقافة/ العلم/ التخطيط الاستراتيجي التنموي، عن الثروات الوطنية والمقومات القومية، وأحيانا الفخر الطفولي بالكثرة، بينما العلم الحديث بكل مكوناته يؤكد أن "العوامل الثلاثة التقليدية. اتساع رقعة الأراضي، الأهمية الديمغرافية أو أعداد السكان، والغنى في الموارد الأولية. لم تعد تشكل مؤهلات تحسد عليها الدول، وإنما صارت معوقات ثقيلة الكلفة على التقدم في العصر ما بعد الصناعي" (حروب القرن الواحد والعشرين، إنياسيو رامونيه، ص١٩). ومعضلة الوعي العربي أنه لا يزال يعيش مرحلة ما قبل العصر الصناعي، ولم يدخل مرحلة العصر الصناعية بعد“ فضلا أن يمتد فضوله المعرفي ليعاين الاشتراطات الحديثة للعصر ما بعد الصناعي.

على أي حال، لا يمكن عزل مكونات الوعي الثقافي العربي العام عن المسارات التي تحكم عملية تراجع الوعي بخطر الانفجار السكاني. ليست المسألة عدم مبالاة فحسب، بل ثمة محفز ثقافي. اجتماعي يحرض بشكل مباشر أو غير مباشر. على تصعيد النمو السكاني من جهة، وعلى تهوين تداعيات هذا النمو من جهة أخرى.

في الحاجة إلى مفهوم التقدم

*موريس عايق

صحيفة (الحياة) : ٢٠١٨/٧/١٠

منذ عصر النهضة العربية حظي مفهوم التقدم بمكانة مركزية في النقد الاجتماعي، فالنهضة صاغت سؤالها المركزي بالإحالة إليه: لماذا تقدم الغرب وتأخر المسلمون؟ غير أن ضبط المفهوم وتأكيد محوريته تحقق لاحقاً مع حركات التحرر الوطني والحركات اليسارية التي جعلت من التقدم لاهوتاً قائماً بذاته، وذلك بالاعتماد على أيديولوجيات القرن التاسع عشر التي جعلت من التقدم مساراً إجبارياً للبشرية.

لم يكن، خلال هذه الفترة، من معنى للنقد الاجتماعي من دون الاتكاء على فكرة التقدم، فالنقد تم باسم مسيرة التاريخ والمستقبل الأفضل الذي يراكم على ما هو قائم حالياً، والأفضل -بدوره- مما سبق، سواء كان هذا النقد باسم حقوق المرأة أو الديمقراطية أو المساواة والعدالة أو حرية الشعوب.

لاحقاً حصل تحول هائل في ما يخص مكانة مفهوم التقدم، تحول يجد تبريره في مآسي القرن العشرين وفشل وعود التقدم. فظهرت تيارات ترى في مفهوم التقدم أيديولوجيا وأداة هيمنة وسيطرة. لم يكن نقد التقدم بحد ذاته شأناً حديثاً، فقد سبق وظهر مع الرومانسية التي استعادت نقد التقدم المعاصر العديد من أفكارها. فنشأت تيارات متنوعة معنية حصراً بنقد التقدم، وقد حاول بعضها تقديم نقد اجتماعي متحرر من مفهوم التقدم، فيجمع بين النقد الاجتماعي ورفض التقدم.

السؤال الذي يعنينا هنا، وبتجاهل التيارات المبنية حصراً على نقد التقدم، هو: هل يمكن القيام بنقد اجتماعي -مثل نقد الرأسمالية أو وضع السلطة والبنية البطيريركية أو عدم المساواة والاستبداد- يؤسس لفعل إيجابي من دون مفهوم التقدم؟ أو بتعبير آخر، ما الذي يترتب على مثل هذا النقد الاجتماعي المتخلي عن "التقدم"؟

الإجابة ستكون بالنفي، فلا يمكن القيام بمثل هذا النقد إن تخلينا عن مفهوم التقدم. يكمن السبب في أننا نفقد عندها أي تصور بصدد المعيار الذي نستعين به في النقد، فبغياح أي معيار -وهو ما يتيح لنا مفهوم التقدم- تبدو جميع الأشياء سواء، فتظهر السلطة والهيمنة ملتبسة في كل موقف أو ادعاء. المعيار الوحيد الذي نملكه، في حال تخلينا عن مفهوم التقدم، هو الماضي. عندها يبدو كل نقد اجتماعي بمثابة صورة عن النقد الرومانسي مستعيداً أشكالاً متخيلة ومتوهمة عن الحياة والطبيعة ليضعها في مواجهة الحداثة، أشكال لم توجد حقيقة في الماضي ولكن بُنيت من داخل الأيديولوجيا بوصفها أنماط حياة مضادة للحداثة. فيصبح لدينا القرية المثالية والجماعة المثالية والدولة الإسلامية المثالية والتعايش المثالي للمذاهب والجماعات المختلفة، بحيث تُقدم وكأنها شكل الحياة الذي رضي به الجميع وتمتعوا بفضله بأفضل الأوضاع.

قد لا يتبنى جميع النقاد مثل هذا الموقف، لكن بتخليهم عن مفهوم التقدم فإنهم لا يملكون أية حصانة في مواجهة مثل التوظيفات للنقد. وأفضل ما هو متاح لهم عندها هو الصمت وعدم قول أي شيء، بمعنى آخر أن يكتفوا بالنقد والتحطيم، وهو ما كان واضحاً لدى ميشيل فوكو. التحدي الآخر الذي سيواجهونه هو النماذج المضادة القائمة في الحاضر مثل بوتين وأوربان وخامنئي وغيرهم، حيث يجعلنا نقد الديمقراطية الليبرالية المقطوع عن مفهوم التقدم عراة أمام هذه النماذج السلطوية. حيث يمكن لهؤلاء أن يرفعوا شعار الخصوصية الثقافية والحضارية والنسبية الأخلاقية في مواجهة التقدم الإنساني، الذي يعايرونه بوصفه مجرد أداة في يد الإمبريالية والهيمنة الغربية. بالقطع

التام مع فكرة التقدم فإنه لا يوجد رد تجاه هذه التحديات. بالمقابل لا يمكن استعادة مفهوم التقدم وكأن شيئاً لم يحصل، وكأنه مفهوم غير ملتبس وغير إشكالي ولا يعاني من تناقضاته وثوراته الخاصة. فقد استُخدم المفهوم زمناً طويلاً لتبرير الهيمنة والاستعمار، واستُخدم كذلك لتبرير مشاريع استبداد سياسي وهندسة اجتماعية انتهت بكوارث إنسانية.

ما يميز فكرة التقدم الموروثة من القرن التاسع عشر هو طبيعتها اللاهوتية، كونها لاهوت التقدم، أي مسيرة تاريخية ضرورية ومحددة، سنسيرها جميعنا بقوة التاريخ وبمعزل عن الأثمان التي يتوجب علينا دفعها، ولكن في النهاية سنصل. من الطبيعي أن لكل أيديولوجيا لاهوت تقدمها الخاص، طوبها الخاصة. وهذا فتح الباب على مصراعيه لصراع الأيديولوجيات الكبير في القرن العشرين، صراع بين عقائد لاهوتية متباينة حول التقدم. لاهوت التقدم هذا هو الذي انتهى، ولا مغزى لاستعادته أو المنافحة عنه، لاهوت يجد أصوله أساساً في التقاليد اللاهوتية لتواريخ الخلاص. ليس الوعد الخلاصي في التاريخ وحده ما انتهى، بل أيضاً الوعد بمعرفة نهائية وشاملة للعالم ومؤسسة على نفسها، وهذا بفضل الإنجازات في الرياضيات كما في الفيزياء. هناك حدود لما يمكن لنا معرفته، حدود لما يمكن للعلم أن يجيب عنه. هذه الوعود الكبرى، النهائية والخلاصية، انتهت. لكن هذا لا يعني، بدوره، نهاية أية فكرة حول التقدم، فالموضوع ليس كل شيء أو لا شيء.

يمكن تبني مقاربة براغماتية للتقدم بالنظر إليه من زاوية التمكين والرفاه الإنسانيين، وهي مسائل يمكن ملاحظتها. ارتفاع مستوى الحياة، ارتفاع مستوى الإمكانات والمشاركة للأفراد والشعوب، التحسن في الرعاية الصحية وغيرها، كما الارتفاع في مستوى الحياة الروحية والثقافية وإمكانات التمتع بحياة جيدة وممتعة، والتطور المرافق في المؤسسات والإجراءات والمعايير التي تمكننا من المحافظة على كل هذا. لكن، أيضاً، من دون تحويلها إلى أيديولوجيا.

كل البشر يرغبون بالتمتع بمستوى حياة مواز لذلك الذي يتمتع به الأوروبي أو الأمريكي في ما يخص استهلاك الطاقة والمواد والغذاء، وهم يسعون إلى تحقيق هذا، لكن عندها لن تكفي الأرض. هذا المثل يمكن أن يفيد من جهة في نقد أنماط حياة تدعي أنها متقدمة، ولكنها في الوقت عينه غير سوية وتتعارض مع المساواة والتمكين لأكثر عدد من البشر. لكنه أيضاً -ومن ناحية أخرى- يفيد في إظهار حدود ومفارقة فكرة التقدم. ثمار التقدم، ما نفترضه في لحظة تاريخية معينة تقدماً، ليست بالضرورة كلها جيدة، بل لها أيضاً سلبياتها. التقدم مسيرة ممتدة من دون هدف نهائي ومحدد، مسيرة محفوفة بمنعطفاتها ومشكلاتها الناشئة عن الطريق نفسه، لكن ومع هذا تبقى مسيرة إلى الأمام. وكما عبر إدوارد برنشتاين مرة عن هذا، بأن الهدف النهائي ليس شيئاً ولكن الحركة هي كل شيء.

فكرة مخففة عن التقدم لا تعني أن التقدم ليس مفهوماً إشكالياً، على العكس تقبل بالطبيعة الإشكالية للتقدم وبأنه يتضمن العديد من الإشكاليات الداخلية، مثل التقدم التقني الذي قد يقودنا إلى كوارث بيئية. لكن مقاربة براغماتية ومخففة للتقدم تسمح أيضاً بمعالجة هذه التناقضات والاستعصاءات الداخلية في سياقاتها، من دون الحاجة إلى ربط المفهوم بلاهوت يقوم على الضرورة والهدف النهائي. في الوقت نفسه، لن نخسر الطاقة النقدية لمفهوم التقدم في مواجهة السلطويات والرجعيات، أي التقدم بوصفه سلاحاً فعالاً في النقد الاجتماعي الذي لا يستقيم من دونه، نقد ينظر إلى المستقبل.

* كاتب سوري

الاعتراف بالهزيمة نقطة الانطلاق نحو النصر

*عبيدلي العبيدلي

صحيفة (الايام) البحرينية: ٢٠١٨/٧/١٠

فيما عدا المواجهة الفلسطينية التي قدمت قافلة جديدة من الشهداء التي ينضم إليها يومياً المزيد من الجرحى الذين فاق عددهم الألف، ممن حصدتهم آلة القمع الصهيوني عند مواجهتها لاحتفالية الشعب الفلسطيني بيوم الأرض التاريخي، الذي انضم إلى أيقونات التضحيات الفلسطينية اللامحدودة التي تزين صدر تاريخ المقاومة الفلسطينية للعدوان الصهيوني النازي الغاشم. هذا العدو الذي لم ولن يكف عن مساعيه لفرض كيان مصطنع بالقوة، وإزالة حضارة بالقوة ذاتها... فيما عدا ذلك نشهد ردة فعل عربية باهتة تكشف خنوعاً عربياً مزماً تجاه سياسات العدو الصهيوني التي، بغض النظر عما تحققه من مكاسب باهتة هنا وهناك، لكنها تبقى، بالمنظور التاريخي، تجسيدا لتراخي في عضلات جسد المؤسسة الصهيونية، وليس نمواً في قوتها، كما يحاول العدو أن يزرع صورته في أذهان المواطن العربي، قبل حكوماته.

هذه المقدمة، من الخطأ أن تقودنا إلى استنتاج مضلل يتوهم أن موازين القوى الحالية، انقلبت، لصالح العرب في معركة الصراع العربي - الإسرائيلي، فما تزال كفة الكيان الصهيوني هي الراجحة وبكل المقاييس، عندما يجري الكيل بمنظور المدى القصير، أو حتى المتوسط. لكن عندما تقاس الأمور من الزاوية الاستراتيجية، ومن مداخل مختلفة بعيدة عن تلك التقليدية، يكشف المراقب، أن هناك بارقة أمل تشير إلى أن مستقبل الصراع لن يكون لصالح الكيان الصهيوني، إذا، وهنا ينبغي أن نقف مطولاً أمام كلمة «إذا»، كي نحسن تحويلها إلى وقائع حقيقية وليس أوهاماً مرجوة.

إن أراد العرب، وفي مقدمتهم الفلسطينيون، أن يبدأوا الخطوة السليمة على الطريق الصحيح المؤدية إلى استعادة الوطن السليب، فعليهم أن يعترفوا، بنهزمهم وبنفسهم، وبشكل صادق، وفي صورة علنية أننا هزمنا، ولأكثر من مرة أمام آلة الحرب الصهيونية. ليس في الاعتراف بالهزيمة ما يعيب. لقد اعترفت اليابان في ٢ سبتمبر ١٩٤٥ بهزيمتها أمام دول الحلف، إثر ضربها بالسلاح النووي في ٦ و ٩ أغسطس من العام ذاته. وكان قبول امبراطور اليابان في ١٤ أغسطس ١٩٤٥ بقرارات مؤتمر بوتسدام، وتوقيع الحكومة اليابانية على وثيقة الاستسلام في سبتمبر من العام ذاته، أحد العوامل الرئيسية التي أدت إلى إنهاء الحرب الكونية الثانية.

لكن اعتراف اليابان بهزيمتها، كان قراراً مؤقتاً، إذ لم تلبث طوكيو، وفي أقل من نصف قرن، وهي فترة قصيرة نسبياً عندما يكون المقياس تقدم الأمم، من أن تتحول إلى قوة عالمية عظمى، يهدد اقتصادها أقوى اقتصاد عالمي وهو الاقتصاد الأمريكي، ويشكل منافساً حقيقياً له، ونداً يهدده بشكل مباشر وغير مباشر، في كل أسواقه، بما فيها سوق الولايات المتحدة ذاتها.

وتقف وراء هذا التحول من أمة مهزومة، إلى أمة يحسب لها ألف حساب مجموعة من العوامل ساعدت اليابانيين على عبور طريق هذه الرحلة الشاقة، كان من بينها «وجود رؤية واضحة للمستقبل، والتزام دقيق بشروطها، وتوفير الإرادة القوية لإنفاذها على مستويات الدولة، وهيئات الشعب ومؤسسات الأمة كافة».

فبعد الاعتراف بالهزيمة، سارعت القيادة اليابانية يتقدمها الإمبراطور هيروهيتو إلى «إنتاج وتأسيس نظام دستوري وبرلماني قائم على اعتبار الإمبراطور ليس إلهاً، وبذلك يكون قد منح اليابان نظاماً ديمقراطياً قائماً على احترام إرادة الشعب.... وتبنت اليابان فلسفة (النهوض بالسلم) أو بالقوة النظيفة (Soft Power) التي تشجع الحلول الدبلوماسية وليس العسكرية للنزاعات التاريخية الموروثة من خلال التركيز على الطاقة الإبداعية لدى الشعوب والقدرة على التواصل والإبداع».

الحالة ذاتها تتكرر في ألمانيا، التي سارعت بعد إعلان هزيمتها وقبولها بالشروط القاسية المجحفة التي فرضتها دول الحلف المنتصرة عليها. لقد زرعت الحكومة الألمانية المنهزمة في أذهان المواطن الألماني ما أطلق عليه «النهوض من القاع». جرى ذلك في «في حالة غيااب تام للحكومة، (حيث) بدأت النساء والشيوخ بجمع الأنقاض لإعادة بناء البيوت وجمع الأوراق والكتب من تحت الانقاض لفتح المدارس. وكتبوا على بقايا الجدران المحطمة شعارات تبث الأمل وتحث على العمل (مثل) لا تنتظر حقل.. افعل ما تستطيع... ازرع الأمل قبل القمح».

وقاد ذلك إلى أن «تحتل ألمانيا المرتبة الرابعة في قائمة أكبر الاقتصادات حول العالم، حيث نجحت الإصلاحات الاقتصادية في السماح بمزيد من خلق الوظائف، وهبوط معدل البطالة إلى ٤,٧٪ حالياً، وهو بين أدنى المعدلات في الاقتصادات المتقدمة». وبات الاقتصاد الألماني هو المسير للاقتصاد الأوروبي، وتحولت ألمانيا إلى أكبر المنافسين لواشنطن على المستويين الأوروبي والدولي.

القصد من وراء استحضار التجربتين الألمانية واليابانية هو أن ليس هناك ما يعيب عندما تعترف أمة ما بالهزيمة، شريطة ألا تتحول إلى أسيرة لها، وعبد لشروطها وقيودها، بل يكون كل ذلك محفزاً حقيقياً للتمرد عليها والتخلص منها.

وهذا ما تجسده الانتفاضة الفلسطينية، التي إن أريد بها النجاح، فأكثر ما تحتاجه له اليوم هو:

• قيادة مؤمنة، وليست متصنعة بذلك الإيمان، بقدرات الشعب الفلسطيني، ليس على العطاء حسب، وإنما العطاء المبدع أيضاً القادر على قهر آلة القمع الصهيونية

• وحدة وطنية لا تمزقها المصالح الذاتية للأفراد، القائمة على الأنانية النزقة، غير القادرة على رؤية الصورة الكبيرة، كونها غارقة في تفاصيل تلك الصورة التي تشدها بعيداً عن أهدافها الاستراتيجية الكبرى، وتخنقها في تلك التفاصيل المضللة.

• رؤية تلك الثقوب التي بدأت تحدث شروخاً في جسد الكيان الصهيوني، والتي تعبر عنها مجموعة الفضائح التي تمس أبرز قياداتها، والبناء عليها لوضع خطة استراتيجية تحول تلك الثقوب، التي ربما تكون ضيقة اليوم، إلى مساحات واسعة تنهك ذلك الجسد وترغمه على التهاوي.

ليس الشعب الياباني، ولا نظيره الألماني شعوباً من جينات مختلفة، لكنهما أحسنا اختيار القيادة التي قادتهما نحو النصر، على أنقاض الاعتراف بالهزيمة، بعد أن امتلكت إرادة التمرد عليها.

الفساد و"الاستقطاب" يحكمان الديمقراطيات العربية

إيلاف: ٢٠١٨/٧/١٠

أشارت تقارير حقوقية محلية ودولية، إلى أن معايير النزاهة المتعارف عليها في دول العالم الديمقراطية، لا تطبق في الانتخابات العربية، ويرى خبراء في السياسة أن الانتخابات في أغلب الدول العربية تواجه تحديات مزمنة انتجت عمليات سياسية تفتقر الى النزاهة والشفافية، ولا تعبر عن ارادة الشعوب. وشهد العام ٢٠١٨ العديد من انتخابات رئاسية ونيابية في دول المنطقة العربية، ومنها تونس ومصر ولبنان والعراق، إلا أنها لم تفرز نتائج معبرة عن الإرادة الشعبية الحقيقية، ولم تأت بتغييرات واضحة في المشهد السياسي في كل بلد.

خبراء

ويرجع الخبراء السياسيون ذلك إلى أن العمليات الديمقراطية في الدول العربية، تعاني من انتشار الظواهر السلبية المصاحبة لها، وتتحكم فيها، وهي: الفساد الإداري، وشيوع شراء الأصوات والرشوة والتزوير وتزييف الإرادة السياسية للناخبين، والاستقطاب السياسي والمذهبي والطائفي والقبلي.

النموذج العراقي

بينما تلقي أزمة نزاهة الانتخابات البرلمانية في العراق بظلالها على المشهد السياسي في المنطقة العربية، بعد ثبوت وجود خروقات ومخالفات كثيرة، ما استدعى صدور قرار من البرلمان بإعادة الفرز يدوياً، لاسيما بعد تعرض مخازن المفوضة العليا للانتخابات للاحتراق، كشف خبراء أن العملية الديمقراطية العربية تعاني من عدة تحديات.

تقارير حقوقية

وقالت تقارير حقوقية محلية ودولية، إن معايير النزاهة المتعارف عليها في دول العالم الديمقراطية، لا تطبق في الانتخابات العربية. من جهته، قال الخبير السياسي محمد عبد السلام، إن هيئة ضمان نزاهة الانتخابات الأمريكية تضع تعريفاً واضحاً للانتخابات ذات المصادقية، وتقول إنها "تلك التي تتميز بالشمولية والشفافية والمساءلة والتنافسية".

ثقة الناخب

وأضاف "إيلاف" أنه من الضروري لنزاهة الانتخابات أن تحظى كل مرحلة من العملية الانتخابية بثقة الناخب، مشيراً إلى أنه من الواجب أن تتاح البيانات الانتخابية لكل المواطنين، كي يشاركوا في العملية الانتخابية، ويفهموها، ويقيموها، وأخيراً يقبلوا بنتائجها كونها تعكس إرادتهم، وتعبّر عنها. ولفت إلى أن الانتخابات في غالبية الدول العربية تعاني من عدة تحديات مزمنة، وتتمثل في الاستقطاب بكافة أشكاله، سواء السياسي أو المذهبي أو الطائفي أو المناطقي أو القبلي، مما يعوق إجراء انتخابات تتسم بالنزاهة والشفافية.

الرشوة السياسية

وبدوره، رأى أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة، جمال عبد الغني، أن الفساد الإداري يعتبر عاملاً خطيراً يقف حائلاً دون تنظيم انتخابات نزيهة وشفافة في الدول العربية، موضحاً أن الرشوة والعنف عادة ما يلزمان أية

انتخابات في تلك الدول، بسبب انتشار الفقر، رغبة القوى السياسية أو المذهبية أو القائمة في السلطة في تحقيق نتائج تضمن لها استمرار مصالحها والمكاسب السياسية والمادية.

وأوضح لـ "إيلاف" أن الرشوة السياسية في الانتخابات يقدمها المرشحون أو الأحزاب أو التكتلات السياسية أو حتى الجهات الإدارية الرسمية، مشيراً إلى أن أشكالها تتنوع ما بين المال أو السلع الغذائية أو الخدمات والمرافق.

دراسة

ووفقاً لدراسة صادرة من مركز دراسات الوحدة العربية، بعنوان "النزاهة في الانتخابات البرلمانية: مقوماتها وآلياتها في الأقطار العربية"، فإن الدول العربية تعاني من "عدم تطور أنظمة انتخابات عصرية قادرة على إنتاج مجالس تشريعية تعكس الإرادة الشعبية بوضوح وشفافية في معظم الأقطار العربية".

وأضافت أن "الفشل على مسار الإصلاح السياسي في تلك الأقطار يعتبر أحد أخطر أسباب فقدان النزاهة في الانتخابات"، مشيرة إلى أن "تحقيق الإصلاح السياسي أضحي ضرورة حيوية لتمكين الدول العربية من مواجهة تحديات العولمة المتسارعة في عالمنا الحاضر، وتتيح لها الإمكانيات اللازمة إلى التصدي لانتشار الفساد المتزايد المواكب لمسيرة العولمة".

المجتمعات المدنية

وشددت الدراسة على "ضرورة بلورة رؤية واضحة تمكن أقطارنا العربية من تحقيق وتفعيل آلية شفافة ونزيهة للانتخابات البرلمانية، تؤدي إلى إنتاج نظام سياسي يتيح للإرادة الشعبية التعبير عن نفسها ضمن مؤسسات الدولة وبخاصة التشريعية، بما يضمن تلك المشاركة الفاعلة عن طريق تحقيق صحة التمثيل للقوى الشعبية الفاعلة ضمن البرلمانات العربية".

ودعت الدراسة "المجتمعات المدنية العربية للقيام بتفعيل الضغوط الشعبية على الحكومات العربية لتحقيق آلية تضمن نزاهة الانتخابات، من دون إخضاعها للتجاذبات السياسية الداخلية، بما يمكن أقطارنا العربية من دعم مسيرتها لتحقيق ديمقراطية حقيقية تساعد على تحقيق الانتظام والاستقرار في الحياة السياسية".

اللقاء الأول بين رئيس الحكومة الإسبانية ورئيس إقليم كاتالونيا

وكالة فرانس برس : ٢٠١٨/٧/١٠

استقبل رئيس الحكومة الإسبانية الجديد بيدرو سانشيز الاثنين رئيس إقليم كاتالونيا كيم تورا في أول لقاء بينهما بهدف تهدئة التوتر الذي أعقب محاولة كاتالونيا إعلان استقلالها من جانب واحد في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٧، ووسط مخاوف من أن لا يعدو الأمر أن يكون حوار طرشان.

وبدأ اللقاء الأول منذ أكثر من عامين بين رئيس حكومة إسباني ورئيس إقليم كاتالونيا، نحو الساعة ٩,٣٠ ت غ في مقر الحكومة الإسبانية بمصافحة بين الرجلين.

ومن غير المقرر عقد مؤتمر صحافي مشترك، لكن من المتوقع أن تدلي المسؤولية الثانية في الحكومة كارمن كالفو بتصريحات بشأن اللقاء في مقر الحكومة اثر الاجتماع، في حين سيدلي كيم تورا بتصريحات في مقر حكومة كاتالونيا بمدريد.

وكان سانشيز الذي وصل الى منصبه في الأول من حزيران/يونيو خصوصاً بفضل اصوات النواب الكاتالونيين من دعاة الاستقلال، وعد بفعل كل ما بوسعه لتهدئة التوتر مع كاتالونيا. وكان قبل اسبوعين وصف كيم تورا بأنه "الوبن

السياسة الاسبانية". واثباتا للاقوال بالافعال، نقلت الحكومة الاسبانية الاربعاء الى سجون كاتالونيا ستة من القادة الاستقلاليين الذين كانوا مسجونين قرب مدريد لدورهم في محاولة الانفصال. لكن مواقف مدريد وسلطات برشلونة تبدو متعارضة بشأن مسألة تقرير المصير لهذه المنطقة الغنية في شمال شرق اسبانيا، الى حد الشك في احتمال احراز تقدم ملموس في هذا اللقاء. وكيم تورا الذي تولى منصبه منتصف ايار/مايو هو من اعضاء الجناح المتشدد في الحركة الداعية لاستقلال كاتالونيا. وكان اعلن انه سيثير في الاجتماع مسألة تنظيم استفتاء لتقرير المصير في كاتالونيا.

لا للاستفتاء

غير ان العديد من اعضاء الحكومة الاسبانية ردوا مسبقا بالرفض على غرار كارمن كالفو. وكانت قالت الاحد لصحيفة الموندو "استقلال منطقة ليس مدرجا في الدستور. ولا يمكن لاية حكومة دستورية في اسبانيا ان تفكر فيه" مشيرة الى انه "لم يسبق لكاتالونيا ان حصلت على المستوى الحالي من الحكم الذاتي واللامركزية".

ورد مسؤول كبير في حكومة كاتالونيا بالقول "ان مقترحنا لتسوية (المشكلة) هو استفتاء لتقرير المصير. واذا كانت لديهم فكرة افضل فعليهم ان يشرحوها لنا". ودعت وزيرة سياسة المناطق ماريكسل باتيت في بداية حزيران/يونيو الى مراجعة الدستور لاعتماد نظام فدرالي. لكن مع ٨٤ نائبا من ٣٥٠ لا يملك الاشتراكيون القدرة على المضي في ذلك. ولاحظ فيرناندو فالبيين استاذ العلوم السياسية في جامع مدريد المستقلة انه "لا توجد اغلبيية في اسبانيا تتيح القيام بمراجعة للدستور فالييمين يمكنه ان يعطلها".

وكانت كاتالونيا مسرحا في خريف ٢٠١٧ لأكبر ازمة سياسية تشهدها اسبانيا منذ عودتها الى الديمقراطية، وذلك عندما نظم رئيس حكومتها كارليس بوتشيمون استفتاء غير قانوني لتقرير المصير في الاول من تشرين الاول/اكتوبر تخللته اعمال عنف، وذلك قبل ان يعلن برلمان كاتالونيا بشكل احادي الاستقلال في ٢٧ تشرين الاول/اكتوبر ٢٠١٧.

وردا على ذلك حلت حكومة المحافظ ماريانو راخوي بدعم من سانشيز الذي كان حينها في المعارضة، حكومة اقليم كاتالونيا وبرلمانه ودعت الى انتخابات محلية جديدة. وفاز بانتخابات ٢١ كانون الاول/ديسمبر دعاة الاستقلال الذين تم سجن ابرز قادتهم او فروا الى الخارج على غرار بوتشيمون الذي ينتظر في المانيا قرار القضاء بشأن طلب سلطات اسبانيا تسليمه.

طريق طويل

ومع انهم يملكون الاغلبية في برلمان كاتالونيا، فان دعاة الاستقلال منقسمون بين انصار الاعتدال، والمتشددين على غرار بوتشيمون الذين يعتبرون اي تنازل لمدير خيانة. وبضغط من المتشددين تبني برلمان كاتالونيا الخميس مذكرة لليسار المتشدد يؤكد فيها مجددا الرغبة في اقامة جمهورية مستقلة. واعلنت الحكومة الاسبانية رغبتها في الغاء المذكرة امام المحكمة الدستورية. ويبدو بالتالي ان استئناف الحوار سيكون طويلا. وكان سانشيز اقترح ان ينظم اللقاء الثاني في ايلول/سبتمبر برشلونة.

كابوس «بريكست» يتواصل في بريطانيا

استقالة جونسون وديفيز.. وضغوط لتغيير نهج «ماي»

صحيفة (الاهرام): ٢٠١٨/٧/١٠

لندن - منال لطفي: في ضربة جديدة لحكومة رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي، استقال وزير الخارجية بوريس جونسون، وديفيد ديفيز الوزير المكلف بإدارة ملف الخروج البريطاني من الاتحاد الأوروبي الـ «بريكست» من منصبيهما أمس احتجاجا على ما وصفه بالخطط «الخطيرة» من جانب حكومة رئيسة الوزراء لطريقة الانسحاب من الاتحاد الأوروبي.

وجاء في بيان صادر عن مكتب «ماي» تم إرساله بالبريد الإلكتروني: «قبلت رئيسة الوزراء استقالة بوريس جونسون من منصب وزير الخارجية، وسيتم الإعلان قريبا عن اسم من سيخلفه، وتشكر رئيسة الوزراء بوريس على عمله».

وكان جونسون قد قال قبل استقالته مباشرة: إن سياسات «ماي» تجعل بريطانيا «دولة تابعة» للاتحاد الأوروبي حتى بعد الخروج منه.

أما ديفيز - الذي دعم خيار الخروج من الاتحاد خلال استفتاء ٢٠١٦ - فقد أكد، في نص استقالته، أن الاتفاق الذي توصلت له رئيسة الوزراء مع أعضاء حكومتها يقدم «الكثير وبشكل بالغ اليسر» لصالح المفاوضين الأوروبيين.

وأوضح أن «التوجه العام للسياسة سيتركنا على أفضل تقدير في موقف تفاوضي ضعيف وربما يكون موقفا لا مهرب منه أمام الاتحاد».

وأضاف: «في رأيي أن النتيجة الحتمية للسياسات المقترحة ستجعل السيطرة المفترضة للبرلمان البريطاني أمرا وهميا وليس حقيقيا». وأضاف في رسالة استقالته الموجهة لرئيسة الوزراء: «المصلحة الوطنية تتطلب وجود وزير لبريكست يؤمن بشدة بنهجكم، وليس مجرد جندي متردد»، في إشارة إلى موقفه غير المؤيد لرؤية «ماي». وحذر من أن تنازلات المملكة المتحدة لن تقف عند هذا الحد، وأن بروكسل ستطالب بالمزيد من التنازلات مستقبلا.

كما استقال أيضا من حكومة ماي وزيرا الدولة لشئون البريكست سويلا برايفرمان وستيف بايكر، وهما أهم مسئولين بالحكومة بعد ديفيز وجونسون.

وتأتي الاستقالات كدليل إضافي على انقلاب فريق الوزارة وتصاعد الدعم للتيار المعارض ضد التوجه المتساهل في إدارة مفاوضات الخروج من عضوية الاتحاد الأوروبي، خاصة أنها تأتي بعد يومين فقط من إعلان «ماي» توحيد حكومتها وحزبها المحافظ وراء رؤيتها لإدارة مستقبل العلاقات التجارية والاقتصادية، بما كان سيطلق يدها في عملية التفاوض ويدعم موقفها عند عرض خطتها أمام مجلس العموم البريطاني.

ومن المتوقع أن تدعم استقالات وزارة «البريكست» موقف صقور حزب المحافظين، الذين سبق أن أعربوا عن عدم رضاهم إزاء توجه «ماي» باعتباره «متساهلا».

مضيق هرمز والمعادلة الصعبة

*محمد علي جعفر

صحيفة (كيهان) الإيرانية: ٢٠١٨/٧/١٠

عند الحديث عن الصراع بين واشنطن وطهران، لا تكفي قراءة الواقع الحالي، بل يجب العودة الى مسار الحرب المُحتملة منذ انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية. حينها يمكن معرفة خفايا الصراع وأسبابه الحقيقية. هي معادلات القوة التي تمتلكها طهران، وقدرتها على الوقوف بوجه المخططات الأمريكية في المنطقة والإقليم، تحديداً غرب آسيا.

وبين هذه المعادلات تخرج مجدداً معادلة مضيق هرمز. كانت نفسها مطروحةً للنقاش قبيل بداية الحرب السورية. حيث قاد الفشل الأمريكي في المنطقة تحديداً في الحرب على أفغانستان وبعدها العراق، للتفكير في كيفية احتواء إيران. وجاءت حرب لبنان ٢٠٠٦ وحرب غزة ٢٠٠٨ لتعيد الدور الإسرائيلي الى حيثيته في رهانٍ على الانتصار وكسر محور المقاومة. فشلت الحرب وانتصرت المقاومة وانتصرت معها إيران. وكانت النتائج الأولى لقراءة واقع الأطراف حينها، تعاظم كبير لإيران وحلفائها في محور المقاومة.

خرج حينها المخطط الأمريكي ليُطلق إنذاراً عنوانه انتهاء زمن الهيمنة الأمريكية، وأنه على حلفاء واشنطن ارتقاب مستقبلٍ آخر تقود فيه طهران لعبة غرب آسيا. لكن الهدف باحتوائها ظل قائماً. وأطلق مستشارو الأمن القومي استراتيجيات الإحتواء الجديدة. فعلى الرغم من اختلاف تكتيكاتهم، التقى بريجنسكي الديمقراطي وكسينجر الجمهوري بالأهداف، فيما كانت تتنازع الطبقة السياسية الأمريكية في لعبة السياسة الداخلية. حينها بدأ عصر التخبُّط الأمريكي الواضح.

جاءت الحرب السورية لتكون نتيجة للربيع العربي بحسب وجهة النظر الأمريكية. لكن الحقيقة هي أن الحرب السورية كانت هدفاً بحد ذاتها لمشروع أمريكي يبدأ بكسر النظام السوري ومحاصرة حزب الله اللبناني وبالتالي ضرب محور المقاومة ما يعني كسر التعاضد الإيراني. وكان من ضمن هذا المشروع جعل الورقة السورية بديلاً لورقة مضيق هرمز.

يُشكّل المضيق نقطة قوة لإيران وبالتالي معادلة استراتيجية لم يستخدمها الإيرانيون حتى اليوم. وهو ما دفع الأمريكيين للتفكير بتجريد إيران من نقطة القوة الاستراتيجية. فكانت الحرب السورية وسيلة لإيجاد خط إمدادٍ للنفط والغاز من الدول الخليجية الى أوروبا ما يُهمّش قيمة مضيق هرمز في التجارة الدولية. من هنا يمكن معرفة أسباب التأييد التركي القطري لضرب سوريا وكيف لعبت هذه الأطراف الدور المركزي! ولماذا دخلت روسيا الحرب فيما بعد!؟

اليوم وبعد سنواتٍ من الحرب، فشل الأمريكيون في الرهان على الحرب في سوريا. وباتوا مهزومين فيها مُستسلمين لواقعٍ جديدٍ رسّخته معادلات محور المقاومة وروسيا. بل تعيش سوريا اليوم انتصارات الجنوب

السوري أحد الأوراق التي حولها الجيش السوري وحلفاؤه من تهديد الى نقطة قوة. ولولا ذلك لما كانت قمة هلسنكي التي ستُعقد منتصف الشهر الحالي بين ترامب وبوتين. وما يجري على هامشها من حديث اسرائيلي عن هزيمة مدوية للرهانات الإسرائيلية على واشنطن وصفقة القرن.

هي كلها مرتبطة. معادلات الصراع ومن يُديرها ويتحكم بها. ولم تكن يوماً معادلات الصراع غائبة عن أسباب القوة وأهميتها في رسم التحالفات. هي مصادر الطاقة التي تُعتبر أهم مصادر القوة الاقتصادية وبالتالي عصب حياة الدول وأساس تعاضدها. على أساسها تُرسم تحالفات الأطراف، ولأسبابها تُخاض الحروب.

اليوم تعيش طهران صراعاً لنفس الأسباب تسعى فيه واشنطن تجريد الجمهورية الإسلامية من نقاط قوتها. ولا شك أن الحرب الاقتصادية المُحتدمة اليوم، بين واشنطن وطهران، هي الأشرس والأهم في مسار الصراع المُحتدم منذ سنوات. لكن الواقع ليس كما يبدو أو يُظهره الإعلام الغربي. وهو ما أثبتته معادلة مضيق هرمز التي أعلن عنها المسؤولون الإيرانيون. فكيف يجب قراءة التهديد الإيراني الجديد؟

يمكن اختصار الجواب في التالي:

أولاً: أثبتت واشنطن خطأ قراءتها للواقع الإيراني. وما تزال تخطط في قراءتها بين الشعب الإيراني والشعوب الأخرى المُشرذمة. متجاهلة قاعدة التاريخ والجغرافيا التي أشار اليها محمد حسنين هيكل، حين قال من يمتلك التاريخ والجغرافيا لا يمكن أن يُهزم. وهو خطأ يشرح فشل الرهان الأمريكي الدائم. ولعل ذلك ما أبرزته مواقف الدولة (رئيس الجمهورية) والحرس الثوري المتناغمة والموحدة.

ثانياً: استطاعت طهران تفعيل معادلة موجودة لكن في الوقت المناسب. فالיום تُخرج إيران العالم بأسره. حيث لا بديل عن مضيق هرمز كمرّ إجباري لربع ما يستهلكه العالم من النفط يومياً. والجميع يُدرك ما يعنيه إقفال المضيق. وليست الرسالة لأمريكا فقط. بل لأوروبا والصين وروسيا، على هامش الحراك الدولي الذي تقوده هذه الدول. الهدف إبراز معادلة قوة تدخل ضمن حسابات الجميع، ويعرف الجميع نتائجها في التجارة الدولية.

منذ سنوات، أشعلت درعا السورية الحرب في سوريا. واليوم يُنهي الجيش السوري في درعا حلم واشنطن وحلفاءها. وبدأت إيران في الزمن الصعب إخراج معادلاتها الهجومية المبنية على انتصارات محور المقاومة في سوريا والمنطقة. الزمن اليوم مُختلف. وبدأت تترجل القوى الأصيلة نحو الميدان. يبدو أن طهران قررت أخذ خطواتٍ للأمام، تدخل في حسابات ردة الفعل المحسوبة لمواجهة الحرب الأمريكية. ولعل مجرد الدخول في سجل التهديدات يجعل إيران اليوم في كفة المُنتصر. حيث أن قواعد سوق الطاقة باتت رهن هذه السجلات لا سيما سعر النفط والطلب عليه. أرادت إيران تذكير العالم بأنها قادرة على لعب دور العرّاب من خلال معادلة قد يكون نسيها الكثيرون. هي معادلة مضيق هرمز الصعبة!

إنها الحرب!

*محمود ريا

نشرة الصين بعيون عربية: ٢٠١٨/٧/١٠

اندلعت الحرب التجارية، وما كان يخشى منه العالم حصل فعلاً، ولم يبقَ إلا انتظار نتائج هذه الحرب المدمرة لمعرفة ما ستتركه من آثار على الدول المستهدفة، وعلى رأسها الصين، والدولة المستهدفة، أي ولايات ترامب غير المتحدة.

لقد أصدرت وزارة التجارة الصينية تصريحاً رسمياً، صباح يوم الجمعة ٦-٧-٢٠١٨، تؤكد فيه اندلاع هذه الحرب، بعد أن بدأ تطبيق الرسوم الجمركية الإضافية التي فرضتها الولايات المتحدة على العديد من البضائع الصينية، الأمر الذي يمثل انتهاكاً لكل الاتفاقيات الدولية والثنائية، وتحطيماً لكل مفاهيم التجارة الحرة، التي كانت الولايات المتحدة أول دعائها في السابق.

اليوم، نحن نشهد فصولاً مثيرة من أزمة دولية أطلقها انتخاب ترامب رئيساً للولايات المتحدة، حيث لم يترك مكاناً في العالم إلا وأثار فيه أزمة، ولم يترك مجالاً إلا ووضع فيه قنبلة موقوتة سيؤدي انفجارها إلى الإطاحة بالكثير من مصاديق السلم والأمن الدوليين.

وها هي الصين تنضم رسمياً إلى قائمة الدول المستهدفة بالإجراءات الهوجاء الأمريكية، بما يعني أن كل أشكال المواجهة باتت متوقعة.

لقد أعلنت الصين وعلى لسان كبار المسؤولين فيها أنها لا ترغب في خوض حرب تجارية مع الولايات المتحدة، لأن هذه الحرب تناقض كل المبادئ التي تعمل الصين من خلالها، وعلى رأسها مبادئ المساواة والعدل والكسب المشترك. ولكن الصين أعلنت أيضاً وبوضوح أنها لن تستلم في حال شنت عليها هذه الحرب، وها هو السفير الصيني في لبنان وانغ كيجيان يعلن بالفم الملآن في مقابلة مع "الصين بعيون عربية" أن الصين "لن ترقع أمام الضغوط الباطلة".

إنها الحرب إذًا، حيث أن "الولايات المتحدة أشعلت أكبر حرب تجارية في التاريخ الاقتصادي" كما قال بيان وزارة التجارة الصينية، وفي هذه الحرب "إن الولايات المتحدة تطلق النار على العالم أجمع وعلى نفسها أيضاً" كما تابع البيان، ولذلك فإن الأضرار ستكون هائلة، فمن القوى العالمية سيكون أقدر على الصمود وعلى تحمل الأضرار والأخطار؟

ما هو مؤكد أن الولايات المتحدة لم تعد قادرة على الوقوف في وجه المسار الصحيح للتاريخ، وأنها تضع نفسها أمام تيار هائل لن تصمد أمامه، في حين كان بإمكانها أن تسير معه نحو تحقيق مصالحها ومصالح الدول الأخرى في آن معاً.

الولايات المتحدة تلعب "اللعبة الصفرية" بأشد وجوها عدوانية، وفي ظلها أنها ستريح هي وسيخسر الآخرون، كل الآخرين. ولكن يبدو أن الأوان قد فات لتحقيق هذه المعادلة.

مسيرة العلاقات الصينية - العربية وآمال وتطلعات الجانبين

صحيفة (الشعب) الصينية: ٢٠١٨/٧/١٠

تستضيف العاصمة الصينية بكين ١٠ يوليو الدورة الثامنة للاجتماع الوزاري لمنتدى التعاون الصيني العربي. ويخاطب الرئيس الصيني شي جين بينغ الجلسة الافتتاحية للاجتماع، بحضور أمير الكويت صباح الأحمد الجابر الصباح وممثلي ٢١ دولة عربية والأمين العام لجامعة الدول العربية. ويعد الاجتماع حدثاً مهماً في مسيرة العلاقات الصينية - العربية، حيث يبحث الجانبان مواضيع عدة ذات الاهتمام المشترك وخطط التعاون المشترك في بناء " الحزام والطريق " في العصر الجديد.

وبهذه المناسبة، نشر عضو مجلس الدولة ووزير الخارجية الصيني وانغ يي مقالا موقعا في صحيفة الشعب اليومية الصينية يوم ٩ يوليو حول مسيرة الإنجازات وتطلعات وأعدة بمزيد من التشارك الصيني - العربي في تخطيط التعاون في إطار "الحزام والطريق" في العصر الجديد.

وأشار عضو مجلس الدولة ووزير الخارجية الصيني وانغ يي في مقاله الى أن التواصل بين الصين والدول العربية يرجع الى تاريخ طويل، ويعد نموذجا يحتذى به، حيث شهدت الامتان العظيمتان تبادلات رفيعة وثيقة وعميقة على مدى ٢٠٠٠ عاما، وتعلمت الحضارتان من بعضهما البعض واستكملت كل منهما الأخرى. ومنذ منتصف القرن الماضي، تضامنت الصين والدول العربية بشجاعة واخلص في الكفاح من أجل التحرير الوطني، وساعدت كل منهما الآخر في بناء الوطن وكتابة فصلا جديدا من الصداقة والتعاون. وفي عام ٢٠٠٤، تأسس منتدى التعاون الصيني - العربي، الذي ساهم في ترقية العلاقات الصينية - العربية الى "محرك مزدوج" الثنائي والجماعي، ودفع التطور المتسارع للتعاون بين الجانبين في مختلف المجالات.

حقق الجانبان الصيني والعربي نتائج عظيمة ونيرة ومثمرة في التواصل والتعاون باتخاذ "الحزام والطريق" كخط رئيسي. وفي هذا الصدد استعرض وانغ يي في مقاله اهم الإنجازات التي حققتها العلاقات الصينية - العربية خلال السنوات الأربع الأخيرة: .

عززت الزيارات الناجحة للرئيس الصيني شي جين بينغ للشرق الأوسط، وزيارات زعماء مصر والمملكة العربية السعودية والمغرب وفلسطين للصين الثقة السياسية المتبادلة ورفعت العلاقات بين الجانبين الى مستويات اعلى. وأسست أو رفعت الصين علاقاتها الاستراتيجية مع ١١ دولة عربية، ودعمت جهود الدول العربية في استكشاف مسار التنمية بشكل مستقل، كما دعمت جهود فلسطين لاستعادة حقوقها الوطنية المشروعة. وفي المقابل، قدمت الدول العربية دعما قويا للصين في القضايا المتعلقة بمصالحها الأساسية والرئيسية.

كما شهد التعاون العملي الصيني - العربي توسعا كبيرا في المجالات الاقتصادية والتجارية والإنسانية، وبات أكثر تنوعا، بدءا من إطلاق الأقمار الاصطناعية إلى الفضاء إلى زراعة القطن في الارض. وتم فتح آليات منتدى التعاون الصيني - العربي، وتشغيل أكثر من ١٠ آليات بما في ذلك الاجتماع الوزاري واجتماع كبار المسؤولين ومؤتمر رجال الاعمال ومؤتمر التعاون في مجال الطاقة بشكل فعال لتوفير طاقة دفع قوية للتشارك الصيني - العربي في بناء مبادرة " الحزام والطريق ".

وترسخت معادلة التعاون "١+٢+٣" المتمثلة في اتخاذ مجال الطاقة كمحور رئيسي والبنية التحتية وتسهيل التجارة والاستثمار كجناحين ومجالات ذات تكنولوجيا متقدمة وحديثة تشمل الطاقة النووية والفضاء والأقمار الاصطناعية والطاقة الجديدة كنقاط اختراق بفضل الجهود المتضافرة والخطوات الرائدة والصلبة من الجانبين.

كما تبذل الصين والدول العربية جهوداً متواصلة لتعزيز ستراتيكتيتها الانمائية والدفع بالتعاون لتحقيق تقدم جديد في كافة المجالات. ووقعت الصين مذكرة تفاهم في شأن التشارك في بناء "الحزام والطريق" مع تسع دول عربية ووثيقة التعاون في شأن الطاقة الإنتاجية مع ٥ دول عربية. كما استثمر صندوق طريق الحرير والبنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية في الدول العربية. وفي عام ٢٠١٧، بلغ حجم التبادل التجاري الصيني-العربي ما يقارب ٢٠٠ مليار دولار أمريكي، بزيادة ١١,٩٪، وبلغ حجم الاستثمار الصيني المباشر في الدول العربية ١,٢٦ مليار دولار أمريكي، بزيادة ٩,٣٪.

ارتقت الصين والدول العربية بالتعاون في المجالات التقليدية مثل الطاقة والبنية التحتية والتجارة إلى مستوى جديد. وقد فتح مشروع مجمع حصيان لإنتاج الطاقة بتقنية الفحم النظيف الواقع بالقرب من المنتزه الترفيهي العائلي "دبي بارك آند ريزورتس" أول مشروع من نوعه في المنطقة ويعتمد على أفضل التقنيات العالمية، ومنها تقنية المراحل فوق الحرجة، ومشروع محطة توليد كهرباء تعمل بالصخر الزيتي في الأردن فصلاً جديداً في التعاون الكهربائي الصيني-العربي. كما ساعدت مشاريع البنية التحتية على نطاق واسع مثل المرحلة الثانية من ميناء خليفة في دولة الإمارات العربية المتحدة وسكك حديد الضواحي في "يوم العاشر من رمضان" في مصر تقدماً مطرداً للبلدان العربية على تطوير المواصلات. وشكلت منطقة السويس الاقتصادية والتجارية كتلة صناعية.

تعمل الصين والدول العربية على تحسين وتعميق التعاون بشكل مستمر من خلال ابتكار. حيث تم إنشاء المركز الصيني-العربي لنقل التكنولوجيا، وأقيم بنجاح المنتدى الصيني العربي لنظام يبدو للملاحة بالأقمار الاصطناعية، ونجحت الصين في إطلاق أول قمر اصطناعي جزائري للاتصالات الذي يعتبر مثالا ناجحا للتعاون الصيني-العربي في مجال الاتصالات عبر الأقمار الصناعية. كما تم إنشاء مركز البحوث للتنمية والإصلاح الصيني العربي ومنتدى الإصلاح والتنمية الصيني-العربي منبرا لتبادل الخبرات في مجال الحوكمة والإصلاح والتنمية الذي لقي ترحيبا كبيرا من قبل الجانب العربي.

أصبح التعاون المتبادل المنفعة بين الجانبين الصيني والعربي عمليا أكثر في مجالات التنمية الذاتية والتنمية الاجتماعية ومعيشة الشعب وتبادل الأفراد، مما عاد بالفوائد الملموسة والرفاهية الى كلا الشعبين. وفي هذا السياق، تم تنفيذ جميع ما أعلن عنه الرئيس شي جين بينغ من المساعدات لفلسطين والمساعدات الإنسانية لسوريا ولبنان والأردن وليبيا واليمن. وتولت الصين تدريب أكثر من ٦٠٠٠ كفاءة عربية في تخصصات مختلفة.

وفي الوقت الذي تشجع فيه الصين على تعزيز خروج قدراتها الإنتاجية العالية، تتابع عن كثب حاجات الشرق الأوسط الى تنويع الاقتصاد وتساعد الدول العربية على تعزيز قدراتها التنموية المستقلة، ولم تتجاهل الصين قضية معيشة الشعب باعتبارها "السؤال الإجمالي". وأسست شركة صينية قاعدة أولى لإنتاج الألياف الزجاجية خارج البلاد في منطقة السويس للتعاون الاقتصادي والتجاري، التي أوجدت أكثر من ٢٠٠٠ فرصة عمل للأهالي المحليين، وجعلت مصر أكبر منتج للألياف الزجاجية في إفريقيا وثالث أكبر منتج في العالم.

وقدمت الدول العربية التسهيلات لزيارة المواطنين الصينيين لها. ولغاية اليوم، اعتمدت ٩ دول عربية سياسة الإعفاء من التأشيرة أو الحصول على التأشيرة في المطار للمواطنين الصينيين، وهناك ١٥٠ رحلة جوية للركاب و٤٥ رحلة جوية للبضائع تنتقل بين الصين والدول العربية أسبوعياً. ويشهد عدد السياح الصينيين إلى الدول العربية زيادة عاما بعد عام وبنسبة كبيرة. كما دخلت المنتجات المصرية عالية الجودة مثل القطن الطويل، وزيت الزيتون التونسي، والشوكولاتة اللبنانية، والتمور الخليجية إلى آلاف المنازل في الصين من خلال منصات التجارة الإلكترونية.

يمر العالم اليوم بالمرحلة الحاسمة للتطورات والتغيرات والتعديلات الكبيرة. وتسير الصين بخطى وثيقة في مسيرتها الجديدة لتحقيق هدف "مائتي عام"، سيزداد الإصلاح عمقاً واتساعاً، ويزداد البلد انفتاحاً على الخارج. وفي الوقت نفسه، اتخذت الدول العربية إجراءات مهمة لإصلاح وإنهاض البلاد نحو مستقبل أفضل. وبات مفهوم التنمية أكثر انسجاماً مع بعضها البعض والمزايا التكميلية أكثر وضوحاً للصين والدول العربية، ووصلت العلاقات الصينية - العربية نقطة انطلاق تاريخية جديدة. ويتعين على الجانبين العمل معاً لتعزيز بناء علاقات دولية جديدة، وتعزيز بناء مجتمع مصير مشترك للبشرية، وخلق بيئة خارجية سلمية ونظاماً دولياً عادلاً للجانبين.

وفي الدورة الثامنة للاجتماع الوزاري لمنتدى التعاون الصيني - العربي المرتقبة، سيتولى الجانبان الصيني والعربي، إرشاد قادة الجانبين، لاتخاذ "الحزام والطريق" كخط رئيسي وتوجيهي، والبحث في الخطط والخطوات للتعاون في المستقبل والعمل معاً على إقامة "النسخة المطورة" للعلاقات الصينية - العربية.

ستعمل الصين والدول العربية بجد ليكونا شريكين في الحفاظ على السلام وتعزيز الاستقرار. ويتعين على الجانبين تعزيز التنسيق ومواصلة الدعم المتبادل في القضايا المتعلقة بالمصالح الجوهرية والشواغل الأساسية، والدفاع عن المصالح المشتركة للدول النامية الفقيرة بحزم، والدفع بحل القضايا الساخنة بالطرق السياسية، ودعم مفهوم الأمن المشترك والمتكامل والتعاوني والمستدام، بما يعيد السلام والهدوء إلى الشرق الأوسط في يوم مبكر، وتقديم المساهمات الواجبة لكلا الجانبين من أجل الاستقرار والازدهار في العالم.

ستعمل الصين والدول العربية بجد ليكونا شريكين في الإصلاح والتنمية والازدهار. ويجب على الجانبين دعم بعضهما البعض لاستكشاف الطرق التنموية تتماشى مع الظروف الوطنية، وفهم خصائص التكامل وتطابق الحاجات، وتسريع تطوير الالتحام استراتيجيات التنمية، وتوسيع تبادل الخبرات في الحكم والادارة، وتحقيق التقدم والتنمية المشتركة. ويجب الاهتمام بالشعب كأولوية، وجعل نتائج التنمية مفيدة لشعوب الجانبين بشكل أكبر.

ستعمل الصين والدول العربية بجد ليكونا شريكين في التعاون العملي والمنفعة المتبادلة المشتركة. ويجب على الجانبين الالتزام بالتشاور والتقاسم والتشارك وتوسيع التعاون في مجالات البنية التحتية والأقمار الاصطناعية والفضاء والطاقة وغيرها، والتنفيذ الجيد للمشاريع الحيوية مثل الموانئ والمناطق الصناعية وغيرها. كما ترحب الصين بمزيد من الدول العربية للتشاور مع الصين لتوقيع مذكرة تفاهم في شأن التشارك في بناء "الحزام والطريق"، بما يرفع مستوى التعاون العملي وجودته.

ستسعى الصين والدول العربية لأن تكونا شريكين للتواصل وتبادل المنفعة بين الحضارات. وستوسع الصين والدول العربية التبادلات الثقافية، وتعميق التعاون في العلوم والتعليم والصحة والاعلام، بناء المزيد من الجسور لتعزيز التفاهم المتبادل بين الجانبين، وتعزيز الصداقة بين الشعبين وتشجيع التنمية والتقدم الحضاري البشري بشكل مشترك.

وخلص وانغ يي مقالته قائلاً: "المخطط الجديد يحمل آمالاً جديدة، ونقطة انطلاق جديدة تختمر آمالاً جديدة. وأن سفينة التعاون والصداقة الصينية - العربية سترفع شراعها وتبحر نحو مستقبل أفضل."

كشف القناع عن آليات الخداع

*سعيد ناشيد

موسوعة الفكر، صفحة الكاتب، ٢٠١٨/٧/١١

سأدخل مباشرة إلى الموضوع وأقول، قد أكون بصدد استعمال آليات الخداع في الإقناع، في الحالات التالية:

* حين أذكر في كلامي بعض الأسماء غير المعروفة، أو بعض الأرقام غير المتداولة، والتي يصعب التحقق منها في الحال، أو أنني أذكرها بنحو يجعل التحقق من صحتها أمرا بالغ الصعوبة والتعقيد ولو بعد حين، لكنني أبني عليها في الحال مواقف قطعية ونتائج نهائية.

* حين أذكر أسماء مبنية للمجهول على طريقة (اكتشفت أحد المختبرات العلمية... اعترف أحد عقلائهم... أخبرني أحد التقاة... إلخ)، وأتوقع التسليم بالمعطى طالما لا يمكن تفنيده في الحال، بل لا يقف الأمر عند هذا الحد وإنما أحاول أن أستنتج من تلك المرويات خلاصات حاسمة.

* حين أنطلق من فرضية أولى، وأعترف ابتداءً بأن الأمر مجرد فرضية قابلة للاختبار، لكنني بدل اختبارها سرعان ما أستنتج منها فرضية ثانية ثم ثالثة، وهكذا دواليك، إلى أن أدعي لنفسي إنشاء نظرية قائمة الأركان.

* حين أنتقي بعض المعطيات القليلة وغير المكتملة، وأبني عليها أحكاما نهائية على طريقة (ما يصدق جزؤه يصدق كله)، وهي مبالغة لا تصدق دائما.

* حين يعرض عليّ أحدهم عشرات الحجج، ثم أنتقي أضعفها، وبعد أن أطعن فيها كيفما اتفق، أستنتج بطلان الأطروحة بأكملها على طريقة (ما بطل بعضه بطل كله)، وهي مغالطة منطقية بكل تأكيد.

* حين أجعل الفشل في البناء ذريعة لادعاء فشل فكرة البناء نفسها، على منوال من يجعل فشلنا في بناء الحداثة دليلا على فشل الحداثة، وفشلنا في بناء الدولة الوطنية دليلا على فشل الدولة الوطنية، وفشلنا في بناء المعرفة العلمية دليلا على فشل العلم المعاصر، وفشلنا في الاندماج في الحضارة المعاصرة دليلا على فشل الحضارة المعاصرة، فأنا بهذا المعنى أمارس التضليل. لماذا؟ لأن الأصل أن الفشل في البناء ليس دليلا على فشل فكرة البناء، كما أن الفشل في الإبداع ليس دليلا على إفلاس الإبداع، والفشل في الإصلاح ليس دليلا على استحالة الإصلاح، والفشل في الحب ليس دليلا على عدم إمكانية الحب. بلغة بليغة نقول: فشل المحاولة لا يعني الاستحالة.

* حين أستحضر نظرية المؤامرة لأجل تفسير كل شيء، وأي شيء، ولا شيء، ثم أجعل من غياب الدليل على الدعوى دليلا على قوة المؤامرة.

* حين أبحث عن أي قاسم مشترك قد يكون أو لا يكون بين معطين لا تربط بينهما غير المصادفة، وأستنتج في الحال أن من المحال أن يكون ذلك مصادفة! أو أطرح السؤال: لماذا في هذا الوقت بالذات؟ وهو سؤال ملغوم في كل الأحوال.

* حين أردّ على من ينتقد سلوكا مستشرياً عندنا بحجة أنّ غيرنا قد يفعل مثل ذلك ولو في بعض الأحيان، ومن ثمة لا داعي لتركيز النقد على ذواتنا، أو حين أردّ على من ينتقد عنف الذات هنا الآن بالسؤال، ولماذا لا تنتقد عنف الآخر هناك أو هنالك أو في الماضي القريب، أو حتى في الماضي البعيد؟

* حين أصف الآيات القرآنية التي لا تعجبني بأنها منسوخة، وأصف الأحاديث التي لا ترضيني بأنها ضعيفة أو موضوعة، وأجعل التراث الذي لا يروق لي ضمن الإسرائيليات.

* حين أراهن على إثارة الحزن والغيرة والغضب والنصرة والعصبية، كبديل عن الاستدلال، وأكثر من البسملة والحمدلة والحسبلة والحوقة أثناء الكلام، ولا أكون واضحا في التعبير عن رأيي، إن كانت لي آراء بالأساس.

* حين أمثل حزبا من أحزاب الإسلام السياسي فأستعمل مفاهيم الحداثة والعقلانية والتمدن والحرية وحقوق الإنسان في حواراتي الإعلامية، لا سيما مع الصحافة الغربية، ثم لا يكون لتلك المفاهيم أي أثر يُذكر في القوانين

الداخلية للحزب الذي أمثله. والحال أن من آفات السياسيين والإعلاميين اهتمامهم بالتصريحات أكثر من اهتمامهم بالوثائق.

آليات الخداع في الإقناع حجة من لا حجة له، منهج الأصوليات والشموليات في سعيها إلى السيطرة، وهي التي ترى لأجل ذلك أن الغاية تبرر الوسيلة، بل وترى الإنسان نفسه مجرد وسيلة لخدمة غايات كبرى تتجاوزه، سواء أكانت غايات مادية أم غيبية. لذلك تعتقد الأصوليات والشموليات أن دور المثقف ليس إعمال العقل طالما الحقيقة مطلقة وقابلة للتلقين، وإنما دوره مقتصر على الدعاية والإقناع. وهو ما يقابل الدعوة والتبليغ في الأيديولوجية الدينية.

في واقع الحال تبقى معظم الخدائع المؤسسة للإسلام السياسي امتدادا لثقافة الحيل الفقهية. بحيث يكفي التلاعب ببعض الألفاظ والدلالات حتى يصبح الحرام حلالا، والحلال حراما. تكفي بعض الشطحات التأويلية حتى يصبح المحظور مباحا، والمباح محظورا. يكفي اليوم على سبيل المثال تحميل بعض مقتضيات الحادثة بعض الأسماء "الشرعية" حتى نحصل على حادثة حلال زلال على منوال "البنك الإسلامي"، و"المايوه الشرعي"، و"السندويتش الحلال"، و"الرقص الحلال"، و"زمزم كولا"، وهلم جرا أو جهلا.

"أسلمة الحادثة" مثلا، تعني على وجه التحديد إمكانية التحايل على جوانب الحادثة التي لا نستطيع مقاومتها، والتي في نفس الوقت لا تقبل بها رقابتنا الذاتية، وذلك بإجراء بعض التمويهات الشكلية، على طريقة اقنعة الرغبات المحظورة في صور الأحلام وفق آليات التحليل النفسي. الأمثلة كثيرة من قبيل اعتبار الضريبة مجرد باب من أبواب الزكاة، والانتخابات مجرد باب من أبواب الشورى، والعمل السياسي مجرد باب من أبواب الدعوة. وكذلك من قبيل إمكانية أن تسبح المرأة وفق مستلزمات السباحة الحديثة، لكن بعد أن نُجري على لباس السباحة تعديلا في مستوى الصورة ولو بنحو كاريكاتوري، فيُستبدل البيكيني بالبوركيني.

اليوم في معركة البوركيني (المايوه الإسلامي) ضد البيكيني (المايوه الحداثي)، يصطف جمهور الإسلام السياسي خلف البوركيني، رغم أنه لم يرد في أي قاموس من قواميس السلف أو الخلف. لقد انطلت الحيلة على الذات.

وكذلك الحال بخصوص إمكانية شراء السيارة بقرض بالفائدة وفق مستلزمات المعاملات الحديثة، لكن بعد أن نُجري تعديلا طفيفا في مستوى شكل الاستقبال، ثم نسمي الفائدة بالمرابحة، أو وفق التعبير الذي أمسى رائجا بينهم، "الكراء المفضي إلى تملك السيارة". "وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ" البقرة ٩.

اليوم في معركة المرابحة (البنك الإسلامي) ضد الفائدة (البنك الحداثي) يصطف جمهور الإسلام السياسي خلف المرابحة، رغم أنها ليست ضمن قواميس القروض سواء في منظومة الشريعة أو منظومة الحادثة. لقد انطلت الحيلة على الذات. وكذلك القول عن العديد من المصطلحات ذات الطابع التمويهي من قبيل فقه الفلسفة، حقوق الإنسان في الإسلام، إلخ.

في آخر المطاف تلك المصطلحات لا تنتمي إلى الشريعة ولا إلى الحادثة، إنها مجرد مخلوقات مشوّهة لا تعمر طويلا، لأنها ثمرة حمل غير صحي بين فصائل غير قابلة للتزاوج، أو على اعتبار أن المهمة تُركت في الأساس لطب العطارين، وما شابه ذلك.

الإرهاب والشعبوية يغذيان واقع "ما بعد العولمة"

نقاش فكري يعالج واقع ما بعد العولمة

صحيفة (العرب) اللندنية: ٢٠١٨/٧/١١

محمد بن امحمد العلوي-أصيلة (المغرب) - "ماذا بعد العولمة" سؤال طرحه منتدى موسم أصيلة الثقافي الدولي في دورته الأربعين، حيث ناقش سياسيون وخبراء وباحثون واقع ما بعد العولمة في ظل انتشار الشعبوية وتنامي الإرهاب وتواصل الحروب.

ورغم أن العولمة تراهن على أن العالم قرية صغيرة يسمح بالانفتاح بين الشعوب على مستويات عدة ثقافية أو اقتصادية كتبادل رؤوس الأموال، والسلع، والخدمات عبر الحدود الوطنية، إلا أن الجزع من العولمة بعد أحداث إرهابية طالت الغرب وبرز ظاهرة المهاجرين، يبرر صعود أحزاب يمينية تقصي العولمة من حساباتها إلى السلطة، وهو ما أجمع عليه المشاركون في المنتدى.

وأقر المشاركون في جلسة نقاش خصصها المنتدى حول تحديات العولمة، أن العالم يعيش تحولات عميقة تقتضي تكاثف الجهود من أجل بناء عالم جديد يستجيب لتطلعات الإنسانية إلى تعايش سلمي حقيقي ولا يسمح بتمدد الفكر الانعزالي الذي يلاقي رواجاً منذ تنصيب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب رئيساً للولايات المتحدة يناير ٢٠١٧ والذي نجح في إقناع الأمريكيين بنجاعة شعار "أمريكا أولاً" وأن سياسته ستركز أساساً على العناية بمصالح المواطن الأمريكي.

المشاركون في موسم أصيلة الأربعين يستنتجون أن العولمة اتخذت مساراً سلبياً بسبب عدم التكافؤ الاقتصادي والتكنولوجي بين العالم النامي والدول المصنعة. كما أن الإرهاب استطاع أن يوظفها لصالحه ويعتمدها كوسيلة لتهديد الأمن الدولي.

واعتبر محمد بنعيسى أمين عام منتدى أصيلة ووزير الثقافة والخارجية في المغرب سابقاً أن العالم يجتاز الآن ومنذ الحرب العالمية الثانية أدق وأحرج فترة في التطورات الاقتصادية والسياسية التي تعرفها جل الدول وكذلك على صعيد مسار العلاقات الثقافية الدولية، فقد باتت العولمة مؤثرة سلباً على المنظومات القيمية والهويات الوطنية. كما تتميز هذه المرحلة بنزوح كبير من بعض القادة السياسيين وحتى المفكرين في الغرب نحو شعبوية طالت نظماً سياسية هنا وهناك.

وتابع "ربما نعيش مرحلة البحث عن عالم جديد مغاير يؤسس لمفهوم جديد للديمقراطية والتعاون والتعايش والسلم الدولي من أجل إبعاد أسباب القلق والخوف وعدم الاستقرار، هي مشاعر باتت مهيمنة على قطاعات كبيرة من الرأي العام في عدد من المجتمعات".

ويلفت سلمان خورشيد وزير الشؤون الخارجية والعدل سابقاً بالهند، إلى القول إن العالم يشهد صداماً للحضارات منذ أحداث ٢٠٠١. وأوضح أن نهاية الحرب العالمية الأولى والثانية لم تنجح في استتباب السلم والاستقرار، حيث تواصلت النزاعات، وما تشهده المنطقة العربية خير دليل على ذلك.

ورأى خورشيد أن الإرهاب الذي يجري الحديث عنه اليوم بإسهاب ليس صراعاً بين الحضارات بل هو صراع عدو محدود من الجماعات، كالصراع بين السنة والشيعة في العراق وسوريا، وقد نجحت التنظيمات المتطرفة في توظيف العولمة وما رافقها من تطور تكنولوجي في تهديد الأمن العالمي.

ويتسق رأي خورشيد مع رأي وزير الخارجية والتعاون الإسباني السابق ميغيل أنخيل موراتينوس الذي تحدث عن وجهة نظره حيال العولمة مشيراً إلى التفاؤل في نهاية الألفية الثانية، خاصة تجاه السلام في الشرق الأوسط، الذي كان أحد أركانه كوسيط أممي.

وتحدث عن "الطمأنينة من عدم حدوث تغيير جذري في العالم، حتى أن انهيار النظام الجيوسياسي الدولي عام ٢٠٠١ ليس بسبب الاعتداء الإرهابي بل بسبب رد الفعل المبالغ فيه والخروج باستنتاج عام قلب العالم، وانهار نسق الأمن الدولي وانهارت المنظومة المالية. فبات الناس يشعرون بالخوف من المستقبل. وفي هذا السياق تطورت العولمة، التي كانت موجودة من قبل، واتخذت أبعاداً مختلفة ولمسنا معها التطور العلمي والتقني".

ودعا موراتينوس إلى التعايش ومعايشة الظروف الجديدة، لكنه كرر الحديث عن وجود قوة عظمى لا تزال لا يقدر أحد على تجاهل دورها وهي الولايات المتحدة التي دعا رئيسها آنذاك باراك أوباما إلى تعددية الأقطاب، في حين كشف عن صدمته من قول الرئيس الصيني عام ٢٠١٧ في منتدى دافوس حين كانت الدول تناقش مسألة تعددية الأطراف كبديل عن الطرف الواحد، "إن الصين تقود المجتمع الدولي بطريقة تراعي بها السلام".

ودعا في ختام ورقته قائلاً "لا نسمح للتكنولوجيا بالسيطرة علينا بل نستخدمها وسيلة لخدمتنا". فيما اعتبرت بينيتا فيريرو والدنر، وزيرة خارجية النمسا السابقة، أنه في ظل تكنولوجيا الإعلام الجديد ونشر المعلومات على الخط المباشر، أضحت العولمة تعاني تداعيات هذه التكنولوجيا ما تسبب في نشر الانعزالية وصعود الشعبوية وأضحى الخوف من تلك القيم هو الطاغى في العلاقات الخارجية.

ولأن العولمة قامت أساساً على التواصل العام والشامل، دعا الوزير المغربي السابق محمد الأشعري إلى ضرورة إيجاد حل للتطور التكنولوجي الخطير الذي سيقسم العالم في المستقبل إلى شق قوي يحتكر إنتاج الذكاء الاصطناعي وشق ضعيف يحرم من الاستفادة من التطورات التكنولوجية، متسائلاً عن إمكانية نجاح العولمة في بناء مستقبل لشعوب تعاني من فوارق اقتصادية واجتماعية وتكنولوجية عميقة.

وفي إطار القوى المستفيدة من العولمة يشير محمد بنحمو إلى أن تنظيم الدولة استفاد أيضاً من العولمة لتنظيم عملياته على عدة مستويات إعلامية ولوجستية وتقنية.

ولا يمكن التغلب على آفة الإرهاب دون توحيد الجهود، فالتطور التكنولوجي رافقه تطور في الأسلحة، كما يلفت خورشيد، وأن هناك مشاكل التعددية، مضيفاً أن الهند كتجربة تعددية تجيب على سؤال التعايش، كونها لم تعاني مشاكل الهجرة ولم يكن هناك تصادم رغم التنوع الاثني والديني، فالهند كما يقول المتحدث تشكل مثلاً جديراً بالتحليل من هذا المنطلق التعددي.

فيما يعتقد بنحمو بأن الحروب ستستمر، وهي حروب غير متوازنة حتى القوى الإقليمية في مأزق ولا تتوصل إلى كيفية مواجهة مخلفات العولمة، مضيفاً أنه من مفارقات المرحلة الجديدة التي تشهد تواتر الأزمات الاقتصادية والسياسية أن العولمة غيرت قواعد اللعبة.

وقدم خورشيد بلده الهند كنموذج لتعدد الثقافات فيها التي لم تتأثر بالعولمة وبسعي أوروبا لاستقبال التدفقات الهجرة إليها. وتطرق إلى ثورة المعلومات التي جعلتنا نستقر في حيز محدود من الكون ونتواصل عبر الإنترنت.

لكنه تساءل هل نتواصل إنسانياً في هذا الحيز الافتراضي؟ وهل نستطيع أن نعولم التخاطب؟ وهل نستطيع أن نسقط الحواجز ونتواصل ونتعامل مع التحديات القائمة اليوم من قلة المياه والتغير المناخي؟ وختم بأن الجنس البشري بات اليوم مهدداً بالانقراض لولا العولمة.

*صحافي مغربي

الخصوصية العربية وفشل التحولات الديمقراطية

*برهان غليون

صحيفة (الحياة)؛ ٢٠١٨/٧/١١

بعد غيبة قصيرة، على إثر اندلاع ثورات الربيع العربي التي لم ينكر أحد أنها كانت تهدف إلى إحلال حكومات تمثيلية ودستورية محل نظم مستبدة ظالمة ووحشية في تعاملها مع شعوبها ومجتمعاتها، يستعيد بعض الباحثين اليوم نظرية الاستثناء العربي القديمة. ولكن في حلة جديدة تبدو أكثر حيادية، هي نظرية الخصوصية العربية. وهم يحاولون تفسير فشل ثورات الربيع العربي الشعبية في إنجاز تحول ديمقراطي، مثلما حصل في شرق أوروبا، بعد انهيار الكتلة السوفييتية، بالطابع الخاص للمجتمعات العربية التي تبدو متشبثة أكثر من غيرها بالإرث الثقافي والديني الذي لا تريد الانفصال عنه. ويأتي انتشار الحركات السلفية والإسلاموية الواسع، وانتزاعها القيادة في الثورات العربية، بمثابة التأكيد القاطع لفرضية الخصوصية هذه. ومن الطبيعي أن يلتهم أنصار الاستبداديين، الديني والسياسي، في العالم العربي، هذا التفسير، ليبرروا حرمانهم مواطنيهم من حقهم في الولوج إلى هذا المكتسب المدني الإنساني والتاريخي الجوهري، والمفتاح لمكاسب أخرى معا.

بداية، ليست الثقافة مطابقة للإرث الثقافي، فهي، بعكس الإرث الناجز والجاهز، عملية تفاعل حي مع الواقع والتاريخ معا، أي تتقف دائم ومثاقفة وانغماس للذات في الحدث والعصر. ولا يفكر الأحفاد، مهما حاولوا واجتهدوا، وتوهموا، كما يفكر الأجداد. العرب، مثل جميع الشعوب والمجتمعات يعيدون تأويل الإرث الماضي، الديني والمدني، ويختارون منه، ويصورونه أيضا، على حسب حاجاتهم التاريخية، ومن خلال ذلك يقومون بتكوين ذاتيتهم/ ذاتها في نشأتها الجديدة، التي تأخذ من العصر إشكالاته وقيمه وحوافزه وغاياته الانسانية، ومن الماضي مادتها وبعض رموزها.

(١)

من هنا، يشكل النزوع إلى استيعاب الحداثة وقيمها وغاياتها المحرك الأول لبناء الثقافة التي ليست سوى بلورة الخيارات الجديدة، ونشأتها الفعالية في كل ميادين النشاط المجتمعي. وكما كان استيعاب العلوم والتقنيات وأنماط العمران والإنتاج والاستهلاك هو الموجه لنشاط المجتمعات العربية وغيرها في القرنين الماضيين، كان بناء دول وطنية وتزويدها بقوانين ومدونات مكتوبة ومؤسسات دستورية متعددة، وتبني نمط التوزيع السائد للسلطات فيها، الرد الأول والطبيعي والمنطقي على الحاجة إلى إعادة تأسيس الدولة، بالنسبة للنخب العربية وغير

"يفسر بعضهم فشل ثورات الربيع العربي الشعبية في إنجاز تحول ديمقراطي بالطابع الخاص للمجتمعات العربية" العربية، الخارجة من عصور السلطنة المنتهية، ثم من بعدها عهد الوصاية الاستعمارية. هكذا، باستثناء حالات خاصة، تقاطعت فيها مصالح داخلية وخارجية قوية، نشأت أكثر الدول العربية المستقلة على نمط الدولة الديمقراطية التعددية المدنية، واستمرت معه خلال النصف الأول من القرن العشرين. تفسير ذلك سهل جدا، وفي متناول الجميع، لأنه سنة التاريخ وقانونه الذي يفيد بأنه لا يعيش اجتماع سياسي ومدني، ما لم يتمثل أسس قيام الاجتماع السياسي التاريخية، أي المتبعة في عصره، لأن العالم لا يتكون من مجتمعات مغلقة، ومكتفية بنفسها، ومتكورة على ذاتها، لكنه يتشكل في الصدام والصراع والتنافس. والشعب أو القومية التي لا تنجح في تمثيل قواعد العمل والصراع السائدة في عصرها تخرج من التاريخ، وتتهشم قبل أن تذوب في غيرها.

ما يبدو من مظاهر تشبث المجتمعات العربية بالإرث الثقافي والديني القديم ليس له علاقة بهذا الإرث نفسه، وإنما هو ثقافة جديدة أو جزء من ثقافة جديدة، هي ثقافة الرد على حالة التهميش والإقصاء والعنصرية التي

تعيشها الأغلبية الساحقة من الكتل الشعبية المنتزعة من أي هوية وثقافة، وهي ثقافة مختلفة تماماً تعبر عن ميول وتوجهات ومخاوف وتناقضات وتطلعات واختناقات نشأت في ظل الأوضاع الداخلية والخارجية القائمة في حضن المجتمعات بعد، وبسبب إجهاض محاولاتها الرائدة للانعتاق منذ قرنين. وهي ما أسميها ثقافة الضد أو الثقافة المضادة أو مقلوب الثقافة.

وبالمثل، لم يكن الفكر الديمقراطي وليداً شرعياً لأي ثقافة أو إرث خاص. لقد نجم عن طفرات وانقطاعات فكرية وسياسية، طرأت على مسار بعض المجتمعات الأوروبية المتأزمة، بعد أن لم تكن موجودة من قبل. ولكنه أصبح في عصرنا، كالماء والهواء، جزءاً من البيئة الثقافية والسياسية والنفسية المشتركة للبشرية، ويقف في مقدمة جدول العمل التاريخي لجميع الشعوب.

(٢)

وكما أنه لا يوجد شعب منفصل اليوم عن تحولات الثقافة والسياسة والفكر العالمي، كذلك لا يوجد شعب يفضل العبودية، أو حكم السيد الإقطاعي، أو الملك المطلق السلطات، على نظم التعددية الديمقراطية والمشاركة وحكم القانون والمساواة الأخلاقية والقانونية.

أکید أن تيارات رأي سياسية نشأت، منذ بضعة عقود، تعتقد أن القيم والمبادئ الدينية ينبغي أن تتقدم على مرجعية السيادة الشعبية أو الحكمة العقلية، وقد حققت بعض النجاح في الظروف الصعبة التي تمر بها المجتمعات الباحثة عن مخرج من معاناتها، لكنها لم تلبث أن اصطدمت بالواقع الصلب، وخسرت رهاناتها، واقع أن القيم الرئيسية التي تحرك الفرد، أي الأغلبية الساحقة من البشر، بما في ذلك جزء كبير من جمهور هذه الحركات، هي قيم المدنية الإنسانية التي بدأت تنتشر منذ عهد النزعة الإنسانية والنهضة الأوروبية. وأن المجتمعات التي خدعتها وعود تطبيق "الشريعة" الدينية بدل الدستور، أي في الواقع الأخذ برأي الفقهاء والشرعيين، بدل رأي ممثلي الشعب المجسد في حكم القانون، سرعان ما وجدت نفسها في صدام مع هذه التيارات، وتخلت عنها لإدراكها تناقض أهدافها مع تحقيق قيم المدنية الإنسانية التي تتطلع إليها.

هذا ما حصل للحركات الإسلامية الإخوانية في السابق، ويحصل للسلفية التي تطفلت على بعض ثورات الربيع العربي البارحة، وما أدى إلى صدام عنيف في أكثر من مكان بين المدنيين وسلطة الأمر الواقع للمنظمات الجهادية الداعشية، أو القاعدة، والتي تحثها عقيدتها علناً ومباشرة على تكفير الجمهور الواسع، وإدانتها والاعتداء المستمر عليه.

لا أريد أن أستنتج من ذلك أنه لا توجد خصوصية في التجارب العربية، إنما خصوصية من "النزوع إلى استيعاب الحداثة وقيمها وغاياتها المحرك الأول لبناء ثقافة بلورة الخيارات الجديدة" داخل الشرط الإنساني العام، لا ضده ولا من خارجه. وفي هذه الحالة، تتساوى جميع الشعوب والمجتمعات في سمة الخصوصية، ولا تتميز بها حالة بذاتها. فلا يوجد وضعان متماثلان لمجتمعين، حتى لو انتميا لتراث واحد.

ينجم عن ذلك أن بذور التحولات الديمقراطية موجودة اليوم في تربة المجتمعات كافة، الشرقية والغربية، المتقدمة والمتأخرة. وأن الدافع المشترك لها جميعاً هو التطلع إلى الانسجام والتناغم مع القيم الإنسانية الرئيسية التي نمت وانتشرت وسادت في القرنين الماضيين، وفي مقدمها قيم الحرية والعدالة والمساواة والقانون والمواطنة، لكن تفعيل هذه البذور، والانتقال بها من حالة الكمون إلى حالة التجسد العملي للقيم المرتبطة بها لا يتعلق فقط بإرث الشعوب الثقافي وعقائدها الدينية وتقاليدها، ولا حتى بإرادة نخبها وأحزابها، وإنما بخصوصية شروط تحقيقها واختلاف بعضها عن بعض، في نوع التربية الثقافية والسياسية التي تلقنها نخبها الاجتماعية، أو في موقعها في نظام العلاقات

الدولية، ودوائر توزيع السلطة والثروة والقوة العالمية، وإزاء الاستراتيجيات الكبرى التي تتنازع فيما بينها على السيطرة الإقليمية والهيمنة العالمية. في المقابل، تبقى الثقافة الشعبية أكثر العوامل المؤثرة في هذا المسار مرونةً، فهي قابلة بسهولة وسرعة للتغيير عن طريق التفسير والتأويل والتجديد. وهذا ما أثبتته تجربة الشعوب العربية ذاتها في النصف الأول من القرن العشرين، حين انتشرت التأويلات الديمقراطية والليبرالية للثقافة التراثية والدين.

كما أن تجربة ثورات الربيع العربي أكبر برهانٍ على أن إعاقة التحول الديمقراطي لم تأت من الشعوب، وإنما من الصراعات الجيوسياسية الإقليمية والدولية التي أثارها، والموقف الدولي العام الذي انحاز ضدها، وغض النظر عن عملية سحقها من النظم الاستبدادية، وقرّر دعم هذه النظم ضد شعوبها.

وبالمثل، ليس هناك أي أساس للزعم إن دعم الدول الديمقراطية المركزية أنظمة الاستبداد وتأييدها في الشرق جاء على أرضية الخوف من طابع الثورات الإسلاموي، واحتمال حلول نظم إسلامية محل النظم "العلمانية" القائمة. بالعكس، لم تحصل الأسلمة ذاتها ويتسع نطاقها إلا بسبب التخلي الفعلي عن دعم هذه الثورات، وتركها لمصيرها أمام طغاةٍ لم يترددوا في تحويلها إلى حروب إبادة جماعية. وفي الحالة الوحيدة التي حصل فيها التدخل العسكري الدولي، بمبادرة من الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي في ليبيا، كان الغرض منه السطو على مصير بلد، والتسابق بمنطق المافيات على وضع اليد على ثروته النفطية، وانتزاعها من فم معمر القذافي وأعوانه وتقاسمها فريسةً، من دون أي تفكير في مصير الليبيين وانتقالهم الديمقراطي أو مصير دولتهم. ولأغراضٍ لا تقل أنانية وسوءاً عن التي دفعت إلى التدخل في ليبيا، قامت الولايات المتحدة في عهد الرئيس بوش الابن بحربها التدميرية ضد العراق، للقضاء على نظام صدام حسين. وتشكل هذه التدخلات التي غيرت مسار التطور السياسي لهذه المجتمعات وقوّضته، قبل اندلاع ثورات الربيع العربي وبعدها، امتداداً طبيعياً لسياسات الغرب، وهو الجار وصاحب النفوذ في الشرق، إزاء مشاريع التحديث العربية منذ نهاية القرن التاسع عشر، مروراً بالحقبة الليبرالية ثم الناصرية، ومحاولاته المستمرة لإجهاضها في جميع مستوياتها التقنية والعلمية والسياسية والاقتصادية.

(٣)

ما حكم موقف الدول القوية، الإقليمية والعالمية، من ثورات الربيع العربي، هو الحفاظ على توازنات جيوسياسية واستراتيجية واقتصادية، لا علاقة لثقافة العرب ودينهم، ولا حتى للحركات المتطرفة الإسلامية وتوسعها به، وفي مقدمها توازنات القوة بين جنوب المتوسط وشرقه

"لا تساعد نظرية الخصوصية العربية على فهم أسباب انسداد طريق التحول الديمقراطي في البلاد العربية" وأوروبا التي قرّرت الإبقاء على منطقة الشرق الأوسط تحت سيطرتها ووصايتها الدائمتين، وبالتالي تعزيز وسائل ضبط تحركات شعوبها وتقييد حريتهم. ولم تنشأ المنظمات المتطرفة الجهادية بمعزل عن هذه الاستراتيجية، فقد ولدت في مستنقع الغل واليأس الذي أنتجه إجهاض مشاريع التحديث والتنمية العربية، وما نجم عن الشعور بانسداد الأفق وغياب الخيارات من روح التمرد والعنف الموجه نحو الذات قبل الآخر، لكنها تشكل اليوم ميدان استثمار مشترك للنظم الاستبدادية ولقوى الوصاية الدولية معا التي تستخدمها لتبرير سياسات الحرب، وتحييد الشعوب وإخضاعها وتشثيتها والتحكم بمصيرها.

لا تساعد نظرية الخصوصية العربية على فهم أسباب انسداد طريق التحول الديمقراطي في البلاد العربية، لكنها تعمل بالعكس على طمسها، فبتركيزها النظر على إرث العرب وماضيهم، تريد في الواقع أن تغطي على الخصوصية

الحقيقية لهذه المنطقة، وهي أنها كانت تعامل دائما بوصفها حقل صيد مفتوحا لجميع القوى الدولية والإقليمية الكبرى المتنافسة، وملتقى جميع تدخلاتها الدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية، الدائمة والمتعددة المستويات. وهذا يعني خصوصية الإنكار على هذه الدول وشعوبها مفهوم السيادة، والادعاء في المقابل الحق بفرض المراقبة على قراراتها وتحولات مجتمعاتها، بزعم الحفاظ على التوازنات الإقليمية، أو حماية الأمن والسلام العالمي، أو مكافحة الإرهاب وحركات التطرف الدينية والقومية. يساعدها في ذلك الوهم الذي غدّته منذ قرون، وهي تعود إليه من جديد حول البعيع الإسلامي الكامن، بعد بيع الوحدة العربية التي جعلت منها فزاعةً، وشبهتها بالرايح الألماني، كما شبهت جمال عبد الناصر بأدولف هتلر لتبرير سيطرتها على المنطقة.

من بين جميع هذه المساعي لسد طريق التحول الديمقراطي أمام المجتمعات العربية، يشكل المسعى الرامي إلى تأكيد وجود خصوصية عربية، والمقصود بها في الواقع عاهة ولادية، تمنع العرب من طرق باب التحولات الديمقراطية، وتحول ثوراتهم الشعبية التي قامت من أجلها إلى تمرّدات طائفية ودينية وحروب أهلية لا غير، أقول يشكل مسعى التأكيد على الخصوصية الاختراع الأشد فتكا بصورة الشعوب العربية في وعي العالم، ووعي العرب أنفسهم، بمقدار ما يسلبهم هويتهم الإنسانية المشتركة، ويخرجهم من تاريخهم، ويسلم بانعدام قدرتهم أو أهليتهم لتمثل القيم المدنية الحديثة، ورفضهم لها. ما يشكل إدانة قاطعة، أخلاقية وسياسية دائمة، لهذه الشعوب، والحكم عليها بالبقاء في قفص الاستبداد، والنظر إلى الحروب الأهلية والنزاعات المستمرة التي تجري على أراضيها جزءا من هويتها وثقافتها، وهي المسؤولة الأولى عنها لا ضحيتها. ولا تقف النتيجة المنطقية لهذه الافتراضات عند تبرير التخلي عن دعم شعوبها وتركها لمصيرها، فريسة النخب الكاسرة وحلفائها الخارجيين وشركائها من شبكات المافيا الدولية فحسب، وإنما تجعل منها خطرا على الإنسانية، وتبرر بالمناسبة ذاتها تحلل المجتمع الدولي من مسؤولياته السياسية والأخلاقية إزاء استمرار حروب الإبادة الجماعية وانتهاكاتها.

والخلاصة أن الخصوصية العربية الوحيدة في ميدان الانتقال الديمقراطي في البلاد العربية، إذا أردنا بالفعل الحديث عن خصوصية، تكمن في الإجهاض المنهجي لمشاريع الانعتاق والتحرر والتحديث، السياسية وغير السياسية، وتفريغها من مضمونها، سواء حصل ذلك بالتدخل العسكري المباشر، أو بالامتناع عن دعم الحركات الديمقراطية والشعبية، أو بتشويه صورة ما يحصل منها وإدراجها جميعا في دائرة الهبات السلبية الطائفية أو الدينية أو القومية أو الإثنية، وفي سورية محو الصورة المدنية والسياسية تماما للثورة، وتمريضها على الرأي العام العالمي كحرب ضد الإرهاب من أجل تبرير إعادة تأهيل نظام، وظيفته الوحيدة حصار السوريين، وإرهابهم وتركيعهم. وفي ما وراء ذلك، ما تهدف إليه نظرية الخصوصية لتبرير فشل التحولات الديمقراطية في العالم العربي هو إقناع الرأي العام العربي والعالمي معا بأنه لا يوجد أمام المجتمع الدولي خيار آخر تجاه تفجر أزمة المجتمعات العربية، والاحتراق ببراكينها سوى التعايش مع النظم الاستبدادية، بل التعاون معها، وتقديم يد العون لها، بصرف النظر عن سقوطها الأخلاقي وهمجيتها، والخراب الذي تقود إليه دولها، فهي السد المنيع الوحيد الذي يمكن الركون إليه لاتقاء شر شعوبٍ دينت مسبقا بالفشل والعجز، وانعدام الأهلية للوصول إلى الديمقراطية، وتمثل القيم الإنسانية الجامعة.

تفكيك الدول

*د. عبدالحق عزوزي

صحيفة (الخليج) الإماراتية : ٢٠١٨/٧/١١

يصح لنا بعد سنوات من انطلاق احتجاجات «الربيع العربي»، والتي كان أصلها ومرجعها الاحتجاجات العارمة في تونس في ديسمبر ٢٠١٠، أن نتفق مع كل أولئك الذين يكتبون أن الخريف السياسي هو السمة الأساسية للعديد من الدول، والتي كان بالإمكان أن ترسم لنفسها مساراً أكثر نضجاً وأكثر عطاءً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. فبناء الدول، مثله مثل بناء مؤسسات بنكية وشركات كبرى، يستلزم تواجد أهل الاختصاص في التسيير ويستوجب الاستناد إلى القواعد التي يتعارف عليها الثقلان، وإلى الأدوات التي تضح الهواء النقي في كل العروق، وإلى الاستقواء بالداخل بدل الارتقاء في أحضان القوى الجهوية والدولية.

كما يصح لنا أن نكتب أن المؤامرة الدولية لتمزيق الوطن العربي ليست غائبة ولا يمكن أن ينكرها أي متتبع حصيف منذ وعد بلفور، وساييس بيكو، وإقامة إسرائيل.. وصولاً إلى ما يُفعل بالمنطقة في سوريا وليبيا ولبنان واليمن. لكن هذه المؤامرات كان سيكتب لها الاضمحلال لو وجدت حصوناً مشيدة في شعوبنا وأوطاننا. فالولايات المتحدة الأمريكية، ذات الاقتصاد الأقوى في العالم، عندما بدأت في تطبيق إجراءات جمركية بحق كندا وأوروبا والصين، عاقبوا بالمثل "ولو طبقتها يوماً بحق بعض الدول العربية ما تجرأت هذه الدول على الدخول في مثل هذا الصراع، وهنا يظهر الفرق!

إن الدعوات إلى تمزيق العرب وجعلهم خارج التاريخ، كانت دوماً موضع التقارير والتوجيهات الاستراتيجية التي تكتب سراً وعلناً بأيادي محسوبة على اللوبي الصهيوني، مثل المعهد الأمريكي لأبحاث السياسة العامة، ومعهد التراث، ومعهد أبحاث السياسة الخارجية، ومعهد بروكنجز، والمعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، ومعهد دراسات السياسة والاستراتيجية المتقدمة.. إلخ.

في مقابلة له منذ أزيد من عشر سنوات، قال برنار لويس: «إن العرب والمسلمين قوم فاسدون ومفسدون، فوضييون لا يمكنهم التحضر، وإذا تُركوا لأنفسهم فسوف يفاجئون العالم المتحضر بموجات بشرية إرهابية تدمر الحضارات وتقوض المجتمعات، لذا فالتعامل السليم معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم، وفي حال قيام أمريكا بهذا الدور فعليها أن تستفيد من التجربتين البريطانية والفرنسية في المنطقة، لتجنب الأخطاء والمواقف السلبية التي اقترفتها الدولتان.. ومن الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعاة خواطهم أو التأثر بانفعالاتهم وردود أفعالهم، ولذا يجب تضيق الخناق على هذه الشعوب ومحاصرتها واستثمار التناقضات العرقية والقبلية والطائفية فيها، قبل أن تغزو أمريكا وأوروبا لتدمر الحضارة فيها».

ومن يرى ما وقع في العراق وما يقع في سوريا ولبنان، يفهم ذلك الكلام الذي لا يحتاج إلى مزيد من التعليق.

كبار المتخصصين حول العالم في أدبيات التحول الديمقراطي أسسوا في مجال العلوم السياسية المقارنة ما يسمى (Democratization studies)، وعلى رأسهم فيليب شميتز وألفرد ستيبان. وقد ميزوا في مسيرة الدول التي تعرف انهيار النظام السلطوي بين التحول الديمقراطي وتثبيت الديمقراطية، بمعنى أن التحول لوحده لا يكفي لتكريس الفكرة الديمقراطية كواقع "فالديمقراطية تبقى في خانة الانتظار إذا لم يتغير المجال السياسي المشوه، من سلطة ودولة ومجتمع مدني وأحزاب سياسية، إلى مجال سياسي حقيقي يتساوى فيه الجميع ويتبارز فيه الفاعلون على قواعد ديمقراطية. وبعد دخول المجتمع السياسي الحديث إلى هذه الخانة، يمكن حينئذ تسمية الدولة الناشئة بالدولة الديمقراطية، إذ نكون قد انتقلنا من فترة التحول الديمقراطي إلى فترة التثبيت الديمقراطي. بمعنى آخر، فإنه أيّاً كان التغيير ونوعيته وطريقته (عبر تدخل أجنبي أو عن طريق ثورة أو من خلال تأثير الدول المجاورة أو عن طريق الميثاق التعاقدية.. إلخ)، فإن تثبيت الديمقراطية يبقى رهيناً بالمسار الذي يعطيه الفاعلون للتحول المنشود.

والظاهر أنه في أوطاننا العربية، بسبب ضعف القشرة الحامية للدول، وبسبب ضعف الفاعلين السياسيين، وضعف الثقة بين أطراف المجال السياسي، وضعف الوعي الثقافي، فإنه سريعا ما تجد المؤامرات الدولية المعدّة بإحكام منفذاً لها في تلك الدول لتنمي الأحقاد وتفتت المفتت من خلال الحقن الطائفي، ثم تجزئة الكيان الوطني على مقاسات تلبي رغبة «أبو الكيديات الخاصة»، أي إسرائيل، لقرن قادم على الأقل!

ميركل أطاحت تمرداً شعبوياً

*ليونيد بيرشيدسكي

(بloomberg نيوز سيرفر) : ٢٠١٨/٢/١١

على رغم أن المستشار الألمانية أفلحت في رتق الشقاق في التيار اليميني الوسطي الألماني، يذاع أنها خرجت من شد الحبال ضعيفة. وهذا الحسابان في غير محله. فهي أحبطت حركة تمرد شعبوية. والمهاجرون هم الخاسر اليتيم في هذه المعركة. فالنزاع بين ميركل ووزير داخليتها، هورست سيهوفر، زعيم الحزب الاجتماعي المسيحي البافاري، دار على الهجرة الثانوية أو «سياحة اللجوء»، على قوله. فبعض اللاجئين يقصدون ألمانيا الثرية سعياً إلى فرص حياة واعدة، على رغم أن محطة وصولهم الأولى في أوروبا هي اليونان أو إيطاليا، حيث ملفات لجوئهم لم تبت بعد. وأراد سيهوفر لفظهم عند الحدود الألمانية. ومثل هذا اللفظ يقوّض حرية الحركة في الاتحاد الأوروبي. وعارضت ميركل الخطوة هذه، وبعد أسابيع من النقاش أبرم اتفاق بين حزبيها وحليفه في الائتلاف الحكومي.

ويقضي الاتفاق بإرساء «نظام حدودي جديد» مع النمسا لإبعاد عن ألمانيا طالبي اللجوء من دول أوروبية أخرى، وبجمع هؤلاء في «مراكز ترانزيت» ينقلون منها إلى البلاد المسؤولة عنهم (محطة وصولهم الأولى). لكن برلين لم ترم بعد اتفاقاً مع النمسا لإعادة اللاجئين. ويتعذر تنفيذ الاتفاق هذا. فالحدود الألمانية مترامية المساحة والثغرات فيها كثيرة وضبطها متعذر. وفي الإمكان نشر نقاط الشرطة لتفتيش السيارات على الطرق السريعة الثلاث القادمة من النمسا. لكن زحمة كبيرة تترتب على مثل هذه النقاط، ولن يستسيغ ناخبو الحزب الاجتماعي المسيحي مثل هذا الزحام، من جهة، ومن جهة أخرى، يستحيل نشر مئات الحواجز على طرق البلاد. وإرسال طالبي اللجوء على أعقابهم من مراكز «الترانزيت» يقتضي إبرام اتفاقات مع أول دولة وصلوا إليها في الاتحاد، وأبرزها إيطاليا. ويرجح أن يطلب الإيطاليون في المقابل، أن تنشئ الدول الأوروبية منشآت لاستقبال طالبي اللجوء إلى إيطاليا على أراضيها (الدول هذه). والنمسا المعادية للاجئين لن تستقبل من تلفظهم ألمانيا.

وليست «الهجرة الثانوية» (من دولة أوروبية إلى دولة أخرى في الاتحاد) مسألة يعتد بها، على خلاف مزاعم سيهوفر. ففي الأشهر الأولى من العام الحالي، أعادت ألمانيا حوالي ٤ آلاف و١٠٠ لاجئ إلى دول أوروبية أخرى، وضبط الحدود الفعال يزيد الرقم هذا زيادة متواضعة. والمشكلة الأبرز قوامها عسر ترحيل طالبي اللجوء. ففي نهاية ٢٠١٦، بلغ عدد الأشخاص الصادر في حقهم قرار ترحيل عن الأراضي الألمانية، أكثر من مئتي ألف شخص، في وقت اقتصر عدد المرحّلين على حوالي ٢٤ ألفاً في العام الماضي.

وإلى قرار إنشاء مراكز الترانزيت على الحدود الألمانية، أجمع القادة الأوروبيون على جمع المهاجرين في مخيمات بأفريقيا ومراكز في الاتحاد الأوروبي. وغلبة مراكز «الاعتقال» على المشاريع الأوروبية كلها هي مرآة إفلاس ثقافي بعيد الأثر.

عن الحركات الاحتجاجية الشعبية في الملكيات العربية

*كاظم الموسوي

صحيفة (الاخبار) اللبنانية: ٢٠١٨/٧/١١

الحركات والثورات الشعبية التي هزّت الوطن العربي منذ أواخر عام ٢٠١٠ وبدايات ٢٠١١، وأحدثت متغيرات في الجمهوريات العربية، كشفت عن وصول موجات التحولات الديمقراطية إلى منطقتنا، جنوب المتوسط وغربه، بعد أن مرت على شماله وغربه وحتى أمريكا الجنوبية، ما أعطى صورة عن مشهد سياسي جديد أدّت فيه القوى الشبابية ووسائل التواصل الاجتماعي دوراً، وأفادت خلالها بدور حيادي لمؤسسة الجيش والشرطة منها، مثلما هو بثّ النشاط في عروق الأحزاب السياسية التقليدية التي حاولت أن تسهم في الحركات، وبرزت الدينية/الإسلاموية منها أكثر لوجود أشكال من التنظيم والتواطؤ معها في مشاريع وضعت لإدارة التغيير في الوطن العربي.

أصبحت الأوضاع في العديد من البلدان مهيأة للتغيير والتحول، ولا سيما في الجمهوريات العربية كاشفة الاستبداد والقمع والفساد، ما أدى إلى سهولة التغيير وإسقاط رؤوس السلطات فيها، ولا سيما في تونس ومصر. وتمكنت الحركات من إنهاء أشكال من حكم عسكري استبدادي وإجبار الرؤساء فيهما على التنحي عن السلطة، والهرب من البلد في تونس والقبول بالاعتقال والمحاكمة في مصر، وبروز القوى الإسلاموية في واجهة المشهد، وفوزها في أول انتخابات ديموقراطية حدثت، لكنها واصلت التسلط ومحاولة تنفيذ برامجها في السيطرة والتحكم والتمكين وإعادة تدوير شكل السلطات، أو استبدال وجوه المتنفذين في السلطات، وهو ما خيّب الآمال في مجريات ما حدث مبكراً.

حاولت القوى السياسية في جمهورية ليبيا واليمن أن تكرر الصورة، لكن التدخلات الخارجية المباشرة دفعت بحرف صور الحركات الشعبية إلى اقتتال دموي وتصفية حسابات، إذ جرت تصفية الرئيس الليبي معمر القذافي وأجبر الرئيس اليمني علي عبد الله صالح على تسليم السلطة لنائبه بضغط خارجي وخطط التهرب من تحقيق التغيير المطلوب، أو الابتعاد عن تحولات ديموقراطية كما نشدتها الجماهير الشعبية التي خرجت إلى الشوارع وطالبت بالتغيير.

أخذ الحراك الشعبي في الجمهوريات الأخرى، ولا سيما في سوريا، طابعاً دموياً تدخلت فيه قوى متعددة لا تؤمن بالحرية والديموقراطية في بلدانها أو فتحت حدودها أمام عصابات الإرهاب الدولي، وشاركت في وضع خطط ومشاريع حرقت الأهداف وشوهت المسارات أو التجارب التي تحققت في غيرها. لكن تمكنت السلطات في جمهوريات الجزائر والسودان وموريتانيا من التنبيه إلى ما وصلت إليه الأمور في جيرانها، وسبقت أن توقّت من انحراف المسيرة قبل انطلاقها أو فيه، ووازنت في صراعاتها الداخلية وضغوط الخارج الأجنبي.

أما في الملكيات، فاستعدّت السلطات لامتناس غضب شعوبها بالإغراءات المالية من جهة، ومحاولات الاحتواء بالاستجابات المقننة لبعض الإصلاحات أو التلويح بالعصا وقمع أي حراك شعبي واسع من جهة أخرى، واستخدمت أساليب مختلفة توزعت بين قبول بعض الإصلاحات وإعطاء فرص للتحديث، كما في مملكة المغرب، وفسح المجال لمشاركة أحزاب المعارضة في السلطة أو في استمرار سياسات القمع والإنكار كما في مملكة البحرين وباقي دول الخليج.

لم تتوقف الحركات الشعبية في أغلب البلدان العربية، الجمهورية أو الملكية، لكنها راوحت فيها بتموجات واضحة، أغلبها مترددة في التغيير إذا ما تناقضت في خطوات الإصلاح والتحديث. ولعبت القوى الخارجية، الإقليمية أو الغربية عموماً، أدواراً في تغطية الحركات، سلباً أو إيجاباً، في دعم قواها أو الصمت على اضطهادها وقمعها بأي وسيلة، بل وصلت في بعضها إلى الدعم العسكري والاستخباري لعمليات عدوان وحرب واحتلال من جديد.

قدمت الحركات الشعبية دروساً كثيرة وأعطت دفعاً لنبض الشوارع العربية ورفع الصوت والغضب والتحدي لإرهاب السلطات والاستبداد والفساد والتواطؤ مع المشاريع العدوانية. ومنها ما هو مستمر إلى الآن في الأغلب لفقدان عمليات التحول إلى قواعد وقوى سائدة أو مؤثرة فيها. وتحولت بعضها إلى جمر تحت رماد استمرار تسلطية السلطات المتحكمة في الدول العربية. ورغم ذلك تنطلق بين مدة وأخرى مبادرات وتظاهرات عفوية أو ارتدادات لتدهور الأوضاع الاقتصادية أساساً ومحاولات الكبت لتطلعات الشعوب إلى الحرية والديموقراطية وحقوقها المشروعة.

تصاعد الحركات الشعبية في ثلاث ملكيات عربية أخيراً، وتحديداً كل أساليب منعها أو إسكاتها أو حبسها، في البحرين والمغرب والأردن، خصوصاً، أو بالشكل الصارخ والواضح والمعلن، وليس الكامن أو المضمّر في أحشاء الأجيال الجديدة في باقي البلدان العربية، يكشفان خطل محاولات تشويه صورة الحركات الشعبية واندفاعاتها وحرف وصفها بأسماء ليست منها أو لها، ومحاولات السخرية من سيرها أو تموجها أو حتى سكوتها إلى حين. ويبين هذا الصعود حيوية الأجيال الشابة وتعلمها الدرس وعدم صمتها عما يحدث لها أو أمامها في البلدان الأخرى. كذلك يوضح أن وعي الشعوب لمصالحها ودورها في رسم مستقبلها له أهميته ووقته اليوم في الحركات الشعبية العربية، في الشارع السياسي والمشهد البارز في الأغلب الأعم.

وقائع الحركات الشعبية اليومية تضع أمامها مهمات الاستمرار والبرامج وإدارة المواجهات وتقبل التحديات، وصولاً إلى أهدافها الواقعية، في الإصلاح والتغيير، في العمران والتنمية، والحقوق والمتطلبات، إذ لا يمكن في هذا الزمن المكشوف أن تستمر الصورة أو المشهد كما هو من عقود طويلة، أو انحراف الوجهة أو تفاقم الأزمات الاقتصادية والمعيشية على حساب الأغلبية الصامتة واستغلال واقعها في استمرار ضغوط التحكم والتسلط والانتهاك. كذلك لا يعني الصمت الخضوع أو الركوع، فلكل وضع درجته، ولكل حالة مستواها وحجمها. وما شاهدناه في أغلب البلدان العربية، وليس غيرها، يضع أمام الجميع مسؤولية الالتزام والاستجابة للمطالب والأهداف الواقعية واحترام المصالح الوطنية والقومية والصمود أمام الضغوط الخارجية المعادية والعمل الجدي لمواجهة التحديات المستمرة.

ما حدث في الأردن أخيراً أعاد الصورة التي شاهدناها قبل سنوات بمستوى متطور من الوعي والإدراك للمهمات والمتطلبات، وتقديم صورة متقدمة بوضوح للحراك الشعبي وقدراته على التصدي والمواجهة، وانتظام قوى واسعة من القطاعات الاجتماعية فيه، وبروح سلمية وتنظيم عملي وفعال. إن مثل هذا المشهد ينبغي أن يصبح نموذجاً آخر لغيره في البلدان الأخرى، وفي آفاق المسؤولية والإجماع العربي على المواكبة لمتغيرات الزمان والمكان والتأثر بما يحيط وما يلزم أن يكون.

* كاتب عراقي

الثقافة الأمريكية الروسية

* غاي أرشر

موسكو تايمز : ٢٠١٨/٧/١١

أتمنى ذكرى استقلال سعيدة للأمريكيين القلائل المتبقين في موسكو، فلا ننسى أن الأوضاع لم تكن دوماً بهذا السوء، على العكس كانت جيدة جداً، وقد لا تكون اليوم بالسوء الذي تبدو عليه، مع أنها متردية جداً على بعض المستويات.

لا يزال الميل الروسي إلى السلع الأمريكية مستمراً بلا هوادة، فقد تفوقت "الهمبرغر" على "السوشي"، فغدت الطبق الذي لا تخلو منه قائمة الطعام في أي مطعم، كذلك لا تزال المطاعم الأمريكية الطراز تلقى شعبية كبيرة وانتشاراً واسعاً. على نحو مماثل يبدو الجيل الجديد من المحترفين الروس مأخوذاً بالطابع العصري، والشركات الناشئة، ووادي السليكون، والتعطيل، وكما يؤكد معظمنا نحن- الأمريكيين- المقيمين في روسيا، لم تكن معاداة الولايات المتحدة يوماً شخصية، مهما بلغت الأوضاع السياسية من السوء، لكن المشكلة تكمن في أن عددنا نحن- الأمريكيين- ما عاد كبيراً لنؤكد ذلك. يعتقد معظمنا أن نحو ٨٠٪ من الأمريكيين الذي كانوا يقيمون من قبل في روسيا قد رحلوا خلال السنوات الأربع الماضية.

عندما وصلت أول مرة إلى موسكو في أواخر تسعينيات القرن الماضي، كانت الأسطورة الأمريكية وافتتان روس كثر بالولايات المتحدة في أوجهما، وكانت الأوضاع ممتازة.

قبل عشرين سنة، كان عدد المطاعم للفرد الواحد قليلاً جداً في موسكو، وشكل مطعم "ستارلايت" في محطة مترو ماياكوفسكايا المركز الاجتماعي في موسكو بالنسبة إلى مجتمع المغتربين، وقبل سنوات نجحت مجموعة من رجال الأعمال الأمريكيين في إقحام مطعم الوجبات الخفيفة الأمريكي الأصلي هذا وسط حديقة "أكفاريوم"، علماً أنهم كرروا هذه التجربة مرات عدة بنجاح، ولكن بعدما خرجت روسيا من مرحلتها المضطربة في تسعينيات القرن الماضي وشهدت موسكو ولادة طبقة وسطى أكثر رقياً كانت تنمو بسرعة، أقفلت مطاعم كثيرة واستبدلت بأخرى أكثر إتقاناً: مطاعم تبيع السوشي بالتأكيد، لكن مطعمي "ستارلايت" وAmerican Bar and Grill واصلوا العمل بقوة وزخم.

ومع تنامي الثروة الروسية، لاحظت ميلاً جديداً، فسرّني أن أرى أعداد الشاحنات الصغيرة تزداد في موسكو، واللافت للنظر أن الكثير منها امتلك دواليب ضخمة، في حين زُين بعضها بشكل صادم بشتى أنواع الرسوم الجامحة. أدركتُ على مر العقود أن هذين البلدين يتشاركان حقاً في عدد كبير من المزايا والأهواء، فضلاً عن نقص محبب في الرقي، وبمرور الوقت رأيتُ ما ظننته انشغالاً غير صحي بالثقافة الأمريكية يتوازن ويصبح أكثر اعتدالاً وتقديراً ليكتسب بعد ذلك طابعاً روسياً، لتأمل في مثال الهمبرغر. تضيف المطاعم الروسية اليوم لمساتها الفريدة إلى صفات الهمبرغر وتحولها إلى أطباق خاصة بها، صحيح أن المطاعم الأمريكية ما زالت منتشرة، إلا أن مطاعم روسية تتطور منها لتبتكر طابعها الخاص وتبني ما ورثته، لكن المفرح أن حب الشاحنات بدواليبها الضخمة لم يخب، قد لا نكون إخوة وأخوات، إلا أننا بالتأكيد أبناء عم.

إذاً، مهما استمر التردي في العلاقات الأمريكية-الروسية، يبقى التجاذب الروسي والأمريكي قوياً في رأيي.

«الناتو» ولقاء بوتين وترمب

*جيمس ستافريدس

صحيفة (واشنطن بوست) : ٢٠١٨/٧/١١

يمر حلف شمال الأطلسي (الناتو) بحالة توتر بالغة انتظاراً لانعقاد قمة بروكسل بين الرئيسين الأمريكي دونالد ترمب والروسي فلاديمير بوتين.

فخلال الفترة التي شغلت خلالها منصب القائد الأعلى لقوات حلف «ناتو»، خلال الفترة من ٢٠٠٩ - ٢٠١٣، أثير جدل وصل إلى حد الخلاف الحاد بشأن دول مثل أفغانستان وليبيا، وكانت هناك نقاشات لا تنتهي بشأن المشاركة العادلة في تحمل الأعباء بين الولايات المتحدة وغيرها من الحلفاء. في الحقيقة، استمرت التقارير على مدار عقود طويلة بشأن ضعف دور الناتو، خصوصاً عقب سقوط الاتحاد السوفياتي. لكن الفرق الآن يكمن في النفور الشخصي الذي يكنه الرئيس الأمريكي للحلف، بصفة عامة، ولقادة بعض الدول تحديداً. فنفور دونالد ترمب من قادة مثل مستشارة ألمانيا أنجيلا ميركل، ورئيسة وزراء بريطانيا تريزا ماي، ورئيس الوزراء الكندي جوستن ترودو يبدو عميق الجذور، ومن الصعب تغييره، (ورغم وجود بعض القبول تجاه الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، وهو ما بدا خلال الزيارة التي قام بها إلى واشنطن في أبريل (نيسان) الماضي، فقد بدا أن تلك العلاقة قد خفتت بدرجة كبيرة).

فحالة العداء بين قادة أكبر دول الحلف ظهرت في غير وقتها في ظل الضغوط التي تمارسها روسيا بقيادة فلاديمير بوتين على محيط حلف الناتو، مستخدماً تكتيكاً حربياً هجيناً لزعزعة استقرار منطقة البلطيق ومجموعة دول البحر الأسود، وكذلك اختراق الفضاء الإلكتروني لإضعاف الديمقراطية في دول بعيدة عنها بعد الولايات المتحدة. تكمن تلك المخاوف في إقدام ترمب على تنفيذ مهمة أخرى من المهام القائمة على القطع والحرق، خلال اجتماعات قمة الناتو، ثم يتبع ذلك إبرامه لاتفاق دافئ وعذب مع بوتين بعد ذلك بأيام في هلسنكي. سيكون ذلك على النهج ذاته الذي سناه منذ عدة أسابيع، عندما هاجم ترمب اجتماع الدول السبع الكبرى في كندا، وبعد ذلك عانق ديكتاتور كوريا الشمالية كيم جونج أون في سنغافورة.

لذلك لو أن ترمب كرر النهج ذاته للمرة الثانية خلال قمة بروكسل المقبلة، فسوف يعزز ذلك من قناعة الغرب بأن الأمر غير قابل للإصلاح، بعد التسبب في أزمة تعد الأعماق منذ نشأة الحلف منذ ٧٠ عاماً. وما يجعل الأزمة موجهة هو العاطفة الشخصية الواضحة التي يكنها ترمب للرئيس بوتين، وهو ما يتعذر تفسيره بالنظر إلى مساندة الزعيم الروسي لمجرم الحرب بشار الأسد في سوريا، ولغزو بوتين غير المشروع لأوكرانيا وضمه لشبه جزيرة القرم، والأهم من ذلك كان الصلات الروسية في العملية السياسية الأمريكية عام ٢٠١٦، التي رفض بوتين الاعتراف بها.

ورغم أنه ليس من مصلحة أحد التعثر مجدداً في حرب باردة، فإن التعارض السياسي الكبير بين نفور ترمب من قادة «الناتو» الديمقراطيين، وتعبيره المتكرر عن إعجابه ببوتين يعني عدم استمرار التحالف.

يشعر حلفاء الولايات المتحدة بقلق بالغ من تقديم ترمب هدية مفاجئة خلال لقائه ببوتين، بأن يعلن سحب القوات الأمريكية من أوروبا، وقطع التمويل الأمريكي للقوات الأوروبية، أو إيقاف التدريبات العسكرية مع قوات «النااتو» في أقصى شمال أوروبا التي تعتبرها روسيا دولاً «استفزازية».

وبالنظر إلى النهج الذي يتبعه مع كوريا الشمالية، وكذلك التوقف عن التدريبات العسكرية مع كوريا الجنوبية، وهو ما لم يصدّم سيول وحدها فحسب، بل وزير الدفاع جيمس ماتيس أيضاً، فستبدو تلك المخاوف مبررة.

ومن المفارقات أن كل ذلك يحدث في الوقت الذي بدأت فيه أوروبا وكندا الدفع باتجاه زيادة مخصصات الدفاع خلال فترة إدارة الرئيس أوباما. وتتحرك غالبية الدول الأعضاء بحلف «ناتو» - غير الولايات المتحدة - تجاه تحقيق الأهداف المنطقية بإنفاق ٢ في المائة من الناتج المحلي الإجمالي على الدفاع، منها ٢٠ في المائة على تحديث المعدات. لكن ذلك لن يسير بالسرعة الكافية التي ترضي دونالد ترمب وغضبه. ما يجب أن تتناوله هذه القمة هو حزمة التحديات الاستراتيجية والتكتيكية التي تواجه الحلف، من ذلك المهمة اللانهاية في أفغانستان (نحو ٢٥ ألف جندي من الناتو سيبقون هناك، ١٥ ألفاً منهم من الولايات المتحدة)، وحماية أعضاء الحلف في البلطيق من الهجمات الإلكترونية التي يشنها الروس، وتنفيذ خطة للتعامل مع انفتاح المحيط الأركتيكي (٥ دول من أعضاء حلف «ناتو» باتت سواحلها تحت رحمة وتهديد متزايد من قبل موسكو)، ودور الناتو في الشرق الأوسط، خصوصاً الحرب المتواصلة ضد الإرهابيين. يمكننا التطلع بدلاً من ذلك إلى مواصلة ترمب التعليق على الدول التي «لم تسدد حصتها المالية»، وكأن الناتو كان يوماً ما أحد الأندية، وكذلك تأمل في ما إذا كان على الولايات المتحدة البقاء في الحلف.

وبعد أن أبلغ مؤخراً بأن السويد ليست عضواً، قيل إن ترمب علق قائلاً إنه ربما أفضل شيء للولايات المتحدة هي صفقة اختيار السويد للعملية التي تود الانضمام إليها. لكن هذا سيكون مضيعة للوقت الضئيل المتاح بالفعل لقادة العالم، في ظل وجود قضايا أكثر إلحاحاً وأهمية يتعين مناقشتها.

يتمنى المرء لو أن جيمس ماتيس، الذي شغل في السابق منصب قائد قوات الناتو، أمكنه التحدث في الأمور الجوهرية. فما يجب أن تدفع الولايات المتحدة في سبيل تنفيذه هو الأمور المباشرة مثل الالتزام بعمليات التدريب والتمويل في أفغانستان، والدفع بجماعة «طالبان» إلى الجلوس على طاولة المفاوضات، وزيادة موارد حماية الفضاء الإلكتروني لأغراض الدفاع والهجوم، وتأسيس مستوى أكبر للمشاركة الرسمية للناتو في الحرب ضد «داعش»، وإعداد خطة عمليات ومراقبة محكمة لمنطقة القطب الشمالي، والأهم من كل شيء هو مراعاة التزامن في ردود أفعال دول الناتو على العدوان الروسي الجاري على امتداد حدود دول الناتو.

بكل تأكيد، فإن نفقات الدفاع لحلفائنا أمر جدير بالمناقشة، كما هي الحال لسنوات طويلة. لكن لو أن ذلك هو نهاية النقاش، فستكون قمة بروكسل فرصة ضائعة بالنسبة للولايات المتحدة وللعالم الديمقراطي.

- أميرال بحري متقاعد بالبحرية الأمريكية وقائد عسكري سابق لحلف الناتو

قمة صعبة لحلف الأطلسي رهن بمزاج ترمب

فرانس بريس: ٢٠١٨/٧/١١

بروكسل: افتتحت أعمال قمة حلف شمال الأطلسي الأربعاء في بروكسل في ظل أجواء متوترة إذ انها رهن بمزاج الرئيس الأمريكي دونالد ترمب الذي يدعو الأوروبيون إلى "تقدير" حلفائه. وصرّح عدد من المسؤولين في الحلف لوكالة فرانس برس رفضوا الكشف عن اسمائهم أن كل شيء جاهز: الاعلان الختامي والمشاريع والالتزامات. وأشار أحدهم إلى أن "الأمر المجهول الوحيد سيأتي من جانب المشاركين". وغادر ترمب واشنطن بمزاج عدواني مصرّحاً بطريقته الاستفزازية أن لقاءه مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في هلسنكي قد يكون "أسهل" من قمة الأطلسي. ويثير هذا السلوك غضب الأوروبيين. وخلافاً للهجة أسلافه اللبقة، خاطب رئيس الاتحاد الأوروبي دونالد توسك الثلاثاء ترمب ليعبر عن مدى الازعاج الذي تسببه انتقاداته اليومية ودعاه إلى "تقدير" حلفائه "لأن ليس لدى أمريكا الكثير منهم". وذكر أيضاً بأن أوروبا كانت "أول من تصرّف" بعد اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على الأراضي الأمريكية.

- "محادثات صريحة" -

وبدا الأمين العام لحلف شمال الأطلسي ينس ستولتنبرغ مستاء جداً من هذا التوتر ولم يخفِ توجسه من مجريات القمة. فقال "لن أفاجأ بأن تكون محادثات حادة الذرة، خصوصاً في ما يخص النفقات على الدفاع". وتعهد الحلفاء في العام ٢٠١٤ انفاق ٢٪ من إجمالي الناتج المحلي لبلدانهم على شؤون الدفاع بحلول عام ٢٠٢٤، لكن حوالي ١٥ دولة عضواً في الحلف بينها ألمانيا وكندا وإيطاليا وبلجيكا وإسبانيا لا يزال انفاقها على الدفاع تحت عتبة ١,٤٪. في ٢٠١٨ وستكون غير قادرة على احترام وعدها، الأمر الذي يثير غضب ترمب. وكتب الرئيس الأمريكي الثلاثاء على تويتر قبل مغادرته إلى أوروبا "دول حلف الأطلسي يجب أن تدفع أكثر، الولايات المتحدة يجب أن تدفع أقل. (هذا أمر) غير عادل إطلاقاً". وقال ستولتنبرغ "أمل أن نتمكن خلال القمة من إجراء محادثات صريحة وصادقة حول الاختلافات في وجهات النظر، لكن من واجبي أن أخفف تأثيرها على الحلف كي يبقى (هذا الأخير) حجر الأساس للأمن بين ضفتي الأطلسي".

- قبل بوتين -

ولم يرغب ستولتنبرغ في التعليق على فرضية الغاء - بناء على طلب ترمب - مناورات "ترايدنت جانكتشر" المقررة في الخريف المقبل في النروج، والتي من المتوقع أن تكون الأكبر في تاريخ الحلف منذ نهاية الحرب الباردة، بدافع أنها يمكن أن تعتبر تهديداً لروسيا وانها ستكون كثيراً دافعي الضرائب الأمريكيين. وألقى الرئيس الأمريكي لهذا السبب مناورات عسكرية مع كوريا الجنوبية بعد قمته مع الزعيم الكوري الشمالي كيم جونج أون. لكن ستولتنبرغ أكد أن الحلفاء يرغبون في الحصول على توضيحات حول نوايا ترمب قبل لقاءه مع نظيره الروسي. وقال "من الضروري جداً أن يلتقي الرئيس ترمب فلاديمير بوتين". وأضاف "سيكون بوسعنا مناقشة معه خلال القمة، العلاقة بين حلف الأطلسي وروسيا. من المهم أن يبقى الحلف موحداً". وأوضح مصدر عسكري لوكالة فرانس برس أن انسحاب الولايات المتحدة من مناورات "ترايدنت جانكتشر" لن يجبر الحلف بالضرورة على الغائها.

ورأى ستولتنبرغ أن كل القرارات التي ستتخذ خلال القمة تهدف إلى تعزيز قدرة الحلف على الردع. وقال "الحلفاء لا يجب أن يزيدوا انفاقهم لإرضاء الولايات المتحدة بل لأن ذلك يصب في مصلحتهم". وفي إطار المبادرة الأمريكية "x30٤"، ستتعهد دول حلف الأطلسي بأن تكون قادرة بحلول عام ٢٠٣٠ على نشر في غضون ٣٠ يوماً، ٣٠ كتيبة آلية و٣٠ سرب طائرات و٣٠ سفينة مقاتلة لتتمكن من مواجهة عملية عسكرية لروسيا التي تُعتبر مهاجماً محتملاً.

وأكد الأمين العام لحلف شمال الأطلسي "أننا زدنا (مستوى) اعداد قواتنا في الخاصرة الشرقية ونأخذ قرارات لتقديم تعزيزات بسرعة عند الحاجة. كل ذلك يساهم في جعل ردعنا موثقاً".

ماذا ينتظر العالم من قمة «ترامب-بوتين»؟

مركز «ستراتفور» للبحوث الاستخباراتية : ٢٠١٨/٧/١٤

ترجمة - الخليج الجديد: ستتاح الفرصة للرئيس الأمريكي «دونالد ترامب» والرئيس الروسي «فلاديمير بوتين» لمناقشة القضايا الخلافية، بما في ذلك أوكرانيا وسوريا، والحد من سباق التسلح، خلال قمتهم المقبلة في «هلسنكي».

ورغم أن الزعيمين يقدمان بعض التنازلات في كل هذه المجالات، إلا أنهما لم يوصلا إلى اختراق استراتيجي. وستشير نبرة الاجتماع ما إذا كانت المواجهة بين الولايات المتحدة وروسيا ستتفاقم أم ستهدأ. ويوشك «ترامب» على عقد أول قمة رسمية له مع «بوتين».

القمة أعلن عنها البيت الأبيض والكرملين بعد وقت قصير من لقاء مستشار الأمن القومي الأمريكي «جون بولتون» مع «بوتين» بموسكو في ٢٧ يونيو/حزيران الماضي، وستعقد في هلسنكي يوم ١٦ يوليو/تموز الجاري، بعد قمة «الناتو» في بروكسل.

ولن يكون لدى «ترامب» و«بوتين» أي قيود في الأمور التي يمكن الحديث عنها، بما في ذلك الخلافات المستمرة في سوريا وأوكرانيا، والعقوبات الأمريكية ضد روسيا، والحد من سباق التسلح. وفيما يلي تحليل لمواقف الدولتين حول هذه القضايا، وما يمكن أن يفعله كل طرف في المفاوضات حولها.

الصورة الكبيرة

أكدت توقعات «ستراتفور» السنوية لعام ٢٠١٨ أن العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا ستزداد تدهورا هذا العام، وهو ما يحدث حتى الآن. وفي محاولة لتخفيف حدة التوترات، سيجتمع «ترامب» مع «بوتين» في «هلسنكي» في أول قمة رسمية بين الرجلين.

سوريا

كانت الحرب في سوريا مصدرا أساسيا للخلافات بين الولايات المتحدة وروسيا. لكن التقارير تشير إلى أن «ترامب» يتطلع إلى عقد صفقة مع موسكو حول جوانب مختلفة من هذا الصراع. وفي الواقع، أشار الرئيس الأمريكي إلى بعض المجالات التي قد تكون واشنطن مستعدة للعمل فيها مع روسيا. إذ قد توافق الولايات المتحدة، على سبيل المثال، على سحب قواتها من منطقة «التنف» الحدودية، والتغاضي عن انتهاك روسيا لمنطقة خفض التصعيد في «درعا» و«القنيطرة»، وربما حتى سحب دعمها لـ«قوات سوريا الديمقراطية» (قسد).

وفي المقابل، سيطلب «ترامب» من «بوتين» تقديم تأكيدات بأن روسيا ستساعد في إخراج القوات الإيرانية من سوريا.

ومع الحديث عن التنازلات، قد لا تكون جميعها مغرية لموسكو. على كل حال، لا تعد «التنف» منطقة حرجة بالنسبة لروسيا. وحين يلتقي «ترامب» مع «بوتين»، من المحتمل أن تكون القوات الموالية لسوريا أحكمت سيطرتها على «درعا» و«القنيطرة».

وسبق أن حذرت الولايات المتحدة قوات المعارضة في المنطقة من أنها لن تقدم لهم الدعم. وعلى الرغم من ترحيب روسيا بالانسحاب الأمريكي من الأراضي التي تسيطر عليها «قوات سوريا الديمقراطية»، فإن إدارة «ترامب» ستواجه ضغوطا كبيرة لإقناع وزارة الدفاع بالفكرة.

وعلى نفس المنوال، ليس لدى واشنطن أي سبب معقول للاعتقاد بأن روسيا لديها القدرة على كبح وجود إيران في سوريا.

ومن المحتمل أن توافق روسيا على الضغط على إيران لسحب بعض قواتها على الأقل من البلاد، لكن طهران لن تكون على الأرجح مستعدة للتخلي عن موطئ قدم لها في سوريا لمجرد استرضاء موسكو.

أوكرانيا والعقوبات

يعد الصراع في شرق أوكرانيا نقطة الخلاف الرئيسية بين روسيا والولايات المتحدة على مدى الأعوام العديدة الماضية، وربما يثبت أنه تحدٍ كبير.

وفي حين توقفت المفاوضات حول إنهاء الحرب، تسارع معدل انتهاكات وقف إطلاق النار والخسائر. وفي هذه الأثناء، استمرت العلاقات بين موسكو وواشنطن في التوتر، إلى حد كبير لأن الولايات المتحدة زادت من دعمها الأمني لأوكرانيا وضغوطها على روسيا.

ومع ذلك، وكما هو الحال في سوريا، لدى البيت الأبيض والكرملين بعض المجال للتوصل إلى حل وسط بشأن أوكرانيا. إذ قد يوافق «ترامب» و«بوتين»، على سبيل المثال، على تبادل الأسرى أو مراقبة أكثر استدامة لوقف إطلاق النار.

وبالإضافة إلى ذلك، عادت إمكانية نشر قوات حفظ سلام تابعة للأمم المتحدة في شرق أوكرانيا إلى طاولة المفاوضات الآن حيث استؤنفت المحادثات بين روسيا وأوكرانيا وألمانيا وفرنسا، المسماة بـ«نورماندي ٤».

ومن ناحية أخرى، من غير المحتمل الحصول على امتيازات استراتيجية واسعة النطاق. فروسيا أعلنت أنها لن تتنازل عن ضمها لشبه جزيرة «القرم»، ولن تسمح لقوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة بالوصول الكامل إلى «دونباس»، بما في ذلك المنطقة الحدودية التي تقوم من خلالها بتوجيه الأسلحة والأفراد لدعم الانفصاليين في شرق أوكرانيا.

ويعني هذا استمرار النزاع في أوكرانيا، ومعه العقوبات الأمريكية ضد روسيا. ومع ذلك، قد يتمكن «ترامب» و«بوتين» من تحقيق بعض التقدم في المناقشات حول العقوبات. لقد مرر المشرعون الأمريكيون أقوى قيودهم على روسيا حتى الآن في أبريل/نيسان ٢٠١٨، والتي منعت ١٢ شركة مملوكة للروس من الوصول للسوق الأمريكي.

ومنذ ذلك الحين، أشارت واشنطن إلى أنها قد تراجع عن تلك الإجراءات بسبب تأثيرها على شركة «روسال»، الشركة الروسية المملوكة لـ«أوليج ديريباسكا»، التي تمثل ٦٪ من إنتاج الألومنيوم في جميع أنحاء العالم، وبالتالي، على صناعة الألومنيوم العالمية.

وقالت واشنطن إنها ستكون مستعدة لتخفيف القيود المفروضة على «روسال» أو رفعها، خاصة إذا قام «ديريباسكا» الذي يخضع هو نفسه للعقوبات بالتخلي عن نصيبه من الشركة. وإضافة إلى ذلك، مددت إدارة «ترامب» الموعد النهائي للشركات والأفراد لقطع العلاقات مع «روسال» لأكثر من ٤ أشهر.

واستقال «ديريباسكا» بدوره من مجالس كل من «روسال» وشركته القابضة، «إي إن بلص»، وتولى مجلس الإدارة المعين حديثاً وفريق الإدارة المسؤولية، بالتنسيق مع سلطات الولايات المتحدة. وإذا رأت الولايات المتحدة أن هذه الجهود كافية، فإنها قد ترفع أو تعدل عقوباتها على «روسال». لكن هذا لا يعني بالضرورة وجود تغيير في نظام العقوبات الشامل على موسكو. وتتمتع الإجراءات العقابية ضد روسيا بتأييد واسع من الحزبين في الكونغرس، والذي قد يتجاوز الفيتو الرئاسي على العقوبات.

وقد بقيت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي في طريق فرض العقوبات على مدى الأعوام الدء الماضية، حيث نصت العقوبات على أنه يتعين على روسيا تنفيذ المكونات الأمنية لاتفاقات «مينسك» للسلام لإنهاء القيود. وللحصول على إعفاء من العقوبات، يتعين على موسكو أولا تقديم تنازلات بشأن أوكرانيا، بما في ذلك منح قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة إمكانية الوصول الكامل إلى المناطق الانفصالية على طول الحدود الروسية الأوكرانية.

وهناك عقوبات أخرى ضد روسيا بسبب تدخلها في الانتخابات الأمريكية عام ٢٠١٦، والهجمات الإلكترونية، ومبيعات الأسلحة، والتي من المستبعد أن يتم رفعها في أي وقت قريب. ومع ذلك، فإن الاتفاق بين موسكو وواشنطن بشأن «روسال» قد يخفف الضغط على الاقتصاد الروسي، وربما يمهّد الطريق لمزيد من التعاون في المجالات ذات الأهمية الاستراتيجية للولايات المتحدة، بما في ذلك سوريا وكوريا الشمالية.

تكتلات عسكرية

ستعطي قمة «ترامب» و«بوتين» أيضا إشارة إلى ما إذا كانت الولايات المتحدة وروسيا ستحتويان أو ستواصلان بناء قدراتهما العسكرية في الأراضي الحدودية الأوروبية. إذ صعد «الناطو» وروسيا على حد سواء من وتيرة وحجم تدريباتهما العسكرية على مر السنين، بينما عززت أيضا انتشارهما للقوات والأسلحة في أماكن مثل بولندا ودول البلطيق و«كالينجراد» وشبه جزيرة القرم. وفي أوائل يونيو/حزيران الماضي، تبين أن الحكومتين البولندية والأمريكية تجريان محادثات حول إقامة قاعدة عسكرية أمريكية دائمة في بولندا. وإذا تم بناء القاعدة بالفعل، فإن حجم التعزيزات العسكرية بين أمريكا وروسيا قد يصل إلى مستوى جديد. وفي هذا الصدد، حذرت بيلاروسيا بالفعل من أنها ستنظر في استضافة قاعدة جوية روسية جديدة على أراضيها إذا وافقت بولندا على القاعدة الأمريكية. وعلى الرغم من أنه سيكون بلا شك موضوعا ساخنا في قمة «ترامب» و«بوتين»، فإن القاعدة الأمريكية المرتقبة ستستغرق وقتا طويلا لتؤتي ثمارها.

الحد من التسليح

سيكون الحد من سبق التسليح بين البلدين موضوعا آخر للمناقشة بين الزعيمين، ومن غير المرجح أن تحدث انفراجة بشأنه خلال القمة. ومرارا، تم اتهام روسيا والولايات المتحدة بانتهاك معاهدة القوات النووية متوسطة المدى على مر السنين. ورغم أن أيا من الطرفين لا يريد أن يكون أول من ينسحب منها، فإن المعاهدة تفقد تدريجيا مصداقيتها وأهميتها، ويعود ذلك جزئيا إلى أنها تستثني القوى الكبرى الأخرى مثل الصين. وسيكون من المهم أن نراقب اجتماع «ترامب» و«بوتين» للإشارة إلى اتفاقيات مراقبة الأسلحة، بما في ذلك المفاوضات لتوسيع اتفاق «ستارت» الجديد بعد عام ٢٠٢١، للحد من القدرات الصاروخية (أولوية روسية) وحظر تسليح الفضاء، ومعاهدة البناء في الفضاء الخارجي. وحتى لو كان من غير المحتمل أن يحقق «بوتين» و«ترامب» الكثير من التقدم في الحد من التسليح، أو حول الموضوعات الأخرى التي سيتناولها في اجتماعهما، فستكون لديهما فرصة لتخفيف حدة التوتر. وقد تعطي هذه إمكانية هذه القمة دورا مهما في تشكيل المواجهة بين الولايات المتحدة وروسيا في الأعوام القادمة.

أبرز القضايا المطروحة على طاولة ترمب وبوتين في قمة هلسنكي

مجلة (المجلة) اللندنية: ٢٠١٨/٧/١٤

يلتقي دونالد ترمب وفلاديمير بوتين وجها لوجه في العاصمة الفنلندية يوم ١٦ يوليو (تموز) الحالي وذلك في أول قمة تجمع بينهما. ومن المستحيل تقريبا التنبؤ، بأي قدر من الدقة، بما ستنتهي إليه القمة بسبب عفوية الرئيس الأمريكي في التفاوض والأسلوب الغامض الذي يتميز به الزعيم الروسي. غير أن لدينا فكرة معقولة عن القضايا التي استعد لها الزعيما ومساعدوهما قبل الاجتماع والمجالات التي يريد كل منهما شيئا فيها من الآخر والمسائل التي لدى كل منهما الاستعداد لتقديم تنازلات فيها.

سباق التسلح

تشدد كل من ترمب وبوتين في تصريحاتهما عن الترسانة النووية في البلدين الأمر الذي فتح الباب أمام إمكانية حدوث سباق تسلح جديد.

وقال ترمب إن القدرات النووية الأمريكية بحاجة لتجديدها. وقال لوكالة «رويترز» في العام الماضي: «إذا كانت الدول ستمتلك أسلحة نووية فسنكون على رأسها».

وكشف بوتين في مارس (آذار) الماضي عن مجموعة من الأسلحة النووية الجديدة وحذر الحكومات الغربية من أنها «تحتاج الآن لأخذ واقع جديد في اعتبارها». وسيكون سباق التسلح خطيرا وباهظ الثمن للجانبين.

أما إذا تم التوصل إلى اتفاق لتقليل التصريحات الطنانة فسيخرج بوتين وترمب فائزين. وسيكتسب هذا الاتفاق معنى إذا ما تحقق تقدم صوب تمديد معاهدة ستارت الجديدة للحد من الأسلحة النووية التي ينتهي العمل بها في ٢٠٢١.

يريد بوتين أن يخفف ترمب العقوبات التي فرضتها واشنطن بسبب ضم موسكو شبه جزيرة القرم من أوكرانيا ودعمها للانفصاليين في شرق أوكرانيا ودورها في الحرب الأهلية السورية والاتهامات بتدخل روسيا في الانتخابات الأمريكية في ٢٠١٦.

ورغم أن قانونا صدر في ٢٠١٧ يمنع ترمب من تخفيف الكثير من العقوبات دون موافقة الكونغرس فبإمكانه تخفيف بعضها. ومن الممكن أن يرسل الرئيس الجمهوري إشارة إلى أن الإدارة لا تعتزم توسيع قائمة الشركات الروسية والأفراد الروس الخاضعين لقيود السفر والقيود الاقتصادية.

وسيتيح ذلك فك تجميد استثمارات روسيا في حاجة شديدة لها وقروض من مستثمرين دوليين يرفضون في الوقت الحالي الارتباط بروسيا خوفا من تأثير العقوبات. ولم يبد ترمب رغبة في توقيع قانون العقوبات كما فوت عدة مواعيد لفرض العقوبات الواردة فيه.

الحد من الوجود العسكري الإيراني في سوريا

ومن جهتها تخشى إسرائيل، بعد أن دخل الصراع الدائر في سوريا مراحله الأخيرة، أن تبقى قوات إيرانية وقوى تدعمها إيران حول حدودها. وفي القمة ربما يطلب ترمب من بوتين، أقوى الأطراف الخارجية في سوريا منذ التدخل العسكري الروسي فيها، استخدام نفوذه لدى طهران للحد من الوجود العسكري الإيراني.

وسيكون تحقيق ذلك صعبا على بوتين إذ يمثل مجازفة بقطيعة مع حلفائه في طهران وربما يلقي على القوات الروسية مهمة القيام بالنصيب الأكبر مما تبقى من أعمال قتالية في سوريا وهو عبء لا تريد موسكو أن تتحمله.

ردود انتقامية على الصعيد الدبلوماسي

تقلص الوجود الدبلوماسي الروسي في الولايات المتحدة وحجم البعثات الدبلوماسية الأمريكية في روسيا بعد جولتين من عمليات الطرد الدبلوماسي الانتقامية في العامين الأخيرين. كانت الأولى بسبب التدخل الروسي المزعوم في الانتخابات الأمريكية والثانية هذا العام رداً على تسميم الجاسوس الروسي السابق سيرغي سكريبال وابنته في إنجلترا.

ومن الممكن أن يتفق بوتين وترمب في هلسنكي على إعادة حجم البعثتين الدبلوماسيتين إلى ما كان عليه من قبل. ولن يغير ذلك شيئاً في جوهر العلاقة الأمريكية الروسية لكنه سيمثل رمزا لبداية جديدة.

الفناء الخلفي لروسيا

منذ ضم روسيا شبه جزيرة القرم في العام ٢٠١٤ صعد حلف شمال الأطلسي مناوراته العسكرية في شرق أوروبا. ويقول زعماء الحلف إن الهدف من ذلك هو طمأنة أعضاء الحلف الذين يخشون اعتداء روسيا. وقد أغضب ذلك روسيا التي تقول إن حلف شمال الأطلسي أصبح يمثل عبئاً على فنائها الخلفي. وشبه الكرملين ذلك بنشر روسيا صواريخ في المكسيك.

وإذا قلص ترمب حجم التدريبات العسكرية فسيمثل ذلك انتصاراً كبيراً لبوتين. وقال دبلوماسيان كبيران في حلف شمال الأطلسي لـ«رويترز» إنهما مستعدان لكل الاحتمالات بما في ذلك أن يعلن ترمب في أسوأ الحالات تجميد المناورات العسكرية الأمريكية أو سحب القوات من منطقة البلطيق كلفتة لبوتين. وفي قمة حلف شمال الأطلسي التي تعقد في بروكسل وتسبق قمة هلسنكي ستسعى دول الحلف للحصول على تطمينات من ترمب أنه سيعتصم بالمناورات.

الحليف الأوكراني

وقفت واشنطن إلى جانب قادة أوكرانيا الموالين للغرب في مواجهتهم مع روسيا. ومن أوجه هذا الدعم أن الولايات المتحدة قدمت مساعدات عسكرية بمئات ملايين الدولارات إلى كييف. وستمثل قمة هلسنكي انتصاراً لبوتين إذا أقنع ترمب بالتخلي عن تلك المساعدات العسكرية. ويقول المسؤولون الأوكرانيون إن لديهم تطمينات من مساعدي ترمب أن الرئيس الأمريكي لن يفعل ذلك لكنهم يسلمون بأن أي شيء يمكن أن يحدث ما أن يلتقي ترمب وبوتين وجها لوجه. وفي المقابل يمكن للزعيم الروسي أن يقدم تنازلات فيما يتعلق بشرق أوكرانيا حيث يسيطر انفصاليون مؤيدون لموسكو على مساحات من شرق البلاد. ويقول دبلوماسيون إنه يتعين إبرام اتفاق يسمح لقوة حفظ سلام دولية مسلحة بأن تراقب المنطقة. إلا أن بوتين لن يفكر في أي تنازلات فيما يتعلق بشبه جزيرة القرم.

قمة ترامب- بوتين فرصة لنزع فتيل مواجهة نووية محتملة

مجلة "فورين بوليسي" ٢٠١٨/٧/١٤

كتب الباحث جون وولفستهل في مجلة "فورين بوليسي" إن القمة المرتقبة بين الرئيسين الأمريكي دونالد ترامب والروسي فلاديمير بوتين في هلسنكي الإثنين المقبل، تمثل فرصة فريدة لقلب المناقشة النووية الخطيرة بين الولايات المتحدة وروسيا ويجب أن تكون موضع ترحيب، على رغم مخاطرها الكامنة. تحتفظ الولايات المتحدة وروسيا بأكبر ترسانتين نوويتين في العالم، وكلاهما ينخرط في برامج تحديث ضخمة لتعزيز المنفعة العسكرية وإطالة أمد قوتيهما وقال إن الفرصة لتحقيق الاستقرار في العلاقات الأمريكية-الروسية من طريق تمديد معاهدة "ستارت" الجديدة، المعاهدة النووية التي سينتهي مفعولها في ٢٠٢١، تعتبر أمراً بالغ الأهمية ويستحق أن تكون محور بحث في أي اجتماع بين ترامب وبوتين.

أدنى مستوى

وأشار إلى أن العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا هي في أدنى مستوى لها منذ انتهاء الحرب الباردة، فيما مخاطر اندلاع نزاع مسلح وحتى استخدام أسلحة نووية تبقى عالية. إن الأمور المستفزة والأخطار الأخرى-بما في ذلك تدخل روسيا في الشؤون الداخلية للولايات المتحدة، والضم غير الشرعي للقرم في أوكرانيا، وتهريب أعضاء حلف شمال الأطلسي، وانتهاك اتفاقات نووية وأخرى تتعلق بالحد من التسليح- كلها تظل نقاط صراع مفتوح. ولكن بسبب كل هذه المخاطر، لا على الرغم منها، فإن القمة يمكن أن تزيد من أمن الولايات المتحدة إذا أدت إلى تمديد معاهدة ستارت الجديدة.

وخلافاً للمعاهدات النووية الأخرى، يظل كلا البلدين متمتعين بالكامل بالحدود المركزية لمعاهدة ستارت الجديدة، التي أثبتت أنها أداة قوية للحد من مخاطر الحرب النووية. ومع ذلك تحتفظ الولايات المتحدة وروسيا بأكبر ترسانتين نوويتين في العالم، وكلاهما ينخرط في برامج تحديث ضخمة لتعزيز المنفعة العسكرية وإطالة أمد قوتيهما. وكلاهما يتبع الآن مبادئ وقدرات تعتمد على الاستخدام المبكر للأسلحة النووية في حالات أكثر في الوقت الذي يدعي كل طرف أنه يسعى إلى تجنب الصراع ومع استخدام الأسلحة النووية.

٢٠٠٠ سلاح نووي تكتيكي

وقال إن روسيا من جانبها تنتهك أيضاً الكثير من اتفاقات الحد من التسليح، بما في ذلك معاهدات القوات النووية المتوسطة المدى (أي إن إف) لعام ١٩٨٧، التي تحظر على البلدين امتلاك صواريخ باليستية أرض-أرض، أو صواريخ كروز يتراوح مداها ما بين ٣٠٠ ميل و٣٤٠٠ ميل. وتحتفظ روسيا بما يصل إلى ٢٠٠٠ سلاح نووي تكتيكي ميداني، ليس فقط للتعويض عن النقص في أسلحتها التقليدية في مقابل ما يملكه حلف شمال الأطلسي ولكن ذلك يجعلها في وضع يمكنها من تنفيذ تهديدها باستخدام الأسلحة النووية أولاً في صراع تقليدي خاسر يهدد بقاء الدولة الروسية.

مخاطر مرتفعة

وأضاف أن الكثير من المراقبين يلاحظون أن مخاطر الصراع بين الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي من جهة وروسيا من جهة ثانية تبقى مرتفعة بشكل غير مقبول. وتعتقد روسيا أن توسع حلف الأطلسي وتوسيع الولايات المتحدة لنظام الدفاع الصاروخي والقدرات التقليدية المتطورة هي المسؤولة عن هذا الوضع، في حين أن الولايات المتحدة تعتقد أن انتهاك روسيا لسيادة أوكرانيا (وسيادة جورجيا في حرب عام ٢٠٠٨)، وسلوكها المتهور حيال حلف الأطلسي واعتمادها المتزايد على الأسلحة النووية هو المسؤول عن عدم الاستقرار في أوروبا. وبصرف النظر عن ذلك، تستطيع الدولتان ويجب عليهما اتخاذ إجراءات للحد من مخاطر الصراع والتوترات التي يمكن أن تتصاعد بسرعة إلى استخدام الأسلحة النووية، في ضوء نظرياتها الخاصة. وخلص إلى أن المخاطر التي بدا منذ فترة طويلة أنها انتهت إلى سجلات التاريخ، تبدو الآن حقيقة واقعية وتتطلب إننباهاً على مستوى عالٍ من أجل السير في عكسها.

قمة بروكسل مرت بسلام في انتظار مخرجات قمة هلسنكي

يشير الجدل أينما حل

صحيفة (العرب) اللندنية: ٢٠١٨/٧/١٤

جاءت اجتماعات الأربعاء والخميس في بروكسل، امتدادا لتلك الصورة الشهيرة التي تداولها الإعلام غداة قمة مجموعة السبع، في لا مالابيه الكندية، وفيها يظهر الرئيس الأمريكي، كالطفل العنيد بيديه المكتوفتين ونظرات التحدي والتمرد في عينيه، وتقابله أنجيلا ميركل بيديها الممدودتين على الطاولة وكأنها كانت تضرب عليها في تحد مماثل وبجانبها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون وحولهم رؤساء ومستشارون للدول السبع.

لم تظهر صورة مماثلة في ختام قمة الناتو، لكن الأجواء والتصريحات تشي بتوتر مماثل، خصوصا عند مناقشة قضية الإنفاق الدفاعي. ونقلت تقارير صحافية عن مصادر مطلعة أن الرئيس الأمريكي هاجم مجددا شركاءه في ما يتعلق بالإنفاق والممارسات التجارية الأوروبية خلال جلسة مغلقة، اقتصرت على الحلفاء فقط، فيما طلب من الدول غير الأعضاء مثل أوكرانيا وجورجيا مغادرة القاعة، فيما كان شبح قمة هلسنكي بين دونالد ترامب ونظيره الروسي فلاديمير بوتين حاضر بقوة، سواء في أسئلة الصحافة لترامب أو خلال النقاشات وفي تصريحات الرئيس الأمريكي، الذي قال إن لقاءه ببوتين سيكون أسهل لقاء له خلال جولته الأوروبية، التي كانت محطتها الأولى بروكسل، ومنها سافر الخميس إلى بريطانيا.

حذر ترامب الحلفاء في الناتو من أن بلاده ستتولى شؤونها الدفاعية بمفردها إذا لم تعزز الدول الأعضاء إنفاقها الدفاعي. وسبق أن كشف ترامب، قبل وصوله إلى بروكسل، أنه سي طرح بقوة مسألة الإنفاق الدفاعي وسيطلب من الحلفاء أن "يدفعوا فواتيرهم". وغرد ترامب وهو في طريقه إلى بروكسل قائلا إن "الولايات المتحدة تنفق على الناتو أكثر بكثير من أي دولة أخرى... هذا ليس عادلا أو مقبولا"، منتقدا مجددا ما اعتبره نفقات ضئيلة للغاية من جانب ألمانيا على الدفاع.

وأضاف في تغريدة عقب الجولة الأولى من المحادثات في بروكسل، مغردا بأن "الولايات المتحدة تدفع ثمن الحماية الأوروبية، ثم تخسر المليارات في التجارة. وألحقها بتغريدة أخرى في ذات السياق جاء فيها "تنفق دول حلف شمال الأطلسي المليارات من الدولارات الإضافية منذ زيارتي العام الماضي، بناء على طلبي، لكن هذا تقريبا لا يكفي. الولايات المتحدة تنفق مبالغ باهظة".

لكن عاد ترامب ليقول بعد ذلك إن التزام الولايات المتحدة بحلف الناتو "لا يزال قويا للغاية"، وأعرب عن "سعادته البالغة بتعهد دول حلف شمال الأطلسي بزيادة الإنفاق الدفاعي إلى مستويات غير مسبوقة".

وأعلن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، إثر جلسة طارئة لمناقشة الخلاف بين الأمريكيين والأوروبيين في شأن الإنفاق العسكري، أن الدول الأعضاء بالناتو "تعهدت بزيادة إنفاقها" وفقا لاتفاق تم التوصل إليه عام ٢٠١٤، وقال "لقد اتفقتنا على استراتيجية موثوق بها تتعلق بالموازنة تفي باحتياجاتنا". وقال ماكرون إن فرنسا ستلبي الهدف المتفق عليه في حلف شمال الأطلسي بزيادة الإنفاق الدفاعي ليصبح ٢ بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي بحلول عام ٢٠٢٤ وإن التماسك داخل الحلف لن يكون ممكنا إلا إذا تم تقاسم العبء بشكل "منصف".

وأعلنت المستشار الألمانية أنجيلا ميركل أن على ألمانيا بذل المزيد في ما يتعلق بالإنفاق الدفاعي. وقالت ميركل للصحافيين "عقدنا قمة مكثفة جدا"، مضيفا أن ترامب طالب بتغيير في تقسيم العبء داخل التحالف، لكن في النهاية قدم كل طرف التزاما واضحا تجاه الحلف. وقالت ردا على سؤال عما إذا كانت ستزيد مرة ثانية من تعهدها الحالي ببلوغ نفقات الدفاع ١,٥ بالمائة من إجمالي الناتج المحلي حتى عام ٢٠٢٤ "سيتعين علينا التحدث حول إلى أي مدى سنقدم المزيد في العتاد" أقول بوضوح العتاد وليس التسليح".

وفي موقف يكشف إلى أي مدى وصل الانقسام بين الحلفاء في الناتو، أعلنت شبكة سي إن إن الإخبارية، أن الدول الأعضاء في حلف شمال الأطلسي "لم تتفق على مقترح للرئيس الأمريكي دونالد ترامب، بزيادة حجم مساهمتها في ميزانية الحلف".

ونقلت الشبكة الأمريكية، عن مصدر دبلوماسي رفيع في حلف الناتو (لم تسمه)، أنه تم بالفعل مناقشة مسألة تقاسم الأعباء المالية للحلف، لكن قادة الناتو لم يتفقوا مع ترامب، بشأن زيادة حجم مساهمة دولهم في ميزانية الحلف من ٢ بالمائة إلى ٤ بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي لكل دولة. وفي السياق، تفادى الأمين العام للناتو، ينس ستولتنبرغ، تأكيد أو نفي موافقة الدول الأعضاء على زيادة مساهمتها في الحلف لتصل إلى النسبة التي يطالب بها الرئيس الأمريكي. وأجاب ستولتنبرغ، عن سؤال رفع الإنفاق، في حوار أجراه مع شبكة سي إن إن، بالقول "توصلنا إلى استنتاجات ما يعني أن القمة كانت جيدة، ونحن متحدون الآن أكثر مما كنا عليه قبل القمة".

عقيدة أمريكية متجددة

منذ حملته الانتخابية، تضمنت لغة حوارات وخطابات الرئيس الأمريكي تشويها لصورة حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي، حلفاء الولايات المتحدة منذ فترة طويلة، مقابل مدحه الدائم لحكام يعتبرهم الأوروبيون دكتاتوريين مثل زعيم كوريا الشمالية كيم جونج أون والرئيس الروسي فلاديمير بوتين، الذي سيلتقي به في هلسنكي في ١٦ يوليو في قمة ستكشف الكثير عما سيكون عليه شكل النظام العالمي في المرحلة القادمة بناء على الاتفاقات التي ستعقد بين بوتين وترامب وما ستطرحة من ملفات وحلول لها، من سوريا إلى أوكرانيا وإيران.

أدت اللغة غير المسبوقة من قبل رئيس أمريكي تجاه الحلفاء إلى شعورهم بالغضب، كما أثارت جدلا حول مستقبل المعسكر الغربي ومدى تماسكه، طالما ظل ترامب في البيت الأبيض. وقد سعى المسؤولون الأمريكيون والأوروبيون إلى التقليل من أهمية تصرفات ترامب، مصرين على أن الأوتار التي تربط بين التحالف الأطلسي قوية ومتينة، ومشيرين إلى أن فترة رئاسة ترامب مؤقتة وسيذهب في يوم من الأيام بينما ستبقى المؤسسات الأمنية المتشابكة في الغرب وقيمها المشتركة.

ومع ذلك، بدأ بعض القادة الغربيين والمسؤولين الكبار يتساءلون عما إذا كان هذا التقييم لا يزال صالحا فعلا، لا سيما وأنهم يشيرون إلى أن ترامب لا يصيح في الفراغ، وأن السياسات الأمريكية لم تكن يوما رهينة مزاج الرئيس وتوجهاته، حتى وإن كان شخصا مثل دونالد ترامب.

ويؤشر هؤلاء على وجود البعض من أفراد إدارة الرئيس السابق باراك أوباما ضمن فريق إدارة ترامب، رغم تصريحات الأخير المنتقدة لأوباما وسياساته. كما أن توجهات الإدارة الأمريكية التي وإن بدت معاكسة تمام لتوجهات سابقتها في بعض الملفات مثل إيران، والعلاقات مع الحلفاء التقليديين، الأوروبيين كما العرب، إلا أن هناك نقاط تشابك والتقاء كثيرة كالدور الأمريكي في سوريا والتوجه نحو آسيا والحرب مع الصين.

ويرى محلل الشؤون الخارجية في صحيفة الغادريان، جولييان بورغر، أن ترامب الذي فاز في انتخابات عام ٢٠١٦ حافظ على نسبة تأييد بلغت ٩٠ بالمئة بين الجمهوريين، لأنه استغل انعكاسا عميقا في السياسة الأمريكية.

في هذه الحالة، يمكن القول إن ترامب ربما ليس استثناء، ولكن الاستثناء في الناتو. وينقل بورغر عن مسؤول أوروبي بارز "ما هو ظاهر الآن هو المشكلة الحقيقية التي لم يتسبب الرئيس الأمريكي الحالي في حدوثها ولن تختفي في نهاية فترة رئاسته. إن العلاقة عبر الأطلسي التي يعتبرها جميعنا شيئا مسلما به، لم تعد كذلك".

لقد كانت العلامات، بحسب قول المسؤول الأوروبي، موجودة بالفعل في عهد إدارة باراك أوباما، فقد سعى أوباما أيضا إلى إعادة توجيه تركيز السياسة الخارجية الأمريكية من أوروبا وباتجاه القارة الآسيوية، لكنه فقط لم يعرب عن تعبيره عن فك الارتباط بهذا الشكل الفاضح والفظ مثلما يفعل ترامب.

وقال المسؤول "معظم الأوروبيين يحلمون بأنه بعد فترة ترامب سنعود إلى ممارسة أعمالنا كالمعتاد، لكن لا أعتقد أن ذلك لن يحدث". وأضاف المسؤول قائلا "بالنسبة للأوروبيين، تعتبر هذه دعوة لإيقاظهم ولا سيما بعد رؤيتهم لعالمهم وهو ينهار أمامهم".

ويربط جولييان بورغر بين الحاضر والماضي في سياق تحليل التوجهات الأمريكية الراهنة، مشيرا إلى أنه على مدار تاريخ الولايات المتحدة، سعى رؤساؤها إلى تجنب التدخل والتشابك مع أوروبا، ونجحوا في فعل ذلك بعد إعلان استقلالها في عام ١٧٧٦ حتى عام ١٩١٧ وحين اضطروا إلى المشاركة في الحرب العالمية الأولى.

وحتى في ذلك الوقت، كان معظم الأمريكيين حريصين على فك الروابط بين الولايات المتحدة وأوروبا، ولا سيما بعدما أدار الكونغرس ظهره للمثل الدولية للرئيس الأمريكي آنذاك، وودرو ويلسون، ورفض التصديق على معاهدة سلام فرساي أو السماح للولايات المتحدة بالانضمام إلى عصبة الأمم الجديدة.

ثم قاوم الكونغرس بشدة التدخل الأمريكي في الحرب العالمية الثانية، وكان بإمكان الولايات المتحدة أن تظل على الهامش لو لم تهاجم اليابان ميناء بيرل هاربور في عام ١٩٤١، ثم أعلنت ألمانيا الحرب على الولايات المتحدة بعد أربعة أيام فقط.

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥، فكر الأمريكيون مرة أخرى بالانسحاب وقاموا بتسريح حوالي ٩٠ بالمئة من قواتهم. لكن على مدى العامين المقبلين أصبح من الواضح بشكل متزايد أن الدول الأوروبية لن تتعافى اقتصاديا دون مساعدة الولايات المتحدة وأن الاتحاد السوفييتي في عهد جوزيف ستالين يلوح في الأفق باعتباره تهديدا عالميا. لذا بقيت الولايات المتحدة في أوروبا، وقامت بإعادة بناء ألمانيا، وتشكيل حلف الناتو.

ويرى المؤرخ الأمريكي، والتر راسل ميد أن ترامب ومؤيديه ليسوا إلا انعكاسا لمدرسة سابقة للسياسة الخارجية الأمريكية، يجسدها أندرو جاكسون، الذي يُعتقد بأنه كان أول رئيس شعبي في البلاد. لا يرى الجاكسونيون الجمهورية كمجموعة من المثل العليا، وإنما كدولة أمريكيتين ذوي البشرة البيضاء. وتركز السياسة الخارجية لجاكسون على الدفاع عن تلك الدولة القومية ضد التأثيرات الخبيثة والدوافع العالمية لطبقات النخب، وهو تقريبا ما يتبناه ترامب اليوم وهو يرفع شعار "أمريكا أولا".

ويذكر جوليان بورغر أن ترامب، وفي غضون أيام من تنصيبه رئيسا للولايات المتحدة في يناير ٢٠١٧، علق صورة جاكسون، المعروفة باسم "القاتل الهندي" بسبب حملاته الوحشية ضد الأمريكيين الأصليين، في المكتب البيضاوي.

لا يجادل ميد بأن انتصار ترامب الانتخابي واستعداده لإعادة صياغة مبادئ السياسة الخارجية الأمريكية يعنيان أن تفكير جاكسون هو المهيمن الآن. لكن يقول دان دريزنر، أستاذ السياسة الدولية بجامعة تافتس بالولايات المتحدة، إن ما يوحد الولايات المتحدة وأوروبا في العالم الحديث سيثبت في النهاية أنه أقوى بكثير من تأثير ترامب ورغبته في تقسيم هذه الوحدة.

وأضاف دريزنر "تعتبر أوروبا والولايات المتحدة الدعامتين الرئيسيتين من أجل إرساء الديمقراطية الليبرالية. هذه هي القارات والدول والمؤسسات التي تجمعها الكثير من القواسم المشتركة أكثر مما هي عليه الآن. إن الفكرة القائلة إن حلف الناتو معرض للانقسام، أمر سخيف حقا".

قمة هلنسي

مرت قمة حلف شمال الأطلسي بسلام، فيما يتطلع الأوروبيون إلى ما سينتج عن قمة هلنسي الثنائية بين ترامب وبوتين، والتي سيكون من بين موضوعاتها ملف ضم روسيا لشبه جزيرة القرم ورفض ترامب في تعليقات بعد قمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) استبعاد احتمالية اعتراف الولايات المتحدة بضم روسيا لشبه جزيرة القرم، الذي أثار موجة غضب واسعة النطاق ودفع دولا أوروبية إلى فرض عقوبات. وأضاف "ما سوف يحدث مع القرم من هذه اللحظة، لا أستطيع أن أقوله"، موضحا "ولكنني غير سعيد بشأن القرم".

ويقول المراقبون إن رفض ترامب إعادة تأكيد الموقف الأمريكي المعارض لتدخل روسيا في أوكرانيا، سيتسبب في استياء الحلفاء الأوروبيين. وسيكون القبول بعدم إعادة القرم إلى السيادة الأوكرانية تنازلا كبيرا لروسيا، التي تتعرض لعقوبات تجارية دولية مرهقة بسبب ذلك.

وقال ترامب إنه سوف يناقش مع بوتين التدخل الروسي في الانتخابات الأمريكية التي أجريت عام ٢٠١٦، بالإضافة إلى الصراعات في سوريا وأوكرانيا. وأضاف "أتمنى أن نتفق، ولكن في النهاية هو منافس، شخص ما كان يسأل: هل هو عدو؟ هو ليس عدوا. هل هو صديق؟ لا، لا أعرفه بصورة كافية". وأوضح "أتمنى يوما ما، ربما، أن يصبح صديقا".

قمة هلسنكي: صدام أم تعاون؟

*السيد أمين شلبي

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/٧/١٤

كلف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، مستشاره للأمن القومي جون بولتون، التوجه إلى موسكو في ٢٥ حزيران (يونيو) للقاء الرئيس الروسي فلاديمير بوتين. واتضح من الزيارة أنها كانت للإعداد لقمة بين الرئيسين الروسي والأمريكي، ستعقد في هيلسنكي في ١٦ تموز (يوليو) الجاري. وجاء ذلك في ظل انطباع دولي عام بأن العلاقات الروسية - الأمريكية تشهد تدهوراً وصفه ترامب بأنه الأسوأ منذ نهاية الحرب الباردة.

والواقع، أن سجل العلاقات الأمريكية - الروسية يوحي بأن هذا التدهور يعود إلى إدارات أمريكية سابقة حين قررت إدارة كلينتون إقامة قواعد للصواريخ المضادة في كل من بولندا وهنغاريا، فضلاً عن توسيع حلف الأطلسي على تخوم روسيا. وهو ما اعتبره بوتين تهديداً للأمن القومي الروسي. وتوالت مظاهر التدهور حين تدخلت روسيا عسكرياً في جورجيا عام ٢٠١٠ ثم في أوكرانيا عام ٢٠١٤ وضمها شبه جزيرة القرم، الأمر الذي دفع مؤرخين إلى الحديث عن حرب باردة ثانية.

وأنتهت إدارة أوباما عهدها بطرد ٣٠ دبلوماسياً روسياً من واشنطن، وأوقفت المحادثات حول سورية، متهمه موسكو بأنها تحاول صوغ تسوية وفقاً للمعايير الروسية. ومن المفارقات، أن دونالد ترامب أبدى خلال حملته الانتخابية استعداداً للتعاون مع الرئيس الروسي، واصفاً مَنْ يعارضون ذلك بأنهم «أغبياء». غير أنه بعد بلوغه البيت الأبيض، تداخلت اتهامات تدخل روسيا في الانتخابات الأمريكية، واستغلت القوى الداخلية المتربصة تاريخياً بروسيا لوقف هذا الاتجاه.

ووسط الأزمات الداخلية التي يتعرض لها، لم يستطع ترامب مقاومة هذا التيار. فما الذي يدعو ترامب اليوم إلى لقاء بوتين؟ في تقدير المراقبين، أن ترامب ما زال يعتقد بإمكان تعاونه مع روسيا، وأخيراً بات يعتقد أن موسكو يجب أن تكون جزءاً من الاستراتيجية العالمية، فضلاً عما نصحه به شيخ الدبلوماسية الأمريكية هنري كيسنجر، بأن يتقارب مع روسيا لمواجهة التمدد الصيني مثلما سبق أن نصح ريتشارد نيكسون في أوائل السبعينات بأن ينهي الخصومة مع بكين ليوازن علاقته مع الاتحاد السوفياتي السابق.

وتنقد قمة هلسنكي وأمامها جدول أعمال حافل: الأزمة السورية، رغبة ترامب في احتواء إيران واعتبار أنها تهدد أمن المنطقة وإسرائيل، ومواصلة الضغط على كوريا الشمالية، فضلاً عن قضية القرم العالقة. أما بوتين، فإن هدفه الأساسي من القمة هو إنهاء العقوبات التي أوجعت الاقتصاد الروسي. وفي هذا الشأن، لا تبدو الأمور مشجعة، فقد استبق ترامب القمة بأن أعلن أن العقوبات ستستمر حتى تعيد روسيا القرم إلى أوكرانيا. وبادر بوتين بالرد بأن القرم جزء لا يتجزأ من روسيا وغير قابل للتفاوض. تاريخياً، ثمة تياران يتجاذبان السياسة الأمريكية تجاه الاتحاد السوفياتي وخليفته روسيا الاتحادية. يعتبر التيار الأول أن روسيا خصم، وربما عدو للولايات المتحدة تجب مواجهته.

وانتصر هذا التيار خلال العهد السوفياتي حين أحبط علاقات الوفاق التي أسسها ريتشارد نيكسون في أوائل السبعينات. أما التيار الثاني، فهو الذي يعتبر أن ثمة قضايا تحتاج فيها الولايات المتحدة إلى التعاون مع روسيا: الإرهاب، الانتشار النووي، الأزمات الإقليمية والطاقة والتغير المناخي والأمن الدولي: فأى التيارين سيتغلب في تقرير مصير القمة المقبلة ونتائجها؟

* كاتب مصري

قضايا الشرق الأوسط والإرهاب تصدر بيان قمة «الناتو»

وكالات متعددة: ٢٠١٨/٧/١٤

تصدرت قضايا وأزمات منطقة الشرق الأوسط البيان الختامي لدول حلف شمال الأطلسي «الناتو» خلال قمتهم التي عقدت في العاصمة بروكسل على مدار يومي ١١ و١٢ من يوليو.

وشمل البيان ٧٩ بنداً، حيث أكدت الدول الأعضاء في الحلف أن اجتماع بروكسل عقد في لحظة يتعرض فيها أمن دولهم لمخاطر عدة والقانون الدولي لانتهاكات، ما يؤكد أهمية استمرار العمل من أجل تحقيق السلام والأمن والاستقرار على المستوى العالمي، وبالأخص في منطقة اليورو.

وأوضح زعماء الحلف أن المسؤولية الأولى له تبقي هي الحفاظ والدفاع عن أراضي وشعوب الدول الأعضاء ضد أي هجوم، مشددين على أن الأفعال العدوانية لروسيا والتهديد وإستعمال القوة من أجل الوصول إلى أهداف سياسية يمثل تحدياً للحلف ويؤثر على أمن الأطلسي وعلى النظام الدولي.

وفي هذا السياق، أكد الحلف أنه تم تعليق أي تعاون بينه وبين روسيا، غير أنه تم الأخذ في الاعتبار الاستمرار في الحوار السياسي، في إطار تجنب المواجهة ونفي أي ادعاءات حول تمثيل الحلف تهديداً لروسيا. وأشار الزعماء من خلال بيانهم إلى مساندة دول الحلف لتكامل أراضي أوكرانيا وجورجيا وميلدوفا داخل حدودها المعترف بها دولياً.

وأوضح البيان الختامي أنه سوف يتم اتخاذ جميع الإجراءات لضمان الدفاع المشترك لأعضاء الحلف من خلال إعادة التأكيد على استمرار الالتزام في مجال استثمارات الدفاع الذي اتخذ خلال قمة ويلز عام ٢٠١١. ورحب زعماء الحلف بالتقدم الذي أحرز منذ قمة ويلز حيث إن ميزانيات الدفاع خلاف مساهمة الولايات المتحدة قد ارتفعت حقيقة منذ ٤ سنوات وبدأ الحلفاء في رفع مصاريف وأعباء الدفاع، وأن ثلثي الدول الأعضاء أقرت على المستوى القومي خططا لصرف ٢٪ من إجمالي الناتج المحلي في مجال الدفاع منذ الآن حتى ٢٠٢٤.

وبرهن التأكيد على هذه النقطة في البيان توصل قمة بروكسل إلى حل توافقي بين الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية وعلى رأسها ألمانيا في قضية تحمل الأعباء التي أثارها ترامب بهدف إنجاح القمة وإدراك جميع الأعضاء أهمية الحلف وحيوية استمراره لحماية مصالح أعضائه.

على صعيد متصل، أكد البيان أن عدم الاستقرار والأزمات في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تغذي الإرهاب وتشجع الهجرة غير المنتظمة والاتجار في البشر. كما أشار إلى أن الأزمة السورية الحالية لها تداعيات مباشرة على الأمن في المنطقة وأمن الحلف، إلى جانب انتشار أسلحة الدمار الشامل والتكنولوجيا الحديثة للصواريخ.

وحدد الرؤساء أن الهدف الرئيسي للإمكانات النووية للأطلسي هي الحفاظ على السلام وعرقلة أي عدوان ضد الدول الأعضاء، وأعربوا عن قلقهم إزاء إستعمال أسلحة كيميائية في سوريا من قبل النظام السوري وداعش. كما أعربوا عن قلقهم إزاء مضاعفة التجارب الصاروخية لإيران وبالذات إستعمال الصواريخ الباليستية وأنشطتها الخاصة بتعكير إستقرار الشرق الأوسط.

الناتو يواجه تهديدات داخلية لا سابق لها

مجلة "فورين أفيرز": ٢٠١٨/٧/١٤

يواجه الناتو حالياً عدة تحديات. فقد هاجم إرهابيون عواصم دول أوروبية تفرض قضية الهجرة ضغوطاً على حدودها وأنظمتها الأمنية الداخلية. وباتت روسيا قادرة على استخدام القوة وسواها من وسائل النفوذ في أوروبا، فضلاً عن تهديد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالتخلي عن الحلف برمته.

لكن المشكلة الأكبر تعود لانحياز الديمقراطية الليبرالية داخل الحلف ذاته. إنه رأي تعرضه، في مجلة "فورين أفيرز"، سيلستي والاندز، رئيسة المعهد الأمريكي - الروسي، ومساعدة خاصة سابقة لشؤون روسيا وأوراسيا لدى مجلس الأمن القومي الأمريكي التي تقول إن حلف شمال الأطلسي لم يكن قط حلفاً نموذجياً. فمنذ إنشائه في عام ١٩٤٩، لم يردع الناتو أو يصد تهديدات خارجية، بل ساهم في إعلاء مبادئ الحكم الديمقراطي الليبرالي. ورغم أن تماسكه استند في البداية لمواجهته خطراً مشتركاً تمثل في الاتحاد السوفييتي، كان الناتو أكثر توحداً من عدد من المنظمات المتعددة الأطراف بفضل الطبيعة المشتركة لأعضائه. فقد كانت معظم حكومات أعضائه منتخبة ديمقراطياً ومسؤولة أمام مواطنيها، وملتزمة بحكم القانون، وتعمل على إعلاء الحقوق السياسية والمدنية.

وعندما واجهت دول الحلف خطراً مشتركاً، وقفت غالباً في صف واحد لحماية حدودها وقيمها، لكن معظم التحالفات تنقضي عند زوال ذلك الخطر. ولهذا السبب، عند نهاية الاتحاد السوفييتي، خشي عدد كبير من المراقبين زوال الناتو. لكن بفضل التماسك الداخلي بين مؤسساته الديمقراطية، فضلاً عن حوافز قدمها لانضمام أعضاء جدد، تحدى الحلف جميع تلك التوقعات. وعوضاً عن تفككه، تأقلم الناتو مع تحديات جديدة، وأصبح حجر أساس للأمن عبر الأطلسي ما بعد الحرب الباردة.

ولكن، حسب كاتبة المقال، يتعرض اليوم الناتو لتهديد كبير لا من الكرملين فحسب، بل لأن عدداً من دوله تعتمد تفكيك مؤسسات ديمقراطية وتخلي عن ممارسات ليبرالية، ولربما تشتد الأمور سوءاً في حال استغل ديمتغوجيون متسلطون مشاعر شعبية بهدف كسب نفوذ سياسي في دول الحلف. وهكذا في الوقت الذي تشتد فيه الحاجة إلى الحلف لمواجهة تحديات خارجية، تواجه أعمدة قوته خطر الانهيار بسبب تحديات داخلية.

ويرأي الكاتب، عندما يواجه الناتو قضية أمنية لا تتطلب تطبيق المادة ٥ من ميثاق الحلف بشأن الدفاع المشترك، يغدو تماسك الحلف أقل جزماً تبعاً لتباين أولويات الدول الأعضاء، وتبعاً لسياساتهم وحساباتهم. وفي تلك الحالات، لعب التزام الناتو بحكم القانون دوراً هاماً. وأثبت الحلف تماسكه عندما عمل خارج أوروبا، وعندما تعلقت التهديدات بأسس القانون الدولي، كما جرى عند التدخل في ليبيا في عام ٢٠١١، والذي دعمه قرار من مجلس الأمن الدولي.

وفي المقابل، تقول كاتبة المقال، عندما تخلت دول أعضاء عن قيم ومؤسسات ديمقراطية، سجل انقسام داخل الحلف. فعندما تجري مقارنة بين الاجماع الغربي على التدخل في حروب البلقان، في تسعينات القرن الماضي، بالانقسامات الكبيرة بين أعضاء الحلف حيال الغزو الأمريكي للعراق، في عام ٢٠٠٣، تتضح الصورة بشأن مواقف دول الحلف عندما لا يتعلق الأمر بتهديد مباشر تواجهه دوله، أو تبعاً لالتزامهم المشترك بحماية حقوق الإنسان.

وتنصح كاتبة المقال الناتو بوجوب العمل بشكل وثيق مع الاتحاد الأوروبي لأن المنظمين تتشارك بالتركيز على حكم القانون وحماية حقوق المواطنين بما يمكن تعزيز نقاط القوة الداخلية لكل منهما. وعبر تعميق تلك العلاقة بواسطة إنشاء قنوات تواصل رسمية يمكن تعزيز قابلية الناتو لمراقبة ما إذا كان حلفاؤه يطبقون معايير الحكم الرشيد طبقاً لمعايير وضعها الاتحاد الأوروبي.

إنقاذ فتية الكهف التايلاندي انتصار للشجاعة والتعاون الدولي

صحيفة "ذا غارديان" البريطانية: ٢٠١٨/٧/١٤

بعد إنقاذ ١٢ فتى تايلاندياً علقوا مع مدربهم لكرة القدم، داخل كهف مظلم مليء بالماء، لأكثر من ١٥ يوماً، أشادت سوزان مور، كاتبة رأي في صحيفة "ذا غارديان" البريطانية، بشجاعة ومروءة غواصين حضروا من عدة دول، وتطوعوا لإتمام عملية إنسانية شاهدها العالم أجمع.

وتقول مور إن احتجاز شخص ما تحت الأرض داخل كهف معتم، وقت هطول أمطار غزيرة هددت بإغراقه، هو شيء أشبه بالكوابيس. ولكن أن يدخل بعضهم طواعية إلى تلك المغارة، وأن يغوصوا في مياهها حاملين معهم أغذية وأدوية وعبوات أوكسجين، وينجحوا، بعد جهد كبير، في إنقاذ أولئك الفتية، فهذه شجاعة كبيرة. وقبل كل شيء، كان إيصال الأوكسجين إلى الفتية المحاصرين أهم مما عدا، حتى أن متطوعاً فقد حياته لأنه لم يحتفظ لنفسه بعبوة أوكسجين واحدة. فقد مات سامان كونان في سبيل إنقاذ آخرين.

حبس أنفاس

وتصف كاتبة المقال كيف حبس العالم أجمع أنفاسه خوفاً من فشل عملية إنقاذ الفتية. وكانت أنباء العثور عليهم أحياء سالمين، قد أشاعت مختلف أنواع التوقعات حيال كيفية إخراجهم من الكهف. وتساءل بعضهم هل يتم إخراجهم عبر الحفر في الصخور؟ وهل سيكون ممكناً مسابقة الزمن قبل أن تملأ أمطار غزيرة ذلك الكهف؟ وتقول مور: "لم يستطع معظمنا فهم، أو حتى تخيل الأوضاع داخل تلك الكهوف، ولا حتى كيفية التسلل عبر فتحات صخرية لا يزيد عرضها عن ٤٠ سم. كما شكلت عملية نقل عبوات أوكسجين عبر تلك الأنفاق المظلمة تحديات هائلة أمام أولئك الغواصين. ولكنهم أنجزوا مهمتهم، وبرعوا في أدائها".

تنسيق رائع

وعندما تشير إليهم، تقول مور إنها تعني بقولها ذلك الفريق الذي تشكل من أفراد من البحرية التايلاندية ومن غواصي كهوف دوليين حضروا وتطوعوا للمساعدة. وتضيف أننا لم نسمع من قبل عن هؤلاء الغواصين الذي يقولون بهدوء إن الغوص طوال سنين جعلهم مستعدين للمشاركة في عملية الإنقاذ هذه. فقد عبروا قارات ومحيطات لأجل إنقاذ فتية، وكان مهمهم كيفية الحفاظ على أولئك العالقين عقلياً وجسدياً بما يكفي لسحبهم خارج الكهوف. إنهم أشخاص أخرجوا سابقاً موتى من الكهوف، لكنهم حضروا لإنقاذ أحياء.

قصة مؤثرة

وتقول مور إن هذه القصة تلامس قلوبنا لأن كل دقائقها تتناقض تماماً مع الهوس النرجسي والأنانية والجرأة الزائفة التي تبدو سائدة حالياً حول العالم. وكتب أهالي الفتية من أجل طمأننة المدرب إلى أنهم لا يلومونه. ويقول بعضهم إنه دعا الفتية لممارسة رياضة التأمل وهم داخل الكهف. كما حرصت الحكومة التايلاندية على حماية خصوصية الأطفال وذويهم بعيداً عن شاشات التلفزة، لدرجة أن محنتهم ظهرت أكثر عبر الإنترنت، وليس عبر التلفزيون التايلاندي، وحيث لم يكن هناك ما يمكن متابعته سوى مشاهد لسيارات إسعاف، ومروحيات، وبعض اللحظات لوجوه متعبة "لضفادع بشرية" كما يسمون الغواصين.

وتلفت كاتبة المقال إلى مبادرة تايلانديين عاديين نصبوا معدات شواء لإطعام من تجمعوا لإنقاذ الفتية، أو لمتابعة قضيتهم. وكانت وجبات طازجة شهية هي أول ما طالب به الصبية لحظة إنقاذهم.

وتقول مور إن هؤلاء الفتية بحاجة إلى مزيد من الدعم لأن معاناتهم وخوفهم لن يتلاشى سريعاً كما هو خبر خروجهم سالمين من عمق الكهف. لكن ما شهده العالم لم يكن سلوكاً عشوائياً، بل هو نموذج لتعاون دولي ولتنسيق يخلو من الأنانية أو الغرور أو حب الظهور. ما جرى في تايلاند كان صورياً مثلي لسلوك إنساني شجاع لا مثيل له.

هكذا تستعد هلسنكي لقمة "ترامبوتين" التاريخية

فرانس بريس - رويترز : ٢٠١٨/٧/١٥

يختلط عناصر أجهزة الاستخبارات الروسية والأمريكية بنظاراتهم الشمسية مع السياح، في شوارع هلسنكي التي تستضيف قمة تاريخية بين الرئيسين الأمريكي دونالد ترامب، والروسي فلاديمير بوتين، في حين يرفع مناهضون لافتات ضد "ترامبوتين". يقول الفنلنديون: "هناك حدث ما في هلسنكي للمرة الأولى"، معربين عن سرورهم بأن يكون بلدهم، مع سكانه البالغ عددهم ٥,٥ ملايين نسمة، محط أنظار العالم لبضع ساعات، الإثنين المقبل. والقمة التي أعلن عن مكانها، قبل أسبوعين فقط، هي الحدث الأكبر من نوعه في هذه العاصمة، منذ الاجتماع بين بيل كلينتون وبوريس يلتسين عام ١٩٩٤.

واضطرت السلطات التي أخذت على حين غرة إلى بذل جهود إضافية لضمان الأمن والأمن اللوجستية. وأعلنت الحكومة، أمس الجمعة، إعادة فرض الرقابة على حدودها ضمن فضاء شنغن "للسماح بتحديد هوية الأشخاص الذين يشكلون خطراً".

وقال نائب مدير حرس الحدود كيمو ألوما، لـ "فرانس برس" إن الإجراءات تتعلق بـ "إرهابيين وناشطين إذا كانوا يشكلون تهديداً أو لديهم ملفات". وكانت هذه الإجراءات واضحة بالفعل، بعد ظهر الجمعة، في مطار فانتا في هلسنكي، وفقاً لـ "فرانس برس". وتم استدعاء الآلاف من عناصر الشرطة وخفر السواحل وأجهزة الإغاثة من إجازاتهم. وأضاف ألوما متنبهاً "تخيّل أنّ ذلك يحدث في عزّ فصل الصيف".

من جهته، يقول المتحدث باسم شرطة هلسنكي جوها هاكولا، إنّ هذه القمة الثالثة التي يشهدها بين الشرق والغرب خلال ٣٠ عاماً، مؤكداً أنّ يوم الإثنين سيكون "هادئاً وبدون مشاكل".

"بين أفضل مدن العالم"

وفي الجادة الواسعة التي تحمل اسم "مانرهايم تيمنا"، باسم بطل خاض معركتين ضد الجيش الأحمر خلال الحرب العالمية الثانية، ينهمك عناصر الشرطة وعمال النظافة في إغلاق فتحات الصرف الصحي.

وفي جادة "إسبلانيد"، شارع التسوق للسائحين، بدأت عملية وضع الحواجز، بسبب التخطيط لانطلاق تظاهرات، بين السبت والإثنين، من أجل منعها من التوجه إلى القصر الرئاسي الذي يبعد مئات الأمتار.

وقرب القصر الواقع بمواجهة البحر، يقوم رجال بتجديد الواجهات.

بدوره، يقول رئيس بلدية العاصمة اليميني يان فابافوري، رداً على سؤال لـ "فرانس برس"، إنّ "هلسنكي هي المدينة الأكثر أماناً، والأكثر نظافة، والأكثر عملياً والأكثر ملاءمة للعيش في العالم"، قبل أن يستدرك "في كل حال إنها بين الأفضل".

وفي السوق، ينفق بائعو الأسماك واللحوم المدخنة بضاعتهم مع وصول عبارات تقل حشود السياح.

"نتعد أمريكا إلى التجارة مجدداً"

بالنسبة إلى التظاهرات، فقد حان وقت التعبئة. ويأمل منظمو أكبر مسيرة تنطلق، الأحد، مشاركة ١٥ ألف شخص، لكن عدد من أعلنوا عن استعدادهم عبر "فيسبوك"، الجمعة، لا يتجاوز الألفين.

وباستثناء الحفلات الموسيقية ولعبة الهوكي، تُعتبر التجمّعات في فنلندا أمراً نادراً إلى حد ما. وقد حققت "مسيرة المثليين جنسياً" رقماً قياسياً في ٣٠ يونيو/حزيران، مع مائة ألف مشارك.

أما عن مسائل حقوق الإنسان والديمقراطية وحرية التعبير، فضلاً عن اللاجئين، فإنّ جماعة "دعوة هلسنكي" للمنظمات غير الحكومية، والكتاب، ومسؤولين منتخبين، تعتزم "إثارة القضايا التي يهملها الرئيس".

وأشارت نائبة رئيس البرلمان الأوروبي عن "الخضر" هايدي هوتالا، في مؤتمر صحفي، إلى قضايا "تغير المناخ والفقر والنزاعات"، مؤكدة أنّ "هناك حاجة ملحة" لطرحها.

ويقول بيتر فيستركا، أحد مخترعي لعبة الفيديو "أنغري بيردز"، إنّ فنلندا "لا تضع أطفالها في أقفاص"، في إشارة إلى فصل أطفال اللاجئين عن أهلهم، على الحدود بين المكسيك والولايات المتحدة.

حتى شباب حزب "الائتلاف الوطني" (يمين)، سينزلون إلى الشارع يوم القمة. ويتوقعون مشاركة "بين ٢٠ و ٣٠" شخصاً. ويؤكد رئيس الحزب هنريك فورونوس لـ "فرانس برس"، "لدينا رسالتان، واحدة لترامب تقول (لتعد أمريكا إلى التجارة مجدداً) من دون عوائق. ولبوتين نقول (لا للاحتلال العسكري لأوكرانيا)". وسيشارك نحو ألفي صحافي في تغطية أعمال القمة. يُشار إلى أن السلطات قامت بترتيب "ساونا" في المركز الإعلامي.

تاريخ القمة وسبب عقدها

صدرت الاتفاقية الأولى في عام ١٩٧٥ لإنهاء الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وتهدة الأوضاع، وعملت على تنظيم أسس جديدة للأمن والتعاون بين الدول الأوروبية، وجاءت الفكرة لعقدها من أجل إيجاد حلول للمشكلات القائمة بين الغرب والشرق، وتطويق الأزمات، وترسيخ الأمن والاستقرار وتغيير نوع العلاقات الدولية القائمة.

وسعت روسيا منذ فترة طويلة لعقد مثل هذا الاجتماع، الذي تأمل أن يكون بداية لتحسن يسمح بإعادة بناء العلاقات تدريجياً مع واشنطن وتعاون البلدين بشكل عملي في مجالات لهما فيها مصالح مشتركة. وتشكل قمة هلسنكي فرصة ثمينة لإمكانية ذوبان الجليد في العلاقات، لبحث البلدان القويان خفض أسباب التوتر بينهما، تفادياً لأي تطور قد يضر بالأمن والسلام العالميين.

أبرز الملفات المطروحة

ستناقش القمة عدة ملفات التي يأمل الطرفان في التوصل إلى حل عملي لإنهاءها، وسيتمثل الموضوع الأول في توضيح وتحديد مطامح روسيا بالأخص في أوروبا والشرق الأوسط، وسيشكل أهمية بالغة للرئيس الأمريكي ترامب، إذ تعتمد روسيا على مهاجمة الاتحاد الأوروبي نتيجة العقوبات المفروضة عليها، وكذلك في اتهامها بقضية تسميم العميل المزدوج في بريطانيا، وكذلك رغبة الرئيس الروسي بوتين في منع أي توسع مستقبلي لحلف الناتو في أوروبا ومنطقة القوقاز لزعمه بأنه يشكل تهديداً للأمن القومي في موسكو.

ويعتبر الموضوع الثاني هو الأبرز في جدول أعمال القمة، حيث سيناقش الرئيسان الوجود الإيراني في سوريا، إذ تسعى واشنطن لطرد وإجبار الإيرانيين بالخروج من سوريا، للحد من قدرة طهران على دعم حليفها الأساسي ميليشيات حزب الله اللبنانية خاصة بعد عدم قدرتها على الإطاحة بنظام الأسد بالقوة، بينما يسعى بوتين لإبقاء رئيس النظام السوري بشار الأسد في السلطة، ورغبته بمساعدة تركيا ومنحها حقوق مراقبة ورصد داخل الأراضي السورية على طول الحدود.

كما ستخيم على القمة ملفات أخرى عديدة لا تقل أهمية، إذ سيتم بحث شكاوى الغرب من ضم روسيا لشبه جزيرة القرم ودعم موسكو للانفصاليين في أوكرانيا وللأسد، وأيضاً ستناقش الملف النووي الإيراني، والتدخل المزعوم بحقها في السياسة الأمريكية، ومن المتوقع أن تسفر القمة على تمديد للمعاهدة النووية بين واشنطن وموسكو "نيو ستارت" والتي تنتهي في ٢٠٢١ للحد من الأسلحة النووية والهجومية لدى البلدين.

وتخشى عواصم أوروبية أن تشهد قمة ترامب وبوتين اعترافاً من الرئيس الأمريكي بضم روسيا لشبه جزيرة القرم وهو ما سيساعد على رفع العقوبات المفروضة على موسكو، لكن ترامب وقع بياناً للناتو أكد مؤخراً أنه لن يعترف بالوجود "غير الشرعي للروس" في المنطقة.

ولا يتوقع أحد في الجانبين حدوث انفراجة كبيرة في الملفات المطروحة، ولكن موسكو تعتبر القمة اعترافاً أمريكياً بوضع روسيا كقوة عظمى، وتمثل إدراكاً أمريكياً متأخراً بضرورة أخذ المصالح الروسية في الاعتبار.

ومن وجهة نظر الخبراء، فإن بوتين يحتاج إلى رضا الغرب أكثر مما يحتاجه الغرب، وعلى هذا الأساس، ستكون للرئيس الأمريكي اليد العليا، لكن ما يبقى غير محسوم هو ما إذا كان سيسعى للاستفادة من هذه الأفضلية أم لا.

قمة هلسنكي تضع علاقات ترامب بروسيا تحت المجهر

وكالة فرانس برس : ٢٠١٨/٧/١٥

تتوجّ قمة الرئيسين الأمريكي دونالد ترامب والروسي فلاديمير بوتين جهودا بذلها قطب العقارات الأمريكي لاقامة علاقات على اعلى مستوى مع موسكو الا انها تضعه تحت المجهر في ظل اتهام موسكو بالتدخل لصالحه في الانتخابات.

وفي واشنطن يحاول المحققون كشف ما اذا كان لترامب او عائلته او مستشاريه علاقات سرية مع روس خلال حملته الانتخابية التي فاز فيها بالرئاسة في ٢٠١٦.

ووجه المحقق الخاص روبرت مولر، الذي يتولى التحقيق في احتمال حصول تدخل روسي لمصلحة ترامب في الانتخابات التي جرت في ٢٠١٦، الاتهام الى ٣١ شخصا، بينهم ١٢ عميلا روسيا للاستخبارات ووجهت اليهم الاتهامات الجمعة، بقرصنة حواسيب الحزب الديموقراطي.

لكن مولر يريد كشف ما اذا حصل تواصل اوسع مع روس او اشخاص مرتبطين بروسيا قد يرقى الى مصاف المؤامرة لتغيير مسار السباق الرئاسي.

وفي ما يلي النقاط الرئيسية التي يتناولها تحقيق مولر:

رابط اوكرانيا

امضى المدير السابق لحملة ترامب بول مانافورت سنوات بالعمل لصالح الرئيس الاوكراني فيكتور يانوكوفيتش الملياردير المدعوم من موسكو.

كذلك عمل مانافورت لصالح الملياردير ديمتري فيرتاش المقرب من الكرملين وقسطنطين كيليمينيك السياسي في اوكرانيا الذي يعتقد انه مرتبط بالاستخبارات الروسية. وخلال الحملة الرئاسية الأمريكية تواصل مانافورت مع الرجلين.

ويواجه مانافورت مجموعة من التهم الفدرالية.

تواصل في لندن

بدوره تواصل جورج بابادوبولوس، وهو رجل اعمال غير معروف على نطاق واسع عمل مستشارا في حملة ترامب، مع روس في لندن بهدف التحضير لزيارة ترامب الى موسكو او لقائه بوتين.

وابلغ بابادوبولوس الحملة بان موسكو لديها معلومات تضر بالمنافسة الديموقراطية لترامب هيلاري كلينتون. الا ان جهوده التي حظيت بموافقة كبار المسؤولين في الحملة لم تثمر على الاطلاق.

واقر بابادوبولوس بالذنب في تهمة واحدة هي الكذب على مكتب التحقيقات الفدرالي.

الاتصال بجواسيس

وشمل التحقيق مستشارا آخر للسياسة الخارجية هو المصرفي السابق كارتر بايج على خلفية لقاءاته على مدى سنوات ضمنها ٢٠١٦ مع مسؤولين روس وآخرين يعملون في الاستخبارات الروسية او مرتبطين بها.

الاجتماع في برج ترامب

التقى مانافورت ومعه صهر ترامب جاريد كوشنر وابنه دونالد جونيور في نيويورك في ٩ حزيران/يونيو ٢٠١٦ المحامية الروسية ناتاليا فيزيلنيتسكايا التي عرضت تزويد حملة ترامب بمعلومات تملكها الحكومة الروسية من شأنها الحاق الضرر بـكلينتون.

وسهل اللقاء متمول روسي اذربيجاني مقرب من بوتين كان شريكا سابقا لترامب في موسكو. ويبدو ان فيزيلنيتسكايا وصلت الى الاجتماع خالية الوفاض، وارادت بحث قضايا اخرى. وتحوم شكوك حول مدى علم ترامب بالاجتماع والسبب الذي دفع اعضاء في فريق حملته لابقائه سرايا.

تسريب وثائق مقرصنة للحزب الديموقراطي

والجمعة الماضي وجه مولر الى ١٢ عنصرا في الاستخبارات الروسية تهمة قرصنة حواسيب الحزب الديموقراطي خلال حملة الانتخابات الرئاسية، في قرار يشكل مؤشرا واضحا بان المحقق الخاص ينظر في احتمال ان يكون التسريب حصل نتيجة تواطؤ بين فريق حملة ترامب وحلفائه.

وحصل تواصل بين مستشار ترامب روجر ستون وابنه دونالد جونيور وغيرهما وقناتي التسريب "ويكيليكس" و"غوتشيفر ٢,٠" اللتين يقولان القرار الاتهامي ان جواسيس روسا استخدموهما لنشر الوثائق.

التواصل مع كيسلياك

وتواصل السفير الروسي حينها سيرغي كيسلياك قبل الانتخابات وبعدها مع مسؤولين في حملة ترامب واجرى عدة اتصالات بكوشنر ومستشار الامن القومي مايكل فلين. وقبل الحملة، تلقى فلين، ضابط الاستخبارات السابق في البنتاغون، عشرات آلاف الدولارات للمشاركة في مناسبات لشركات روسية، جلس في احداها الى جانب بوتين. وفي كانون الاول/ديسمبر ٢٠١٧، اقر فلين بالكذب على مكتب التحقيقات الفدرالي بشأن تواصله مع مسؤولين روس في فترة انتقال الرئاسة لترامب.

شركة روسية للتلاعب بالانترنت

وجه مولر الاتهام الى ١٣ شخصا لعلاقتهم بشركة روسية للابحاث على الانترنت مسؤولة عن عملية تلاعب بوسائل التواصل الاجتماعي رجحت كفة حملة ترامب. وتوصلت التحقيقات الى حصول تواصل بين افراد في حملة ترامب والمجموعة التي يحتمل انهم لم يدركوا انها روسية.

علاقات عمل

تفيد تقارير بان مولر ينظر في الاعمال التي يجريها ترامب مع روس. وسعى الملياردير الروسي على مدى عقود لدخول قطاع العقارات في موسكو. وفي ٢٠١٣ أجرى حفل انتخاب ملكة جمال الكون في العاصمة الروسية حيث باءت محاولته لقاء بوتين بالفشل.

وتفيد تقارير بان مستشارين لترامب بينهم مايكل كوهين واصلوا خلال الحملة في ٢٠١٦ السعي للتوصل الى صفقة عقارية كبرى في موسكو.

ومنذ مطلع الالفية الثانية اجرت مجموعة ترامب عدة عمليات بيع عقارية لروس ما اثار تساؤلات حول ما اذا كانت تلك الصفقات عبارة عن تبويض اموال.

ومن ضمن تلك الصفقات بيع ترامب عقار "ميزون دو لاميتيه" (بيت الصداقة) في بالم بيتش بولاية فلوريدا للملياردير الروسي ديمتري ريبولوفليف بمبلغ قياسي بلغ ٩٥ مليون دولار عام ٢٠٠٨ بعد ان كان الملياردير الأمريكي اشتراه قبل اربع سنوات لقاء ٤١ مليون دولار.

نقاط الخلاف التي ستطرح في قمة ترامب وبوتين

وفي ما يأتي موجز للنقاط العالقة بين الزعيمين:
"تدخل" روسيا

منذ بداية ولاية ترامب طغت على العلاقات بين البلدين مزاعم التدخل الروسي في الانتخابات الأمريكية في ٢٠١٦، وشكوك بحلول توافق بين حملة الملياردير الأمريكي والكرملين. ونفت روسيا أي تدخل في الانتخابات. وشدد وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو على أن ترامب سيؤكد للرئيس الروسي في القمة بكل وضوح "أن التدخل في انتخاباتنا غير مقبول على الإطلاق".

الحرب في أوكرانيا

تتهم واشنطن مع حلفائها الغربيين موسكو بتقديم دعم عسكري للانفصاليين المواليين لروسيا الذين يقاتلون القوات الحكومية في شرق أوكرانيا، وهو ما تنفيه روسيا. وامتنعت الولايات المتحدة طويلا عن امداد اوكرانيا بأسلحة فتاكة خوفا من أن يؤدي ذلك إلى تفاقم النزاع، إلا أنها وافقت في آذار/مارس الماضي على صفقة بيع صواريخ مضادة للدروع، ما أثار غضب روسيا. وأدى ترامب بتصريحات ملتبسة حول إمكانية اعتراف واشنطن بضم روسيا شبه جزيرة القرم الأوكرانية.

المستنقع السوري

شنت الولايات المتحدة وحلفاؤها في نيسان/أبريل من العام ٢٠١٧ و٢٠١٨ غارات على سوريا ردا على هجمات كيميائية مفترضة اتهمت قوات الرئيس السوري بشار الأسد بتنفيذها، ما أثار غضب موسكو. وفي شباط/فبراير الماضي أعلنت موسكو مقتل عدد من المدنيين الروس في قصف للتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة أفادت تقارير بأنهم مرتزقة يقاتلون إلى جانب القوات الموالية للنظام السوري.

خلافات حول نزع السلاح النووي

تتبادل الولايات المتحدة وروسيا الاتهامات بخرق الاتفاقات الدولية حول نزع السلاح النووي. وفي آذار/مارس تباهى بوتين بتطوير بلاده أسلحة "لا تقهر" تتضمن صواريخ أسرع من الصوت وغواصات آلية تعمل من دون طاقم. وفي شباط/فبراير، دعا البنتاغون إلى تحديث الترسانة النووية الأمريكية وإلى تطوير أسلحة ذرية حديثة أقل قوة. ونددت موسكو بـ"الطابع الحربي" و"المناهض لروسيا" للسياسة النووية الأمريكية الجديدة.

توتر حول الحلف الأطلسي

تعتبر موسكو سعي حلف شمال الأطلسي إلى تعزيز دفاعاته الشرقية خطوة عدوانية تهدف إلى محاصرة روسيا. كذلك تبدي روسيا قلقها إزاء المخططات التي أطلقها الحلف في ٢٠١٠ لبناء درع صاروخية أوروبية يتوقع أن تنجز في ٢٠٢٠ وأن تنتشر في رومانيا وبولندا. من جهته هاجم ترامب الدول الأعضاء في الحلف مطالباً إياهم بزيادة الإنفاق على الدفاع.

الاتفاق النووي الإيراني

قرر ترامب أحاديا الانسحاب من الاتفاق النووي الموقع مع إيران الذي تم التوصل إليه بعد مفاوضات مطولة في ٢٠١٥، وقرر إعادة فرض عقوبات على طهران ما أثار صدمة روسيا والغرب. ودعت روسيا، التي تقيم علاقات وثيقة مع كل من سوريا وإيران، الدول الأوروبية إلى "دفاع مشترك عن مصالحها" في الاتفاق.

كوريا الشمالية

رحبت روسيا بالقمة التي عقدت بين ترامب والزعيم الكوري الشمالي كيم جونج أون في ١٢ حزيران/يونيو في سنغافورة حيث وقعا اعلانا مشتركا من دون تحقيق أي اختراق ملموس حول الأنشطة النووية لبينغ يانغ. وبعد القمة أعلن وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف لوكالة ريا نوفوستي "نأمل أن يبدأ (ترامب) عملية خفض التوتر".

تسميم العميل

انضمت الولايات المتحدة هذا العام إلى موجة طرد دبلوماسيين من روسيا شملت دولا عدة على خلفية تسميم العميل الروسي السابق سيرغي سكريبال في بريطانيا.

نزاع تجارية

رفعت روسيا مطلع تموز/يوليو الجاري الرسوم الجمركية على السلع الأمريكية المستوردة ردا على زيادة الولايات المتحدة رسومها على استيراد الصلب واللمنيوم من روسيا وغيرها، في إطار نزاع تجاري عالمي.

قمة هلسنكي: أيهما سيأتي ويعود أقوى... ترمب أم بوتين؟

العالم بانتظار لقاء تاريخي بين الرئيسين الأمريكي والروسي

مجلة (المجلة) اللندنية - ملف الغلاف - ٢٠١٨/٧/١٥

لندن: أمير طاهري: بعد عدة أشهر من التكهّنات والتساؤلات، تقرر انعقاد أول لقاء «قمة» بين الرئيسين الأمريكي والروسي دونالد ترمب وفلاديمير بوتين في هلسنكي، عاصمة فنلندا، يوم ١٦ يوليو (تموز) الحالي. ويأتي هذا اللقاء في حقبة تعد من أسوأ الحقب للعلاقات بين واشنطن وموسكو منذ أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢. كانت فكرة عقد لقاء قمة بين القائدين الأمريكي والروسي (زعيم الاتحاد السوفياتي في حينه) قد ولدت في الأصل عام ١٩٥٤، وذلك بعد حسم صراع الزعامة السوفياتية في موسكو بإزاحة جورجي مالينكوف، وخروج كل من نيكيتا خروتشوف ونيكولاي بولغانين منتصرين. ذلك أنه مع نجاح الاتحاد السوفياتي في أن يغدو قوة نووية، قبل بضع سنوات، اقتنعت إدارة الرئيس الأمريكي (يومذاك) دوايت أيزنهاور بأن «القمة الثلاثية» القديمة، التي كانت انطلقت إبان الحرب العالمية الثانية بمشاركة بريطانيا، ما عادت تعبر عن واقع ميزان القوى العالمي. إذ بات في العالم قطبان لا ثالث لهما، وصار بمقدور الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي فرض جدول أعمال كثير من القضايا الدولية.

القمة الأولى عقدت بين الرئيس أيزنهاور والثنائي خروتشوف وبولغانين في مدينة جنيف السويسرية في يوليو ١٩٥٥. إلا أنه سرعان ما سقط بولغانين في جولة جديدة من صراع السلطة في موسكو، خرج خروتشوف «زعيماً» أوحده للاتحاد السوفياتي. ومن ثم، بعد عهد الرئيس الأمريكي جون كيندي، تحولت القمة الأمريكية - السوفياتية إلى لقاءات دبلوماسية روتينية الغاية منها إدارة الأزمات إبان حقبة «الحرب الباردة».

٢٢ قمة

هذا «التقليد» اشتمل على ٢٢ قمة، انعقد ما يقرب من نصفها خلال فترة قيادة ميخائيل غورباتشوف المهزوزة «سفينة» الاتحاد السوفياتي وسط أمواج عاتية. ولكن، حتى بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، حافظت الإدارات الأمريكية المتعاقبة على هذا التقليد... ولو كتذكّار من الماضي، وطريقة لبقة لبسمة معنويات روسيا الجريحة، من دون إعطائها أهمية لا تستحقها.

ثم، مع طي صفحة رئاسة بوريس يلتسين لروسيا عندما بدت خلالها موسكو كأنها تبحث عن مكان لها بين «الكبار»، رأى فلاديمير بوتين في تقليد لقاءات القمة عنصراً مهماً في استراتيجيته الكبرى الهادفة لاستعادة روسيا مكانتها «قوة عظمى» تستحق أن يكون لها صوت مسموع ومقرّر في كل القضايا الدولية من دون استثناء.

كان هذا الطموح متعذراً في عهدي جورج بوش الابن وباراك أوباما. ذلك أن بوش تعامل مع روسيا بفتور يداني قلة الاكتراث. ومع أنه استضاف بوتين وأكرم وفادته فإنه لم يعطه شيئاً. أما أوباما، الذي عمل حتى على تقزيم دور أمريكا كقوة عالمية نافذة، فما كان منتظراً منه أن يعامل روسيا أفضل مما تعامل مع بلده!

مكمن الأهمية

بالمناسبة، قمة هلسنكي المرتقبة لن تكون اللقاء المباشر الأول بين ترمب وبوتين، اللذين سبق لهما أن اجتمعا وجهاً لوجه لفترات قصيرة على هوامش «قمة الدول العشرين» (G 20) ومؤتمرات «دول آسيا وحوض المحيط الهادي»، وخرجا منها بمجاملات متبادلة. غير أن قمة هلسنكي تستحق اهتماماً كبيراً وخصوصاً لجملة من الأسباب، على رأسها أنها أول «قمة كاملة» حقيقية بينهما.

في هلسنكي قد تكون الأمور مختلفة بين زعيم يعتبر نفسه قائد «مسيرة استعادة أمريكا عظمتها» وزعيم عصبية «روسيا... أولاً!» ثم إن اختيار هلسنكي، في حد ذاته، لا يخلو من دلالات... إذ إنه يعود بالذاكرة إلى أيام «الحرب الباردة» عندما كانت واشنطن وموسكو يضبطان إيقاع العالم. ولكن، في المقابل، فإن العاصمة الفنلندية هي أيضاً المكان الذي صدرت فيه «اتفاقية هلسنكي» عام ١٩٧٥، وبموجبها وافق قادة ٣٥ دولة بينها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، على إنهاء عملي لـ«الحرب الباردة» بتهدئة الأوضاع في أوروبا عبر اتفاقية أمن وتعاون بين دول القارة.

خلال القمة المقبلة، قد نشهد الفصل الأخير من «اتفاقية هلسنكي» للأمن والتعاون في أوروبا مع إقرار الجانبين الأمريكي والروسي بوجود حقائق جديدة على الأرض منذ ١٩٧٥. إذ انهار الاتحاد السوفياتي وتقسّم، وصار «حلف وارسو» نسياً منسياً مقابل تمدد حلف شمال الأطلسي «ناتو» بعمق أوروبا، وأجبرت روسيا تحت قيادة بوتين، على الاكتفاء بعرض عضلاتها في جورجيا وأوكرانيا، وبطرق أخرى، في القوقاز وآسيا الوسطى. ولكن، قد يطمح بوتين اليوم في العودة إلى ما قبل «هلسنكي ١٩٧٥»، وإذا نجح في ذلك قد نشهد حقبة «حرب فاترة» لا «باردة» هذه المرة. وهذا إذا تحقق سيكون «سيناريو» مقلقاً لكثرة من الأوروبيين الذين يشكون في وجود علاقة ودية بعض الشيء بين ترمب وبوتين، وهما زعيمان تطغى على تصرفاتهما وممارساتهما السياسية النوازع الشخصية.

وبصرف النظر عما إذا كانت هناك علاقات ود وإعجاب تربط الرجلين أم لا، فمجرد اجتماعها يمكن أن يبرّد أجواء التوتر الدولي، ولا سيما، في منطقة الشرق الأوسط المأزومة. بل، قد يؤشر إلى بداية مسيرة جديدة نحو تسوية بعض الأزمات عبر ترويج التفاهم حيث أمكن.

والواقع، أنه رغم أزمات الولايات المتحدة الداخلية، فإنها تظل لاعباً يستحيل الاستغناء عنه في معظم مناطق الصراع السياسي، في حين تسعى روسيا لإعادة فرض نفسها لاعباً مناكفاً حيث تستطيع. وما يستحق الإشارة، أن آخر قمة أمريكية - روسية عقدت في سبتمبر (أيلول) ٢٠١٦ في أواخر فترة رئاسة باراك أوباما، فضّل بوتين انتظار نتيجة انتخابات الرئاسة الأمريكية. وبالتالي، لم تكن تلك القمة التي استضافتها مدينة هانغتشاو الصينية عملياً أكثر من عرض عضلات متبادل. ذلك أن أوباما حاول في الأيام الأخيرة من حكمه الظهور بمظهر القوي، وسعى بوتين في المقابل جهداً للتقليل من شأنه. وهكذا، بدلاً من أن ينتهي اللقاء بخفض التوتر، شهدت الأجواء تفاقمًا وتصعيداً، لا سيما، مع اتهام أوباما للرئيس الروسي بمحاولة التأثير في انتخابات الرئاسة الأمريكية لمصلحة دونالد ترمب.

اليوم، ومع أن ترمب يدرك أنه مهدّد بما يمكن أن ينتهي إليه «تحقيق مولر» في تهم التلاعب الروسي المزعم بالانتخابات الأمريكية، فإن الرئيس الأمريكي يتوجه إلى هلسنكي بنية البحث عن «صفقات كبرى».

وفي المقابل، لا يسعى بوتين للمساومة على «صفقات»... لأن هذا ليس من طبعه ولا أسلوبه. إنه يأمل أن يحقق تقدماً ملموساً وحقيقياً على صعيد عودة روسيا «لاعباً أساسياً» في الحلبة العالمية. وفي هذه السبيل يريد إقناع ترمب، وعبر ترمب، إجبار الدول الأوروبية لتقبل ضم روسيا لشبه جزيرة القرم كأمر واقع لا يستدعي مواجهة مع موسكو من أجله.

واشنطن وموسكو... وأوروبا

بعض المصادر تتحدث عن إمكانية لجوء واشنطن إلى صيغة دبلوماسية تنقذ ماء وجه الأوروبيين المتنازلين، شبيهة بتلك التي سمحت للغرب بالتبسم مع تجرّعه مرارة ضم روسيا دول حوض البلطيق بعد الحرب العالمية الثانية، وفرضها حياد فنلندا. إذ بين عام ١٩٤٥ وانهيار الاتحاد السوفياتي، دأبت القوى الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة على رفض الاعتراف بجمهوريات البلطيق الثلاث (ليتوانيا ولاتفيا وإستونيا) كجزء من الاتحاد السوفياتي لكنها لم تفعل شيئاً لتحريرها. كذلك، أجمعت عن اجتذاب فنلندا المؤيدة للغرب للدخول في التحالف مع الديمقراطيات الغربية.

وبناءً عليه، إذا كان تمرير هذه الصيغة أولوية عند بوتين، فإن بين أولويات ترمب - كما عبر عنها وزير خارجيته مايك بومبيو ومستشاره لشؤون الأمن القومي جون بولتون - توضيح وتحديد مطامح روسيا، وبالأخص، في أوروبا والشرق الأوسط. والحال، أن سياسة موسكو الراهنة تبدو كأنها تهدف إلى دق إسفين بين الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية، وفعل كل ما بوسعها لخلخلة حلف شمال الأطلسي (ناتو) والاتحاد الأوروبي. وما عاد سراّ الدعم المالي والإعلامي الذي يقدمه الكرملين للأحزاب الشعبوية المتطرفة يساراً ويميناً في أوروبا، المعادي منها لواشنطن، والمعادي للاتحاد الأوروبي.

أولاً، قد يزعم بوتين أنه إنما يواجه الاتحاد الأوروبي من قبيل الدفاع عن النفس، وكرد فعل مشروع ضد العقوبات الأوروبية المفروضة على روسيا بسبب أوكرانيا. غير أن الأوروبيين، طالما أكدوا أن العقوبات فرضت على روسيا رداً على عدوانيتها المتمثلة في ضمها القرم، وتهديدها الضمني بالتدخل العسكري في شرق أوكرانيا، ثم في الفترة الأخيرة، الاعتداء بالغاز السام على عميل مزدوج سابق وابنته في مدينة سولزبري بجنوب بريطانيا. والأمر الآخر الذي يسعى إليه بوتين هو منع أي توسع مستقبلي لـ«الناتو»، ولا سيما في أوروبا ومنطقة القوقاز. وهنا، قد لا يجد ترمب صعوبة كبرى في تقديم تنازلات، وذلك في ظل تراجع حماسة البنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية) للخطوة بعكس ما كانت عليه الحال إبان رئاسة جورج بوش الابن. ومهما يكن من أمر، كان موقف ترمب متذبذباً - في الأصل - إزاء «الناتو»، ولا سيما، لجهة إصراره على أن حلفاء واشنطن عليهم زيادة مساهماتهم الدفاعية إلى ما لا يقل عن ٢ في المائة من الناتج القومي لكل منهم، كما اتفق عليه عام ٢٠٠٧.

الرئيس الروسي، في هذه الأثناء، قلق من احتمال جر روسيا إلى سباق تسلّح جديد على غرار الذي شل الاقتصاد السوفيياتي... وسرّع بالنتيجة في إسقاط الاتحاد السوفيياتي. الواقع أن بوتين يحسب منذ الآن حساب مشروع التسلّح الجبار الذي باشرته الصين، بما فيه سلاح بحري ضخّم ومتطور تعجز روسيا عن بناء مثيل له ونشره في بحار العالم ومحيطاته. ثم إن إمكانية إقدام اليابان، وربما ألمانيا أيضاً، على استئناف التسلّح مسألة إضافية تثير قلقاً شديداً عند الكرملين. وقد يكون وراء قول المستشار الألمانية أنجيلا ميركل إنه «ما عاد بوسع الأوروبيين الاعتماد إلا على أنفسهم» تخوفها من صفقة ما يعقدها ترمب مع بوتين تأتي على حساب الاتحاد الأوروبي.

أزمة سوريا

الموضوع الثاني المهم على جدول أعمال القمة يرجح أن يكون الوضع في سوريا، وذلك في سياق تنامي طموحات موسكو في الشرق الأوسط. والبديهي أن بوتين مهتم جداً بأن يعترف ترمب لروسيا بأنها اللاعب الأقوى في سوريا، بالتوازي مع الموافقة على «مناطق نفوذ» تجسدها ما سمتها موسكو «مناطق خفض التصعيد»، ومقابل ذلك، فإنه يسعى عملياً لإجبار الإيرانيين على الخروج من سوريا برفضهم تأمين الغطاء الجوي لهم في وجه غارات سلاح الجو الإسرائيلي. وهكذا، عبر إبعاد إيران ومرتزقتها من المناطق المأهولة في سوريا، فإن بوتين يؤدي المهمة التي يريدها الأمريكيون وحلفاؤهم منه، والتي كانت تتطلب تدخلهم العسكري المباشر لتحقيقها. ولقاء هذه «الخدمة»، يأمل الرئيس الروسي في إقناع نظيره الأمريكي، وعبره إقناع الدول الغربية عموماً، بتقاسم أعباء «استقرار» سوريا، ولاحقاً، إعادة إعمارها.

بوتين يرغب، كما هو واضح، في إبقاء رئيس النظام السوري بشار الأسد في السلطة لفترة قصيرة، ولكنها كافية لتجدر حضور روسيا ونفوذها إلى درجة يتعدّر معها على أي نظام سوري مستقبلي تجاهلها. ولـ«بيع» هذه الصفقة للغرب، سيعرض بوتين أمامه إغراءي إبعاد الملالي الإيرانيين من سوريا، ومساعدة تركيا - الدولة العضو في «الناو» - في التمتع بـ«حقوق مراقبة ورصد» داخل الأراضي السورية على طول الحدود التركية - السورية. وهنا أيضاً، يهتم الرئيس الروسي الحصول على نتائج سريعة بينما تعطيها القوى الغربية والإقليمية النفوذ الذي يشتهيها في سوريا.

الحرب > السايبرية <

ونصل إلى الموضوع الثالث على جدول الأعمال، الذي لا بد من ضمه إلى الأسلحة البرية والبحرية والجوية كسلاح حربي فتاك آخر، هو الحرب «السايبيرية» أو الإلكترونية.

حتى الآن، كان لروسيا قصب السبق وزمام المبادرة في هذه «الحرب» بفضل توقعها للمجازفة، مستفيدة من إحجام الديمقراطيات الغربية عن ذلك خوفاً من المعارضة الداخلية. ولكن في المديين المتوسط والبعيد، لن يكون بمقدور الروس منافسة القوى الغربية التي تتفوق عليها بمراحل على صعيد الموارد العلمية والتكنولوجية. وكما كان الوضع مع التسابق على غزو الفضاء خلال عقدي الخمسينات والستينات من القرن الماضي، عندما حقق السوفييات تقدماً مبكراً على الغرب لبعض الوقت، غير أنهم في نهاية المطاف تخلفوا وسقطوا في السباق قبل خط النهاية.

قد يحاول بوتين كسب بعض النقاط الإعلامية باقتراحه آليات جديدة لرصد وتدمير ترسانات الأسلحة الكيماوية، مصحوبة بصيغة معدلة لـ«خطة تحقق» تقترحها بريطانيا. ومن ثم، فإن إعادة إطلاق مباحثات الحد من التسليح، وبالأخص ما يتعلق بالجيل الجديد من الرؤوس النووية الصغيرة، قد تجد طريقها إلى جدول أعمال القمة، بما أن الجانبين سيسعيان للدعاء أن أموراً أخرى جدية مطروحة على بساط البحث. وتالياً، من أجل إعطاء القمة فرصة للنجاح، فإن بوتين قدّم بالفعل بعض المغريات لترمب. وبجانب ما يبدو من «تخفيف» تأييده لبشار الأسد، وبدئه سحب القوات الروسية، وافق الرئيس الروسي على زيادة إنتاج النفط تمشياً مع رغبة ترمب المعلنة. إلا أن العنصر الأهم، ربما، هو رفض الكرملين الرمي بثقله خلف إيران لتحدي موقف الرئيس الأمريكي الراض لـ«الصفقة النووية» التي ابتدعها سلفه أوباما.

من جهة ثانية، أمام خلفية المنجزات اللافتة غير المتوقعة لمنتخب روسيا لكرة القدم في مونديال ٢٠١٨، يتوجه بوتين إلى العاصمة الفنلندية تحت هالة المنتصر. وحقاً، فإن أجهزة الإعلام التي يسيطر عليها تصوره على أنه «رجل الانتصارات»، زاعمة أنه سيقابل نظيره الأمريكي من موقع قوة، بذريعة أن الولايات المتحدة - إن لم يكن الغرب ككل - باتت أكثر حاجة إلى روسيا من حاجة روسيا إليها وإلى الغرب!

ولكن، بغض النظر عن المبالغة في إظهار العزة القومية التي تداني الغطرسة الفاقعة، فحقيقة الأمر أن الاقتصاد الروسي مريض والتوتر الاجتماعي في تصاعد. ومن ثم، فإن وضع بوتين ليس جيداً. ومع أن لا أحد في روسيا يستطيع اليوم تحديه، فربما كان قد بدأ يفقد قدرته على تطوير أفكار ومبادرات وخطط جديدة. وهذا، تماماً على النقيض من ترمب، الذي وإن بدا محاصراً أو مُربكاً، فإن الولايات المتحدة في وضعية اقتصادية جديدة، وتعيد إطلاق خطة التحديث العسكري التي سبق لأوباما إيقافها.

وهكذا، وكيفما نظرنا إلى ما سيحصل في هلسنكي، فإن «قيصر» الكرملين يحتاج إلى رضا الغرب أكثر مما يحتاجه الغرب. وعلى هذا الأساس، خلال القمة المرتقبة، ستكون للرئيس الأمريكي اليد العليا، لكن ما يبقى غير محسوم هو ما إذا كان سيسعى للاستفادة من هذه الأفضلية أم لا.

نقاط ضرورية في بيان قمة ترامب - بوتين

مؤسسة "كيسنجر أسوشيتس" : ٢٠١٨/٧/١٥

ذكر توماس غراهام، عضو منتدب لدى مؤسسة "كيسنجر أسوشيتس"، وخبير سابق حول روسيا في مجلس الأمن القومي الأمريكي، بأنه منذ نهاية الحرب الباردة، عبرت بيانات صادرة عن مؤتمرات قمة ثنائية عن آمال بإقامة شراكة، مع التزام من كلا الجانبين بتعاون في عدد من القضايا المهمة من أجل خدمة مصالح متبادلة. ورغم عدم تحقيق عدد من الأهداف، كانت تلك البيانات، لحظة إصدارها، بمثابة انعكاسات صادقة لنوايا الجانبين.

يفترض أن يوضح البيان أسس الخلافات حول قضايا حيوية، مثل أوكرانيا وسوريا وإيران ولكن، حسب ما يرى كاتب المقال، إذا كان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب والروسي فلاديمير بوتين سيصدران بياناً مشتركاً، فقد يستقبل بنوع من السخرية نظراً إلى التوتر في العلاقات بين البلدين. ولذا يمكن أن يصدر بيان مشترك يعبر عن جوهر الحقيقة، مع توفير بعض الأمل بإقامة علاقة أقل خطورة بينهما.

ويلفت الكاتب لاحتمال الاستفادة من نموذج، ليس مأخوذاً من العلاقات بين أمريكا - وروسيا، بل يستدل عليه من تاريخ العلاقات الأمريكية - الصينية. ويعود ذلك النموذج لبيان شنغهاي لعام ١٩٧٢ الذي وضع الصين وأمريكا على مسار التطبيع، بعد سنوات من الجفاء، بسبب إصرار الزعيم الصيني ماو تسي تونغ على التخلي عن تفاهات، والتركيز على قضايا التعاون والتركيز على الخلافات بين البلدين. وعبر اتباع ذلك النهج، أعطى البيان شكلاً من المصادقية، وثقلاً أكبر لبعض القضايا الحساسة التي اتفق الجانبان على التعاون بشأنها. وكان ذلك البيان بمثابة تحفة دبلوماسية صيغت حولها العلاقات الأمريكية - الصينية منذ حينه.

وبرأي كاتب المقال، يجب أن يركز البيان المشترك الذي سوف يصدر عن قمة هلسنكي على أن البلدين قوتان كبيرتان تنويان العمل على لعب أدوار بارزة في الشؤون الدولية، لسنوات طويلة مقبلة. كما يفترض الإشارة إلى أن البلدين منتنافسان يختلفان حول أسس النظام الدولي، وبشأن تسوية صراعات إقليمية، وقيم تتعلق بأنظمة سياسية محلية.

ولكن، لا بد أن تدرك كل من أمريكا وروسيا مخاطر تحول علاقة تنافسية إلى مواجهة دائمة، قد تصل إلى صراع عسكري بتبعات كارثية، نظراً إلى امتلاك كل طرف ترسانة نووية هائلة.

وتبعاً لما سبق ذكره، يفترض أن يوضح البيان أسس الخلافات حول قضايا حيوية، مثل أوكرانيا وسوريا وإيران. كما يتوقع أن يصدر الروس على تضمين البيان قضية توسيع معاهدة حلف شمال الأطلسي (الناتو) والعقوبات الأمريكية. ولا يفترض تجاهل أية قضية كأن تشير الولايات المتحدة إلى رفضها ضم روسيا غير المشروع لإقليم القرم، ومعارضتها التدخل الروسي في شرق أوكرانيا. وفي المقابل، سوف تكرر روسيا موقفها غير القابل للتفاوض بأن القرم ضمت إلى روسيا وفق قرار مشروع، فضلاً عن تكرار نفيها أن قواتها دخلت شرق أوكرانيا. وقد تبدي روسيا معارضتها لتوسع الناتو، وتبدي الولايات المتحدة وجهة نظرها بأنه من حق كل بلد اختيار حلفائه بحرية.

وبرأي كاتب المقال، يمكن التركيز في القسم الثاني من البيان، على المجالات الممكنة للتعاون. ويجب أن يأتي على رأس القائمة التعاون الاستراتيجي الذي تتحمل كل من الولايات المتحدة وروسيا مسؤولية فريدة فيه. إلى ذلك، لا بد من الإشارة لأهمية التعاون بين البلدين حول قضايا محاربة الإرهاب وحظر انتشار أسلحة الدمار الشامل، وعلاقة كل بلد في ما يتعلق بعلاقاتهما مع إيران وكوريا الشمالية.

ورأي الكاتب أيضاً وجوب تضمين البيان الختامي إشارة إلى التزام الجانبين بتطبيع العلاقات، بما فيها افتتاح عدد من قنوات التواصل الرسمية، واللقاءات المنتظمة بين كبار مسؤولي البلدين، معتبراً أن اللقاءات الدورية بين مسؤولين أمريكيين كبار ونظرائهم الروس لها أهميتها في تجنب حدوث سوء فهم قد يقود إلى صراع مكروه.

قلق من "صفقة حمقاء" بين ترامب وبوتين

صحيفة (واشنطن بوست) : ٢٠١٨/٧/١٥

أبدت صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية في افتتاحيتها عن القلق الذي يشعر به الكثيرون إزاء احتمالية تقديم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب تنازلات لا مبرر لها لنظيره الروسي فلاديمير بوتين في القمة المرتقبة التي ستنعقد يوم الاثنين في هلسنكي.

وأشارت الافتتاحية إلى تلميحات ترامب بأنه قد يعترف بضم روسيا لشبه جزيرة القرم أو خفض عمليات حلف الناتو في دول البلطيق، ولكن على الأرجح، بحسب ستكون سوريا هي الصفقة المحتملة لاسترضاء روسيا، إذ تطمح الأخيرة للهيمنة على سوريا، وذلك على حساب المصالح الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط، وفي الوقت نفسه يبدو أن ترامب يميل إلى التخلي عنها.

انهيار وقف إطلاق النار

وترى الصحيفة الأمريكية أنه كان الأحرى بترامب أن يكون غاضباً من بوتين بعد انهيار اتفاق وقف إطلاق النار في جنوب سوريا الذي أبرمه الرجلان عندما التقيا من قبل عام. وكان بوتين قد تعهد احترام وقف إطلاق النار في الركن الجنوبي الغربي من سوريا بالقرب من إسرائيل حيث تتمركز المعارضة المدعومة أمريكياً، وكرّر وعده بعدم انتهاك الاتفاق في اجتماعه الأخير مع ترامب في نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي.

ولكن خلال الشهر الماضي، دعمت روسيا هجوماً من قبل نظام الرئيس السوري بشار الأسد في المنطقة، وتجاهلت تحذيرات وزارة الخارجية الأمريكية من "تداعيات خطيرة"، وكانت النتيجة أنه تم إجبار قوات المعارضة على الاستسلام لقوات الأسد باستخدام التكتيكات الوحشية المعتادة لنظام الأسد مثل قصف المستشفيات.

وتقول الصحيفة: "على الرغم من ذلك، أصر ترامب على المضي قدماً في عقد القمة مع بوتين، وطلب وقتاً منفرداً معه، والأدهى أنه تكهن في مؤتمر صحفي يوم الخميس الماضي بأن بوتين قد يصبح من أصدقائه المقربين. وعلى عكس قادة الدول الحليفة للولايات المتحدة، من الواضح أن بوتين ليس قلقاً من أن الرئيس الأمريكي قد ينقلب ضده لتجاهله الوفاء بالالتزامات المتفق عليها".

وتحذر الصحيفة الأمريكية في افتتاحيتها من خطورة قبول ترامب بالمزيد من الوعود الفارغة لبوتين في مقابل التخلي عن المواقع الأمريكية المتبقية في سوريا، بما في ذلك السيطرة على التحالف الكردي العربي في تلك المنطقة الغنية بالنفط الواقعة إلى الشرق من نهر الفرات. وقد سيطرت الولايات المتحدة على تلك المنطقة من خلال استعادتها من داعش وطرد قواته منها، ويوفر ذلك للولايات المتحدة نفوذاً مهماً في تحديد النتيجة النهائية للحرب الأهلية السورية، لا سيما أنه على الرغم من سلسلة الانتصارات التي حققها الأسد (بدعم روسيا وإيران)، فإن الصراع لا يزال بعيد كل البعد عن الحل وبخاصة لأن استمرار الأسد في السلطة لن يسفر إلا عن مزيد من المقاومة، بما في ذلك من القاعدة وغيرها من التنظيمات الإرهابية.

وتلقت "واشنطن بوست" إلى أن ترامب يميل إلى انسحاب القوات العسكرية الأمريكية من شرق سوريا، وذلك على عكس نصيحة فريقه للأمن القومي. وفي الوقت نفسه، يحض رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو الرئيس ترامب على دعم الجهود الإسرائيلية في حشد مساعدة بوتين في إخراج القوات المدعومة إيرانياً من سوريا، أو على الأقل إبعادها عن المناطق القريبة من الحدود الإسرائيلية.

وتشير الصحيفة إلى ما ذكره مؤخراً الصحافي ديفيد اغناثيوس بشأن الصفقة المحتملة التي بموجبها يتخلى ترامب عن المطالبات الأمريكية الطويلة الأمد بإجراء انتقال سياسي في سوريا وتسهيل تسليم المناطق الشرقية إلى حكومة الأسد في مقابل وعد روسيا بكبح جماح إيران.

وتعتبر الصحيفة أن تلك الصفقة ستكون "حمقاء"، وعلى الرغم من أن بوتين قد يقدم مثل هذا الوعد (كما فعل قبل عام)، فإن الفرص تبدو ضئيلة للوفاء به، حيث لو أرادت روسيا القيام بذلك، فإنها تفتقر إلى القدرة اللازمة لطرد إيران من سوريا.

وتخلص الصحيفة الأمريكية إلى أن موافقة ترامب على التخلي عن الموقف الأمريكي في سوريا وقبول بقاء نظام الأسد يعني ضمان أن سوريا ستظل أرضاً خصبة للإرهاب، وبدلاً من السعي إلى صداقة بوتين، ينبغي على ترامب تجنب الوقوع في مكائده.

جيمس جيفري، باربارا أ. ليف، ودينيس روس:

قمة ترامب- بوتين: فرصة لتصويب الوضع في سوريا

معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى: ٢٠١٨/٢/١٥

سيواجه الرئيس الأمريكي ترامب أجندة حافلة في القمة التي يعقدها مع فلاديمير بوتين يوم الاثنين. فكوريا الشمالية وإيران وأوكرانيا/جزيرة القرم، ومجموعة من القضايا الثنائية الشائكة لا توفر سوى القليل من الأرضية الواضحة لتوصل واشنطن وموسكو إلى مقاربة مشتركة.

وتستمر التكهّنات حول احتمال توقيع اتفاق مع روسيا بشأن سوريا. ومع ذلك، فمن الضروري توخي الحذر لأنه من غير المرجح أن يؤثر أي قرار على مسار الأحداث في الشرق الأوسط خلال السنوات القادمة أكثر من مسألة فترة بقاء القوات الأمريكية في سوريا. ومن شبه المؤكد أن يتوقف أي اتفاق يعرضه بوتين على انسحاب القوات الأمريكية - التي كانت ضرورية لتدمير مقر الجهاديين العنيفيين في سوريا. وبعد استمرار الحرب الأهلية الرهيبة في سوريا لسبع سنوات، يبدو أنها تتجه إلى نهايتها لا محالة، إلى جانب الحملة الأمريكية لدحر تنظيم «الدولة الإسلامية»، أو على الأقل لطي هذه المرحلة منها.

على الولايات المتحدة ألا تُخطئ، بأن القوات الأمريكية الصغيرة الحجم تُعتبر مهمة للغاية بالنسبة لأصدقاء واشنطن وأعدائها على حد سواء. فبتكلفة متواضعة ومخاطر معتدلة، تعود هذه القوات بفائدة كبيرة على الأمن القومي للولايات المتحدة. وإذ إنها مدمجة بحذر في استراتيجية أكبر، يشكل وجود قوات أمريكية محدودة العدد ولكن فعالة عقبة كبيرة أمام تهديدين - نهوض مجدد لتنظيم «الدولة الإسلامية»، وجهود إيران لاستخدام سوريا كمنصة لعرض نفوذها في صميم الشرق الأوسط العربي وضد إسرائيل.

لقد خسر أقرب حلفاء أمريكا في المنطقة ثقتهم بإدارة أوباما بسبب عدم انخراطها الواضح في الشرق الأوسط. ومع ذلك، فمرة أخرى، وربما بشكل أعمق، تبرز شكوك واسعة حول مدى التزام الولايات المتحدة تجاه حلفائها - ونحو الاستقرار والأمن على نطاق أوسع. السبب؟ تردد إدارة ترامب في سوريا والفجوة المتسعة بين خطابها وواقع سياستها تجاه إيران. فإعادة فرض عقوبات على طهران أمر سهل، لكنه لن يكون كافياً لقلب المكاسب التي حققتها إيران في المعارك الدائرة في الشرق الأوسط بفضل «الحرس الثوري الإسلامي»، وجيشها المتنامي من الوكلاء. وبالفعل، تتزايد الشكوك في المنطقة بأن الإدارة الأمريكية الحالية لا تجرب على إكمال العمل الصعب اللازم للحد من أنشطة إيران المزعزعة للاستقرار.

وتُعتبر سوريا النقطة الرئيسية لإطلاق هذه الجهود، لا سيما في ظل تسريع طهران وتيرة حملتها لبناء هندسة دفاعية واستخباراتية دائمة هناك. فأهداف إيران تتعارض مباشرة مع أمن إسرائيل، كما أن "جيش الدفاع الإسرائيلي" اتخذ إجراءات متكررة لمنع تحول سوريا إلى منصة للهجمات ضد الدولة اليهودية.

وإذا تُركت إيران دون رقابة، فإن انخراطها المتزايد في سوريا سيؤجج ثانية التطرف السني في حرب أهلية لم تخمد نيرانها بعد. وكان لحملة القمع التي شنها نظام الأسد بدعم من إيران أثر رهيب وهائل على العراق، حيث ساهمت في بروز دولة خلافة انتشرت في بلدين، وموجات من الإرهاب الدولي، وهجمات داخل الولايات المتحدة، وتجنيد مقاتلين أجانب بوتيرة هددت بشل أجهزة الشرطة والاستخبارات في جميع أنحاء العالم. ولا يمكن لواشنطن المخاطرة بعودة تلك الأيام من خلال سحب القوات الأمريكية قبل الأوان.

ولن تساهم مقاربة "سلام القبر" التي تنتهجها موسكو وطهران حالياً في وقف معاناة سوريا وأحزانها - أو في الحد من احتمال زعزعتها لاستقرار الأردن ولبنان وأوروبا بسبب تدفق اللاجئين هرباً من العنف. وتُعتبر الوحشية الفوضوية التي يبذلها نظام الأسد لاستعادة جنوب غرب سوريا، بدعم من القوات الجوية الروسية والمقاتلين الأجانب الذين توفرهم إيران و«حزب الله»، تذكيراً مروعاً إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

لكن هذه ليست نتيجة حتمية. ومن المفارقات أن لدى الولايات المتحدة حلفاء أكثر قوة وأن واشنطن تملك الوسائل لمواجهة الإيرانيين ووكلائهم من أجل رسم معالم مستقبل مختلف لسوريا. وكما ظهر في دراسة حديثة أجراها "معهد واشنطن"، بإمكان الولايات المتحدة تحقيق ذلك من خلال اتخاذ الخطوات التالية:

أولاً، الحفاظ على وجود عسكري أمريكي - بالحجم المطلوب للمهمة معزراً بمنطقة حظر طيران/آليات للحؤول دون نهوض تنظيم «الدولة الإسلامية» - من أجل تجنب قيام القوات التي تدعمها إيران بدعم نظام الأسد المتداعي، ومنع إيران من بناء "جسر بري" إلى البحر الأبيض المتوسط.

ثانياً، التوصل إلى تفاهم مع تركيا في الشمال من شأنه السماح للولايات المتحدة وحلفائها ببسط سيطرتهم على ٤٠ في المائة من الأراضي السورية، بما فيها القسم الأغنى بالموارد في البلاد.

ثالثاً، استهداف المصارف - التي توفر الائتمانات لنظام الأسد والدعم الإيراني للوكلاء في سوريا وأتباع الأسد الذين يسهلون الاستثمارات الإيرانية في سوريا - وذلك بمساعدة الحلفاء الخليجيين للولايات المتحدة.

رابعاً، الطلب من شركاء الولايات المتحدة في الخليج توفير المساعدة إلى شمال شرق سوريا وتعزيز رفاهها الاقتصادي. ولا يقوم ذلك على تقديم المساعدات فحسب، بل يتطلب أيضاً إيجاد أسواق بديلة لصادرات النفط والزراعة في المنطقة.

خامساً، التركيز على ضرورة تطبيق كامل لقرار مجلس الأمن رقم ٢٢٥٤ الذي يمهّد الطريق للتوصل إلى حل سياسي في سوريا.

وأخيراً، إبلاغ موسكو أن الولايات المتحدة ستدعم الضربات الإسرائيلية ضد الميليشيات الإيرانية/الشيعية في سوريا، الأمر الذي يرغم الروس (ودمشق) على الاختيار بين إبقاء نظام الأسد في السلطة أو السماح لإيران و«حزب الله» وغيرهم من وكلاء الشيعة الأجانب بالبقاء في سوريا.

ويُعتبر اعتماد الولايات المتحدة لستراتيجية صحيحة في سوريا ضرورياً للأمن القومي الأمريكي. فهي لا تتطلب قوة برية أمريكية كبيرة على المدى الطويل وبالفعل، كما حصل في العراق، يجب أن تكون قدرات القوات العسكرية الأمريكية مصممة بطريقة تتناسب مع المتطلبات المتزايدة الماثلة أمام واشنطن. لكن يتعين على الولايات المتحدة تعويض التأخير، بما أن إيران وروسيا قد سبقتهما هناك. فإرثهما يكمن في مشهد سوريا المدمرة وملايين اللاجئين، وهو وضع يمكنه بسهولة التسبب في نهوض مجموعة من المتطرفين العنيفين. وفي هذا السياق فإن سوريا، التي تعدمها الفوضى وتهيمن عليها إيران، تسبب تداعيات وخيمة على المنطقة - وعلى الولايات المتحدة - في ظل غياب أي قرار أمريكي مباشر بالاستفادة من الأوراق التي بحوزة واشنطن.

*المؤلفون هم سفراء سابقون، ومن كبار الزملاء في معهد واشنطن حالياً

هل تفتح قمة هلسنكي صفحة جديدة في العلاقات الدولية؟

*عريب الرنتاوي

مركز القدس للدراسات: ٢٠١٨/٧/١٥

التوقعات بشأن قمة هلسنكي بين الرئيسين الأمريكي دونالد ترامب والروسي فلاديمير بوتين، تذهب في مختلف الاتجاهات... البعض يراها قمة مؤسسة لنظام عالمي جديد، والبعض الآخر يعتقد أنها مجرد لحظة انفراج في العلاقات المتوترة بين القطبين... وبين المقاربتين المتطرفتين، ثمة مروحة واسعة من التقديرات والتوقعات.

على أن معظم المعالجات والتحليلات التي تناولت القمة المنتظرة، تكاد تلتقي عند نقطة واحدة، مفادها أن سورية، قبل غيرها، وأكثر من غيرها من دول الأزمات وساحاتها المفتوحة، ستكون نقطة الاختبار الأولى، وربما الأهم، للتقارب بين الدولتين... بل إنه يجوز النظر إليها بوصفها "الباروميتر" الأساس الذي يمكن الاستناد إليه عند قياس درجة حرارة العلاقات الثنائية بين القطبين.

واشنطن من جهتها لا تريد من سورية وفيها زيادة على ما تريده إسرائيل، وما تريده إسرائيل هنا على وجه التحديد هو اقتلاع أنياب إيران ومخالبها. وما التشديد الإسرائيلي المتكرر على ضرورة إخراج إيران وحلفائها من سورية سوى التعبير عن أهم المصالح الأمريكية. الإسرائيلية في هذه البقعة من العالم. وكلا الدولتين تسعيان في عرض معادلة جديدة على "سيد الكرملين"، مؤداها: إن الحليفتين الاستراتيجيتين مستعدتان للإقرار بنفوذ روسيا في سورية والاعتراف بمصالحها ودورها القيادي هناك، بما في ذلك، التوقف عن تهديد نظام الأسد والامتناع عن دعم منائيه ومعارضيه، شريطة أن تتعهد روسيا بالعمل جنبا إلى جنب معهما لتقليل أظافر إيران وحزب الله ومن حالفهما من فصائل ومليشيات شيعية.

في زيارته الأخيرة لموسكو، نقل رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو هذا العرض إلى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين... وهو قال علنا، وأمام الصحفيين، بأن إسرائيل لا تمنع في بقاء الأسد على رأس السلطة في سورية. بل وتعهده نتنياهو بعدم تهديد نظامه، تاركا الباب مفتوحا لاحتمالات التعاون معه مستقبلا إن اقتضت الضرورة، وإن التزمت موسكو نظير ذلك العمل لإخراج إيران وحلفائها من هناك. لكن بوتين، الذي قطع أشواطاً على طريق الإمساك بزمام السيطرة والقرار في سورية وعليها، وجد من دون شك صعوبة في قبول العرض الإسرائيلي والاستجابة لمراميه، وفي ظني أن مرد ذلك يعود لسببين اثنين:

الأول "أن بوتين الذي يطربه الاستماع لعرض كهذا، يريد أن يحصل عليه من قبل شخص آخر غير نتنياهو، يريد أن يتلقاه من دونالد ترامب تحديداً. فرئيس الحكومة الإسرائيلية، لا يمتلك "الكلمة الفصل" في مسألة مصير الأسد بعد كل ما تدفق في أنهار سورية من مياه طوال سنوات ثماني.

والثاني "أن ترامب، وليس نتنياهو، هو وحده الذي بمقدوره أن يعرض على بوتين "المقابل" المطلوب لاستحداث الاستدارة في الموقف الروسي حيال إيران. فالزعيم الروسي لا شك يبحث عما هو أكبر وأهم من "رأس الأسد" لاستكمال صفقة من هذا النوع، إنه يريد رفعا شاملا، أو ذي مغزى، للعقوبات المفروضة على بلاده. ويريد بوتين إقرارا أمريكيا بالأمر الواقع في جزيرة القرم، وهو يريد شراكة مع واشنطن والغرب في العديد من الملفات الإقليمية والدولية.

لا يمتلك نتنيا هو البضاعة التي يبحث عنها بوتين، وحده ترامب يتوفر عليها، وفي جيب الرئيس الأمريكي مفاتيح العقوبات المثقلة لكاهل الاتحاد الروسي، وبين يديه القرار بشأن راهن ومستقبل العلاقات بين موسكو وعواصم الغرب عموماً.

ليس لدى الإدارة الأمريكية مصالح عميقة في سورية كتلك التي يعمل "القيصر" على صيانتها وتعظيمها. ولهذا السبب بالذات، لم تمنح إدارة باراك أوباما من قبل باعتماد سياسة "القيادة من الخلف"، ولن تمنح إدارة دونالد ترامب من بعد في إقرار الانسحاب منها وإن بعد حين. لكن واشنطن تريد أن تجعل من "ترك سورية لروسيا"، ورقة مساومة كبرى، تقايض عليها من أجل استهداف إيران وضمان وقوف روسيا إلى جانبها في معركة تحجيم النفوذ الإقليمي لطهران، ومن باب أضعف الإيمان، تريد واشنطن "تحييد" موسكو في حربها المشتعلة ضد "نظام الملالي".

لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل يمتلك بوتين ترف التنقل في تحالفاته بخفة وحرية، فيكون اليوم صديقاً لطهران، بل وحليفاً لها، ويتحول عشية اليوم التالي إلى مشروع "خصم سياسي" لإيران مقامراً بتحمل أعباء هذه "الخصومة" في شتى المجالات الأمنية والدفاعية والاقتصادية والسياسية.

هل يمكن لموسكو وحدها أن تحفظ استقرار الوضع في سورية في ظل التقارير المتواترة عن ضعف الجيش السوري وتآكل قدراته البشرية والمادية، أم أنها ستظل بحاجة لوجود ميداني إيراني على الجبهات والساحات الواسعة التي نجح النظام في بسط سيطرته عليها خلال الأعوام الثلاثة التي أعقبت التدخل العسكري الروسي في سورية؟ وما الذي سيمنع عودة الوضع إلى الانهيار من جديد بعد كل الإنجازات التي حققها بوتين في سورية وبدور نشط من "الحليف الإيراني"؟

ثم، ماذا عن شبكة العلاقات التي تربط موسكو بطهران في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وأفغانستان، فضلاً عن التبادلات التجارية والاقتصادية وصفقات التسليح التي من المتوقع أن تزداد حجماً وتأثيراً في ظل نظام العقوبات التي تفرضه واشنطن بالتدريج على إيران.

يصعب على المراقب لتطور العلاقات الروسية - الإيرانية أن يتنبأ بإمكانية إقدام بوتين على "مجاراة" ترامب في مساعيه لخنق إيران اقتصادياً وتجارياً وسياسياً والهبوط بصاراتها النفطية إلى مستوى "الصفر"، لكن المراقب لن يستبعد أن تبدي موسكو استعداداً للاشتراك مع الولايات المتحدة في البحث عن صفقات وتسويات لبعض النزاعات الإقليمية وبصورة لا تبقى إيران لاعباً رئيساً فيها، وإن كانت ستحفظ لها دوراً كلاعب من ضمن لاعبين آخرين.

وثمة "قراءة" روسية لا يجري الحديث عنها في الإعلام، مفادها أن ترامب وإدارته ليسا جادين تماماً في إغلاق بوابات الحلول التفاوضية مع إيران على الرغم من "اللهجة" شديدة العدائية التي تميز الخطاب الأمريكي حيال الجمهورية الإسلامية. وتراهن موسكو على قدرة دبلوماسيةيتها على "تدوير الزوايا الحادة" في مواقف كل من واشنطن وطهران الأولى بالاعتماد على مواقف أوروبية ودولية لا تدعم مواقف ترامب وإدارته من إيران، خصوصاً بعد انسحاب واشنطن من "الاتفاق النووي". والثانية، بالمراهنة على حاجة إيران للاندماج في الأسواق والنظام المالي والتجاري العالمي لمعالجة مشكلاتها الاقتصادية المتفاقمة، والتي أفضت إلى اندلاع سلسلة من الانتفاضات المتنقلة بين المدن والحوضر الإيرانية.

قمة هلسنكي المنتظرة وتداعياتها، لن توفر حلاً سحرياً للأزمات المفتوحة ولن تغلق جميع ملفات الخلافات بين الدولتين الكبيرتين، بيد أنها محملة بالفرص لطبي صفحة التراشق السياسي والإعلامي و"حرب العقوبات والتهامات"، وقد تؤسس لعلاقة عمل بين الزعيمين، تنعكس انفراجاً على العديد من هذه الأزمات بدءاً بسورية كما يبدو مرجحاً.

قمة هلسنكي وتشكيل لجان مشتركة لحل القضايا العالقة

*روبرت فوردي

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/٧/١٥

تُعد في هلسنكي، أول قمة تجمع قادة الولايات المتحدة وروسيا في ثماني سنوات، منذ القمة الأخيرة التي التقى فيها الرئيس فلاديمير بوتين بنظيره الأمريكي باراك أوباما. ولم يلتق الرئيس الروسي بنظيره الأمريكي دونالد ترامب سوى على هامش المؤتمرات الدولية ولفترات زمنية وجيزة.

وتأتي القمة المرتقبة في أعقاب حالة التوتر الراهنة، ما بين الرئيس الأمريكي والبلدان الأوروبية وكندا في قمة مجموعة الدول السبع التي شهدتها شهر يونيو (حزيران) الماضي في كندا. وتأتي قمة هلسنكي أيضاً في أعقاب اجتماعات عسيرة شملت الرئيس ترامب وقادة دول حلف شمال الأطلسي (ناتو) في بروكسل، إذ لوح الرئيس ترامب بأن الولايات المتحدة ستتصرف بطريقتها الخاصة إذا لم يتحمل أعضاء الحلف الآخرون المزيد من الأعباء المالية للحلف. ولا يعلم أحد ما الذي يعنيه الرئيس الأمريكي بذلك: فهل سينسحب الرئيس ترامب من عضوية «حلف شمال الأطلسي»؟

ولا تواجه الولايات المتحدة المشكلات مع أعضاء حلف «ناتو» والشركاء التجاريين في أوروبا، والمكسيك، وكندا، والصين فحسب. وإنما هناك مشكلات أخرى كبيرة مع روسيا كذلك. ومن أهم هذه المشكلات الاتهامات بتدخل الاستخبارات الروسية في الانتخابات الرئاسية الأمريكية في عام ٢٠١٦. وما يُضاف إلى ذلك، ترفض الولايات المتحدة تماماً الاستيلاء الروسي على شبه جزيرة القرم، وتدخلها العسكري السافر شرق أوكرانيا. وهناك عقوبات أمريكية اقتصادية صارمة ضد روسيا بسبب التصرفات الروسية الرعناء في شبه جزيرة القرم وأوكرانيا. كما انتهكت روسيا أيضاً اتفاقية الصواريخ النووية لعام ١٩٨٧ من خلال بناء نوع جديد من صواريخ «كروز». وهناك مخاطر حقيقية من اندلاع سباق جديد في مضمار الصواريخ النووية كمثل ما شهدته حقبة الحرب الباردة من قبل. وإضافة إلى ذلك، صرح قائد القوات الأمريكية في أفغانستان في مارس (آذار) الماضي بأن روسيا توفر إمدادات السلاح إلى حركة «طالبان» التي تقاتل القوات الأمريكية والقوات الحكومية الأفغانية. وبطبيعة الحال، ليس هناك اتفاق كامل بين الجانبين الأمريكي والروسي بشأن الأزمة السورية.

وبعض الشخصيات في الولايات المتحدة، لا سيما من دوائر الحزب الديمقراطي، إلى جانب كثير من المسؤولين والمراقبين في أوروبا، مع اعتبار حزمة الخلافات الكبيرة مع روسيا، يتساءلون: لماذا وافق الرئيس الأمريكي على مقابلة نظيره الروسي؟ والإجابة بسيطة للغاية: يحمل الحزب الجمهوري الأمريكي «الحالي» وجهات نظر مغايرة تماماً حيال روسيا عما كان يحمله الحزب في عهد الرئيس الراحل رونالد ريغان أو حتى الرئيس السابق جورج دبليو بوش، عندما كانت أغلب الدوائر الجمهورية في أمريكا تنظر إلى موسكو من زاوية الخصومة. وفي استطلاع للرأي أجرته مؤسسة «غالوب»، الأسبوع الماضي، يعتقد ٤٠ في المائة من المواطنين الأمريكيين الجمهوريين أن روسيا صديقة أو حليفة، وكانت النسبة المسجلة لا تتجاوز ٢٢ في المائة في عام ٢٠١٤.

ولقد قال الرئيس ترمب في حشد سياسي بولاية مونتانا في ٥ يوليو (تموز) إن «بوتين بخير، إنه بكل خير». وكان ترمب يريد، إبان حملته الانتخابية لعام ٢٠١٦، ومن وقت لآخر، تحسين العلاقات مع روسيا. وفي الوقت نفسه كان يوجه الانتقادات اللاذعة إلى الحلفاء التقليديين مثل ألمانيا وكندا.

وليس من المستغرب، وفقاً لذلك، حالة التوتر العامة التي خيمت على كثير من الناس في واشنطن وغيرها من العواصم الأوروبية الأخرى لأن بوتين، الذي كان يرأس الاستخبارات الروسية قبل توليه رئاسة الاتحاد الروسي، يدرك حدود خبرات الرئيس ترمب واهتمامه بجذب انتباه مختلف وسائل الإعلام العالمية.

وبعد القمة التي جمعت الرئيس الأمريكي بنظيره الكوري الشمالي كيم جونج أون في يونيو الماضي، أشادت كوريا الشمالية بالرئيس الأمريكي لاجتماعه مع زعيمهم. ونقلت وسائل الإعلام تلك الإشادة على أوسع نطاق. وكان الرئيس ترمب مسروراً بذلك وتعهد بإلغاء المناورات العسكرية المشتركة، التي كانت مقررة، وذلك من دون مشورة القادة في سيول في كوريا الجنوبية. ولم يصدر على الجانب الكوري الشمالي تنازل مماثل خلال زيارة الخارجية الأمريكية مايك بومبيو الأخيرة إلى بيونغ يانغ.

والقلق السائد الآن يدور حول ما يعتزم الرئيس ترمب تقديمه إلى فلاديمير بوتين، مثل اعتراف الولايات المتحدة بالسيطرة الروسية على شبه جزيرة القرم، أو التعهد برفع العقوبات الاقتصادية عن موسكو. ومن شأن تنازل كهذا أن يسبب صدمة كبيرة لحلف شمال الأطلسي (ناتو)، ويدفع أعضاء الحلف من بلدان أوروبا الشرقية إلى النظر في ترتيبات أمنية جديدة خارج مظلة الحلف.

وسوف يعتبر هذا تقدماً، إن لم يكن انتصاراً استراتيجياً هائلاً بالنسبة لفلاديمير بوتين. فما الذي يريده دونالد ترمب في المقابل؟ يخشى بعض المراقبين في واشنطن أن ترمب على استعداد لتقديم مرونة في مقابل وعود غير واضحة بشأن ضغوط يمارسها بوتين على إيران لتخفيض وجودها العسكري في سوريا، إلى جانب العناوين الإعلامية الهائلة بالصفقة الأمريكية - الروسية الكبيرة. وبطبيعة الحال، لا تحتل سوريا الأهمية ذاتها التي تحتلها أوروبا بالنسبة للمصالح الأمريكية. وبالإضافة إلى ما تقدم، ليس بمستطاع الروس السيطرة على كل شيء تفعله إيران داخل سوريا.

وكان المستشار الإيراني علي أكبر ولايتي في موسكو بتاريخ ١١ يوليو الحالي وصرح بأن مباحثاته مع بوتين توصف بـ«الممتازة». فإن كانت الإدارة الأمريكية تعتقد أن قمة هلسنكي تتعلق بمحاولة وضع روسيا وإيران على خط المواجهة المباشرة، فستسفر القمة عن خيبة أمل تماماً كما تتزايد رقعة خيبة الأمل في واشنطن بشأن قمة سنغافورة الأخيرة.

ورغم ذلك، إن انتهت قمة هلسنكي بمجرد الموافقة على تشكيل مجموعات العمل الثنائية من خبراء البلدين لمحاولة إيجاد الحلول للمشكلات القائمة مثل أوكرانيا، وشبه جزيرة القرم، والأسلحة النووية، والصراعات الإقليمية، فقد تشيع حالة من الارتياح في أوساط نقاد الرئيس ترمب في كل من واشنطن وأوروبا. ولن نحصل على العناوين الإعلامية الرنانة جراء ذلك بكل أسف، لكن ربما سيتوفر لدينا قدر معتبر من الدبلوماسية الجادة والمفيدة لكل الأطراف المعنية.

*السفير الأمريكي السابق لدى سوريا والجزائر والباحث في معهد الشرق الأوسط في واشنطن

أمام أمريكا فرصة لقيادة العالم نحو مساره الصحيح

موقع "ذا هيل" الإخباري : ٢٠١٨/٢/١٦

أظهرت قمة الناتو التي عقدت قبل أيام، أن العداء للمهاجرين ينمو باطراد في مختلف أنحاء العالم. وقد قارن عدد من الخبراء هذه الظاهرة ببروز الفاشية قبل قرابة مائة عام. ولذا يرى بريندان كاشينغ دانييلز، كاتب مساهم في تحرير موقع "ذا هيل" الإخباري، أنه أمام أمريكا حالياً فرصة لقيادة العالم نحو مساره الصحيح.

تجارب الأعوام السبعين الماضية تشير إلى أن أفضل أمل لتحقيق السلام والازدهار يتحقق عبر التزام مشترك بتحالفات عريقة ويقول كاشينغ إن الولايات المتحدة لطالما تقر بأن الأمن المشترك يتطلب نمواً ورفاهية مشتركة، وهو يعتقد أن الهدف الثاني شرط لتحقيق الأول.

وحسب كاتب المقال، عندما يتحقق السلام والازدهار، يولدان معاً حلقة قوية لارتفاع مستويات المعيشة وإرساء السلام، وعندما ينتفي وجودهما، يصبح لدينا دورة سيئة من ارتفاع معدلات عدم المساواة والخصومات الداخلية والدولية. ويسترجع الكاتب ذكرى تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية، عندما صاغ الآباء المؤسسون لأمريكا الدستور الجديد. فقد وضع الدستور بهدف توحيد مستعمرات سابقة تحت راية واحدة وتبادل المساعدة والدعم حال التعرض لعدوان خارجي أو محلي. كما أدرك الآباء المؤسسون للولايات المتحدة أن الحفاظ على توحدهم يعتبر شرطاً أساسياً لتأسيس الدولة كقوة نظيرة لقوى استعمارية كبرى.

ويقول الكاتب إنه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، صاغت أمريكا وحلفاؤها النظام العالمي على أساس من الأمن الاقتصادي والعسكري المتبادل. وكان توسع التبادل التجاري بين دول العالم الغربي أحد دعائم نجاح هذه التجربة. وقاد رفع التعريفات الجمركية وسواها من الحواجز، في مقابل تدفق السلع والخدمات عبر حدود دول غربية، لرفع مستويات المعيشة لتلك الدول. ولربما تحققت تلك المكاسب عبر التزام مشترك بتبادل أمني تجسد في حلف الناتو مع تحالفات أخرى تشكلت في فترة ما بعد الحرب.

وحسب كاتب المقال، قامت خطة مارشال لإعادة بناء اقتصادات حلفاء أوروبيين، فضلاً عن دعم اقتصادات دول معادية قديماً، على أساس فهم واضح أن اقتصاداً عالمياً قوياً سيكون أفضل لدعم أمريكا قوية ومزدهرة. كما كان من شأن ذلك الاقتصاد القوي أن يصبح أقدر على مقاومة التهديد المتصاعد للتوسع السوفييتي. وقد خصص ما يعادل ١٠٪ من نفقات خطة مارشال لإعادة بناء ألمانيا.

ورغم ذلك، أدرك قادة عسكريون وساسة مثل ديغول وتشرشل وروزفلت، أن دولاً تستطيع تلبية الاحتياجات المادية وتوسيع منظور حق تقرير المصير لشعوبها، تكون أقل ميلاً لشن حروب ضد دول أخرى، أو ضد شعوبها.

وهكذا وجدت أمريكا نفسها في موقع قيادة العالم بعد الحرب العالمية الثانية. كما أدرك قادتها أن مكانة أمريكا في العالم ليست مهددة بسبب الازدهار في مناطق أخرى، بل إن الرفاهية ذاتها هي التي عززت مكانة أمريكا في العالم.

نتيجة لما سبق، يرى الكاتب خطأ تبني أفكاراً من قبيل أن تحالفات قديمة قد انتهت، أو أنها باتت شديدة الكلفة، وأن أمريكا يجب أن تقود مناقشة مستفيضة حول الخسائر البشرية والاقتصادية والأمنية الناجمة عن التخلي عن تحالفات تقليدية. وعلاوة عليه، يرى كاتب المقال أن تجارب الأعوام السبعين الماضية تشير إلى أن أفضل أمل لتحقيق السلام والازدهار يتحقق عبر التزام مشترك بتحالفات عريقة.

الفتنات جنرال مايكل ك. ناغاتا، "الجيش الأمريكي" تقييم الجهود الأمريكية لمكافحة الإرهاب منذ أحداث ١١ سبتمبر

معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى: ٢٠١٨/٧/١٦

"في ١٠ تموز/يوليو، استضاف معهد واشنطن منتدى سياسي مع مايكل ناغاتا كجزء من سلسلة المحاضرات التي يقدمها المعهد حول مكافحة الإرهاب. وقد شغل ناغاتا منصب مدير التخطيط العملي الاستراتيجي في "المركز الوطني لمكافحة الإرهاب" منذ أيار/مايو ٢٠١٦. وكان سابقاً "قائداً لقيادة العمليات الخاصة المركزية" (SOCCENT)، وشارك في أول عامين من العمليات القتالية ضد تنظيم «الدولة الإسلامية». وفيما يلي ملاحظاته المعدة مسبقاً. "أود اليوم أن أبدي بعض الملاحظات حول حالة الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة في مجال مكافحة الإرهاب، وأعرض وجهة نظري حول ما ستتطلبه مكافحة الإرهاب في المستقبل.

منذ ما يقرب من سبعة عشر عاماً، قامت الولايات المتحدة، بالتعاون مع عدد كبير من حلفائها وشركائها في جميع أنحاء العالم، ببذل جهود استثنائية واستثمار ثروات هائلة في مجال مكافحة الإرهاب بأشكاله المتعددة. وكما تعلمون جميعاً، انصب تركيزنا الأساسي على نوع التهديد الدولي الذي تشكله منظمات مثل تنظيمي «القاعدة» و«الدولة الإسلامية».

وخلال هذه الفترة، أرسلت الولايات المتحدة بعضاً من أفضل ما لديها من أفراد وأشجعهم إلى أبعد المناطق في العالم لمحاربة المنظمات الإرهابية ووكلائها داخل ملاحظتهم. وخلال هذه المسيرة، قمنا بتطوير مجموعة مذهلة تقريباً من القدرات الاستخباراتية والابتكارات التكتيكية والعملياتية والانجازات التكنولوجية عاماً بعد عام. ونتيجة لذلك، يمكننا جميعاً، وعلينا أن نفتخر بكل ما تم إنجازه، ومن أهم ذلك أننا منعنا هجوماً إرهابياً كارثياً آخر على الأراضي الأمريكية، على غرار ما شهدته أمتنا في ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١. إننا نحزن بحق على أولئك الذين فقدناهم على طول الطريق، وما زلنا نسعى جاهدين لرعاية الجرحى ومن يعانون من إصابات بالغة في أطول حرب شهدتها أمريكا حتى الآن.

ومع ذلك، بعد قرابة عقدين من الزمن، ورغم كل ما ينبغي أن نفخر به بحق، فقد حان الوقت لنسأل أنفسنا بعض الأسئلة الصعبة ولكن الضرورية: على الرغم من القدرات التي قمنا بتطويرها والتقدم الذي حققناه، لماذا أصبح الإرهاب اليوم أكثر انتشاراً وتعقيداً مما كان عليه حين بدأنا؟ لماذا أثبت الإرهاب أنه قادر على الصمود والتكيف بالرغم من نجاحاتنا ورغم الضغط والقوة المتواصلين اللذين نستخدمهما نحن والعالم للوقوف في وجهه؟ إن التقييم المنبّه والمستمد من "قاعدة بيانات الإرهاب العالمية" التي جمعها برنامج "ستارت" التابع لـ "جامعة ماريلاند" هو خير مثال عن أن الاتجاهات الأساسية للإرهاب بالرغم من جهودنا الكثيفة، أصبحت مثيرة جداً للقلق. فمنذ عام ٢٠١٠، ازداد عدد الوفيات المرتبط بالإرهاب في جميع أنحاء العالم بنسبة تزيد عن ٣٠٠ في المائة، كما ازداد عدد الهجمات الإرهابية مع ما يقترب منها من ضحايا بحوالي ٢٠٠ في المائة. وبمعزل عن ذلك، هنا في الولايات المتحدة، تجري السلطات الفدرالية المعنية بإنفاذ القانون حوالي ألف عملية تحقيق متصلة بالإرهاب في مجتمعاتنا المحلية في جميع الولايات الخمسين.

ولا أحاول الإيحاء بأن جهودنا ذهبت سدى. فمجرد واقع أن هجوم ١١ سبتمبر لم يتكرر على أراضينا هو دليل واضح وإنجاز مهم. ومن الإنجازات الكبيرة أيضاً هو واقع أننا قد أحدثنا ثورة في قدراتنا وممارساتنا عندما يتعلق الأمر بإلقاء الضوء على الزعماء الإرهابيين ومؤامراتهم ومهاجمتهم. ومع ما تقدم ذكره، أود أن أشاطركم بعض الملاحظات التي تستوقفني، كممارس للعمليات العسكرية على امتداد عدة عقود، واليوم كخبير استراتيجي مقره في واشنطن العاصمة، والتي ستجيب على هذه الأسئلة.

أولاً، أين كنا منذ ١١ سبتمبر؟

منذ أحداث ١١ سبتمبر، توجّهت حصة الأسد من استثماراتنا في تطوير قدرات وإمكانيات جديدة لمكافحة الإرهاب، وفي المقام الأول نحو تحديد الهوية وإلقاء الضوء والاستهداف والتتبع، وكما نقول في عالم مكافحة الإرهاب، "القضاء" على الإرهابيين والمؤامرات الإرهابية. وقد انصب تركيزنا الأساسي، من الناحية التكتيكية والاستراتيجية، على تطوير

القدرة على القضاء على الزعماء الإرهابيين والجنود المشاة، مع تحديد الخطط الهجومية الأكثر خطورة وتعطيلها في الوقت نفسه. وقد أدى ذلك إلى خلق استثمارات استثنائية في القدرات الجديدة لمجتمع الاستخبارات، وإحداث ثورة في الشؤون العسكرية عندما يتعلق الأمر بمكافحة القوى غير النظامية والقوات المتمردة، وإنشاء وكالات فدرالية جديدة تماماً تركز على تقوية بنيتنا التحتية، والدفاع عن حدودنا، والتحقيق في التهديدات العنيفة والمتطرفة وتعطيلها، سواء داخل البلاد أو خارجها.

ثانياً، أين نحن اليوم؟

من ناحية، طورنا مهارات وخبرات هائلة في مجال مكافحة الإرهاب لا تزال تخدم أغراضنا جيداً في الوقت الحالي. وفي الآونة الأخيرة، عندما اجتاحت تنظيم «الدولة الإسلامية» الساحة العالمية في عام ٢٠١٤، كانت الولايات المتحدة أكثر استعداداً وقدرةً على التصدي لهذا الكيان والبدء بهزيمته العسكرية مما كانت عليه قبل سبعة عشر عاماً. من ناحية أخرى، ينبغي أن تكون حقيقة ظهور تنظيم «الدولة الإسلامية» فجأة كمباغنة استراتيجية للولايات المتحدة، قبل أربع سنوات فقط، إدراكاً منبهاً لنا جميعاً. إذ جعلت عدداً كبيراً من الخبراء داخل مجتمع مكافحة الإرهاب يدركون أنه رغم كل النجاحات التي حققناها، لا يزال التطرف المقترب بالعنف، في جميع أشكاله تقريباً، يتمتع بالمرونة (أي قادراً على الصمود).

وفي هذا الصدد، أود أن أقدم ثلاثة أمثلة للتشديد على حجم الإرهاب وقدراته ومرونته في الوقت الراهن: أولاً - منذ أكثر من عقد، توليت قيادة فريق عمل يركز على المقاتلين الأجانب الذين انضموا إلى تنظيم «القاعدة في العراق». وأتذكر بوضوح أننا كنا نكافح للتعامل مع المقاتلين الذين بلغ مجموعهم المئات. ومنذ ظهور تنظيم «الدولة الإسلامية» في عام ٢٠١٤، تشير أفضل تقديراتنا إلى أن ما يزيد عن ٤٠ ألف فرد من المقاتلين الإرهابيين الأجانب قد توافدوا للانضمام إلى هذا التنظيم.

ثانياً - كان تنظيم «الدولة الإسلامية» رائداً في وضع الاستراتيجيات في مجالين على الأقل. الأول هو التسليح واستخدام أنظمة الطائرات بدون طيار المتاحة تجارياً وبأسعار معقولة. ومع ازدياد توفر التقنيات المقتدرة، مثل أنظمة الطائرات بدون طيار الرخيصة وذات الأسعار المعقولة، وإتاحتها بسهولة أكبر لأي شخص يمتلك بطاقة ائتمان، فلم تعد القدرة على إحداث تأثيرات شديدة الفتك تعتمد على التدريب أو التخطيط أو الإعداد المركزي. أما المجال الثاني فهو أكثر خطورة، ويتمثل في قيام الجماعة باستخدام مبتكر للدعاية عبر الإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعي لتجنيد الأفراد وزرع التطرف في نفوسهم وتعبئتهم لممارسة العنف. ولم يعد تجنيد إرهابيين جدد يعتمد بشكل أساسي على الاتصال الجسدي أو المباشر بين المجندين المحتملين والجهات المعنية بتجنيد الإرهابيين، كما لن يتطلب من المجندين الجدد تدريباً أو توجيهاً مكثفاً، نظراً لأن تنظيم «الدولة الإسلامية» يشجع أتباعه على شن هجمات في أوطانهم باستخدام أساليب بسيطة وأسلحة سهلة المنال. وفي هذا السياق، تذكرنا سائق الشاحنة في نيس، فرنسا، في عام ٢٠١٦، الذي تمكن من قتل وتشويه عدد كبير من الناس، مستخدماً الشاحنة التي ينقل فيها البضائع، بقدر ما كان يمكن أن يؤثره هجوم كبير بالعبوات الناسفة.

ثالثاً، كما يتذكر العديد منكم، خطرت لنا فكرة بعد حادثة ١١ سبتمبر مباشرة وهي أننا "سنلعب لعبة الخارج بشكل رائع لدرجة أننا لن نضطر إلى اللعب في الداخل مرة أخرى". لكن بعد عشرين عاماً تقريباً، كان عليّ مواجهة الحقيقة المحزنة، وهي أنه على الرغم من جهودنا المثيرة والفعالة التي نبذلها في "لعبة الخارج"، أثبتت الحركة الشاملة للإرهاب والتطرف العنيف في نهاية المطاف قوتها ومرونتها ضد هجماتنا. واليوم، نحن نخوض نطاق غير مسبوق من الأنشطة المتطرفة العنيفة، على الصعيد الدولي ومع المتطرفين العنيفين الناشئين على الصعيد المحلي.

وعلى افتراض أن ما سبق ذكره هو تقدير دقيق إلى حد معقول، نواجه اليوم مسألة كيفية جعل أنفسنا وحلفائنا أكثر فعالية في تقليل حجم الإرهاب وقدرته وصموده. يجب أن نجد طريقة للحفاظ على القدرة الحالية المذهلة على تعطيل الإرهاب بينما نعزز بشكل كبير قدرتنا على الحد من الإرهاب بجميع أشكاله - على الصعيد الدولي حيث يهدد مصالح الولايات المتحدة، وبصورة أكثر فعالية داخل حدودنا.

وعلى الرغم من أننا نحافظ على قدرتنا الهائلة فعلاً على مهاجمة الأنشطة الإرهابية التي تهدد مصالحنا وإعاقتها، فمن الضروري الآن أن تحول الولايات المتحدة المزيد من استثماراتها في الناس والقدرات نحو التصدي للإرهاب "غير الحركي". وقد يبدو من غير المعتاد بعض الشيء بالنسبة لشخص مثلي مسؤول عن عمليات عسكرية خاصة أن يجادل على هذا النحو، ولكن مثلي مثل العديد من زملائي، أُجبرت على مواجهة الواقع البسيط المتمثل في أن الهجوم على الإرهابيين لا يؤدي، في حد ذاته، إلى خلق استراتيجية دائمة النجاح في مواجهة الأعمال الإرهابية. إنه أمر ضروري، لكنه غير كافٍ.

أنا لا أقترح أن نحد من استثماراتنا في ما حققناه بنجاح خلال السنوات السبعة عشر الماضية - أي إلقاء الضوء على الإرهابيين ومهاجمتهم بشكل فعال. كما أنني لا أقول أننا بحاجة إلى استثمار مكافئ لما تعهدنا به في التصدي للإرهاب "غير الحركي". فالمنظمات، الحكومية منها وغير الحكومية، التي تسعى حالياً لمنع الإرهاب أو الأنشطة الإرهابية، تفتقر إلى القدرة الاستيعابية وفي بعض الحالات إلى المنهجيات التي أثبتت فعاليتها حالياً والتي يمكن أن تبرر مثل هذا النهج الاستثماري الهائل. بالإضافة إلى ذلك، أدركت الحكومة الفدرالية أنه يتعين عليها أن تدرس ملياً كيفية دعم برامج وأنشطة الوقاية أو تمويلها، لا سيما فيما يتعلق بعزمنا على ضمان الحقوق المدنية والدستورية، والخصوصية الشخصية، والحريات السياسية، والمشاريع الحرة.

فما أقترحه هو ببساطة على النحو التالي: نحن بحاجة إلى حوار أكثر حيوية - سواء داخل حكومتنا أو عبر مجتمعنا - حول مدى استعدادنا أو قدرتنا على زيادة استثماراتنا من حيث الموارد المالية والقوى العاملة والدعم الحقيقي في مجال السياسة لخمس مهمات على الأقل:

أن نصبح أكثر فعالية في منع سفر الإرهابيين، على المستويين الدولي والمحلي
أن نصبح أكثر فعالية في حرمان الإرهابيين من الموارد التي يحتاجونها لتنفيذ أيديولوجيتهم ونشرها
أن نصبح أكثر فعالية في مواجهة استخدام الإرهابيين للإنترنت، سواء كنظام عالمي للقيادة والتحكم أو كأداة تطرف لا تنفك تزداد قوة

أن نصبح أكثر فعالية في اعتراض الإيديولوجيات الإرهابية، ولا سيما في مجال تقديم بدائل أكثر جاذبية لأفكارها الإرهابية السامة" و

أن نصبح أكثر فعالية في مساعدة المجتمعات المحلية والأسر على تحديد الأشخاص (والفئات) الأكثر عرضة لتجنيد الإرهابيين وتمكين الجهات الفاعلة المحلية من منع هؤلاء الأفراد أو الجماعات أو "إبعادهم" عن هذا المسار من خلال تدريبهم على كيفية تلبية احتياجاتهم أو مظالمهم دون اللجوء إلى العنف.

ومن المهم أن أعترف بأن الآلاف من الأشخاص الاستثنائيين والمتفانين - داخل الحكومة وعلى مستوى المجتمع المدني - يسعون جاهدين للنجاح في جميع المجالات الخمسة في الوقت الحالي. ولسوء الحظ، لا يوجد ببساطة عدد كافٍ منهم، فهم يعانون عالمياً من نقص كبير في الموارد، والأهم من ذلك، سيستفيدون من الدعم المستمر والدائم للسياسات الذي تتمتع به المقاربات الحركية المتبعة لمكافحة الإرهاب حالياً.

وخلال السنوات السبعة عشر الماضية، شهدت عمليات تحديد الإرهابيين ومهاجمتهم وكشف مخططاتهم دعماً سياسياً جوهرياً وواضحاً. ولم تكن جميع محاولاتنا لتحديد مواقعهم أو مهاجمتهم ناجحة، ولكننا تعلمنا من كل خطأ ارتكبناه. وكنا على استعداد لاستيعاب هذه النكسات، والدفاع عنها علناً ضد الانتقادات المحلية والدولية على السواء، والمثابرة لأنه كان من الضروري أن نتعلم كيف نحقق النجاح.

فإذا أردنا أن ننجح على المستوى الاستراتيجي في المجالات الخمسة غير الحركية التي حددتها، أعتقد أن الأمر سيستلزم التعهد المستدام ذاته. فنحن لا نعرف بعد جميع الوصفات، أو المناهج، أو المهارات، أو القدرات، أو النماذج التنظيمية الأنسب لتحقيق النجاح الاستراتيجي "غير الحركي"، ولن يكن من الممكن أن نتعلم كيف نكون على نفس القدر من النجاح في منع الإرهاب إلا من خلال ذلك النوع من التجارب القاسية التي كنا على استعداد لتحملها ذات مرة في رحلتنا "الحركية". وسيحدد ذلك في النهاية ما إذا كان باستطاعتنا تعلم كيفية منع تجنيد إرهابيين جدد، وإذا كنا قادرين على قتلهم أو القبض عليهم حالياً.

الفساد... الطوفان القادم!

*د. عبد الحميد الأنصاري

صحيفة (الجريدة) الكويتية : ٢٠١٨/٧/١٦

يقول المولى عز وجل في محكم كتابه "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ"، وفي حوار لا تنقصه الصراحة مع رؤساء تحرير الصحف، كشف رئيس هيئة الرقابة الإدارية والشفافية بدولة قطر، السيد حمد بن ناصر المسند، عن الآليات التي تتم بها الرقابة الإدارية على مؤسسات الدولة، موضحاً أن دولة قطر تكافح الفساد قبل الانضمام إلى عضوية منظمة الشفافية العالمية، مؤكداً أن الهيئة قد انتهت من وضع التصور النهائي للاستراتيجية الوطنية للنزاهة والشفافية، بالتنسيق مع جميع الجهات الوطنية، وأن الهيئة بصدد إعداد قانون الشفافية "من أين لك هذا؟" الذي يسري على كل موظف بدءاً من رئيس القسم إلى الوزير، يلتزم بتقديم تقرير عن الذمة المالية، قبل تقلده المنصب.

الفساد ظاهرة عالمية، تشمل المجتمعات المتقدمة والنامية، مع تفاوت في نسب انتشار الفساد وحجمه، وطرق كشفه ومكافحته بين المجتمعات، تبعاً لفعالية آليات الرقابة، وصرامة وحزم المسألة، ويقظة الرأي العام ومراقبته، ومدى استقلالية القضاء، والجدية في تنفيذ الأحكام ضد المفسدين، وفعالية الإعلام والصحف في تسليط الأضواء الكاشفة على بؤر الفساد وخفايش الظلام، ومدى شفافية الدولة نفسها.

ومع أن كل المجتمعات تشكو من الفساد، حتى السويد المعروفة بقيم الشفافية، أصدرت المنظمة الدولية لمكافحة الفساد، تحذيرات من زيادة الفساد فيها، بسبب تضارب المصالح، لكن تبقى ظاهرة الفساد في مجتمعاتنا العربية هي الأكبر، والأعظم تعويقاً للتنمية!

هل يمكن القضاء على الفساد؟

رغم كل الجهود العالمية في مواجهة الفساد وتطور آلياتها، وارتفاع وعي المجتمعات بآثارها المدمرة على الإنسان والتنمية، فإن قوى الفساد ما زالت أكثر قدرة على المراوغة والمقاومة، وقد كشفت منظمة الشفافية الدولية مؤخراً أن جهود أكثر من ثلثي الدول في محاربة الفساد ما زالت متعثرة، بالرغم من أن عبارة "مكافحة الفساد" الأكثر تداولاً على لسان المسؤولين فيها! ويبدو أن الفساد كظاهرة اجتماعية قديمة ملازمة للإنسان منذ وجوده على الأرض ستبقى تحدياً مستمراً تواجه البشرية، رغم تطورها المعرفي والإنساني، وذلك لحكمة إلهية عليا، تحفز قوى الخير والإصلاح لبذل مزيد من الجهود في مواجهته، كما يحدثنا القرآن الكريم

عن بدايات الخلق، عندما تساءل الملائكة "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ".

شكاوى الفساد

الشكاوى من الفساد كثيرة، أشهرها المقولة البليغة لسمو أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد، عندما كان رئيساً للوزراء عام ٢٠٠٤، والتي ذهبت مثلاً "فساد البلدية ما تشيله البعارين"، وهذه الشكاوى منها: الجدية المسندة بالأدلة وأصدر القضاء فيها أحكاماً، كالحكم الصادر على رئيس الوزراء الباكستاني السابق.

وحكم القضاء الألماني بتسليم زعيم كتالونيا السابق إلى مدريد في قضية اختلاس أموال، ومنها ما زال محل تحقيق: كاتهام رئيس وزراء ماليزيا السابق الذي تم القبض عليه ومنعه من السفر ومصادرة أمواله، ومنها دعاوى الفساد الكيدية أو السياسية أو للتظاهر بالحرص على المال العام، تكسباً شعبياً رخيصاً، وتوظيفاً لشعار مكافحة الفساد لغايات سياسية.

وما أكثر دعاوى الفساد، وما أقل جديتها وجدواها! ولعل الأحكام التي أصدرتها محكمة التمييز الكويتية بعد ٧ سنوات من درجات التقاضي، في قضية الأربعاء الأسود التي تعد أطول قضية، توافرت لها أعلى ضمانات العدالة، وأكبر مرافعات الدفاع عن المتهمين، بحق الذين اقتحموا قاعة عبدالله السالم وخربوا ودمروا وأثاروا فزعاً، ولم يكتفوا بذلك بل اعتدوا على رجال الشرطة والأمن، ولم يراعوا حرمة المجلس، فأدانته بعضهم وبرأت بعض الشباب المضللين، تعد نموذجاً بارزاً لاتهامات الفساد المضللة!

اليوم يطالب زعماء التحريض الفارون سمو أمير الكويت بالعفو بحجة: ما أخطأنا... إن أردنا إلا إصلاحاً ومكافحة للفساد! ولو صدقوا لعادوا وسلموا أنفسهم وتابوا واسترحموا.

ختاماً: لا يمكن القضاء على الفساد، ويمكن ملاحقته وتحجيمه، لكن أخطر أنواع الفساد عندما يكون "مشرعناً"، وأعظمه حين يصبح "ثقافة مجتمعية"، عندئذ انتظر الطوفان القادم.

* كاتب قطري

وسائل الانفصال الاجتماعي

*د. محمد الحسيني

مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية: ٢٠١٨/٧/١٦

إن الصورة لهي تعبير عن حالة من الانفصال بين كل أفراد المجتمع الصغير والكبير داخل البيت الواحد والأسرة الواحدة، وكذلك الانفصال عن باقي المجتمع ككل، فكل من في الصورة يهرب إلى عالم لا مسؤولية فيه يتحدث من خلف الستار حيث لا مراجعات ولا حدود للكلام ولا قيود تحكم تصرفاته ما بين علاقات مشروعة ومشاهد مباحة وغير مباحة وعبارات خارجة أو مزيفة، عالم غير محدود يستقي منه معلوماته ويبنى فيه علاقاته ويتمنى فيه أحلامه ويفرغ فيه شحناته وغرائزه ويعبر فيه عن أفكاره وغاياته ومقاصده، انتهى دور الوالد القدوة فلا قدوة ولا التزامات ولا مسؤوليات بل ويتوفر لديه كل ما يريد من المعلومات الآنية اللحظية على مستوى العالم وكذلك عنده المصادر لكل المعلومات والمفردات وكأنه عفريت المصباح ما عليك إلا أن تخبره بما تريد ويحقق لك، ومن منا لا يريد ذلك في حياته وما يجده منتقص في حياته اليومية يتوفر لديه في هذه الشاشة الصغيرة التي تشكل كل حياته وعالمه الذي يهرب إليه.

وكذلك بالنسبة للأنثى فهو يحقق لها كل ما تتمناه وكل ما تحتاجه وفق آخر الصيحات والتحديثات في اللحظة ذاتها وبضغطة زر واحدة تستطيع أن تطلب ما تريد وعلى شركات التوصيل تولي باقي المهمة...

غير أن الفتاة المسكينة سرعان ما تجد نفسها محاطة بكل أنواع الذئاب والمغرضين، وما أن يعرفوا أن الجنس أنثى حتى يأتي كل صاحب مرض أو مطعم ويداعب المشاعر بالكلمات والتعبيرات غير المناسبة باسم الدين تارة، وباسم العلم تارة أخرى، وما أكثر مداخل الإقناع وهي ما بين الاستجابة للأغراء واللعب بالمشاعر فتتقلب بشكل مستمر، فهي تحاكي وتتحاكي وتباهي وتتباهي أو أنها ودون أن تقصد تظهر صورة البيت الداخلية على المشاع لتصبح متاحة للجميع ولمن أراد أن يعرف ماذا نأكل؟ وكيف نطبخ؟ وكيف نعيش؟ بل قد يعرف الحالة النفسية والاجتماعية التي تسود البيت.

ونأتي هنا للأولاد الذين يعيشون ما بين الإفراط والتفريط في التربية والاهتمام والرعاية، والانشغال عنهم، أو انشغالهم بالألعاب والبرامج التي هي أيضا تخطط وترمج عقلياتهم وتساهم بصورة كبيرة في تشكيل شخصياتهم المستقبلية. فيهربون إلى عالم خفي طيب في ظاهره مرعب في باطنه "تتولى إدارته مؤسسات عالمية تستفيد من كل هذه المعلومات لتحدد الشرائح الاجتماعية والفئات العمرية وحالتهم النفسية، وبناء عليها تحدد نوع السلوكيات التسويقية والاجتماعية والفكرية والسياسية وتقوم بتحديد المجموعات وفق هذه التقسيمات المحددة، ثم تقوم وفق هذه التقسيمات بالتغذية المستدامة وفي صور خفية مبسطة تسمى بالرسائل الضمنية، وتبعث لكل فئة نفسية وفق هذه التقسيمات ما يناسبها من رسائل وبرامج.

فهي تحدد لهذه الشرائح المجتمعية شخصياتها ومتطلباتها واحتياجاتها، وتفتح قنوات أخرى وشبكات خفية كبرى تجسسيه على هذه المجتمعات "لتقوم بتجميعها وتخزينها وتحليلها وتشفيرها والخروج بالتقارير للجهات المخابراتية العالمية ذات الاهتمام. فهذه الأجهزة الذكية تخدمهم أكثر من الجواسيس والعملاء أصحاب الطريقة التقليدية القديمة فقد أصبحت مهمتهم ثانوية هذه الأيام، حيث يوجد جاسوس في جيب كل مواطن، وداخل كل أسرة وفي كل منطقة وكل مدينة وكل دولة فما حاجتهم بعد ذلك للعملاء والجواسيس؟!

إنه الخطر الأعظم الذي يغفل عنه مستخدمي هذه الأجهزة وهذه البرامج المجانية، وبقصد أو بغير قصد تضعها المؤسسات المشبوهة في متناول الجماهير والجماعات وكافة الفئات "لتتيح الفرصة للقراصنة في السطو على عقول وإرادة ووعي ولا وعي الجماهير" وهذا ما يفسر السلوكيات الأخيرة للتغيرات التي طرأت على الشعوب حيث أن هذه البرامج والتي تتوفر مجاناً في الميديا بكل أنواعها بدأ من التليفزيون والسينما، والآن بين يدي كل فرد في الأسرة قادر على حمل الجهاز وفتحه فقط وهم يتولون بعد ذلك إدارة المشهد داخل الدماغ وداخل الدول والمجتمعات.

فلا بد لهذه الأمة من وعي مضاد لما يحاك لها من مؤامرات، عليه يجب أن تقدم البرامج التي تقوم على صناعة الوعي بدءاً من كشف هذه الألعاب وانتهاء ببناء برامج خاصة بها، لها أهدافها وأغراضها التي تحقق الرقي الفكري المطلوب. ومن ثم العودة بهذه الأمة إلى رشدها وحمل رايتها وتولي قيادتها من جديد ولعلنا في قادمات الأيام نكون قد امتلكننا أزمة الإعلام والإعلان وما ذلك على الله بعزيز.

رؤية التعصب الكروي

*د. عبدالعزيز المقالح

صحيفة (الخليج) الاماراتية: ٢٠١٨/٧/١٦

التعصب واحد من الآفات المقيتة التي تنخر كيانات المجتمعات، بما فيها تلك التي أحرزت نصيباً وافراً من المعرفة، وحقت تقدماً مبهرًا على طريق المدنية الحديثة. والتعصب يتجلى في صورته الأسوأ من موقف الإنسان تجاه أخيه الإنسان، بسبب لونه أو عرقه. ولم تسلم من مخاطره حتى الأنشطة التي توصف بالقوى الناعمة، كالألعاب الرياضية التي أدركها حال من التعصب كاد يفقدها طابعها الإنساني، وما كان لها من دور في التقريب بين إنسان الشرق وإنسان الغرب، وخففت أو كادت تحفف ما كان سائداً من خلافات قومية وعرقية بين أبناء الشمال الأوروبي وأبناء الجنوب الإفريقي، وتمكنت في هذا المجال، خاصة من إلغاء المسافات بين إنسان الشعوب المتقدمة وإنسان الشعوب الأخرى، التي لا تزال تعاني آثار التخلف.

وبعد غد الأحد ينتهي في مدينة موسكو مونديال عام ٢٠١٨م، بعد أن كان مناسبة للفرجة من جهة وللانفعالات المختلفة من جهة ثانية، كما نجح في إبعاد جمهور واسع من سكان هذه الأرض عن متابعة ما يجري في بعض أجزائها من حروب وما يتم استنزافه من دماء. لكن هذا المونديال بكل ما توفر له من تنظيم وما رافقه من رقابة حاسمة وحازمة لم يسلم من النقد ولا خلا من الشكاوى. والأسوأ أن التعصب كان من أبرز سماته، سواء في الميدان، أو ما كانت الفرق التنافسية تبديه من توحش وقسوة في المواجهة أو ما كان يظهره المشجعون من مواقف عدوانية واستياء كاد يتحول في بعض الأحيان إلى معارك بالأيدي والأقدام، وكأننا في ساحة حروب لا في ميدان ألعاب، لا يتوقف على الفوز فيها ما يتوقف في الحروب من تغييرات وتبدل في المواقع.

ونتذكر جميعاً أن الألعاب الرياضية، ولعبة كرة القدم، خاصة بدأت من قاعدة التمسك بالروح الرياضية واحترام كل فريق للفريق المنافس واعتباره طرفاً ضرورياً لنجاح اللعبة وليس خصماً ينبغي الانتقام منه وتركيعه، إرضاءً لنزوة ذاتية وشعور عدائي مسبق، تتحول معه كرة القدم إلى صاروخ معدّ للانفجار في وجه الخصم، وتدمير تحصيناته. وإذا ما استمر هذا الحال على ما هو عليه، فإن مستقبل هذا النوع من الرياضة معرض لخطر الإلغاء، أو الوصول ببعض الفرق ذات المستوى الحضاري إلى عدم المشاركة، حفاظاً على اللاعبين وأخلاقياتهم وحرصاً على الدور المسالم والعقلاني من جانب المشجعين الذين يسهمون في تسخين الملعب لا إحراقه.

وإذا كانت ألعاب كرة القدم الخالية من التعصب قد أدت إلى فتح جسور بين بعض الشعوب بعد سنوات من القطيعة والخصام السياسي، فإن بعضاً من هذه الألعاب قد أدت إلى قيام حروب وإلى إيجاد حالة من النفور والعداء بين شعوب أخرى، وهو ما يستدعي من القائمين على هذه الأنشطة قدراً من الوعي والتركيز على دراسة العوامل الاجتماعية والنفسية التي أدت إلى مثل هذا التحول المثير للقلق، وإلى التعصب الخارج عن نطاق ما كان سائداً في هذا المجال خلال العقود الأولى من القرن العشرين، قبل أن تنحدر القيم ويطفو التعصب بكل أشكاله وألوانه وتداعياته المقيتة.

abdulazizalmaqaleh@hotmail.com

التصريحات الافتتاحية للرئيس ترامب والرئيس الروسي بوتين في المؤتمر الصحفي المشترك

القصر الرئاسي - هلسنكي، فنلندا ١٦ تموز/يوليو ٢٠١٨

البيت الأبيض /مكتب السكرتير الصحفي : ٢٠١٨/٧/١٧

الرئيس بوتين:

السيد الرئيس المحترم، السيدات والسادة.

لقد تمت المفاوضات مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية دونالد ترامب في جو صريح ومحترف. وأعتقد أنه يمكننا أن نصف هذه الجولة من المفاوضات بالناجحة والمثمرة للغاية.

لقد حللنا بدقة الوضع الحالي - حللنا حاضر ومستقبل العلاقة بين الولايات المتحدة وروسيا والقضايا الرئيسية للأجندة العالمية. ومن الواضح للجميع أن العلاقة الثنائية تمر بمرحلة معقدة، لكن هذه المعوقات والتوتر الحالي والجو المتوتر ليس لها سبب قوي ورائها.

إن الحرب الباردة هي شيء من الماضي، وعصر المواجهة الأيدلوجية بين البلدين هو أمر من الماضي البعيد، والوضع قد تغير في العالم بشكل كبير.

اليوم، تواجه كل من روسيا والولايات المتحدة مجموعة جديدة من التحديات، ومن بينها عدم التكيف الخطير للآليات اللازمة على الحفاظ على الأمن والاستقرار الدوليين والأزمات الإقليمية والتهديدات المتزايدة للإرهاب والجريمة العابرة للحدود الوطنية، والمشكلات في الاقتصاد والمخاطر البيئية والتحديات الأخرى التي تسير ككرة الثلج. لا يمكننا مواجهة هذه التحديات إلا إذا قمنا بتوحيد صفوفنا وعملنا سوياً. ويحدونا الأمل أن نصل إلى هذا الفهم مع شركائنا الأمريكيين.

ومفاوضات اليوم تعكس رغبتنا المشتركة مع الرئيس ترامب لمعالجة الوضع السلبي والعلاقة الثنائية، وترسم معالم الخطوات الأولى لتحسين لهذه العلاقة لاستعادة مستوى مقبول من الثقة والعودة إلى المستوى السابق للتفاعل حول كل القضايا المشتركة.

وبوصفنا دول نووية كبرى، فنحن نتحمل مسؤولية خاصة في الحفاظ على الأمن الدولي. وقد جعلنا ذلك أمر أساسياً - كما ذكرنا في هذه المفاوضات، وأمر مهم أن نحسن حوارنا على الاستقرار الإقليمي والأمن العالمي ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل. وقد قدمنا إلى زملائنا الأمريكيين مذكرة تضم عدداً من المقترحات المحددة.

نحن نؤمن أنه من الضروري العمل سوياً للمزيد من التفاعل حول أجندة نزع السلاح والتعاون العسكري والفني. وهذا يتضمن تمديد معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية الهجومية. والوضع خطير فيما يتعلق بالمنظومة الأمريكية العالمية المضادة للصواريخ والقضايا المتعلقة بتنفيذ معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى، وبالطبع أجندة عدم نشر الأسلحة في الفضاء الخارجي.

ونحن نؤيد التعاون المستمر في مكافحة الإرهاب والحفاظ على الأمن السيبراني. وأود أن أشير على وجه التحديد أن أجهزتنا الخاصة تتعاون بشكل ناجح جداً، وأحدث مثال على ذلك هو التعاون التشغيلي في بطولة كأس العالم التي انتهت مؤخراً. بشكل عام، فإن الاتصالات بين أجهزتنا الخاصة يجب أن تعمم على نطاق واسع ويجب أن تتطور إلى إطار منهجي. وأذكر الرئيس ترامب هنا بالمقترح لإعادة تأسيس مجموعة العمل لمكافحة الإرهاب.

ذكرنا أيضاً مجموعة من الأزمات الإقليمية. ليس دائماً أن تتوافق مواقفنا تماماً، ومع ذلك فإن هناك الكثير من المصالح المتداخلة والمشاركة. وعلينا أن نبحث عن نقاط الاتصال ونتفاعل بشكل وثيق أكبر في المنتديات الدولية المتنوعة.

وبشكل واضح ونحن نذكر الأزمات الإقليمية، فإن سوريا هي واحدة من هذه القضايا. وبقدر تعلق الأمر بسوريا فإن مهمة إرساء السلام والمصالحة في ذلك البلد يمكن أن تكون مثل يحتذى به للعمل المشترك الناجح. ومن الواضح أن روسيا والولايات المتحدة يمكنهما أن يعملان بشكل استباقي وقيادي حول هذه القضية وينسقان التفاعل للتغلب على الأزمة الإنسانية ومساعدة اللاجئين السوريين للعودة إلى ديارهم.

ومن أجل تحقيق هذا المستوى من التعاون الناجح في سوريا، فإن لدينا كل العناصر المطلوبة. دعوني أذكركم بأن الجيشين الروسي والأمريكي قد اكتسبا على خبرة مفيدة في تنسيق العمل وأسساً قنوات اتصال عملياتية ولتي تسمح لهم بتجنب الحوادث الخطيرة والتصادم غير المقصود في الجو وعلى الأرض.

وأيضاً فيما يخص سحق الإرهابيين في جنوب غرب سوريا – الجنوب السوري – فإنه يجب أن يكون ضمن إطار الامتثال التام لمعاهدة عام ١٩٧٤ لفصل القوات – فصل القوات في إسرائيل وسوريا. ومن شأن هذا أن يجلب السلام إلى مرتفعات الجولان والمزيد من السلام في العلاقة بين سوريا وإسرائيل ويوفر الأمن كذلك لدولة إسرائيل.

ولقد أولى السيد الرئيس عناية خاصة إلى هذه القضية خلال مفاوضات اليوم، وأود أن أؤكد أن روسيا هي مهتمة بهذا التطوير وستعمل بناء على ذلك. وحتى الآن سنقوم باتخاذ خطوة نحو خلق سلام دائم امتثالاً بقرارات مجلس الأمن الدولي ذات الصلة، ومنها القرار ٢٣٨ على سبيل المثال.

ونحن سعداء أن قضية كوريا الشمالية بدأت طريقها للحل. وكان ذلك ممكناً لحد كبير بفضل المشاركة الشخصية للرئيس ترامب الذي اختار الحوار بدلاً من المواجهة.

وكما تعلمون، ذكرنا أيضاً قلقنا حول انسحاب الولايات المتحدة من اتفاق خطة العمل المشتركة الشاملة (الاتفاق النووي)، ونظرنا الأمريكيون هم على دراية بموقفنا. واسمحوا لي أن أذكركم أنه بفضل الاتفاق النووي الإيراني، فإن إيران أصبحت مثلاً للدولة الأكثر التزاماً في العالم وخضعت إلى رقابة الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وهي تضمن بفعالية الطبيعة السلمية لبرنامجها النووي وتعزز منع انتشار الأسلحة النووية.

وفي الوقت الذي ذكرنا فيه الأزمة الداخلية في أوكرانيا، فقد أولينا اهتماماً خاصاً للتنفيذ الحقيقي لاتفاقات مينسك من قبل كييف. ويمكن للولايات المتحدة في الوقت نفسه أن تكون أكثر حسماً في دفع القيادة الأوكرانية وتشجيعها على العمل بشكل فاعل في هذا الشأن. كما أولينا عناية خاصة للعلاقات الاقتصادية والتعاون الاقتصادي. ومن الواضح أن كلا البلدين وقطع الأعمال في كلا البلدين يهتمان بذلك.

وقد كان الوفد الأمريكي هو واحد من أكبر الوفود في منتدى سانت بطرسبورغ الاقتصادي. وقد ضم أكثر من ٥٠٠ ممثلاً من قطاع الأعمال الأمريكي. وقد اتفقنا أنا والرئيس ترامب على خلق مجموعة عمل عالية المستوى لجمع كبار قادة الأعمال في الولايات المتحدة وروسيا. وفوق كل شيء فإن رجال ورود الأعمال هم أدرى بكيفية خلق تعاون أعمال ناجح، وسندعهم يفكرون ويقدمون المقترحات وأفكار بهذا الخصوص.

ومرة أخرى، ذكر السيد الرئيس قضية التدخل الروسي المزعوم في الانتخابات الأمريكية، وكان لزاماً عليّ أن أعيد قول الأشياء التي ذكرتها مرات عديدة من قبل، بما في ذلك في اتصالاتنا الخاصة، بأن الدولة الروسية لم تتدخل أبداً ولن تتدخل في الشؤون الأمريكية الخاصة، بما في ذلك عملية الانتخابات.

وفي حالة حدوث أي أمور محددة، فإننا مستعدون لتحليلها معاً. وعلى سبيل المثال، يمكننا أن نحلل تلك الأمور من خلال مجموعة العمل المشتركة للأمن السيبراني، وقد ذكرنا تأسيسها في اتصالاتنا السابقة.

ومن الواضح، أن الوقت قد حان لإعادة تعاوننا في المجالات الثقافية والإنسانية، وبقدر ما أعتقد – أظن أنكم تعرفون أننا قد استضيفنا مؤخراً وفد من الكونغرس الأمريكي، وأعتبر ذلك وتم تصويره كحدث تاريخي، بينما الأمر يجب أن يكون مجرد شأن اعتيادي وحدث معتاد. وقد ذكرنا هذا الاقتراح إلى الرئيس حول هذا الصدد.

لكن علينا أن نفكر في الجوانب العملية لتعاوننا والمنطق الكامن من ورائها. وقد تباحثنا مع الخبراء حول علاقتنا الثنائية الذين هم على إطلاع على تاريخ وخلفية هذه العلاقة. والفكرة هي أن نخلق مجلس خبراء يضم علماء سياسة ودبلوماسيين كبار وخبراء عسكريين سابقين من كلا البلدين ليبحثوا عن نقاط الاتصال بين البلدين وينظروا في طرق وضع العلاقة على مسار للنمو.

وبشكل عام، فأنا سعيداء بنتائج اجتماعنا الشامل الأول لأننا لم يكن لدينا سوى فرصة الحديث بشكل موجز في المنتديات السابقة. وقد أجرينا محادثات جيدة مع الرئيس ترامب، وآمل أن نبدأ في فهم بعضنا البعض بشكل أفضل. وأنا ممتن لدونالد على ذلك.

بالطبع هناك بعض التحديات التي لم نتتمكن من حلقتها، لكنني أعتقد أننا قمنا بخطوة مهمة في هذا الاتجاه. وفي الختام، أود أن أشير أن جو التعاون هو شيء نحن ممتون له بشكل خاص من مضيفينا الفنلنديين. ونحن ممتون للشعب الفنلندي والقيادة الفنلندية على ما فعلوه. أعلم أن قد تسببنا ببعض الازعاج لفنلندا. ونعتذر على ذلك.

وشكرا لإصغائكم.

الرئيس ترامب:

شكرا. لقد اختتمت للتو لقاء مع الرئيس بوتين حول مجموعة واسعة من القضايا الحساسة للبلدين. وكان لنا حوار مباشر ومفتوح ومثمر للغاية. وقد سارت المحادثات على ما يرام. قبل أن أبدأ، أود أن أشكر رئيس فنلندا نيينيستو على استضافته الكريمة لقمة اليوم. وقد تكلمنا أن والرئيس بوتين كم كانت الضيافة جميلة والعمل الكبير الذي قاموا به.

وأود أن أهنأ أيضا روسيا والرئيس بوتين على عملهم الممتاز في استضافة بطولة كأس العالم. كأن حقا واحدا من أفضل البطولات على الإطلاق وفريقكم أبلى بلاء حسنا. كان عملا رائعا.

أنا هنا اليوم لمواصلة تقليدينا التي نفخر بها في الدبلوماسية الأمريكية الجريئة. ومنذ الأيام الأولى لجمهوريتنا، فهم القادة الأمريكيون أن الدبلوماسية والحوار هما أفضل من المواجهة والعداء. والحوار المثمر لا يعود بالنفع للولايات المتحدة وروسيا فحسب، بل وكذلك للعالم كله.

إن الخلافات بين بلدينا هي معروفة للجميع، وقد ناقشنا أنا والرئيس بوتين هذه الاختلافات بشكل مطول. وإذا كان لنا أن نحل العديد من المشاكل التي تواجه العالم، فأنا علينا أن نجد السبل للتعاون في السعي وراء تحقيق المصالح المشتركة.

كثيرا ما شهدنا في الماضي البعيد والقريب النتائج المترتبة على ترك الدبلوماسية. وقد شهدنا أيضا فوائد التعاون. وقد حارب بلدينا في القرن الماضي جنبا إلى جنب في الحرب العالمية الثانية. وحتى خلال توتر الحرب الباردة عندما كان العالم يختلف عما هو الآن، استطاع البلدين على الحفاظ على حوار قوي.

لكن علاقتنا لم تكن أسوأ مما هي عليه الآن. ومع ذلك، فأنا الأمر قد تغير خلال أربع ساعات. أنا حقا أعتقد ذلك. لا شيء أسهل سياسيا من رفض عقد اللقاءات والانخراط في الحوار. لكن ذلك لن يحقق شيئا. وبصفتي رئيسا، لا يمكنني أن اتخذ القرارات بشأن السياسية في مسعى عقيم لإرضاء النقاد الحزبيين ووسائل الإعلام أو الديمقراطيين الذين لا يريدون فعل أي شيء سوى المقاومة والعرقلة.

إن الحوار البناء بين الولايات المتحدة وروسيا يتيح لنا الفرصة لفتح مسارات جديدة نحو السلام والاستقرار في العالم. وأنا أفضل أن أخاطر سياسيا في السعي نحو السلام بدلا من المخاطرة بالسلام في اللهث وراء السياسة. وسأضع دوما كرئيس ما هو أفضل للولايات المتحدة وما هو أفضل للشعب الأمريكي.

وخلال لقاء اليوم، تحدثت إلى الرئيس بوتين مباشرة حول موضوع التدخل الروسي في انتخاباتنا. وقد شعرت أنه من الأفضل أن أوصل الرسالة مباشرة. وقد امضينا وقتا كبيرا في الحديث حول ذلك، والرئيس بوتين قد يرغب كثيرا وبقوة في معالجة ذلك، لأن يشعر بقوة حول ذلك الأمر، ولديه فكرة جديرة بالاهتمام.

كما ناقشنا أحد أهم التحديات التي تواجه الإنسانية وهي مسألة انتشار الأسلحة النووية. وقد قدمت تحديثا حول لقائي في الشهر الماضي مع الزعيم كيم حول نزع الأسلحة النووية في كوريا الشمالية. وأنا واثق أنه بعد هذا اليوم فإن الرئيس بوتين وروسيا يرغبان برؤية نهاية لهذه المشكلة. وهم سيقومون بالعمل معنا، وأنا أقدر هذا الالتزام.

وقد ناقشنا معا آفة الإرهاب الإسلامي الراديكالي. وقد عانت كلا من روسيا والولايات المتحدة من الهجمات الإرهابية المروعة، وقد وافقنا على الحفاظ على إبقاء الاتصال مفتوحا بين أجهزتنا الأمنية من أجل حماية مواطنينا من هذا الخطر العالمي.

وفي العام الماضي، أبلغنا روسيا عن هجوم مخطط في سانت بطرسبرغ، وتمكنه من إيقافه قبل حدوثه، وعثروا على المخططين وأوقفوهم. لا يوجد أدنى شك حول ذلك. وأنا أقدر اتصال الرئيس بوتين لشكرنا على ذلك.

كما شددت أيضا على أهمية ممارسة الضغوط على إيران لوقف طموحاتها النووية وقف حملة العنف التي تقودها عبر المنطقة في الشرق الأوسط.

وكما ناقشنا بإسهاب فإن الأزمة في سوريا هي أزمة معقدة، والتعاون بين البلدين قد يساهم في إنقاذ مئات الآلاف من الأرواح. وكما أوضحت أن الولايات المتحدة لن تسمح لإيران في الاستفادة من حملتنا الناجحة ضد تنظيم داعش، حيث تمكننا للتو من القضاء عليه في المنطقة.

كما اتفقنا أن يجتمع ممثلينا من مجالسنا للأمن القومي لمتابعة كل هذه القضايا التي ناقشناها اليوم ومواصلة التقدم الذي بدأناه هنا في هلسنكي.

واجتماع اليوم هو مجرد بداية لعملية أطول، لكننا بدأنا الخطوات الأولى نحو مستقبل أكثر إشراقا يسود فيه الحوار القوي والتفكير المليء. وبينما تقوم توقعاتنا على الواقعية فإن آمالنا قائمة على رغبة الولايات المتحدة في الصداقة والتعاون والسلام. وأعتقد أنني أستطيع هنا أن أتحدث بالنيابة عن روسيا عندما أقول ذلك عنها.

سيادة الرئيس بوتين أود أن أشكر مرة أخرى على الانضمام إليّ اليوم لعقد هذه المناقشات المهمة وعلى تعزيز الحوار المفتوح بين الولايات المتحدة وروسيا. واجتماعنا هو مواصلة للتقاليد الطويلة من الدبلوماسية بين الولايات المتحدة وروسيا من أجل الخير الأعم للجميع.

لقد كان هذا اليوم يوما بناء للغاية. ومن مصلحة كلا البلدين مواصلة الحوار وقد وافقنا على عمل ذلك. وأنا متأكد من أننا سنجتمع مجددا في المستقبل كثيرا، وآمل أن نحل كل مشكلة من المشكلات التي ناقشناها هذا اليوم.

لذا، مرة أخرى، شكرا جزيلا يا سيادة الرئيس بوتين.

تفأول بعلاقة أفضل والمساهمة في حل الأزمات العالمية

اعداد: الانصات المركزي: ٢٠١٨/٧/١٧

كشفت الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يوم الاثنين، أن القمة مع الرئيس بوتين ناقشت مسألة الانتشار النووي في العالم، واصفاً الحوار بينه وبين نظيره الروسي بالعميق والصريح.

وقال الرئيس الأمريكي إن "قمة هلسنكي مع بوتين ليست سوى بداية". وأضاف أن الحوار البناء بين روسيا وأمريكا يفتح طرقاً جديدة للسلام والاستقرار في عالمنا، مشيراً إلى أن التعاون مع روسيا ينقذ حياة مئات الآلاف من الأشخاص.

وأكد ترامب أن بلاده وبالتعاون مع العديد من الحلفاء على حافة تدمير تنظيم داعش الإرهابي في المنطقة، كاشفاً عن وجود تنسيق كبير وواضح بين قيادات الجيش الروسي والأمريكي في سبيل القضاء على داعش والإرهاب.

وطالب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب من نظيره الروسي فلاديمير بوتين بممارسة الضغوط على إيران لوقف أنشطتها وتدخلاتها في المنطقة.

وقال ترامب في مؤتمر صحفي مشترك مع بوتين في ختام قمتهما في هلسنكي، مساء الإثنين، إنه ناقش مع بوتين التدخلات الإيرانية في المنطقة وضرورة العمل سوياً من أجل وقف هذه الأنشطة الخبيثة وتدخلات طهران في المنطقة، مضيفاً أن المحادثات تناولت أهمية الضغط على إيران.

من جانبه، أكد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أن بلاده والولايات المتحدة تواجهان تحديات الأمن العالمي وزحف خطر الإرهاب وزيادة المشكلات في الاقتصاد العالمي.

وأضاف أنه من الضروري أن نقيم حواراً حول الاستقرار الاستراتيجي وعدم انتشار الأسلحة النووية. ورحب بوتين بالتعاون بين أجهزة الاستخبارات الروسية والأمريكية، خاصة في مجال الجرائم المعلوماتية، وذلك بعد محادثات أجراها مع نظيره الأمريكي.

وقال بوتين "نحن نؤيد تمديد تعاوننا في مجالي مكافحة الإرهاب ومكافحة الجرائم المعلوماتية.. أجهزتنا الاستخباراتية تحقق نجاحاً كبيراً". وأضاف أن العلاقات الأمريكية الروسية مرت بتوترات ومصاعب، نافياً تدخل موسكو في الانتخابات الأمريكية، مؤكداً أنه بلاده مستعدة للتعاون فيما يتعلق بادعاءات تدخلنا في الشؤون الداخلية الأمريكية. وأشار الرئيس الروسي إلى أنه "لا يمكننا أن نتخلى عن مصالحنا ولدينا مصالح مشتركة ونبحث عن نقاط اتصال مشتركة مع واشنطن، كاشفاً في الوقت ذاته أنه لم يتمكن من حل جميع القضايا الخلافية بين موسكو وواشنطن خلال هذه القمة".

وكشف بوتين عن أنه تم تشكيل مجلس مشترك بين رجال الأعمال الروس والأمريكيين. وقال إنه طالب بتطبيق اتفاقات مينسك بخصوص أوكرانيا، مؤكداً أن جواً من الصراحة ساد اللقاء مع ترامب.

ونفى بوتين وجود أي تسجيلات أو شيء آخر يخص نظيره الأمريكي حينما زار موسكو قبل أن يصل إلى الرئاسة، مؤكداً أن مثل هذه مجرد إشاعات وادعاءات ضد الرئيس ترامب.

وبشأن الأوضاع في سوريا، أكد الرئيس الروسي أن إحلال السلام في سوريا يمكن أن يكون مثلاً للتعاون بين موسكو وواشنطن، مشدداً على ضرورة إعادة الوضع في الجولان وفق اتفاق وقف إطلاق النار عام ١٩٧٤.

وساد التفأول اجتماع الرئيسين الروسي فلاديمير بوتين والأمريكي دونالد ترامب في العاصمة الفنلندية هلسنكي، وعكس المؤتمر الصحفي الصحفي للزعميين توافر الحد الأدنى من التفاهات، رغم تأكيدهما أن هناك الكثير من الملفات التي تحسم بعد.

وكان لافتاً تبشير الرئيس الأمريكي "بعلاقة جديدة بين البلدين ابتدأت منذ أربع ساعات" هي مدة اللقاء المغلق الذي جمع الطرفين.

واحفل الملف السوري أهمية خاصة بمباحثات الطرفين، وقال بوتين بهذا الصدد: "من الضروري، بعد دحر الإرهابيين جنوب غرب سوريا، تكييف الوضع في مرتفعات الجولان بالتوافق التام مع الاتفاق المؤرخ بالعام ١٩٧٤ حول فصل القوات الإسرائيلية والسورية".

واعتبر الرئيس الروسي أن هذا "سيتيح إعادة الهدوء إلى هذه المنطقة وإحياء نظام وقف إطلاق النار بين القوات السورية والإسرائيلية" وضمن أمن دولة إسرائيل بشكل وثيق".

وتابع بوتين موضحاً: "الرئيس ترامب أولى اهتماماً خاصاً لهذا الموضوع اليوم، وأود التأكيد على أن روسيا مهتمة بهذا التطور للأحداث وستلتزم بهذا الموقف بالضبط".

وأشار الرئيس الروسي إلى أن اتخاذ هذا الإجراء سيمثل خطوة في طريق إحلال سلام عادل وصارم في المنطقة على أساس قرار ٣٣٨ لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

وبحسب تصريحات الزعميين كان للملف السوري أهمية كبرى خلال المباحثات الخاصة التي عقدها، إلى جانب تأكيد الطرفين على أهمية رعاية "أمن إسرائيل" ضمن أية حلول وتسويات مقبلة.

وفي إطار العلاقة بين البلدين اعتبر الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب أن العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا كانت في أسوأ حالاتها قبل اليوم لكنها تحسنت بفضل هذه القمة.

وقال ترامب "على الرغم من ذلك فهذا الوضع تغير، منذ حوالي ٤ ساعات، إنني مقتنع بذلك"، وتابع: "بحثنا مجموعة من القضايا الملحة المختلفة، ذات الأهمية بالنسبة لكلا البلدين، وأجرينا حواراً منفتحاً ومثمراً".

وشدد على أن "الحوار البناء بين الولايات المتحدة وروسيا يعطي فرصة لتمهيد الطريق نحو السلام والاستقرار في العالم"، وأردف موضحاً: "الخلافاً بين بلدينا معروفة، وناقشنا اليوم بشكل مفصل مع الرئيس بوتين".

بدوره وصف الرئيس الروسي القمة مع نظيره الأمريكي بـ"الناجحة والمثمرة"، وقال إنها انعقدت في أجواء "بناءة وإيجابية"، واعتبر أنها مثلت الخطوة الأولى في "إزالة الأنقاض" عن العلاقات بين البلدين.

وأوضح بوتين: "بالطبع، مشاكل كثيرة لا تزال قائمة، ولم نتمكن من إزالة جميع الأنقاض، وهذا كان مستحيلاً، لكنني أعتقد أننا قمنا بالخطوة الأولى في هذا الاتجاه".

وتابع الرئيس الروسي: "أمل في أن نتوصل إلى فهم مشترك لهذا الأمر مع الشركاء الأمريكيين، مشدداً "عكست المحادثات، التي تم عقدها اليوم، رغبتنا المشتركة مع الرئيس ترامب في تصليح الوضع السلبي في علاقاتنا الثنائية ورسم الخطوات الأولى لمعالجتها وإعادةهما إلى الدرجة المقبولة من الثقة والعودة إلى المستوى السابق للتعاون بشأن جميع القضايا التي تمثل اهتماماً مشتركاً".

وفي غضون ذلك، دعا بوتين إلى تشكيل لجنة خبراء معنية بتطبيع العلاقات بين روسيا والولايات المتحدة، موضحاً: "الفكرة تتمثل في تشكيل لجنة خبراء ستضم محللين سياسيين روساً وأمريكيين ذوي سمعة حسنة،

وعلماء ودبلوماسيين سابقين، ومن شأن تلك اللجنة العمل على إيجاد القواسم المشتركة والتفكير في اقتياد التعاون الدولي إلى طريق التقدم الإيجابي المستدام".

وحول ملف التدخل الروسي بالانتخابات الأمريكية عام ٢٠١٦ لصالح ترامب، اقر بوتين بأنه كان "يرغب بفوز ترامب لأنه كان يتكلم عن تطبيع للعلاقات الروسية الأمريكية".

بدوره رفض ترامب الوقوف إلى جانب جهاز الاستخبارات المركزية الأمريكية، والذي اتهم روسيا بالتدخل بالانتخابات الرئاسية، قائلاً إن بوتين "كان صلباً" في إنكاره تدخل روسيا بالانتخابات وعبر عن ثقته بالجانبين، الاستخبارات الأمريكية وموسكو، لافتاً إلى أنه لا يجد أي سبب لإقدام روسيا على مثل هذه الخطوة. وحرص بوتين على تكرار القول أن روسيا "لم تتدخل إطلاقاً" في الانتخابات الأمريكية، موضحاً أن ترامب تطرق إلى هذه النقطة التي تخضع لتحقيق في الولايات المتحدة.

ودعا بوتين إلى "عدم استخدام العلاقات الروسية الأمريكية للمقايضة، في إطار الصراع السياسي الداخلي في الولايات المتحدة".

كما عرض بوتين فسح المجال أمام السلطات الأمريكية لاستجواب عناصر الاستخبارات الروس المتهمين بالتدخل في الانتخابات الأمريكية عام ٢٠١٦.

وقال في هذا الإطار "هناك اتفاق بين الولايات المتحدة وروسيا يعود إلى العام ١٩٩٩ حول التعاون في الشؤون الاجرامية، ولا يزال هذا الاتفاق ساري المفعول. وفي هذا الإطار بإمكان النيابة العامة الأمريكية إرسال طلب لاستجواب هؤلاء الأشخاص الذين تدور شبهات حولهم".

وكانت العاصمة الفنلندية هلسنكي، شهدت الإثنين، أول قمة بين الرئيس الأمريكي ونظيره الروسي. وسبق القمة أن قال ترامب إن محادثاته مع بوتين ستتناول "كل شيء بدءاً من التجارة ومروراً بالشؤون العسكرية والصواريخ (وانتهاءً بالصين.. سنتحدث قليلاً عن الصين وصديقنا المشترك الرئيس شي". ووصل بوتين إلى العاصمة الفنلندية هلسنكي، الإثنين، للقاء ترامب.

وهبطت طائرة بوتين في هلسنكي بعد نحو نصف ساعة من موعدها المقرر. واعتبر ترامب، قبيل عقد القمة، أن التوتر في علاقات البلدين مرده التحقيق الذي يجريه "إف بي آي" حول تدخل موسكو في الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام ٢٠١٦.

وقال ترامب في تغريدة عبر حسابه الرسمي على "تويتر": "علاقاتنا مع روسيا لم تكن يوماً أسوأ مما هي عليه الآن بسبب سنوات من التهور والحماسة الأمريكية، والآن الحملة السياسية"، في إشارة إلى التحقيق الذي يجريه المدعي الخاص روبرت مولر بشأن تدخل موسكو في الانتخابات الرئاسية الأمريكية.

ووجه اللوم للسياسيين الذين سبقوه، متهما إياهم بالتهور، ولمكتب التحقيقات الفيدرالي الذي اتهم تحقيقه في التدخلات الروسية بالحملة السياسية.

واتهم ترامب سلفه باراك أوباما بإهمال ملف الاختراق الإلكتروني الروسي لانتخابات ٢٠١٦. وفي تغريدة أخرى، قال ترامب إن قمة الناتو التي حضرها كانت ناجحة رغم تقارير على النقيض نشرتها وسائل الإعلام، مؤكداً أن الناتو الآن قوي وغني.

وكشف أنه تلقى اتصالات شكر من قادة الناتو لأنه دفعهم للتركيز على التزاماتهم المالية الحالية والمستقبلية. من جانبه، أعلن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قبيل لقائه ترامب أن بلاده تعرضت لنحو ٢٥ مليون هجوم إلكتروني خلال استضافتها لكأس العالم لكرة القدم دون أن يحدد مصدر هذه الهجمات أو ما إذا كان وراءها أفراد أو برامج.

وقبل ذلك، قال ترامب في مقابلة مع برنامج بريطاني إن الملكة إليزابيث الثانية "مذهلة بشكل لا يصدق". وتحدث الرئيس إلى الصحافي بيرس مورغان على متن الطائرة الرئاسية "إير فورس وان" مساء الجمعة بعد لقائه الملكة إليزابيث في قلعة وندسور.

وقال وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو إن الكرة في ملعب روسيا لتحقيق علاقات أمريكية روسية أفضل، محملا روسيا مسؤولية أفعالها "الضارة".

وكان بومبيو وصل العاصمة الفنلندية هلسنكي حيث سيلتقي والرئيس دونالد ترامب نظيريهما الروسيين. ووصل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى العاصمة الفنلندية هلسنكي للقاء نظيره الروسي فلاديمير بوتين الاثنين.

وكان الرئيس ترامب قد قال في مقابلة مع شبكة "سي بي إس" الأمريكية عشية القمة إنَّ الاتحاد الأوروبي وروسيا والصين هم خصوم للولايات المتحدة لأسباب عدة أهمها التجارة، لكنه أوضح أن هذه الدول ليست سيئة وإنما هي منافسة للولايات المتحدة.

وقال الرئيس الأمريكي في تصريحات لشبكة "سي بي إس" إن سقف توقعاته منخفض إزاء لقائه مع بوتين، وأضاف "أذهب بتوقعات محدودة".

وقال ترامب إن محادثاته مع نظيره الروسي ستتناول ملفات سورية وأوكرانيا والحد من الانتشار النووي إلى جانب التدخل الروسي في الانتخابات الرئاسية الأمريكية.

وبدأ الزعيمان اجتماعاتهما بمباحثات ثنائية يتبعها اجتماع موسع يضم وفدي البلدين في قمة استثنائية يعلق عليها الطرفان الآمال لإيجاد أرضية مشتركة للتعاون.

من جهته، قال مستشار البيت الأبيض للأمن القومي جون بولتون إن واشنطن لا تنتظر تحقيق نتائج ملموسة من القمة.

وأضاف بولتون في رده على سؤال لقناة ABC الأمريكية أنه من الصعب التصديق بأن الرئيس الروسي بوتين لم يكن يعلم بتدخل مسؤولين في استخبارات بلاده في الانتخابات الأمريكية عام ٢٠١٦.

ويأتي اللقاء فيما يستمر التحقيق حول تدخل روسيا في الانتخابات الرئاسية الأمريكية التي أجريت عام ٢٠١٦ واتهام عناصر في الاستخبارات الروسية بالتورط في القضية.

وقد تعهد ترامب بمناقشة الأمر في هلسنكي، وقال "سأطرح السؤال بالتأكيد"، مؤكدا أنه كان "متشددا مع روسيا أكثر من أي طرف آخر".

الكرة تنتهي في حضان ميلانيا

حظيت الكرة التي قدمها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى نظيره الأمريكي دونالد ترامب اهتماما اعلاميا واسعا، خصوصا انها انتهت بين يدي ميلانيا.

خلال مؤتمرهما الصحافي المشترك، قدّم بوتين إلى ترامب كرة قدم كأس العالم ٢٠١٨ هدية اليه، قائلا له: "أقدم اليك هذه الكرة. والكرة أصبحت الآن في ملعبك". وفي وقت حمل ترامب الكرة شاكرا، اضاف بوتين: "والولايات المتحدة تستضيف كأس العالم لكرة القدم سنة ٢٠٢٦".

ورد ترامب: "هذا صحيح. سنستضيفها. ونأمل في ان نقوم بعمل جيد". وتدارك: "هذه الكرة ستذهب الى ابني بارون"، ثم قذفها عفويا في اتجاه زوجته ميلانيا الجالسة في الصف الامامي قرب وزير الخارجية مايك بومبيو. وتعالى الضحك في القاعة.

تعليق: " قمة ترامب وبوتين" .. كيف تؤثر على النمط الجيوسياسي في الشرق الأوسط واوروبا؟

صحيفة (الشعب) الصينية: ٢٠١٨/٧/١٧

التقى الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، نظيره الروسي، فلاديمير بوتين، في العاصمة الفنلندية هلسنكي يوم ١٦ يوليو في اول اجتماع رسمي يجمع قادة البلدين بعد سنة ونصف من تولي ترامب منصبه. ووفقا لخبر نشرته وكالة الانباء الصينية، عقد فلاديمير بوتين ودونالد ترامب مؤتمرا صحفيا مشتركا في ختام القمة التي جمعة قادة البلدين، وقال بوتين أن الرئيسين حافظا على إجراء اتصالات دورية عبر الهاتف وخلال الاجتماعات في مختلف المناسبات، ولقد حان الوقت لإجراء نقاش عميق حول العلاقات الثنائية والشؤون الدولية الملحة. مضيفا، أن قضايا عديدة تستحق اليوم توجيه الاهتمام إليها. ومن جانبه، قال دونالد ترامب إنه سيطرح قضايا متعلقة بـ "التجارة والقوات المسلحة والصواريخ والأسلحة النووية والصين." مضيفا: "أعتقد أن لدينا فرصا كبيرة معا كبليدين لم نكن على وفاق في السنوات الماضية". وحول القمة، يعتقد المحللون في تعليق لجاو يان نشر بصحيفة الشعب اليومية، النسخة الدولية، أن حل التناقضات الهيكلية بين البلدين في اجتماع واحد صعب للغاية، لكن من المتوقع أن يطلق الجانبان اشارة التيسير من خلال النتائج الرمزية، والتي سيكون لها تأثير لاحقا على النمط الجغرافي للشرق الاوسط واوروبا.

تعاني العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا العديد من الامراض المستعصية. يعتقد المحللون أن السياسة الامريكية تجاه روسيا باتت رهينة السياسة الداخلية في امريكا، حيث أن المعارضة الداخلية تجاه روسيا شديدة للغاية. بالإضافة إلى ذلك، هناك اختلافات جوهرية بين البلدين في بناء نظام دولي. ويعتقد ديميتري سوسلوف، نائب مدير مركز الدراسات الأوروبية والدولية في كلية الاقتصاد الروسية، أن روسيا والولايات المتحدة تعيشان اليوم مواجهة منظمة، حيث أن الولايات المتحدة مترددة في التخلي عن الهيمنة العالمية، وتؤيد روسيا في انشاء نظام عالمي متعدد الأقطاب. وقد أدت الخلافات الأساسية الى خلق تناقضات ومواجهات بين البلدين حول القضية السورية والقضية الأوكرانية. لكن، تتمتع القمة الامريكية . الروسية بأهمية رمزية قوية في ظل هذه المواجهة، وتطلق اشارة إلى تحسن العلاقات بين الطرفين.

يعتبر الوضع في الشرق الاوسط وخاصة إيران وروسيا محور المناقشات بين ترامب وبوتين. يعتقد المحللون أن القمة من المتوقع أن تحقق بعض النتائج، وتحديث تغيرات جديدة في النمط الجيوسياسي في الشرق الاوسط، بالرغم من المصالح والمواقف المختلفة بشأن القضايا ذات الصلة بالمنطقة. ويعتقد الباحث الأمريكي في المجلس الأطلسي الأمريكي ستيفن سيستانوفيتش أن ترامب يتطلع إلى الحد من حجم القوات الامريكية في سوريا، ودور إيران في القضية السورية والحد من إمكانية الصراع بين إيران وإسرائيل في ظل دخول الحرب السورية مرحلة جديدة.

ومن جانبها، قالت نورهان الشيخ أستاذة العلوم السياسية بجامعة القاهرة، أن روسيا قد تقترح على الولايات المتحدة تخفيض دعمها لبعض الجماعات المسلحة السورية. وتتوقع نورهان أن يصل قادة البلدين الى توافق معين من خلال الحد من الوجود العسكري لإيران في سوريا، وفي المقابل تخفيض الولايات المتحدة العقوبات ضد إيران.

العقلية الأوروبية تجاه روسيا معقدة للغاية، من ناحية، أوروبا بحاجة الى التعاون مع روسيا في مجال الطاقة، ومن ناحية أخرى، تتعامل معها بحذر. ولم يتردد الاتحاد الأوروبي بعد اندلاع الازمة الأوكرانية في الاضرار بمصالحه الاقتصادية وانضمامه إلى الولايات المتحدة في فرض عقوبات صارمة على روسيا. ومع ذلك، فإن ارسال ترامب بعد توليه منصبه من وقت لآخر اشارات لتحسين العلاقات مع روسيا جعل الاتحاد الاوروبي يشعر باليقظة.

قال توماس فالاسيك مدير مركز كارنيغي الأوروبي أن بعض الدول الأوروبية بدأت تشعر بالقلق من تخفيف الولايات المتحدة من تواجداتها في أوروبا مثل الحد من عدد قواتها، ما قد يدفع الدول الأوروبية الى مواصلة التدريبات العسكرية في أوروبا الشرقية، ويؤدي ذلك الى تفاقم التوترات.بالإضافة إلى ذلك، فإن عدم التنسيق للمواقف بين الدول الأوروبية في العلاقات مع روسيا، قد تخلق التغيرات الجديدة في العلاقات الامريكية الروسية اختلافات جديدة داخل أوروبا. ويعتقد ديفيد كريكمانز، الأستاذ المشارك في جامعة أنتويرب في بلجيكا، أنه يجب على أوروبا أن تسعى الى "توازن سياسة القوى" بين واشنطن وموسكو، ومواجهة مشكلة عدم التماسك الداخلي الكافي الذي يعتبر أحد التحديات الرئيسية التي تواجه أوروبا.

رسالة الاتحاد الأوروبي لقمة هلسنكي: حماية النظام العالمي

وكالة فرانس برس - وكالة رويترز: ٢٠١٨/٧/١٧

عكست تصريحات قادة الاتحاد الأوروبي اهتزاز ثقتهم بالصدقة مع الإدارة الأمريكية، وفيما قال رئيس المجلس الأوروبي دونالد تاسك إن الرئيس دونالد ترامب «يشيع أخباراً كاذبة» عندما ينعت أوروبا بأنها «خصم»، اعتبرت ألمانيا أنه لم يعد بوسع أوروبا الاعتماد على ترامب، وسط مطالبة قمة هلسنكي التي جمعت بين ترامب ونظيره الروسي فلاديمير بوتين، بحماية النظام العالمي.

وصرح وزير الخارجية الألماني هايكو ماس لصحيفة «فونكه» الألمانية: «لم يعد بوسعنا الاعتماد بالكامل على البيت الأبيض.. للحفاظ على شراكتنا مع الولايات المتحدة، يجب علينا تعديلها. النتيجة الأولى الواضحة لا يمكن أن تكون إلا أننا في حاجة إلى التقارب أكثر في أوروبا»، وأضاف: «يجب ألا تترك أوروبا نفسها مقسمة».

من جانبه، كتب تاسك في تغريدة في وقت متقدم من ليل الأحد - الإثنين، خلال قمة بين الاتحاد الأوروبي والصين في بكين، من دون تسمية ترامب مباشرة: «أمريكا والاتحاد الأوروبي أعز صديقين. من يقل إننا أعداء يشيع أخباراً كاذبة». ولطالما استخدم ترامب عبارة «أخبار كاذبة» لمهاجمة وسائل الإعلام التي لا تروق له تقاريرها. وأضاف في تغريدة منفصلة إن «هلسنكي مسؤولة بشكل مشترك عن تحسين النظام العالمي وليس تدميره»، آملاً بأن «تصل هذه الرسالة إلى هلسنكي».

كما حذر تاسك، خلال لقاء مع رئيس الوزراء الصيني لي كيجيانغ، خلال القمة السنوية بين الاتحاد الأوروبي والصين، من أن التوترات التجارية قد تتحول إلى «صراع ساخن»، داعياً كلاً من الصين والولايات المتحدة وروسيا إلى «تجنب الفوضى» التي ستتأتى عن حرب تجارية. وقال: «لم يفت الأوان لتجنب النزاع والفوضى»، داعياً إلى الشروع في إصلاح منظمة التجارة العالمية. وتابع: «نعي جميعاً أن البناء العالمي يتبدل أمام أنظارنا» مشدداً على أن «العالم الذي بنيناه على مدى عقود... أتى بالسلام لأوروبا، والنمو للصين، وبنهاية الحرب الباردة».

على صلة، أكدت وزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي فيديريكا موغيريني مجدداً، أن تغيير الإدارة الأمريكية لا يعني تغيير الصداقة، مضيفاً أن أوروبا ستكون دائماً «صديقة مقربة وشريكة» لواشنطن. لكن لدى وصولها إلى إجراء محادثات مع وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي، صرحت موغيريني بأن لدى أوروبا أصدقاء آخرين كثيراً حول العالم، مثل اليابان، التي توقع معها اليوم اتفاقاً تجارياً ضخماً.

وقال وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان: «يبدو أن العالم بأسره عدو له»، مضيفاً أن تصريحات ترامب لا يجب أن تؤخذ بحرفيتها.

الهوية والحداثة.. والعولمة

*د. طيب تيزيني

صحيفة (الاتحاد) الاماراتية : ٢٠١٨/٧/١٧

نبحث الآن في ثلاثة مفاهيم مثلت أركان التحولات التي لحقت بعملية التغير والتقدم، وما زالت تقوم بهذا الفعل. والأمر يزداد اضطراباً في البلدان التي تعيش آثار ذلك من بعيد.

لقد انتشرت العولمة بكيفية كثيفة كأنها تعني مزيداً من التحولات الاقتصادية والسياسية والثقافية، التي أخذت تفتح الأبواب أمام التقدم الاقتصادي العالمي وغيره. وكتب تركي الحمد في مطلع الألفية الحالية أن عملية العولمة «هي بداية ثقافة عالمية، بغض النظر عن جذور تلك الثقافة.. فالقدرة على الجذب والتأثير هي حجر الرchy هنا، وليس مكونات الثقافة وبنيتها».

ولعلنا نجد كتابات أخرى تنحو ذلك النحو، أي القول بأن العولمة ظاهرة اقتصادية سياسية يمكن توظيفها على نحو تكون القدرة فيه «على الجذب والتأخير هي حجر الرcha، وليس مكونات الثقافة وبنيتها»، لكن الوجه الآخر من المسألة كان قد أعلن عن نفسه عبر كتابات ترى في العولمة «ما تعنيه وما تلح عليه» في سياق الظاهرة نفسها في «حقلها التجريبي الأمريكي خصوصاً». وهنا نرى النشوء الكثيف للمظاهر الاقتصادية والعلمية، متجسدة في ظاهرة «مدن المعرفة»، وغيرها من التطورات الكبرى.

لكن في سياق التحول الكبير والعميق، الذي دخل قلب المجتمع العالمي (في الولايات المتحدة مثلاً)، رحنا نواجه تلك المدن التي تتسم خصوصاً بنمط البناء الرأسمالي الأعلى، وبكل الطاقات الاقتصادية والعلمية ما يضع اليد على تحولات عظمى في اقتصاد الحداثة المتقدمة العلمية، وهذا يقربنا من الإنتاج الرأسمالي العالمي. لقد أتت الحداثة أو «ما بعد الحداثة» في صفتين متوالين متكاملين، ما يجعلنا نواجه ما بعد الحداثة العلمية، وقد أدخلت عناصر جديدة، أكثر حداثة في طابور التقدم الهائل الذي نعيشه، وما يلزمه من مفعول يتصل بمجموعة القيم التي يسعى البشر للحفاظ عليها في موكب العولمة المتجه إلى ما بعدها.

لقد كشف الفكر الغربي في محاولته التطلع إلى ما بعد العولمة، فوصل إلى نتيجة تجعل البشر يحذرونها ويعملون على تجاوزها، أي أن الإمعان في الاهتمام بما يجيء في سياق الانشغال الخطير والهائل بالأشياء، إنما هو الخسارة المفتوحة لقيم تلك الأشياء.

وبتعبير أكثر ارتداداً عن القيمة الإنسانية، يكتسب التعبير عن عالم الأشياء صيغاً تنتمي إلى «ما قبل البشر». وهنا تطل «الهوية» في فعلها، أي في ممارستها عبر عالم الأشياء، فتتحول إلى نابش في القبور بحثاً عن من أنتج هذه الأخيرة وكرّسها. وحينذاك سيبدو الأمر بمثابة تأكيد وتكريس لعالم الأشياء التي فقدت قيمها، حيث تفصح الهوية عن جذرها بعد أن تكون العولمة قد رفعت قيمة الأشياء وكرستها كعالم من تجليات «النعيم».

إن الهوية والحداثة والعولمة إن هي إلا واحدة من هذه الثلاثة فالهوية ما هي إلا الحداثة مصوغة في عالم يبحث عن العولمة، عن عولمة تحتفظ بـ«جوهر العالم والأشياء» تأكيداً على ما تبقى من الإنسان، أي «الجوهر الأخير» الذي يجد نفسه ذا هوية عولمية ذات طباع يحافظ عليها أبداً.

هكذا، يكون العالم مجموعة مفتوحة من العوالم التي فقدت هويتها وحدائتها وعولميتها، لتتحول إلى حالات هجينة، يمكن للواحدة منها أن تقوم بدور الاثنتين.

إن النظام العولمي يؤسس لما بعد عوالمنا على أنها خلاصة التاريخ، وثمرة لما أخفق فيه الإنسان، ولما ينبغي أن يكون منقذاً له.

الأحزاب التقليدية.. تنهار ذاتياً!

*توماس فريدمان

صحيفة (نيويورك تايمز) : ٢٠١٨/٧/١٧

إذا لم تكونوا قد لاحظتم بالفعل، فدعوني ألفت عنايتكم إلى أن الأحزاب السياسية الكبرى التقليدية في أنحاء العالم الصناعي تتقوض جميعاً في آن واحد، وهو أمر استثنائي إلى حد كبير. فقد انهار الحزب الجمهوري الأمريكي حتى لم يتبق منه سوى اسمه، وتحول من حزب مؤيد للعولمة والتجارة الحرة إلى حزب مؤيد للحماية ومناهض للهجرة، وذلك للتكيف مع توجهات ترامب وقاعدته الانتخابية.

وانتهت الانتخابات الإيطالية الأخيرة بسحق يسار الوسط، ليصل السلطة بدلاً منه ائتلاف من الشعبويين ينصب تركيزهم على قضايا التي تشمل التصدي للمهاجرين وإفشال الاتحاد الأوروبي.

وتحول «حزب العمال» البريطاني من يسار الوسط إلى «حزب شبه ماركسي»، بينما دفع حزب «المحافظين» إلى خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي دون خطة واضحة، وبات الآن منقسماً بشأن كيفية تطبيق ذلك الانتحار الاقتصادي الذي وعد به الناخين!

أما الديمقراطيون في الولايات المتحدة، فمنقسمون بين «بيرني ساندرز» الذي يميل للاشتراكية، وبين يسار الوسط، لكنهم متحدون معاً حتى الآن بفضل الرغبة الجامحة في هزيمة ترامب. من جانبها، استغرقت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل ٤ أشهر لتشكيل ائتلاف حكومي، بعد أن تلقى حزبها ضربة موجعة في الانتخابات، وقد يتعرض ائتلافها الهش للتفكك بسبب مسألة الهجرة. ويقود الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون حزباً وسطياً لم يكن موجوداً قبل ثلاثة أعوام مضت.

فماذا يجري؟ إجابتي باختصار: إنه تغير مناخي، إذ نمر حالياً بثلاثة تغيرات مناخية ستعيد تشكيل الأنظمة البيئية للعمل والتعليم والأوضاع الجيوسياسية والأخلاقيات والمجتمع بأساليب لم يعد يمكن للأحزاب التي بنيت على أساس الخيارات الثنائية القديمة (اليمن واليسار) استيعابها بسهولة.

ولكن كيف ذلك؟ لقد تحولنا من الحالة «الآجلة» إلى «العاجلة»، وعندما نشأت في مينيسوتا، كان يمكنني تنظيف تلك البحيرة «آجلاً»، أو إنقاذ تلك الغابة أو الطائر لاحقاً، أما اليوم فقد «انتهى الآجل»، وأصبح «عاجلاً»، وكل شيء ينبغي إنقاذه أصبح لا بد من إنقاذه الآن.. وهذا هو تغير المناخ.

ونخوض الآن تغيراً في مناخ العولمة، فنتحول من عالم مترابط إلى عالم متساند، وفي ذلك العالم المستقل يمكن أن يقضي عليك أصدقاؤك أسرع من أعدائك. فإذا انهارت البنوك في اليونان أو إيطاليا، وهما عضوان في

«الناتو»، فإن صندوق تقاعدك سيتأثر. وفي ذلك العالم الذي يعتمد فيه كلٌ على الآخر، يمكن أن يصبح انهيار منافسيك أشد خطراً من صعودهم. فإذا استحوذت الصين على ست جزر أخرى في بحر الصين الجنوبي مساءً، فلن يورقك ذلك، أما إذا خسرت الصين ٦٪ من نموها، فقد تخسر وظيفتك! وأخيراً، نخوض كذلك تغيراً في مناخ التكنولوجيا، حيث باتت الماكينات تستحوذ على كثير من المميزات الفريدة للبشر، وخصوصاً القدرة على التعلم، والتحليل والتفكير المنطقي والمناورة والعمل بصورة ذاتية. وتلك التغيرات المناخية ستعيد تشكيل النظام البيئي للعمل، وتقضي على أعداد هائلة من وظائف أصحاب المهارات المتوسطة، وسيعيد ذلك تشكيل بيئة التعلم ويجعل من مواصلة التعليم طوال العمر أساساً جديداً للتقدم.

وستفرض تلك التغيرات المناخية الثلاثة إعادة تشكيل الأوضاع الجيوسياسية، فهي مثل بركان سيعصف بالدول الضعيفة التي كانت على ما يرام أثناء الحرب الباردة، عندما كانت القوى العظمى تغدق عليها بالأسلحة والمساعدات الأجنبية. لكن معظم هذه الدول الهشة تعاني حالياً التفكك، خاصة في أمريكا اللاتينية وأفريقيا والشرق الأوسط جنوب أوروبا. فليس هناك نظام كاف، ولا أراضي مستدامة، ولا صناعة متطورة.. يمكنها حمل الناس على البقاء في مزارعها ومدنها الكبيرة. وهو ما يخلق الانقسامات الجيوسياسية في عالم اليوم، وعلى رأسها الانقسام بين عالم النظام وعالم الفوضى.

جل هذه الأوضاع جديدة وتتسارع، لكن الأحزاب الغربية الكبرى المهيمنة على المشهد السياسي منذ الحرب العالمية الثانية، كانت تميل للالتفاف حول الخيارات التقليدية الثنائية المتأرجحة بين اليمين واليسار، مثل مصالح أصحاب رؤوس الأموال مقابل العمال، والحكومة الكبيرة وتشديد القوانين مقابل الحكومة الصغيرة وتخفيف القوانين، والنظرة القومية المنغلقة مقابل النظرة العالمية المنفتحة على التجارة الحرة والهجرة، والنمو الاقتصادي مقابل حماية البيئة.

وكانت الأحزاب عموماً تميل إلى أحد الخيارات الثنائية، لكن الآن لا يمكنها استيعاب وموازنة كثير من الخيارات الجديدة التي يتوجب اتخاذها للازدهار في خضم تلك التغيرات المناخية.

لذلك نرى الآن كيف تتعاون الشركات والعمال والمثقفون والمحسنون ورواد الأعمال والعُمد.. جميعاً لبناء إمكانات محلية أكثر قدرة على التكيف، واضعين جانباً الانتماءات للأحزاب التقليدية من أجل القيام بذلك.

حروب الشرق الأوسط.. وأسباب الانتقال الى المدن

العالم الجديد : ٢٠١٨/٧/١٧

أصبحت مدن الشرق الأوسط مرادفات تراجيدية للصراعات التي تبتلي المنطقة، فأصبحت حلب اختصاراً للحرب السورية الكارثية" وأصبحت الرقة والموصل اختزالاً للمواجهات الهائلة مع "داعش"، وأصبحت مصراتة وبنغازي تجسيدا للتكرارات المختلفة للفوضى الليبية، وأصبحت عدن وتعز تكثيفاً للصراع الجاري في اليمن. اتخذ الصراع الكبير الجاري في المنطقة منعطفاً حاسماً في اتجاه المدن. وليست الحرب الحضرية جديدة كلية، لكن المدن أصبحت الآن، في عصر النشاط الدؤوب للميليشيات والمتمردين، نقطة الانطلاق الأساسية للصراعات المطولة والوحشية. وقد أصبحنا نعيش في عالم يعيد إلى الأذهان ذلك العالم القاتم الذي تنبأ به خبير التخطيط الحضري الماركسي مايك ديفيس في العام ٢٠٠٣، حيث "ليلة بعد ليلة، تطارد المروحيات الشبيهة بالدبابير الأعداء الغامضين في الشوارع الضيقة للأحياء الفقيرة في الضواحي، وتصبُ نيران الجحيم على الأكواخ أو السيارات الهاربة. وكل صباح، ترُد الأحياء الفقيرة بالمفجرين الانتحاريين والتفجيرات لتعبر عن نفسها ببلاغة".

كانت الحديدة، إحدى المدن الساحلية الرئيسية في اليمن، بسكانها البالغ عددهم ٦٠٠,٠٠٠ نسمة، هي الأخيرة في هذه السلسلة المقلقة من الصراعات الحضرية. وهناك، تحاول القوات اليمنية، مدعومة من السعودية والإمارات العربية المتحدة، القضاء على المقاتلين الحوثيين، وهم حركة تمرد زيدية تسيطر على مساحات واسعة من غرب وشمال اليمن. وقد أسفرت التماسات القوى الغربية بوقف العملية وعروض الأمم المتحدة بالتفاوض حول تسليم سلمي للميناء عن وقف مؤقت لإطلاق النار، لكن المدينة ما تزال تحت التهديد.

كانت معظم الصراعات الكبيرة في القرن العشرين ريفية في غالبيتها، حيث شكلت المعارك الحضرية، مثل معركة ستالينغراد، الاستثناء أكثر من كونها القاعدة. وقد دعا ماو تسي تونغ حرب العصابات إلى الانتقال للتواجد بين الناس بحيث تكون مثل السمكة في البحر، وكان يفكر في فلاحى الصين الريفيين. أما اليوم، فإن الجماعات المسلحة من غير الدول -مثل جماعات الثوار والميليشيات الطائفية- تجد طرقاً أكثر سهولة للاختلاط بالسكان، حيث تجمع أموالاً أكثر، وتعرقل حملات الحكومة من خلال التواجد في المدن.

أحد الدروس الرئيسية التي يمكن استخلاصها من الحروب الأخيرة هو أن حركات الثوار تميل إلى اتخاذ المدن الكثيفة ممتدة الأطراف كقواعد، والتي تزودها بدروع بشرية وبوسائل للتنمويه على أعدائها. وقد أصبحت الصراعات والمجموعات المسلحة التي تخوضها تندغم الآن في البنية التحتية للمدن وسكانها.

يشكل النمو السريع للسكان، الذي عادة ما يلقي عليه اللوم في العنف الحضري، جزءاً واحداً فقط من التفسير. وثمة عوامل جذابة أخرى للاعبين المسلحين، مستوطنة في المدن وخارجية على حد سواء، ومنها الحضور الضعيف للدولة في الأطراف الممتدة للمدن، وتوفر الاقتصادات الإجرامية العابرة للحدود الوطنية. وقد واجهت منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا عملية تحضر وتمدد لأطراف المدن، والتي كانت مستمرة وغير مدارة خلال النصف الثاني من القرن العشرين، مع ارتفاع حصة الناس الذين يعيشون في المدن من أقل من النصف في العام ١٩٨٠ إلى ما يقرب من ٦٠ في المائة في العام ٢٠٠٠.

كانت الأطراف الممتدة للمدن في المنطقة، المبتلاة سلفاً بالتوترات السياسية والطائفية، هي التي تأثرت بالصراعات بشكل خاص. وعلى سبيل المثال، تمكنت الميليشيات الشيعية المتمركزة في حي مدينة الصدر الفقير في بغداد من تحدي القوات الأمريكية خلال معظم فترة تواجد الأخيرة في العراق خلال العقد الأول من الألفية. وبقي ما

يقارب ٣ ملايين شخص هناك خارج متناول القوات الأمريكية إلى أن انخرط الجيش الأمريكي في معركة على مدى شهرين لإضعاف الميليشيا الرئيسية المحلية، جيش المهدي، في العام ٢٠٠٨.

كانت المواجهات الحضرية المطولة اتجاهاً ثابتاً في حروب الشرق الأوسط الأخيرة. وكانت أقسام من حلب، التي شكلت في السابق مركزاً صناعياً مهماً، قد سويت بالأرض تماماً خلال أربع سنوات تقريباً من القتال المتواصل من العام ٢٠١٢ وحتى ٢٠١٦، بين جماعات الثوار ونظام الرئيس السوري بشار الأسد. وفي الموصل، استخدمت "الدولة الإسلامية" الأطراف الممتدة لثاني أكبر المدن العراقية للتعويض عن افتقارها إلى الميزة العسكرية ضد عملية الجيش العراقي المدعومة من الولايات المتحدة خلال العامين ٢٠١٦ و٢٠١٧. وقد استخدم مقاتلو التنظيم المتفجرات المرتجلة، والكمائن وحواجز الشوارع، وجيشاً من الطائرات المسيّرة، لفرض انتشار الأعمال القتالية عبر كامل البنية التحتية الحضرية—وهي الاستراتيجية الوحيدة الممكنة التي كانت تسمح لهم بمقاومة نحو ١٠٥,٠٠٠ مقاتل من قوات التحالف.

كما أن المدن مربحة للمتمردين أيضاً. وقد أعطى "داعش" الأولوية لإصلاح الإدارات البلدية بعد وقت قصير من احتلال المدن مثل الموصل والرققة، وفرض جمع الضرائب وقام بإرسال المفتشين—وكذلك الشرطة الدينية—للتحقق من أن الخدمات تعمل والفواتير تُدفع. كما تم رسم دوائر التهريب العابر للحدود ليناسب المناطق الحضرية الكبيرة، وهو ما أتاح تزويد "داعش" بسهولة بالأسلحة والوقود والإمدادات الطبية. وفي مكان أبعد، تعمل مدينة كراتشي الباكستانية مترامية الأطراف كميناء رئيسي للهيروين الذي يمول التمرد في أفغانستان.

في مدينة الحديدة اليمنية، يبدو المشهد مهياً لتكرار نفس النوع من الصراع الحضري المطول أيضاً. وعلى الرغم من أن النية المعلنة للتحالف هي اقتصار عملياته على مركز المدينة، فإن المفوض السامي للاجئين في الأمم المتحدة يتوقع أن يدور القتال بالقرب من البنية التحتية الحيوية والطرق الرئيسية، والمناطق الأخرى المكتظة بالسكان. وسوف يمتد الضرر بشكل شبه مؤكد إلى خارج الحديدة نفسها: المدينة اليمنية التي تشكل "العاصمة الزراعية-الصناعية" للبلد، وأحد المحركات الحاسمة للتنمية في بلد فقير إلى حد البؤس.

ضمن هذا العنوان، حذر المانحون، والوكالات الإنسانية، وخبراء الأمن، خلال مؤتمر عقد في جنيف في العام الماضي، من أن أثر الحرب على المدن أصبح يشكل تهديداً للتنمية الدولية، ويصنع أزمة إنسانية كبيرة. وخلص المؤتمر، الذي نظمه المعهد لدولي للدراسات الاستراتيجية واللجنة الدولية للصليب الأحمر، إلى أن الآثار غير المباشرة للحرب على إعادة التأهيل طويلة الأمد للبنية التحتية الأساسية، والإنتاج الصناعي، وأسواق العمل، والأنظمة الصحية، وإمدادات الطاقة، يمكن أن تكون ضارة بالمدينين بقدر لا يقل عن الدمار المباشر الذي تحدثه القذائف وحرب البنادق.

يعني انتقال الصراع والتمرد إلى المراكز الحضرية ضرورة أن الحكومات وجيوشها واعية للحاجة الملحة إلى إعادة تأهيل الخدمات الحضرية—وعندما يكون ذلك ممكناً—الإبقاء عليها متماسكة. وقد نصحت اللجنة الدولية للصليب الأحمر الأطراف المتحاربة، على سبيل المثال، بتجنب استخدام الأسلحة المتفجرة في المناطق كثيفة السكان والابتعاد عن البنية التحتية التي ستكون حاسمة للسكان المدنيين. وهناك أسباب استراتيجية لهذا، إلى جانب الأسباب الإنسانية: حيث يمكن لعدم الاستقرار طويل الأمد والتخلف اللذين يعقبان الصراعات المسلحة أن يثيرا التوترات المحلية ويزيدا من مخاطر الانتكاسات والعودة إلى الصراع. وبينما تتوسع المدن وتتمد في كل أنحاء العالم النامي، فإن منع وإنهاء الصراعات الحضرية المطولة يشكل واحداً من التحديات الاستراتيجية والإنسانية الأكثر أهمية وحسماً في وقتنا الحاضر.

«طريق الحرير» والشرق الأوسط

*د. عبدالله الراددي

صحيفة (الشرق الأوسط) : ٢٠١٨/٧/١٧

«حزام واحد، طريق واحد»، مبادرة صينية ستعيد تشكيل التجارة العالمية، وهي برنامج اقتصادي ودبلوماسي قادر على الوصول إلى حوالي ٦٥ في المئة من سكان العالم، وحوالي ثلث الناتج المحلي الإجمالي العالمي، وحوالي ربع جميع السلع والخدمات التي يتحرك بها الاقتصاد العالمي. وهو المسار الذي سيجعل للصين نفوذاً غير مسبوق، وبنية تحتية تمتد إلى معظم دول العالم، كما سيمكنها بالتالي من السيطرة على الأسواق الناشئة.

والسؤال المطروح، على ضوء مبادرة «حزام واحد، طريق واحد»، هو: كيف سيتم تمويل كل هذه المشاريع؟

ومن جهة أخرى فقد أصبحت منطقة الشرق الأوسط للمرة الأولى جزءاً مهماً وأساسياً من الاستراتيجية العالمية للصين، حيث تتداخل المنطقة بشكل متزايد مع المملكة الوسطى في شرق آسيا، وبما أن الصين هي القوة العظمى الوحيدة التي لم ترتكب أخطاء كبيرة في سياستها حيال الشرق الأوسط وأزماته خلال السنوات العشرين الماضية، إذ ظلت بلداً سباقاً في السياسة الاقتصادية، لكنها بقيت حذرة ومحافظاً عندما يتعلق الأمر بقضايا الأمن والسياسة. لكن مع نمو دور الصين وحضورها المتزايد في الشؤون العالمية، فإن مسؤولياتها توسعت أيضاً في التأثير على الصراعات العالمية والإقليمية المتوترة، بما في ذلك صراعات الشرق الأوسط وتوتراته، والتي تؤثر على العالم بأسره. وللمرة الأولى في التاريخ، تمتلك الصين في الوقت نفسه مصالح سياسية واقتصادية وأمنية مهمة في الشرق الأوسط، لذلك فهي تعمل بحكمة على إيجاد سياسة لها، كاملة وواضحة ومتسقة، في المنطقة.

فالمفهوم الصيني للأمن القومي يتضمن إيجاد منطقة نفوذ استراتيجية في قلب نصف الكرة الغربي، وهي دائرة تتواجد فيها أوروبا بالضرورة، لذلك يجب إقصاء نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية هناك، ذلك بالضرورة من خلال التعاون مع روسيا، بحيث يشمل النفوذ الاستراتيجي الصيني السيطرة الاقتصادية، ومشاركة الولايات المتحدة هيمنتها على المحيطين الهادئ والأطلسي، والبدء على نحو هادئ في بناء قواعد خارجية لتوسيع الحدود الاستراتيجية للنفوذ الصيني، والعمل على ترسيخ القوة الناعمة الصينية، وإقامة علاقات تركز كثيراً على حقوق الترانزيت كي يسهل تحول القواعد التجارية إلى مدن صناعية ومشاريع تنمية

صينية يمكن تحولها لقواعد ذات استخدامات مختلفة، ومن ثم الوصول إلى الأسواق ومصادر الثروة في القسم الأعظم من أوراسيا.

وينظر العديد من المراقبين الصينيين إلى تصويت بريطانيا على الخروج من الاتحاد الأوروبي وفوز دونالد ترامب بانتخابات الرئاسة الأمريكية، كدليل على أن النظام الليبرالي الذي يقوده الغرب يدخل مرحلة جديدة من التقشف ستوفر مساحة أكبر للصين لتوسيع حضورها العالمي. وهو موضوع محل نقاش جاد في الصين، حيث يجادل بعض كبار علماء السياسة والمستقبليات الصينيين بأن النظام الدولي لا يزال أحادي القطب وتهيمن عليه الولايات المتحدة، بينما يعتقد آخرون أن النظام الدولي في لحظته الحالية أصبح ثنائي القطبية، في حين تعتقد مجموعة ثالثة أن النظام الدولي بات متعدد الأقطاب، مع وجود قوى رئيسية توازن بين بعضها البعض، وهو ما يبرز أهمية الشرق الأوسط في المعادلة الدولية بالنسبة للصين.

فهل هناك في المجتمع العالمي قبول بظهور الصين وترحيب بإعادة هيكلة وإصلاح النظام العالمي، خاصة فيما يتعلق بمصالح الدول النامية؟

إن بعض قرارات إدارة الرئيس ترامب، مثل الانسحاب من اتفاقية الشراكة عبر المحيط الهادئ، ومن اتفاقية باريس للمناخ.. تضيف المزيد من الوقود إلى المزاغم بأن الولايات المتحدة في حالة تراجع وأقول. لذلك يصنف العلماء الصينيون التشكيلات الدولية من حيث «الأعمدة» و«مراكز القوة»، ويستخدمون مقاييس ملموسة، مثل الناتج المحلي الإجمالي، والسكان، والقدرات الإنتاجية، والقدرات العسكرية.. لتقييم القوة النسبية للتشكيلات العالمية. ووفقاً لاعتباراتهم الدقيقة، فإن الأمة تكون «قطباً» حقيقياً فقط إذا ما امتدت قوتها عالمياً، وهو ما يحدد عدد الأعمدة، وإذا ما كان النظام أحادي القطب أم ثنائي القطب أم متعدد الأقطاب.. وذلك ما يحدد بنية مراكز القوى الأخرى حول القطبين، والتوزيع الكلي للطاقة، وكيفية عمل النظام حسب مصطلح الأدبيات السياسية الصينية التي تستخدم مصطلح «التكوين الدولي» باعتباره الأكثر تحديداً بالمقارنة مع مصطلح «النظام العالمي».

ومن منظور صيني، فقد أظهرت الأزمة المالية العالمية لعام ٢٠٠٨ أن قوة الصين آخذة في الارتفاع، وأن القوة الأمريكية آخذة في الانخفاض، وأن النظام الأحادي القطب الذي تقوده الولايات المتحدة في مرحلة انكماش وتراجع قهري، بحكم معطيات الديون العامة المتراكمة على القوى الاقتصادية الكبرى، مع تسارع الموجة الأخيرة من السياسة القومية الشعبوية في الولايات المتحدة وأوروبا، والتحولات الجارية في الهيكل السياسي الأساسي لتلك البلدان والمناطق.

تيريزا ماي تكشف النقاب عن خطة «خروج» أكثر سلاسة

فاينانشل تايمز: ٢٠١٨/٧/١٧

جورج باركر وجيم باكارد: كشفت رئيسة الوزراء البريطانية، تيريزا ماي، النقاب عن مقترحاتها بشأن علاقة المملكة المتحدة المستقبلية مع الاتحاد الأوروبي في كتاب أبيض حول البريكست (خروج بريطانيا) يبين خططا للتوصل إلى "اتفاقية ارتباط" من النوع الذي تم التوصل إليه أخيرا بين بروكسل وأوكرانيا. الكتاب الأبيض الذي تسبب الأسبوع الماضي في استقالة اثنين من الوزراء المناهضين للتكامل الأوروبي، يؤكد أن ماي تتحرك باتجاه تحقيق خروج أكثر سلاسة من الاتحاد الأوروبي، تحتفظ معه بريطانيا بعلاقات اقتصادية وثيقة مع التكتل الأوروبي.

وتهدف هذه الوثيقة المكونة من ٩٨ صفحة إلى تسريع المفاوضات في بروكسل بغية التوصل إلى اتفاق حول الخروج في الخريف المقبل. وقالت ماي إنها تريد أن تتحرك المحادثات "بوتيرة سريعة". في الوقت الذي أبدى فيه بعض الزعماء الأوروبيين ترحيبا مذهباً، لكنه مشوب بالحذر، كانت التوقعات في بروكسل – وبين مناهضي التكامل الأوروبي في حزب المحافظين – هي أن ماي ستضطر إلى تقديم مزيد من التنازلات لتلبية مطالب الاتحاد الأوروبي.

خلال حديث في قمة الناتو المنعقدة في بروكسل يوم الخميس، قال الرئيس الأمريكي دونالد ترمب إن المملكة المتحدة تتخذ "مساراً مختلفاً نوعاً ما"، مضيفاً: "لا أعلم إن كان ذلك ما صوتوا عليه". وقال قبل توجهه إلى لندن مستهلاً زيارة إلى المملكة المتحدة التي تستمر ثلاثة أيام: "قرأت كثيراً حول البريكست" على مدى الأيام القليلة الماضية ويبدو أن المسار تحول بشكل مختلف قليلاً. أصبحوا على الأقل جزئياً منخرطين من جديد مع الاتحاد الأوروبي".

في الوقت نفسه، رفض وزير البريكست الجديد، دومينيك راب، شكاوى من أعضاء البرلمان، من حزب المحافظين، تتعلق بخطة الخروج السلس التي ناقشها أعضاء مجلس الوزراء الجمعة الماضي في تشيكرز المقر الريفي لرئيسة الوزراء.

راب الذي خلف ديفيد ديفيز بعد استقالته بسبب الخطة يوم الأحد، حث الزملاء على التخلي عن أية محاولات تستهدف "إثارة أعمال شغب وتخريب في البرلمان". ويخطط بوريس جونسون، الذي استقال من منصب وزير الخارجية يوم الاثنين احتجاجاً على الخطة، يرتب الآن للخطوة التالية التي ينوي تنفيذها من خلال نواب حزب المحافظين.

الكتاب الأبيض الذي يستند إلى اتفاق تشيكرز، يؤسس إطار عمل لما يتوقع مسؤولو وايت هول أن تطلق عليه بروكسل اسم "اتفاقية ارتباط" – وهي صفقة من النوع المبرم بين الاتحاد الأوروبي وبلدان ثالثة بما فيها أوكرانيا وجورجيا، وتزويدها "بروابط مميزة" مع التكتل.

تؤكد الوثيقة أن بريطانيا ستسعى إلى إيجاد "منطقة تجارة حرة" مع الاتحاد الأوروبي خاصة بالسلع، إلى جانب خطة معقدة لإبقاء بريطانيا داخل المنطقة الجمركية الخاصة بالتكتل، لتفادي "أي احتكاك عند الحدود"، بما في ذلك مع إيرلندا.

لكن الكتاب الأبيض يعرض أيضاً مقترحات لوجود علاقة فضفاضة نوعاً ما بين المملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي حول الخدمات التي تمثل ٨٠ في المائة من الاقتصاد البريطاني. وهذا يشتمل على الخدمات المالية التي تصدرها الحي المالي في لندن.

يقول الكتاب الأبيض إن بريطانيا ستسعى لنيل الحرية "في رسم مسار خاص بها" فيما يتعلق بالخدمات، لكنه اعترف أيضا بأنه مع الاستقلالية التنظيمية سوف تحصل مشكلة لا يستهان بها. ويضيف: "ستكون هناك حواجز أكثر تحول دون وصول المملكة المتحدة إلى سوق الاتحاد الأوروبي مما هو موجود اليوم".

وسبق لميشيل بارنييه، كبير مفاوضي الاتحاد الأوروبي المسؤول عن ملف "البريكست"، أن حذر بريطانيا من أنه لا يمكنها السعي لوصول السلع إلى السوق بشكل منفرد في الوقت الذي تنأى فيه بنفسها عن ترتيبات مماثلة تتعلق بالخدمات وحرية تنقل الناس.

الميزات الرئيسية الأخرى للكتاب الأبيض تتضمن ما يأتي:

أولا، التلميح إلى نهج بريطاني سخي إزاء دخول مواطني الاتحاد الأوروبي. ينص الكتاب الأبيض على أن السياح والأشخاص المسافرين من أجل تنفيذ "أنشطة أعمال مؤقتة" ستتاح لهم حرية الدخول إلى المملكة المتحدة من غير تأشيرة.

ثانيا، التأكيد على أنه سيتم تنفيذ خطة الحكومة التي تستهدف "تسهيل الترتيبات الجمركية" بين المملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي "على مراحل". قال مسؤولون إن من الممكن أن يكون هناك تأخير بحدود ١٢ إلى ١٨ شهرا بعد نهاية فترة "البريكست" الانتقالية في كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٢٠.

ثالثا، وجود فصل يقع في أربع صفحات يقدم تفاصيل حول مقترحات للتوصل إلى "اتفاقية اقتصادية وتنظيمية" جديدة حول الخدمات المالية. وهذا يقضي على خطة ماي السابقة التي تنص على وجود نظام يستند إلى مفهوم الاعتراف المتبادل، بحيث يكون كل من الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة قد اعترف بقواعد الطرف الآخر التي تغطي المصارف ومجموعات إدارة الأموال وشركات التأمين.

رابعا، التأكيد على أن بريطانيا ستسعى إلى الحصول على العضوية في وكالات الاتحاد الأوروبي التي تشمل الملاحه والمواد الكيماوية والأدوية.

خامسا، تفاصيل حول كيفية إنفاذ اتفاقية جديدة تتعلق بالأمن والتجارة بين المملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي من خلال ترتيب مشترك، يتم بموجبه الأخذ في الحسبان القرارات والأحكام الصادرة عن محكمة العدل الأوروبية. ويمثل الكتاب الأبيض محاولة التفاوض الأولية التي تنفذها ماي في محادثات حول وجود "شراكة مستقبلية" بين المملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي، والتي من المقرر أن تصبح إعلانا سياسيا غير ملزم إضافة إلى معاهدة الانسحاب الخاصة بالبريكست.

وستبدأ المحادثات بشأن مستقبل العلاقات بجدية فقط بعد أن تغادر بريطانيا الاتحاد الأوروبي في آذار (مارس) ٢٠١٩ وتصبح "بلدا ثالثا".

وقد حذرت "مجموعة البحوث الأوروبية"، المؤيدة لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، التي يساندها نحو ٦٠ من أعضاء البرلمان من حزب المحافظين، من أن الكتاب الأبيض هو التجسيد الأخير لما تسميه المجموعة "خروج بريطانيا بالاسم فقط".

وقال جي كوبر ريس-موج، رئيس المجموعة: "هذه هي أكبر حالة استسلام سياسي منذ أن قدم الملك جون الولاء لفيليب الثاني في منطقة لو جولييه في عام ١٢٠٠. لكن أوراق هذا الكتاب الأبيض أصبحت مصفرة دون أن تحتاج إلى التقدم في العمر".

انحدار الخروج البريطاني من الاتحاد الأوروبي

*جايستيك روتوسكي

بروجيكت سنديكيت: ٢٠١٨/٧/١٧

من المرجح بشدة أن تشهد بريطانيا كارثة بسبب زيادة وعي عامة الناس بما يلوح في الأفق من تكلفة اقتصادية واجتماعية باهظة في حالة الخروج من الاتحاد الأوروبي بدون صفقة.

في البداية كانت لدى رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي خطة هي أن "خروج بريطانيا يعني خروج بريطانيا"، فقد كانت الفكرة تتمثل بانسحاب المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي بسرعة كبيرة بحيث لا يشعر المصوتون بأنهم قد تعرضوا للخداع في أثناء حملة الاستفتاء على عضوية الاتحاد الأوروبي، ومن ثم لا يعاقبون الحزب المحافظ لكذبه عليهم.

كانت الخطة هي التظاهر بأنه أيا كانت الصفقة التي يجري التفاوض بشأنها مع الاتحاد الأوروبي، فإنها ستكون خروجاً "بشروط خاصة" أو ستكون "أفضل خروج ممكن"، بما يسمح لبريطانيا بمغادرة التكتل مع الاحتفاظ بإمكانية الدخول إلى السوق الأوروبية دون قيود. ومن وجهة نظر حزبية سياسية بحتة، كانت الخطة تبدو منطقية حتى الانتخابات المبكرة في يونيو الماضي، حينما فقدت ماي أغلبيتها البرلمانية.

ومن المؤكد أن ماي أحرزت انتصاراً في الآونة الأخيرة حينما واجهت بثقة أعضاء حزب المحافظين المعارضين للخروج من الاتحاد الأوروبي في مجلس العموم، ولكن لا يكاد يكون لذلك أي أهمية، فمنذ يونيو الماضي، كانت الحياة السياسية البريطانية تدور حول المعضلة نفسها: كيف يمكن تجنب التدمير المفاجئ لكثير من الصناعات البريطانية التي تعتمد على سلاسل التوريد الأوروبية عند الحاجة دون أن تقبل أيضاً "نموذج النرويج" التي تنصاع لقواعد الاتحاد الأوروبي دون أن تكون لها أي كلمة في صياغة تلك القواعد.

ومن أجل مساعدة حكومة ماي على تجنب وقوع كارثة للصناعات البريطانية، تفضلت المفوضية الأوروبية بالموافقة على منح "فترة تنفيذ" قدرها ٢١ شهراً تلي الخروج الرسمي للمملكة المتحدة في ٢٩ مارس ٢٠١٩، وكانت الفكرة تتمثل بأن هذه الفترة ينبغي استخدامها لتسوية معظم تفاصيل العلاقة المستقبلية، إلا أن ماي أضاعت الفرصة بالفعل بمواصلة الإصرار على ما يسمى الخطوط الحمراء، التي تشمل رفض اختصاص محكمة العدل الأوروبية.

ورغم أن ماي تحاول مضاعفة فوائد التجارة غير الاحتكاكية داخل السوق الأوروبية الواحدة، فإن خطوطها الحمراء تجعل قبول المفوضية الأوروبية أمراً مستحيلاً. ونتيجة لذلك لم تحرز مفاوضات الخروج من الاتحاد الأوروبي أي تقدم، وأصبح التوصل إلى اتفاق نهائي في الوقت المناسب بشأن "يوم الخروج البريطاني" أمراً أشبه بالمستحيل. أضف إلى ذلك أنه حتى مع تأجيل "فترة التنفيذ" للخروج الاقتصادي حتى ٢٠٢١، لا يوجد وقت كافٍ لإعادة هيكلة الصناعة البريطانية لتتمكن من البقاء بعد إدخال الضوابط الحدودية المعتادة التي يجري العمل بها خارج الاتحاد الأوروبي.

ومن منطلق تنبئهم بوقوع كارثة، اقترح مناصرو البقاء في الاتحاد الأوروبي في حكومة ماي "نموذج جيرسي"، الذي بموجبه تظل الصناعة البريطانية وحدها داخل الاتحاد الجمركي للاتحاد الأوروبي وفي السوق الواحدة وفي المنطقة المشتركة لضريبة القيمة المضافة، في حين تتقلص حرية حركة العمالة والخدمات. لكن ليس لهذا الاقتراح أمل في النجاح بالنسبة إلى الاتحاد الأوروبي الذي يصر على عدم إمكانية الفصل بين "الحرية الأربع" (حرية حركة البضائع، ورأس المال، والخدمات، والعمالة).

كما أنه لا يمكن حل المسألة الشائكة المتعلقة بالحدود الأيرلندية في إطار الخطوط الحمراء التي وضعتها ماي، ففي ديسمبر، وافقت ماي على عدم وضع أي حدود مادية أو اقتصادية بين أيرلندا الشمالية وجمهورية أيرلندا، التي ستظل دولة عضواً في الاتحاد الأوروبي. لكنها وافقت أيضاً للبروتستانتين من سكان أستر على عدم وضع حدود بين أيرلندا الشمالية والبر الرئيس لبريطانيا، ولا يمكن التوفيق بين هذين الوعدين، نظراً لأنه سيلزم وجود حدود مشددة على القنال الإنكليزي. والسبيل الوحيد إذاً أمام ماي هو أن تتجنب وجود حدود مشددة مع أوروبا القارية بقبول الحريات الأربع (التي تتطلب أيضاً قبول اختصاص محكمة العدل الأوروبية).

وسواء أدركت المفوضية الأوروبية أو حكومة ماي ذلك أم لا، فإن التعارض بين هدفيهما تعارض تام، فالبريطانيون يريدون أن يتخلى الاتحاد الأوروبي عن المبادئ التي تأسس عليها في مقابل ٤٠ مليار يورو (٤٦ مليار دولار) وعدم وجود حدود مشددة مع أيرلندا، ولكن نظراً لأن المملكة المتحدة قد ألزمت نفسها بتلك الامتيازات، فليس لدى الاتحاد الأوروبي أي سبب ليستمع إلى التماسها الخاص، ولو نقضت حكومة ماي التعهدات التي قطعتها في ديسمبر فستواجه "خروجاً من الاتحاد الأوروبي بدون صفقة"، وستخرج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي، وسيصيب الدمار كثيراً من قطاعات الاقتصاد البريطاني.

ولا تزال توجد ثلاث نتائج محتملة، منها نتيجتان بسيطتان ونتيجة واحدة معقدة، فيتمثل السيناريو الأول في أن تتنازل بريطانيا عن "خطوطها الحمراء" وأن تتبنى "نموذجاً مماثلاً لنموذج النرويج"، وفي تلك الحالة، لن تظل فقط داخل السوق الواحدة لكنها ستظل أيضاً داخل الاتحاد الجمركي، أما في السيناريو الثاني، فستقبل المملكة المتحدة حدوداً اقتصادية في البحر الأيرلندي وتحتفظ بخطوطها الحمراء للبر الرئيس لبريطانيا، وذلك بإبرام اتفاقية تجارة حرة مع الاتحاد الأوروبي، ومن المفارقات أنه يمكن لكل من المفوضية الأوروبية والمتعصبين من مؤيدي الخروج أن يتفقا على هذه النتيجة بالنسبة للبر الرئيس لبريطانيا، ويُستثنى من ذلك أن مؤيدي الخروج المتعصبين يرفضون قبول وجود حدود بين البر الرئيس لبريطانيا وأيرلندا الشمالية.

وتكمن المشكلة الكبرى في أن ماي لن توافق على أي من هذين الحلين "البسيطين" قبل الموعد النهائي الذي سيحل في الخريف، كما أن النتيجة الثانية ستؤدي إلى وقوع كارثة للصناعة البريطانية، إلا إذا تم مد الفترة الانتقالية لعدة أعوام من أجل منح الكيانات التجارية مهلة لإعادة هيكلة عملياتها.

المخرج الوحيد إذاً هو من خلال كارثة سياسية، وقد تحدث تلك الكارثة داخل أوروبا نتيجة لصراعات بين الدول الأعضاء الكبرى أو لمحاولات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب تقويض الاتحاد الأوروبي، لكن تلك الكارثة الأوروبية لن تأتي في موعد مناسب بالنسبة إلى ماي ليضمن للمملكة المتحدة ككل "نموذجاً على غرار نموذج جيرسي". فمن المرجح بشدة أن تشهد بريطانيا نفسها قبل ذلك الحين كارثة بسبب زيادة وعي عامة الناس بما يلوح في الأفق من تكلفة اقتصادية واجتماعية باهظة في حالة الخروج من الاتحاد الأوروبي بدون صفقة.

وإذا اندلعت تلك الأزمة وبدأت الخطوط الحمراء لبريطانيا بالتبدد، يمكن أن يلي ذلك أي عدد من النتائج المحتملة. حيث يمكن مد الفترة الانتقالية إلى ٢٠٢٥ مثلاً ليتبعها إبرام اتفاقية تجارة حرة ووضع حدود اقتصادية في البحر الأيرلندي، أو يمكن تأجيل خروج بريطانيا نفسها لعدد من السنوات، ويكون في هذه الحالة الوصول إلى نموذج "مماثل لنموذج النرويج" هو الهدف النهائي. ومن جهة أخرى، قد يؤدي أي من هذين السيناريوهين إلى إجراء استفتاء ثانٍ وإلغاء خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي بالكلية، ومن الواضح، على أي حال، أن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وفقاً لرؤية الجانب البريطاني له حالياً، أمر مستحيل. وإذا حدث، فلن يشبه أي شيء عرضته ماي حتى الآن.

* وزير المالية البولندي ونائب رئيس الوزراء في الفترة من ٢٠٠٧ إلى ٢٠١٣.

عصر الذكاء الاصطناعي في القرن الحادي والعشرين

*هنري كيسنجر

مجلة <ذي أتلانتيك> الأمريكية : ٢٠١٨/٧/١٨

قبل ثلاث سنوات في مؤتمر تناول شؤوناً أطلسية، كان على جدول المؤتمر ندوة عن الذكاء الاصطناعي، وأوشكتُ على الانصراف - فموضوعها ليس ما درجت عليه من شواغل - ولكن ما قيل في مطلعها (الندوة) أبقاني جالساً في مقعدي. فالمتكلم وصف عمل برنامج كمبيوتر سيتحدى في القريب العاجل أبطالاً دوليين في لعبة غو، ويتفوق عليهم.

وأذهلني أن كومبيوتراً يسعه الإلمام بـ «غو»، وهي لعبة معقدة أكثر من الشطرنج: كل لاعب (أو لاعبة) ينشر ١٨٠ أو ١٨١ قطعة (وفق اللون الذي يختاره)، وتوضع هذه القطع على لوح فارغ، والفوز من نصيب من يتخذ قرارات إستراتيجية أفضل، ويشل (أو تشل) قدرة الخصم على الحركة من طريق السيطرة على الحيز. وقال المحاضر إن مثل هذه القدرة على القرار يتعذر برمجته، وإن الآلة تعلمت اللعبة من تلقاء نفسها وتدربت عليها من طريق اللعب. فالكومبيوتر لعب جولات لا تحصى من اللعبة في مواجهة نفسه، وتعلم من أخطائه، وحسّن الخوارزميات التي يستعملها على نحو ما أملت الحاجة.

وفي الأثناء، راكم مهارات تفوق مهارات أساتذته من البشر. وفي الأشهر التالية على المحاضرة هذه، تفوّق برنامج اسمه «ألفاغو» على أعظم لاعب «غو» في العالم.

ولكن ما الأثر الذي ستخلفه في التاريخ آلات تتعلم ذاتياً - آلات حازت المعرفة بواسطة عمليات خاصة بها، واستخدمت هذه المعرفة لبلوغ أهداف تعصى القدرة البشرية؟

وهل في وسع هذه الآلات تعلم التواصل في ما بينها؟

وعلى أي وجه تختار حين تبرز الخيارات؟

وهل سيلقى البشر مصير الإنكا حين جبهوا الثقافة الإسبانية التي عصيت على فهمهم وبثت الرعب في أوصالهم؟

وهل نحن أمام مرحلة جديدة من التاريخ البشري؟

ولم يخف عليّ افتقاري إلى المهارات التقنية في هذا المجال، فنظمت سلسلة نقاشات تناولت الموضوع، وتعاونت مع أصحاب الخبرات في الإنسانيات والتكنولوجيا من معارفي. فتعاضد قلقي.

وإلى اليوم، كانت الطباعة الاختراع الأبرز الذي غيّر مسار التاريخ المعاصر في القرن الخامس عشر، وعيّد الطريق أمام تربع المعرفة التجريبية محل العقيدة. فحلت البصيرة الفردية والمعرفة العلمية محل المعتقد فيصلاً في الوعي البشري. وحفظت المعلومات في مكتبات تتوسع.

وولد من عصر العقل الأفكار والأعمال التي قولبت النظام المعاصر. ولكن هذا النظام اليوم أمام اضطرابات جديدة: ثورة تكنولوجية كاسحة عجزنا عن تقدير حجمها، وذروتها قد تكون بروز عالم يحتكم إلى آلات تسير على هدي الداتا والخوارزميات - والآلات هذه في حل من معايير أخلاقية أو فلسفية.

وعصر الإنترنت، ونحن نعيش فيه، يستبق المسائل التي ستتفاقم في عصر الذكاء الاصطناعي، وهو مرآة لها.

فالأنوار أخضعت الحقائق التقليدية لتحليل المنطق البشري. والغاية من الإنترنت هي إقرار المعرفة من طريق مراكمة الداتا والتلاعب بها.

فيخسر الكُنه المعرفي طابعه البشري. ويتحول الأفراد إلى داتا فحسب، وترجح كفة هذه.

ويغلب مستخدمو الإنترنت كفة استخراج المعلومات والسيطرة عليها على كفة إدارتها في سياق أو استخلاص المفاهيم من معانيها.

ونادراً ما يُسألون التاريخ أو الفلسفة - وغالباً ما يطلبون المعلومات الوثيقة الصلة بحاجتهم الفورية. وفي هذه العملية، تكتسب خوارزميات محركات البحث القدرة على استباق ما يستسيغه الأفراد الزبائن وتوقعه، ويسع

المحركات من طريق الخوارزميات شخضنة نتائج البحث وعرضها على أطراف أخرى لغايات سياسية أو تجارية. فتصبح الحقيقة نسبية. وتهدد المعلومات بإطاحة الحكمة.

وأثر تكنولوجيا الإنترنت في السياسة بارز: إطاحة مجموعات بالغة الصغر القدرة على بلوغ إجماع على أولويات المجتمع الأوسع من طريق الانشغال بأهداف خاصة (متخصصة) أو مشاعر ضيقة.

فيفتقر القادة السياسيون أمام مد المراكز البالغة الصغر، الوقت للتفكير في سياق الأمور، ويتقلص الحيز المتاح أمامهم لصوغ رؤية. فالعالم الرقمي يرجح كفة السرعة، ويحول دون التفكير المتأنى "ويرجح كفة المتطرفين على كفة المفكرين بأناة. وترسم وجه قيمه مجموعات صغيرة وإجماعها السطحي. ومع تيسير الإنترنت وقوة البرمجيات تراكم الداتا وتحليلها، برزت آفاق أوسع غير مسبقة أمام الفهم البشري.

ولعل أبرز الآفاق هذه هو مشروع إنتاج ذكاء صناعي - أي تكنولوجيا قادرة على ابتكار مشكلات مجردة ومعقدة وحلها من طريق عمليات تحاكي عمليات العقل الإنساني. وهذا الذكاء يتجاوز الأتمتة على ما عرفناها. فالأتمتة تتناول وسائل فعل (أو صناعة) من الأفعال، وتبلغ أهدافاً محددة من طريق عقلنة أو استخدام أدوات تقنية. وعلى خلافها، الذكاء الاصطناعي يتناول الغايات" ويحدد أهدافه. فإنجازاته يساهم هو، إلى حد ما، في قولبتها.

وعمليات الذكاء الاصطناعي غير مستقرة على حال، وهي سيل لا ينقطع يتناسل من حيازة داتا جديدة وتحليلها على الفور، وتسعى إلى تطوير نفسها بناء على التحليلات هذه. وعليه، يكتسب الذكاء هذا قدرة حسبنا أنها تخص البشر فحسب.

وفي وسعه إصدار أحكام إستراتيجية وتنبؤات بعضها يستند إلى داتا حصل عليها أو كودات (قوانين اللعبة على سبيل المثال)، وبعضها يستند إلى داتا جمعها بنفسه (مثلاً جمع الداتا من طريق لعب لعبة مليون مرة). والسيارة من دون سائق هي أمارة على الفرق بين سائق بشري يسيطر على برمجية كومبيوتر وبين عالم يسعى الذكاء الاصطناعي إلى الإبحار في مياهه المتلاطمة.

فقيادة سيارة تقتضي اتخاذ قرارات في أوضاع مختلفة من العسير توقعها وبرمجتها مسبقاً. فعلى سبيل المثال، إذا كانت سيارة من غير سائق أمام ظروف تلزمها الاختيار بين صدم رجل مسن أو ولد صغير، ما هي فاعلة؟ وماذا يسوغ قرارها؟

فأي عوامل بين خياراتها ترجح كفتها؟

وهل في وسعها تعليل منطقها؟

ويرجح أن يجيب مثل هذه السيارة، إذا قيض له التواصل: «لا أعرف (لأنني ألتزم مبادئ حسابية وليس مبادئ بشرية)» أو «لن تفهم عليّ (فأنا أعددت للقيادة وفق طريقة وليس لشرحها)». ولكن هذا كله لن يحول دون هيمنة مثل هذه السيارات على الطرقات في العقد المقبل، على ما يرجح.

ولن يطول الأمر قبل أن توجه خوارزميات الذكاء الاصطناعي شطراً لا يستهان به من الأنشطة الإنسانية.

ولكن هذه الخوارزميات هي تفسيرات حسابية لداتا جمعت إثر مراقبة وملاحظة، ولا يسعها تعليل العلل التي تقف وراءها أو تنتجها (الداتا). ومع تعاظم «شفافية» العالم، يزداد غموضه.

ولكن ما أوجه اختلاف هذا العالم عن نظيره الذي خبرناه؟

وكيف سندبر الذكاء الاصطناعي ونطوره أو على الأقل كيف سنحول دون ضرره؟

وهل للذكاء الاصطناعي بعد اكتسابه ما يفوق قدرة البشر وتيرة وكفاءات أجدر من كفاءاتهم، أن يقوض الكفاءة الإنسانية والشرط الإنساني حين يتحول إلى داتا فحسب.

ومدار القلق على ثلاث مسائل:

(١) بلوغ الذكاء الاصطناعي نتائج غير مقصودة. ولطالما تخيلت أفلام الخيال العلمي سيناريوات ينقلب فيها الذكاء الاصطناعي على صانعيه.

ولكن الخطر المرجح هو أن يسيء الذكاء هذا تفسير التعليمات البشرية نتيجة الافتقار إلى سياق مضمّن. وخير مثل على ذلك جهاز ذكاء صناعي للردّشة اسمه «تاي»، وهو صنع لمحاكاة محادثات الأصدقاء وتبادل الحديث مع صاحب الجهاز بواسطة الاستناد إلى مفردات شابة في التاسعة عشرة. ولكن تبين أن الآلة عاجزة عن تحديد أوجه استخدام المفردات «المسالمة» و «المعقولة» التي وضعها «أساتذتها»، وصارت لغة الآلة عنصرية ومتحيزة ضد النساء وعدائية في أجوبتها. وهذه التجربة تسلط الضوء على سؤال بارز: إلى أي مدى في الإمكان إعداد ذكاء صناعي لفهم سياق يناسب تعليماته؟ وأي وسيط كان ليساعد تاي في تحديد معنى عدائي، وهي كلمة، لا يجمع البشر كلهم على تعريف واحد لها؟

٢، ما يترتب على تغيير الذكاء الاصطناعي طريقة تفكير البشر وقيمه. فعلى سبيل المثال، «ألفاغو» فاز على بطل العالم في «غو» من طريق الإقدام على خطوات غير مسبقة- أي خطوات لم يصنعها البشر ولم يتعلموها من قبل ليتجاوزوا عثراتها. ولكن هل الخطوات هذه تفوق قدرات الدماغ البشري؟ أو هل سيتعلمها البشر بعد أن عرضها عليهم أسيادهم الجدد؟

وقبل أن يبدأ الذكاء الاصطناعي بلعب لعبة «غو»، كانت الغايات من اللعبة هذه متعددة المستويات: فاللاعب لم يسعّ فحسب إلى الفوز، بل كذلك إلى تعلم إستراتيجيات جديدة في الإمكان الاستفادة منها في أبعاد الحياة الأخرى. ولكن الذكاء الاصطناعي سعى فحسب إلى الفوز. وهو «يتعلم» حسابياً وليس «مفهومياً» (استخلاص معنى جامع). فالذكاء الاصطناعي غير طبيعة اللعبة وأثرها. وتجيب بعض برمجيات الذكاء الاصطناعي عن أسئلة حديثة مثل تحديد درجة الحرارة في الخارج.

ولكن جوابها عن أسئلة تتناول طبيعة الواقع أو الحياة تطرح مسائل أكثر تعقيداً. فهل نريد أن يتعلم الأولاد القيم من طريق المحادثة مع خوارزميات منفلتة من كل عقال؟ وهل نحتمي الخصوصية من طريق تقييد قدرات الذكاء الاصطناعي على سبر حياة سائله؟

وثالثاً، في إمكان الذكاء الاصطناعي بلوغ الهدف المحدد، ولكنه عاجز عن تعليل المنطق وراء استنتاجاته. وفي بعض المجالات قدرات مثل هذا الذكاء - منها التعرف على الأنماط وتحليل سيل الداتا، واللعب - تفوق قدرات البشر. وإذا وصل الذكاء الاصطناعي مراكمة القدرات مراكمة سريعة، وسعه تطويرها تطويراً مختلفاً عن الوجه الذي يطره البشر.

ولكن هل يسع الذكاء هذا تسويغ خطواته والسمات التي تجعلها الأفضل أو الأمثل، أم أن آلية اتخاذ القرار تتجاوز قدرات اللغة البشرية ومنطقها؟

ابتكرت الحضارات سبلاً لتفسير عالمها - في العصور الوسطى، استندت إلى الدين في عصر التنوير إلى العقل وفي القرن التاسع عشر، إلى التاريخ، وفي العشرين إلى الأيديولوجيا.

وأبرز سؤال في العالم الذي نتجه إليه هو: ما مآل الوعي الإنساني إذا فاقت قدرات الذكاء الاصطناعي قدرات البشر التعليلية أو التسويغية، وإذا لم يعد في وسع المجتمعات تفسير عالمها بواسطة التعابير التي يرون فيها المعنى؟ وعلى أي وجه يُعرّف الوعي في عالم تختزل فيه الآلات التجربة الإنسانية إلى داتا حسابية تخزنها في ذاكرتها وتؤديها؟

ومن يتحمل تبعات أعمال الذكاء الاصطناعي والمسؤولية عنها؟ وكيف تحدد المسؤولية جزاء أخطاء يرتكبها الذكاء هذا؟

وهل في وسع نظام قانوني صاغه البشر أن يلحق بركاب أنشطة «يلدها» (ينتجها) الذكاء هذا، وهو القادر على التفوق عليهم في التفكير والمناورة؟

- مستشار الأمن القومي الأمريكي، وزير خارجية أمريكا بين ١٩٧٣-١٩٧٧

الذكاء الاصطناعي ووظائف المستقبل

*سيمون جونسون - جوناثان روان

معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا: ٢٠١٨/٧/١٨

العالم اليوم ليس لديه نقص في القضايا الملحة. هناك ١,٦ بليون شخص يعيشون في فقر مدقع" ويقدر عدد الأميين بـ ٧٨٠ مليوناً. ولا تقتصر المشكلات الخطيرة على العالم النامي: «وفيات اليأس»، على سبيل المثال، ترفع من معدل الوفيات بين الذكور البيض في الولايات المتحدة. وحتى عندما تنمو الاقتصادات المتقدمة، فإنها لا تنقذ جميع القوارب. وتزدهر الفئات ذات الدخل المرتفع في حين أن الأسر ذات الدخل المنخفض ومجموعات الأقليات تُترك باستمرار في الحضيض.

ويشير بعض المحللين الآن إلى أن أشكالاً جديدة من برمجة الحاسوب ستجمع هذه التطورات، حيث إن الخوارزميات والروبوتات والسيارات الذاتية القيادة ستدمر وظائف الطبقة الوسطى وتزيد من عدم المساواة. حتى المصطلح العام لهذه التكنولوجيا، الذكاء الاصطناعي، يبدو مشؤوماً. قد يكون الدماغ البشري «الكائن المعروف الأكثر تعقيداً في الكون»، ولكن، كنوع، لسنا دائماً أذكىاء جداً في المجموعة. أشار كتاب الخيال العلمي الأكثر مبيعات منذ فترة طويلة أننا سوف نخترع يوماً الآلات التي ستدمرنا.

التكنولوجيا اللازمة لخلق هذا المستقبل ليست حتى في الأفق. غير أن الاختراقات التي تحققت أخيراً في التكنولوجيات ذات الصلة بالذكاء الاصطناعي تتيح إمكانيات هائلة لإحراز تقدم إيجابي في مجموعة من التطبيقات من النقل إلى التعليم واكتشاف العقاقير. وإذا استخدم بحكمة، فإن هذا التقدم في قدراتنا الحسابية يمكن أن يساعد كوكب الأرض وعدداً من المواطنين الأكثر ضعفاً.

ويمكننا الآن الوقوف على أنماط جديدة لا تتضح بسهولة للمراقب البشري - وهذا يقترح بالفعل طرقاً لخفض استهلاك الطاقة وانبعاثات ثاني أكسيد الكربون. يمكننا زيادة الإنتاجية في مصانعنا والحد من النفايات الغذائية. على نطاق أوسع، يمكننا تحسين التنبؤ أكثر بكثير من قدرة أجهزة الكمبيوتر التقليدية. هناك مجالات لا تحصى يمكن للتحذير بثوانٍ معدود من وقوع كارثة أن يكون مفيداً أو حتى منقذاً للحياة.

ومع ذلك يبقى الخوف قائماً: ألا يعني أن هذه التحسينات نفسها ستؤدي إلى التخلي عن جميع وظائفنا - أو معظم وظائفنا الجيدة؟ في الواقع، هناك ثلاثة أسباب تهدد فرص العمل في العالم المقبل.

أولاً، مفارقة مورافيك تنطبق على الوضع الحالي. لقد أشار هانز مورافيك وغيره من علماء الكمبيوتر في الثمانينيات من القرن الماضي أن ما هو بسيط بالنسبة لنا صعب حتى على الذكاء الاصطناعي الأكثر تطوراً. على العكس، الذكاء الاصطناعي في كثير من الأحيان يمكن أن يقوم بسهولة بما نعتبره صعباً. يمكن لمعظم البشر المشي، والتعامل مع الأشياء، وفهم اللغة المعقدة منذ سن مبكرة، دون إيلاء الكثير من الاهتمام لكمية الحساب والطاقة اللازمة لأداء هذه المهام. يمكن للآلات الذكية إجراء حسابات رياضية تتجاوز بكثير قدرات الإنسان، ولكن لا يمكنها بسهولة تسلق السلالم، وفتح الباب، وتحويل صمام، أو ركل كرة القدم.

ثانياً، أصبحت خوارزميات اليوم جيدة جداً في التعرف على الأنماط عندما يتم تزويدها بمجموعات بيانات كبيرة - العثور على الأشياء في أشرطة فيديو يوتيوب أو الكشف عن الاحتيال على بطاقة الائتمان - لكنها أقل فعالية بكثير مع الظروف غير العادية التي لا تناسب النمط المعتاد، أو ببساطة عندما تكون البيانات نادرة أو «صاخبة». للتعامل مع مثل هذه الحالات، نحتاج إلى شخص ماهر، له تجربة، وحدس، ووعي اجتماعي.

ثالثاً، لا يمكن لأحدث النظم تفسير ما قامت به أو لماذا توصي بعمل معين. في هذه «الصناديق السوداء»، لا يمكنك ببساطة قراءة التعليمات البرمجية لتحليل ما يحدث أو التحقق مما إذا كان هناك تحيز خفي. عندما يكون التأويل مهماً - على سبيل المثال، في العديد من التطبيقات الطبية - نحتاج إلى تدريب الإنسان في حلقة صنع القرار.

وبطبيعة الحال، هذا مجرد حال التكنولوجيا اليوم - ومعدلات عالية من الاستثمار قد تغير بسرعة ما هو ممكن. ولكن طبيعة العمل ستتغير أيضاً. وظائف اليوم تبدو مختلفة جداً عن وظائف ما قبل ٥٠ سنة أو حتى قبل ٢٠ عاماً.

وستستغرق خوارزميات الكمبيوتر الجديدة وقتاً طويلاً لاختراق الاقتصاد بشكل كامل. وقد بدأت القطاعات الغنية بالبيانات مثل الوسائط الرقمية والتجارة الإلكترونية لتوها إطلاق العنان لقدرات الذكاء الاصطناعي. وسيستغرق انتشار العديد من التطبيقات الضيقة للذكاء الاصطناعي، التي قد يؤثر على الوظائف في قطاعات مثل الرعاية الصحية والتعليم والبناء، وقتاً أطول بكثير. والواقع أن هذا قد يأتي في الوقت المناسب - حيث إن شيخوخة السكان في الاقتصادات المتقدمة تعني ضمناً قوة عاملة أصغر - وزيادة الحاجة إلى خدمات الرعاية الشخصية - في العقود المقبلة.

وستشكل قرارات السياسة العامة العهد الجديد للذكاء الاصطناعي. نحن بحاجة إلى فرص ومنافسة، وليس إلى مزيد من الاحتكارات القوية، من أجل تعزيز التقدم التكنولوجي بطريقة لا تترك عدداً كبيراً من الناس في الهامش. ويتطلب ذلك تحسين الوصول إلى جميع أشكال التعليم - وبتكلفة منخفضة أو من دون تكلفة.

ومع منافسي الاقتصادات المتقدمة، بما في ذلك الصين، والاستثمار بكثافة في منظمة العفو الدولية، يجب على صناع السياسات زيادة الدعم للبحوث الأساسية وضمان أن بلدانهم تتوفر على الموارد المادية والبشرية التي تحتاجها لابتكار وتصنيع كل شيء على اتصال مع هذه التكنولوجيا الجديدة ذات الأغراض العامة الجديدة.

وينبغي ألا نقلل من قدرة البشر على إلحاق الضرر بمجتمعه وبيئته بل وحتى بالكوكب بأسره. ويمكن أن تُثبت رؤية كتاب الخيال المروع يوماً ما. ولكن، في الوقت الراهن، لدينا أداة جديدة قوية لتمكين جميع الناس من العيش حياة أفضل. يجب علينا استخدامها بحكمة.

*باحثان يدرسان الأعمال العالمية للذكاء الاصطناعي والروبوتات في كلية سلون للإدارة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا

أقطاب التكنولوجيا: أغلق الهاتف واقرأ بعض الكتب

*جيليان تيت

فاينانشل تايمز: ٢٠١٨/٧/١٨

قبل أسبوعين تلقيت بشكل غير متوقع مجموعة كبيرة من الكتب، أرسلت من مكتب بيل جيتس، مؤسس شركة مايكروسوفت. وأوضحت مذكرة مصاحبة للكتب أن جيتس اختار هذه المجلدات لتكون قراءاته لهذا الصيف - وكان حريصا على إرسالها إلى الأصدقاء والأقارب والصحافيين لتكون بمنزلة "مزيج من المذكرات والتاريخ والروايات المثيرة للتفكير".

وددت لو أهتمف قائلة: "يا للروعة". ويرجع ذلك جزئيا لأنني أنا نفسي مؤلفة ولي كتب منشورة، وبالتالي متحيزة تماما لمصلحة دعم صناعة الكتب. يعلم الله أن هذه الصناعة تحتاج إلى المساعدة في وقت يواصل فيه سعر الكتب الهبوط على المواقع الإلكترونية، مثل "أمازون".

كما كنت مسرورة أيضا باختيارات جيتس، التي من السهل أن تُشغل أي شخص وتُدخل عليه البهجة أثناء جلوسه حول البركة في عطلة جميلة. كانت هناك بعض الكتب غير الروائية التي من المتوقع أن تولد شعورا جيدا عند قراءتها تدور حول التقدم والعبقرية التكنولوجية، مثل كتاب هانس روزلينج "الحقيقة استنادا إلى بيانات ملموسة" وكتاب ليوناردو دافينشي لمؤلفه ولتر إيزاكسون. لكن مجموعة الكتب كانت تشمل التحفة الأدبية الغريبة، بعنوان "لينكولن في سهرة بين الموت والبعث" من تأليف جورج سوندرز، وتأمل قوي حول الإيمان والحياة بقلم كيت باولر، وهي أستاذة جامعية شُخصت بالإصابة بسرطان من المرحلة الرابعة في سن ٣٥، بعنوان "كل شيء يحصل لسبب وغير ذلك من الأكاذيب التي أحببتها".

كان هناك سبب ثالث جعلني أشعر بالسعادة لهدية الكتب المذكورة: يبدو أنها علامة صغيرة على اتجاه أكبر معاكس للثقافة يجري تبنيه الآن على قدم وساق في عالم التكنولوجيا. هذه الأيام هناك قلق متزايد من أنه يجري تدمير الحياة العصرية بسبب الانزلاق المستمر في عالم الفضاء الإلكتروني المنفصل: فنحن مدمنون بشكل كبير جدا على استخدام الأجهزة اللوحية والهواتف وغيرها من الأجهزة الرقمية، بحيث أصبحت تعاملاتنا الاجتماعية مع الناس ضحلة ومختصرة، وأصبحت عقولنا مشتتة للغاية بحيث لا يمكنها التركيز.

ربما كان الوضع كذلك، لكن حتى مع انجراف معظم المستهلكين الغربيين بشكل أكثر عمقا وباستمرار في الهوة الرقمية، بعض خبراء التكنولوجيا الكبار أنفسهم الذين ساعدوا على إيجاد هذا العالم الذي يبعث على التشقت الآن يشجعون الناس علنا على اتباع نهج أكثر تأملا، والاحتفال بالبديل القائم على التواصل بين البشر، والمحادثات الطويلة وتجارب "العالم الحقيقي" الملموسة ذات الطراز القديم.

لنأخذ مثلا تلك الكتب. لو كان جيتس يريد البدء في نقاش فكري، كان يمكنه فقط التغريد عبر "تويتر" حول مقالة أو اثنتين. لكنه اختار إرسال مجموعة ضخمة من الكتب الورقية التي تتطلب ساعات لقراءتها واستيعابها، ومن غير السهل إلى حد ما حملها معا.

في العام الماضي أنشأ مارك زوكربيرج، رئيس شركة فيسبوك، ناديا غير رسمي للكتاب، بعد أن نشر قائمة من الكتب المفضلة لديه عبر الإنترنت (شملت كتباً مثل "الإنسان العاقل" لمؤلفه يوفال هاراري وكتاب "المتفائل العقلاني" لمؤلفه مات ريدلي). في حين لا يبدو أن زوكربيرج مولع تماماً مثل جيتس بالكتب الورقية الحقيقية، إلا أن الرسالة هي نفسها: في عالم من التشتت المحموم، نحن بحاجة إلى أن نأخذ وقتنا من أجل التدبر.

فيليب شيندلر، رئيس قسم الأعمال في "جوجل"، يروج لمفهوم مماثل. عندما عقدت "جوجل" مؤتمر "روح العصر" في أوروبا هذا العام، تم تسليم أعضاء الوفود المشاركة كتاب "الصمت في عصر الضوضاء" لمؤلفه إيرلينج كاجي، وهو مستكشف نرويجي أمضى ٥٠ يوماً مسافراً إلى القطب المتجمد الجنوبي في عزلة تامة. يجادل هذا الكتاب بأننا يمكن أن نكون عاقلين فقط عندما نزيل بشكل متقطع ومتعمد جميع الضوضاء والإلهاء – بما في ذلك الأجهزة الرقمية المنتشرة في كل مكان التي تعرض منصات مثل "جوجل".

كاجي يأخذ سعيه وراء الصمت إلى الحالة القصوى. لكن كثيراً من خبراء التكنولوجيا يشعرون بالاعتزاز في سعيهم للعثور على سبل لتعليم أطفالهم من خلال الحد الأدنى من التعامل مع الأجهزة الإلكترونية – أو، إن فشل ذلك، بإرسالهم إلى معسكرات صيفية تقوم عمداً على "العودة إلى الأساسيات" (بمعنى أنها خالية من الهواتف الذكية). مثلاً، يأخذ شيندلر أسرته إلى رحلات تخييم "بسيطة" في مناطق بعيدة تكون محرومة من شبكات الواي فاي في البرية الأمريكية. في الوقت نفسه، آخرون في عالم التكنولوجيا يشرعون الآن في فترات من التخلص من التسمم الرقمي سعياً منهم "إعادة التركيز" – أو تجربة الصمت الإلكتروني.

ربما يجادل شخص ساخر بأن هذا شكل جديد من الفضيحة يشير إلى عالم يخشى فيه النقد أن يكون الإدمان الرقمي هو شر. ومن الممكن أيضاً – وإن لم يكن مرجحاً – أن قادة التكنولوجيا يحاولون تفادي خطر الانتقادات السياسية المتصاعدة حول دورهم في تدعيم الهوس الإلكتروني. في الواقع، يبدو أن جميع الشركات العملاقة في وادي السليكون تتعرض للضغط من أجل إظهار أنها تحاول بذل الجهود لمكافحة ذلك الهوس. مثلاً، أذهلت شركة أبل مستخدميها أخيراً من خلال كشف النقاب عن سمات في الآيفون الجديد تهدف للتقليل من فترات استخدام الشاشة والحد من الانقطاعات.

ثمة عامل آخر هو التسلسل الثقافي الهرمي: مع وجود كثير من سبل الإلهاء الرقمية والابتكارات الجديدة، فكرة "العودة إلى الأساسيات" – أي أن يتوافر لديك الوقت لقراءة الكتاب أو الطهي باستخدام النار الموقدة من الخشب – تشير الآن إلى التفرد والانتماء لمجموعة من النخب. وهذا صحيح بشكل خاص عندما يجري تصويره على أنه نقيض شيء آخر (بمعنى فكرتنا لما هو الآن حياة "طبيعية" مليئة بالإنترنت). الندرة تولد القيمة.

بغض النظر عن التفسير الأنثروبولوجي، تبقى الحقيقة التي مفادها بأن إهداء الكتب – والاحتفال بالأفكار المهمة – هو أمر رائع. لم أجد بعد الوقت الكافي لقراءة كل تلك المجلدات التي أرسلها جيتس. لكنها تقبع على مكتبي في كومة ضخمة – تمثل التطلع الذي يوضح كيف أود من الناحية المثالية قضاء أيام عطلة الصيف – لو كان بإمكانني فقط تنظيم أموري وإغلاق الضوضاء الرقمية التي تسبب التشتت.

إدمان الهواتف الذكية

*تريسي تيواري

صحيفة (نيويورك تايمز) : ٢٠١٨/٧/١٨

أطلقت أبل مؤخراً برنامجاً حديثاً يهدف إلى مساعدة المستخدمين على تقييد فترات استخدامهم لهواتفهم الذكية، فمجرد كبسة زر على قائمة الإعدادات، يمكنك وقف الإشعارات التي تصل إليك لعدة ساعات، وهي الميزة التي يبدو أن الآباء أعجبوا بها كثيراً، نظراً لما تتمتع به من خصائص تمكنهم من مراقبة أولادهم المراهقين. الكثيرون حتى في وادي السيليكون، طالبوا شركة أبل بتغيير بعض أنظمتها التي تساعد على جعل هواتفها وأجهزتها أقل إدماناً، وذهب باحثون أبعد من ذلك حينما قالوا إن الهواتف الذكية أثرت بشكل سلبي، بل ودمرت نفسية الجيل الجديد من المراهقين، علاوة على أنها تؤدي إلى تقلبات كبيرة في شخصياتهم، وينتج عنها في بعض الأحيان الإصابة بأمراض نفسية معقدة، كما أنها تقود البعض إلى الانتحار.

بعض الدراسات المهمة أشارت إلى أن ارتفاع معدلات الكآبة في أوساط المراهقين في الولايات المتحدة منذ عام ٢٠١١ ما هو إلا نتيجة لانتشار الهواتف الذكية وزيادة مستويات استخدامها في أوساط الشباب والمراهقين على وجه الخصوص، وعلى الرغم من الكثير من الأبحاث والدراسات التي أشارت إلى ارتباط وثيق بين انتشار استخدام الهواتف الذكية والكآبة والقلق المزمن، فإن الدلائل التي تشير إلى ذلك

لا تزال ضعيفة، خصوصاً تلك التي تشير إلى تسببها في حالات من الأمراض النفسية، بمعنى آخر، لا توجد هناك حتى الآن أبحاث علمية منطقية تشير بطريقة مباشرة إلى ذلك الارتباط، خصوصاً ما يشير إلى العلاقة الموجودة بين استخدام المراهقين للهواتف الذكية والإصابة بأمراض نفسية متعددة.

لا يمكننا في ذات الوقت أيضاً إلقاء اللائمة على الأجهزة، هذا الأمر مهم جداً بسبب أنه وإذا ما كانت الأجهزة الذكية لا تتسبب في مشاكل نفسية مباشرة بالنسبة للمراهقين، فإن استخدامها يمكن أن يكون طريقة أخرى للتعبير عن مكنونات الشخصية. هذا الأمر لا يعني عدم معاناة المراهقين من الكآبة والمشاكل النفسية، ولكن لا يجب ربطهما بالهواتف الذكية أو التكنولوجيا الحديثة، بل إنني اعتقد أن الهواتف وسيلة فعالة للهروب من الضغوط ومشاكل الحياة اليومية. يجب الأخذ في الاعتبار النظرة المختلفة لهذا الجيل عن الأجيال السابقة، والقدرة الكبيرة التي يمتاز بها هذا الجيل على التحليل وتوقع المستقبل مقارنة بسابقيهم، والاستقلالية التي يشعرون بها بسبب تغير النمط المتسارع للحياة والحرية النوعية التي يحظون بها في ظل انشغال الآباء في دوامة الحياة، إذاً الحل لا يكمن أبداً في منع هذا الجيل من استخدام الهواتف الذكية أو الاعتماد على التكنولوجيا، بل توجيههم بطرق فاعلة إلى كيفية استخدامها بطرق تؤدي إلى تطوير شخصياتهم وتنميتها.

أهم ما قاله أوباما في ذكرى نيلسون مانديلا

الديمقراطية معقدة، لكن "فاعلية المستبد أمر زائف"

٢٠١٨/٧/١٨ :BBC

الأفريقي الراحل نيلسون مانديلا، لينتقد بشكل مبطن سياسات الرئيس دونالد ترامب، والسياسيين الذين قال إنهم "يتجاهلون الحقائق".
وتشير تعليقات أوباما إلى أنه ينتقد بشكل غير مباشر استعمال الإدارة الأمريكية الحالية لما يوصف بأنه "حقائق بديلة".
وفيما يلي خمس نقاط أساسية جاءت في محاضرة أوباما عن نيلسون مانديلا، أمام وسائل الإعلام العالمية وجمهور من حوالي ١٥ ألف شخص في مدينة جوهانسبورغ في جنوب أفريقيا.

أولا: الحقائق مقدسة

قال أوباما: "عليك أن تؤمن بالوقائع، فلا أساس لتعاون دون حقائق".
"فإذا قلت أنا أن هذا الشيء هو منبر وقلت أنت أن هذا لشيء هو فيل، فسيكون من الصعب في ظل هذا الاختلاف أن يحدث بيننا تعاون".
وأضاف أوباما أنه يمكن أن يجد أرضية مشتركة مع أشخاص اختلفوا مع اتفاق باريس بشأن تغير المناخ، والذي يريد ترامب الانسحاب منه، لكن بشرط إذا كان لديهم حجة تستند إلى الحقيقة.
لكنه استطرد أنه لا يستطيع إيجاد أرضية مشتركة إذا قال أحدهم "إن تغير المناخ لا يحدث بينما يقول كل علماء العالم تقريبا إنه حقيقة ويحدث. وإذا تمسكت أنت بأنه خدعة متقنة، فمن أين يمكن أن نبدأ؟"
وكان ترامب قد قال من قبل إنه لا يصدق حدوث التغير المناخي وأنه لا يحدث.
وبعد لحظات، قال أوباما للجمهور: "كان من المعتاد عند الإمساك بهم (السياسيين) يكذبون، كانوا يعترفون ويقولون: عفوا يا رجل. لكن الآن فإنهم يستمرون في الكذب".

ثانيا: الهجرة قوة

قال باراك أوباما، أول رئيس أسود يحكم أمريكا، إن السعي إلى تحقيق المساواة يضمن أن المجتمع يستفيد من مواهب ونشاط جميع أفرادها.
وقال: "انظر فقط إلى فريق كرة القدم الفرنسي" والهتافات والتشجيع الذي تلقاه، في إشارة إلى فوز فرنسا بكأس العالم قبل أيام.
وأكد أن أغلب هؤلاء اللاعبين ليسوا من الغولوا، لكنهم فرنسيون الآن.
وأوضح أوباما "إنها حقيقة واضحة" أن التمييز العنصري لا يزال قائما في الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا.

ثالثا: كبار رجال الأعمال "معزولون عن الناس"

قال باراك أوباما إن نخبة العالم ليست على صلة بحياة الفقراء.
وأضاف: "في تعاملاتهم التجارية، العديد من عمالقة الصناعة... أصبحوا معزولين بشكل متزايد عن أي دولة قومية" وهم "يعيشون حياة أكثر وأكثر عزلة عن الناس العاديين".
ونتيجة لذلك، اعتبرت قراراتهم بـ "إغلاق مصنع" مجرد "استجابة عقلانية" لمطالب المساهمين.

رابعاً: لتحييا الديمقراطية!

حذر الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما، من أن السياسيين الذين يستخدمون "سياسات الخوف والكراهية وتخفيض الإنفاق" يصعدون إلى القمة "بوتيرة لا يمكن تصورها قبل بضع سنوات فقط".

وقال إن الديمقراطية معقدة، لكن "فاعلية المستبد أمر زائف".

وأضاف "لقد حان الوقت بالنسبة لتركز اهتمامنا على عواصم العالم... والتركيز على القاعدة الشعبية في العالم. وهنا تأتي الديمقراطية".

التحذير من الشعبوية الزاحفة و "سياسة الرجل القوي"، وأكد على الديمقراطية الليبرالية، قائلاً إنه يعتقد أنها تقدم مستقبل أفضل للبشرية.

وقال: "أؤمن برؤية نيلسون مانديلا" لمستقبل العالم ، "أعتقد أن العالم الذي يحكمه هؤلاء القادة ممكن".

وأضاف "يمكنها (رؤية مانديلا) أن تحقق المزيد من السلام والمزيد من التعاون سعياً لتحقيق مصلحة مشتركة".

"أعتقد أنه ليس أمامنا خيار سوى المضي قدماً... أعتقد أنه يستند إلى أدلة قاطعة. حقيقة أن أكثر مجتمعات

العالم ازدهارا ونجاحا هي تلك التي تقترب إلى أقصى حد من النموذج التقدمي الليبرالي الذي نتحدث عنه".

قد تعود الأمور إلى الوراء لفترة من الزمن، "ولكن- في النهاية- يصح الصحيح، وليس العكس".

خامساً: الحفاظ على الأمل

وقال أوباما في ختام خطابه بنبرة إيجابية "استمروا في الإيمان. استمروا في السير. استمروا في البناء. استمروا في

رفع أصواتكم. كل جيل لديه الفرصة لإعادة تشكيل العالم".

وبصوت عال، دعا الشباب الذين يستمعون إليه إلى "الإنطلاق".

وأضاف "إننا لا نحتاج إلى قائد واحد فقط... ما نحتاجه بشدة هو الروح الجماعية".

وتابع: "مانديلا قال إن الشباب قادرون عندما تحركوا (ثاروا) لإسقاط أبراج الظلم ورفع رايات الحرية". "الآن هو

الوقت المناسب للتحرك".

كان خطاب باراك أوباما جزءاً من فعاليات احتفالية بمرور ١٠٠ عام على ولادة رئيس جنوب إفريقيا السابق

نيلسون مانديلا ، الذي توفي عام ٢٠١٣ عن ٩٥ عاماً.

كان كلا الرجلين أول الرؤساء السود في بلدانهم.

وقال أوباما إنه "واحد من ملايين لا تحصى من الذين ألهمتهم حياة نيلسون مانديلا".

قاد مانديلا المعركة ضد حكم الأقلية البيضاء في جنوب أفريقيا. وسُجن لمدة ٢٧ عاماً قبل أن يصبح أول رئيس

منتخب ديمقراطياً في البلاد عام ١٩٩٤.

كطالب ، دعا أوباما للكفاح ضد الفصل العنصري "كفاح يمس كل واحد منا"، وشجع جامعيته على سحب

استثماراتها في جنوب إفريقيا.

منذ بداية عام ٢٠٠٣، يستخدم القادة العالميون هذه المحاضرة في ذكرى ميلاد مانديلا للتحدث عن القضايا

التي تؤثر على جنوب أفريقيا والقارة والعالم.

مستقبل الإقليم .. تكامل أم تناحر؟

*عبد الحسين شعبان

صحيفة (الخليج) الإماراتية : ٢٠١٨/٧/١٨

«عليك دائماً أن تعمل كرجل فكر، وأن تفكر كرجل عمل» ذلك ما قاله المفكر الفرنسي هنري برجسون. ولا أجد ترابطاً عملياً لهذه العبارة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون في علاقات دول الإقليم وأمه بين بعضها، خصوصاً حين تصل الأمور إلى مفترق طرق، فإما استمرار التناحر وتبديد الطاقات البشرية والمادية وتعطيل التنمية، وإما التفاهم والتعاون وصولاً للتكامل والمشارك المشترك الإنساني. وإذا كان حصاد الحروب والنزاعات والصراعات في الإقليم الذي نعيش فيه، والذي يضم الأتراك والفرس والكرد والعرب، عدّة ملايين من الضحايا وما يزيد على ١٢ تريليون دولار في التقديرات غير المبالغة خلال العشرين عاماً الماضية، فهذا يعني تعويم التنمية أو تعطيلها على أقل تقدير، وعرقلة خطط الإصلاح، التي لا يمكن الحديث عنها إلا في ظل أجواء الاستقرار والسلام. ف«الحروب تولد في العقول» ولذلك ينبغي «بناء حصون السلام في العقول أيضاً»، حسب دستور «اليونيسكو» ولأن وظيفة النخب الفكرية والثقافية بشكل عام، التوجّه إلى الإنسان ومخاطبة عقله، فلا بدّ لها إذاً أن تتحرّك لتقديم رؤية نقيضة للحرب على الرغم من الخراب والدمار وثقافة العنف. خطر ذلك ببالي، وأنا أساهم في جلسة لإعلان منبر جديد للحوار باسم «منتدى التكامل الإقليمي»، أطلق من الجامعة اللبنانية. والفكرة وإن انطوت على تقدير إيجابي لمستقبل علاقة أم الإقليم المشرقي، الذي اعتبره مجالاً حيويّاً لاهتمامه، فهي في الوقت نفسه تمثّل جامعاً يسعى إلى تعظيمه، وأمّا ما هو مفترق فقد نظر إليه بكونه طارئاً وعابراً وظرفياً ينبغي العمل على تقليصه. ولعلّ هذه النظرة المستقبلية، شغلت مثقفين من بلدان عدّة تلمّسوا بتجاربهم وكلّ من موقعه أهمية الحوار خارج دائرة الاشتباكات الإيديولوجية والاستقطابات الطائفية والاحترابات الإثنية والمصالح الأنانية الضيقة لأنها تقوم باختصار على أن الأمم والشعوب، التي تعيش في المنطقة، والتي تعاني توترات وصراعات داخلية وإقليمية وخارجية، تحتاج إلى إعادة بناء علاقاتها مع بعضها لتنميتها بروح القيم الإنسانية، التي تمثّل المشتركات بين البشر، وكان ذلك مدار بحث وحوار في تونس وما ينتظر أن ينطلق بصورة واسعة في منتدى الفكر العربي بعمّان.

وإذا توقّفنا عند الحروب والصراعات، التي تعيشها دول الإقليم، فسنراها حروباً مركّبة سياسية واقتصادية وإيديولوجية حتى وإن حملت في حقيقتها مصالح قومية جيوسياسية ونزعات للهيمنة وفرض الإرادة، سواء حدثت بصورة مباشرة أم بالواسطة، وبالتداخل والتناظر مع مصالح دولية أحياناً، ليس بعيداً عنها الدور «الإسرائيلي» العدواني المستمر. فهل ثمة فرصة لأمم الإقليم لتعزيز الروابط فيما بينها، والنهوض بمستلزمات التحدي الذي يواجهها، خصوصاً وأن هناك استهدافاً شاملاً لها جميعاً دون استثناء؟ ثم كيف يمكنها استثمار اللحظة التاريخية والتقاط ما هو جوهري ومستقبلي لبناء العلاقات وفقاً لقيم ومبادئ كونية جامعة قوامها: الحرية والسلام والتسامح والمساواة والعدالة والشراكة والمشاركة واحترام الخصوصيات والهويات الفرعية، وتلك جوامع إنسانية لبني البشر، فما بالك بالنسبة لشعوب المنطقة. وإذا كانت أوروبا قد سبقتنا بوضع حلّ لحروبها الطائفية، ولاسيما بين البروتستانت والكاثوليك، وخصوصاً «حرب الثلاثين عاماً» بإبرام معاهدة وستفاليا ١٦٤٨، فسيكون جديراً بالإقليم المشرقي إعادة بناء علاقاته وفقاً لهذه الأسس الجيوسياسية الثقافية، وعلى قواعد القانون الدولي المعاصر، وميثاق الأمم المتحدة وفقاً للمصالح المشتركة والمنافع المتبادلة، التي يمكن أن تضع حداً لحروب عبثية باسم السنّة والشيعية، وباسم «الإسلام» ضد الأديان الأخرى، وهذا ما كان قد طغى على خطاب «داعش» بعد هيمنته على ثلث مساحة كل من العراق وسوريا، لاسيما باستهداف المسيحيين والإيزيديين، وأتباع الأديان الأخرى، وجميع المسلمين وفقاً لاجتهاداته الجهنمية بتكفير الجميع.

وبتقديري، إن النخب الفكرية والثقافية والحقوقية ومن موقعها التنويري يمكن أن تكون «قوة اقتراح» وخصوصاً، حين تستطيع بناء جسور الثقة مع أصحاب القرار بحيث تصبح شريكاً فاعلاً ومشاركاً لا غنى عنه في عملية التنمية المنشودة، سواء في صنع القرار أم في تنفيذه. يمكننا تصوّر كم كان وجه الإقليم سيكون مختلفاً ومكانته كبيرة لو اعتمد «تعاهداً» أو «ميثاقاً» عاماً للسلام» أساسه احترام مبادئ السيادة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية وحق تقرير المصير وإنماء التعاون والشراكة؟ وكما سيكون انعكاسه فاعلاً على كل بلد، وعلى مستوى الإقليم بل على المستوى الكوني بالاستثمار لمصلحة الإنسان وحقوقه وحيّاته وتعليمه وصحته وبيئته وتنميته؟ وبالطبع بالتكامل وليس بالتناحر!!

التخطيط الإستراتيجي .. وحقوق الأجيال القادمة

*د. حسين رمزي كاظم

الإصدار: ٢٠١٨/٧/١٨

تتواصل مسيرة حياة الشعوب عبر مراحل وأزمنة مختلفة ، ولا أظن أن أحداً لا يتفق معنا في الرأي أن التغيير من أجل أحداث التطوير والتحديث هو ضرورة من ضرورات الحياة بل هو الطريق الصحيح الذي يؤدي إلى مستقبل أفضل للأجيال القادمة ، فهو الذي ينير لنا الطريق إلى آفاق المستقبل ويرسم معالمه ويحدد أهدافه وإستراتيجيته وخططه وبرامجه بما يتماشى مع الظروف المحلية لمجتمعنا والمتغيرات الدولية المعاصرة المحيطة بنا .

وفي إطار التخطيط للمستقبل، فإننا نعيش على أرض وطن يزخر بالثروة التي تتنوع بين ثروات طبيعية ومادية وبشرية ، وتلك الثروات هي ملك لمواطنيها عبر الأجيال المختلفة ولهذا فإن الدولة ركزت في سياساتها وخططها المستقبلية على مراعاة حقوق الأجيال القادمة ويبدو ذلك فيما أقدمت عليه مصر في الآونة الأخيرة من التخطيط لعدد من المحاور كان من بينها البحث عن بدائل أخرى للطاقة والتوجه إلى الاستخدامات السلمية للطاقة النووية ، في ضوء ما أسفرت عنه نتائج الدراسات والبحوث من أن مخزون مصر من خام البترول يكفي لسنوات قد تصل إلى أربعين عاماً .

وفي ذات هذا الإطار، تحرص الحكومة على إدارة النشاط الاقتصادي في حدود ماتسمح به إمكانيات وموارد الدولة والحرص الشديد على معالجة عجز الموازنة العامة للدولة ، وإصلاح ميزان المدفوعات وتحجيم عملية الاقتراض من الخارج والحفاظ على مستوى الدين الداخلي في حدود آمنة ومقبولة .. وذلك كله حتى لا تتحمل الأجيال القادمة أعباء خدمة هذا الدين وسداد العديد من أشكال القروض .

وتحتل الجهود المبذولة من الدولة في مجال الاستثمار من أجل تشغيل الشباب أهيمة قصوى من أجل مواجهة مشكلة البطالة وتوفير فرص عمل جديدة للشباب ، تلك المشكلة التي توجد في جميع دول العالم، سواء كانت دولاً متقدمة أو نامية ومن هنا ظهر واضحاً اهتمام الدولة الكبير بتشجيع الاستثمار والعمل على جذب رؤوس الأموال وتحفيز المستثمرين ورجال الأعمال على إقامة المشروعات من خلال نظم وإجراءات عمل جديدة وجادة .

كما أن هناك العديد من المجالات المتنوعة التي يبدو اهتمام الدولة بمستقبل الأجيال القادمة واضحاً ومقصوداً فما ينفق على البيئة الأساسية والتحتية للعديد من المشروعات التنموية في كل المجالات والتي تجاوزت مئات المليارات من الجنيهات .. ما هو إلا مد لروافد العطاء للأجيال القادمة وكذا حين نحرص القيادة السياسية على حماية الأمن القومي المصري بسياج من الأمان والاستقرار وعدم المخاطرة بقرارات انفعالية غير حكيمة .. كل ذلك من أجل مستقبل أفضل للأجيال القادمة .

ولا شك في أن تلك الركائز الأساسية التي التزمت بها الدولة عند رسم سياستها وخططها داخلياً وخارجياً إنما تعكس صورة صادقة لمفهوم التخطيط الإستراتيجي الذي يركز على استشراف المستقبل وتحديد أهداف طويلة الأجل على أساس النظرة المستقبلية والتنبؤ بالمستقبل ، في ضوء رؤية شاملة ومتكاملة تأخذ في اعتبارها كل الأبعاد والمتغيرات المؤثرة على اتخاذ تلك القرارات .

ونستطيع القول إن خطط مصر وسياساتها الحالية محسوبة بكل دقة وحريصة على مصالح الحاضر من المواطنين ودون انتقاص من حقوق الأجيال القادمة وذلك بفضل القيادة السياسية الرشيدة التي تكونت وترسخت لديهم عبر خبرات متراكمة ودروس مستفادة عديدة من مسيرة العمل الوطني في كل المجالات .

غير أن التخطيط الإستراتيجي على مستوى الدولة من أجل الحفاظ على حقوق الأجيال القادمة إنما يتطلب في نفس الوقت أن يواكبه العمل بذات المفهوم من جانب كل قطاعات الدولة ووحدات الجهاز الإداري والمنظمات الحكومية وغير الحكومية وغيرها فما أحوجنا اليوم إلى طاقات الرجال المخلصة والمؤمنة التي تتولى المسؤولية خلال المرحلة المقبلة والتي تكون قادرة على بناء مستقبل أفضل للأجيال القادمة من أبنائنا وأحفادنا .

في توصيف السلطوية

*عمرو حمزاوي

صحيفة (الشروق) المصرية : ٢١/٧/٢٠١٨

في أدبيات علم السياسة، توصف الحكومات بالسلطوية حين لا تقرر للشعوب الحق في اختيارها بحرية وتغييرها بحرية من خلال انتخابات دورية ونزيهة، وحين تمنع التداول الحر للمعلومات وتمتنع هي عن التزام الشفافية في إدارتها للشأن العام، وحين تتنصل من احترام حقوق وحرّيات المواطن الشخصية والمدنية والسياسية مثل حرية الاعتقاد وحرية التعبير عن الرأي وحرية التنظيم وتساهمه على حقوقه الاقتصادية والاجتماعية وحقه في الأمن. تتعامل الحكومات السلطوية مع القانون كأداة لفرض سيطرتها على المجتمع، وللإمساك بالمؤسسات العامة والهيمنة على المؤسسات الخاصة، وإخضاع المواطن وحمله على الابتعاد عن المطالبة السلمية بحقوقه وحرّياته، وإنزال العقاب بمن يمتنعون عن تقديم فروض الولاء والطاعة. لا للفضاء العام الحر، لا للإعلام الحر، لا للأحزاب السياسية التي تسعى للتداول الحر والسلمي للسلطة، لا للمجتمع المدني الذي يراقب ويسأل ويحاسب الحكام، لا للحرّيات الدينية والفكرية والثقافية والأكاديمية، لا للحرية الشخصية“ تلك هي لاءات الحكومات السلطوية التي تتكرر عبر المكان والزمان لتضع في خانة واحدة إسبانيا بين ثلاثينيات وسبعينيات القرن العشرين، والبرازيل في ستينياته وسبعينياته، وروسيا منذ تمكن فلاديمير بوتين من مؤسسات وأجهزة الدولة بها، والمجر التي تدفعها اليوم حكومة منتخبة ديمقراطيا بعيدا عن الديمقراطية والليبرالية، والمملكة العربية السعودية منذ نشأتها في الربع الأول من القرن العشرين، ومصر منذ عام ١٩٥٢ وباستثناء عامي مساعي الانتقال الديمقراطي ٢٠١١ و٢٠١٢ اللذين انتهى إلى فشل ذريع.

تتشابه الحكومات السلطوية في إهدارها لقيمتي حكم القانون الأساسيتين. القيمة الأولى هي قيمة العدل المستندة إلى موضوعية القواعد القانونية وشفافية إجراءات التقاضي وضمانات حقوق الإنسان والحرّيات، والقيمة الثانية هي قيمة المساواة المستندة إلى الامتناع عن التمييز بين المواطنين والإقدام على محاسبة المؤسسات العامة والخاصة حين تتورط في ممارسات تمييزية. وعلى الرغم من القواسم المشتركة بينهم، إلا أن السلطويين ليسوا دائما على حال واحدة فيما يتعلق بتفاصيل وطرق تعاطيهم مع السلطات العامة من المؤسسات القضائية إلى توظيف أداة التشريع التي تقوم عليها البرلمانات (أي إصدار القوانين الجديدة وتميرير التعديلات على القوانين القائمة) لإدارة شئون الدولة والمجتمع والمواطن. السلطويون ليسوا أيضا على حال واحد فيما يخص حدود الالتزام بتنسيب قراراتهم وسياساتهم إلى «القوانين واللوائح المعمول بها» وحرصهم على اصطناع صورة الحكم المحترم لسيادة القانون.

فنجد أن قليلا من الحكومات السلطوية المعاصرة لا ينكر عداءه الصريح لوجود مؤسسات قضائية مستقلة، ولا يتوقف عن التغول على المحاكم والتدخل في أعمالها بطرق شتى. قليل منها يضرب عرض الحائط بالقوانين واللوائح، ويمعن في ممارسة القمع باتجاه المواطن والضبط باتجاه المجتمع والإخضاع باتجاه المؤسسات القضائية والمؤسسات التشريعية، معتمدا فقط على المتاح له من أدوات القوة الجبرية والعنف الرسمي. فقط القليل من الحكومات السلطوية هو الذي لا يسعى للتجمل بإبعاد شكلي للمكون الأمني عن واجهة الحكم، فالأغلبية تريد للمكون الأمني أن يدير شئون الدول والمجتمعات من وراء ستار. فقط القليل من الحكومات السلطوية هو الذي لا يعنيه تزييف وعي الناس بالترويج لكون حكم الفرد ليس حكما للفرد والحزب الحاكم ليس حزبا حاكما واحدا والانتخابات الرئاسية والبرلمانية معلومة النتائج سلفا ليست سوى انتخابات جادة تترجم الإرادة الشعبية بحرية ونزاهة. فقط القليل من الحكومات السلطوية هو الذي لا يخجل من أن يعلن على الناس أن الحكم هو حكم الفرد أو

حكم الحزب الواحد وأن صناديق الاقتراع لا أهمية لها وأن دون ذلك ستسقط الدول وتدمر المجتمعات وينهار الأمن ويذهب إلى غير رجعة الاستقرار.

وإن كان هذا هو حال القليل من الحكومات السلطوية في التعاطي مع المؤسسات القضائية والتشريعية ومع الرأي العام، فأين يقف، إذن، العدد الأكبر من سلطويي القرن الحادي والعشرين؟

تصر أغلبية السلطويين المعاصرين على أن حكوماتهم تحترم سيادة القانون، وتعلن على رؤوس الأشهاد امتناعها عن التدخل في أعمال المؤسسات القضائية والمحاكم بمختلف أنواعها ودرجاتها وابتعادها عن السيطرة على المؤسسات التشريعية. تشدد أيضا على أن القضاء المستقل يمثل فرض ضرورة لتحقيق استقرار الدولة والمجتمع شأنه شأن البرلمان المستقل، ولا تمنع أن يتم النص دستوريا على استقلال المؤسسات القضائية وحياد القضاة واستقلالية البرلمانات وإرساء مبادئ الفصل والتوازن بين السلطات الثلاثة التشريعية والتنفيذية والقضائية. غير أن تواتر إعلانات النوايا الحكومية الحميدة وحضور الضمانات الدستورية القاطعة لا يحولان دون السعي المستمر للسلطويين المعاصرين إلى استتباع القضاء وإخضاعه إلى أهوائهم، تماما مثلما يضغطون على المؤسسات التشريعية لتقزيمها إلى برلمانات دورها الوحيد هو تمرير مشروعات القوانين التي تطرحها الحكومات والموافقة على قرارات وسياسات الحكام دون إعمال جاد ومستقل للأدوات الرقابية.

لا يريد العدد الأكبر من أولئك السلطويين في القرن الحادي والعشرين أن يبدو كمن ينتهك القوانين وهو يقمع ويتعقب ويضبط ويخضع أو أن يظهر العداء الصريح للمؤسسات القضائية المستقلة وهو يستتبع القضاء والقضاة أو أن يمتنهن البرلمانات وهي تمرر القوانين المقيدة للحريات. باستثناءات قليلة، يهدر سلطويو القرن الحادي والعشرين القيم الأساسية لحكم القانون وهم يدعون أنهم يحترمون سيادته، ويقضون على معاني العدل والمساواة في إدارة شؤون الدولة والمجتمع بإجبار البرلمانات على تمرير قوانين وتعديلات قانونية ظالمة وتمييزية.

على سبيل المثال، يقمع الإعلام الحر في روسيا ويراقب المجتمع المدني أمنيا بالقوانين واللوائح. وفي المجر، تنزع شرعية الوجود عن منظمات حقوق الإنسان ويتعقب من يعمل بالقوانين واللوائح، وفي تركيا، يعزل الرئيس رجب طيب أردوغان ومعه حكومة حزب العدالة والتنمية القضاة وأساتذة الجامعات وموظفي العموم وفقا لأهواء أردوغان السياسية لأن القوانين واللوائح تمكنه من ذلك. في تركيا أيضا، وافق البرلمان الذي يسيطر عليه حزب العدالة والتنمية في بدايات ٢٠١٧ على تعديلات دستورية تغير النظام السياسي من برلماني إلى رئاسي وتمنح رئيس الجمهورية صلاحيات تنفيذية واسعة من بينها الاشتراك في تعيين القضاة ومدعي العموم وتلغي منصب رئاسة الوزراء (في ربيع ٢٠١٧)، أقرت التعديلات الدستورية في استفتاء شعبي بأغلبية ضئيلة هي ٥١٪ (٥١٪). وفي بلاد العرب، بحور متلاطمة من الأفعال السلطوية لحكام وحكومات لا يعنيههم غير إخضاع المواطن وضبط المجتمع والسيطرة على القضاء العام.

*أستاذ علوم سياسية، وباحث بجامعة ستانفورد. درس العلوم السياسية والدراسات التنموية في القاهرة، لاهاي، وبرلين، وحصل على درجة الدكتوراة في فلسفة العلوم السياسية من جامعة برلين في ألمانيا.

الاعتراف بالخطأ والاعتذار من الفضائل

*حسن العطار

إيلاف: ٢٠١٨/٧/٢١

الخطأ سمة من سمات البشر، وكل إنسان في هذه الدنيا معرض للخطأ تحت وطأة الظروف والانفعالات، وليس عيباً أن يخطئ المرء ولكن العيب أن يستمر في خطئه. والاعتذار رجوع إلى الحق، وإقرار بالخطأ وإحساس بالمسؤولية والندم، وهو سلوك حضاري وفضيلة تدل على الثقة العالية بالنفس، وفن ومهارة شخصية واجتماعية.

الاعتذار عند الشعوب المتحضرة، أسلوب حياة ونمط سلوك اجتماعي نبيل يعطي الأمل بتجديد العلاقة بين الأطراف المختلفة، وهو التزام يساعد الانسان على تطوير ذاته وتحسين الأواصر مع الأشخاص المحيطين به، وهو استعداد لتحمل مسؤولية الأفعال من دون الحاجة الى اختلاق الاعذار والتبريرات، ولا يقوى على ممارستها إلا من امتلك الرغبة في تصحيح أخطائه، وتشبع بروح المسامحة والتعاطف مع الآخرين، وهو تقويم لسلوك سلبي يظهر من خلاله مدى شجاعة الفرد على مواجهة الواقع وتحمل المسؤولية.

الأسبوع الماضي، استقال "أندرو غريفيث - البالغ من العمر ٤٧ عاماً" وزير الدولة البرلماني البريطاني لشؤون الأعمال التجارية الصغيرة على خلفية فضائح جنسية، معترفاً بأنه أرسل أكثر من ٢٠٠٠ رسالة تحمل "مطالب ورغبات جنسية" الى امرأتين في دائرته الانتخابية. وفي بيان الاستقالة قال "غريفيث": اشعر بالخجل الشديد لسلوكي الذي تسبب في محنة لا توصف لزوجتي وعائلي الذين أدين لهم بكل شيء، وخرج شديد لرئيسة الوزراء وأعضاء الحكومة، ووصف نفسه بالشرير. كما قدم اعتذاره لدائرته الانتخابية الذين وضعوا ثقتهم به ولكنه خذلهم، طالبا منهم الصفح والمغفرة. وقال بوضوح "لا اسعى الى تبرير سلوكي وسأبحث عن مساعدة مهنية لضمان عدم تكرار مثل هذا السلوك مرة أخرى.

يؤكد المختصون في علم النفس أنه من الجيد الاعتراف بالخطأ وسوء التصرف، ولكن هذا ليس معناه جلد الذات والحكم على النفس بالفشل وعدم القدرة على النجاح، بل عليك أن تعرف ان الشخص يتعلم من الأخطاء أكثر من استفادته من التصرفات السليمة لأنه يكتشف نقاط ضعفه التي لا بد أن يتعامل معها للتغلب عليها. والمهم هو مراجعة النفس للتعرف على أسباب الوقوع في الخطأ وسوء التصرف لتكون قادراً على معالجتهما، وتأكد أنك لست أول ولا آخر من يخطئ أو يسيء التصرف لأنهما من الصفات البشرية التي لا يخلو منها إنسان مهما إدعى العلم والحكمة. ويضيف المختصون ان الاعتذار اعتراف بالخطأ ودليل على قوة الشخصية التي تقدر أن الوقوع فيه لا يعني ان الشخص سيئ بطبعه او انه فاشل، بل هو إفصاح عن سوء الاختيار أو إخفاق في اختيار التصرف السليم، والاعتذار في هذه الحالة يكسبك احترام الآخرين ويشجعهم على التسامح معك.

المؤسف وما يحز في النفس، اننا في العالم العربي عامة (حكومات وشعوب) لا نعترف بأخطائنا فضلاً عن أن نقدم الاعتذار لمن اسئنا اليهم او اخطأنا في حقهم، فما أكثر الإساءات والتجاوزات وما أقل الاعتذارات. وقلما نسمع في مجتمعاتنا العربية عن اعتذار شخص لآخر أو دولة عربية لدولة عربية أخرى أو لغيرها رغم كثرة الإساءات والتجاوزات، لأن تربيته وثقافتنا تعتبر الاعتذار هزيمة أو ضعف أو إنتقاص للشخصية والمقام. نحن العرب (حكومات وشعوب) ابرع من يقدم الأعدار بدل الاعتذار، ويشق ويصعب علينا تحمل مسؤولية تصرفاتنا، وكثيراً ما نلقي باللوم على الظروف أو على الآخرين أو على أي شناعة أخرى بشرط أن لا تكون شمانتنا، فالغير هم السبب وهم المذنبون دائماً وليس نحن.

نحن في المنطقة بحاجة ماسة لنشر ثقافة الاعتذار والتسامح وتكريسها في مجتمعاتنا ومناهجنا الدراسية، ولن يحدث ذلك إلا حين نعمل (نحن البالغين) على تعديل سلوكنا العام، ونربي أبناءنا على الصدق والصرامة في كل الأمور كخطوة أولى، ثم نعوّدهم على مفردات الاعتذار والتسامح والتواضع أثناء تعاملهم مع الآخرين. وبعدها نعلمهم فن الاعتذار وكيفية، ومتى يعتذرون؟ ولماذا يعتذرون؟ وهذا يستوجب بطبيعة الحال نوعاً من الضبط الاجتماعي والأخلاقي لعلاقة الفرد بمحيطه، والتذكير بالقوانين التي تحكم تصرفاته، والإشادة بالتصرف السليم عندما يصدر من أولادنا تجاه الآخرين وتعزيزه باستمرار. وقبل هذا وذاك يجب أن نغير نحن الكبار (آباء ومعلمين ومسؤولين) من سلوكنا بإشاعة الفضيلة والعودة للحق في كل تصرفاتنا الخاصة والعامة، كدليل على التحضر والوعي، حتى يكون أولادنا قدوة للأجيال القادمة.

المخاطر الحقيقية التي تهدد الاتحاد الأوروبي

*كريس باتن

بروجيكت سنديكيت : ٢٠١٨/٧/٢١

مع اقتراب خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي، أصبح الحديث اليومي للجميع في المملكة المتحدة، بدءاً من وزراء الحكومة حتى الصحف الصفراء، هو الصفقة التي ستُعقد مع الاتحاد الأوروبي والآثار التي ستخلفها تلك الصفقة، لكن الاتحاد الأوروبي يواجه كثيراً من التحديات الملحة التي تشغله عن بريطانيا.

إن مخاوف المملكة المتحدة يمكن تفهمها، فالأدلة تتزايد بشأن احتمالات وقوع أضرار قد تضرب اقتصاد المملكة المتحدة جراء خروجها من السوق الموحدة والاتحاد الجمركي الأوروبي. وقد توصل بحث جديد صدر عن مركز الإصلاح الأوروبي إلى أن اقتصاد المملكة المتحدة قد انكمش بالفعل بنسبة ٢,١ ٪ عما كان سيكون عليه لو كان المصوتون قد اختاروا البقاء. ويبلغ مجموع الضرر الذي أصاب الموارد المالية العامة ٤٤٠ مليون جنيه إسترليني (٥٧٩ مليون دولار أمريكي) في الأسبوع الواحد.

ما يثير قلق الكيانات التجارية هو نقص المعلومات بشأن كيفية سير الأمور عند خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي. فقد ناشد مؤخراً يورجين ماير -الرئيس التنفيذي لشركة سيمنز المملكة المتحدة- القادة البريطانيين من أجل إيضاح كيف ستسير التجارة مع الاتحاد الأوروبي، كما حثهم على التأكد من أن البلد سيظل داخل الاتحاد الجمركي. وحذرت شركة "إيرباص" من أن "عدم التوصل إلى اتفاق" قد يجبرها على إعادة تقييم وضعها في البلد على المدى الطويل، وهو ما يعرض آلاف الوظائف البريطانية للخطر. وأكدت شركة "بي إم دبليو" التزامها بالبقاء في المملكة المتحدة، إلا أنها حذرت من أن التكاليف يمكن أن تزيد.

لم تكن تلك التحذيرات موضع ترحيب من مؤيدي الخروج من الاتحاد الأوروبي، فقد وصفها وزير الصحة البريطاني، جريمي هانت، بأنها "غير ملائمة تماماً"، مشدداً على أنها "تُضعف" رئيسة الوزراء تيريزا ماي. ولكن تيريزا ماي تُبلي بلاء حسناً في إضعاف نفسها بنفسها: فقد شهدت مزاعمها بأن "أرباح الخروج من الاتحاد الأوروبي" ستمول جزئياً الزيادة في نفقات الخدمات الصحية الوطنية إدانة واسعة النطاق، واعتُبرت أكذوبة.

ولكن، ما رأي الاتحاد الأوروبي نفسه في كل ذلك؟ يبدو أن قادة الاتحاد الأوروبي قد سلّموا بأننا نحن البريطانيين قد فقدنا صوابنا، وأنه ليس لديهم الكثير ليفعلوه حيال ذلك. فهم بالتأكيد لن يقوضوا نموذجهم الاقتصادي الناجح القائم على القانون من أجل أن يُسدّوا لنا معروفاً، فالضرر الذي سيقع على بريطانيا من جراء الخروج من الاتحاد الأوروبي سيكون أكبر بكثير من الضرر الواقع على الاتحاد الأوروبي.

إن الذي يمكن أن يضر بالاتحاد الأوروبي -بل ويهدد بنيته بالفعل- هو عدد كبير من التحديات الأخرى، بدءاً من تهديدات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب للصحة، بل وحتى بقاء التحالف بين ضفتي الأطلسي الذي يعد ركيزة أساسية من ركائز النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية. ويؤثر الرئيس الأمريكي بوضوح الدكتاتوريين على الديمقراطيين، ولا يكن أي احترام لحلفائه. وكان ثناؤه على رئيس كوريا الشمالية، كيم جونج أون، في القمة التي جمعتهم في سنغافورة مناقضاً تماماً لانتقاده لرئيس الوزراء الكندي جاستن ترودو بعد قمة مجموعة الدول السبع الكبرى في كيبيك.

إن أحد مواقف ترامب الأكثر إثارة للمشكلات هو موقفه المتعلق بالتجارة. فقد خلص، بناءً على قصوره الشديد في فهم كيفية عمل التجارة، إلى أنها تجعل الولايات المتحدة في منافسة مع العالم بأسره. وبدلاً من أن يتعاون مع أوروبا واليابان وأن يدعم منظمة التجارة العالمية لمواجهة الأسلوب التجاري (الميركانتلية) الذي تنتهجه الصين، قرر أن يخوض ذلك وحده، مهاجماً حتى أقرب حلفائه، وهو ما ينذر بالتحول إلى حرب تجارية كاملة تضر الجميع، ولن تكون الصناعة الأمريكية والمستهلكين الأمريكيين أقل الخاسرين فيها.

ومن التحديات الأخرى الملحة التي تواجه أوروبا الهجرة كان اعتماد ترامب في بداية هذا العام سياسة تقضي "بعدم التسامح مطلقاً" بشأن الهجرة، ولن تؤدي هذه السياسة إلى الملاحقة القضائية لجميع البالغين -حتى طالبي اللجوء السياسي منهم- الذين يعبرون الحدود بصورة غير مشروعة فحسب، بل ستؤدي أيضاً إلى أخذ الأطفال بعيداً عن ذويهم لاحتجازهم وحدهم بعيداً عن آبائهم وأمهاتهم (وإن كان قد أصدر أمراً تنفيذياً منذ ذلك الحين بإلغاء الفصل بين أفراد العائلة). وهذا مثال ينبغي أن لا تفكر أي دولة متحضرة في أن تقتدي به. ومع ذلك، يبدو أن البعض في أوروبا يعتقدون أن هناك ما يسوغ إقامة سياج من الأسلاك الشائكة على طول الحدود (المجر)، أو أن هناك ما يسوغ إغلاق الموانئ في وجه السفن المكتظة باللاجئين (إيطاليا ومالطا).

لا شك أن مثل هذا السلوك يُنظر إليه بعين الرضا من إدارة ترامب. ويتلقى بالفعل الشعبويون اليمينيون في أوروبا استحساناً وعبارات تشجيعية من كبير المخططين الاستراتيجيين الأسبق للرئيس الأمريكي، ستيفن بانون، بل ومن بعض السفراء الأمريكيين أيضاً.

وفي الوقت ذاته، يُعاقب الديمقراطيون الأوروبيون الذين لديهم رؤية متحضرة للإدارة. فما الذي فعلته ألمانيا لتستحق أن يكون ريتشارد جرينيل -الذي أكد رغبتة في "تمكين محافظين آخرين"- سفيراً لديها من الولايات المتحدة؟ يبدو أن الإجابة هي أن المستشارية الوسطية، أنجيلا ميركل، قد تصدت لرغبات ترامب.

إلا أن نزع السم من أوروبا سوف يتطلب ما هو أكثر بكثير من مجرد توبيخ الولايات المتحدة والتوجه إلى الله بالدعاء من أجل الرحيل المبكر لترامب. ففي الواقع، يهدد نهج بعض قادة أوروبا في تناول مسائل مثل الهجرة بخلق مشكلات نظامية ستدوم لفترة طويلة بعد عودة ترامب إلى حياة ملاعب الغولف ومحاكم الإفلاس. وقد يكون لبعض العقلاء من القادة الأوروبيين عذرهم في ترك المملكة المتحدة تسير في الطريق الذي اختارته، وذلك حتى يمكنهم التركيز في المخاطر التي تهدد لُحمتهم الراسخة وقيمهم الأساسية.

كان الاتحاد الأوروبي يفخر دائماً بأنه مجتمع ذو قيم تحمي الأقليات وترحب بالفقراء والمضطهدين. فالاتحاد الأوروبي في النهاية يتكون من أقليات، وقد نال نصيبه من الفقر والشدائد.

ولكن، ما القيم التي يمكن أن تجمع بين ديمقراطيين معتدلين مثل ميركل، وإيمانويل ماكرون رئيس فرنسا، ومارك روته رئيس وزراء هولندا من جهة، وبين زعماء سياسيين يمينيين في المجر وبولندا وإيطاليا، بل وحتى في النمسا؟ فمستشار النمسا الشاب المزعج، سيباستيان كورتز، يسعى بجد إلى حشد المعارضة ضد ميركل، وذلك على الرغم من موقفها تجاه اللاجئين الذي أنقذ النمسا من طوفان من طالبي اللجوء.

سوف يخبرنا المنطق السليم والخبرة بأن رفع شعارات الأنانية وانتهاك سيادة القانون والتنكر للالتزامات الدولية ليست هي الوصفة المثلى للسياسات الجيدة. فماكرون محق في قوله إنه ينبغي أن لا يستمر السماح لفيكتور أوربان، رئيس وزراء المجر، وياروسلاف كاتشينسكي، رئيس وزراء بولندا، بسرقة جيوب شركائهم الأوروبيين الأكثر ثراءً، بينما هم في الوقت ذاته يدوسون قيم الاتحاد الأوروبي بأقدامهم.

يتعين على الاتحاد الأوروبي مجابهة التحديات التي تواجهه بسياسات تتسم بالتماسك والتعاون وتجمع بين الفاعلية وبين الحفاظ على الكرامة الإنسانية الأساسية. ففي قضية الهجرة، على سبيل المثال، يجب عليه أن يعمل كوحدة واحدة على تعزيز حدوده، بينما يساعد في الوقت ذاته البلدان التي يفر منها السكان، وذلك من خلال المساعدة الإنمائية والتعاون الأمني. فبمزيد من الاستقرار وانفتاح الأسواق، ستتمكن تلك البلدان من تصدير منتجاتها، بدلاً من تصدير مواطنيها.

أما بريطانيا، فنحن من صنعنا سريرنا، فعلياً الآن أن نتحمل أي كوابيس تأتيها فيه.

*آخر حاكم بريطاني لهونغ كونغ، ومفوض سابق للشؤون الخارجية في الاتحاد الأوروبي، وهو مستشار لجامعة أكسفورد.

رفض خليجي وإسلامي للقانون المسمى «الدولة القومية للشعب اليهودي»

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/٧/٢١

أبدت السعودية ودول مجلس التعاون ومنظمات إسلامية أمس، رفضها واستنكارها لإقرار الكنيست الإسرائيلي القانون المسمى «الدولة القومية للشعب اليهودي»، ودعت المجتمع الدولي للاضطلاع بمسؤولياته والتصدي لكل القوانين والسياسات العنصرية الإسرائيلية.

وعبر مصدر مسؤول بوزارة الخارجية السعودية عن رفض بلاده واستنكارها لإقرار الكنيست الإسرائيلي القانون المسمى «الدولة القومية للشعب اليهودي»، مضيفاً أن «القانون يتعارض مع أحكام القانون الدولي، ومبادئ الشرعية الدولية، والمبادئ السامية لحقوق الإنسان، كما أن من شأنه تعطيل الجهود الدولية الرامية إلى إيجاد حل سلمي للنزاع الفلسطيني - الإسرائيلي».

ودعا المصدر، المجتمع الدولي، للاضطلاع بمسؤولياته والتصدي لهذا القانون أو أي محاولات إسرائيلية تهدف إلى تكريس التمييز العنصري ضد الشعب الفلسطيني وطمس هويته الوطنية والمساس بحقوقه المشروعة.

إلى ذلك، أعرب الدكتور عبد اللطيف الزياتي الأمين العام لمجلس التعاون عن إدانة مجلس التعاون إقرار الكنيست القانون، مشيراً إلى أن القانون يعد عنصرياً ويتعارض مع القوانين الدولية والمبادئ السامية لحقوق الإنسان وميثاق وقرارات الأمم المتحدة، ويجسد نظام العنصرية والتمييز ضد الشعب الفلسطيني، والإصرار الإسرائيلي على طمس هويته الوطنية وحرمانه من حقوقه المدنية والإنسانية المشروعة في وطنه المحتل.

وشدد الأمين العام على أن إقرار قانون قومية الدولة الإسرائيلية خطوة سياسية خطيرة تكرر العنصرية والتطهير العرقي ضد الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة، وتكشف النيات العدوانية للسلطات الإسرائيلية، وتبرهن على أن الحكومة الإسرائيلية بأفعالها وممارساتها وانتهاكاتها المستمرة للقوانين الدولية غير جادة للانصياع إلى قرارات الشرعية الدولية، وتنسف الجهود الدولية الرامية إلى التوصل إلى حل سياسي عادل وشامل للقضية الفلسطينية بما يحقق الأمن والاستقرار في المنطقة.

ودعا الدكتور الزياتي، الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي والاتحاد البرلماني الدولي والمنظمات الدولية المختصة، إلى تحمل مسؤولياتهم السياسية والقانونية لمطالبة السلطات الإسرائيلية بالالتزام بقرارات الأمم

المتحدة، ووقف تنفيذ هذا القانون العنصري، والتعبير عن تضامن المجتمع الدولي ومساندته الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه التاريخية المسلوبة.

كما أدانت رابطة العالم الإسلامي إقدام الكنيست الإسرائيلي على سن القانون المسمى «الدولة القومية للشعب اليهودي». وأكدت في بيان صدر عن أمانتها العامة في مكة المكرمة، أن القانون المزعوم «يتعارض مع قوانين ومبادئ الشرعية الدولية وكل القيم والمبادئ التي تقوم عليها مدونات حقوق الإنسان».

وشددت الرابطة على أن ما ارتكبه الكنيست الإسرائيلي ستكون له عواقب وخيمة على مسار التفاوض الهادف لإيجاد حل سلمي للنزاع الفلسطيني - الإسرائيلي.

وشددت الرابطة على أن هذه المجازفة مع ما تحمله من اعتداء على الحق الفلسطيني تحمل من جانب آخر ازدراء واستهجاناً بحقوق الأديان في الأرض المقدسة، وهو ما رفضته أيضاً - بحسب ما ورد للرابطة - قيادات بارزة من أتباع الديانة اليهودية، بوصفه قانوناً عنصرياً لا سيادة ولا حصانة له في عالم اليوم، مؤكدة أن النصوص الدينية في كل الأديان السماوية تُجرّم مثل هذه الأفعال، فيما يدين القانون الدولي الإنساني تلك المخاطرة التشريعية وما ينشأ عنها من مظلومية تاريخية ويحاسب عليها. ودعت الرابطة المجتمع الدولي، لمواجهة السلوكيات الإسرائيلية والقوانين الظالمة التي تعمّق معاناة الشعب الفلسطيني وتكرّس التمييز ضده وتصادر حقوقه وتحاول إخفاء هويته العربية والإسلامية.

في حين دانت منظمة التعاون الإسلامي مصادقة الكنيست الإسرائيلي على القانون، وعدّته تحدياً صارخاً لإرادة المجتمع الدولي وقوانينه وقراراته الشرعية.

وأكد الدكتور يوسف العثيمين الأمين العام للمنظمة في تصريح نقلته وكالة الأنباء السعودية (واس)، أن «هذا القانون عنصري وباطل ولا شرعية له، ويتجاهل الحقوق التاريخية الثابتة للفلسطينيين من مسلمين ومسيحيين، ويمثل امتداداً وتكريساً للفكر الاستيطاني الإسرائيلي وسياسات الاحتلال القائمة على التطهير العرقي، وإنكار وجود الشعب الفلسطيني وتاريخه وحقوقه التي تؤكدتها قرارات الشرعية الدولية».

ودعا الدكتور العثيمين، المجتمع الدولي، إلى رفض وإدانة هذا القانون العنصري والتصدي لكل القوانين والسياسات العنصرية الإسرائيلية التي ترمي إلى تقويض رؤية حل الدولتين. فيما نددت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، بإقرار الكنيست الإسرائيلي القانون، وقالت «الإيسيسكو» في بيان لها إن «القانون العنصري إعلان حرب على الشعب الفلسطيني وإنكار لوجوده ولحقوقه الشرعية في أرضه». ودعت المجتمع الدولي إلى رفض هذا القانون العنصري الباطل.

القضاء الإسباني يسحب طلب استرداد الانفصالي الكاتالوني بوتشيمون

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/٧/٢١

برشلونة: شوقي الرئيس: دخلت المعركة القانونية الدائرة حول ملاحقة القضاء الإسباني الرئيس السابق للحكومة الإقليمية في كاتالونيا كارليس بوتشيمون مرحلة أكثر تعقيدا بعد قرار القاضي الإسباني المكلف الإشراف على القضية، سحب طلب التسليم الذي كان قد تقدّم به إلى السلطات الألمانية. وقد جاء قرار القاضي بابلو لارينا، الذي وصفته الأوساط القانونية بأنه «لا سابق له»، بعد أيام من القرار الذي صدر عن محكمة شلسويغ - هولستين بإجازة تسليم بوتشيمون على أساس التهمة الموجهة إليه باختلاس الأموال العامة، رافضة تهمة التمرد لعدم كفاية الأدلة. واعتبر القاضي لارينا، في حيثيات قراره، أن المحكمة الألمانية تجاوزت صلاحياتها عندما قررت رفض تهمة التمرد الموجهة إلى بوتشيمون «لأن القضاء الإسباني وحده هو المخوّل النظر في هذه التهمة»، مضيفاً أن قرار التسليم يمنعه من القيام بواجبه الاستنطاقي كاملاً.

ويرى الخبراء أن قرار لارينا سحب طلب التسليم يعفيه من محاكمة الرئيس السابق للحكومة الإقليمية بتهمة الاختلاس التي تبلغ عقوبتها القصوى ١٢ عاماً، لأن تلك المحاكمة من شأنها إلغاء التهمة الأكثر خطورة التي تصل عقوبتها إلى ٣٠ سنة. يضاف إلى ذلك أنه حتى في حال إدانة بوتشيمون بالاختلاس، يحتفظ بحقوقه السياسية التي لا تُسقطها سوى الإدانة بتهمة الإرهاب أو التمرد. التداعيات العملية لهذا القرار، الذي شمل أيضاً سحب طلبات التسليم في حق السياسيين الخمسة الآخرين الفارين من وجه العدالة، تحيل الملف إلى النيابة العامة والمحكمة العليا التي قررت في الوقت الحاضر عدم ملاحقة المطلوبين.

بذلك تعود كفة الصراع إلى التآرجح مرة أخرى بين مدريد وبرشلونة ما إن يتقدّم أحد الطرفين، حتى يرتكب هفوة تتيح للطرف الآخر استجماع قواه والاستعداد للجولة التالية في معركة مشدودة على توازن يترنّح بين الفينة والأخرى. فبعد أن بدأت تظهر علامات التصدّع والانهزام في صفوف المعسكر الانفصالي الذي بدا عاجزاً في الأيام الأخيرة عن دفع المظاهرات تأييداً للمعتقلين، جاء قرار القضاء الألماني الذي يمنع محاكمة بوتشيمون بالتمرد ليضع السلطات القضائية الإسبانية أمام خيارين أحلاهما مرّ. ويسود شبه إجماع في الأوساط القانونية الإسبانية بأن الطعن في معالجة المحكمة الألمانية لطلب التسليم، من شأنه أن يكشف عجز القضاء الإسباني الذي يواجه الآن، إضافة إلى الانتقادات الداخلية الواسعة لخطوة القاضي لارينا عندما وجّه طلب التسليم، رفضاً من محكمة لا علاقة لها بالأزمة في كاتالونيا، قررت عدم جواز محاكمة بوتشيمون بتهمة التمرد. ويرى حقوقيون أنه في حال قبول المحكمة العليا قرار التسليم ومحاكمة بوتشيمون بتهمة الاختلاس، من المرجح أن يُخلّى سبيله بانتظار المحاكمة، مما يتيح له استعادة مقعده في البرلمان وحتى العودة إلى رئاسة الحكومة بعد الاتفاق مع الرئيس الحالي على الاستقالة. لكن البديل عن هذه الخطوة ليس بأفضل. رفض قرار التسليم الألماني ووقف ملاحقة الفارين في الخارج، من شأنه أن يُضعف موقف المحكمة العليا الإسبانية في القضية، ويعزز موقف بوتشيمون إذا قرر محاموه الاستئناف أمام المحكمة الدستورية الألمانية، مما سيزيد من تدويل الأزمة الذي يشكّل أحد المحاور الرئيسية للمعسكر الانفصالي. وتتزامن هذه التطورات الأخيرة مع صدور نتائج الاستطلاع الذي قام به مركز الدراسات الاجتماعية التابع للحكومة الإقليمية في كاتالونيا، التي تظهر أنه للمرة الأولى منذ عام ٢٠١٢، تتجاوز نسبة المطالبين بالحكم الذاتي نسبة المطالبين بالاستقلال. وتفيد هذه النتائج أن ٣٦,٣ في المائة يؤيدون حكماً ذاتياً داخل إسبانيا، بينما يؤيد ٣٢,٩ في المائة قيام دولة مستقلة، و١٩,٤ في المائة دولة في نظام إسباني فيدرالي.

باكستان: انتخابات تشريعية في أجواء من التوتر الشديد

أياماً تكن النتيجة... هناك تحديات كبرى يواجهها من سيحكم البلاد

وكالة فرانس برس - صحيفة (الشرق الأوسط) : ٢٠١٨/٧/٢١

انتخابات الخامس والعشرين من يوليو (تموز) في باكستان ليست سوى ثاني انتقال ديمقراطي للسلطة من حكومة مدنية إلى أخرى في هذا البلد الذي يزخر تاريخه بالانقلابات العسكرية والاضطرابات السياسية. ويتوجه الباكستانيون الأربعاء المقبل إلى مراكز الاقتراع لانتخابات تشريعية تجري في أجواء من التوتر الشديد الناجم عن اعتداءات دموية واتهامات بتدخل للجيش يمكن أن يؤثر على شرعية التصويت. وشهدت الحملة الانتخابية التي سادها التوتر مواجهة بين أهم طرفين يُفترض أنهما لا يشاركان فيها، وهما رئيس الوزراء السابق نواز شريف الذي أُقيل بتهمة الفساد قبل عام ومُنع من الترشح، والجيش الباكستاني الذي يتمتع بنفوذ كبير. وقاد الجيش باكستان لأكثر من نصف سنواتها الـ٧١، وتعد تدخلاته المتكررة من العراقيل التي تمنع الانتقال الديمقراطي في البلاد وتقدمها. وحاول شريف إعادة تأكيد تفوق السلطة المدنية على العسكر والعمل على تقارب دبلوماسي مع الهند. لكنّ العسكريين يؤكدون أنهم لا يلعبون «أي دور مباشر» في الانتخابات، ولكنهم سيضمنون الأمن في يوم الاقتراع الذي سيُنشر فيه نحو ٣٧٠ ألف جندي في جميع أنحاء البلاد.

ويتهم شريف القوات المسلحة والقضاء الباكستانيين بأنهما فعلا ما بوسعهما لإلحاق الضرر بحزبه. لكن شريف ليس الهدف الوحيد للجيش، إذ إن عدداً كبيراً من وسائل الإعلام الباكستانية والناشطين اشتكوا في الأشهر الأخيرة من عمليات خطف وفرض رقابة وتهديدات.

ويشارك نحو ١٠٦ ملايين باكستاني بينهم نحو ٢٠ مليوناً يصوتون للمرة الأولى، في اختيار سلطة خلفاً لحزب الرابطة الإسلامية الباكستانية - جناح نواز الذي يحكم البلاد منذ ٢٠١٣ ويأمل في الفوز بولاية جديدة بقيادة شهباز شريف. وأكبر خصم له في الانتخابات هو حركة الإنصاف الباكستانية التي يقودها بطل الكريكت السابق عمران خان. وخان يقدم نفسه في بلده على أنه مسلم محافظ. ويبدو شريف وخان الأوفر حظاً للفوز في الاقتراع، لكنّ حزباً ثالثاً هو حزب الشعب الباكستاني الذي يقوده بيلال بوتو زرداري نجل رئيسة الوزراء السابقة بنازير بوتو التي أُغتيلت، يمكن أن يدعى إلى تشكيل تحالف مع الفائز في الانتخابات.

لكن قبل أسبوع من التصويت، تبدو مقومات انتقال هادئ بعيدة، ويعبر بعض المراقبين عن قلقهم علناً من محاولات التلاعب «الفاضة» وحتى من خطر اضطرابات جديدة في هذا البلد الذي يمتلك سلاحاً نووياً. وأدت سلسلة الاعتداءات التي استهدفت مهرجانات انتخابية في منتصف يوليو وأسفرت عن سقوط ١٧٥ قتيلاً، إلى تفاقم التوتر. ويمكن أن تؤثر هذه الهجمات على نسبة المشاركة مع أن الوضع الأمني أفضل مما كان عليه منذ سنوات.

وهدفت هذه الضغوط التي شَبَّهها البعض بـ«انقلاب هادئ» إلى التأثير على تغطيتهم لبعض القضايا والأحزاب قبل الانتخابات، على حد قول هؤلاء. وعبر بوتو في منتصف يوليو عن استيائه من أن كل الأحزاب «لا تعامل على قدم المساواة» بعد عرقلة حملات عدد من مرشحي حزبه. في المقابل يبدو أن عمران خان يلقي معاملة أفضل ويُسمح له بالحديث بحرية عن مشروعه «دولة الرفاه الإسلامية» في كل البلاد. وتبدو فرص توليه قيادة البلاد اليوم أفضل من أي وقت مضى. لكن المفوضية الباكستانية لحقوق الإنسان، الهيئة العامة المستقلة، قالت -كما نقلت عنها الصحافة الفرنسية- إنها «تشعر بقلق عميق إزاء ما تراه من محاولات فاضحة وعدوانية ومشينة للتلاعب بنتيجة الانتخابات». وأضافت: «باتت هناك أسس متينة للتشكيك بشرعيتها، مع انعكاسات مقلقة على انتقال باكستان إلى ديمقراطية حقيقية». ورأى الدبلوماسي الباكستاني السابق حسين حقاني أنه «أياً تكن النتيجة، فلن تؤدي الانتخابات إلا إلى زيادة عدم الاستقرار في باكستان». وأضاف، في تصريحات لوكالة الصحافة الفرنسية: «ستكون انتخابات بلا رايح». لكن البلاد إذا نجت من مرحلة اضطرابات جديدة، فإنها تواجه تحديات ملحة عديدة.

أبرز التحديات التي تواجه باكستان

شهد الوضع الأمني في البلاد تحسناً في السنوات الأخيرة بعد سلسلة من العمليات العسكرية ضد المجموعات المتمردة المتحصنة على الحدود الأفغانية. وسيكون على الحكومة المقبلة التحرك بسرعة إذا كانت تريد تجنب خطر أزمة في ميزان المدفوعات وكذلك تجنب طلب قرض من صندوق النقد الدولي، حسب المحللين.

واضطر البنك المركزي في الأشهر الأخيرة إلى اللجوء إلى احتياطييه الأجنبي وتخفيض العملة لخفض عجز آخذ في الاتساع. وتستورد باكستان كميات كبيرة من السلع وضاعفت شراء مواد بناء صينية من أجل مشروع ضخ صيني باكستاني لبنى تحتية يجري تنفيذه حالياً. أما صادراتها الضئيلة مثل النسيج، فهي تواجه منافسة دول أخرى. تسجل باكستان أحد أعلى معدلات الخصوبة في آسيا ويبلغ نحو ثلاثة أطفال لكل امرأة، حسب الأرقام الرسمية.

وتؤثر هذه الزيادة على موارد البلاد وتعرقل تقدمها الاجتماعي الاقتصادي. ولا يزال تخطيط الأسرة شبه معدوم في باكستان حيث ارتفع عدد السكان خمسة أضعاف منذ ١٩٦٠ ليصل إلى نحو ٢٠٧ ملايين نسمة حالياً، وقد يصل إلى ٣١٠ ملايين في ٢٠٥٠ حسب الأمم المتحدة.

ويرى خبراء، كما نقلت عنهم الصحافة الفرنسية، أن باكستان تتوجه على ما يبدو إلى كارثة بيئية إذا لم تعالج السلطات مشكلة موارد المياه. وسيواجه هذا البلد الذي تأثر إلى حد كبير بالتغير المناخي «نقصاً مطلقاً» في المياه بحلول ٢٠٢٥ يتمثل في أقل من ٥٠٠ متر مكعب متوفرة للشخص الواحد، كما تفيد التقديرات. ورغم جبال الهيمالايا التي تغطيها الثلوج والأمطار الموسمية التي تروي أراضيها، لا تملك البلاد سوى ثلاثة أحواض لحفظ المياه، مقابل أكثر من نحو ألف في كندا أو جنوب أفريقيا. لذا، لا يمكن تخزين فائض المياه.

الحرب الباردة مجدداً.. بذور وطبول

*جيفري كيمب

صحيفة (الاتحاد) الاماراتية : ٢٢/٧/٢٠١٨

ألقيت بذور الحرب الباردة الجديدة بين روسيا والغرب مع انهيار الاتحاد السوفييتي في ٢٦ ديسمبر عام ١٩٩١. فقبل ذاك التاريخ بيوم، سلّم ميخائيل جورباتشوف، الأمين العام للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي، السلطة إلى رئيس بلدية موسكو بوريس يلتسين. وبين عشية وضحاها اختفت أكبر وأكثر الإمبراطوريات سلطوية في التاريخ. ولم يُهزم الاتحاد السوفييتي في حرب، بل انهزم من داخله ليفسح المجال لظهور كثير من الدول الجديدة التي أصبحت تعارض روسيا وتحرص على نيل الدعم من الغرب.

وفي تسعينيات القرن الماضي، عانت روسيا آلاماً شديدة أورثتها اقتصاداً كارثياً وبنية صناعية عملاقة تم بيعها سريعاً إلى المستثمرين من القطاع الخاص، بنصح ومساعدة من الغرب في الغالب. وتم تحويل كميات هائلة من المواد الخام إلى ملكية القطاع الخاص، ما أفسح المجال لصعود طبقة جديدة من المستثمرين حققوا ثروات طائلة، وحولوا كثيراً من أموالهم إلى بنوك غربية. وظهر الحديث عن «نظام عالمي جديد» اعتبرت امريكا فيه القوة الوحيدة العظمى وتحركت كثير من البلدان إلى اعتناق المؤسسات والقيم الغربية.

ولم يشعر أحد بالإهانة، كما شعر بها فلاديمير بوتين عام ٢٠٠٠ الذي حل محل يلتسين كرئيس للاتحاد الروسي. وكان بوتين مقتنعاً بأن الغرب يستهدف توسيع حلف شمال الأطلسي (الناتو) شرقاً وضم أوكرانيا إليه وإلى الاتحاد الأوروبي. وشعرت روسيا أيضاً بالإهانة من التدخل العسكري الغربي المباشر في حروب البلقان. صحيح أن بوتين دعم الولايات المتحدة بعد الهجمات الإرهابية في ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١، لكن الغرب ظل يتدخل في علاقات روسيا مع جيرانها، وخاصة في مولدوفا عام ٢٠٠٣، ما أقنع بوتين بأن روسيا لن تكون أبداً شريكاً على قدم المساواة مع الولايات المتحدة والغرب ما لم تُظهر استقلالاً وتتصدى لطموحات الهيمنة الامريكية.

وتجلّت ثقة روسيا الجديدة بنفسها في فبراير عام ٢٠١٤ بعد الإطاحة بالرئيس الأوكراني المؤيد لروسيا فيكتور يانوكوفيتش خلال انتفاضة شعبية عارضة القرار الذي اتخذته بطلب من بوتين بتعليق اتفاق يعزز العلاقات الاقتصادية مع الاتحاد الأوروبي.

وتطورت الأحداث حتى ضمت روسيا شبه جزيرة القرم، وأذكت حرباً أهلية في شرق أوكرانيا، ثم فرضت امريكا وأوروبا عقوبات مازالت قائمة ضد روسيا. وفي عام ٢٠١٥، قرر بوتين التدخل في الحرب الأهلية السورية إلى جانب الرئيس السوري بشار الأسد، منقذاً إياه من الهزيمة، ومستعيداً حضور وقوة الروس في المنطقة.

وفي الرابع من مارس ٢٠١٨، في سالزبيري في المملكة المتحدة، عُثر على العميل المزدوج سرجي سكريبال وابنته يوليا، وقد تعرضا للتسميم بمادة كيميائية يعتقد أنها أُنتجت في روسيا. وأدى غضب الغرب من احتمال ضلوع روسيا في تسميم سكريبال إلى قيام ٢٠ دولة بطرد دبلوماسيين روس، وإلى طردٍ مقابل من

جانب روسيا لدبلوماسيين غربيين. والعلاقات بين موسكو الغرب في وقتنا الحالي تمر بأسوأ فتراتهما منذ ذروة الحرب الباردة، ما يفرض أخطاراً كبيرة، ويثبت شكوكاً حول مستقبل التعاون في مجال حظر انتشار الأسلحة النووية الاستراتيجية. وقد ظهور سباق تسلح جديد بين روسيا والولايات المتحدة ربما يكون من أخطر التداعيات الناشئة عن نشوب حرب باردة جديدة.

لقد كان هناك أمل، بعد نهاية الحرب الباردة بين الغرب والاتحاد السوفييتي، في أن يجري تقليص الأسلحة النووية في روسيا والولايات المتحدة، صاحبتا أكبر ترسنتين نوويتين، ما يجعل إقناع الدول النووية الأخرى بتقليص مخزوناتهما النووية أسهل من ذي قبل. وفي فبراير ٢٠١١، وبعد جدل محتدم، صدق مجلس الشيوخ الأمريكي على «معاهدة البداية الجديدة مع روسيا» بهدف تقليص وتقييد الترسانة النووية الاستراتيجية بشكل أكبر في البلدين. وينتهي العمل بالمعاهدة عام ٢٠٢١، ويمكن تجديدها لخمس سنوات بموافقة الطرفين. ومستقبل هذه المعاهدة الآن محل شك في ظل توتر العلاقات في الآونة الأخيرة بين البلدين. وإذا ما تم التخلي عن المعاهدة أو لم يجر تجديدها، فهذا سيمثل عقبة رئيسية في تقييد انتشار الأسلحة النووية على امتداد العالم.

وفيما يوحي بانتشار روح الحرب الباردة الجديدة، تباهى الرئيس بوتين والرئيس الأمريكي دونالد ترامب باعترامهما تحديث قواتهما النووية، لمدتها بأسلحة جديدة أكثر فتكاً. وأعلن ترامب أنه سيوسع ويطور الأسلحة النووية الأمريكية ليفوق الجميع. وفي الثاني من مارس المنصرم، عرض بوتين مقطعاً مصوراً متخيلاً لرؤوس نووية روسية تضرب فلوريدا، فأخبره ترامب من جانبه بأنه إذا ما نشب صراع تسلح آخر فستكسبه الولايات المتحدة.

وبهذا الخطاب الذي يتكرر يومياً تقريباً، لا عجب أن دولاً نووية أخرى، مثل الصين والمملكة المتحدة وفرنسا والهند وباكستان وإسرائيل وكوريا الشمالية.. لن تدعم تقليص قواتها النووية. والصفقة النووية مع إيران تحاصرها المخاوف، ولذا قد لا يكون هناك مفر من انتشار نووي جديد في الشرق الأوسط. وقد تحدث مواجهة عسكرية غير نووية في بداية الأمر بين روسيا والغرب، ربما في الشرق الأوسط أو في أوروبا. والنظام العسكري الروسي يجيز استخدام الأسلحة النووية الصغيرة حال نشوب مواجهة عسكرية كبيرة مع الغرب أو أي عدو آخر. لذا من الممكن أن يتطور أي اندلاع خطير آخر للقتال بين روسيا وقوى الغرب في أوروبا أو حتى في الشرق الأوسط إلى حرب شاملة. وكان يُعتقد أن هذه الأحوال صفحة طواها التاريخ منذ انهيار الاتحاد السوفييتي. لكن طموح بوتين لاستعادة السطوة والمجد الروسيين، وسوء إدارة الغرب لعلاقاته مع روسيا وأوروبا الشرقية والشرق الأوسط، ساهمت كلها في حرب باردة جديدة قد تكون خطيرة وعالمية مثل سابقتها.

عندما تتحول السياسة العالمية إلى حلبة ملاكمة!

*د. عبدالعاطي محمد

منبر الحرية، صحيفة (عمان) العمانية : ٢٠١٨/٧/٢٢

تأمل العالم خيرا من انتهاء الحرب الباردة، ولكن ما لم يكن متوقعا هو أن يعيش العالم اليوم أجواء هذه الحرب مجددا وإن كانت بصورة مختلفة. والشواهد على هذه الأجواء عديدة للمتابع البسيط قبل المتخصص. فلا أحد ينكر أن السياسة العالمية المعاصرة تشهد الآن أشكالا من الصراعات والتوترات غير المسبوقة، يبدو فيهما السلام والأمن الدوليان بعيدين عن التحقق إلى حد كبير، تماما مثلما كان الحال طوال سنوات الحرب الباردة.

ولكن الجديد هو أن صراع الماضي كان أيديولوجيا بالأساس ومنضبطا أي محسوب المقدمات والنتائج، وتجري ممارسته عن بعد بين الخصوم. بينما الصراع في النسخة المجددة (الحالية) ليس على الأيديولوجيا وإنما على المصالح الوطنية المتضاربة أمنية كانت أم اقتصادية أم قومية وليس منضبطا بل مفتوحا على كل الاحتمالات، أي لا سقف له وتجري ممارسته عن قرب.

ولا نبتعد عن الحقيقة إذا ما شبهنا ما جرى وما يجري الآن بأنه حلبة ملاكمة، يتبارى فيها الخصوم للفوز إما بالضربة القاضية أو بالنقاط ولكن في الماضي كان الخصوم محددين بدقة ويتواجهون على فترات متباعدة وهناك استراتيجية واضحة للجميع يتبعها كل منهم وأما الآن فالمشاركون في الصراعات ليسوا بالضرورة ممن يصنفون بالخصوم بل يشملون أيضا فريقا آخر يصنف بالمتنافسين وغالبا ما يختلط الاثنان فلا يعرف أحد الفارق بين الخصم والمنافس ولا تشهد الجولات رغبة من الفرقاء في إنهاء الجولة بالضربة القاضية وإنما بالنقاط فقط.

ما كان أحد حتى من الطرفين الأساسيين في الحرب الباردة القديمة يود ذلك بل يأمل في بدء صفحة جديدة لهما للعالم لا تعرف سوى التعاون والعمل الجماعي للنهضة البشرية وأمنها واستقرار أنظمتها السياسية ولا كان يأمل في تفجير ما يعرف بثورة القوميات التي بمقتضاها ظهرت دول جديدة وانتقلت العدوى إلى داخل عديد من الدول الأخرى التي توصف بأنها مجتمعات مركبة أي متنوعة عرقيا ولغويا ومذهبيا.

ولكن ما جرى هو العكس حيث الفرقة والخصام والتهديدات الأمنية المتبادلة وإعلان الحروب أو تفعيل التدخلات العسكرية في شؤون الآخرين. ولم يعد ذلك قاصرا على أطراف بينها عداوات قديمة أيا كانت أسبابها وإنما امتد إلى معسكرات الأصدقاء والحلفاء ذاتهم! ولم يعد من السهل التنبؤ بحدود الصراع وزمانه بين طرف وآخر، ولا بمساره فما يحدث اليوم يمكن أن يتغير غدا لأبسط الأسباب!

ولا شك أن هناك أسبابا موضوعية أو حقائق مادية تفسر هذا التحول إلى شكل جديد من الحرب الباردة لم يكتمل بعد ولكن شواهد قائمة يفوق في خسائره المادية والإنسانية ما سببته الحرب الباردة القديمة. وقديما قال المفكر الإيطالي جرامشي: «عندما ينهار القديم وإلى أن يأتي الجديد يحدث الكثير من الفوضى». والعبارة لا تبتعد كثيرا عن تجسيدها للوضع العالمي الراهن فما يجري هو الكثير من الفوضى حقا.

كانت السياسة الأمريكية أولا سببا فيما جرى كما قال الزعيم السوفيتي جورباتشوف الذي يشار إليه دائما بأنه مهندس تفكك الاتحاد السوفيتي السابق، وعلى إثره انتهت الحرب الباردة فهو من قال إن الولايات المتحدة فهمت خطأ هذا الأمر عندما قررت أن تقصي روسيا وريثة الاتحاد السوفيتي من السياسة العالمية واعتبرت انتهاء هذه الحرب معناه التفرد المطلق بالسياسة العالمية. ومن المنطقي أن يكون لروسيا رد فعلها المضاد وهو ما حدث ويحدث منذ نحو عشرين عاما.

وكان صراع الحضارات سببا ثانيا والذي تزامن مع انتهاء الحرب الباردة حيث فجر نزعة الانتصار للهوية إلى حد التعصب، ونثر بذور الشك في العلاقات بين الشعوب ذلك الشك الذي وصل إلى حد الصراعات الدموية. ومعلوم أن دعوة كهذه كانت من الأسباب التي خلقت عدا غير مبرر بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي. ومع أن المجتمع الدولي انتفض ضد هذه الدعوة وسعى إلى إجهاضها إلا أنه كان لها فعل السحر في إحياء التيارات المتطرفة على الجانبين.

وكانت العولمة سببا ثالثا فيما جرى من فرقة على عكس ما تصور من دعوا إليها ليس فقط لأنها هددت الهويات الوطنية مما دفع إلى الفعل المضاد أي إحياء النزعات الانفصالية بدعوى الحفاظ على الهوية وإنما لأنها فتحت أبواب

الاقتصاد على مصراعيها أمام الجميع فاختل التوازن العالمي وظهرت قوى اقتصادية جديدة تتصدر المشهد بينما توارت قوى أخرى خصوصا في جانب الدول الضعيفة اقتصاديا.

وكان العالم الرقمي سببا رابعا لأنه أتاح إمكانيات واسعة لانكشاف الجميع أمام الجميع فسقطت الأسرار واندلعت الحروب الكلامية وكذلك ما يعرف بحروب الجيل الرابع أي مباشرة الحرب ضد الخصم من داخله ودون اللجوء إلى خيار الحرب العسكرية وبفعل ذلك حلت الضربات من الخفاء محل المواجهة المباشرة وتعاليت الاتهامات المتبادلة وانهارت الثقة ولم تعد قواعد العمل الجماعي الواردة في كل الأعراف والقوانين الدولية معمولا بها وبمعنى أكثر وضوحا لم يعد هناك احترام للشؤون الداخلية للدول.

يجني عالم اليوم التداعيات السلبية لكل ما سبق. فمن كان يتوقع أن تتعرض العلاقات الأوروبية الأمريكية للخلافات الحادة إلى حد استخدام الحروب الكلامية بين الجانبين. صحيح أن هناك تباينات على مدى الزمن في الرؤى والمواقف بين الطرفين سواء فيما يتعلق ببناء التعاون المشترك في كل المجالات بما فيها التعاون العسكري ولكنها لم تصل أبدا إلى أن يذهب كل في طريق بالنسبة لقضايا ثنائية مهمة ولا أن يتبادل قادتهم وعلنا أمام الكاميرات ألفاظ اللوم وأحيانا التهكم والسخرية. لقد حدث ذلك في قمة الناتو الأخيرة في بروكسل عندما قال الرئيس الأمريكي ترامب: إن أوروبا أسيرة لروسيا ورد المسؤولون الأوروبيون بأن عليه أن يقدر حلفاءه مذكرينه بما قدمته أوروبا من تضحيات بشرية من أجل أمن الولايات المتحدة. وحدث ذلك أيضا في علاقة بريطانيا بالاتحاد الأوروبي عندما قرر الشعب البريطاني الخروج من الاتحاد وبدأت رئيسة وزراء بريطانيا خطتها للخروج الآمن منه.

من كان يتوقع أن تدخل الولايات المتحدة حربا تجارية مع حلفائها الأوروبيين أو مع الصين الشريك التجاري الأكبر لها عالميا. في الحالتين كان الاقتصاد العالمي هو السبب الذي هز أركان العلاقات هنا وهناك. الولايات المتحدة ترى اليوم أن هذا الاقتصاد أضرها وهكذا ترى بريطانيا أيضا في علاقاتها مع بقية الاتحاد الأوروبي وعلى الجانب الآخر فإن الصين وأوروبا تريان أن لجوء الإدارة الأمريكية للسياسات الحمائية مخالف لمبادئ التجارة الحرة ويعصف بما قدمته العولمة من إيجابيات.

وفي الحصاد المر لهذه الأسباب التي قادت إلى أن تصبح السياسة العالمية ساحة للملاكمة بين مشاركين كثر لا تحكمها قواعد ولا ضوابط هناك الملف السوري الذي أصبح مصيره بيد كل من روسيا والولايات المتحدة وخاضعا لأسلوب الصفقات وكأن مصير الشعوب مشروع تجاري ضخم يخضع للمساومة أو مقايضة أشياء بأشياء. روسيا تدخلت عسكريا في درعا بالجنوب لتضع نهاية لسيطرة الجماعات المعارضة المسلحة ولصالح الحكم في دمشق. حدث ذلك برضا وأمام أعين الولايات المتحدة، وعلى عكس ما تضمنته اتفاقات مناطق خفض التوتر وذلك على أمل أن تضغط روسيا على إيران لإبعاد قواتها من المنطقة هناك (القريبة من إسرائيل) وذلك بانسحاب القوات لأبعد من ٨٠ كيلو مترا في بعض التقارير أو ٤٠ كيلو مترا في تقارير أخرى. كما تردد أن واشنطن تريد انسحابا كاملا للقوات الإيرانية من الأراضي السورية مقابل انسحاب القوات الأمريكية من شرق الفرات، مع ضرورة تعاون النظام مع قوات سوريا الديمقراطية مع ما يعنيه ذلك أيضا من موافقة الولايات المتحدة على بقاء الأسد. إسرائيل تستريح لتصرف كهذا أو لما يسمى بصفقة القرن في سوريا (خروج إيران وبقاء الأسد) وروسيا تفضله بكل تأكيد طالما يعني بقاء الأسد ولكنها لا تستطيع أن تغضب إيران التي لها مصالح اقتصادية معها وتقدر دورها المهم في العمل على إنهاء «داعش» سواء في سوريا أو العراق والمتعاطفة معها في مسألة المواجهة مع واشنطن بخصوص الاتفاق النووي ومن الصعب الجزم بأنها قادرة على أن تضغط على طهران للقبول بالانسحاب بعد أن استثمرت الكثير من التضحيات والتكاليف لإثبات وجودها في سوريا. وبما أن مطالب كل طرف تبدو متباعدة عن بعضها البعض وإمكانية الوفاء بها صعبة فإن المساومات تتركز في الممكن وليس في المأمول لدى كل طرف بمعنى تحقيق قدر من الحلحلة لخفض التوتر عموما مما يفتح الطريق لتسوية سلمية وليس لتقديم حلول نهائية. ولذلك يظل التغيير محدودا وتبقى المصالح والمواقف والمكاسب الأساسية كما هي بالنسبة لكل طرف من الأطراف الثلاثة «أمريكا وروسيا وإيران». وأما الرابح فهو النظام السوري والخاسر هو المعارضة سلمية كانت أم مسلحة!

نحن إذن لسنا أمام سياسة عالمية بلا إرادة جماعية لتحقيق السلم والأمن الدوليين وإنما أمام سياسة تخضع لإرادات مختلفة لكل منها أهداف ومصالح مختلفة، إن لم يكن متناقضة مع بعضها البعض. وأمام صراعات مفتوحة الأجندات. وما يزيد الأوضاع تعقيدا أنها صراعات تنخرط فيها الشعوب وتصبح بدورها قوة ضاغطة على صانع القرار.

الأزمة الخليجية: طموحات ملكية وتحالفات هشة

*غالب دالاي

مركز دراسات الجزيرة: ٢٠١٨/٧/٢٢

أدى نطاق الأزمة الخليجية ومداهما وأسبابها إلى تحيُّر حتى المراقبين اللصيقين للمشهد السياسي بالمنطقة. إذ ينظم مهندسو الحصار على قطر حملة واسعة النطاق من الدبلوماسية الشعبية لبث رسائل مختلفة لجماهير مختلفة من أجل إضفاء الشرعية على خطواتهم وتأطير ما هو سخيْف حقاً بإطار القبول. بينما يهدف اتهام قطر بإقامتها صلاتٍ مزعومة مع حركاتٍ إسلاموية متطرفة إلى مغازلة الجماهير الغربية، يسعى اتهامها بإقامة صلاتٍ سرية ومعقدة مع إيران إلى مغازلة الجماهير العربية السنية في ضوء كراهيتها المتزايدة لإيران“ بفضل الدور الذي تلعبه في سوريا والعراق واليمن ولبنان. وبعد أن عرضت إيران وتركيا تقديم الدعم لقطر، يبدو هذه المرة أن ذات الجبهة سعت إلى إثارة المشاعر القومية العربية ضد قطر. فقد اتهم وزير دولة الإمارات للشؤون الخارجية، أنور بن محمد قرقاش، قطر بالسعي نحو الحصول على دعم دولتين غير عربيتين في المنطقة. وقد كان غرض بث الخوف بادياً بوضوح تام في هذه الحملة الأخيرة. لكن من أجل فهم ما يجري حقاً في الخليج الآن، يتعين علينا النظر أبعد من البيانات والمواقف والتهديدات الرسمية.

مخاوف وطموحات ملكية

بالتأكيد سعى الداعمون الأساسيون لهذه الخطوة، محمد بن زايد آل نهيان ومحمد بن سلمان آل سعود، إلى تحقيق مطامع ومناافع شخصية من هذه الأزمة. فقد حاول محمد بن سلمان التعويض عن حادثة سنه، وسلوكه العشوائي، ومزاجه السيء، وقلة خبرته باستخدام قناع العدو المرابط ضد إيران والإسلام السياسي. يهدف ابن سلمان بهذه الطريقة إلى تعزيز جاذبيته أمام المؤسسة السياسية الغربية، وتحديداً الأمريكية، وكسب الأفضلية في مواجهة ابن عمه ومنافسه الأكثر شهرةً برجال الدولة، ولي العهد محمد بن نايف آل سعود، في مسألة ولاية العرش السعودي. في هذه العلاقة، يبدو أن محمد بن سلمان يمثل القوة، بينما يمثل محمد بن زايد العقل. فبالنسبة لابن زايد، تهدف هذه الخطوة إلى التخلص من الإسلام السياسي المعتدل كمشروعٍ سياسي بديل وقتل ظاهرة الربيع العربي بوعودها الأولى بتعزيز الديمقراطية والتقدم، التي هزت الأنظمة المستبدة القائمة بالمنطقة حتى أساساتها. رغم أن الأزمة الأخيرة لها جذورها في حقبة الربيع العربي، فإنها لا تمثل سوى إعادة الأخيرة لصراعٍ على مستوى المنطقة لتشكيل النظام الإقليمي بعد الربيع العربي. في الحقيقة، يعكس تكوين الجبهة المعادية لقطر واقع ما بعد الربيع العربي وإعادة تشكيل التحالفات السياسية في المنطقة. وتهدف هذه الخطوة، في جوهرها، إلى إعداد نظامٍ إقليمي جديد، يقف أغلبه بمحاذاة خطوط الوضع الاستبدادي القائم منذ نهاية الحرب الباردة تحت حماية المظلة الأمنية الأمريكية.

تكمُن مشكلة هذا المعسكر في أن أعضائه يفشلون في تعزيز تقدم رؤية متماسكةٍ لنظامٍ إقليمي وشكلٍ أكثر اعتدالاً يتمتع بالشرعية والاستمرارية من العلاقات بين الدولة والمجتمع. وقد قوبل النظام الإقليمي الاستبدادي النخبوي الخاص بهذا المعسكر بالرفض من جانب قوى الربيع العربي والحالة النفسية السياسية التي أطلقتها هذه العملية. كما رفضت الانتفاضات العربية شخصنة السلطة والطريقة التي جرى بها التعامل مع تسليم الحكم في هذا النظام الإقليمي: سواء عبر نقل السلطة من مستبد مسن إلى ابنه أو عبر انقلابٍ عسكري.

مع تبني المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات لهذا المسار من السياسة الرجعية، تماديتا حتى بلغتا اتهام دول أخرى بدعم الإرهاب. يتعلق الاتهام الرئيس لقطر بدعمها للإخوان المسلمين، وهو تنظيم إسلامي سياسي واسع الانتشار وغير مدرج على أي من القوائم الغربية للتنظيمات الإرهابية. في الحقيقة، لم يكن حتى على قائمة التنظيمات الإرهابية بالإمارات أو السعودية حتى عام ٢٠١٤، ولا يزال جزءاً من المؤسسة السياسية القانونية في الكويت. حقيقة أن لا السعودية ولا الإمارات أدركت أن التنظيم، الذي تأسس عام ١٩٢٨، كان تنظيمًا إرهابيًا حتى أعقاب الانقلاب المصري تنضح بالدوافع الحقيقية وراء هذه الخطوة. لقد شنتا حرباً على الإخوان المسلمين لأن التنظيم أصبح فاعلاً سياسياً حقيقياً وبديلاً للأنظمة المستبدة والملكية المتداعية، رغم كل عيوب التنظيم وقصر نظره وأخطائه.

باختصار، بالنسبة لأشباه ابن سلمان وابن زايد، تمثل الروح الثورية للانتفاضات العربية والإسلام السياسي تهديداً وجودياً لما تمثله من تحدٍ لمشروعات السلطة الشخصية لهم.

التحالف الإماراتي السعودي هش

فوق كل ذلك، بمجرد عزل القاسم المشترك نحو مقاومة التغيير، تصبح مصالح السعودية والإمارات عصية على التوافق. بل في الواقع، لا يمثل التواطؤ الاستبدادي شكلاً قابلاً للاستمرار من هياكل التحالفات التي يمكنها إعادة تأسيس نظام إقليمي مختل.

على سبيل المثال، تعد مواقف المملكة والإمارات بشأن الأزمة اليمنية متعارضة تماماً. إذ تدعمان فصائل مختلفة وحلولاً مختلفة للأزمة. فبينما تدعم الإمارات بقوة الحاكم السابق لعدن، عيدروس الزبيدي، ومفوض شرطة عدن، شلال شائع، وتتبنى تصور تقسيم اليمن، ألقى النظام السعودي دعمه وراء حكومة الرئيس اليمني، عبد ربه هادي منصور، ويعارض فكرة تقسيم اليمن.

حتى الدور الإيراني الذي يكثر الحديث عنه لا يمثل عامل توحيد كبير تود الراعيتان للحصار الأخير تصوره. بل هذا التركيز على الدور الإيراني مصمم بشكل رئيس ليكون عاملاً معززاً لشرعية هذه الخطوة.

تعتقد الداعمات للحصار أن ذلك سوف يلقي أيضاً قبول إدارة ترامب، التي تنتقل بالتدريج من استراتيجية "محاربة داعش أولاً" إلى استراتيجية "محاربة إيران أولاً" في المنطقة. إن كانت إيران هي السبب الحقيقي، فقد يتوقع المرء أن تقوم المملكة أولاً بخطوة مشابهة تجاه عمان، وهي دولة لها مثل هذه العلاقات العلنية العميقة الواسعة مع إيران. أو حتى قد يتوقع من السعودية أن تطلب من حليفها الوثيقة، الإمارات، أن تصد المحاولات الإيرانية لتفادي العقوبات الغربية عبر استخدام دبي واحدة من مراكزها الرئيسية للتجارة.

وفقاً لصحيفة فايننشال تريبيون، الصحيفة الاقتصادية الأهم باللغة الإنجليزية في إيران، كانت الإمارات ثاني أكبر وجهة تصدير إيرانية بعد الصين خلال العام المالي الأخير الذي انتهى في ٢٠ مارس/آذار، بنسبة ١٧ بالمئة من الصادرات الإيرانية - بزيادة كبيرة عن العام السابق.

يبقى أن نرى إلى متى سوف يتمكن التحالف الإماراتي السعودي من الصمود، لكن هناك أمر واحد مؤكد: لن يؤدي التصعيد والحصار الذي خططوا له إلى حل مشكلات الشرعية لديهما.

قانون الدولة القومية اليهودية الجديد يجعل الفصل العنصري في إسرائيل دستورياً

(مجلة ٩٧٢+ : ٢٠١٨/٧/٢٢)

إيدو كونراد*: مرر البرلمان الإسرائيلي "قانون الدولة القومية اليهودية" في الساعات الأولى من صباح يوم الخميس، ليُعرف إسرائيل كدولة قومية للشعب اليهودي ويخفض المكانة الرسمية للغة العربية. على الفور تقريباً، بدأ السياسيون الفلسطينيون وجماعات حقوق الإنسان يتحدثون عن هذا التشريع الجديد بأقوى العبارات. وقال أمين عام منظمة التحرير الفلسطينية صائب عريقات إن القانون "يحول نظام الفصل العنصري بحكم الأمر الواقع فصل عنصري بحكم القانون لكل فلسطين التاريخية". وقال حسن جبارين، رئيس مركز عدالة، المركز القانوني لحقوق الأقليات العربية في إسرائيل، إن القانون "يجسد عناصر رئيسية من الفصل العنصري" وإن إسرائيل، من خلال تمريره "جعلت من التمييز قيمة دستورية واعترفت بالتزامها بتفضيل تفوق اليهود باعتباره حجر الأساس لمؤسساتها". ووفقاً للمحامي في "عدالة"، فادي خوري، فإن التشريع يرسخ هوية دولة إسرائيل كدولة للشعب اليهودي، ويحولهم إلى موقع السيادة، بينما يستبعد السكان الفلسطينيين من التعريف نفسه للسيادة. وكما أوضح خوري، فإن "القانون نفسه لا يذكر كلمة الديمقراطية حتى ولو مرة واحدة. وعلى المستوى النفسي، سيكون له تأثير كبير على الإسرائيليين عندما يُدعون إلى تحديد ما هو ديمقراطي وما هو ليس كذلك". تحدثت "مجلة ٩٧٢+" مع خوري من أجل فهم أفضل للمقارنة بين هذا الوضع وبين الفصل العنصري، ولماذا يعتبر القانون الإسرائيلي الجديد إشكالياً بشكل عام.

• الناس يُسمون هذا القانون "قانون الفصل العنصري"، لماذا؟

خوري: "كان الفصل العنصري في جنوب إفريقيا عملية متصلة وليس حدثاً. كان نظاماً استغرق تطويره سنوات، وكان مبنياً على عمل الأكاديميين واللاهوتيين الذين كان عليهم أن يبتدعوا المبررات للتفوق الأبيض. كان نظاماً من التسلسل الهرمي، حيث هناك مجموعة تستأثر بكل السلطة وأخرى من دون أي سلطة". "في إسرائيل، يحدد القانون الجديد صراحةً الشعب اليهودي باعتباره المجموعة الوحيدة ذات الحق الوحيد في تقرير المصير، بينما يلغي حقوق السكان الأصليين. وهذا يخلق نظاماً من التسلسل الهرمي والتفوق. نحن لا نعيش في وقت تكون فيه الدعوات الصريحة إلى التفوق مشروعة كما كان الحال في جنوب إفريقيا، لكننا نصل إلى النتيجة نفسها من خلال استخدام لغة مختلفة".

"التشابه بين إسرائيل وجنوب إفريقيا لا يتعلق فقط بالمجتمعات المنفصلة أو الطرق المنفصلة، بل إنه يتعلق أيضاً بحالة ذهنية. إنه يدور حول فكرة وضع مجموعات مختلفة في مراتب. إنه فكرة نظام من السيادة والتفوقية، والذي يخدم مصالح مجموعة واحدة، حتى لو جاء ذلك على حساب أكثر الحقوق أساسية للأخرى. ليس علينا أن نواصل البحث عن سياسات تشبه جيم كرو -وتلك العقلية ليست موجودة فقط في محيط السياسة الإسرائيلية، وإنما أيضاً في عقلية الاتجاه السائد".

• اشتملت الصيغة الأصلية لمشروع القانون على بند يسمح بفصل المجتمعات على أسس دينية أو "قومية". ما الذي تقولونه النسخة النهائية عن الفصل؟

خوري: "تضمنت الصيغة السابقة لمشروع القانون فقرة تسمح للدولة بتحويل مجتمعات جديدة على أساس الدين أو الجنسية. كانت مبنية على مبدأ "منفصل وإنما مكافئ"، والذي كان متأصلاً في فكرة أن ذلك سيكون مفيداً للجميع -اليهود أو الفلسطينيين. ثم تغيرت تلك اللغة لأنها كانت قريبة جداً من نوع الفصل الصارخ الذي رأيناه في الولايات المتحدة. وأعادوا كتابة العبارة حتى تستطيع الدولة أن "تعزز الاستيطان اليهودي". وهو ما يخلق نوعاً مختلفاً تماماً من عقيدة الفصل العنصري، واحدة تقوم على مبدأ "منفصل وإنما غير متكافئ".

"فلنفكر في الأمر بهذه الطريقة: تخيل لو أن الولايات المتحدة أقرت تشريعاً يروج لشيء مثل 'الاستيطان الأبيض' ويعزز -سوف يجعلنا ذلك نرتجف. ولكن، بعد سبعين عاماً من الحديث عن دولة يهودية وديمقراطية، أصبحت فكرة الاستيطان اليهودي دنيوية وعادية جداً لدرجة أنها لا تبدو إشكالية. بهذا المعنى، يكون التغيير تجميلياً فقط. لكن ما يريد اليمين الإسرائيلي تحقيقه هو نفسه: تهويد البلاد مع تحفيز بناء مجتمعات للمواطنين اليهود فقط".

• ما هي الآثار المحتملة التي قد تكون لهذا القانون على النظام القانوني؟

خوري: "هذا قانون سوف يحدد الهوية الدستورية للدولة. حتى الآن، كان دور المحكمة العليا هو تفسير ما تعنيه عبارة 'يهودية وديمقراطية'. لكن لدينا الآن قانوناً يمنح لهوية الدولة اليهودية مكانة دستورية".

"هذا (القانون) سوف يكون تأسيسياً. إنه يصبح مصدراً لتفسير القوانين والنظام القانوني. ولن تقتصر العواقب على عدد قليل من المجالات: إنها ستؤثر على النظام القانوني من جذوره، خاصة إذا استمر اليمين الإسرائيلي في تعيين قضاة محافظين للمحكمة العليا، التي ستستخدم هذه القاعدة الدستورية الجديدة لتفسير القانون".

• هل القانون الجديد هو تسريع لعملية كانت تجري هنا مؤخراً أم أنه يكرس نظاماً تمييزياً كان موجوداً دائماً هنا؟

خوري: "أعتقد أننا نشهد تصعيداً لم يبدأ مع القانون الأساسي الجديد، وإنما يجيء نتيجة للتناقض بين الهويات الأساسية للدولة كدولة يهودية وديمقراطية معاً. إن ما نراه الآن هو سيطرة الهوية اليهودية أكثر فأكثر على الحياة الاجتماعية والسياسية للمواطنين الإسرائيليين، في حين أن الهوية الديمقراطية للدولة تشهد انحداً".

عن القانون الجديد، كتب مايكل شيفر عمر-مان، رئيس تحرير موقع مجلة ٩٧٢+ والمساهم المنتظم في التغطيات والتحليل، والذي عمل قبل ذلك مديراً لتحرير الأخبار في صحيفة "جيروساليم بوست":

يمكنك النظر إلى قانون الدولة اليهودية الجديد من زاويتين: الرسالة التي يرسلها إلى اليهود، والرسالة التي يرسلها إلى الفلسطينيين - أنتم لا تنتمون إلى هنا.

كانت اللغة العربية لغة رسمية لدولة إسرائيل لمدة سبعين سنة وشهرين وخمسة أيام. لكنها لم تعد كذلك اعتباراً من ١٩ تموز (يوليو) ٢٠١٨.

لا يوجد سبب عملي لهذا التغيير، وفي واقع الأمر، بشكل أساسي يضمن "قانون الدولة القومية اليهودية"، الذي ألغى اللغة العربية كلغة رسمية احتفاظ اللغة العربية بجميع منافع كونها لغة رسمية على الرغم من تجريدها من العنوان.

إن، لماذا هذا القلب للوضع القائم لأكثر من سبعين سنة مضت؟ في بعض الأحيان، يكون ما يقوله القانون أكثر أهمية مما يفعله.

يمكنك النظر إلى قانون الدولة القومية اليهودية من منظورين. هناك الرسالة التي من المفترض أن يرسلها إلى اليهود: تأكيد إيجابي لإسرائيل كدولة قومية يهودية "باعتبارها الوطن اليهودي" وباعتبارها دولة اليهود "في رسالة مطمئنة ووطنية تقول لهم: "هذا البلد ملك لكم وحدكم".

وهناك الرسالة الأخرى، المناقضة، المقصود أن تتوجه إلى الفلسطينيين، وهي: هذه ليست أرضك. هذا البلد لا ينتمي إليك، بغض النظر عما إذا كنت مواطناً إسرائيلياً تعيش في وطن أجدادك أو لاجئاً تتوق للعودة إلى أرض أجدادك" إن ثقافتك ولغتك وتاريخك هي شؤون يتم التسامح معها فقط في أحسن الأحوال - هذا ليس وطن أجدادك" هذا ليس وطنك.

ينص قانون الدولة اليهودية، ضمناً وصراحة، على أن إسرائيل لا تنتمي إلى جميع مواطنيها، وأكثر من ٢٠٪ منهم ليسوا يهوداً. وبدلاً من ذلك، يعلن أن إسرائيل تنتمي إلى كل الشعب اليهودي، ونصفهم تقريباً ليسوا مواطنين إسرائيليين.

وبذلك، فإن القانون يرسخ عقداً اجتماعياً ملتوياً وإقصائياً. وفي حين تستمد معظم الدول الديمقراطية شرعيتها للحكم من موافقة مواطنيها، فقد استثنيت إسرائيل واحداً من كل خمسة مواطنين إسرائيليين من ذلك العقد. وبالنسبة إلى الواحد من كل خمسة مواطنين إسرائيليين، والذين هم العرب الفلسطينيون، تمت إزالة شرط الموافقة فعلياً من حكمهم.

بطبيعة الحال، كان الحكم من دون موافقة هو القاعدة، وليس الاستثناء، بالنسبة لمعظم الفلسطينيين الذين يعيشون في ظل النظام الإسرائيلي على مدى السنوات السبعين الماضية. منذ العام ١٩٤٨ وحتى العام ١٩٦٦، وضعت إسرائيل مواطنيها العرب تحت نظام عسكري يسيطر بإحكام على كل شيء، من التنقل إلى التعليم إلى السياسة إلى الصحف.

في السنوات الإحدى والخمسين التي تلت ذلك، أجبر ملايين الفلسطينيين من غير المواطنين في الأراضي المحتلة على العيش تحت ديكتاتورية عسكرية غير ديمقراطية. وبالمثل، فإن مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين يعيشون في "القدس الموحدة" ليس لهم الحق في التصويت. لم تكن الموافقة أبداً جزءاً من المعادلة بالنسبة للفلسطينيين الذين يعيشون تحت الحكم الإسرائيلي. ولم يتكلف أحد حتى عناء إعطاء الفكرة خدمة كلامية.

لجميع هذه الأسباب، لا ينبغي لأحد أن يحاول التظاهر بالدهشة من قانون الدولة القومية اليهودية الجديد. كانت المبادئ التي يرفعها إلى مكانة دستورية موجودة هناك دائماً، تماماً مثلما كان البلد الذي تُعرّف هذه المبادئ. ومع ذلك، فإنه انسجامه المطلق مع المسار المعروف والقابل للتنبؤ به لا يحد من خطورته على الإطلاق.

*كاتب ومدون ومترجم يقيم في تل أبيب. عمل سابقاً محرراً في صحيفة "هآرتس"، وهو حالياً نائب رئيس تحرير مجلة

٩٧٢+. نشر هذا التقرير تحت عنوان: 'Israel's Nation-State Law: Apartheid is a process'

*الترجمة: صحيفة الغد الاردنية - علاء الدين أبو زينة

هنري كيسينجر: إنها فترة خطرة جداً!

فايننشال تايمز : ٢٣/٧/٢٠١٨

في مقابلة أخيرة مع فايننشال تايمز، قال هنري كيسينجر إن انفصام تحالف شمال الأطلسي سيحيل أوروبا ملحقاً بروسيا، يكون تحت رحمة الصين التي تريد أن تكون المستشار الرئيسي لكل البشرية، مؤكداً أن العالم يمر بفترة خطرة جداً.

وكتب هنري كيسينجر، عميد الدبلوماسية الأمريكية، هذا العام مقالةً مخيفة عن الذكاء الاصطناعي، قارن فيها وضع البشرية اليوم بحضارة الإنكا قبل أن تنقرض تحت وطأة المرض والغزو الإسباني. وهو الآن يشغل على كتاب عن كوكبة من رجال ونساء الدولة الكبار بمن في ذلك مارغريت ثاتشر، وانتهى من القسم الذي يتناول فيه ريتشارد نيكسون، الرئيس الذي عمل معه وزيراً للخارجية ومستشاراً لشؤون الأمن القومي.

أعرب كيسينجر في مقابلة مع صحيفة فايننشال تايمز عن خشيته من أن يثير كتابه، حين يُنشر، مقارنات بين فضيحة ووترغيت التي أسقطت نيكسون والتحقيق في علاقة حملة الرئيس الأمريكي دونالد ترمب الانتخابية بروسيا، وما إذا كان لها دور في فوزه بالرئاسة.

تحدي الهوية

حين سئل كيسينجر عن قمة هلسنكي الأخيرة بين ترمب ونظيره الروسي فلاديمير بوتين، قال: "إنه لقاء كان يجب أن يُعقد"، وكان يدعو إليه منذ سنوات، لكن القضايا الداخلية الأمريكية طغت عليه واصفاً اللقاء بأنه "فرصة ضائعة". أعلن كيسينجر: "اعتقد أن العالم يمر في فترة خطرة جداً. وأنا عقدتُ عددًا لا يُحصى من لقاءات القمة، وبالتالي فإنهم لم يتعلموا هذه القمة (هلسنكي) مني أنا".

أشار كيسينجر إلى سوريا واورانيا، قائلاً: "من سمات روسيا الفريدة أنها تتأثر إذا حدث غليان في أي رقعة من العالم تقريباً، وهو يعطيها فرصة، كما أنها تنظر إليه بوصفه تهديداً. أخشى أن يتسارع هذا الغليان".

بحسب كيسينجر، افترض الغرب خطأ قبل أن يضم بوتين شبه جزيرة القرم أن روسيا ستعتمد النظام الغربي القائم على قواعد محددة. قال: "الخطأ الذي ارتكبه حلف شمال الأطلسي هو الاعتقاد أن هناك نوعاً من التطور التاريخي سيزحف على يوريشيا، ولم يفهم أن هذا الزحف سيصطدم في مكان ما بشيء يختلف جداً عن كيان على غرار صيغة فيستفاليا (مفهوم الغرب للدولة). وبالنسبة إلى روسيا، هذا يشكل تحدياً لهويتها".

لكنه أكد أنه لا يعتقد "أن بوتين شخصية مثل هتلر، بل يخرج من معطف دوستوفسكي".

ميركل محلية جداً

لاحظ مراسل صحيفة فايننشال تايمز أن كيسينجر كان طيلة اللقاء يتهرب من الحديث عن ترمب. في النهاية، قال: "أعتقد أن ترمب قد يكون شخصية من شخصيات التاريخ، تظهر بين حين وآخر لتؤثر إلى

نهاية حقبة وإجبارها على التخلي عن ادعاءاتها القديمة. ولا يعني هذا بالضرورة أنه يعرف ذلك أو يفكر في أي بديل كبير، بل من الجائز أن يكون ذلك مجرد صدفة".

قال كيسينجر إنه لا يجد زعيماً يثير اهتمامه، ربما باستثناء إيمانويل ماكرون. لكن بحسبه، حتى الرئيس الفرنسي لا يستطيع أن يعتبره رئيساً فاعلاً، "لأنه ما زال في بدايته، غير إني معجب بأسلوبه". من الزعماء الأوروبيين الآخرين، وصف كيسينجر المستشار الألمانية أنجيلا ميركل بأنها "محلية جداً، أنا أحبها شخصياً واحترمتها لكنها ليست شخصية فوق العادة".

ثم انتقل الحديث إلى زبيغنيو بريجنسكي، غريم كيسينجر، الذي عمل هو أيضاً مستشار الأمن القومي في الإدارة الديمقراطية للرئيس جيمي كارتر. قال كيسينجر إن بريجنسكي "يكاد أن يكون فريداً في جيلي، كنا نحن الاثنين نعتبر أن الأفكار عن النظام العالمي هي مشكلة عصرنا الأساسية. كيف نقيمه؟ كانت أفكارنا مختلفة إلى حد ما". وأشار إلى عدم وجود "مناظرة اليوم وهي شيء من الضروري أن يكون موجوداً عندنا".

عالم بلا أمريكا؟

عن العلاقات عبر الأطلسي بين أوروبا والولايات المتحدة، قال كيسينجر: "إن القادة الأوروبيين في أربعينيات القرن الماضي كان لديهم حس واضح بالاتجاه، وهم الآن في الأغلب يريدون تجنب المتاعب"، مشيراً إلى أنهم مع ذلك لا يفلحون في تجنبها.

أضاف: "إن ألمانيا مرموقاً قال لي أخيراً إنه كان دائماً يفهم التوتر مع أمريكا بصفته طريقة للابتعاد عن أمريكا، لكنه يجد نفسه الآن خائفاً من عالم بلا أمريكا".

قال كيسينجر إن انفصام تحالف شمال الأطلسي سيحيل أوروبا "ملحقاً بيوريشيا" يكون تحت رحمة الصين التي تريد استعادة دورها التاريخي بوصفها المملكة الوسطى، وتكون "المستشار الرئيسي لكل البشرية". وفي هذه الأثناء، ستصبح أمريكا جزيرة جيوسياسية على جانبيها محيطان شاسعان، ومن دون نظام أساسه القواعد تدافع عنه.

كان كيسينجر أشد حذراً إزاء الذكاء الاصطناعي الذي اعترف بأنه موضوع ما زال يصارعه. لكنه أعرب عن خوفه من عواقب مجهولة لحرب تُخاض بالروبوتات، لعالم يكون مطلوباً فيه من الآلات أن تتخذ قرارات أخلاقية. في ختام اللقاء، قال: "كل ما أستطيعه في السنوات القليلة المتبقية من حياتي هو إثارة هذه القضايا، ولا أدعي أن عندي إجابات عنها".

فشل الدول العربية الريفية والشعبوية

*موريس عايق

موقع قنطرة الألماني: ٢٠١٨/٧/٢٣

تعيش المنطقة العربية على وقع حروب أهلية معمرة، من سورية إلى العراق وليبيا واليمن والصومال، وسابقاً العراق ولبنان والسودان والجزائر وهلم جرا. حروب لا تتوقف إلا لتعود من جديد، وربما يكون لبنان المثل الأكثر تطرفاً لجهة ديمومة الحرب الأهلية.

بل يمكن اعتبار فترات الاستقرار نفسها حروباً أهلية باردة تشنها الأنظمة على شعوبها، فالاستقرار والأمن العربيان هما الوجه الآخر لحكم المخابرات والعسكر.

يحيل المفهوم العربي "الحرب الأهلية" إلى الأهل، بعكس مقابله في اللغات الأجنبية كالإنكليزية والألمانية، حيث يحيل إلى المواطنين، حرب بين المواطنين وليس الأهل. يذكر هذا بالنقاش الذي حصل في التسعينات حول ترجمة مفهوم "المجتمع المدني"، بوصفه الهيئات الوسيطة التي تقف بين الفرد والدولة من أحزاب ونقابات وجمعيات طوعية.

في الحالة العربية كانت الهيئات الوسيطة هي القبيلة والعشيرة والمؤسسة الدينية التي تحيل للأهلي وليس للمدني ومؤسساته الحديثة. لهذا تم وقتها اقتراح مفهوم المجتمع الأهلي تمييزاً له عن المجتمع المدني المفقود أو الجنيني في الحالة العربية. النقاش الذي دار حول المجتمع المدني والأهلي كان تقريباً نقاشاً عربياً خالصاً.

حروب الأهل في العالم العربي

هنا أيضاً يبدو التمييز الخاص بالتعبير العربي - على رغم أنه مقابل اصطلاحي للمفهوم في اللغات الأخرى - مفيداً في مساءلة الحروب الأهلية العربية، بوصفها حروب الأهل. خيضت الحروب الأهلية الغربية - الروسية والفرنسية والإسبانية واليونانية الخ... بين مواطنين، جماعات تتعرف على نفسها من خلال أيديولوجيات حديثة وتتأطر في بنى مؤسسية حديثة وتهدف إلى تحقيق انتصار هذه الأيديولوجيات ويمكن النظر إليها بوصفها صراعاً ملازماً لمرحلة انتقالية.

في المقابل فإن الحروب الأهلية العربية، وبمعزل عن لحظات الانتفاضة الأولى، هي حروب بين الأهل، تُسيّس الأهلي باعتباره عصبية مقاتلة، سواء كان هذا الأهلي طائفيّاً أو قبليّاً أو جهويّاً أو أثنيّاً.

الميزة الحاسمة التي تفرق بين نمطي الحريين هي أن حروبنا لا تنتهي بعكس حروب الآخرين. هناك تُهزم الأيديولوجيا، بينما لدينا لا يمكن للأهلي أن ينتهي، فالسني والشيوعي والعلوي والمسيحي سيبقون، وكذلك العربي والكردي والسوداني الجنوبي الخ... لا هدف لحروبنا الأهلية سوى الملك.

كذلك وبحكم أن حروبنا، حروب الأهلي، مستدامة فهي تترافق مع أمراء حرب يعتاشون على إدامة الحرب واستمرارها كمصدر رزق مرتبط بالحواجز والنهب، بعكس الحروب الأهلية التي عرفها الآخرون حيث سعى كل طرف محارب إلى بناء اقتصاد يساعده على تغذية موارده وتقويتها من أجل الانتصار. اقتصاد ريعي للحرب الأهلية مشابه لاقتصاد الدولة العربية نفسه.

يظهر تسييس الأهلي على نوعين. ظاهر، مثلما لدى الإسلام السياسي بنسخته الشيوعية والسنية أو المارونية السياسية، حيث التسييس الصريح للانتماء الطائفي، لكن أيضاً على سبيل التقية وباستخدام أيديولوجيات حديثة، مثلما لدى النظام السوري والعراقي سابقاً والحزب التقدمي الاشتراكي اللبناني، حيث العصبية الأهلية هي الفاعل الحقيقي. يمكن لنا أن نستذكر الحروب الأهلية الأفريقية، حيث تُشكل كل قبيلة جبهتها الديمقراطية أو التقدمية أو الليبرالية.

الهويات المدنية الحديثة فشلت في مواجهة الهويات الأهلية

لماذا نحارب بالأهلي وليس بالمدني، أو بتعبير آخر لماذا لم تنجح الهويات المدنية الحديثة لدينا في مواجهة الهويات الأهلية؟ لا تعني الهويات المدنية إلغاء إمكانية الحرب الأهلية، وقد شهد القرن العشرون الكثير منها. لكن معضلة الهويات الأهلية أن حروبها الأهلية مستدامة.

شكل العهد الليبرالي العربي، من أواخر القرن التاسع عشر إلى ما يقرب نهاية النصف الأول من القرن العشرين، فترة تكون وازدهار الهويات المدنية. قد يعود هذا إلى عاملين:

أولاً استقلال الحيز الاقتصادي وتطوره عبر نشوء صناعات حديثة مما أفسح المجال لتطوير أبعاد أخرى للهوية، وهي الهوية الطبقية. فالنزاعات التي تشكلت داخل الحيز الاقتصادي تبلورت على أسس حدود طبقية تتجاوز الهويات الأهلية، فالعمال عانوا شروطاً مجحفة وتعرفوا على أنفسهم بوصفهم عمالاً في مواجهة استغلال الرأسمالي بمعزل عن طوائفهم.

وثانياً، النظام البرلماني والصحافة الحرة ونشوء طبقة وسطى حديثة، وهي عوامل أفسحت المجال لتشكل مجال عام يستخدم لغة عمومية متجاوزة للأهلي.

هذا لا يعني غياب الأهلي، فهو كان حاضراً، ويمكن النظر إلى العديد من الأحزاب والحركات السياسية العربية في ذلك الزمن واستكشاف عمق حضور الأهلي فيها، لكن استقلال الاقتصاد ووجود مجال عام قدما إمكانية تطوير مجالات مستقلة نسبياً عن الأهلي، واضطر الأهلي نفسه أن يتبنى أفق ولغة لا يقتصران عليه بهدف التواصل مع الآخرين.

تناقضات العهد الليبرالي، التناقض الاقتصادي والتلاعب بالنظام البرلماني والجهاز البيروقراطي لمصلحة الأعيان، كانت السبب في نهايته وتحطيمه لاحقاً على يد الأنظمة السلطوية الشعبوية. وهذه صعدت إلى السلطة عبر الانقلابات، وهو ما تحقق غالباً بالاستناد إلى عصبية أهلية، سواء كانت هذه العصبية طائفية أو عشائرية أو جهوية أو خليطاً من كل ما سبق، كما في سورية والعراق وليبيا واليمن. حتى الأنظمة التقليدية، قامت شرعيتها على عصبية تقليدية تحمي النظام ويستند عليها.

بدءاً من النصف الثاني للقرن العشرين توسعت الدولة العربية وأمت الحياة الاجتماعية، عبر التأميم مثلاً حصل مع الأنظمة الشعبوية أو عبر احتكارها لمصدر ريعي في غيرها، وبهذا احتكرت الحيز الاقتصادي وسحقت المجال العام، وصار كل شيء موضوعاً للأمن القومي. أصبحت الدولة المنفذ إلى السلطة والثروة والجاه، لكن السيطرة على الدولة لم تكن ممكنة إلا من خلال العصبية والقربة، أي الأهلي.

الدول العربية الفاشلة هي راعية الحروب الأهلية التي لا تنتهي

بتدمير المجال العام وما يرتبط به من صحافة حرة ونظام برلماني، دمرت الدولة المجال الذي يمكن من خلاله رعاية وتطوير هويات مدنية ووطنية عامة متجاوزة لخبرة الأهلي، التي تتمثل في الخبرة اليومية للحي والأندية وشلل الأصدقاء أو حتى شبكات الوساطة والمعارف التي تسند علاقات العمل، وهي كلها تقوم على أساس من الصلات القرابية والطائفية.

في مقابل الخبرة اليومية للأهلي، تبدو خبرة الهوية الحديثة متجاوزة وأكثر تجريدية وأقل يومية، فهي تستدعي «جماعة» أو أناساً لا يحضرون مباشرة في سياق العلاقات اليومية، مثل خبرة «الأمة» التي تستدعي جماعة متخيلة تتجاوز علاقتنا اليومية ولا تحضر إلا في سياق واسع للمجال العام الذي خلقته الطباعة، كما ساجل بنديكت أندرسون. يصدق هذا على خبرة الطبقة التي لا يمكن بلورتها إلا في سياق الصراع الطبقي نفسه، وبغياب استقلال الاقتصادي ومنطقه واستبداله بريعية الدولة التي تقوم بتوزيع الريع وتحول الوظيفة إلى شكل من أشكال العطاء وشراء الولاء، فإن الهوية الطبقية لن يكون لها دور.

الدولة باحتكارها للاقتصاد صارت هي الطريق إلى الثروة، والأخيرة لا تُكتسب إلا عبر علاقات مع الدولة من أجل الحصول على تعهدات أو رخص استيراد وتصدير أو حتى على منصب حكومي يسمح لصاحبه بالرشوة أو في الحد الأدنى بوظيفة ومعاش. هذا النمط من العلاقات عزز العلاقات الأهلية الممثلة بشبكات الزبونية بين رجال الدولة وجماعاتهم.

لم تكن الدولة العربية، الريعية والشعبوية، دولة حديثة بالمعنى المعياري تعبر عن مجتمع مدني وتسعى إلى بناء أمة، بل على العكس كانت راعية الأهلي وحاميته.

*كاتب سوري مقيم في ألمانيا حصل على الماجستير في فلسفة التقنية والعلوم من جامعة ميونيخ.

الدين وحواضن الإرهاب

*د. السيد ولد أباه

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية : ٢٢/٧/٢٠١٨

اختتم موسم أصيلة في دورته الأربعين التي التأمّت مؤخراً ندواته بلقاء فكري مهم حول موضوع «الفكر الديني الحاضر للإرهاب»، شارك فيه عدد مهم من أبرز الكتاب والسياسيين والمثقفين العرب تنادوا لنقاش إحدى أخطر المعضلات التي تعاني منها راهناً المجتمعات المسلمة.

وكما أكد الوزير محمد بن عيسى، المشرف على الموسم وعلى جامعته الصيفية، لم يعد من الممكن السكوت على ما يجري في العالم الإسلامي من فتن دامية وعنف راديكالي ومدمر، ولذا توجبت معالجة الموضوع بكامل الجدية والرصانة بدل الآراء السائدة والأحكام المسبقة الشائعة، وهو ما تم فعلاً في الندوة المذكورة.

لقد بدا لي أن الإسلام أصبح بالفعل مشكلاً للعالم، فاستطلاعات الرأي المنشورة تفيد بجلاء أن صورة الإسلام والمسلمين أصبحت سلبية في كل أنحاء الأرض، وتتلخص إجمالاً في نموذج الإرهابي المجرم الذي يستهدف المدنيين العزل ويحارب الحياة والمدنية.

ولم يعد من المستهجن ولا الغريب نعت الإرهاب بالإسلامي في الخطاب السياسي للزعامات الغربية، بعد أن كان الاتجاه هو استخدام عبارات، مثل الأصولية، والتطرف العنيف، والتشدد الراديكالي، إلى حد أن شخصية سياسية معتدلة هي وزير الخارجية الفرنسي الأسبق «هربرت فيدرين» لم يتردد في كتابه الأخير «العد التنازلي» في القول بأن نفي علاقة الإسلام من حيث هو دين بالعنف المستخدم باسمه لم يعد من الممكن الدفاع عنه.

المفارقة البادية للعيان هي أنه في الوقت الذي تتصاعد فيه موجة العداء للإسلام والخوف منه يتراجع بصفة خطيرة الخطاب العلمي حوله الذي شكل خلال قرنين مادة للمبحث الذي عرف بالاستشراق. وإذا كان الاستشراق الكلاسيكي قد ارتبط بالأهداف الاستعمارية وبالنزعة السلطوية المعرفية التي صاغت من خلال آليات التصنيف والضبط والتصور، شرقاً، متخيلاً هو الوجه الآخر المنفي للهوية الغربية المركزية (أطروحة إدوارد سعيد)، فإن الخطاب الجديد حول الإسلام لا يستند لرصيد معرفي حقيقي، وإنما هو من إنتاج الإعلام السيار الذي يتغذى من جرائم الجماعات الإرهابية المتطرفة التي تنتج بدورها خطابها الديني خارج ضوابط ومعايير التقليد الإسلامي.

ولا يغني في هذا الباب النقاش الفكري مع الطرفين «الراديكالية المتشددة والإسلاموفوبيا العالمية» فالمادة المعرفية في الحالتين هي مجرد صورة متخيلة وأهواء وانفعالات متقاسمة عبر المجال الافتراضي الكوني المفتوح.

الإرهابي الجديد، وإن استند إلى أدبيات عقدية ودينية إسلامية، فهو في الواقع خارج السردية الإسلامية الكلاسيكية بما فيها هوامشها الشاذة، إنه نتاج حادثة مريضة وهوية دينية أعيد اختراعها وفق خلفيات ومحددات راهنة، ومن هنا لا وجه لربطه بالنص الديني أو بالأدبيات التراثية، كما يتوهم الخطاب الإسلاموفوبي الجديد.

لقد دعوت مؤخراً إلى ضرورة استبدال مقولة الإسلاموفوبيا بعبارة بديلة هي المسلموفوبيا، باعتبار أن ما يجري حالياً ليس نقد الدين الإسلامي في معتقداته وأحكامه، وإنما استهداف المكونات المسلمة من مواطنين ومهاجرين في المجتمعات الغربية التي تعيش مصاعب التنوع الديني والثقافي في مرحلة تراجع القدرات الإدماجية للدولة الوطنية المركزية.

ليس نقد الإسلام لاهوتياً وفكرياً بالجديد في الغرب، فالتقليد الاستشراقي العريق يمتد لقرنين وقد سبقته قرون طويلة من الجدل الإسلامي المسيحي في العصور الوسيطة، وإن ما حدث راهناً، هو أمران متلازمان: صعود إرهاب عديمي غير مسبوق ينتسب للإسلام، وتنامي نزعة عنصرية واسعة ضد المسلمين لا من حيث دينهم، بل من حيث الصورة السلبية التي تولدها الجماعات الراديكالية الشاذة التي عاثت فساداً في بلاد الإسلام نفسها أكثر من غيرها.

وكما أن النزعة العدائية للسامية التي هي جريمة تعاقب عليها القوانين الدولية، تختلف عن حق نقد الدين اليهودي في مجتمعات تضمن حقوق التفكير الحر، فإن المطلوب اليوم هو الكشف عن المواقف والمسالك العنصرية التي تستهدف المسلمين بذريعة نقد الدين الإسلامي، في حين أن المقصود هنا هو المسلم في صورة المهاجر واللاجئ والمواطن الفقير الذي يعيش في غيتوهات الضواحي المعزولة.

ما لا يمكن قبوله هو اختزال الإسلام في تحريفاته الأيديولوجية والسياسية الراديكالية، والاستناد إلى هذه الصورة المحرّفة الشاذة في المواقف والعنصرية ضد المسلمين الذين هم في غالبيتهم المطلقة مندمجون في مجتمعاتهم، مواطنين ومهاجرين، حتى لو كان من البديهي أنه على المسلمين أن يتحملوا قسطهم في مواجهة هذا الإرهاب العدمي الذي هم أول ضحاياه في أمنهم الديني والاجتماعي.

يهودية الدولة.. هل انهارت أسطورة الديمقراطية الإسرائيلية؟

(بلومبيرك نيوز سيرفز) : ٢٠١٨/٧/٢٣

حسين إبيش: صادق الكنيست الإسرائيلي على قانون «دولة قومية» يهودية هذا الأسبوع، والذي يقلل من حقوق ووضع المواطنين العرب، أي نحو ٢٠٪ من سكان البلاد. وهي مغامرة تسير في بموازاة القومية العرقية التي اكتسبت قوة في أجزاء كثيرة من العالم، وقد تضرر بجهود (إسرائيل) لإقامة تحالفات مع الدول العربية، وكذا الحفاظ على ولاء اليهود الأمريكيين المغتربين.

ومنذ تأسيسها، كانت (إسرائيل) في صراع بين هويتها كدولة يهودية ومجموعة مبادئ حقوق الإنسان التي (ادعى) العديد من الزعماء الصهاينة أيضا تبنيها. ولطالما ميزت (إسرائيل) أغليبيتها اليهودية على حساب الأقلية العربية، ولكنها فعلت ذلك بطرق غير مباشرة، لا سيما من خلال جعل بعض الحقوق والفوائد مرتبطة بالخدمة العسكرية، التي يشارك فيها معظم اليهود ويستثنى منها معظم العرب.

وتفصل (إسرائيل) مواطنيها، البالغ عددهم ٨,٥ مليون نسمة، حسب «القوميات»، بما في ذلك اليهود والعرب والدروز، على سبيل المثال. ويمكن للسلطات الإسرائيلية أن تعلم بسهولة من يهودي ومن ليس كذلك، لأنه يتم التعريف بذلك في جميع أوراق الهوية الأساسية الخاصة بالأشخاص. وكان هذا التمييز الرسمي بين الجنسية والمواطنة مفتاحا لمحاولة (إسرائيل) الموازنة بين السلطة والسيطرة اليهودية وحقوق الأقليات.

ومع بعض الاستثناءات البارزة، يعيش اليهود والعرب الإسرائيليون في بلدات ومناطق مختلفة، ومن الصعب على المواطنين العرب الانتقال إلى مجتمعات يهودية فقط في الغالب، ويعني هذا أنه كان من السهل على الدولة الإسرائيلية أن تنفق أكثر على الخدمات الاجتماعية والصحة والتعليم لمواطنيها اليهود أكثر من إنفاقها على سكانها العرب.

ومع ذلك، تم السماح للعرب الإسرائيليين ببعض الحقوق السياسية، وكان هناك دائما مشرعون عرب في الكنيست، ويتمتع العرب أيضا بالعديد من الحقوق الفردية والقانونية.

تمييز اليهود

وفي الأعوام الأخيرة، مع ذلك، انجرف جزء كبير من العالم نحو التعصب العرقي القومي، الذي غالبا ما يطلق عليه «الشعبوية»، وأصبح التفوق اليهودي وامتيازاته داخل (إسرائيل) أكثر عدوانية.

ويضعف القانون الجديد هذا الاتجاه، فعلى سبيل المثال، تكرر اللغة العبرية على أنها «لغة الدولة»، على الرغم من أن اللغة العربية قد تم الاعتراف بها أيضا كلغة رسمية منذ تأسيس (إسرائيل) عام ١٩٤٨. ويعيد مشروع القانون تأكيد مطالبة (إسرائيل) بالسيادة على كامل القدس، بما فيها القدس الشرقية، التي احتلتها في حرب عام ١٩٦٧، وتعتبرها جميع البلدان تقريبا أرضا محتلة.

ويصف أيضا «الاستيطان اليهودي كقيمة وطنية» تروج لها الدولة، ويفترض أن يشير هذا إلى المستوطنات اليهودية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، ولا سيما الضفة الغربية، التي تمثل انتهاكا لاتفاقية جنيف الرابعة.

وأخيرا، وربما أكثر الأمور فظاعة، ينص مشروع القانون على أن «الحق في ممارسة حق تقرير المصير القومي في دولة (إسرائيل) هو أمر يخص الشعب اليهودي»، ويؤكد هذا صراحة أنه في حين أن آخرين قد يتمتعون بحقوق مدنية وفردية معينة، فإن الحقوق الذاتية الوطنية تقتصر على الأغلبية اليهودية.

وكان من الممكن أن يكون الأمر أسوأ من ذلك. فقد أسفرت معارضة العديد من الجهات، بما في ذلك الرئيس «رؤوفين ريفلين»، عن إزالة فقرة كان من شأنها إضفاء الصفة الرسمية على إنشاء مجتمعات يهودية معلقة. وهذا أمر مهم، لأن الفصل الفعلي في معظم أنحاء (إسرائيل)، والذي هو محور التمييز ضد المواطنين العرب، يتناقض مع الكثير من القوانين الإسرائيلية، التي يبدو أنها تحظر التمييز العرقي والعنصري. وبالتالي، من الممكن أن يتمكن العرب في (إسرائيل) من استخدام المحاكم لإبطال الفصل العنصري وتقليص حصانة التمييز ضدهم ببطء.

ويبعث القانون برسالة إلى المواطنين العرب في (إسرائيل) والعالم أجمع، مفادها أن غير اليهود ليسوا ولن يكونوا أبدا مشاركين حقيقيين في المشروع القومي الإسرائيلي.

كما أنه سيجعل من الصعب على الإسرائيليين أن يشيروا إلى الحقوق المدنية للمواطنين العرب لمواجهة الاتهامات بأن (إسرائيل) تمارس نسخة من نظام الفصل العنصري السابق في جنوب أفريقيا.

ومن المرجح أن تكون المشكلة العملية التي أوجدها القانون الجديد هي تأثيره على وصول (إسرائيل) إلى العالم العربي، بما في ذلك دول الخليج الحاسمة، مثل المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، التي تأمل في التوصل إلى قضية مشتركة ضد إيران. وبالنسبة لـ (إسرائيل) التي تسعى إلى تطبيع نفسها في الشرق الأوسط، فإن مجتمعا متكاملا من المواطنين العرب كان ليصبح أداة ذات قيمة. وكان العرب الإسرائيليون ليكونوا طليعة مثالية للتواصل مع المحاورين العرب الجدد والشركاء المحتملين. لكن مع القانون الجديد، فإن الحماسة لمثل هذا المشروع بين المواطنين العرب في (إسرائيل) والعرب الآخرين ستثبط حتما.

وأخيرا، فإن تقنين التمييز الرسمي بشكل صريح في التشريع الإسرائيلي يضع العلاقات مع اليهود الأمريكيين في خطر، خاصة العديد من الليبراليين الأصغر سنا، الذين أغضبهم فعلا تحول (إسرائيل) إلى اليمين في الأمور الدينية والسياسية.

وتعد القومية العرقية غير المتسامحة ظاهرة عالمية، والإسرائيليون اليهود ليسوا محصنين ضدها، لكن قانون الدولة اليهودية الجديد يدمر سعي (إسرائيل) للتوفيق بين شطري مثلها التأسيسية المتضاربة، المتمثلة في كونها «ديمقراطية يهودية».

العولمة والصراع مع الشعبوية واليمين المتطرف

*سعود الشرفات

www.mominoun.com : ٢٠١٨/٧/٢٣

تتعرض سيرورة العولمة هذه الأيام لصراعٍ عنيف مع البقاء (باعتبارها عندي أكثر بقاء من اليمين المتطرف والشمولية والشعبوية وأكبر من الأيديولوجية) مع عدد كبير من الأعداء، ولهجوم كاسح وصريح في عدد من الأقاليم الجغرافية - ربما - لم تشهده من قبل منذ القرن الخامس عشر الذي يعتبر المرحلة الجنينية لسيرورة العولمة. ويأتي معظم الهجوم هذه الأيام من قبل اليمين القومي المتطرف ومن الجماعات الشعبوية ومن الأنظمة الشمولية. في الغرب كان فوز الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إشارة على عرقلة سيرورة العولمة، ثم ما لبثت الخوف من أن يتجسد واقعاً من خلال إجراءات ترامب السياسية بالتشديد على إجراءات الهجرة واللجوء، ومنع السفر وتقيده على جنسيات معينة، ثم الحمائية الاقتصادية برفع الرسوم الجمركية والضرائب على استيراد الحديد والصلب. أما في أوروبا، فكان العنوان عرقلة سيرورة العولمة الاجتماعية والثقافية والسياسية من خلال فورة الأحزاب اليمينية والشعبوية في معظم دول أوروبا خاصة في النمسا، وإيطاليا، وألمانيا، وهولندا. وفي فرنسا قامت مارين لوبان (١١ آذار ٢٠١٨) في مؤتمر الحزب بمهاجمة العولمة والرأسمالية بالاسم بحجة أنها أضرت بفرنسا وقوتها. وكذلك فعل زعماء اليمين المتطرف في الانتخابات الأخيرة في إيطاليا.

أما في الشرق، فقد صوت البرلمان الصيني (الأحد ١١ آذار ٢٠١٨) على إلغاء الحد الأقصى للولايات الرئاسية ممهداً الطريق أمام بقاء شي جينبينغ رئيساً مدى الحياة للصين. وأقر البرلمان الذي يناهز عدد أعضائه ثلاثة آلاف، نائب الإجراء ضمن مجموعة تعديلات لدستور البلاد، بموافقة ٢٩٥٨ صوتاً، ومعارضة نائبين وامتناع ثلاثة. ولذلك يبدو العالم من خلال "ميكروفونات" أحزاب اليمين المتطرف والشعبوية متجهاً نحو التمزق والمواجهة والتفتت بدلاً من الترابط والدمج والسلم الديمقراطي.

وفي ظل هذه اللحظة التاريخية التي تبدو بالنسبة إلي فرصة لمعاينة سيرورة العولمة اليومية ومتابعة السرديات المعاصرة والطازجة لها عبر وسائل الإعلام أرى أنه من المفيد لقاء نظرة سريعة على نشأة سيرورة العولمة تاريخياً، لأنه من خلالها يمكن لنا تلمس اللحظات المشابهة للمخاض الطويل الذي سلكته سيرورة العولمة.

النشأة التاريخية للعولمة

لتبيان النشأة التاريخية لسيرورة العولمة أعتمد النموذج الذي صاغه عام (١٩٩٢م) عالم الاجتماع البريطاني (رولاند روبرتسون) الذي يعتبر من أهم وأقدم منظري العولمة وعمل على دراستها منذ منتصف (١٩٦٠م)، ومن أوائل من وضعوا تعريفاً لها، حيث حصر المراحل المختلفة المتتابعة لتطورها عبر الزمان، ويرى أن نقطة البداية كانت بظهور الدولة القومية الموحدة التي يعتبرها نقطة تاريخية فاصلة في تاريخ المجتمعات المعاصرة، وقد وصلت العولمة إلى الوضع الحالي - بالطبع هو يقصد وضعها عام (١٩٩٢م) الذي يتسم بدرجة عالية من التعقيد والكثافة بعد مرورها بخمس مراحل هي:

١. المرحلة الجنينية:

هي مرحلة سادت (أوروبا) منذ بداية القرن الخامس عشر، حتى منتصف القرن الثامن عشر وتميزت بسيادة نظرية العالم على حساب نمو المجتمعات القومية.

٢. مرحلة النشوء:

تلت المرحلة الجنينية واستمرت حتى عام (١٨٧٠م)، فقد شهدت تبلوراً أكبر للعلاقات الدولية وزادت الاتفاقيات الدولية، وبالرغم من أنها سادت في (أوروبا) إلا أنها واجهت مشكلة قبول المجتمعات غير (الأوروبية) في المجتمع الدولي.

٣. مرحلة الانطلاق:

بدأت من عام (١٨٧٠م) حتى العشرينيات من القرن الماضي، وتم فيها دمج المجتمعات غير (الأوروبية) في المجتمع الدولي، وكذلك صياغة الأفكار الخاصة بالإنسانية التي تراكمت مع حدوث تطور هائل في عدد وسرعة الأشكال الكونية للاتصال، وخلال هذه المرحلة حدثت الحرب العالمية الأولى ونشأت عصبة الأمم المتحدة.

٤. الصراع من أجل الهيمنة:

استمرت هذه المرحلة من العشرينيات حتى منتصف الستينيات، ونشأت خلالها خلافات وحروب كونية برز خلالها دور الأمم المتحدة بشكل جلي.

٥. مرحلة عدم اليقين:

بدأت منذ الستينيات للآن، تم خلالها إدماج العالم الثالث بالمجتمع العالمي والتطور (التكنولوجي) الكبير في المعمورة وجرب العالم الحرب الباردة، وتعددت المفاهيم الخاصة بالأفراد لاعتبارات" الجنس والسلالة وزاد فيها الاهتمام بالمجتمع المدني العالمي والمواطنة العالمية.

يلاحظ مما سبق، أن مسألة فهم مصطلح العولمة بشكل شمولي يتطلب التركيز على مضمونها التاريخي، فقد قلت الأهمية النسبية للدولة القومية والتمحور الفردي عبر العصور لصالح عالمية الفكر والاقتصاد الدوليين، واللذين ترافقا بشكل كبير مع التطور التقني الذي شهده العالم وخاصة (أوروبا) و(الولايات المتحدة الأمريكية)، فيما بعد وكذلك مع تطور أنماط الاتصال والمواصلات بين أجزاء المعمورة كلها، وكان هناك جانب آخر في غاية الأهمية ترافق في تطوره مع ما سبق، وهو الجانب الإنساني، غير أن تلك الجهود اصطدمت في معظم الأحيان بالنزاعات والحروب التي عصفت بالعالم، فكانت الحربان العالميتان الأولى والثانية في القرن الماضي، ومئات النزاعات الإقليمية الأخرى، التي كان للاختلافات العرقية والعقائدية واعتبارات التاريخ والجغرافيا الدور الأساسي في ظهورها.

الوقوف في وجه الأعداء

ساهم في تسارع بلورة العولمة كحالة يعيشها العالم الآن تنوع مجالات الاستثمار ومن ثم تنوع أنماط الإنتاج السلي في دول العالم التي تقابل حاجات المستهلكين في دول العالم، لا سيما تلك تعاني من ضعف القاعدة الإنتاجية، وهي أسواق رائجة لتلك المنتجات مهما ابتعدت المسافات بينها وبين الدول المنتجة، كما أن بعض الدول المستهلكة تعاني من ارتفاع الكثافة السكانية وما يجعلها مصدر جذب للاستثمارات الأجنبية وبالتالي انتقال رؤوس الأموال الأجنبية إليها بهدف تحقيق الأرباح للمؤسسات متعددة الجنسيات دون النظر لاعتبارات مصلحة هذه الدولة.

ولا بد من التمييز بين مصطلحين متداخلين هما: العولمة والعالمية، فقد بدأت فكرة العالمية تتبلور انعكاساً لميثاق (الأطلنطي) الموقع بين كل من (بريطانيا) و(أمريكا) في آب من عام (١٩٤١م)، والذي نادى آنذاك بإنشاء هيئة عالمية، تلي ذلك لقاءات واجتماعات في (موسكو) و(مالطا) و(الولايات المتحدة الأمريكية)، حيث تمت الموافقة على هذا المشروع بالإجماع في حزيران من عام (١٩٤٥م)، حين ظهرت العالمية بصورة هيئة دولية هي الأمم المتحدة التي كانت انعكاساً للوضع السائد آنذاك من انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية الذين فرضوا إرادتهم على الدول المهزومة، وعلى العالم بأسره، غير أن أهمية العالمية بدأت بالانحسار والتراجع ابتداءً من اندلاع الحرب الباردة حتى الآن.

إن خمس دول هي (الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وفرنسا وألمانيا وبريطانيا) تمتلك بمجموعها (١٧٢) شركة من أصل أكبر (٢٠٠) شركة متعددة الجنسيات تسيطر على الاقتصاد العالمي، وهذا يدل بوضوح على أن كبرى الشركات العالمية توجد في الدول الصناعية التي تتميز بتسارع معدلات النمو الاقتصادي، وهي تحتكر (التكنولوجيا) المتقدمة وأساليب الإنتاج ووسائله الحديثة، بمعنى أن بقية دول العالم هي في واقع الأمر بحاجة ماسة ومستمرة لهذه المؤسسات التي يتعذر وجود بدائل محلية لها في هذه الدول" أي أن نمط العلاقة الاقتصادية هي حاجة دول العالم المتأخرة اقتصادياً إلى الدول الصناعية وشركاتها العظمى، في حين تفرض الدول المتقدمة قيوداً صارمة على هجرة قوة العمل إليها، وتقتصر ذلك على جذب الخبرات المتميزة فقط. هذا يعني أن أوروبا اليمينية المتطرفة الشعبوية" تغامر الآن بخسارتها الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية.

أعتقد أن المصالح الاقتصادية المشتركة التي تخلقها وتفرضها سيورة العولمة الاقتصادية، بشبكته الممتدة عبر الاتفاقيات التجارية وبمساعدة من آليات العولمة (التكنولوجية) (ثورة الاتصالات، وشبكة الطرق والسكك الحديدية،

وخطوط نقل الطاقة) وآليات العولمة الاجتماعية (الهجرة والسياحة وحركة العمالة)، سوف تدفع القوى المتنافسة إلى خلق التوافقات، وتكبح ميلها إلى الصراع، وتزيد من تقبل الجميع فكرة عالم متعدد الأقطاب الاقتصادية والاستراتيجية، ويحسن من شروط اللعبة لدى الدول في العالم الثالث، والعالم ويحد من تغول العولمة أو يعطيها وجها إنسانيا على الأقل. وفي الوقت الذي نراقب فيه النزعة المتطرفة المضادة للعولمة لفرنسا مارين لوبان وإيطاليا حركة الخمس نجوم المتطرفة، وللرئيس الأمريكي ترامب ٢٠١٨م، أذكر بالمحاضرة المهمة "لقيصر العولمة الأمريكية" (روبرت ب. زوليك) رئيس مجموعة البنك الدولي في محاضرة - مهمة جداً - له في (١٤ / ٤ / ٢٠١٠) في مركز (ودرو ويلسون) للباحثين الدوليين "لقد دأب طلاب الدراسات الأمنية والعلوم السياسية الدولية، لعقود طويلة، على خوض غمار المناقشة والجدل حول بزوغ نظام متعدد الأقطاب، لقد آن الأوان لأن نقرّ ونسلم بهذا الطرح الاقتصادي الجديد، وأنه إذا كان عام (١٩٨٩م) قد شهد نهاية "العالم الثاني" بانتهاء الشيوعية، فإن عام (٢٠٠٩م) هو الذي رأى مشهد النهاية لما كان يُعرف "بالعالم الثالث": فنحن نعيش الآن في اقتصاد عالمي جديد متعدد الأقطاب، وماضي في التطور بوتيرة سريعة" عالم يبرز فيه نجم بعض البلدان النامية كقوى اقتصادية، وتمضي فيه بلدان نامية أخرى قدما لترفد أقطاب النمو بروافد إضافية، فيما تواجه بعض البلدان الأخرى مصاعب جمة في بلوغ قدراتها الكامنة داخل هذا النظام الجديد، حيث بات الآن الشمال والجنوب والشرق والغرب نقاطاً في البوصلة، وليست مقاصد اقتصادية، فالفقر مازال مستشرياً، ولا بد من معالجة أسباب استشرائه، كما أن الدول الفاشلة مازالت قائمة، ولا بد من معالجة أسباب فشلها وتزايد وطأة التحديات العالمية، ولا بد من التصدي لها، لكن الطريقة التي يتعين أن نعالج بها هذه القضايا آخذة في التغير، فالتقسيمات التي عفا عليها الزمن، التي تصنف بلدان العالم إلى عالم أول وآخر ثالث، ومانح ومتلق، وقائد وتابع، لم تعد مناسبة البتة.

إن آثار ومدلولات هذه التغيرات والتحولات عميقة وجوهرية" على صعيد تعدد الأطراف، والعمل التعاوني العالمي، والعلاقات بين القوى، والتنمية والمؤسسات الدولية فالصفائح (التكنونية) الاقتصادية والسياسية مستمرة في التحرك، ويمكننا أن نتحرك معها، أو بإمكاننا الاستمرار في رؤية عالم جديد من منظور العالم القديم، فيجب علينا إدراك الوقائع والحقائق الجديدة، ويتعين علينا أيضاً التصرف والعمل بمقتضاها، ولا يمكن أن نعود إلى الوراء إلى تعدد الأطراف بالأسلوب القديم مستلهمين الحل من نمط المؤتمر الذي عقده (ميترنينخ) في (فيينا) في القرن التاسع عشر" لأنه أسلوب يسعى إلى مقاومة التغيير فالجغرافيا السياسية الجديدة للاقتصاد المتعدد الأقطاب بحاجة إلى تقاسم المسؤولية مع إدراك وجهات النظر المختلفة والظروف المتباينة في الوقت نفسه، من أجل بناء مزيد من المصالح المشتركة، إذا كانت الصفائح (التكنونية) الاقتصادية والسياسية آخذة في التغير، فيجب أن تشهد المؤسسات المتعددة الأطراف تغييرات أيضاً.

يريد العالم الجديد إيجاد مؤسسات قادرة على التواصل مع الشركاء في أجواء مفعمة بالتواضع والاحترام" مؤسسات مستعدة للاستفادة والتعلم من الآخرين" وقادرة على العمل كنقاط للربط والتواصل العالمي وأداء دور ريادي وطليعي في العالم الجديد للمعرفة والتعلم المشترك وتبادل الخبرات بين بلدان الجنوب والشمال، ولا يمكن التنبؤ بالمستقبل بكل ثقة وتأكيد ولكن في مقدورنا أن نتوقع سير الاتجاهات، وإحداها أن عصر الاقتصاد العالمي المتعدد الأقطاب أصبح على مرعى البصر".

تبدو نبوءة زوليك غير متحققة الآن" لكن لا يمكن لنا إلا أن نأمل بتحققها، رغم يمينية وتطرف ترامب، وتطرف لوبان، وديكتاتورية شي جينبينغ.

صراعات وحروب المياه

*فتح العليم الفكي

صحيفة (الخليج) الاماراتية: ٢٢/٧/٢٠١٨

أصدر البنك الدولي الأسبوع الماضي تقريراً عن أزمة المياه في منطقة الوطن العربي وإفريقيا والنقص الحاد الذي تعانيه بعض الدول، وأشار التقرير إلى أن ١٧ دولة في الشرق الأوسط تقع تحت خط الفقر المائي الذي حددته الأمم المتحدة بـ ٥٠٠ مليون متر مكعب في السنة للفرد.

وفي واقع الأمر، هذه ليست المرة الأولى التي تصدر فيها مراكز بحثية ومؤسسات دولية مرموقة تقارير ودراسات تحذر من النقص الحاد في المياه في المنطقة، حيث صدرت ومنذ أواخر ثمانينات القرن الماضي عدة دراسات نبهت كلها إلى خطورة الموقف المائي في الوطن العربي وتنبأت بوقوع حروب ونزاعات بسبب ذلك.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، توقع تقرير أصدره معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن في عام ١٩٨٩ أن تشهد منطقة الشرق الأوسط في غضون عشر سنوات حرباً للسيطرة على مصادر المياه، وعلل التقرير ذلك بالزيادة الكبيرة التي ستطرأ في عدد سكان المنطقة خلال تلك الفترة.

ولم يكن المعهد البريطاني هو وحده من تنبأ بحرب مياه في المنطقة، فهناك أيضاً منظمة اليونسكو التي أصدرت تقريراً في عام ١٩٩٩ تنبأ فيه بأن الوطن العربي ستجتاحه أزمة مياه حادة بعد حلول العقد الأول من القرن الحادي والعشرين وستنعكس هذه الأزمة على إمدادات الغذاء والإنتاج الصناعي في أخطر مآزق تاريخي سيواجه الأمة العربية.

بدورها، توقعت صحيفة «لوس أنجلوس» أن تواجه دولة الاحتلال «الإسرائيلي» والدول العربية نقصاً حاداً في المياه مع بداية القرن الحادي والعشرين وسيضطر الطرفان للتعاون أو خوض حرب يتم الاتفاق في نهايتها على تقاسم المياه!

وفوق هذا وذاك هناك سرقة المياه العربية التي برعت فيها «إسرائيل» التي لم تكتف باغتصاب الأراضي العربية حيث تقوم ومنذ سنوات بعيدة بسرقة ما مقداره ١٢٠٠ مليون متر مكعب من المياه العربية من الضفة الغربية ومن سوريا ولبنان.

وتفعل تركيا الشيء نفسه حيث قامت ببناء سبعة سدود على نهر الفرات وستة على نهر دجلة ما تسبب بحرمان العراق من حصته المائية المقررة دولياً، كما تأثرت حصة سوريا كذلك.

صحيح أننا لم نشهد قيام حرب في العصر الحديث بسبب النقص الحاد في المياه، ولكن هذا لا يقدح في صدقية ودقة دراسات مراكز الأبحاث الدولية، وعدم قيام حرب لا يعفي الحكومات العربية من مسؤولياتها في إجراء البحوث ودق ناقوس الخطر بتوعية شعوبها بترشيد الاستهلاك.

إن دول المنطقة في حاجة ملحة لإيلاء مشاكل نقص المياه الاهتمام الكافي ووضع الأزمة ضمن أولوياتها لتجنب تفاقمها مستقبلاً حتى لا يقع المحذور، وتجند نفسها مضطرة لخوض صراعات وحروب بسبب المياه.

٩٥ عاماً على لوزان ٢.. من هم الذين لم ينتصروا، ومن الذين لم يهزموا؟

*سيهانوك ديبو

وكالة انباء هاوار: ٢٠١٨/٧/٢٤

ربما من المهم تجميع دوافع المتقاتلين في الحرب العالمية الأولى إن كانوا في جهة الحلفاء أو المحور. بأن للحلفاء فكرتين أو هدفين أساسيين هما نقل الحداثة الرأسمالية من مرحلة التجارية إلى مرحلة الصناعية بشقيها السياسي المتضمن فرض فكرة الدولة القومية المركزية على الشرق الأوسط، وشقها الأهم الاقتصادي الضامن بدوره في الاستيلاء على النفط المكتشف وقتها في الشرق الأوسط. أما امبراطوريات المحور (الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية المجرية ومملكة بلغاريا والسلطنة العثمانية) وبخاصة العثمانيين فقد كانت أفكارهم مشدودة أكثر إلى احتلال وتقاسم العالم فيما بينهم. ومن المرجح بأن روسيا القيصرية تُركت أن تتحول إلى الشيوعية فاستبعدت من الحرب العالمية الأولى إلى درجة كبيرة مع أنه في تتبع المسار يبدو بأن مكان روسيا القيصرية كان متوافقاً والمحور أكثر بكثير من الحلفاء. أما فيما يتعلق بانتصارات بريطانية في أماكن معينة تحت سيطرة العثمانيين مثلما فعل أدوموند اللنبي الذي ما كان له أن يسيطر بتلك السرعة الهائلة لولا تواطؤ اللواء/ الباشا مصطفى كمال بن (سيلانيك) مع الإنكليز مصطفى كمال المنقول جديداً من ديار بكر/ آمد كمسؤول عن الجيش الثاني فقائداً لجبهة فلسطين. ففي ليلة انسحابه من نابلس دخل فيها اللنبي وهي ليلة (١٩/٩/١٩١٧)، وقد أخذ مسار انسحابه من نابلس إلى شرق الأردن فدمشق فحلب فجبال طوروس، وقد كان الانسحاب فجائياً بسرعة البرق كما يؤكد ذلك أيضاً كل من د. علي حسون في كتابه الرجل الصنم ومحمد فريد بك تاريخ الدولة العلية العثمانية.

في فترة تداعي السلطنة العثمانية كان الصراع حقيقياً ما بين حكومة أنقرة (العلمانية) بقيادة مصطفى كمال. وحكومة الخلافة من قبل الباب العالي في القسطنطينية/ استانبول. في إذكاء الصراع ما بينهما تؤكد الوقائع ووثائقها بأن ضغط الحلفاء على الطرف اليوناني وإلزامه بالانسحابات المتتالية كانت السبب الأساسي في أن صوّرت مصطفى كمال بأنه القائد الأسطورة. وهي في الحقيقة لم تكن سوى المسرحيات كمثل معركة سقاريا وأفيون وأزمير. كما تم انسحاب الحلفاء عن أسكى شهر وقونيا لصالح مصطفى كمال واحتلال الإنكليز لاستانبول في ١٦ آذار ١٩٢٠. والتي تعتبر كلها كمقدمات ميدانية من أجل عقد مؤتمر السلام أو معاهدة سيفر التي تتألف من ١٣ باباً و٤٣٣ بنداً، أعدتها خمس لجان خاصة تفرعت من مؤتمر الصلح المنعقد بدوره في باريس من ٢٩ يناير كانون الثاني ١٩١٩ والتي أقرّ حينها أيضاً بنشوء كردستان" يذكر أنه مثل الكرد فيه مجموعة من (البكاوات) بقيادة الجنرال شريف باشا. وعملياً يمكن القول بأن مؤتمر الصلح هو أساس معاهدة سيفر في ١٠ آب ١٩٢٠ بين إنكلترا وفرنسا وإيطاليا واليابان وبلجيكا واليونان ورومانيا وبولونيا والبرتغال وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا والحجاز وأرمينيا من جهة، والسلطنة العثمانية من جهة أخرى. لكن حكومة أنقرة الكمالية رأت في معاهدة سيفر الموقعة من قبل حكومة استانبول بأنها خيانة مذلة للأتراك وبخاصة بعد أن استمال مصطفى كمال أغلب الكرد إلى جانبه موعداً إياهم بحقوق أكثر من التي تم تنصيبها في سيفر. من المضحك المبكي أن يرسل ٧٢ نائباً كردياً في حكومة أنقرة برسالة إلى الحلفاء يطالبونهم بإلغاء معاهدة سيفر كما أنه من المبكي المبكي أن يعلن عصمت إينونو رئيس الوفد التركي إلى لوزان بأن (تركيا هي للشعبين، التركي والكردى، المتساويين أمام الدولة، ويتمتعان بحقوق قومية متساوية). لتتصرف تركيا في عامين فقط بعد لوزان بقتل أكثر من نصف مليون كردي.

بالإضافة إلى الوضع الداخلي في تركيا العثمانية والصراع المتعدد الأقطاب حينه وبخاصة بين حكومة استانبول بقيادة السلطان محمد السادس والصدر الأعظم وحكومة أنقرة كما أسلفنا. وانسحاب أمريكا من مؤتمر الصلح إثر خسارة الديمقراطيين في الانتخابات الأمريكية ١٩٢١ وهزيمة ودورو ويلسون صاحب مبادئ الأربعة عشرة من بينها مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، والتي كانت تطمح أمريكا من خلالها بشكل كبير إلى لجم طموحات كل من فرنسا وبريطانيا في الشرق الأوسط. ومحاولة الأخيرتين أي باريس ولندن بتطويق الانفتاح التركي السوفيتي وخاصة بعد توقيعهما معاهدة موسكو أو معاهدة الأخوة التي هي معاهدة صداقة وقعت بين الجمعية الوطنية التركية بقيادة مصطفى كمال وروسيا البلشفية بقيادة فلاديمير لينين، في ١٦ مارس ١٩٢١ والتي توجت باتفاقية ثانية أنهى إثرها ستالين كردستان الحمراء ١٩٢٣. إضافة إلى رغبة الطرف البريطاني بإنهاء عملية المفاوضات بسرعة نتيجة ضغوط أهالي

الجنود المحاربين، بالإضافة إلى مشكلة إيرلندا التي أحدثت خلافاً سياسياً بين الساسة الإنكليز، أسهمت هذه العوامل المتناقضة مجتمعة في تمكن الطرف التركي من الحصول على الكثير من مطالبه في لوزان ١٩٢٣ كمعاهدة جديدة هي لوزان الثانية تمييزاً لها عن اتفاقية لوزان الأولى (معاهدة أوشي) الموقعة في ١٨ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩١٢ بين إيطاليا والدولة العثمانية، والقاضية بانسحاب الأخيرة من ليبيا لصالح إيطاليا. فتضمنت "معاهدة لوزان" الجديدة ١٤٣ مادة موزعة على ١٧ وثيقة ما بين "اتفاقية" و"ميثاق" و"تصريح" و"ملحق"، وتناولت هذه المواد ترتيبات الصلح بين الأطراف الموقعة على المعاهدة، وإعادة تأسيس العلاقات الدبلوماسية بينها "وفقاً للمبادئ العامة للقانون الدولي". ودام مسار معاهدة لوزان حوالي ثمانية أشهر بشكل متقطع وتم التوقيع عليها بشكل نهائي في ٢٤ يوليو تموز ١٩٢٣ في فندق "بوريفاج بلاس" بمدينة لوزان جنوبي سويسرا. ويُذكر بأن مندوب مصطفى كمال إلى لوزان كان كل من عصمت إينونو والحاخام (حاييم ناحوم). وعندما تأزمت المفاوضات بين كرزون -وزير خارجية بريطانيا- وبين عصمت إينونو وكان ناحوم آنذاك مسافراً فأرسل ناحوم برقية أنه قادم وقال في البرقية: (عصمت صديقي، وطوع أمري، ولا يخالف لي كلمة). وفق تأكيدات مؤلف كتاب الذئب الأغبر للكاين البريطاني ه.س.ارمسترونغ.

من المؤكد بأن ما تقدّم لا يعتبر الإحاطة الكاملة لشرح ظروف لوزان. لكن من المهم في خطيئة لوزان الثانية أن يتم التأكيد بأنها كانت اتفاقية بين اللصوص من جهة والسحرة من جهة أخرى. فحينما كان وزيراً للخارجية قال صاحب كتاب العمق الاستراتيجي أحمد داوود أوغلو لأكثر من مرة وبشكل لا يشوبه شائبة في الإصرار على عودة تركيا إلى العثمانية: (لماذا حين تحاول أوروبا بأكملها العمل على توحيد الدول وإزالة الحدود بينها، لا تُنعت بأنها "الإمبراطورية الرومانية الحديثة" أو "الرومانيون الجدد"، في حين أننا حين ننادي للجمع بين من عاشوا تحت لواء دولة واحدة من قرن مضى، نصبح "العثمانيون الجدد؟). ومرة أخرى "إنهم يقولون عنا أننا العثمانيون الجدد.. نعم نحن العثمانيون الجدد". خلال لقائه مع نواب حزب العدالة والتنمية الحاكم في معسكر "قيرلجه حمام" بالعاصمة أنقرة.

في الحقيقة بأن انتقال تركيا المنسلخة أو لنقل المنفلتة من السلطنة العثمانية وبعد مرور ٩٥ عاماً من معاهدة لوزان لم يكن إلّا جمعاً ما بين الحكم الدينوي يضاف إليه اليوم الفاشية القومية التركياتية لتعطي ناتجاً يحمل الخطر الأكبر على الشعوب في تركيا أولاً وعموم الشعوب في الشرق الأوسط. والنظام التركياتي بجميع مراحلها إن كان تحت غطاء العلمانية أو حتى اليوم في عبادة الإسلاموية المتطرفة. فإن تركيا لديها هدف واحد في وثيقة واحدة اسمها (الميثاق الملى) وكل الشعوب في نظر تركيا يجب أن يتم إما شطبها نهائياً كما حالها والشعب الكردي" أو استعبادها كما حالها والشعب العربي، أو حلمها في الانتصار على عدوها التاريخي المتمثل بالفرس. في الحقيقة كل شعوب الأرض هي بالضد من تركيا في نظر حكامها وبشكل كبير في نظر سلطانها العثماني الجديد أردوغان" الذي يتحدث اليوم بشكل معلن عن حلب والموصل ويغمر إلى مصر والسودان والخليج في وقت لم يزل دم عفرين ودماء شعب سوريا يسيل من فمه.

لكن تاريخ ٢٤ يوليو تموز لا يقتصر على تاريخ لوزان فقط. فقد حدث من قبله وفي التاريخ نفسه من العام ١٩٢٠ قيادة الكردي يوسف العظمة لمعركة ميسلون ضد الانتداب الفرنسي. كما أنه في التاريخ نفسه بعد تسع عقود من اتفاقية لوزان إنّ أنهت لجنة الصياغة للعقد الاجتماعي في الإدارة الذاتية الديمقراطية من العام ٢٠١٣. هذه الإدارة أكثر من أرقت أحفاد العثمانية ولم تنزل طالما كانت ولم تنزل في هذه الإدارة الذاتية أمل الخلاص من الأزمة السورية والحل الديمقراطي الأمثل للأزمة السورية. وما بينهما، وما بينها فإن التاريخ مليّ مؤكّد بأن الطرق باتت واضحة فإمّا أن نكون أحراراً وإمّا أن لا نكون سوى عتّالين لأجندات غيرنا. الدماء التي كانت جارية في لوزان ٢" باتت فاسدة" وبات أصحابها غير مهيين أن يستمروا محتلين مستبدين سلاطنة بالضد من القوة الكبيرة والتنظيم المجتمعي الضامن لإرادة الشعوب التي تصر على العيش المشترك وعلى أخوة الشعوب في عقدها الاجتماعي. فهكذا نحيا" وهكذا -فقط- مُقدّر لنا العيش. بخاصة إن المستبدين لم ينتصروا ولا يمكن بأي شكل من الأشكال أن تنهزم الشعوب.

قراءة في علامات زمننا

*إيوان بوروما

بروجيكت سنديكيت : ٢٤/٧/٢٠١٨

يجب حماية الحرية، وهذا ممكن فقط عندما تكون التهديدات واضحة، واللحظة التي يتوقف فيها الناس عن الاعتقاد بأن الديماغوجيين يمكن منعهم من فعل أسوأ هي اللحظة التي يمكننا فيها التأكد من أن الوقت قد فات. إن مقارنة الديماغوجيين الحاليين مع أدولف هتلر ليست منطقية، فغالبا ما يميل هذا التحذير إلى التقليل من الفضائل الحقيقية التي ارتكبتها النظام النازي، ويصرف الانتباه عن مشاكلنا السياسية، ولكن حتى لو كان هذا الإنذار سيأتي بنتائج عكسية يبقى السؤال مطروحا: في أي مرحلة تتعرض الديمقراطية حقاً للخطر؟ ما كان مستحيلا قبل سنوات قليلة فقط أصبح طبيعياً الآن، ويتمثل بقيام رئيس الولايات المتحدة بإهانة الحلفاء الديمقراطيين والثناء على الحكام الدكتاتوريين، أو وصف الصحافة الحرة بـ"أعداء الشعب"، أو حبس اللاجئين وإبعادهم عن أطفالهم. متى يكون الأوان قد فات لإعطاء إنذار؟

كُتِبَ عظمة كُتِبَت حول هذا الموضوع، تحكي قصة جيورجيو باساني "حديقة آل فينزي كونتيني"، حياة اليهود الإيطاليين البرجوازيين في ظل الفاشية، فيشد الخناق القانوني والاجتماعي، ببطء وخطوة بخطوة، حول هؤلاء الإيطاليين المتعلمين، الذين يعتبرون حياتهم المريحة ونفوذهم أمراً مؤكداً، ومع ذلك يرفضون، وبطرق مختلفة، الاعتراف بالواقع، وقد انضم والد الراوي إلى الحزب الفاشي، في حين انسحب الغني فينزي كونتيني إلى دائرة أسرهم الأكثر عزلة، فالفخر والافتقار إلى الخيال منعهم من رؤية الخطر الذي يهددهم حتى فات الأوان وتم ترحيلهم إلى معسكرات الموت.

إن عدم قدرة الإنسان على رؤية المستقبل من شأنه أيضاً أن يحيي مذكرات سيباستيان هافنر "تحدي هتلر"، التي كُتِبَت في ١٩٣٩، بعد عام من مغادرته ألمانيا، فقد شهد هافنر، وهو صحفي ومؤلف في وقت لاحق كطالب قانون، كيف أصبحت الدكتاتورية النازية مميتة، كانت هذه العملية مثل اضطهاد اليهود في إيطاليا. لقد رأى كيف قبل زملاؤه من طلاب القانون، الذين لم يكونوا من النازيين، كل خطوة - القوانين العرقية، وإلغاء الدستور، وما إلى ذلك - بالتحديد لأن كل هذه الخطوات صيغت بلغة القانون، ولم يدركوا أنهم تجاوزوا خطاً لا يُحتمل وأنهم يواجهون المقاومة أو المنفى، فأدرك هافنر، الذي لم يكن يهودياً، ذلك، وغادر في السنة التي أحرقت فيها المعابد اليهودية وطُرد اليهود من منازلهم.

في معظم الظروف ربما يكون هناك المزيد من الناس مثل فينزي كونتيني أكثر من هافنر، ومن الصعب النوم جيداً في حالة من القلق، فالحياة أسهل إذا كان العالم يبدو طبيعياً، على الرغم من أنه أصبح بالفعل غير طبيعي. يخفي الناس رؤوسهم في الرمال بطرق مختلفة، ويمكن للمرء أن يرى بعض أوجه التشابه بين عصرنا وأوروبا في أوائل الثلاثينيات، حيث اعتقد عدد كبير من رجال الأعمال والصناعيين الألمان، الذين كانوا من المحافظين لا

النازيين، أنهم يستطيعون العيش مع هتلر، طالما أنه يجلب لهم منافع مالية. كان مغروراً بذيئاً، وربما لم تكن سلوكياته جيدة، لكنهم اعتقدوا أنه يمكنهم التحكم فيه.

يمكن أن تساعد المعرفة التاريخية الناس في التعرف على أنماط معينة من السلوك - الهجمات على نظام قضائي مستقل على سبيل المثال - التي أدت إلى الاستبداد في الماضي، لكن الذاكرة التاريخية، التي غالباً ما تمتزج بالأساطير، يمكنها أيضاً أن تمنع الناس من قراءة علامات عما قد يحدث في المستقبل، ففي البلدان التي لها تاريخ ديمقراطي، من السهل تصديق أن "ذلك لا يمكن أن يحدث أبداً"، لأن "مؤسساتنا قوية للغاية"، أو "لأن شعبنا يحب الحرية أكثر من اللازم"، أو "لأنه متحضر جداً" أو "عصري جداً" فلا ينزلق إلى البربرية.

يمكن أن يكون اليساريون ضيقي الأفق مثل المحافظين، فقد رفض الشيوعيون (الذين تصرفوا وفقاً لتعليمات ستالين)، واليسار غير الشيوعي في ألمانيا في العشرينيات من القرن العشرين، الدفاع عن جمهورية فايمار الهشة عندما كانت تحت هجوم اليمين، واعتقد الشيوعيون أن الديمقراطيين الاجتماعيين يشكلون خطراً أكبر من النازيين، وصرف المفكرون اليساريون انتباههم بسبب النفاق والفساد عن الأحزاب الرئيسية التي كان يجب عليهم دعمها بالفعل.

قد لا يكون دونالد ترامب نسخة جديدة من هتلر، لكن إذعان الجمهوريين بعيداً عن الأعراف الديمقراطية المتحضرة هو بمثابة نذير شؤم، وكذلك الحديث عن اليسار المتطرف الذي يزعم أن الفرق بين ترامب وكلينتون أو أوباما هو اختلاف في الدرجة، وليس في النوع: فهو يعرض ظلم النيوليبرالية بشكل علني أكثر مما فعل كلينتون وأوباما. في كلتا الحالتين، فإن المخاطر المحددة التي تخلقها الشعبوية اليمينية اليوم يتم تجاهلها والتقليل من أهميتها.

لا تزال وسائل الإعلام الرئيسية (أعداء الشعب) التي تتعرض لمثل هذه الانتقادات الحادة قوية، لكن نفوذها يتضاءل، وتعتبر المنشورات في "نيويورك تايمز" أو "واشنطن بوست" أقل أهمية من التغريدات الرئاسية التي تصل مباشرة إلى ملايين الأشخاص وتكرر في برامج إذاعية أو تلفزيونية حزبية.

من المرجح، في مجتمع منقسم على نفسه، أن تكون السياسات التي تثير الحشود باستخدام المخاوف والاستياء ناجحة أكثر من الشخصيات الأقل تسلية في محاولة مناشدة قدراتنا العقلانية، وقد وجدت الأحزاب السياسية المعارضة للاتجاهات المناهضة لليبرالية نفسها في وضع صعب للغاية، فإذا استجابت لغضب الشباب والمثالية وتحركت بعيداً جداً عن اليسار فقد تفقد الأصوات الأساسية في الوسط، وإذا كانت تفضل مرشحي الوسط الذين يتطلعون إلى الإصلاحات، بدلاً من التغييرات الجذرية، فيمكن أن تفقد الشباب المتحمسين.

بطريقة أو بأخرى يجب حماية الحرية، وهذا ممكن فقط عندما تكون التهديدات واضحة، واللحظة التي يتوقف فيها الناس عن الاعتقاد بأن الديماغوجيين يمكن منعهم من فعل أسوأ هي اللحظة التي يمكننا فيها التأكد من أن الوقت قد فات.

* رئيس تحرير مجلة نيويورك ريفيو أوف بوكس، ومؤلف كتاب "العام صفر: تاريخ من ١٩٤٥".

مستقبل أزمات المنطقة في ظل الصراع الغربي الشرقي المحتدم

*إبراهيم ناصر

وكالة ساسة بوست : ٢٠١٨/٧/٢٤

بينما تدور حرب سياسية واقتصادية بين المحورين الشرقي والغربي، منطقة الشرق الأوسط تعيش أزمات بأشكال مختلفة“ حيث من المؤكد أن المتغير الذي طرأ في العلاقات الغربية – الشرقية، هو من المسبب الرئيس للصراعات الجارية في المنطقة“ لأن هذه المنطقة كما يشير محلي علم الجيوبولتيكا بأنها تقع ضمن مناطق الارتطام الجيوبولتيكي، أي تداخل النفوذ بين القوى الدولية والإقليمية، لذلك فالأزمات فيها متتالية، والحلول لها متعثرة.

وكما هو معروف لدى الكثيرين، بأن الصراع بين الشرق الغرب، كان صراعاً أيديولوجياً في السابق، ولكن بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في بداية تسعينات القرن الماضي، وتشكل نظام القطب الواحد تحت قيادة الولايات المتحدة، وصعود الصين كرقم عالمي في السياسية الدولية، واستعادة روسيا عافيتها تحت قيادة رئيسها الحالي فلاديمير بوتين، ومعطيات ومتغيرات عالمية أخرى طرأت على الساحة الدولية، تحول الصراع إلى صراع نفوذ سياسي، واقتصادي، وعسكري، بمعنى أن الصراع أخذ الأشكال التالية:

– تنافس إقتصادي بين المعسكرين: وهذا يأتي ضمن صراع من أجل التفوق الاقتصادي واستغلال الموارد، ولذلك نلاحظ اليوم بأن الحرب التجارية الأمريكية الصينية في أشدها، وأنه من المتوقع ستكون له تداعياتها على دول المنطقة، وخصوصاً على دول الخليج المنقسمة فيما بينها، وأيضاً حسب ما تواردته وسائل الإعلام العربية والأجنبية، بأن الكويت وقعت اتفاقيات اقتصادية مع الصين، قد تغير قواعد اللعبة في المنطقة، ومن المتوقع أن هذه الخطوة قد تثير حفيظة الغرب، وخصوصاً أمريكا، ما قد تؤزم العلاقات الكويتية الأمريكية.

– التسابق من أجل النفوذ: بعد نهاية الحقبة الاستعمارية قُسمت منطقة الشرق الأوسط إلى مناطق نفوذ بين القوى الدولية، ولكن بزوق بعض الفاعلين الإقليميين كتركيا وإيران والسعودية وإسرائيل في المنطقة، وتنفذهم في الإقليم على حساب بعض القوى الدولية لصالح أخرى، بمعنى أن تنفذ تركيا في منطقة الشرق الأوسط يعني نفوذ الغرب، وتوسع إيران يعني توسع المحور الشرقي في المنطقة، وتأسيساً عليه يجوز القول بأن صراع نفوذ القوى الغربية والشرقية بدأ يُدار عبر استخدام فاعلين إقليميين.

– صراع عسكري لتجريب الأسلحة المتقدمة: هذا النوع من الصراع العسكري نلاحظه بشكل جلي في الحرب الأهلية السورية، حيث يرى الكثيرون بأن القوى العالمية تعتبر الساحة السورية ساحة تجارب لأسلحتها المتقدمة، وهذا ما نستنتج من تصريح الرئيس الروسي بوتين الذي أشار فيه إلى أن سوريا ليست ميداناً لتجارب الأسلحة“ ما يؤكد على أن القوى الدولية المتصارعة فوق الأرض السورية، بأنه هدف تجارب الأسلحة هناك، كان أحد دوافع انغماسها في الصراع السوري –السوري.

وبناءً على ما تقدم نلاحظ بأن التغير الذي طرأ في العلاقات الغربية – الشرقية، أثر على الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والأمنية والاجتماعية في دول المنطقة، حيث تسبب في اندلاع بعض الأزمات، وعليه سنستشرف مستقبل أزمات المنطقة تأسيساً على استقراء مآلات الصراع الغربي – الشرقي وتأثيراته.

الخلاف الإيراني – الأمريكي: من المحتمل أن الخلاف الأمريكي الإيراني سيكون أكثر الخلافات تأثيراً على دول المنطقة، ومع أن الخلاف يتظاهر بأنه خلاف إيراني أمريكي، ولكنه في الواقع هو صراع غربي – شرقي، وبتعبير آخر هو مكائدات بين القوى الشرقية الغربية، وبناءً على التطورات الجارية في المنطقة والعالم، وما تظهره إدارة ترامب

من تشدد تجاة طهران، والتصريحات التي يُدلي بها قيادات البنتاغون، بأن خيارات الحرب ضد إيران في الطاولة، هذا يشير التآزم ربما يصل إلى مرحلة الحرب بين الطرفين، ولكن كثيرين يستبعدون سيناريو الحرب ضد إيران“ لأنه في حال نشوبه ستتأثر المصالح الأمريكية بشكل كبير، لذلك فهذا التآزم نتوقع أن تؤول أحده إلى الاكتفاء بالتضييق الاقتصادي الأمريكي على النظام الإيراني، وخصوصاً أن إدارة البيت الأبيض تشاطر حلفائها الإقليميين كالسعودية وإسرائيل الرأي بشأن العقوبات الاقتصادية ضد إيران، حيث يتوقعون أن فرض الحصار الاقتصادي على النظام الإيراني قد يكون كفيلاً بسقوطه، ولكن في ظل الصراع الغربي – الشرقي المحتدم قد لا تنجح استراتيجية إدارة ترامب تجاة إيران، علماً بأن الغرب فيما بينه منقسم حول الملف الإيراني، وعليه ففي ضوء تصاعد الخلاف بين واشنطن وطهران من الجائز التوقع بأن الصراع الغربي الشرقي مآله التفاقم، هذا ما سترسمه مخرجات لقاء بوتين – ترامب في الفترة القادمة.

الأزمة الخليجية: لعل الكثيرين سيتغربون ربط الصراع الغربي الشرقي، بالأزمة الدبلوماسية الجارية بين الأشقاء الخليجيين، ولكن من خلال التطورات التي حدثت في العلاقات الروسية القطرية، والقطرية الإيرانية، والقطرية الصينية، ربما يجوز لنا القول بأن هذه التطورات هي أحد أسباب الأزمة القطرية الخليجية، وذلك من خلال استقراءنا للتحركات الخارجية القطرية في السنوات الأخيرة، والتي كانت تميل إلى نوع من الاستقلالية في نسج العلاقات، بمعنى أنه بينما كان الغرب يشن حربه التجارية ضد موسكو، كانت قطر تقعد صفقات اقتصادية مع روسيا، وبالتالي دخلت الدوحة على خط الصراع الغربي الشرقي، ما دفع الغرب إلى إسقاطها سياسياً من خلال استخدام أدواتها الإقليمية، أي الرباعي العربي.

وفي سياق الصراع الغربي الشرقي، دخلت الكويت على خط الصراع من خلال عقد الاتفاقات الاقتصادية السالف الذكر، بمعنى أن الكويت طبقاً لما فعلت قطر بدأت تتبع سياسة خارجية مستقلة عن الولايات المتحدة الأمريكية والغرب، وهذا ما قد يجعلها تصبح جزءاً من الأزمة، بدلاً عن موقفها الحيادي، وصارت طرفاً من أطرافها“ ما قد يعمق الأزمة ويطول أمدّها.

الأزمات السياسية داخل بلدان الشرق الأوسط: هناك دول شرق أوسطية تعاني من أزمة سياسية داخلية، يرجع سببها إلى تدافع تيارات داخلية، تيار يميل للشرق وآخر يميل إلى الغرب في الصراع المحتدم بين الطرفين، حيث تسعى كلى التيارات إلى صف بلاده إلى جوار أحد الطرفين، فعلى سبيل المثال: جمهورية تركيا بها تيارين قويين، يتجاذبانها بين المحورين، فجزء من التيار القومي، كحزب الوطن الذي يتزعمه دوغو برنيجك، المعروف بقربه من المحور الشرقي، والذي يتمتع بعلاقات قوية مع الروس والصينيين، ودائماً مع يدعم تقوية علاقة تركيا مع هذين القوتين الشرقيتين، ويعتبر من أكبر المناهضين للنفوذ الأطلسي بتركيا، وفي المقابل هناك تيار يتمثل في الحزب الجمهوري يدافع عن تقوية العلاقات التركية الغربية، وهذا ما تسبب في تأزم سياسي في داخلها، ويرى الكثيرون بأن المحاولة الانقلابية السابقة، نتيجة للصراع بين الشرق والغرب، على الساحة التركية.

وتأسيساً على ما تقدم يمكننا القول بأن الصراع الغربي الشرقي له تداعيات على أمن واستقرار بلدان منطقة الشرق الأوسط، بحكم أنها منطقة تتزاحم فيها نفوذ القوى الدولية، وبالتالي فإن لم تخف حدة التوتر بين المحورين الشرقي والغربي، مع استبعادنا لذلك قريباً، في ظل تصرفات الرئيس الأمريكي المربكة لحسابات القوى الغربية فيما بينها، ستتلاحق الأزمات وتتعرض عملية الحل، لذلك لقاء بوتين ترامب قد يخفف من حدة التآزمات الإقليمية“ ما إن توصل الطرفين الى نقطة تفاهم في بعض النقاط العالقة، والتي تعني المنطقة.

بيان البيت الأبيض بشأن عملية سلام جنوب السودان

البيت الأبيض / مكتب السكرتير الصحفي : ٢٤/٧/٢٠١٨

تواصل الولايات المتحدة دعم شعب جنوب السودان وتطلعاته إلى الحرية والسلام والازدهار ولكننا نشعر بقلق عميق إزاء اتجاه عملية السلام الحالية. يتمثل الأمل الوحيد للنجاح بعملية شاملة لأراء شعب جنوب السودان على نطاق واسع وتشرك المجتمع المدني والكنائس والنساء والمجموعات المستبعدة الأخرى. لن يحل اتفاق ضيق بين النخب المشاكل التي تعاني منها البلاد، بل قد يزرع بدلا من ذلك بذور دورة جديدة من الصراع. لذلك تدين الولايات المتحدة الإجراء التشريعي الأحادي لتمديد ولاية الحكومة ونحث حكومة جنوب السودان على الالتزام الكامل بالمفاوضات التي تكون شاملة بحق وتؤدي إلى حكومة انتقالية جديدة تمثيلية ومسؤولة تمنح صوتا وقوة ذات معنى في الحكم والأمن للمجتمع المدني وجماعات المعارضة – بما في ذلك جماعات المعارضة التي لم تلجأ إلى العنف في خلال الصراع الحالي.

وكخطوة أولى، ينبغي على أطراف النزاع تنفيذ وقف الأعمال العدائية واتفاقات وقف إطلاق النار التي أبرمتها. يجب أن يتوقف العنف الآن ويجب محاسبة الأطراف على انتهاك هذه الالتزامات. ترحب الولايات المتحدة بحظر الأسلحة الذي يفرضه مجلس الأمن الدولي للتخفيف من معاناة المدنيين في جنوب السودان وندعو الشركاء الإقليميين والدول الأعضاء في الأمم المتحدة إلى تطبيق هذا الإجراء بشكل كامل ووقف تدفق الأسلحة إلى جنوب السودان. الولايات المتحدة مستعدة لفرض عقوبات على أفراد إضافيين متورطين في نشاطات فاسدة وأولئك الذين يهددون السلام والأمن والاستقرار في جنوب السودان. وندعو القادة الإقليميين والمؤسسات المالية لضمان عدم تدفق عائدات النشاطات الفاسدة من خلال سلطاتهم القضائية وندعوهم إلى منع وتجميد الأصول التي تقوم بذلك. يجب الحفاظ على الموارد الشحيحة في جنوب السودان من أجل تحقيق السلام والتنمية.

لم يثبت القادة السياسيون في جنوب السودان، بمن فيهم الرئيس كير والزعيم العسكري للحركة الشعبية لتحرير السودان مشار، القيادة اللازمة لتحقيق سلام حقيقي وحوكمة قابلة للمساءلة في جنوب السودان. وما زلنا نشك في أنهم يستطيعون الإشراف على عملية الانتقال السلمي إلى الديمقراطية والحكم الرشيد متى يحين الوقت المناسب. لن تضمن الولايات المتحدة أي اتفاق ولن تمول أو تدعو إلى تقديم موارد إضافية من الأمم المتحدة لدعم الحكومة الانتقالية في غياب التزام ثابت ومثبت بالسلام والشمولية والمساءلة المالية والحكم الرشيد.

يستحق شعب جنوب السودان نهاية للعنف ومستقبلاً يتميز بالازدهار والتحرر من الخوف. ما زلنا ملتزمين بدعم شعب جنوب السودان وإنقاذ الأرواح وما زلنا نشاطرهم تطلعاتهم من أجل غد سلمي ومزدهر.

٢٢ تموز/يوليو ٢٠١٨

هجوم السحر المغربي في جنوب الصحراء الكبرى

(الإيكونوميست) : ٢٤/٧/٢٠١٨

ترجمة: علاء الدين أبو زينة: كان عامُ ملك المغرب محمد السادس هادئاً. فقد عمّد الملك، الذي كان قد زار ما لا يقل عن ١٤ دولة أفريقية منذ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠١٦، إلى تقليص أسفاره بعد عملية قلب أجريت له في شباط (فبراير). لكنه تمكن مع ذلك من استضافة رئيس وزراء مالي في آذار (مارس)، ومن زيارة الكونغو-برازافيل في نيسان (أبريل). وفي الشهر الماضي، اصطحب الرئيس النيجيري، محمد بخاري، في جولة في موكب جاب العاصمة الرباط، بينما أغدق عليه هتافات المشاهدين المبهجين. ومثل ملكها، تبدي الشركات المغربية اهتماماً كبيراً أيضاً بمنطقة غرب أفريقيا. ويقدر بنك التنمية الأفريقي أن ٨٥٪ من الاستثمار الأجنبي المغربي المباشر في الخارج يذهب إلى أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. ومع أن التجارة مع هذه المنطقة ما تزال متخلفة، فإنها تنمو بدورها أيضاً. وقد تضاعفت صادرات السلع المغربية إلى غرب أفريقيا ثلاث مرات من العام ٢٠٠٦ إلى العام ٢٠١٦. ويجلب الملك وفوداً تجارية كبيرة في جولاته الإفريقية الماراثونية، وعادة ما يوقع مجموعة من الصفقات مع مضيفيه. من الناحية السياسية، من الأسهل على المغرب أن يستثمر في حلفاء أبعد في منطقة الصحراء الكبرى أكثر من جيرانه المباشرين. وما يزال التكامل الإقليمي في المغرب العربي يواجه عائقاً من التنافس الذي طال أمده مع الجزائر. وبعد ضغط مكثف، تمت إعادة المغرب إلى عضوية الاتحاد الإفريقي في العام الماضي، والتي أنهت غياباً دام ٣٢ سنة. وكان المغرب قد انسحب من الاتحاد في العام ١٩٨٤ بعد أن اعترف الاتحاد الإفريقي بدولة الصحراء الغربية، التي يقول المغرب إنها جزء من أراضيه، كدولة عضو فيه. ومع قيام الجماعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا الآن بدراسة عضوية المغرب، يتواصل هجوم السحر المغربي. وقد تبرع البلد بنحو ٢٥ ألف طن من الأسمدة لغينيا، وقام بتدريب ٣٠٠ من الأئمة الماليين.

من الناحية الاقتصادية، يتيح التواصل مع غرب إفريقيا للمغرب فرصة التنويع ومغادرة تركيزه التقليدي على أوروبا، كما يقول إسندر العمراني من مجموعة الأزمات الدولية، المؤسسة الفكرية في بروكسل. وعلى الرغم من أن المغرب قد برز كمركز تصنيع منخفض التكلفة للشركات الأوروبية، فإن شركاته الخاصة تناضل من أجل التنافس في أوروبا. لكنها يمكن أن تزدهر في غرب إفريقيا. قادت هذه المهمة شركات المصارف والهاتف والتأمين المغربية. وساهمت هذه الشركات في العام ٢٠١٥ بنحو ٨٨٪ من مجموع قيمة الاستثمار الأجنبي المباشر للبلد في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. وتمتلك أكبر ثلاثة بنوك فيه ما يقرب من ثلث حصة السوق في الدول الثمانية التي تستخدم الفرنك الإفريقي لغرب أفريقيا. وأكبر هذه المصارف هو البنك التجاري وفا، ولديه ٤٤٣ فرعاً في مناطق غرب أفريقيا. كما حققت "اتصالات المغرب"، أكبر شركة اتصالات في البلاد، ٤٣٪ من مبيعاتها في العام الماضي من شركات تابعة في المنطقة. ويأمل المغرب في استضافة المقر الإقليمي للشركات الغربية التي تعمل في إفريقيا. وقد أنشأ مركزاً مالياً في العاصمة الاقتصادية، الدار البيضاء، حيث يُقدم إعفاءات ضريبية كإغراء. وستعمل عضوية البلد في الجماعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا على توسيع نطاق وصوله. وسيتم إعفاء البضائع المصدرة من المغرب إلى أعضاء آخرين في الجماعة الاقتصادية من التعريفة المشتركة للكتلة.

لكن محاولة المغرب الانضمام إلى المجموعة كشفت حدود نفوذه أيضاً. وقد بدا كل شيء على ما يرام في حزيران (يونيو) الماضي، عندما وافقت الجماعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا "من حيث المبدأ" على انضمامه. لكن الشركات في غرب إفريقيا كانت أقل حرصاً على ذلك، خوفاً من أن يحطمها المنافسون المغاربة. ويبدو صوت الانتقاد أعلى ما يكون في نيجيريا، أكبر اقتصاد في المجموعة. ويخشى الكثيرون من أن يستفيد المغرب من التجارة الحرة، لكنه سيناضل مع قواعد أخرى، مثل السفر من دون تأشيرة. ويبدو تطبيق هذا القانون الآن متوقفاً. وتجدر الإشارة إلى أن القمم الأخيرة لدول الجماعة الاقتصادية قد تجنبت الخوض في هذا الموضوع. ما تزال المملكة المغربية تأمل في فتح طريقها إلى المنطقة بهجوم السحر. وخلال زيارة الرئيس بخاري الأخيرة للرباط، اتفق هو والملك على بناء خط أنابيب غاز من نيجيريا إلى المغرب. لكن الخطة لا تملك أي تمويل وستظل إمكانية تطبيقها مفتوحة على الشك. على الرغم من ذلك، ومع كل استثمارات المملكة في غرب أفريقيا، لم يحصد المغاربة العاديون الفوائد بعد. فاستثمارات البنوك والاتصالات في الخارج لا تولد الكثير من الوظائف في الوطن، ويقال أن ٤٣٪ من الشباب المغاربة في المناطق الحضرية عاطلون عن العمل، وأن منطقة الريف في الشمال تعاني من الاضطرابات. وقبل التخطيط لجولته القادمة في غرب أفريقيا، قد يحتاج الملك الذي يجوب العالم إلى التعامل مع مكان من القلق المحلية.

خبراء يحللون أبرز ٣ نقاط في قمة البريكس بجوهانسبرغ

صحيفة (الشعب) الصينية: ٢٤/٧/٢٠١٨

سيُعقد الاجتماع العاشر لقادة مجموعة دول "البريكس" في جوهانسبرغ بجنوب إفريقيا، بين ٢٥ و ٢٧ يوليو الجاري.

وسيشارك الرئيس شي جين بينغ في هذا الاجتماع للمرة السادسة على التوالي. فما هي أبرز التوقعات من أعمال هذه القمة؟

يرى الخبراء أنه في ظل استمرار الولايات المتحدة في ممارسة الأحادية والحمائية التجارية، فإن أعمال قمة جوهانسبرغ من المتوقع أن تركز بشكل غير مسبوق على قضايا العولمة. وستكون طرق المواجهة والتعاون البراغماتي بين أعضاء المجموعة، أهم نقط الإهتمام في جدول أعمال القمة.

أولا، معارضة الأحادية

يعقد قادة دول البريكس اجتماعات رسمية وغير رسمية كل عام، وفي الوقت الذي تشنّ فيه الولايات المتحدة حرباً تجارية على نطاق عالمي، باتت العولمة قضية لا يمكن لقمة جوهانسبرغ تجاهلها. في هذا السياق، ترى تشن فونغ يينغ، المديرة السابقة لمركز أبحاث الاقتصاد العالمي التابع لمعهد العلاقات الدولية المعاصرة، أنه في سياق موجة الأحادية والحمائية التجارية الأمريكية، فإن قضايا العولمة ستكون أكثر أهمية من أي وقت سابق، على جدول أعمال قمة دول البريكس في جوهانسبرغ. من جهة أخرى، قال شيو شيو جين، الباحث المساعد والمدير التنفيذي لقاعدة أبحاث مجموعة البريكس التابعة لمركز أبحاث الاقتصاد والسياسة الدولية بالأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية: "إن النزعة الأحادية والحمائية للولايات المتحدة تمثل خلفية هامة لقمة جوهانسبرغ، خاصة وأن الحرب التجارية قد فرضت عدة تحديات على العالم.

لذلك، فإن طرق مواجهة الحرب التجارية، ستمثل إحدى أهم النقاط المطروحة على طاولة النقاش في القمة."

وأشار عدة خبراء، إلى أن قادة مجموعة "البريكس"، سي طرحون خلال القمة آرائهم وتصوراتهم، حول طرق مواجهة العولمة.

ثانياً: التطلع إلى نموذج براغماتي جديد في التعاون الصناعي متعدد الأطراف

ترى تشن فونغ يينغ: "أن قمة العام الحالي، ستناقش النمو الشامل للثورة الصناعية الرابعة. إذ على مستوى التكامل الصناعي، بإستثناء الصين، تعد روسيا دولة متقدمة في الصناعات الثقيلة، وتمتلك الهند صناعة برمجيات متطورة.

وهو ما يتيح فرص التعاون البراغماتي على المستوى الصناعي. على غرار التعاون في مجال إنشاء المناطق الصناعية والتسهيلات الإستثمارية والتجارية، وطرح المشاريع التي تجتذب مختلف الأطراف."

ثالثاً: نموذج "البريكس" + "للتعاون

خلال قمة شيامن التي عقدت في عام ٢٠١٧، نجحت الصين في تنظيم حوار بين دول الأسواق الناشئة والدول النامية، حيث جذب نموذج التعاون "البريكس" + "، إهتماماً عالمياً واسعاً. وخلال هذه القمة، ستقوم جنوب أفريقيا بعقد حوار على نمط "البريكس" + " أيضاً، وستواصل إجراء حوارات بين قادة مجموعة البريكس والزعماء الأفارقة، على أساس قمة ديربن لعام ٢٠١٣. وهو ماسيثيري نموذج التعاون "البريكس" + ". وتعتقد تشن فونغ يينغ، أن تطوير النتائج التي خرجت بها قمة شيامن، سيمثل إحدى النقاط المهمة خلال قمة جوهانسبرغ.

"حوار "البريكس" + " يهدف إلى تعزيز التعاون بين أعضاء المجموعة والبلدان الأفريقية، وتوسيع التعاون مع الأسواق الجديدة والبلدان النامية، لاسيما في ظل مواجهة العديد من القضايا الأمنية، مثل القضية الإيرانية.

ومع تغير الأوضاع الدولية، على المجموعة أن تعدل أهدافها أيضاً. " تقول تشنغ فونغ يينغ. في ذات الاتجاه، رأى شيو شيو جين أن قمة جوهانسبرغ بجنوب أفريقيا، ستعمق مخرجات قمة شيامن العام الماضي في العديد من القضايا. خاصة على مستوى نموذج الحوار "البريكس" + ". في نفس الوقت،

وخلال اجتماع شيامن في سبتمبر الماضي، قرر قادة دول البريكس تطوير شراكة استراتيجية أوثق وأوسع وأشمل، لخلق نسخة مطورة من تعاون "الدفع الثلاثي": التبادل الاقتصادي والتجاري والمالي، الأمن السياسي، والتبادل الإنساني. إضافة إلى ترسيخ مبدأ التعاون "البريكس" + "، ورسم رؤية "العقد الذهبي" الثاني. ويمثل التعاون في المجال الاقتصادي والتجاري والمالي، والأمن السياسي والتبادل الإنساني، ثلاثة أعمدة رئيسية للتعاون بين دول البريكس.

"بالمقارنة مع العلاقات الاقتصادية، هناك أوجه قصور على مستوى التعاون، في الأمن السياسي والتبادلات الثقافية بين بلدان البريكس.

لذا ستعزز القمة الحالية، التعاون في هذه المجالات.

أولاً، سيتم إنشاء فريق عمل لحفظ السلام، وسيصبح التعاون في المجال الأمني أكثر براغماتية. وفي ذات الوقت، سيتم تأسيس منتديات أخرى، لتعزيز التبادلات الثقافية بين الدول الخمس " يقول شيو شيو جيون.

وزير الخارجية مايكل آر. بومبيو: "دعم الأصوات الإيرانية"

نص تصريحاته في مؤسسة ومكتبة رونالد ريغان الرئاسية/سيمي فالي، كاليفورنيا ٢٢ تموز/يوليو ٢٠١٨

وزارة الخارجية الأمريكية /مكتب المتحدث الرسمي : ٢٠١٨/٧/٢٥

الوزير بومبيو: شكرا لكم جميعا. شكرا. . شكرا جزيلًا. حسنا، شكرا لك يا فريد، على هذه التقدمة اللطيفة. ذكرني عندما كنت في مرحلة التثبيت فأنهم كانوا يلاحقون جميع الأشخاص الذين أعرفهم على مر حياتي، وقد عثروا على أحد الأشخاص الشباب الذين لعبوا كرة السلة معي في لوس أنجلوس، وأقتبس منه أنهم سألوكم كم كنت جيدا. ورد قائلا: "حسنا، لقد حقق أقصى استفادة مما كان لديه." (ضحك).

شكرا على التقدمة الطيبة وعلى استضافتي هنا في مؤسسة ومكتبة رونالد ريغان الرئاسية. وهو مكان مميز للغاية وشرفا لي أن أكون هنا.

وأود أيضا أن أشكر صديقي توم على انضمامه معي هذه الليلة. لقد كان لنا مهمات متعددة معا، وأنا واثق أننا سنستمر في عمل ذلك في قادم الأيام والأسابيع والسنين.

ومن الرائع رؤية الحاكم ويلسون هنا. لقد صوتك لك مرات عدة مرات منذ وقت طويل. (ضحك).

وأنا أعرف أن لدينا العديد من أعضاء الجالية الأمريكية الإيرانية معنا هنا هذه الليلة. وهي مجرد جزء بسيط من ربع مليون إيراني يعيشون في جنوب كاليفورنيا لوحدها. كما لدينا هنا العديد من الضيوف الإيرانيين الأمريكيين من جميع أنحاء الولايات المتحدة. شكرا لكم. وأنا أتطلع للسمع منكم هذه الليلة ومعرفة المزيد عن الوضع في إيران كما ترونه، وفهم ما يمر به أصدقائكم وأحبائكم في معيشتهم هناك.

وأنا أدرك أن الجالية الإيرانية في المهجر هي جالية متنوعة. هناك الكثير من الخلفيات الدينية والعديد الذين يأتون من شتى أطراف الحياة. وهذا أمر جيد. وليس كل الإيرانيون الأمريكيون يرون الأمور بنفس الطريقة. لكنني أعتقد أن الجميع يتفق أن النظام في إيران هو كابوس جائم على صدور الإيرانيين، ومن المهم ألا تتأكل وحدتكم في هذه النقطة بسبب الاختلافات الأخرى.

وأريد أن أخبر أصدقائنا الإيرانيين الأمريكيين الليلة أن إدارة ترامب تحلم بنفس الأحلام التي أحلم بها لشعب إيران، ومن خلال عملنا ورعاية الله فإن ذلك اليوم سيتحقق. (تصفيق).

سيصادف العام المقبل الذكرى الأربعين للثورة الإسلامية في إيران. وكما سأوضح أكثر بعد قليل، فإن ثورة الأربعين سنة من الثورة كانت ثمرة مرة. لقد شكلت ٤٠ عاما من الحكم اللصوصي. وأهدرت ٤٠ سنة من ثروات الشعب في دعم الإرهاب. ٤٠ سنة من رمي الإيرانيين البسطاء في السجون لتعبيرهم السلمي عن حقوقهم. والسؤال هو لماذا تصرف النظام بهذه الطريقة البغيضة على مدى الأربعين عام الماضية وأخضع شعبه لتلك الظروف؟ إنه سؤال مهم.

والجواب هو في جذر الطبيعة الثورية لهذا النظام بذاته. (تصفيق). إذ أن المؤدلجين الذين استولوا على الحكم بالقوة في عام ١٩٧٩ وما زالوا في السلطة اليوم هم مدفوعين بالرغبة في فرض مبادئ الثورة الإسلامية على الشعب الإيراني قاطبة. كما أن هذا النظام هو ملتزم بتصدير الثورة إلى الدول الأخرى، وبالقوة إذا لزم الأمر. وهدف النظام النهائي هو بلوغ مآرب الثورة في داخل وخارج إيران. وهذا الهدف يقود سلوكهم. وهكذا فإن النظام أفنى أربعة عقود في تعبئة كل عناصر الاقتصاد الإيراني وسياستها الخارجية في خدمة هذا الهدف. وبالنسبة لهذا النظام، فإن رفاهية وأمن وحرية الشعب الإيراني هي ثمن خسائر مقبولة في مسيرته لتحقيق مآرب الثورة.

ومن الناحية الاقتصادية نرى كيف أن قرار النظام بإعطاء الأولوية لأجندته الثورية على حساب رفاهية الشعب الإيراني قد وضع إيران في أزمة اقتصادية طويلة. وقد كان من الممكن لإيرادات إيران النفطية التي ازدادت خلال فترة الاتفاق النووي أن تذهب لتحسين حياة الشعب الإيراني. وبدلا من ذلك، ذهبت هذه الإيرادات إلى الإرهابيين والديكتاتوريين والميليشيات العميلة. وبفضل دعم النظام، فإن المقاتل الاعتيادي من حزب الله يتلقى ضعفين أو

ثلاثة أضعاف مما يتلاقاه رجال الإطفاء في شوارع إيران. وقد أدت سوء إدارة النظام على انهيار قيمة الريال الإيراني. ووصلت نسبة العاطلين بين الشباب الإيرانيين إلى الثلث، وثلث الشعب الإيراني تحت خط الفقر. والمفارقة المرة في الوضع الاقتصادي في إيران هي أن النظام يستغل الوقت لملء جيوبه بينما يصرخ الشعب من أجل الوظائف والإصلاح والفرصة الاقتصادية. إن الاقتصاد الإيراني يسير على ما يرام إذا ما كنت أنت أحد أعضاء النخبة السياسية. وقد انفجر الشعب الإيراني غضبا عن حق قبل عامين عندما أظهرت بيانات الصرف المسربة مبالغ كبيرة من الأموال تتدفق بشكل غير مفهوم إلى الحسابات المصرفية لكبار المسؤولين الحكوميين.

وهناك العديد من الأمثلة على الفساد المستشري. خذوا صادق لاريجاني، رئيس السلطة القضائية على سبيل المثال. أنه يملك ٣٠٠ مليون دولار على الأقل. وقد حصل على هذه الأموال من اختلاس الأموال العامة إلى حسابه المصرفي الخاص. وقد فرضت إدارة ترامب العقوبات على لاريجاني في كانون الثاني بسبب تورطه في انتهاكات حقوق الإنسان، لأننا لا نخشى من مجابهة النظام على أعلى المستويات. (تصفيق). سموني مجنونا – لن تكونوا أول الناس – لكنني متشكك أن بلطجي سارق موضوع تحت العقوبات الدولية هو الشخص المناسب ليكون أعلى المسؤول القضائي الأعلى في إيران. (ضحك وتصفيق).

ضابط الحرس الثوري السابق ووزير الداخلية صادق محسولي يطلق عليه بـ “الجنرال الملياردير.” وقد تحول من ضابط حرس ثوري فقير في نهاية الحرب العراقية-الإيرانية إلى شخص يملك الملايين من الدولارات. كيف حدث هذا؟ إنه يمتلك براعة في الفوز بعقود التشييد والتجارة بالنفط المربحة من الشركات المرتبطة بالحرس الثوري الإيراني. ولعل الأمر مرتبط كذلك بكونه زميل جامعة سابق لمحمود نجاد. (ضحك).

آيات الله ضالعون في ذلك أيضا. وبالحكم على ثروتهم الهائلة، فإنه يبدو أنهم منشغلون بالغنى أكثر من الدين. ورجال القداسة المنافقون هؤلاء يبتكرون أنواع الخطط الملتوية ليتمكنوا في أن يكونوا أغنى الناس على وجه الأرض بينما يعاني شعبهم.

آية الله العظمى مكارم شيرازي معروف باسم “سلطان السكر” لتجارته غير المشروعة بالسكر، والتي حققت أكثر من ١٠٠ مليون دولار له. وقد أجبر الحكومة الإيرانية على تخفيض الدعم لمنتجي السكر المحليين بينما يقوم هو بإغراق السوق بالسكر المستورد الأغلى ثمنا العائد له. وتؤدي مثل هذه الأنشطة إلى خسارة الإيرانيين الاعتياديين لعملهم.

آية الله آخر، وهو واحد من أئمة الجمعة في طهران لأكثر من ٣٠ سنة، جعل الحكومة تحول إلى مؤسسته عدد من المناجم. وتبلغ ثروته الملايين من الدولارات أيضا.

ولا يعلم الكثير من الناس بذلك، لكن آية خامنئي يملك صندوق تحوط شخص خاص به بعيد عن الرقابة المالية، يسمى ستاد، وتبلغ قيمته أكثر من ٩٥ مليار دولار. وهذه الثروة غير خاضعة للضرائب ومكسوبة بشكل غير شرعي وتستخدم للأغراض غير المشروعة للحرس الثوري. ويقوم آية الله هذا بملء خزائنه بالتهام ما يريد. ففي عام ٢٠١٣، قام وكلاء ستاد بطرد امرأة بهائية تبلغ من العمر ٨٢ سنة من شقتها وصادروا ممتلكاتها بعد حملة طويلة من المضايقة. ومصادرة أراضي الأقليات الدينية والخصوم السياسيين هو عمل روتيني يومي لهذه المؤسسة المتجبرة والتي تضم أعمالها كل شيء من العقارات إلى الاتصالات وحتى مزارع تربية النعام. كل ذلك يحدث بمباركة آية الله خامنئي.

والقائمة تطول، لكننا لا نستطيع قضاء الليل في تعدادها. إن مستوى الفساد والثروة لدى القادة الإيرانيين تظهر أن إيران يديرها شيء أشبه بالماфия أكثر من كونه حكومة.

فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، فإن مهمة النظام في تصدير الثورة قد تمخضت عن حملة تحركها دوافع العنف وعدم الاستقرار في الخارج على مدى عقود طويلة. حيث يقتاد الأسد وحزب الله وحماس والمليشيات الشيعية في العراق والحوثيين في اليمن على مليارات الدولارات من أموال النظام بينما يصدق الشعب الإيراني بشعارات “اتركوا سوريا وفكروا بنا”.

وقد أبتلى شركائنا في الشرق الأوسط بالهجمات الإلكترونية الإيرانية والسلوك العدواني في مياه الخليج الفارسي. وقد سفك النظام وشركائه في الإرهاب دم المنشقين عبر أوروبا والشرق الأوسط.

وفعلا، فإن حلفائنا في أوروبا هم ليسوا في مأمن من خطر الإرهاب المدعوم من النظام الإيراني. ففي وقت سابق من هذا الشهر، ألقى القبض على دبلوماسي إيراني مقيم في فيينا ووجهت التهمة له بتزويد المتفجرات لتفجير إرهابي مخطط لاستهداف تجمع سياسي في فرنسا. وهذا يخبركم كل شيء تحتاجون لمعرفته عن النظام. وفي نفس الوقت الذي يحاول فيه النظام يحاول اقناع أوروبا في الإبقاء على الاتفاق النووي، فإنه كان يخطط لهجمات إرهابية سرية في قلب أوروبا.

ولأن مقاتلة الولايات المتحدة وتدمير إسرائيل هي من صميم أيديولوجيته، فقد قام النظام بارتكاب ودعم العديد من أعمال العنف والإرهاب ضد بلداننا ومواطنينا. وكمثال واحد فقط، قتل وجرح الآلاف من أفراد قواتنا المسلحة في العراق بالعبوات الناسفة الإيرانية الصنع.

وحتى تاريخ هذا اليوم، فقد احتجز وفقد عددا من الأمريكيين داخل إيران. حيث يحتجز النظام الإيراني ظلما كل من باقر نامازي وسياماك نامازي وزايو وانغ في الوقت الحالي، وبوب ليفنسون مفقود في إيران لأكثر من ١١ عاما. وهناك آخرون أيضا. ونحن في إدارة ترامب نعمل جاهدين لعودة كل واحد من هؤلاء الأمريكيين إلى بلدهم بعد أن طال احتجاجهم بشكل غير قانوني لوقت طويل للغاية. (تصفيق).

شخص من الحضور. (يصرخ): الرئيس ترامب يسجن الأطفال. نظام ترامب-بنس يخطف الأطفال. ترامب-بنس

الوزير بومبيو: بالرغم – بالرغم من أن النظام –

الحضور. (صيحات استهجان).

شخص من الحضور. (يصرخ خارج الميكرفون).

الحضور. (صيحات استهجان).

شخص من الحضور. (يصرخ خارج الميكرفون).

الحضور: أمريكا، أمريكا، أمريكا، أمريكا، أمريكا، أمريكا.

الوزير بومبيو: شكرا لكم.

شخص من الحضور. (يصرخ خارج الميكرفون).

الوزير بومبيو: أتمنى لو كان هناك نفس المقدار من حرية التعبير في إيران. (هتافات وتصفيق).

كما تعلمون، على الرغم من سجل النظام الواضح للعدوان، فإن الولايات المتحدة وغيرها من الدول قد أمضت أعواما لتحديد معتدل سياسي من بين النظام. كما لو كنا نبحث عن حصان أحادي القرن إيراني. (ضحك). إن أهداف النظام الثورية واستعادته لارتكاب أعمال العنف لم تفرز أي شخص ممكن أن يطلق عليه معتدل ورجل دولة ليقود إيران.

البعض يعتقد أن الرئيس روحاني ووزير الخارجية ظريف يناسبان هذا الغرض. والحقيقة هي أنهما فقط واجهة ملمعة لفن الخداع الدولي لآيات الله. حيث لم يجعل الاتفاق النووي معتدلين منهم، وأنهم ذئاب في ثياب حملان. إذ أن الحكومات حول العالم تشعر بالقلق أن مواجهة الجمهورية الإسلامية تضعف من المعتدلين، لكن هؤلاء المعتدلين المزعمين داخل النظام ما يزالوا يعملون كثوريين إسلاميين عنيفين بأجندة مناوئة للولايات المتحدة والغرب. كل ما عليكم هو سماع كلماتهم. وستكتشف مع هذا أن أجندتهم هي لا تصب في مصلحة إيران أيضا.

إن التزام النظام المطلق بالثورة الإسلامية يعني أنه غير قادر على استيعاب أي فكرة من المجتمع الإيراني تناقض أو تقوض ثورته الإسلامية – بعكس ما حدث للتو هنا هذه الليلة. وهذا سبب قمع النظام القاسي لحقوق الإنسان والكرامة والحريات الأساسية لشعبه لعقود من الزمن.

وهذا سبب اعتقال الشرطة الإيرانية للاعبة جمباز إيرانية شابة لنشرها فيديو راقص لها على انستغرام.

وهذا سبب اعتقال النظام لمئات الأحرار من الأقلية العربية في إيران عندما رفعوا صوته للمطالبة باحترام لغتهم ومعتقداتهم الأساسية. في الوقت الذي تقوم فيه شرطة الآداب بضرب النساء في الشوارع وإلقاء القبض على اللاتي لا يرغبن في ارتداء الحجاب.

وفي فعالية "الأربعاء الأبيض" مؤخرًا، تم سجن ناشطة بعقوبة ٢٠ عامًا في الحبس لاحتجاجها على ارتداء الحجاب القسري.

إن الرغبة في فرض الثورة الإسلامية أدت بشكل خاص إلى الاضطهاد الشنيع للحريات الدينية، وغالبًا ما قادت إلى نهاية بربرية. ففي الشهر السابق، أدين شخص بسيط وهو سائق حافلة وأب لطفلين وفرد من جماعة غونابادي الصوفية وحكم عليه بالإعدام. وجاءت عقوبته على أسس مشكوك فيها في أعقاب اشتباكات عنيفة بين قوات الشرطة وأتباع الطريقة الصوفية. وقد أفيد أنه قد حرم من الاتصال بمحام قبل وأثناء محاكمته الجائرة. هذا الرجل الذي يدعى السيد سالاس ومؤيديه تمسكوا ببراءتهم طول فترة المحاكمة. وقد أفاد أنه قد تعرض للتعذيب للانتزاع الاعتراف. وللأسف قام النظام بشنق السيد سالاس في السجن في ١٨ حزيران/يونيو.

وقد كانت وفاته جزء من حملة أكبر بدأت في شباط/فبراير، حيث تم اعتقال ما لا يقل عن ٣٠٠ صوفي يطالبون بإطلاق سراح أتباع مذهبهم الذين تم احتجازهم بشكل جائر. وما يزال المئات من المسلمين الصوفيين يقبعون في السجون بسبب معتقداتهم الدينية، مع وجود تقرير بوفاة العديد منهم على أيدي قوات الأمن الوحشية التابعة للنظام.

ومن بين المحتجزين هو زعيم الطائفة البالغ ٩١ عامًا الدكتور نور علي تابانده، الذي هو يقبع تحت الإقامة الجبرية للجزء الأعظم من الأربعة أشهر الماضية. وهو يحتاج إلى الرعاية الطبية العاجلة.

أن التعصب الديني للنظام في إيران يتجاوز المسلمين الصوفيين، ويشمل المسيحيين واليهود والسنة والبهائيين والزرادشتيين وأفراد العديد من الجماعات الأخرى في إيران ممن يعيشون في خوف أن صلاتهم القادمة قد تكون الصلاة الأخيرة لهم.

ما يحزننا بشدة بشأن معاملة الأقليات الدينية في إيران هو أن تاريخ في إيران يتجاوز تاريخ النظام بكثير. حيث أن هذه الأقليات تشكل جزءًا من التاريخ الغني للحضارة الإيرانية القديمة والناطقة بالحياة. وهذا النسيج يتمزق من قبل جلاوزة النظام المتعصبين المتشحيين بالسواد. وعندما يتم اضطهاد الأديان الأخرى، فإن إيران ستضمحل على صورة ذاتية لآيات الله والحرس الثوري الإيراني.

ورداً على الكم الهائل من الإخفاقات الحكومية والفساد وعدم احترام الحقوق فقد خرج الإيرانيون إلى الشوارع في شهر كانون الأول/ديسمبر في أطول وأقوى احتجاجات منذ عام ١٩٧٩. وبعضهم كان يصرخ بشعار "الشعب معدوم بينما يعيش المالكي كالآلهة". بينما أختار البعض الآخر غلق السوق الكبير في طهران. قد تختلف المظالم، لكن جميع من يبعرون عن سخطهم يتشاطرون شيء واحد وهي أنهم قد تعرضوا إلى سوء معاملة من قبل نظام ثوري. إن الإيرانيين يريدون أن يحكموا بكرامة ومساءلة واحترام. (تصفيق). لكن النظام - وهذا مهم. لكن رد النظام الوحشي لهذه الاحتجاجات السلمية يعكس تعصبه الذي أنتجته نظريته الثورية للعالم. إذ استهل النظام العام الجديد في كانون الثاني/يناير باعتقال ٥,٠٠٠ شخص من شعبه. وقد كانوا يطالبون بحياة أفضل. وما يزال المئات منهم حسب التقارير يقبعون خلف القضبان، بينما مات العديد منهم على أيدي حكومتهم. والسخرية هي أن القادة يصفون تلك الاحتجاجات بإلقاء النفس بالتهلكة.

وبشكل عام، فمن الواضح أن إيديولوجية النظام قد دفعت الكثير من الإيرانيين إلى الغضب أنهم لا يستطيعون أن يصفوا بلدهم بأنه بلد "طبيعي".

وهم يعرفون أن الدستور الذي يكرس تصدير الثورة الإسلامية وتدمير جيرانهم ويقيّد المواطنة هو دستور غير طبيعي.

يعرف الإيرانيون العاديون أن تعذيب حكومتهم لشعبها هو أمر غير طبيعي. ويعرفون أن وقوع بلدهم تحت طائلة العديد من العقوبات من مجلس الأمن الدولي هي أمر غير طبيعي. وإن التحريض بهتافات "الموت لأمريكا" و"الموت لإسرائيل" هو أمر غير طبيعي. وإن كون بلدهم هي الراعية الأولى للإرهاب هو كذلك شيء غير طبيعي.

في بعض الأحيان يبدو وكأن العالم أصبح لا يهتم للسلطوية النظام في الداخل وحملات عنفه في الخارج، لكن الشعب الإيراني الأبى لا يسكت على انتهاكات حكومته العديدة.

والولايات المتحدة الأمريكية تحت إدارة الرئيس ترامب لن تسكت أيضا. (تصفيق). وفي ضوء هذه الاحتجاجات و٤٠ عاما من الحكم الاستبدادي، لدي رسالة للشعب الإيراني: إن الولايات المتحدة تسمعكم وهي تدعمكم وتقف معكم.

عندما ترى الولايات المتحدة براعم الحرية وهي تندفع من التربة الصخرية فأنا نتعهد بتضامننا لأننا أيضا اتخذنا خطوة صعبة أولى في سبيل التحول إلى بلد حر منذ سنين.

وتقوم الولايات المتحدة في الوقت الحالي بحملة ضغط دبلوماسية ومالية لقطع الأموال التي يستخدمها النظام لإثراء نفسه ودعم الموت والدمار. (تصفيق). لدينا التزام بممارسة أقصى الضغوط على قدرة النظام من تحصيل وتحريك الأموال. وسنعمل على ذلك.

وإعادة فرض العقوبات على قطاعي البنوك والطاقة في إيران هي في قلب هذه الحملة.

وكما شرحنا خلال الأسابيع القليلة الماضية، ينصب تركيزنا على العمل مع البلدان التي تستورد النفط الخام الإيراني لتصدير صادرات النفط الإيراني بحلول ٤ تشرين الثاني/نوفمبر. الوصول إلى الصفر. (تصفيق). وكجزء من هذه الحملة في الآونة الأخيرة، قمنا بتسمية ميليشيا سرايا الأشرار البحرينية الشيعية الإرهابية كمنظمة إرهابية، ونعمل سوية مع الإمارات العربية المتحدة على تفكيك شبكة تحويل العملات التي تنقل ملايين الدولارات إلى الحرس الثوري الإيراني.

وهناك المزيد في الطريق. إذ يجب أن نجعل قادة النظام – لا سيما ممن هم على هرم الحرس الثوري الإيراني وفيلق القدس مثل قاسم سليماني – يشعرون بعواقب أليمة على قراراتهم السيئة. (تصفيق). ونحن نطلب من كل الدول، كل الدول التي سئمت وتعبت من السلوك التدميري للجمهورية الإسلامية للانضمام إلى حملة ضغطنا. وهذا ينطبق بشكل خاص على حلفائنا في الشرق الأوسط وأوروبا، والذين كانوا هم أنفسهم عرضوا للترويع نتيجة النشاط العنيف للنظام لعقود.

ويجب أن تعرفوا أن الولايات المتحدة لا تخشى من نشر رسالتها على موجات الأثير وعلى الإنترنت داخل إيران أيضا. فعلى مدى ٤٠ عاما سمع الشعب الإيراني من قادته أن أمريكا هي "الشیطان الأكبر". ولا نعتقد أنهم مهتمون بسماع المزيد من الأخبار الزائفة بعد الآن. (ضحك وتصفيق).

واليوم، واحد من كل أربعة إيرانيين – أي ١٤ مليون إيراني – يشاهدون أو يستمعون إلى برنامج بث حكومة الولايات المتحدة كل أسبوع. والأهمية الآن هي أكثر من أي وقت مضى لدحض أكاذيب النظام وتكرار رغبتنا للصدقة مع الشعب الإيراني. ويقوم حاليا مجلس الحكام الإذاعي الأمريكي باتخاذ خطوات لمساعدة الإيرانيين لتجاوز الرقابة على الإنترنت. كما يقوم المجلس بإطلاق قناة تلفزيونية جديدة باللغة الفارسية على مدار الساعة. وسيتعدى الأمر التلفاز، ليشمل المنصات الإذاعية والرقمية والإعلام الجديد حتى يعرف الإيرانيون الاعتياديون في إيران وحول العالم أن أمريكا تقف بجانبهم. (تصفيق). وأخيرا، فأن الولايات المتحدة لا تخشى من فضح انتهاكات حقوق الإنسان ودعم أولئك الذين يجرى اسكاتهم.

ونحن نستمر في إثارة مخاوفنا من السجل المريع للجمهورية الإسلامية في مجال انتهاكات حقوق الإنسان في كل مرة نتحدث فيها في الأمم المتحدة ومع شركائنا الذين يحتفظون بعلاقات دبلوماسية مع هذا البلد. ونوضح لهم أن

العالم يراقب مع استمرار النظام في جعل شعبه الضحية الأكثر معاناة منه. ولن نبقي صامتين. (تصفيق). ونحن جميع هنا من الحضور ومن شركائنا الدوليين لمساعدتنا لتسليط الضوء على انتهاكات النظام ودعم الشعب الإيراني.

أن هدف جهودنا هو أن نرى اليوم الذي يتمتع فيه الإيرانيون داخل إيران بنفس جودة الحياة التي بها الإيرانيون في أمريكا. (هتافات وتصفيق). إذ يتمتع الإيرانيون في أمريكا بكل الحريات التي تضمنها الحكومة الأمريكية ولا تداس عليها. وهم أحرار في سعي للتمتع بالفرص الاقتصادية التي يعتقدون أنها الأفضل لهم ولعائلاتهم، ويمكنهم أن يفخروا ببلدهم ويمارسوا معتقداتهم بالطريقة التي يرغبون بها.

وهناك عدد من الأشخاص معنا هنا من الذين أود أن أبرزهم الليلة لكونهم يجسدون ما نتمناه للشعب الإيراني. ومنهم غولي أميري وقد جاء إلى الولايات المتحدة كطالب جديد في جامعة ستانفورد وأسس شركات ناجحة وعمل في وزارة الخارجية والأمم المتحدة.

فيما أجبرت سوزان عزيززاده على ترك كل شيء ورائها وجاءت إلى هنا في عام ١٩٧٩. وهي اليوم رئيسة الاتحاد اليهودي الأمريكي اليهودي. (هتافات وتصفيق). وهناك أيضا مازان دلرحيم - أعتقد أنني رأيتهم - وقد أتى إلى أمريكا مع أسرته عندما كان عمره ١٠ سنوات فقط. (تصفيق). وهو الآن مساعد النائب العام في وزارة العدل - وهذا أمر مدهش للغاية. (تصفيق). ونأمل أن تذكر النجاحات التي أحرزها غولي وسوزان وماكان والكثير من الأمريكيين الإيرانيين الآخرين ضمن الجالية المهاجرة في الولايات المتحدة، تذكر الإيرانيين جميعا بما هو ممكن في ظل حكومة تحترم الشعب وتحكم بمسألة. لا ينبغي على الإيرانيين أن يفروا من وطنهم ليجدوا حياة أفضل. (تصفيق). وفي حين أن الشعب الإيراني في نهاية المطاف هو الذي يحدد اتجاه بلده، فإن الولايات المتحدة، بروح حريتها، ستعمل على دعم صوت الشعب الإيراني الذي لطالما تم تجاهله. أملنا هو أن يقوم النظام في نهاية المطاف بتغييرات ذات معنى في سلوكه داخل إيران وعالميا. وكما قال الرئيس ترامب، نحن على استعداد للتحدث مع النظام في إيران، لكن تخفيف الضغط الأمريكي لن يتحقق إلا عندما نرى تحولات ملموسة وظاهرة ودائمة في سياسات طهران.

ظننت أنني سأختم الليلة بطريقة ملائمة تماما باستحضار كلمات رجل كان يقوم بشكل روتيني بإشارة قضية الحرية والاحترام بتعبيرات أبلغ من تلك التي أطلقها أنا، وهو الرئيس رونالد ريغان. ففي عام ١٩٨٢ - (تصفيق). في عام ١٩٨٢، ألقى الرئيس ريغان خطابا في البرلمان البريطاني الذي أصبح يعرف فيما بعد بخطاب ويستمنستر، وحث فيه حكومات غربية أخرى على دعم من يحاولون كسر الطغيان والظلم حول العالم. وقد كان حجته بسيطة وقوية في نفس الوقت. حيث قال: "إن الحرية هي ليست امتياز للقلة المحظوظة، لكنها حق مطلق وكوني لكل إنسان".

وهذا هو سبب دعوتنا لجميع الحكومات لإنهاء مغازلاتها مع نظام ثوري والانتقال سريعا إلى مساعدة الشعب الإيراني. (تصفيق). وفي نفس اليوم وفي نفس التصريحات التي أدلى بها الرئيس ريغان فإنه قال: "دعونا نسأل أنفسنا: أي نوع من البشر نحن؟ ودعونا نجيب: بشر أحرار جديرين بالحرية ومصممين ألا نبقي كذلك فحسب، بل نساعد الآخرين على نيل حريتهم أيضا".

واليوم، تدين الولايات المتحدة القمع المفروض على الشعب الإيراني من قبل أولئك الذين يحكمون بظلم، ونحن فخورون برفع أصوات أولئك الذين يتوقون في إيران إلى احترام وعدم تجاهل الحريات المطلقة والكونية. ونحن نعلم أن الكثير من الناس في الشوارع والأسواق يتحدثون عن أولئك الذين ظل النظام يكتم أفواههم بشكل دائم على مر السنين. والذين قد يكون أحبائهم يتواجدون معنا في الحضور هذه الليلة.

أن أمل الولايات المتحدة ألا يغلب القمع والخوف على الـ ٤٠ سنة القادمة من تاريخ إيران، وأن يحل محلها الحرية وتحقيق الذات.

الإيجاز الصحفي لوزارة الخارجية الأمريكية الثلاثاء ٢٤ تموز/يوليو ٢٠١٨:

وزارة الخارجية الأمريكية / مكتب المتحدث الرسمي : ٢٠١٨/٧/٢٥

السيدة نويرت: إذن سأعطيك مثالا رأينا تقارير بشأنه وهو يتعلق باللاجئين. لن أتمكن من التعليق على كل ما قالته الحكومة الروسية ولكن تناول الوزير هذه المسألة يوم الجمعة وقال إنه ثمة اقتراح ما بشأن اللاجئين في سوريا. لا شك في أن الوضع خطير جدا. لا تزال سياسة وزارة الخارجية على حالها ولن تتغير: نحن ندعم عودة اللاجئين إلى ديارهم في ظل هذه الظروف، على أن تكون العودة آمنة وطوعية وكريمة عندما يختار اللاجئون ذلك وعندما يكون ذلك آمنا. لا أعتقد أن الوضع يسمح بذلك حاليا وفقا لما تقوله المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين. نأمل أن يتمكن الناس يوما ما من العودة إلى ديارهم. رأينا الناس قد بدؤوا بالعودة إلى ديارهم ببطء في بعض المناطق في سوريا إلا أنه من الواضح أن العودة ليست آمنة إلى أجزاء أخرى من البلاد.

السؤال: أعرب الرئيس اليوم عن استعداده لإبرام اتفاق فعلي بشأن إيران. وبالنظر إلى تفريده هذا الأسبوع والتي بدت وكأنها تجعل المرء يتساءل عما إذا كان يدفع باتجاه تغيير النظام، يبدو أنه يتراجع قليلا بكلامه وأنه مستعد للتفاوض بشأن متابعة خطة العمل الشاملة المشتركة.

السيدة نويرت: ليزلي، سأتحلى الحذر الشديد لعدم تحليل كلمات الرئيس. يجب أن أحيلك إلى البيت الأبيض للتعليق على أي كلام للرئيس بهذا الشأن.

السؤال: لا، لا، لا. ولكن هذا... هل هذا... بالنظر إلى أن وزارة الخارجية كانت وراء التأكد من أن تعيد الدول فرض هذه العقوبات وما إلى هنالك، هل يعني ذلك أن مسؤولي وزارة الخارجية مستعدون أيضا للمشاركة في مفاوضات بشأن خطة عمل شاملة مشتركة؟

السيدة نويرت: ليس لدي أي... المشاركة في مفاوضات بشأن خطة العمل الشاملة المشتركة؟ نحن نتحدث مع نظرائنا في مختلف أنحاء العالم بشأن إعادة فرض العقوبات وتحمل الحكومة الإيرانية المسؤولية عن الأعمال الرهيبة التي كانت حكومتها متورطة فيها في العديد من أنحاء العالم. لن أضيف أي معلومات أخرى بهذا الشأن.

السؤال: ولكن اقترح الوزير أن تقف الولايات المتحدة إلى جانب الشعب الإيراني...

السيدة نويرت: نعم، نحن نقف إلى جانبهم.

السؤال: ... ولكن نظامهم هو نظام حكم المافيا.

السيدة نويرت: نعم.

السؤال: إذن ثمة بالتأكيد اقتراحات لدعم تغيير النظام.

السيدة نويرت: كان الوزير واضحا جدا بشأن ذلك. قال إن التغيير الوحيد الذي نريده هو تغيير في السلوك. أي شيء يتخطى هذا الكلام يمثل تفسيراً ممن يقوله.

السؤال: حسنا، من قد...

السيدة نويرت: ليس هذا ما قاله الوزير.

السؤال: ألا تعتقدين أن تصريحات الرئيس اليوم والتي ذكرتها ليزلي لتوها تتعارض بأي حال من الأحوال مع نبرة تصريحات الوزير وفحواها؟

السيدة نويرت: لا أعتقد ذلك.

السؤال: نعم. شكرا لك. لدي سؤال سريع جدا بشأن القضية الفلسطينية. أقرت إسرائيل الأسبوع الماضي مشروع قانون قومييا مثيرا للجدل بدون الإشارة إلى مساواة حقوق الأقليات وما إلى ذلك. أتساءل إذا كنتم قلقين من أن مثل هذا القانون سيجعل بعض مواطني إسرائيل أقل مساواة من الآخرين. هل لديك أي تعليق على ذلك؟

السيدة نويرت: تتردد في الرد أو الإجابة على أسئلة حول تشريعات البلدان الأخرى تماما مثل عدم التعليق على التشريعات المعلقة. نحن طبعاً على علم بهذا القانون الجديد. أود أن أحيلك إلى حكومة إسرائيل للاطلاع على

تفاصيل هذا القانون وموقفها من ذلك. ولكن بشكل عام وفي ما يتعلق بهذه المسألة، نحن نؤمن بالمساواة بين مختلف الأشخاص أمام القانون.

السؤال: هل تشعرون أن مثل هذا القانون قد يضر بالديمقراطية الإسرائيلية التي تسلطون الضوء عليها طوال الوقت؟

السيدة نويرة: لن أعلق على هذا الموضوع. ينبغي طرح هذا السؤال على الإسرائيليين. لو سمحت.

السؤال: ... لو سمحت. الأول، عقد اجتماع اليوم في مجلس الأمن بشأن الوضع في غزة والأراضي الفلسطينية. وتمت الدعوة طبعاً إلى منع الحرب، منع حرب أخرى في غزة. كما تم تناول موضوع المساعدات والوضع الإنساني. هل يمكنك إطلاعنا على وضع خطة المساعدات إلى غزة التي كنتم تعملون أنتم أو الإدارة عليها في خلال الأشهر القليلة الماضية؟

السيدة نويرة: من حيث نظرتنا ...

السؤال: شروط ...

السيدة نويرة: عندما ننظر إلى الوضع في غزة، نذكر الناس لماذا الوضع مروعا هناك ويعود سبب ذلك إلى حماس. ويعود سبب ذلك إلى أن حماس تواصل إثارة الخلافات والنزاعات بين شعبها. لا تنفق حماس الأموال التي تحتاج إليها على بعض برامجها مثل الكهرباء والطعام والمياه النظيفة وما إلى هنالك. لذا كانت هذه الحكومة تحاول إيجاد البدائل وخلق حياة أفضل لمن يعيشون في غزة. رأيت طبعاً جيسون جرينبلات وجاريد كوشنر يتحدثان كثيراً عن هذا الموضوع. أعتقد أنهما قاما بـ ١٣ رحلة أو ما شابه إلى المنطقة لمناقشة هذه المسائل. سأرى إذا كان لدينا أي معلومات جديدة لك. سيسعدني إطلاعك عليها عندما يحين الوقت.

السؤال: حسناً. من باب التوضيح، كان ثمة بعض المقالات الافتتاحية بقلم السيد جرينبلات وكوشنر والسفيرة هايلي.

السيدة نويرة: صحيح.

السؤال: يبدو أنه ثمة تراجع عن هذه المساعدات إلى غزة لتقديم صفقة القرن. هل هذا ما يحصل الآن؟ هل عدنا إلى ...

السيدة نويرة: أود أن أحييك إليهم للاطلاع على تفاصيل بشأن مقالاتهم الافتتاحية.

السؤال: أصدرت هيومن رايتس ووتش تقريراً عن قمع العراق للاحتجاجات، وانتقدت استخدام القوة المفرطة وغير الضرورية، ولا سيما من منظمة بدر ووزارة الداخلية. ما تعليقكم على ذلك؟

السيدة نويرة: نعم. نحن على دراية تامة بتقرير هيومن رايتس ووتش الذي صدر في ٢٤ تموز/يوليو. نراقب هذا الموضوع عن كثب. نفهم أن الحكومة العراقية تجري تحقيقاً في هذا الموضوع وهذا أمر سندعمه بالتأكيد، وهذا ما تقوم به الحكومة الأمريكية. ولكنني أود أن أقول إننا ندعم حق الشعب العراقي في الاحتجاج السلمي، تماماً كما نفعل في مختلف أنحاء العالم. قالت الحكومة العراقية إنها ستتخذ تدابير لمحاولة حماية حقوق وأمن كل من الممتلكات العامة والخاصة. نحن أيضاً نعرب عن تعازينا بسبب فقدان الأرواح. وقعت طبعاً خسائر في الأرواح وإصابات أيضاً.

السؤال: هل أنتم مستعدون إلى القول إن بعض عناصر قوات الأمن العراقية، مثل منظمة بدر، شبيحة أكثر من عناصر أخرى؟

السيدة نويرة: لوري، لن أصنف هذه العناصر. أعتقد أن هذا فخ مؤسف.

السؤال: هل لي أن أسأل عن لافروف والمناقشة بين وزير الخارجية لافروف والوزير بومبيو. ذكرت القراءة أنهما ناقشا أفكاراً حول تنفيذ عملية تنسيق مكافحة الإرهاب. ما قد تكون هذه الأفكار؟

السيدة نويرة: لن أتمكن من الغوص في التفاصيل لأن بعضاً من هذه المناقشات هي محادثات دبلوماسية خاصة. ولكن تحدثت حكومتنا مراراً وتكراراً عن كيفية العمل مع حكومات أخرى على قضايا مكافحة الإرهاب. ليس الإرهاب موضوعاً يخص الولايات المتحدة وحدها بل هو أيضاً مشكلة واجهتها بلدان أخرى. وإذا تمكنا من تحديد بعض المواضيع البسيطة التي نستطيع العمل فيها مع الحكومة الروسية على بعض المسائل، سيكون ذلك بالتأكيد أمراً جيداً. ويشكل ذلك جزءاً مما تحدث عنه الرئيس.

السؤال: شكرا لك يا هيدر. لدي سؤالان. سؤال يتعلق بعودة الجنرال عبد الرشيد دوستم إلى أفغانستان. هل هذا مفيد وإلى أي درجة. ما تعليقكم على ذلك؟ باتت الانتخابات قريبة.

والسؤال الآخر بشأن اجتماع أبو ظبي بشأن الإمارات وأفغانستان والولايات المتحدة والسعودية. هل تعرفون النتيجة؟ كم ستكون...

السيدة نويرة: يمكنني أن أخبركم بأن كبيرة موظفينا في مكتب شؤون جنوب ووسط آسيا أليس ويلز تعود اليوم من الدوحة في قطر، حيث التقت بنائب رئيس الوزراء. كما التقت بمسؤولين حكوميين آخرين للتحدث عن مساهماتهم في الوضع في أفغانستان. كانت قطر شريكا مهما وقيما في هذه المسألة. لقد ساعدت في التدريب والتجهيزات والإمدادات والأمور المماثلة التي يحتاج إليها شركاء التحالف للمساعدة في تسهيل ما يجري هناك. إذن تعود أليس اليوم وقد عقدت اجتماعات جيدة وكان أحد أسباب ذهابها هناك الثناء على الحكومة لدعمها المستمر للسلام في أفغانستان.

بالنسبة إلى سؤالك الثاني وتقارير عودة الجنرال دوستم إلى أفغانستان، نعتبر ذلك إلى حد كبير مسألة داخلية ينبغي أن تعالجها حكومة أفغانستان. نحن على دراية بالتقارير طبعاً. ولكن بما أننا نتحدث عن هذا الموضوع، أود أن أعرب عن مدى أسف حكومة الولايات المتحدة لخسارة الأرواح في الهجوم الإرهابي يوم الأحد والذي راح ضحيته حوالي ١٤ شخصا على ما أظن.

نريد أن نتقدم بأحر التعازي إلى الحكومة. نظيرة، بما أنه قد مضى بعض الوقت منذ رأيتك آخر مرة، كانت رحلتنا جيدة ومثمرة إلى أفغانستان، وكان من المذهل أن نلتقي بالرئيس غني وعبدالله عبدالله ونجري محادثات مع مسؤولي الحكومة بشأن استراتيجية الرئيس الشاملة في أفغانستان وما تعتبره حكومة الولايات المتحدة أملاً ممكناً لأفغانستان. أعرف أن بعض الناس في وسائل الإعلام وفي مختلف أنحاء العالم قد تذرعوا بوقف إطلاق النار الذي استمر بضعة أيام، ولكن من وجهة نظرنا، إذا كان يمكن التوصل إلى وقف لإطلاق النار يستمر بضعة أيام، ربما يمكن التوصل إلى آخر يدوم أطول بقليل، وهذا يمنح الناس في أفغانستان الأمل.

السفيرة هايلي تلقى تصريحات في اجتماع مجلس الأمن الدولي بشأن الشرق الأوسط

بعثة الولايات المتحدة إلى الأمم المتحدة: ٢٠١٨/٧/٢٥

أقلت الممثلة الدائمة للولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة السفيرة نيكي هايلي تصريحات صباح اليوم في مناقشة مفتوحة لمجلس الأمن الدولي حول الشرق الأوسط.

وجاء في تصريحات السفيرة: “هنا في الأمم المتحدة على بعد آلاف الأميال من الفلسطينيين الذين لديهم احتياجات حقيقية، ليس هناك حاجة للخطابات بالنيابة عنهم. فبلد بعد بلد يدعى التضامن معهم. وإذا كانت تلك الكلمات ذات جدوى في مدارسهم ومستشفياتهم وشوارعهم، لما كان الشعب الفلسطيني يواجه هذه الظروف اليائسة التي نناقشها هنا اليوم. ما أرخص الكلام.”

“لقد قدمت الولايات المتحدة أكثر من ستة مليارات دولار - مليارات - على شكل مساعدات ثنائية إلى الفلسطينيين. كم قدمت البلدان العربية لهم - والبعض من هذه البلدان هي بلدان غنية؟ إن مساعداتهم لا تقارن بشيء مع المساعدات التي قدمتها الولايات المتحدة. أيهما أجدى - الكلمات في الأمم المتحدة، أم الأفعال في شوارع ومستشفيات المجتمعات الفلسطينية؟”

“إن الشعب الأمريكي هو شعب كريم. ونحن شعب إنساني بطبعه. ونحن نستمر في السعي لإيجاد السبل لمساعدة الشعب الفلسطيني، والذي تمثل محنته مصدر قلق حقيقي لنا. لكننا لسنا حمقى. وإذا مددنا يد الصداقة والكرم، فأنا لا نتوقع أن تعض هذه اليد. وعندما نمد يدنا فأنا نتوقع أن يمد الآخرون يدهم أيضاً.”

“لذا ففي المرة القادمة التي نعقد فيها اجتماعاً كهذا في مجلس الأمن الدولي أو الجمعية العمومية، ونسمع خطاباً بعد خطاب عن محنة الشعب الفلسطيني، فأنا أطلب من الذين يلقون هذه الخطابات للنظر فيما يقدمه بلده من مساعده بجانب الكلام. لقد حان الوقت للدول الإقليمية على وجه الخصوص من أن تتخذ الخطوات وتساعد الشعب الفلسطيني فعلياً، بدلاً من مجرد إلقاء الكلمات على بعد آلاف الأميال منهم.”

حتى يكون التنوع نعمة

*أمين قمرية

صحيفة (النهار) اللبنانية: ٢٥/٧/٢٠١٨

ما يميز هذا الشرق الكبير تنوعه الديني والعربي الذي جعله فريدا . لكن ياللاسف جعلت السياسة من هذا التنوع نقمة بدلا من ان يكون نعمة. وهذا هو الواقع الحالي لشعوب هذا الشرق حيث صار التنازع والافتراق بين الطوائف والاديان والاعراق التي تعايشت لآلاف السنين، واقعا ملموسا لا يحتاج الى برهان. والاشد اسفا ان شعوب العالم ولاسيما الاقرب الى هذا الشرق، الشعوب الاوروبية ، استطاعت ان تتغلب على عوامل الفتنة والتفرقة في ما بينها والتي ادت الى حريين عالميتين في قرن واحد . لكننا نحن وقد اقتربنا من العقد الثالث من القرن الواحد والعشرين نعمقها ونغذيها كل يوم ونجعلها كواليس تؤرق مستقبل اولادنا وبلادنا . قد لا يكون من الحكمة والصواب أن نعتبر الخلاص يكمن في قبول "التعددية" بحذافيرها وخلفياتها، كما يحاول البعض في هذا المضمار أن يقوم بإسقاط النظرية المصوغة أساساً في سياق تاريخي ومجتمعي وحضاري آخر، أي تلك النظرية التي تساوي بين كلّ العقائد والديانات أو ما يعبر عنه حيناً آخر بتكافؤ الأدلة والمستندات للأديان، لأنّ مثل هذا الأمر يوقعنا من جهة أخرى في تناقضات هائلة حتماً. وإنما المطلوب المطروح هنا هو ضرورة الاعتراف بوجود آخر يختلف معنا في الرأي والرؤية وفي الدين والعقيدة، وأن نتأكد من استحالة استئصال التعدد المذهبي والديني من خلال ممارسة الإلغاء واعمال الشطب ضدهم. يتحدثون اليوم عن وحدة المسلمين لكننا نراهم سنة وشيعة يختلفون ويتقاتلون لغايات لا علاقة لها بالدين والايمان ولايستفيد منها الا الاعداء . يشددون على التعايش بين المسلمين والمسيحيين من ابناء هذا الشرق لكن شقة الخلاف بينهما تتسع يوماً بعد يوم والخوف المتبادل بينهما يزداد . يتشدقون بالحفاظ على الاقليات لكن اعداد هذه الاقليات الى اندثار هجرة وهرباً من ايام سود . محافل كثيرة للحوار بين المسلمين والمسيحيين ، منظمة التعاون الاسلامي التي تضم كل الدول الاسلامية ، مؤسسات كثيرة تحاول تقريب وجهات النظر . لكن الفتنة تتعمق ونارها تقترب لتحرق الجميع، علما ان لهذه الامة في تعاليمها السماوية في شأن الوحدة والتكافل والتآلف والتعاون، اعظم سند لقطع الطريق على اللاعبين بالنار بين ابناء الوطن الواحد والامة الواحدة .

الإسلام في مصادره الأصلية يدعو إلى الوحدة والتضامن ويحذر من الفرقة والتنازع. كذلك الاديان السماوية الاخرى وكل القوانين الوضعية ومواثيق حقوق الانسان. لكن الوصول الى واد الفتنة وردع المتربصين بهذه الشعوب شرا، لا يكون الا بتعميق الحوار بين مختلف مجموعات هذا الشرق. فالحوار بما هو ثقافة ونهج تعامل، يسهم في درء مخاطر القطيعة بين هذه المجموعات، أو ميل بعضهم إلى الاستغناء والإنطواء.

وتزداد الحاجة إلى الحوار بازدياد احتمالات الانزلاق من توكيد الذات ومعه التشديد على الحق في المغايرة، إلى النفور أو العداء، لا سيما في الحالات التي يؤدي فيها الخلاف السياسي القوي إلى انقسام طائفي ومذهبي حاد. فالحوار في هذه الحالة هو سبيل للوصول بين ابناء هذه المنطقة ولتدارك الفصل الذي ينذر به شكهم أو خوفهم أو خصامهم. وهو أداة بناء الجسور أو إعادة بنائها، وفرض النزاعات أو الحؤول دون انفجارها.

اما التعصب وإن كان في أصله موقفاً فكرياً فهو في حقيقته وقود الفتنة وأساس الفرقة الممرقة لوحدة المجتمعات. والواجب على كل ذي دين أو معتقد أن يراعي في نفسه، وفي الجماعة التي ينتمي إليها، بقاء حالة الإيمان أو الاعتقاد نقيّة من آثار التعصب، منزّهة عن الشعور بالاستعلاء على الآخرين. والاهم اعلاء شان المواطنة في قيمنا ، فالمواطنة هي مشاركة في الوطن وما يترتب على الانتماء إليه من واجبات وحقوق يجب كفالة أدائها والتمتع بها مهما يكن دين المواطن أو عقيدته أو ثقافته. وعلى الجميع أن يتكاتفوا في منع أي حرمان من هذه الحقوق والواجبات مهما تكن المظاهر التي يتخذها، أو الأسباب التي يختفي وراءها.

إعادة تعريف وتنظيم المجال العام

*إبراهيم غرايبة

صحيفة (الفرد) الأردنية: ٢٥/٧/٢٠١٨

هبطت "الصناعة" بلا استئذان أو توقع وغيرت عالما راسخا لآلاف السنين من قبل ذلك، ومثلها تعصف الشبكية بعالم الصناعة، ولن تحتاج لأجل ذلك موافقة البرلمان! نتذكر جدالات التسعينيات في مناهضة العولمة، وكأنها (العولمة) سياسة أو قرار حكومي مثل قانون الضريبة على سبيل المثال! والحال أن مناهضي العولمة كانوا الأكثر انخراطا فيها،.. السلفيون الذين كانوا يحرمون الصور والتصوير أنشأوا سلسلة من الفضائيات، والإخوان المسلمون الذين وعدوا في برنامجهم الانتخابي العام ١٩٩٣ بإصدار قانون لحظر التقاط المحطات الفضائية، وألزموا أعضاء الجماعة بعدم مشاهدة القنوات الفضائية صار لهم فضائيات كثيرة، واليساريون الذين وحدتهم مناهضة العولمة اعترفوا أن العولمة حالة ملائمة لليسار، وغيرنا اسم جمعية مناهضة العولمة إلى المنتدى الاجتماعي!

لا نتذكر اليوم ونحن نرفض مقولة العقد الاجتماعي الجديد وكأنها رجس من عمل الشيطان أننا تغيرنا كثيرا من قبل، ولا نلاحظ أننا نفكر بعد سنوات قليلة في اتجاه معاكس تماما لما كنا متحمسين لعدائه ومواجهته، ولا نعرف أننا كنا في نضال دون كيشوتي لا يختلف عن مواجهة وتحريم المنخفضات الجوية! وعلى أي حال فلا بأس بتكرار القول والدعوة إلى الاستماع العميق ومشاركة العالم في عمليات الاستماع الطويلة الجارية اليوم لنفهم ونعيد فهم العلاقات بين مكونات الأمة (السلطات والمجتمعات والأسواق والأفراد) وكيف تشكلت عبر المراحل والموارد، وكيف يمكن أن تتشكل اليوم في مرحلة جديدة.. وهذا هو العقد الاجتماعي الجديد!

المسألة على نحو عملي أن هذه العلاقات تتخذ طابعا أقرب إلى التسوية مستمدا من وعي الأطراف بمصالحها وأهدافها وقدراتها، هكذا على سبيل المثال تمكنت السلطة بفضل المطبعة أن تنشئ وعيا مركزيا بمجموعة من القيم والأفكار والاتجاهات، واستبعدت مجموعة أخرى من القيم والمعارف والاتجاهات التي لا تلائمها، وأمكنها أن تنظم هذه العمليات وتسيطر عليها بفعل سيادتها على حدودها وترابها، ثم ساعدتها وسائل الإعلام (الصحافة والإذاعة والتلفزة) والمدارس والجامعات على تكريس وتنظيم المجتمعات والمدارس والسيطرة على عمليات التنشئة والتوجيه.. لقد انتهى ذلك كله اليوم، وتشكلت حاجة ملحة لإعادة تنظيم القيم والاتجاهات وفق مؤثرات وفرص جديدة تملكها أطراف فاعلة غير السلطة السياسية، العالم الخارجي، والمجتمعات والشركات والأفراد...

السؤال على نحو واقعي وواضح، كيف تحدد السلطة اليوم القيم المنظمة للسياسة والمجتمعات والأسواق؟ وليكن السؤال على نحو أكثر واقعية وصراحة فإن السلطات بما هي الطبقة والنخب والحلفاء والشركاء تفكر وتسائل نفسها بإلحاح كيف تحتفظ بقدرتها على تمكين فاعل اجتماعي من التأثير بشكل غير متناسب على قرارات فاعلين اجتماعيين آخرين؟ كيف تحابي إرادة الفاعل المتمتع بالسلطة ومصالحه وقيمه؟

وبالطبع فإن الفاعلين الاجتماعيين الآخرين من المجتمعات والأفراد والجماعات والنقابات والتجمعات والمدن والمحافظات والمهمشين والمستبعدين من جنة السلطة وطبقتها المتحكمة يفكرون كيف يؤثر في القرارات والاتجاهات والسياسات ويغيرون في اللعبة باتجاه مصالحهم وأهدافهم؟

العمليات المنشئة للعقد الاجتماعي الجديد تؤسسها مجموعة من الأسئلة التي تعمل وتؤثر شئنا أم أبينا في اللعبة، ماذا لدى الطبقات والفاعلين من فرص مؤثرة جديدة لم تكن متاحة من قبل؟ وكيف توظف هذه الفرص؟ كيف تدير السلطة ونخبها اللعبة الجديدة باتجاه قدرتها على المركزية والتأثير الحاسم؟

تنظم السلطة المجتمعات والأسواق والأفراد بالقوة والمال والمعنى (الثقة والقيم)، كيف تجري هذه العمليات في ظل التحولات التقنية والاقتصادية والاجتماعية الجارية اليوم؟ أو كيف يتشكل العقد الاجتماعي الجديد؟

شريعة الغاب بوصفها أخلاقاً دولية

*د. برهان غليون

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية : ٢٥/٧/٢٠١٨

أثار نشر صحيفة لوموند الفرنسية مقالاً مرفقاً بتسجيل مصوّر، يُظهر الحارس الشخصي للرئيس الفرنسي واسمه ألكسندر بنعلا، يضرب شاباً خلال تظاهرة عيد العمل في ١ مايو/ أيار الماضي، وهو ينتحل صفة ضابط شرطة، عاصفة سياسية وإعلامية لم تهدأ منذ تم الكشف عنها قبل أسبوع. وقد توجهت أصابع الاتهام إلى الرئيس إيمانويل ماكرون نفسه، لأن الرأي العام اعتبر العقاب الذي أنزل بالجاني، وهو الكفّ عن العمل خمسة عشر يوماً، متهاوناً جداً. وأدت الضجة والغضب الشعبي الذي أثارته الحادثة إلى أن يغير قصر الرئاسة موقفه، ويعلن أن الرئيس، بعد أن "أُحيط علماً بحقائق جديدة قد تمثل جنحة ارتكبتها ألكسندر بنعلا"، قرّر البدء بإجراءات فصل ألكسندر بنعلا عن العمل نهائياً. وأعلن مكتب الادعاء أن الشرطة استجوبت بنعلا، فيما أفاد مصدر قضائي بأن الأخير متهم بعنف ارتكبه شخص مكلف الخدمة العامة، وباستغلال مهماته واستخدام رموز مخصصة للسلطة العامة والتواطؤ للاستيلاء على صور التقطتها كاميرات أمنية.

وانتقد زعماء المعارضة الرئيس ماكرون، لأنه لم يفصل حارسه فوراً، والتزم الصمت إزاء ما جرى، ووصف بعضهم عهد ماكرون بأنه سلطوي، معتبرين أنه كان يجب إحالة الواقعة إلى السلطات القضائية فوراً. ومن المفترض أن يتعرّض الرئيس ماكرون للتحقيق بالحادثة، لكن الجدل يدور حول ما إذا كان سيقف أمام القضاء أم أمام مجلس النواب، باعتبار أن الدستور يحمي الرئيس من المثل أمام أي سلطة إدارية، ولكن ليس أمام ممثلي الشعب.

لم أتوقف عند هذه الحادثة، لأنني أريد أن أقارن سلوك الطبقة السياسية الفرنسية، إزاء انتهاك أحد عناصر أمنها لحقوق المواطن بالتظاهر، بسلوك النخب الحاكمة في البلاد العربية، وفي مقدمة قائمتها سلوك الطبقة/ العصابة المتحكمة بالدولة السورية، والتي يطلق عليها مجازاً، وعلى وسائل ومناهج عملها في القمع المعمم والخارج عن أي حدود قانونية أو سياسية أو أخلاقية، اسم النظام السوري، فقد أصبح من البديهي أن النظام الذي يعتمد، في بقائه، على ترويع الناس وشل قدرتهم على التفكير، وليس على النقد فحسب، لا يرى في عناصر الأمن حماة للقانون، كما هو الحال في الدول المتعدّنة، حتى غير الديمقراطية، وإنما حماة للنظام وأصحابه، في أغلب الأحيان، مع استسهال خرق القانون الذي وضعته الطبقة الحاكمة نفسها. فليس هناك وسيلة أفضل للردع، وإشعار الفرد بأنه عارٍ من أي حماية، ومكشوف لأجهزة

"ألا توجد خيارات أخرى غير المراهنة على مواجهة العنف بعنف أكبر؟" السلطة، ولا عاصم له منها، سوى ممارسة الخرق اليومي والعلني أمامه للقانون. أما القوانين المحترمة بالفعل فهي التي أصدرها الرئيس لحماية عناصر أمنه من أي مساءلة أو محاسبة قانونية، وفي جميع المستويات. ولأن رجل الأمن الذي يعرف أن مهمته تتمثل في ترويع الفرد العادي، وحرمانه من الأمن، حتى يضمن أمن أسياده، يعلم أنه محميٌّ من أي ملاحقة قانونية، مهما ارتكب من جرائم، ولأن الجريمة التي ترتكبها أجهزة الأمن جزء من عدة الإخضاع والاحتفاظ بالسيطرة، أصبحت استباحة حقوق الأفراد في سورية رياضةً يومية أكثر منها وظيفة سياسية وأمنية، ومورد رزق ياتاحتها التسلط على حقوق الآخرين، وجني ثمار السلطة بالوكالة، وباختلاق الأكاذيب على الناس وتلفيق التهم، إظهاراً للحماسة في خدمة النظام، والحصول على ترقية في وظيفة محور نشاطها الإبداع في استخدام العنف والتجروء على القانون، والتفنن في إعدام إنسانية الفرد، وهدر بدم بارد ومن دون رحمة أو شفقة. ومع مرور الوقت، تحول هؤلاء جميعاً، بحكم المهنة والوظيفة والرسالة التي أنيطت بهم، إلى جماعاتٍ من الساديين الذين يتلذذون بإنزال العقاب والأذى والدمار بحياة المواطن النعجة المحروم من أي حماية أو اعتبار، وبنهبه وتحقيره وإذلاله، سواء فعل ما يسيء إلى النظام أو لم يفعل، فكل شيء مباح، ما دام هدف رجل الأمن هو عمل كل ما يستطيع من أجل تعميق شعور الأفراد

بأنه لا شيء يحميهم من بطش جلاوزة النظام، سوى التشبث بالنظام ومدح رئيسه ليل نهار والثناء عليه، كائنا من كان، ومهما فعل وانتك من حقوق وكرامات.

غني عن القول أن هدي من هذه المقارنة بين سلوك رجل السياسة وأخلاقياته في حكم جمهوري ديمقراطي ورجل حرب أو زعيم عصاة كبرى اختطفت الدولة، وأصبحت تتحكم بها، وتستغلها لنهب مجتمع كامل وتحويله إلى عبيد يعملون في خدمتها، ولا يهمها لا بناء دولة ولا أمة ولا قانون، بمقدار ما يهمها الحصول على الخنوع الكامل لمواطنيها والاطمئنان إلى ولائهم المطلق والدائم، وسلبهم كل ما يملكون من حقوق وكرامة وإنسانية، بل ولا مقارنة سلوك رجال حكمها برجال حكم سلطات احتلال تدرك لا شرعية احتلالها، وتسعى إلى التغطية عليه، باحترام بعض المظاهر القانونية الشكلية، وربما بتقديم بعض الخدمات للشعوب المخضعة. مثل هذه المقارنة لا معنى لها.

ما أردت أن أشير إليه هو المقارنة التي لا يمكن للمرء أن يتجنب إقامتها بين سلوك رجل السياسة الجمهوري والديمقراطي نفسه تجاه مواطني الجمهورية وسلوكه تجاه مواطني الشعوب المنكوبة الأخرى، أي بين هذا الاحترام الدقيق والتميز للقانون، ولحقوق الناس هنا، والاستهتار المطلق والشائن الذي يظهره رجل السياسة ذاته هناك، إزاء معاناة الشعوب التي تخضع لحكم التشبيح والخرق اللامحدود للقانون. وهذا التباين الفاضح هو الذي سمح لحكومات غربية، لا شك في ديمقراطيتها وتمدنها، أن تغض النظر عن الانتهاكات غير المسبوقة لحقوق الإنسان في بلدان كثيرة، من دون أن يظهر عليها أي تأثير أو قلق على احترام القانون الإنساني، حتى أنها لم تر بأسا ولا مانعا اليوم من التسليم بأن يستمر الأسد الذي لم يترك انتهاكا ممكنا للقانون وحقوق الإنسان لم يبق به، واعتبار بقائه هو المخرج الوحيد لحرب الإبادة الجماعية التي دبرها وقادها مع حلفائه الإيرانيين والروس ضد الشعب الروسي. وهي الحرب

"الجريمة التي ترتكبها أجهزة الأمن جزء من عدة الإخضاع والاحتفاظ بالسيطرة" التي كان تحدي الغرب وتمريغ سمعته بالوحل أحد أكبر أهدافها. ما الذي يجعل رجل السياسة نفسه يشعر بالغيرة على الحق هنا، ولا يتردد في مساءلة رئيس الجمهورية عن انتهاك حارسه حق مواطن في التظاهر من دون تهديد، ولا يرى في استخدام الأسلحة الكيميائية وبراميل الإبادة الجماعية وتدمير المدن على رؤوس ساكنيها، لإكراههم على الهجرة والنزوح عن أرضهم، ما يستدعي الإدانة والتبرؤ من الفاعل، والسعي إلى حرمانه من قطف ثمار عمله الوحشي؟ كيف يبرر لنفسه التسامح مع حقوق شعوب كاملة، ولا يتردد في إعادة تأهيل حكامها والتعامل معهم، وهم يحكمون بالعنف العاري، خارج إطار السياسة والقانون والأخلاق. أخيرا كيف يمكن لشرعية الغاب أن تكون قانونا للعلاقات الدولية، بينما تتبارى الدول الديمقراطية في ترقية القانون، حتى يتحول إلى فعل أخلاقي؟

ليس الهدف من ذلك التقليل من جناية الحارس الشخصي بنعلا أو رئيسه بالتأكيد. ولكن الدفع إلى التفكير في هذه الشكيزوفيرينيا التي تضرب الوعي والضمير عند حكومات ديمقراطية فقدت نظرتها الكونية والإنسانية، وتكاد تسلم بانتصار العنف والوحشية خارج حدودها، وتستسلم لحتمية الفوضى والخراب. مثل هذه الأخلاق الشكيزوفيرينية على مستوى العلاقات الدولية لا يمكن، إذا استمرت، أن لا تنذر بقطيعة كاملة بين الشعوب الديمقراطية وتلك الخاضعة لحكم القوة والعصبية والمال والفساد، وفي أثرها بتراكم الكراهية والحقد والضغينة لدى أجيال لا يمكن في المستقبل أن تفصل، وهي على حق، بين تسلط النظم الوحشية المدارة من عصابات نهب وسلب، وتلك الحكومات الديمقراطية الكبرى التي رعتها ومدتها بالوسائل والتقنيات القاتلة، وساعدتها على البقاء ضد إرادة شعوبها. في هذه الحال، كيف يمكن لهذه الدول أن تتصور إمكانية القضاء على العنف المتجذر في ثنايا العلاقات الدولية، وتفاقم الظلم والمهانة والإذلال الجماعي، وأي استراتيجية يمكن أن تمكنها من درء انتقال موجات الإرهاب، والأفعال الوحشية المرتبطة به، إلى ربوعها العامرة؟ ألا توجد هناك خيارات أخرى غير المراهنة على مواجهة العنف بعنف أكبر، واستبدال النظم الدموية بنظم أكثر دموية، وتجاوز النزاعات بتحويلها إلى إبادة جماعية؟

ثورة ٢٣ يوليو.. إنجازات وإخفاقات

*توفيق المديني

صحيفة (الحياة): ٢٥/٧/٢٠١٨

أصبحت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من الماضي السياسي العربي. وفي التقويم التاريخي لها، ثمة مؤيدون لها، وكذلك مختلفون مع توجهاتها، والسبب أنها أول ثورة عربية أنجزت في تاريخ ما بعد الحرب العالمية الثانية الذي شهد صراعاً إيديولوجياً حاداً، بين الاشتراكية والرأسمالية، وتوترات إيديولوجية حول القضية القومية. إنه عالم الحرب الباردة، وهو عالم إنجاز التاريخ على يد الدولة - الأمة الهيجلية في صفتها الليبرالية، والأنكلوساكسونية في طابعها الغالب، أو في صيغتها السوفييتية التي هي مزيج من التقنيات المتولدة عن بعض مراحل الثورة الفرنسية ومن الطوباوية الماركسية اللينينية المستوحاة مباشرة من الفلسفة الألمانية، فالرأسمالية في الغرب رسالة الديمقراطية المسماة الليبرالية، وذات النزعة الفردية، والسوفييتية في الشرق هي رسالة الديمقراطية الشعبية الاستبدادية واشتراكية الفقر.

ذلك هو العالم ثنائي القطبية الذي شهد اندلاع الثورات القومية الديمقراطية، والتحررية الوطنية في بلدان عديدة في العالم الثالث، ومنها مصر، فعلى نقيض هزيمة الجيوش العربية والأنظمة الإقطاعية والبورجوازية، في الحرب العربية - الصهيونية لعام ١٩٤٨، دشنت ثورة يوليو العام ١٩٥٢، بقيادة جمال عبد الناصر، عهداً جديداً من الثورة السياسية التي استعادت فيها الشعب المصري حقه في حكم نفسه، والتخلص من الحكم الملكي التابع للغرب، وثورة اجتماعية تناضل فيها الطبقات الفقيرة، حتى التوصل إلى تحقيق الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية الجذرية. هدف شكل التطور الرأسمالي الذي حققه المشروع الناصري إلى إنجاز استراتيجية، "القومية التنموية"، من خلال تقييد نفوذ البرجوازية الكبيرة على الفور أو بالتدرج، ومن ثم تأميم ملكيتها، وكذلك تأميم ملكية الإقطاعيين وتأميم البنوك التجارية، وعمل على التخلص من التحالفات القديمة التي أقامها الاستعمار المباشر، أو الكولونيالية المسيطرة بطريقة غير مباشرة، والمتمثلة في تحالف كبار الملاكين العقاريين، والبورجوازية الكومبرادورية القديمة، والتجار السماسرة، وعبر بلورة خط التنمية الصناعية الوطنية المستقلة، المعتمدة على العنصرة والعدل الاجتماعي، والتي شكلت قاعدة صناعية مستقلة لا يرقى إليها شك.

وإذا كان القطاع العام، أو قطاع الدولة الذي أوجدته الفئة المهيمنة من الطبقة الوسطى التي تمتلك بالفعل سلطة الدولة، قد مثل "صرح الصمود" الاقتصادي والسياسي في مصر، وفي عدد من الأقطار العربية في مرحلة الستينيات وحتى نهاية السبعينيات، فإن استراتيجية "القومية التنموية" التي اتبعتها المشروع الناصري كانت أميل، في عمومها، إلى الطابع الفني منها إلى الطابع السياسي الاجتماعي. وهكذا تم استبعاد مفاهيم من مثل "الإيديولوجية والطبقات، والأحزاب"، وكانت برامج التنمية (على قيمتها) مفروضة من أعلى كما كانت السياسات "الاشتراكية" تطبق، في معظم الأحيان، من دون اشتراكين. وهكذا كان على القطاع العام والخطة القومية الشاملة أن يعمل من دون تدعيم من إيديولوجيا سياسية متبلورة أو حزب سياسي نشط فعال.

كما أفسحت التطورات المهمة المعروفة التي شهدتها ثورة ٢٣ يوليو على الصعيد القومي، في المجال، لمصر الناصرية قيادة النظام الإقليمي العربي الذي أصبح قوة فاعلة ومشاركة في إطار التأثير المتبادل مع فواعل النظام العالمي ثنائي القطبية، فضلاً عن أنها شكلت نقطة تحول رئيسية في التاريخ الحديث للنظام الإقليمي العربي. وبالنظر إلى دوره البارز متغيراً فاعلاً في هذا النظام العالمي، بدرجات متفاوتة، وعبر المراحل الممتدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية السبعينيات.

وكانت مرتكزات سياسة النظام الإقليمي العربي هذه، هي، نصرته حركة القومية الصاعدة بزعامة عبد الناصر، والأحزاب القومية العربية الأخرى، في إطار المجابهة مع القوى الاستعمارية الغربية، والكيان الصهيوني، وإفساح المجال لبقية البلدان العربية لتطوير التعاون الاقتصادي والعسكري مع دول الكتلة الشرقية، ومقاومة سياسة

الانخراط في الأحلاف العسكرية الاستعمارية الغربية التي أحدثتها الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون، فقد شق هذا النظام الإقليمي العربي في انتقاله من حالة التلمس العفوي والرومانسية الثورية إلى مرحلة الواقعية الثورية طريقه في تضاريس السياسة الدولية الوعرة، من دون أن يستسلم للضغوط التي كانت تمارسها عليه الدول الإمبريالية الغربية، ولا سيما الولايات المتحدة، في خضم عصر الاستقطاب الثنائي والحرب الباردة، ووعى، في الوقت عينه، حقائق جغرافية سياسية لموقعه، وضرورات وحدة الصف العربي على الصعيد السياسي الشعبي، باعتبار أن مقومات إيجاد القوة لا بد أن تكون بفعل الجماهير لا غيرها، من أجل تحقيق الاستقلال القومي وتعزيزه.

لكن طريق الارتقاء الصعب هذا الذي جعل من مصر رأس الحربة لصراع العالم الثالث قد ضرب في حرب يونيو/حزيران ١٩٦٧ التي ألحقت هزيمة نكراء بالنظام الإقليمي العربي، في الوقت الذي بدا فيه هذا النظام بزعامة عبد الناصر، وبالتحالف مع بقية الأنظمة العربية الوطنية، ينضج على صعيد ربط الاشتراكية بخيار التنمية القومية المستقلة للعرب، واستعادة حق التصرف بالثروات الطبيعية العربية، لمصلحة إخراج الوطن العربي من التأخر، وزجه على طريق التقدم الزراعي والصناعي، وبالتالي ينضج على صعيد امتلاك الوعي التاريخي المطابق.

وبين هزيمة حزيران، وبالتالي نهاية مرحلة التجربة الناصرية وما فرضته من عملية انتقال من التحرير إلى التسوية، والقفز من القضية إلى نقيضها، وكما يقول محمد عابد الجابري، في تحليله القفزات اللامعقولة للاتاريخية في الخطاب القومي الناصري: "إن التلازم الضروري" الذي يقيمه الخطاب القومي بين "الوحدة والاشتراكية" من جهة و"تحرير فلسطين من جهة أخرى، يسمح، بل يفرض، عند أقل توتر هذا النوع من الانتقال من القضية إلى عكسها من دون الشعور بأدنى تناقض، وبين بروز السعودية نقطة استقطاب للإيديولوجيا الدينية المحافظة المتناقضة جذرياً مع القومية، والوحدة العربية، والعلمانية، والديمقراطية، والاشتراكية. وبالتالي بروزها قوة قائدة للخط المحافظ في النظام الإقليمي العربي، تساوت برامج الحركة القومية العربية مع مواقف اليمين العربي المحافظ الذي أصبح ينتهج سياسة هجومية، مستقوياً في ذلك بالتأييد القوي من الولايات المتحدة الأمريكية، على أرضية خط التسوية. وكانت النتائج السلبية المتساقطة عن هذا الانتقال تتمثل في إعادة ترتيب توازنات القوى في المنطقة، وبالذات في العلاقة بين مصر والسعودية، وما يترتب على ذلك من آثار متعددة على النظام العربي.

وبما أن الخطاب القومي العربي قائم على الممكنات الذهنية، فقد عجز عن أن يتحول إلى إيديولوجيا علمية ثورية، وأن يطرح مشروعاً سياسياً، قومياً، ديمقراطياً، يكون نتاجاً للتطور التاريخي العربي، ومستجيباً للمنعطيات التي يفرزها هذا التطور، ومعطياً أجوبة عقلانية وواقعية وعالمية الأفاق، للحاجات والتناقضات والتطلعات التي تخلقها حركة التاريخ عينه. وبالتالي، مُحدّداً بدقة للقوى الاجتماعية الثورية وإيجاد نموذج لمجتمع عربي مدني متحرّر ومستقل، في إطار عملية التفاعل مع الجدلية التاريخية الموضوعية، وقاد هذا العجز إلى تعميق أزمة الوضع العربي، أفراداً وجماعات وطبقات وأحزاباً، بسبب انهيار الحركة القومية التقليدية والرومانسية العربية، الناجم عن تأخر الوعي الإيديولوجي السياسي لهذه الحركة، وعدم تكون حركة قومية ديمقراطية حديثة وعقلانية.

إذاً، تمثلت التغيرات الخطيرة التي حصلت في ظل تراجع الحركة الناصرية في سيطرة مفاهيم النقائص الإيديولوجية للوحدة والاشتراكية والتحرير التي كانت تشكل الطاقة الثورية للخطاب القومي العربي المعاصر، لكي تُهيمن إيديولوجيا التسوية، وتُحلَّ محلَّ شعار التحرير، من خلال قبول عبد الناصر مشاريع التسوية المطروحة، وخصوصاً مشروع روجرز، وبالتالي قبوله خط التسوية على الصعيد الدولي وقبوله سياسة التضامن العربي مع الأنظمة العربية الموالية للغرب، ووقفه الحرب الإيديولوجية والسياسية ضدها، وفي مقدمتها العربية السعودية، حين قرر الانسحاب المصري من اليمن، حيث كان الوجود المصري آنذاك متصادماً مع السعوديين، ولكن عبر وكالة اليمنيين. وبعد ذلك، ليكون ورثة المرحلة التاريخية الأقلية مرحلة الملحمة الناصرية والحلم اليساري الرومانسي سوى صورة كاريكاتورية باهتة في غالب الأحيان للأبطال الذين رحلوا.

حوار أعمدة الأمة الأربعة

*جواد العناني

العربي الجديد: ٢٨/٧/٢٠١٨

اقترح الأمير الحسن بن طلال، رئيس منتدى الفكر العربي، في العام ٢٠٠٥، إعادة إحياء "عملية هلسنكي" من أجل التصدي لمشكلات المنطقة وجوارها، وذلك وفق حزم من القضايا المتلازمة، مثل: الأمن والسلام، البيئة والتنمية المستدامة، المياه والطاقة، حقوق الإنسان والديمقراطية، كرامة الإنسان والعيش الكريم. ونحن نذكر أن هذه العملية قد اقترحتها عام ١٩٦٩ الحكومة الفنلندية، إبّان الحرب الباردة بين الاتحاد السوفياتي والغرب. وقد اكتسبت هذه العملية زخماً بعدما تعرّضت للنقد والسخرية أربع سنوات. وفي عام ١٩٧٣، آمن الفرقاء بها، فانطلقت وساهمت في بناء تفاهاتٍ أساسية، أنقذت العالم من شرور الحروب الدامية.

لكن بعد استعادة روسيا روحها بعد تفكك الاتحاد السوفياتي وارتفاع زخم التأثير الصيني، واشتداد الأزمات التي لا تحل في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، أدت فكرة إحياء "عملية هلسنكي" بروح جديدة تعود إلى الشرق الأوسط، خصوصاً وأن الأمين العام الحالي قد طالب بإحياء هذه العملية أخيراً، في أثناء تقديمه تقريره الأمني عن حالة المنطقة العربية والبلدان المجاورة.

وفي ضوء هذه التحركات، وبدلاً من ترك الوطن العربي وهمومه ومشكلاته نهياً للدول العظمى، اقترح رئيس منتدى الفكر العربي عقد اجتماع تشاوري بين مجموعة من المفكرين، والمتابعين والنشطاء الذين يأتون من الأعمدة الأربعة للأمة، لكي يتبادلوا الأفكار والهموم حول ما يمكن عمله، لإيقاف التدهور في العلاقات البينية بين هذه الأعمدة، وهم العرب والترك والفرس والكرد.

وقد قسم البحث في اللقاء الفكري الذي عقد في عمان يوم ٢٢/٧/٢٠١٨ إلى أربعة محاور، حيث يتحدث ثلاثة مختصين عن هموم كل عمود من هذه الأعمدة، وعن الذي يريده من باقي الأعمدة.

كان الترك حذرين في مقاربتهم، خشية أن يطالب الكرد بدولة مستقلة، لكنهم أكدوا ضرورة إيلاء الشباب، المكون الديمغرافي الأكبر لسكان الشرق الأوسط، اهتماماً أكبر للتصدي للقضايا، وللتشبيك وإبداء آرائهم حول أساليب تناول القضايا العالقة في هذا الإقليم المضطرب من العالم.

وقالوا إن حضارتنا الإسلامية قد أظهرت روحها الحقيقية في مسألة اللاجئين السوريين. فبينما تعاجز العالم عن استضافة آلاف من السوريين، نرى أن ثلاث دول إسلامية مجاورة لسورية استضافت سبعة ملايين لاجئ (تركيا ولبنان والأردن).

أما الفرس الممثلون بثلاثة مفكرين من إيران، فقد أكدوا أمرين: الأول رغبة الفرس في العيش المشترك والاحترام المتبادل مع كل دول المنطقة، وهو انعكاس للموقف الرسمي المعلن.

والنقطة الثانية، تأكيدهم أن الحضارة الإسلامية، بأبعادها القيمية والفكرية والحضارية، تجمعنا كلنا. وأن إحياءها لا يفتتت على حقوق المكونات السكانية من غير المسلمين، مسيحيين كانوا أم يهوداً أم يزيديين أم هندوساً أم بوذيين أو مجوساً.

أما الكرد فقد أكدوا أن مهمهم الأساسي هو الحصول على كامل حقوقهم بالمساواة، والكرامة، والأمن، والعمل مع باقي المكونات في الدول التي يشكلون نسبةً من سكانها.

وقال أحد المساهمين من الكرد إن الكرد يفتخرون بما قدموه للعالم العربي والإسلامي من تضحيات للتصدي للغزاة عبر التاريخ، لكنهم في المقابل يريدون معاملةً أفضل، ولا يقبلون أن يكونوا مجرد حطب لحروب أو ديكتاتوريات، كما حصل معهم في الماضي القريب.

أما العرب، فقد عبّروا عن الرغبة في التضافر من أجل إنهاء الصراعات الداخلية، واحترام خصوصيتهم حيال التدخلات الخارجية من دول إقليمية أو قوى عالمية. وأكدوا أن السيولة العربية هي مصدر نعمتهم ونقمتهم، سواء تمثلت هذه السيولة في مالهم، أو نفطهم، أو مياهم أو دمائهم. وقالوا إن الحاجة ملحة لبناء نظام تعاون في المنطقة، بدلاً من التنافس الضار المؤدي إلى حالة التنازع.

وقدم الأمير الحسن أكثر من مداخل، دعا فيها إلى تحويل منبرنا الحضاري الإسلامي إلى مفهوم إنساني شامل، يساهم ليس فقط في إبراز الوجه الحسن لهذه الحضارة، بل ويكون شريكاً فعالاً في صنعها. وأكد أن هذا الاجتماع الذي دعا إليه يأتي من منطلق المسار الثاني الفكري الذي يتناسب مع هدف منتدى الفكر العربي، وهو تجسير الفجوة بين الفكر والسياسة.

وشدد على ضرورة نشر ثقافة اللقاء، وتأكيد الحوار. ولم يتطرق الحاضرون إلى "عملية هلسنكي"، وإنما أثار رئيس المنتدى فكرة إنشاء "عملية فكرية مستمرة" لها سوابق كثيرة في العالم. وقال إننا بحاجة إلى بناء مواقف توافقية تخاطب بها العالم.

كان هذا الحوار البناء يجري والمتشددون الإسرائيليون يقتحمون الأقصى، وإسرائيل ترسل طائراتها لتقصف مواقع في شمال سورية، والعراق ينوء بالمظاهرات المطالبة بالعيش الكريم ومحاربة الفساد، وإيران والولايات المتحدة تتبادلان التصريحات النارية حول المقاطعة النفطية التي تريد أمريكا فرضها على إيران. وقد أثيرت في الحوار الغني قضايا مهمة، مثل علاقتنا بالغرب، مستقبل الدولة القطرية، والتحديات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجه الجميع.

إذا بنى الفرقاء عملية حوارية فعالة، فهم قادرون على إنشاء "عملية هلسنكي"، تضم أوروبا وروسيا والصين والولايات المتحدة من أجل تهذيب العلاقة بين منطقتنا وكل واحد منهم. وإذا استمر الحوار، فإننا قادرون على الدخول إلى التفاصيل الشائكة التي تقض مضاجع هذه العلاقة داخل الإقليم، وبين أقطاره المختلفة.

* د. جواد العناني خبير اقتصادي، نائب رئيس الوزراء ورئيس الديوان الملكي الأردني سابقاً.

حرية التّخوين والسّباب

*ميشيل كيلو

منبر الحرية : ٢٨/٧/٢٠١٨

تسهم وسائل التواصل الاجتماعي في تأسيس مجتمع من نمط جديد، تركز وحدته على حرية أفرادها واحترام خصوصياتهم. ولا يعني هذا أن هذه الوسائل تقوّض المجتمع القائم، أو تطلق معاول الهدم والتخريب فيه، وكيف لها ذلك إن كانت تعمل لترقيته، بما تتيحه لأفرادها من انفتاح تواصل، وتبادل حر للمعلومات والمعرفة، ومن تفكير بدائل لما يواجهونه من أوضاع ومشكلات، من دون خوف من عقاب تنزله بهم دولة طغيانية عميقة الأجهزة، تكره الحرية والمعرفة والمواطن العارف.

تخشى النظم المغلقة وسائل التواصل، وما تمد مجتمعاتها به من مواد إعلامية تخفيها أجهزته عنها. وتخشى ما تحقّقه من استقلالية في فضاء معلوماتي لا يخضع لها، ولا يروّج ذلك النمط من الوعي الذي تعمل لتكريسه في عقول مواطنيها، ويشوّه ما يجري في المجتمع والعالم من وقائع، وصولاً إلى تجميل ما في حياة الخاضعين لها من بؤس وتهافت، أو إنكاره.

بفضل وسائل التواصل الاجتماعي، تخلق مجتمعا مفتوحا وحرا في مواجهة المجتمع المغلق أو المتخلف القائم، وتعاضل تأثيرها بقدر ما أنجزت وظيفتها في مجتمعات تتحكم بها نظم طغيانية، ومكنت المواطن من المشاركة في فضائه المفتوح، كذات حرة لا قيد على حقها في التعبير عن نفسها، وفي التفاعل مع آخرين لم يعرف هويتهم مسبقا، لكن علاقاته التفاعلية معهم تدعم حريته وحريتهم بالتبادل وتوسعهما، بدعم وتوسعة قدرتهم على وعي أنفسهم وعواملهم بالتطابق مع مكوناتها وحقائقها، وبما يتاح له من معلومات تضع المعارف التي يحتاجها في متناول يديه، وتمنحه حق استخدامها بالطريقة التي تروقه.

لم يتوفر كثير من هذه الوظيفة لوسائل التواصل الاجتماعي السورية التي تنتمي إلى "الثورة"، ومال معظم مؤسسيها إلى تنصيب أنفسهم قضاة على خلق الله عامة، والثوريين منهم خصوصا، وشرعوا يوزعون تهم الخيانة والعمالة بسخاء لا حدود له، وأدلة تنتمي إلى وساوس تصيب عادة مرضى نفسيين، يتوهمون أنهم يخوضون حربا ضد خونة نجحوا في السيطرة على مواقع وتنظيمات عليهم فضحهم وطردهم منها، على الرغم من أنهم يتقنون جميع أنواع التخفي والتقية، ويستولون، عبر خطط لا يتقنها أحد مثلهم، على مواقع قيادية، في ثورة لم يبقوا منها غير اسمها الذي صادروه بدوره.

من كل عشرة أسسوا مواقع تواصل اجتماعي، اعتمد ثمانية هذا النهج الذي قدم من المعلومات للنظام عن الثورة ما كان سينفق ملايين الدولارات، كي يحصل عليه، ولعب دورا خطيرا في جر مجتمع الثورة إلى الهاوية، وزرع جسمها الضعيف بكل ما هو فتاك من شائعات وأنصاف حقائق، أثارت قدرا من الانقسام فاقم انقساماته بدل أن يخلصه منها، وحال، بنصيب وافر، دون ما كان السوريون بحاجة إليه: قيادة ثورية موحدة، تمتلك الوعي الكفيل بإيصال الشعب إلى حريته، بانتزاع المبادرة السياسية والعسكرية من النظام.

بدل القيادة الموحدة، برزت عشرات القيادات، وبدل تجفيف مصادر الخلافات الكثيرة، نشبت حرباً ضروس، طاولت كل شخص وقضية، وانقسمت الثورة الغائبة إلى ثورات حاضرة بقوة، كل واحدة منها هي الصحيحة، وما عداها خائنة كولي أمرها: بشار الأسد.

ثمّة فائض فوضى في وسائل التواصل "الثورية" أنتج حرية هلوسة وانحطاط لا يحترم أصحابها أنفسهم أو أحدا، ويرفضون أي لغة في التعامل مع الآخرين غير لغة الشتم والتخوين التي يبرزها إعلام الأسدية لإثبات خيانة كل معارض. واليوم، يكفي أن تفتح أي موقع إلكتروني، لترى أن التخوين يغطي كل من أسهم في ثورة السوريين، ويكتم أنفاسه، ويرهق روحه المعنوية وشجاعته الأدبية، ويقوّض كرامته الوطنية والإنسانية.

هل يتطلب التعاون الدولي قيما مشتركة؟

*نجيري توي وودز

بروجيكت سنديكيت: ٢٠١٨/٧/٢٨

بين النزاعات التجارية المتصاعدة والانقسامات في قمة مجموعة الدول السبع التي انعقدت الشهر الماضي، بات انهيار الحكم العالمي واضحا بدرجة صارخة. لم يعد من الممكن الاعتماد على الولايات المتحدة لدعم القواعد القائمة، ناهيك عن إنفاذها. ولم يعد بوسعنا أن نفترض أن الدول بشكل عام تتفق على مجموعة مشتركة من المعايير، ناهيك عن الالتزام بها. فهل يعني هذا أن العالم القائم على القواعد أصبح محكوما عليه بالفشل؟

على مدار العقود السبعة الماضية، كانت القيم الديمقراطية تؤسس للجهود التي قادتها الولايات المتحدة وأوروبا لتعميق التعاون الدولي. ومنذ نهاية الحرب الباردة، عندما ادعى الغرب انتصار الديمقراطية الليبرالية، كان القادة الأمريكيون والأوروبيون يستشهدون في كثير من الأحيان بالقيم المشتركة في منطديات مثل منظمة حلف شمال الأطلسي ومجموعة الدول الكبرى السبع (التي كانت معروفة باسم مجموعة الدول الثماني الكبار قبل تعليق عضوية روسيا في العام ٢٠١٤ بعد خرقها لتلك القيم في أوكرانيا).

لكن العالم تغير. فلم تعد روسيا في احتياج إلى أن تكون جزءاً من نادي "المنتصرين" في الحرب الباردة لتعزيز مصالحها الجيو-ستراتيجية. ولم تكن الصين عضواً في هذا النادي قط، لكنها على الرغم من ذلك ارتفعت إلى مرتبة القوى العالمية الكبرى. والواقع أن هذه الدول، جنباً إلى جنب مع غيرها من الاقتصادات الناشئة الكبرى، تتحدى على نحو متزايد الهيمنة الجيوسياسية التي تصور الغرب أنه نجح في تأمينها.

مع ذلك، فإن التحدي الأكثر قوة يأتي من داخل الغرب نفسه، حيث تكتسب القوى السياسية المعادية للمؤسسة، في الولايات المتحدة وأوروبا، الدعم من خلال تحدي القيم وأشكال التعاون التي ظلت مقبولة لفترة طويلة.

من المؤكد أن الغرب لم يتخل عن مفهوم القيم المشتركة، على الرغم من تصويت المملكة المتحدة لصالح الخروج من الاتحاد الأوروبي والدبلوماسية الأمريكية الأحادية والتعريفات التجارية في عهد الرئيس دونالد ترامب. فبعد محاولة ترامب منع المواطنين من سبيع دول ذات أغلبية مسلمة من دخول الولايات المتحدة، قالت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل إن ذلك القرار "غير مبرر". وكانت تتحدث في مؤتمر صحفي إلى جانب رئيس الوزراء السويدي ستيفان لوفين، الذي وصف القرار بأنه "مؤسف للغاية". ثم أشار لوفين إلى أن السويد وألمانيا "تتشاركان قيما أساسية" وأكد على "الدور المهم الذي يلعبه الاتحاد الأوروبي في تعزيز القيم وحقوق الإنسان". ومن جانبها، استشهدت ميركل بأهمية القيم المشتركة في الاستجابة لتحديات مثل الإرهاب الدولي.

ولكن من الحماقة أن تتصور القوى الأوروبية أنها تستطيع أن تعتمد على القيم المشتركة لتحقيق التعاون الدولي، تماماً كما كان من الحماقة أن يعتقد الغرب أن الانضمام إلى عضوية منظمة التجارة العالمية من شأنه أن يحول الصين على نحو ما إلى ديمقراطية ليبرالية. فمن غير المرجح أن تتمكن الدول الأوروبية من إقناع الصين، أو روسيا، أو إدارة ترامب، بتبني نظرتها للعالم.

هذا لا يعني أن التعاون الدولي صار مستحيلاً، ولا يعني أن الدول لم يعد لديها اختيار غير أن تسلح نفسها استعداداً لعصر قادم من التحالفات المختلة، أو الصراعات بالوكالة، أو حتى الحرب. بل يعني بدلاً من ذلك أن التعاون لابد أن يكون راسخاً في المصالح الاستراتيجية الطويلة الأجل وليس القيم المشتركة. ويتحتم على دول العالم الآن أن تحدد مصالحها الاستراتيجية الطويلة الأجل وكيف تتداخل (أو لا تتداخل) مع مصالح الآخرين وما هي أنظمة التوفيق المتبادل التي قد تساعد في تعزيز هذه المصالح.

في تقييم المصالح المشتركة، تُعد التجارة منطقة واضحة تدعو إل القلق. لا شك أن التعريفات التي فرضها ترامب على الواردات من الصلب والألومنيوم تحظى بشعبية على الأقل بين بعض المنتمين إلى قاعدته الجماهيرية، لكنها أثارت غضب أقرب حلفاء أمريكا، الذين شرعوا في اتخاذ تدابير انتقامية بالفعل.

يتوقع خبراء الاقتصاد أن تتسبب تعريفات إدارة ترامب في خسارة أكثر من ٤٠٠ ألف وظيفة في الولايات المتحدة - وهي الخسارة التي تترجم إلى ١٦ خسارة في مقابل كل وظيفة يجري إنقاذها في صناعات الصلب والألومنيوم. ومن الواضح أن هذا النهج لا يصب في المصالح الاستراتيجية طويلة الأجل لأي طرف، حتى ولو قدم فوائد سياسية قصيرة الأجل.

ويجب أن تركز نظرة الدول لمصالحها الاستراتيجية على التكنولوجيا. الآن، تتنافس شركة جوجل مع شركة على بابا لاجتذاب أفضل مهندسي الكمبيوتر في العالم، وكثيرين منهم أوروبيين، من أجل الفوز في سباق السيطرة على بيانات العالم، وتطوير الحوسبة الكمية (التي سيعتمد عليها الجيل التالي من التشفير) لإنشاء تطبيقات أكثر ربحية للذكاء الاصطناعي.

لقد أصبح الأوروبيون يعتمدون على مثل هذه الشركات، وجميعها في الصين أو أمريكا. ومع ذلك، كانت أوروبا تركز على فرض القيم المشتركة في قطاع التكنولوجيا - في الأساس من خلال تعزيز الضوابط التنظيمية التي تحكم خصوصية البيانات - بشكل أكبر من تركيزها على تطوير استراتيجية طويلة الأجل لتمكينها من المنافسة. ومن الممكن أن يساعد تعريف مثل هذه الاستراتيجية أوروبا في تحديد مجالات التوفيق المتبادل.

المجال الثالث الذي ينطوي على إمكانية التعاون الاستراتيجي هو مساعدات التنمية والاستثمار في أشد دول العالم فقراً وأكثرها هشاشة. وهذا التعاون ضروري لمحاربة الإرهاب، والإتجار بالبشر، والهجرة. ولكن هنا أيضاً، تعمل الدول ضد مصالحها، حيث تواصل الولايات المتحدة وأوروبا خفض ميزانيات المساعدات وتحاول السيطرة على الهجرة على الحدود.

في هذه الأثناء، تدير الصين استثمارات كبرى في الدول الأكثر فقراً، ولكن بطرق تعتبرها الولايات المتحدة وأوروبا ممارسات بغيضة. ففي حين تتعامل الولايات المتحدة وأوروبا مع قضية التنمية من منظور خفض الفقر والحكم الرشيد، تعطي الصين أولوية أعلى لدعم تطوير البنية الأساسية كجزء من سياسة صناعية. بل إنها استحوذت على مشاريع البنية الأساسية في دول منطقة اليورو المتعثرة مثل البرتغال واليونان - وهو التحرك الذي يعكس الافتقار إلى الفكر الاستراتيجي على الجانب الأوروبي.

لكن من غير المرجح أن ينجح أي من النهجين في غياب التوفيق المتبادل. وهذا هو مضمون النتائج التي توصلت إليها في نسيان (إبريل) لجنة LSE-Oxford بشأن هشاشة الدول، والنمو، والتنمية، والتي يترأسها رئيس الوزراء البريطاني السابق ديفيد كامرون. وكما يزعم تقرير اللجنة، تحتاج كل القوى الكبرى إلى تبني نهج أكثر واقعية وصبراً، والذي لا يركز على قوائم طويلة من الأهداف المستحيلة، وإنما على الاحتياجات والقدرات المحلية.

في خطوة واعدة نحو التوفيق الاستراتيجي، أنشأت الصين وكالة التعاون الدولي لكي ترافق مبادرة الحزام والطريق الطموحة التي أطلقتها البلاد. وسوف تسمح الهيئة الجديدة للمساعدات بأن "تلعب دورها المهم في دبلوماسية القوى العظمى". والآن تحتاج الولايات المتحدة وأوروبا إلى بذل المزيد من الجهد لتطوير أهدافهما الاستراتيجية طويلة الأجل والبحث عن طرق جديدة لتحقيق التعاون على المستوى الدولي.

إن إقامة أنظمة التوفيق المتبادل التي تعمل على تسهيل تحقيق المصالح المشتركة هي أمر ممكن. وإذا لم تعد المنظمات الدولية الراسخة محل ثقة بالقدر الكافي للقيام بهذه المهمة، فربما تحتاج الولايات المتحدة وأوروبا إلى ترتيبات محلية جديدة. وعلى سبيل المثال، اقترح وزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق، هنري كيسنجر، إنشاء منصب دائم داخل البيت الأبيض لإدارة العلاقات مع الصين. ومع استمرار تدهور الإدارة العالمية القائمة على القيم، تصبح الحاجة إلى مثل آليات التفاعل المستمر هذه شديدة الإلحاح.

* عميد مؤسس لكلية بلافاتييك للحكم في جامعة أكسفورد

أطول خسوف كلي للقمر في القرن الـ ٢١ يبهر العالم

وكالة فرانس برس، وكالة رويترز : ٢٠١٨/٧/٢٨

أبهر أطول خسوف كلي للقمر في القرن الـ ٢١ ومعه كوكب المريخ يشع في اقرب نقطة من الارض الجمعة، مشاهديه في جميع انحاء العالم.

وأصبح لون القمر الذي حجب كوكب الارض عنه ضوء الشمس تدريجياً، أحمر في ظاهرة بدأت عند الساعة ١٧:١٤ وانتهت عند الساعة ٢٣:٢٨ بتوقيت غرينيتش.

أما الخسوف الكامل للقمر فاستمر حوالي الساعة ٤٣ دقيقة (١:٠٣ دقائق)، وهو الأطول في القرن الـ ٢١. وتحدث ظاهرة خسوف القمر عندما يقع على خط واحد مع الشمس والأرض. وكان القمر الجمعة بدرا ودخل في ظل الأرض جزئياً، ثم كلياً، ثم خرج منه تدريجياً. وتابع العديد من المهتمين الظاهرة في جميع انحاء العالم.

وقالت ماريون روتيش ربة العائلة التي كانت تراقب الخسوف مع ابنتيها في نايفاشا في جنوب كينيا: «من المهم جداً أن نرى القمر احمر، كما لو انه مغطى بالدم».

واستخدم العديد من المهتمين المناظير لمتابعة الخسوف بينما اكتفى آخرون بالتقاط صور بهواتفهم النقالة. وبالقرب من القمر، ظهر كوكب المريخ الذي كان على بعد ٥٦,٧ مليون كيلومتر. وقد بدا للعين المجردة نقطة مشعة، لكن بواسطة منظار كان يمكن مراقبة تفاصيله.

وهو ثاني خسوف كلي للقمر في ٢٠١٨، بعدما حدثت هذه الظاهرة في ٣١ كانون الثاني (يناير) الماضي. وحدث الخوف التام في الساعة ٢٠:٢٢ بتوقيت جرينتش وأمكن رؤيته في أوروبا وروسيا وأفريقيا والشرق الأوسط ومعظم أنحاء آسيا وأستراليا، رغم أن السحب حجبت القمر في بعض الأماكن. ولن يتسنى مشاهدة الخسوف في أمريكا الشمالية ومعظم أنحاء المحيط الهادي.

وتابعت رويترز الخسوف في مختلف أنحاء العالم وصورت القمر البرتقالي ثم الأحمر فوق القاهرة وفوق معبد بوسيدون في كيب سونيون قرب أثينا وفوق قرية رايشتينج في ألمانيا وعلى ساحل ريو في البرازيل وفي جوهانسبرغ. وفي نيروبي، شاهد الكينيون القمر معتماً. وقال تيدي موثوسي وهو يشاهد القمر من حديقة أوهورو في نيروبي "هذا هو معنى الحياة: اللحظات السحرية مثل هذه... إنه جميل ويستحق ذلك".

وعلى ضفاف نهر الجانج في الهند، أغلقت المعابد قبل الخسوف. وشاهد المتحمسون الظاهرة عبر تلسكوبات في سنغافورة وفي مرصد السديم للفضاء وعلم الفلك بالوثبة قرب أبوظبي.

ودفع المئات في أستراليا بالفعل مقابل مشاهدة الخسوف من مرصد سيدني قبل شروق الشمس. في الوقت نفسه يقترب المريخ من الأرض أكثر مما حدث في عام ٢٠٠٣ لذلك قد يشاهد بعض المتابعين ما يبدو أنه نجم يتراوح لونه بين الأحمر والبرتقالي الذي سيكون في الواقع الكوكب الأحمر (المريخ).

وقال روبرت ماسي نائب المدير التنفيذي للجمعية الملكية البريطانية لعلماء الفلك "إنها مصادفة غير مألوفة بالمرة أن يحدث خسوف كامل للقمر بينما يكون المريخ في الجانب المقابل خلال نفس الليلة".

ومنذ آلاف السنين يجول الإنسان بنظره في السماء بحثاً عن بشير خير أو نذير شؤم.

لكن علماء الفلك قالوا إنه لا يوجد ما يستدعي القلق.

ومن المتوقع أن يحدث خسوف القمر المقبل لنفس الفترة الزمنية عام ٢١٢٣.

قمة بريكس : إطلاق شراكة بشأن الثورة الصناعية الجديدة والتعاون في مواجهة التهديدات

اعداد: الانصات المركزي : ٢٨/٧/٢٠١٨

تمحورت قمة جوهانسبورغ لدول مجموعة «بريكس» حول السياسات الاقتصادية التي اتخذتها الولايات المتحدة أخيراً، والتي تهدد النظام التجاري العالمي متعدد الأطراف، بحسب المجموعة. وندد قادة الدول الخمس (روسيا، الصين، البرازيل، جنوب أفريقيا والهند) الذين اجتمعوا في عاصمة جنوب أفريقيا بـ«التحديات غير المسبوقة» التي يواجهها العالم في ضوء التدابير الحمائية الأمريكية، داعين إلى تعزيز التعاون في مواجهة هذه التهديدات.

تهديد الاقتصادات الناشئة

وأعرب قادة دول «بريكس» عن قلقهم بشأن تدابير «سياسة الاقتصاد الكلي» التي «يمكن أن تُسبب تقلبات اقتصادية ومالية في الاقتصادات الناشئة وقد يكون لها تأثير على آفاق نموها».

كما دعت الدول الخمس جميع أعضاء منظمة التجارة العالمية إلى «احترام قواعد هذه المنظمة والوفاء بالتزاماتهم في نظام تجاري متعدد الأطراف». هذا النداء موجه مباشرة إلى الولايات المتحدة التي اتخذت في الأشهر الأخيرة إجراءات تجارية معادية بحق كل من بكين وبروكسل وموسكو وغيرها، بعدما فرض الرئيس الأمريكي دونالد ترامب رسوماً جمركية على الفولاذ والألومنيوم تستهدف الصين بشكل أساسي، وهو يهدد الآن بفرض ضرائب صارمة على جميع الواردات الصينية.

في هذا الإطار، شدّد الرئيسان الصيني والروسي، شي جين بينغ وفلاديمير بوتين، يوم أمس، على الحاجة إلى تحسين التعاون بين دول «بريكس»، وقال شي إنه من الضروري أن تعزز دول «بريكس» شراكتها الاستراتيجية لجعل العقد المقبل «عقداً ذهبياً آخر». وقد اتخذ بوتين موقفاً مماثلاً، عندما اعتبر أن دول المجموعة تؤدي «دوراً فريداً في الاقتصاد العالمي». قال بوتين إن دول بريكس «تساهم بنسبة ٤٢ في المئة من إجمالي الناتج العالمي، وهذه الحصة مستمرة في النمو».

وأشار إلى أنه في «عام ٢٠١٧، ازدادت التجارة بين دول بريكس بنسبة ٣٠٪، ونحن نعتزم تطوير هذه الشراكة بشكل أكبر».

إعلان سياسي مشترك

إلى جانب الملف الاقتصادي، تبنت قمة جوهانسبورغ إعلاناً مشتركاً أعربت فيه عن موقف المجموعة من الأزمة السورية والقضية الفلسطينية وغيرها من أبرز القضايا الدولية.

زعماء الدول الخمس أكدوا تمسكهم بالتسوية السياسية في سوريا من خلال عملية سياسية شاملة يقودها السوريون بأنفسهم «بما يضمن سيادة واستقلال ووحدة أراضي سوريا وفقاً لقرار مجلس الأمن الدولي الرقم ٢٢٥٤، مع مراعاة نتائج مؤتمر الحوار الوطني السوري في سوتشي».

كما أكد الزعماء دعمهم لعمليتي أستانا وجنيف والوساطة الأممية في التسوية، مشددين على أهمية الوحدة في محاربة الإرهاب في سوريا.

كذلك، دعا الإعلان المشترك إلى استئناف الجهود الدبلوماسية لتحقيق تسوية شاملة وعادلة للصراع الفلسطيني الإسرائيلي وتحقيق الأمن والسلام في الشرق الأوسط على أساس قرارات مجلس الأمن الدولي ومبادئ مدريد والمبادرة العربية للسلام والاتفاقات السابقة بين الطرفين. ودعت القمة إلى وقف العمليات القتالية في اليمن، بالإضافة إلى تشديدها على ضرورة تنفيذ كل الأطراف المعنية خطة الأعمال المشتركة الخاصة ببرنامج إيران النووي.

ووفقاً لإعلان صدر يوم (الخميس)، فإن زعماء بريكس سيبدلون كل الجهود الممكنة لتعزيز النظام التجاري التعددي. وقال الإعلان "نؤكد مجدداً على الأهمية المحورية لنظام تجاري تعددي قائم على قواعد وشفاف وغير تمييزي ومفتوح وشامل."

وأضاف البيان أن هذا النظام التجاري التعددي يعزز بيئة تجارية يمكن التنبؤ بها ويعزز الدور المركزي المحوري لمنظمة التجارة العالمية. ويدرك زعماء بريكس أن النظام التجاري التعددي يواجه تحديات غير مسبقة. ويؤكد الزعماء على أهمية اقتصاد عالمي مفتوح، يمكن كافة البلدان والشعوب من تشارك منافع العولمة، وهو النظام الذي يجب أن يكون شاملاً وداعماً للتنمية المستدامة والرخاء في كافة البلدان. وحث الزعماء أيضاً جميع أعضاء منظمة التجارة العالمية على الالتزام بقواعد المنظمة والوفاء بتعهداتها بشأن النظام التجاري التعددي.

وأكد زعماء بريكس على دعمهم لتنمية البنية الأساسية المستدامة في أفريقيا، ومن بين ذلك معالجة نقص تمويل مشروعات البنية الأساسية. ويقر الزعماء في الإعلان بأهمية تنمية البنية الأساسية والارتباطية في أفريقيا، كما يقرون بالخطوات الكبيرة التي قام بها الاتحاد الأفريقي في تحديد التحديات التي تواجه البنية الأساسية في القارة وفي مواجهتها، وذلك عبر الشراكة الجديدة لتنمية أفريقيا وبرنامج تنمية البنية الأساسية في أفريقيا. وأضاف الإعلان "ندعم أهمية تحفيز الاستثمار في مجال البنية الأساسية على أساس المنفعة المتبادلة من أجل دعم التنمية الصناعية وخلق الوظائف وتنمية المهارات والأمن الغذائي والتغذية والقضاء على الفقر والتنمية المستدامة في أفريقيا."

وقال الإعلان "سيجري تشكيل مجموعة استشارية تضم الممثلين المعنيين في وزارات الصناعة بدول بريكس، وذلك بالتشاور مع الوزارات المختصة." والخطوة الأولى هي تقديم أطر مرجعية وخطة عمل تتفق مع أولويات الثورة الصناعية الرابعة إلى رئاسة بريكس، وفقاً للوثيقة.

وأضاف الإعلان أن الشراكة تهدف إلى تعميق التعاون في إطار بريكس في مجالات الرقمنة والتصنيع والابتكار والشمول والاستثمار من أجل تعظيم الفرص إلى أقصى حد ممكن ومواجهة التحديات الناشئة عن الثورة الصناعية الرابعة.

ويرى زعماء بريكس أن مبادرة إقامة شبكات بريكس للمجمعات العلمية وحاضنات الأعمال التكنولوجية والشركات الصغيرة والمتوسطة تمثل خطة واعدة في ذلك الاتجاه.

وبدأت الجلسة الافتتاحية للقمة العاشرة للأسواق الصاعدة الرائدة في العالم، البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب أفريقيا يوم (الخميس) بالدعوة إلى شراكة أفضل لتعزيز القدرة الصناعية في أفريقيا.

واستضافت جنوب أفريقيا قمة بريكس التي تعقد تحت عنوان "بريكس في أفريقيا : التعاون من أجل نمو شامل ورخاء مشترك في الثورة الصناعية الرابعة".

وحضرها قادة بريكس ومندوبو الأعمال ومن بينهم أعضاء مجلس أعمال بريكس، الجلسة الافتتاحية للقمة التي يتوقع أن تقف وراء بذل جهود متناغمة من أجل إعادة تنشيط أجندة التصنيع في أفريقيا.

يذكر أن جنوب أفريقيا تستضيف قمة بريكس للمرة الثانية ويتوقع أن تستغل تلك الميزة للحث على زيادة التجارة والاستثمارات ونقل المهارات بين الأسواق الصاعدة ودول أفريقيا لدفع الرخاء المشترك.

وتأتى استضافة قمة بريكس على الأرض الأفريقية في أعقاب تنوع سريع لاقتصادات القارة عن طريق التصنيع والقيمة المضافة.

تجدر الإشارة إلى أن الدول الأفريقية تسعى جاهدة للاستفادة من رأس المال والتكنولوجيا والخبرات من دول بريكس لتعزيز التصنيع المتقدم الذي يقع في قلب التحول الاقتصادي في القارة.

البريكس تتعهد بالتصدي للاتجاهات التي تقوض التعددية

هذا وتعهدت دول مجموعة البريكس التي تضم البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب افريقيا، بحماية نظام التجارة متعدد الأطراف في وقت تثير فيه الأحادية التجارية والانعزالية من جانب الولايات المتحدة، قلقا متزايدا بين أعضاء المجتمع الدولي.

وفي تصريحاته أمام منتدى أعمال البريكس الذي عقد قبل انطلاق قمة البريكس العاشرة هنا بين ٢٥ و٢٧ يوليو الجاري، قال رئيس جنوب افريقيا سيريل رامافوسا إن المنتدى يعقد في وقت يواجه فيه نظام التجارة متعدد الأطراف تحديات غير مسبقة.

وأضاف "تثير زيادة الإجراءات الأحادية التي تتعارض مع قواعد منظمة التجارة العالمية، قلقنا، كما يساورنا القلق بشأن تأثير تلك الإجراءات وبخاصة على الدول النامية."

وفي مواجهة تلك التطورات، شجع الرئيس دول البريكس على تعزيز دعم العلاقات التجارية وبخاصة في القطاعات الإنتاجية نظرا لأن دول البريكس يزداد الاعتراف بها على أنها مجموعة مؤثرة في تعزيز مبادئ الشفافية والشمول والاتساق مع مبادئ نظام التجارة متعدد الأطراف. وتابع "هناك أيضا مجال كبير لتوسيع قيمة التجارة بين دول البريكس. وكدولة تصدر في المقام الأول سلعا لشركائها بالمجموعة، تدعم جنوب افريقيا التحول نحو التجارة التكاملية وذات القيمة المضافة."

وقال روب ديفيس وزير التجارة والصناعة في جنوب افريقيا بمنتدى الأعمال إن التحديات الموجودة ببيئة التجارة العالمية تستلزم من قادة الأعمال بدول البريكس تعزيز تعميق التعاون كوسيلة دفاع في مواجهة النزعات المناهضة للتعددية التي تقوض النظام التجاري متعدد الأطراف والمركّز على القواعد. وأضاف أن الاستثمار داخل البريكس حاليا ما زال صغيرا نسبيا ويمثل نحو ٦ بالمائة من إجمالي استثمارات البريكس ما يعني أن دول المجموعة بحاجة لتعزيز علاقات الاستثمار فيما بينها بمساعدة مبادرات البريكس الأخرى ومنها بنك التنمية الجديد.

وحث الدول الأعضاء على العمل سويا من أجل الارتقاء على سلاسل القيمة لتصبح منتجة لمنتجات أكثر تعقيدا وتستخدم الاستثمارات كي تحقق بالتجارة منافع متبادلة.

وقال مكسيم أورشكين وزير التنمية الاقتصادية الروسي إنه منذ عام ٢٠٠٩، نما إجمالي الناتج المحلي للبريكس كما تغير هيكلها الاقتصادي.

وأضاف "أصبحت اقتصادات البريكس أكثر انفتاحا على العالم. ويزداد انفتاحنا على بعضنا البعض." وحث دول البريكس على العمل على ثلاثة أصعدة لمواجهة التأثيرات السلبية للتوترات التجارية الحالية ومنها العمل لتقليل الحواجز التجارية وزيادة الفرص المالية بين دول البريكس ودفع التنمية التكنولوجية عبر الابتكار. وتابع "من المهم أيضا أن تجري البريكس تلك المناقشات في أفريقيا التي تمتلك إمكانات استثمارية واقتصادية ضخمة."

وعن دور المجموعة في أفريقيا، قال ديفيس إن دول البريكس ستشارك بطريقة أو بأخرى في القارة، وهناك إمكانية لتعزيز دورها بالقارة إذا وجدت العناصر المكملية التي تمكنها من العمل المشترك على نحو أكثر فعالية.

وتعقد قمة البريكس العاشرة تحت عنوان "البريكس في أفريقيا: تعاون من أجل نمو شامل ورخاء مشترك في الثورة الصناعية الرابعة."

وتتولى جنوب افريقيا الرئاسة الدورية للبريكس هذا العام.

النص الكامل لخطاب الرئيس الصيني في الجلسة الكاملة لقممة بريكس في جوهانسبرغ

وألقى الرئيس الصيني شي جين بينغ اليوم (الخميس) خطاباً بعنوان "حولوا رؤيتنا إلى واقع" خلال الجلسة الكاملة لقممة بريكس في جوهانسبرغ. وفيما يلي النص الكامل للخطاب:

حولوا رؤيتنا إلى واقع

فخامة الرئيس سيريل رامافوسا

فخامة الرئيس ميشال تامر

فخامة الرئيس فلاديمير بوتين

فخامة رئيس الوزراء ناريندرا مودي

دعوني أبدأ بتوجيه الشكر إلى الرئيس رامافوسا وحكومة جنوب أفريقيا على كرم الضيافة الحار والترتيبات المدروسة. تعقد قمة بريكس في أفريقيا مرة أخرى بعد فترة خمسة أعوام. وهذه مناسبة تدعو للاحتفال.

موضوع هذه القمة "بريكس في أفريقيا: التعاون من أجل نمو شامل ورخاء مشترك في الثورة الصناعية الرابعة" - الأكثر تناسبا في ظل هذه الظروف. وكل الثورات الصناعية الثلاث السابقة كانت تتسم بالتقدم التحويلي في العلوم والتكنولوجيا: ظهور الميكنة في القرن الـ ١٨ واستخدام الكهرباء في القرن الـ ١٩ ودخول عصر المعلومات في القرن العشرين. مثل هذه الاختراقات أطلق العنان بقوة للإنتاجية الاجتماعية وحسنت بقوة معايير معيشة الشعوب، ومن ثم إعادة التشكيل العميق لمسار التاريخ البشري.

واليوم، نشهد ثورة أخرى في العلوم والتكنولوجيا والصناعة تعد الأعظم في المدى والعمق. ويجري تحقيق اختراقات في تعاقب سريع في التكنولوجيا الرائدة مثل البيانات الكبيرة والذكاء الاصطناعي. والتكنولوجيات الجديدة وأنماط الأعمال والصناعات تظهر واحدة تلو الأخرى. والدول حول العالم وجدت ارتباط مصالحها ومستقبلها بشكل لم يحدث من قبل.

الا اننا لم نمر بعد بنمو عالمي بقوى دافعة جديدة ولم نعالج عدم التوازن بين الشمال والجنوب والمشكلات الهيكلية المتأصلة الأخرى. ما هو أكثر، اشتعال النزاعات الجيوسياسية وتصاعد الحمائية والأحادية تؤثر بشكل مباشر على بيئة التنمية الخارجية للأسواق الصاعدة والدول النامية.

وقال إن التاريخ يواصل التحرك قدما بمنأى عن رغبات الشعوب. ومن ثم، فاننا دول بريكس يجب علينا إدراك توجه العصر وتعميق شراكتنا الاستراتيجية وتعزيز إطار تعاوننا بدعم من التعاون الاقتصادي والسياسي والأمني والتبادلات الشعبية. وبهذه الطريقة، سنكون قادرين على تحويل رؤيتنا الخاصة بالعقد الذهبي الثاني إلى حقيقة وان نبني سويا مجتمع مصير مشترك للبشرية.

أولا، يجب علينا إطلاق العنان للطاقت الضخمة لتعاوننا الاقتصادي. وإقامة تعاون اقتصادي أوثق من أجل الرخاء المشترك هو الهدف الأصلي والأولوية لتعاون بريكس. وفي المجال الاقتصادي نتمتع بفرص تعاون واعدة ومتنوعة ومثمرة. نحتاج إلى تعزيز التعاون في مجالات التجارة والاستثمار والاقتصاد والمالية والارتباطية من أجل جعل هذه الكعكة أكبر. وفي الوقت نفسه، علينا العمل سويا في الأمم المتحدة ومجموعة العشرين ومنظمة التجارة العالمية من أجل الحفاظ على النظام التجاري متعدد الأطراف وتدعيم تحرير التجارة والاستثمار وتسهيلهما ورفض الحمائية بشكل صريح.

من المهم ان نواصل اتباع تنمية مدفوعة بالابتكار وبناء شراكة بشأن الثورة الصناعية الجديدة من أجل تعزيز التنسيق في سياسات الاقتصاد الكلي وإيجاد المزيد من المكملات في استراتيجياتنا الخاصة بالتنمية وتعزيز جهود كل طرف للآخر في تجديد القوى الدافعة الاقتصادية وتحديث الهيكل الاقتصادي. وفي هذا السياق، ستستضيف الصين ١٠ برامج تنمية للموارد البشرية تجري خلالها دعوة خبراء من دولنا الخمس لوضع خطة لتعاوننا في الثورة الصناعية الجديدة. وبعمل ذلك، نأمل في تعزيز القدرة التنافسية ليس فقط بالنسبة لدول بريكس ولكن أيضا الأسواق الصاعدة والدول النامية الأخرى.

ثانيا، يجب علينا الحفاظ على السلام والأمن العالميين. والتعاون السياسي والأمني مكون هام للشراكة الاستراتيجية لبريكس. علينا البقاء ملتزمين بالتعددية وبأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة. علينا دعوة كل الأطراف للتمسك بالقانون الدولي والأعراف الأساسية التي تحكم العلاقات الدولية وتسوية النزاعات عبر الحوار والخلافات عبر التشاور. وعن طريق تدعيم أدوار اجتماعات بريكس لوزراء الخارجية ومستشاري الأمن القومي والممثلين الدائمين لدى الأمم المتحدة، نستطيع جعل صوتنا مسموعا وتقديم حلولنا والعمل سويا من أجل نمط جديد من العلاقات الدولية يتسم بالاحترام المتبادل والمساواة والعدالة والتعاون المريح للجميع.

ثالثا، يجب علينا توسيع التبادلات بين الشعوب. تتمتع دول بريكس بحضارات عظيمة. وعندما يتعلق الأمر بالتبادلات الثقافية والشعبية سيكون هناك الكثير الذي نستطيع القيام به. في الحقيقة، مثل هذه التبادلات اكتسبت قوة دافعة على نحو ملحوظ خلال العام الماضي أو العامين الماضيين، إنه ينبغي على بريكس أن تهدف إلى تحقيق ارتباطية أكبر فيما بين شعوبها ونيل دعم شعبي أكبر لتعاون دول بريكس عبر التبادلات المكثفة في الثقافة والتعليم والصحة والرياضة والسياحة ومجالات أخرى. وتقترح الصين إقامة معارض متجولة مشتركة من قبل تحالفات بريكس للمتاحف والمتاحف الفنية والمعارض الوطنية والمكتبات، وإجراء تعاون أوثق في صناعات الثقافة والابتكار والسياحة وعلى المستوى المحلي. عبر تلك الطريقة، سيمكننا نشر قصة بريكس في جميع الانحاء من أجل زيادة تعزيز التفاهم المتبادل والصداقة التقليدية بين شعوبنا.

رابعا، يجب علينا ان نبني شبكة شراكات أوثق. منذ انطلاق آلية بريكس، ظل الانفتاح والشمول التزامنا الثابت. يهدف منهج "بريكس بلس" الذي تبنته قمة شيامن إلى تعزيز الوحدة والتنسيق بين الدول الأعضاء في بريكس من أجل تحقيق تماسك أكبر، وفي الوقت نفسه، مواصلة توسيع دائرة أصدقاء بريكس خلال مسعى مشترك للتنمية والرخاء المشتركين لكل الأسواق الصاعدة والدول النامية. ربما نستكشف تعاون "بريكس بلس" في إطار الأمم المتحدة ومجموعة العشرين وأطر أخرى من أجل دفع المصالح المشتركة وتوسيع مساحة التنمية للأسواق الصاعدة والدول النامية، ومن ثم تسهم بشكل أكبر في السلام والتنمية العالميين عبر الشراكات الأوسع نطاقا. الزملاء..

مستقبل بريكس في أيدي شعوبنا. دعونا نعمل سويا مع بقية المجتمع الدولي من أجل تحقيق عالم أجمل وأكثر انفتاحا وشمولا ووضوحا يتمتع بسلام دائم وأمن عالمي ورخاء مشترك. أشكركم.

دول البريكس في عالم متعدد الأقطاب

*اليزابيث سيدر بولوس

بروجيكت سنديكيت: ٢٠١٨/٧/٢٨

تعد مجموعة "البريكس" التي تضم البرازيل والصين والهند وروسيا وجنوب أفريقيا، اجتماعها. لقد عمد المعلقون الغربيون إلى التقليل من شأن هذه الإمكانية، مما أجبر مجموعة "البريكس" على المطالبة بتمثيل أوسع في مؤسسات الحكم العالمي. وفي عامي ٢٠١١ و ٢٠١٢، حاولت دول البريكس التدخل في عملية انتخاب قادة صندوق النقد الدولي والبنك الدولي. لكن في غياب جبهة موحدة، استمرت الأوروبية (كريستين لا جارد) والأمريكي (جيم يونغ كيم) في قيادة هذه المنظمات. وعلى الرغم من قيام دول "البريكس" بإصلاح هياكل التصويت في هذه المؤسسات من أجل زيادة وزن الدول النامية، لا تزال الولايات المتحدة وأوروبا تمارسان قوة غير متكافئة عليها.

على هذه الخلفية، قررت دول البريكس متابعة "الخيارات الأخرى" من خلال إنشاء بنك التنمية الجديد (NDB) وترتيبات احتياطي الطوارئ في عام ٢٠١٤. وقد تم تقديم هذه المبادرات كإضافة لنظام بريتون وودز المهيمن، ولكن من السهل أن نرى كيف يمكن أن تصبح الأساس لنظام حكم عالمي بديل في مرحلة معينة في المستقبل.

وبينما تستمر دول البريكس في التأكيد على أهمية تعددية الأطراف، من الواضح أنها ليست متمسكة بالنظام الدولي الحالي. نعم، إن العضوية الدائمة في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة تمنح الصين وروسيا مزايا مميزة مقارنة بمعظم البلدان الأخرى. ومع ذلك، فإن كلا البلدين يشككان في النظام العالمي القائم. لقد أصبحت سياسة الصين الخارجية تعكس بصورة متزايدة مركزها كقوة عظمى صاعدة. وفقاً لمفهوم الحلم الصيني الذي أعلنه الرئيس شي جين بينغ، فإن الصين تحاول جاهدة من أجل إقامة علاقة متساوية مع الولايات المتحدة. وفي المؤتمر الوطني التاسع عشر للحزب الشيوعي الصيني العام الماضي، كان هدف شي، الذي يتمثل في استعادة وضع الصين كقوة عظمى، واضحاً للغاية.

إن كيفية استخدام الصين للعديد من الأدوات الجيوسياسية تحت تصرفها سيكون له أهمية كبيرة بالنسبة لبلدان البريكس الأخرى، حيث سيتعين عليها تكييف استراتيجياتها الوطنية مع "الخيارات الأخرى" للصين. ومنذ عام ٢٠١٣، أنشأت الصين البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية (AIIB)، وأطلقت مبادرة الحزام والطريق (BRI)، واقترحت توسيع البريكس وإنشاء "بريكس بلاس" - التي من المحتمل أن تصبح الصين رائدة فيها.

وقد أعلنت الصين عن خططها للبنك الآسيوي للاستثمار الأجنبي بعد فترة وجيزة من توقيع بنود اتفاقية بنك التنمية الجديد في عام ٢٠١٤. وفي حالة بنك التنمية الجديد، تمتلك كل من دول البريكس حصص متساوية، وقد ساهم كل منها بمبلغ ١٠ مليار دولار في رأسمال المشترك الأولي. لم تكن حقوق المساهمين هي الخيار المفضل للصين، لكنها لم تصر على هذه المسألة.

وعلى النقيض من ذلك، فإن الصين هي أكبر مساهم في بنك الاستثمار الآسيوي بفارق كبير، حيث تملك حصة تبلغ ٢٦,٦٪، مقارنة بنسبة ٧,٧٪ للهند و ٦٪ لروسيا. وفي الوقت نفسه، لم تقدم البرازيل وجنوب إفريقيا أي مساهمات رأسمالية حتى الآن، على الرغم من تصنيفهما "كعضوين مؤسسين". ونتيجة لذلك، أصبح البنك الآسيوي للاستثمار مثالا على كيفية قيام الصين - وليس دول البريكس - بتنفيذ "خياراتها الأخرى". إن المؤسسة مفتوحة أمام الدول النامية والمتقدمة على حد سواء، والصين من بينها.

وبالمثل، منذ إطلاق مبادرة الحزام والطريق في عام ٢٠١٣، تحولت إلى ما يدعوه كوبوس فان ستادين من معهد جنوب أفريقيا للشؤون الدولية "بنظام التجارة والاستثمار العالميين في بكين". إن مبادرة الحزام والطريق هي المشروع الرئيسي للرئيس شي. وهو يأمل في خلق "مجتمع ذو مصير مشترك" ليس فقط عبر أوراسيا والمحيط الهندي. من الناحية العملية، تسمح مبادرة الحزام والطريق للصين بترجمة قوتها الاقتصادية إلى قوة جيوسياسية.

وأخيراً، يشير اقتراح "بريكس بلاس" إلى تحول في العلاقات الخارجية الصينية - وهو تحول سيؤثر على دول البريكس الأخرى. وفي قمة دول البريكس ٢٠١٧ في شيامن الصين، أشار شي إلى أنه يريد أن تمثل المجموعة شيئاً أكبر من الأعضاء الحاليين، نظراً للعلاوة التي تضعها بالفعل على التعاون بين الدول النامية. يبدو أن اقتراح شي الأول ينطوي على توسيع المجموعة، التي قاومتها بعض دول البريكس الأخرى بشدة. ومع ذلك، تحاول جنوب أفريقيا تطوير هذه الفكرة، من خلال عقد اجتماع "بريكس بلاس" في اليوم الثالث من قمة هذا العام.

تؤكد هذه التطورات الثلاثة مدى قدرة الصين على استخدام قوة كبيرة مقارنة بشركائها في البريكس. من خلال البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية ومبادرة الحزام والطريق، تضع الصين الأساس لنظام إقليمي عالمي جديد. تعمل الحكومة الصينية بنشاط على تنفيذ رؤية شي عن طريق التجارة والاستثمار والعرض الاستراتيجي للقوة، لاسيما في بحر الصين الجنوبي.

على الرغم من ذلك، تلعب دول البريكس الأخرى دوراً هاماً في إضفاء الشرعية على "الخيارات الأخرى" للصين. كل منها ملتزم بإصلاح النظام الدولي، وبناء عالم أكثر تعدد للأقطاب، لكنها لم تصل بالضرورة إلى توافق في الآراء حول الشكل الذي يجب أن يكون عليه النظام الجديد.

تحت قيادة الرئيس سيريل رامافوسا، تحتفل جنوب إفريقيا مرة أخرى بالقيادة في القارة الأفريقية. قد يعني هذا زيادة الاهتمام بأفريقيا داخل مجموعة البريكس. ولكن في الوقت الذي تسعى فيه جنوب إفريقيا إلى تحقيق مصالح القارة بالإضافة إلى مصالحها الخاصة، سيكون عليها أن تظل منفتحة على العمل ليس فقط مع دول البريكس، ولكن أيضاً مع الدول والتحالفات الأخرى. يجب أن يكون الهدف النهائي هو دعم وتعزيز النظام القائم على القواعد. بعد كل شيء، هذا في مصلحة أفريقيا.

تصريحات افتتاحية لوزير الخارجية بومبيو أمام لجنة العلاقات العامة في مجلس الشيوخ

البيت الأبيض / مكتب السكرتير الصحفي : ٢٠١٨/٧/٢٩

الوزير بومبيو: طاب يومكم يا حضرة الرئيس كوركر وكبير الأعضاء مينينديز والأعضاء المحترمين. شكرا على فرصة التواجد معكم اليوم. طلبتم مني في خلال جلسة تأكيد تعييني كوزير العمل على مجموعة من المشاكل العالمية، وهذا ما كنت أقوم به بالضبط منذ ١٢ أسبوعا. أمل أن نحصل على فرصة للتحديث عن كل من هذه المشاكل اليوم. انخرطت في خلال الأسابيع القليلة الماضية في ثلاثة مجالات ذات أهمية خاصة لهذه اللجنة، ألا وهي كوريا الشمالية وحلف شمال الأطلسي (النااتو) وروسيا.

أود أن ألفت انتباهكم من البداية إلى نقطة محددة في ما يتعلق بموضوع روسيا. تطلق إدارة ترامب اليوم ما نسميه إعلان القرم. لن أقرأ الإعلان كاملا بل سأقدمه لحفظه. لقد تم إصداره للعلن أيضا ويذكر أحد الأجزاء فيه ما يلي: "تدعو الولايات المتحدة روسيا إلى احترام المبادئ التي طالما زعمت أنها ملتزمة بها وذلك من خلال إنهاء احتلالها لشبه جزيرة القرم". نهاية الاقتباس.

أريد أن أؤكد لهذه اللجنة أن الولايات المتحدة لا تعترف بضم الكرملين المزعوم للقرم ولن تعترف به. نحن نقف إلى جانب الحلفاء والشركاء والمجتمع الدولي في التزامنا بأوكرانيا وسلامة أراضيها. لن يتم رفع العقوبات المرتبطة بالقرم قبل أن تعيد روسيا السيطرة على شبه الجزيرة إلى أوكرانيا. يحدد إعلان القرم هذا وبشكل رسمي سياسة الولايات المتحدة القاضية بعدم الاعتراف.

أود أن أذكر مؤشرا آخر على التقدم الدبلوماسي. تم إطلاق سراح القس أندرو برونسون صباح اليوم بعد أن كان مسجوناً في تركيا منذ قرابة عامين. ما زال قيد الإقامة الجبرية، مما يعني أن عملنا لم ينته، ولكن هذا تقدم مرحب به - وهو تقدم شارك فيه كثيرون منكم وموضوع عملت عليه وزارة الخارجية باجتهاد هي الأخرى. سنستمر في العمل لتحقيق العودة السريعة لمختلف الأمريكيين المحتجزين ظلما في الخارج. لن ينسى الرئيس ترامب يوما مواطنينا.

تتمثل دبلوماسيتنا بشأن هذه القضايا بالدفع بأهداف استراتيجية الرئيس ترامب للأمن القومي، والتي حددت مبادئ توجيهية للسياسة الخارجية الأمريكية في كانون الأول/ديسمبر. وبدأت في أواخر نيسان/أبريل بتنفيذ الاستراتيجية كوزير للخارجية. واليوم، في الأول من تموز/يوليو.. عفوا، ها نحن هنا اليوم وأريد أن أعرض لكم بعض التقدم المحرز.

حددت استراتيجية الأمن القومي "حماية الشعب الأمريكي والوطن وطريقة الحياة الأمريكية" كأركان لأمننا القومي. في ١٧ تموز/يوليو، أعلن الرئيس ترامب اعتقاده الراسخ بأن "الدبلوماسية والمشاركة أفضل من الصراع والعداء". لقد وجهت هذه المبادئ الخطوات التي اتخذناها تجاه كوريا الشمالية. وأدت دبلوماسية الرئيس ترامب إلى تخفيف التصعيد في وضع كانت فيه احتمالات نشوب الصراع تتزايد يوميا. بات الأمريكيون في أمان أكبر بسبب أفعاله.

لم يتغير أي شيء في ما يتعلق بأهداف إدارة ترامب لكوريا الشمالية. يظل هدفنا نزع السلاح النووي النهائي والكامل وبشكل قابل للتحقق من كوريا الشمالية، بحسب ما وافق عليه الرئيس كيم جونج أون.

وكمتابعة للقمة الناجحة بين الرئيس ترامب والرئيس كيم، سافرت في ٥ تموز/يوليو إلى كوريا الشمالية لإحراز تقدم بشأن الالتزامات التي قطعت في سنغافورة. نحن منخراطون في دبلوماسية الصبر ولكننا لن ندع الأمر يطول إلى ما لا نهاية. لقد أكدت على هذا الموقف في المناقشات المثمرة التي أجريتها مع نائب الرئيس كيم يونغ تشول.

لا يزال الرئيس ترامب متفائلا بشأن احتمالات نزع السلاح النووي في كوريا الشمالية. يتم إحراز تقدم. ينبغي أن يفي الرئيس كيم جونج أون بالالتزامات التي قطعها في سنغافورة. وستبقى العقوبات خاصتنا وعقوبات الأمم المتحدة سارية المفعول إلى أن تقضي كوريا الشمالية على أسلحة الدمار الشامل خاصتها. تتطلب قرارات عدة أصدرها مجلس الأمن الدولي من كوريا الشمالية إزالة مختلف أسلحة الدمار الشامل وبرامج الصواريخ البالستية الخاصة بها. لقد صدرت هذه القرارات بالإجماع وما زالت ملزمة. نحن بحاجة طبعا إلى أن تلتزم كل دولة بإنفاذ تلك العقوبات التي تلتزم بها كل دولة. ليس الطريق أمانا سهلا ولكن تستمر آمالنا في تحقيق عالم أكثر أمانا ومستقبلا أكثر إشراقا لكوريا الشمالية.

تدعو استراتيجية الأمن القومي أيضا إلى "السلام من خلال القوة". وقد أدت مشاركة الرئيس ترامب بشأن حلف شمال الأطلسي (النااتو) إلى مشاركة أكبر للأعباء من شأنها تعزيز التحالف بأكمله ضد التهديدات التقليدية وغير التقليدية التي لا تعد ولا تحصى. لقد أنفق الحلفاء أكثر من ٤٠ مليار دولار من الإنفاق الدفاعي المتزايد منذ العام ٢٠١٦، وسيكون ثمة مئات الملايين من المليارات من الدولارات في السنوات المقبلة.

مثل الإنفاق الجديد في العام الماضي والبالغ ١٤,٤ مليار دولار زيادة بنسبة ٥,١ بالمئة. كانت هذه الزيادة الأعلى في خلال جيل. ستصل نسبة ثمانية من الحلفاء إلى ٢ بالمئة هذا العام ويسير ١٨ حليفا على المسار الصحيح لتحقيق هذه النسبة بحلول العام ٢٠٢٤. تطالب إدارة ترامب بأن تقوم كل دولة بالتزامها.

سيبقى حلف شمال الأطلسي دعامة لا غنى عنها في الأمن القومي الأمريكي. نحن نعلم أن الضعف يثير أعداءنا ولكن القوة والتماسك يحمياننا. وكلما ساهم كل عضو في الحلف أكثر، بات الحلف قادرا على أن ينجز مهمته المتمثلة بردع التهديدات لكل دولة من دولنا. هذا هو الالتزام المتزايد الذي يريده الرئيس.

كان نهجنا مماثلا منذ بداية هذه الإدارة وستراتيجية الدفاع الوطني وستراتيجية روسيا المتكاملة، ألا وهو رفع تكاليف العدوان بشكل مطرد إلى أن يختار فلاديمير بوتين سياسة خارجية أقل مجابهة، مع إبقاء الباب مفتوحا للحوار بما فيه مصلحتنا القومية. تمتلك الولايات المتحدة وروسيا معا أكثر من ٩٠ بالمئة من الأسلحة النووية في العالم. يرى الرئيس ترامب أنه لا ينبغي أن تجمع علاقة خلافية بين قوتين نوويتين كبيرتين. ليس هذا في مصلحتنا فحسب بل في مصلحة العالم كله. وهو يعتقد بقوة أن الوقت قد حان للتواصل المباشر في علاقتنا لكي نوضح للرئيس بوتين أنه ثمة إمكانية، مهما كانت بعيدة، لعكس المسار السلبي لعلاقتنا، وإلا ستواصل الإدارة فرض إجراءات صارمة ضد روسيا ردا على أنشطتها الخبيثة.

لا يمكننا إحراز تقدم في القضايا ذات الاهتمام المشترك ما لم نتحدث عنها. لقد سمعت العديد منكم في هذه اللجنة يرددون ذلك لسنوات وسنوات. أنا أشير إلى قضايا رئيسية مثل وقف الإرهاب وتحقيق السلام في أوكرانيا ووقف الحرب الأهلية في سوريا وتقديم المساعدات الإنسانية وضمان أمن إسرائيل ووقف كل النشاط الإيراني الخبيث.

وفي ما يتعلق بموضوع إيران، قال الرئيس ترامب إن "إيران ليست البلد الذي كانته قبل خمسة أشهر". ويعود ذلك إلى نجاح حملة الضغوط المالية خاصتنا وانسحابنا من الصفقة النووية ودعمنا الكامل للشعب الإيراني الذي عبرت عنه في خطاب الأحد الماضي.

سعيانا في هلسنكي لاستكشاف ما إذا كانت روسيا مهتمة بتحسين علاقتنا، ولكننا أوضحنا أن الكرة في ملعبها. لقد دافعنا عن المصالح الاستراتيجية الأساسية للولايات المتحدة في سوريا وأوكرانيا، وأوضحنا شخصيا للروس أن عواقب التدخل في عملياتنا الديمقراطية ستكون وخيمة.

أود أيضا أن أضيف أن الرئيس ترامب يدرك جيدا التحديات التي تفرضها روسيا على الولايات المتحدة وشركائنا وحلفائنا. لقد اتخذ عددا كبيرا من الإجراءات لحماية مصالحنا. وأود أن أذكر ما يلي من بين الأدلة: تم فرض ٢١٣ عقوبة على الكيانات والأفراد الروس في إدارة ترامب وتم طرد ٦٠ جاسوسا روسيا من الولايات المتحدة الأمريكية وتم إغلاق القنصلية الروسية في سياتل ردا على استخدام روسيا للأسلحة الكيميائية في المملكة المتحدة وتم إغلاق القنصلية الروسية في سان فرانسيسكو وخفض عدد الموظفين الدبلوماسيين الأمريكيين في روسيا بنسبة ٧٠٪ تقريبا، كما قامت الولايات المتحدة بقيادة ١٥٠ تدريباً عسكرياً في أوروبا في هذا العام وحده أو المشاركة فيها. وقد تم تقديم أكثر من ١١ مليار دولار لمبادرة الدفاع الأوروبي وأتحنأ أسلحة دفاعية لأوكرانيا وجورجيا. وفي الأسبوع الماضي وبعد هلسنكي، أضافت وزارة الدفاع ٢٠٠ مليون دولار من أموال التعاون الأمني لأوكرانيا. لم يحدث أي من ذلك في خلال السنوات الثماني التي سبقت الرئيس ترامب. القائمة طويلة إذا لم تكن هذه الأمثلة كافية. يسعدني ذكر كل ما تحويه وأتوقع أن تسنح لي فرصة القيام بذلك في خلال وقت ما من اليوم. أطلع قدما إلى ذلك.

أخيرا، أود أن أشير إلى أن الرئيس ترامب قد صرح بأنه يقبل استنتاج مجتمع الاستخبارات لدينا بشأن تدخل روسيا في انتخابات العام ٢٠١٦. إنه يدرك ما حصل بشكل كامل وصحيح. أنا أعرف ذلك إذ قدمت له إيجازات عن الموضوع لأكثر من عام. الأمر واضح جدا بالنسبة إلي شخصيا وأنا على يقين من أنه يحترم بشدة العمل الصعب والخطير الذي يقوم به زملاؤنا في المجتمع الاستخباراتي كل يوم، وأعلم أن شعوره مماثل تجاه الأشخاص المدهشين الذين يعملون في وزارة الخارجية الأمريكية.

شكرا لك يا حضرة الرئيس كوركر.

واشنطن العاصمة

٢٥ تموز/يوليو ٢٠١٨

وزير الخارجية مايكل ر. بومبيو في الاجتماع الوزاري لتعزيز الحرية الدينية

وزارة الخارجية الأمريكية / مكتب المتحدث الرسمي : ٢٠١٨/٧/٢٩

الوزير بومبيو: صباح الخير للجميع وشكرا لكم جميعا على وجودكم هنا. أنه من دواعي الشرف لوزارة الخارجية أن تستضيف أول اجتماع وزاري للحرية الدينية. إذ أن هذا الحدث يعكس الالتزام الصارم للرئيس ترامب بحماية هذه الحرية الهامة.

وأود أن أشكر نائب الرئيس بنس على وجوده هنا. وأنا أعرفه شخصيا كرجل ذو إيمان عميق وكذلك التفاني في دفاعه الذي لا مثيل له عن الحرية الدينية. كما أود أن أشكر السفير براونباك من ولاية كنساس العظيمة وفريق الحرية الدينية بأكمله على تنفيذ هذه المهمة الحيوية وإقامته لهذا الحدث الهائل والفريد من نوعه

وبينما يقام هذا الحدث الأول من نوعه على الإطلاق، فأنا لا نعلم بالضبط ماذا سيكون الرد حوله. لكن أنظر من حولك. إنه أمر رائع وكذلك رد فعل مدهش. وأود أن أعلن باننا سنقوم بذلك مرة أخرى في العام المقبل. (تصفيق).

ويوجد هنا اليوم أكثر من ٨٠ وفدا، بما في ذلك العشرات من الممثلين على مستوى الوزراء من جميع أنحاء العالم. نشكركم على جعل هذا الأمر أولوية في بلدكم ونشكركم على العمل معنا.

إن هذا الأمر له أهمية عظيمة بالنسبة لي شخصيا. حيث اتمتع كأمريريكي بحق العيش بما أؤمن دون خوف من الاضطهاد أو الانتقام من حكومتي. وأود أن يستمتع الجميع بهذه النعمة أيضا. ولم يكن الالتزام الثابت للرئيس ترامب والقرار بعقد أول مؤتمر للحرية الدينية مدفوعا على الإطلاق بقصتي الشخصية. بل إنه مترسخ في التاريخ الأمريكي.

وتدرك إدارة ترامب بأن الحرية الدينية هي حرية أمريكية أساسية وقد أتضح ذلك منذ الأيام الأولى للإدارة وحتى الأيام الأولى لأمتنا.

إن الولايات المتحدة تنهض بالحرية الدينية في سياستنا الخارجية لأنها ليست أمريكية حصرا. إذ أنها حق عالمي منحه الرب لكل البشر. وقد أكد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ذلك منذ سبعين عاما عندما أعلنت ٤٨ دولة أنه " لكل شخص الحق في حرية الفكر والضمير والدين".

سيتحدث نائب الرئيس أكثر عن ذلك خلال لحظات، لكن من الممكن تكراره: إن الملايين من جميع الأديان يكابدون المعاناة كل يوم. لكن إدارة الرئيس ترامب لن تصمت. وأن وزارة الخارجية وكجزء من ذلك الجهد ستواصل العمل الجيد الذي قامت به منذ سنوات لضمان الحرية الدينية.

وما زلنا في الوقت الحالي نجري محادثات مع تركيا لإرجاع القس أندرو برونسون إلى الوطن. وسيتحدث نائب الرئيس عن هذا الأمر أيضا.

كما يسعدني أن أعلن هذا اليوم أن الإدارة ستقدم ١٧ مليون دولار إضافية للجهود الإضافية لإزالة الألغام في منطقة نينوى في العراق (تصفيق). وأن المبلغ يعد إضافة لخمس مائة مليون تم تقديمها للبلد ككل في هذا العام وحده. ويساعدنا التمويل الإضافي في إحراز المزيد من التقدم في إزالة الألغام من المناطق التي يوجد فيها عدد كبير من الأقليات الدينية والذين كانوا عرضة للإبادة الجماعية على يد تنظيم داعش.

وأوقف عند هذه الملاحظة لأشيد بالناجين من الاضطهاد الديني الموجودين معنا هنا هذا اليوم. ونحن نكرم شجاعتكم الشخصية وعمق الإيمان وأنتم تقومون بذلك على الرغم من العنف الكبير الذي تعرضتم له وعائلتكم. يبارك بكم الرب. (تصفيق.)

فعندما تزدهر الحرية الدينية، فإن البلد يزدهر. وأنا كمثال على ذلك نشيد الخطوات التي تتخذها أوزبكستان بالمضي نحو مجتمع أكثر حرية. ولدينا ثقة كبيرة بأن كلما كانت درجة الحرية الدينية لديهم أكبر من ذي قبل، فإن ذلك سيكون له تأثير إيجابي متزايد على بلدهم ومجتمعهم وكذلك المنطقة أيضا.

وأنا رأينا ذلك في العديد من دول الخليج. إذ أن الحكومات ومع تحول المنطقة إلى مركز اقتصادي واجتذاب للأجانب من العديد من العقائد تقوم بعدة خطوات مهمة. وقد كان من الحكمة السماح ببناء أماكن عبادة مثل الكنائس والمعابد بحيث أصبحت وجهة ذات جاذبية أكبر للاستثمار الدولي.

كما قامت وزارة الخارجية بعدة أشياء أخرى ومثلها أيضا حكومة الولايات المتحدة. وقد أنشأنا برنامج القيادة للزائر الدولي لجلب هؤلاء الذين يعملون على الخطوط الأمامية لقضايا الحرية الدينية من جميع أنحاء العالم إلى الولايات المتحدة. وإنه مشروع يستغرق عشرة أيام وسيركز على تعزيز التعددية الدينية وحماية حقوق الأقليات الدينية.

ثانيا، ستقوم وزارة الخارجية باستضافة حلقة عمل مسرعة مدتها ثلاثة أيام بعنوان الخط الصريح (Boldline) في شهر تشرين الأول/أكتوبر لدعم وتوسيع نطاق الشراكات المبتكرة بين القطاعين العام والخاص والتي تعزز وتدافع عن الحرية الدينية في جميع أنحاء العالم.

ثالثا، نتطلع إلى مواصلة العمل الهام الذي تم إنجازه هذا اليوم في جميع أنحاء العالم. وهذا هو السبب الذي يجعلنا نضع اللمسات الأخيرة على الالتزامات من العديد من البلدان المستعدة لاستضافة مؤتمرات المتابعة الإقليمية حول موضوع الحرية الدينية. كما أود أن أشكر كل دولة مستعدة لمساعدتنا في استضافة ذلك.

وأنا في الختام، وربما هو الموضوع الأكثر أهمية، سنصدر في وقت لاحق من هذا اليوم إعلان بوتوماك وخطة عمل بوتوماك. وتؤكد هاتان الوثيقتين من جديد على التزام الولايات المتحدة الراسخ بتعزيز الحرية الدينية والدفاع عنها. وأنهما يوصيان بأساليب ملموسة يمكن من خلالها المجتمع الدولي والحكومات أن يقوموا بالمزيد لحماية الحرية الدينية والمجتمعات الدينية الضعيفة.

كما سنقوم بإصدار العديد من البيانات حول دول معينة، مثل بورما والصين وإيران، وقضايا محددة تمثل عددا من أكبر التحديات للحرية الدينية في عالمنا اليوم.

وأنا سعيد جدا في اختتم كلامي بتقديم صاحب الكلمة الرئيسية لهذا الاجتماع. وهو من عمل طوال خدمته العامة لتكون أولوياته بأن يصبح صوتا لمن لا صوت له. كما أن التزامه بالحرية الدينية يضمن للرجل والمرأة من جميع الأديان أن يكون لهما صديق عظيم، ورائد في العمل، هو نائب الرئيس بنس. فأرجو منكم الانضمام لي في الترحيب به الآن.

٢٦ تموز/يوليو ٢٠١٨

قاعة لوي أندرسون

بيان للسكرتير الصحفي بشأن استعادة رفات أفراد أمريكيان من كوريا الشمالية

البيت الأبيض / مكتب السكرتير الصحفي : ٢٠١٨/٧/٢٩

اتخذ الرئيس دونالد ترامب ونظيره الرئيس كم جونغ أون خطوة أولى جريئة في خلال اجتماعهما التاريخي في سنغافورة باتجاه تحقيق نزع الأسلحة الكيميائية بشكل كامل من شبه الجزيرة الكورية وتغيير وجه العلاقات بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية وإرساء السلام الدائم. يحقق الرئيس الكوري الشمالي اليوم جزءا من التزام تعهد به للرئيس ترامب لإعادة رفات أفراد الخدمة الأمريكيان الذين فقدناهم. تشجعنا الإجراءات التي تتخذها كوريا الشمالية والزخم باتجاه التغيير الإيجابي.

لقد انطلقت طائرة من طراز سي-١٧ تابعة للقوات الجوية الأمريكية من ونسان في كوريا الشمالية وعلى متنها رفات أفراد الخدمة الذين فقدناهم ويرافقها أفراد من قيادة الأمم المتحدة في كوريا وخبراء فنيون من وكالة المساءلة عن سجناء الحرب ومن يعتبرون في عداد المفقودين التابعة لوزارة الدفاع. وتنقل طائرة سي-١٧ الرفات إلى قاعدة أوسان الجوية، حيث ستقام مراسم رسمية لإعادتها إلى الوطن في ١ آب/أغسطس.

تدين الولايات المتحدة بالامتنان العميق لأفراد الخدمة الأمريكيان الذين ضحوا بحياتهم خدمة لبلادهم ونحن نعمل بجد لإعادتهم إلى الوطن. وتلتزم الحكومة الأمريكية رسميا بضمان التعامل مع الرفات بكرامة وأن تتم المساءلة عنها بالشكل المناسب لضمان وصولها إلى أسرها بطريقة مشرفة.

تمثل إجراءات اليوم خطوة أولى أساسية لإعادة بدء استعادة الرفات من كوريا الشمالية ومواصلة العمليات الميدانية في كوريا الشمالية بحثا عن يقدر عددهم بـ ٥,٣٠٠ أمريكي لم يعودوا إلى وطنهم بعد.

الاجتماع الوزاري لتعزيز الحرية الدينية.. بيان بشأن إيران

وزارة الخارجية الأمريكية / مكتب المتحدث الرسمي : ٢٠١٨/٧/٢٩

نقف معا بصفتنا ممثلين للمجتمع الدولي لندين الانتهاكات المنهجية والمتواصلة والفاضة للحرية الدينية في إيران وندعو السلطات إلى ضمان الحرية الدينية للجميع. يواجه العديد من أعضاء الأقليات الدينية الإيرانية - بما في ذلك البهائيين والمسيحيين واليهود والزرادشتيين والمسلمين السنة والصوفيون - التمييز والمضايقة والسجن الجائر بسبب معتقداتهم.

يواصل النظام الإيراني حملته ضد جماعة غونابادي الصوفية، ولا يزال المئات من أفرادها معتقلين ظلما، وقد تم الإبلاغ عن العديد من الوفيات على أيدي قوات الأمن الوحشية في إيران. أعدمت إيران في حزيران/يونيو سائق حافلة صوفيا شنقا في أعقاب محاكمة وصفها المراقبون الدوليون بأنها "جائرة جدا"، بينما تواصل احتجاج الزعيم الديني للجماعة الدكتور نورالي تابانده في الإقامة الجبرية وتمنع عن هذا الرجل البالغ من العمر ٩١ عاما الرعاية الطبية التي هو بأمر الحاجة إليها. كما يواجه البهائيون معاملة سيئة جدا. وكما هو الحال مع العديد من جماعات الأقليات الأخرى، ورد أن السلطات الإيرانية تضايق البهائيين وتعتقلهم وتسيء معاملتهم بسبب دينهم. وأفادت جماعة البهائيين الدولية في أيار/مايو بزيادة في عمليات الاعتقال التعسفي والمداهمات في مختلف أنحاء البلاد.

لا يزال أحد زعماء البهائيين، عفيف نعيم المحكوم عليه بسبب انتمائه الديني، يقضي حكما بالسجن لمدة ١٠ سنوات صدر في العام ٢٠٠٨ على الرغم من تدهور صحته. كما تستخدم السلطات الإيرانية بشكل روتيني لغة معادية للبهائيين وتغلق أعمال البهائيين وتحرمهم من الحصول على التعليم.

تواصل حكومة إيران إعدام المعارضين والإصلاحيين السياسيين والمتظاهرين السلميين بتهم تم تقديمها ضدهم بسبب معتقداتهم الدينية أو أنشطتهم الدينية السلمية.

يعاقب على التجديف والردة عن الإسلام والجهود الرامية إلى تبشير المسلمين بالإعدام، خلافا لالتزامات إيران الدولية في مجال حقوق الإنسان. تراقب السلطات الممارسات الدينية المسيحية عن كثب لفرض حظر على التبشير، مما يؤدي بشكل متواصل إلى سجن القساوسة وأعضاء الكنائس المنزلية. ويواجه الزعماء الدينيون المسلمون الشيعة الذين لا يدعمون سياسات الحكومة أيضا التهريب والاعتقال، وثمة تقارير تفيد بأن العرب السنة يتعرضون بشكل روتيني للمضايقة والتعذيب بسبب معتقداتهم الدينية، ويتم إعدامهم حتى بسبب جرائم مثل التجديف التي لا يمكن تبريرها على أنها "أخطر الجرائم" بموجب التزامات إيران الدولية لحقوق الإنسان. يتم حظر الكتب الدينية وتعاليم هذه المجتمعات إلى حد كبير في مختلف أنحاء البلاد.

الدول التي تحترم وتكفل الحرية الدينية وحقوق الإنسان الأخرى أكثر أمنا واستقرارا وسلما من التي لا تقوم بذلك. ونحن نحث حكومة إيران بقوة على وقف انتهاكاتها للحرية الدينية وكفالة معاملة مختلف الأفراد معاملة متساوية بغض النظر عن معتقداتهم وتمكينهم من أن يعيشوا حياتهم ويمارسوا إيمانهم بسلام وأمن.

بيان بشأن اعتماد الإرهاب كذريعة زائفة لقمع الحرية الدينية

وزارة الخارجية الأمريكية / مكتب المتحدث الرسمي : ٢٠١٨/٧/٢٩

لندين بصفتنا ممثلين للمجتمع الدولي تبرير انتهاكات الحرية الدينية واستهداف الجماعات الدينية وقمع المعارضة السياسية السلمية من قبل الجهات الفاعلة في المجتمع المدني، بما في ذلك أعضاء الجماعات الدينية، تحت ستار مكافحة الإرهاب أو ضرورات أمنية أخرى. وإن نؤكد على ضرورة وجود سياسات فعالة لمكافحة الإرهاب تحترم الحقوق، فإننا نشجب سوء وإساءة استخدام أي قوانين وممارسات لفرض سلطة الدولة على حساب احترام الحرية الدينية وغيرها من الحقوق المدنية والسياسية. وقد ثبت أن تكتيكات الأمن التي تنتهك حقوق الإنسان تقوي وتثبت تجنيد الإرهابيين والتطرف في أعمال العنف.

ولذلك نلتزم بمواصلة دعم الأشخاص والمجتمعات التي تعرضت للعنف الإرهابي ومحاسبة مرتكبي الإرهاب باستخدام سياسات وممارسات وقوانين تتوافق مع القوانين الدولية لحقوق الإنسان والقوانين الإنسانية. عند العمل على منع أو تخفيف العوامل الدافعة للتطرف والإرهاب العنيفين، نؤكد على أن تصرفاتنا وسلوكياتنا حاسمة للنجاح ونحث شركاءنا على أن يحذو حذونا. وسنعزز مساءلة الأفراد الحكوميين المسؤولين عن انتهاكات الحرية الدينية وحقوق الإنسان الأخرى، ونشجع على التحقيق في هذه الانتهاكات من خلال الآليات ذات الصلة، لأن الفشل في تنفيذ تدابير المساءلة يؤدي إلى تفاقم دوافع المشكلة، مما يزيد من تقويض أمننا في مختلف أنحاء العالم.

بيان بشأن قمع الحرية الدينية من قبل جهات غير تابعة للدولة، بما في ذلك تنظيمات إرهابية

وزارة الخارجية الأمريكية / مكتب المتحدث الرسمي : ٢٠١٨/٧/٢٩

نقف معا بصفتنا ممثلين للمجتمع الدولي لندين الانتهاكات المنهجية والمتواصلة والفاضة للحرية الدينية على يد جماعات إرهابية وعنيفة متطرفة، كما نؤيد الجهود الدولية لمنع التطرف العنيف ومواجهته. نحن نقف متضامنين مع ضحايا الإرهاب وندعو السلطات إلى السعي لتحقيق العدالة والمساءلة بما يتماشى مع القانون الدولي ذي الصلة. كما نلتزم بمواصلة دعم الجماعات الدينية والجماعات الأخرى التي تعرضت للعنف الإرهابي والتحرك بسرعة لمحاسبة الإرهابيين على جرائمهم.

وإن نؤكد على أن التطرف العنيف الذي يؤدي إلى الإرهاب لا يقتصر على أي جنسية أو ثقافة أو منطقة أو مستوى تنمية اقتصادية أو حضارة، نحن مختلف السلطات الحاكمة على الحكم بشكل شامل ومع احترام للمساواة بموجب القانون، بدون أي اعتبار للهوية الدينية وبدون إساءة استخدام سلطات الدولة، بما في ذلك قوانين مكافحة الإرهاب وأجهزة أمن الدولة، لقمع الجماعات الدينية أو غيرها من الجماعات. نحن نحث المجتمع المدني والزعماء الدينيين على الاجتماع والدعوة إلى التفاهم المتبادل واحترام التعددية والتسامح والاعتراف بحقوق الإنسان العالمية والكرامة الإنسانية، ونحن مختلف السلطات الحاكمة على السماح بهذه الجهود المستقلة ودعمها.

أعمدة الأمة الأربعة تتحاور في عمان

مثقّفون وأكاديميون يرصدون تحديات الإقليم لرسم مستقبل شعوبهم

الأمير الحسن يدعو الى حوار ونظام عالمي يستند إلى الكرامة الإنسانية

صحيفة (الزمان) : ٢٠١٨/٧/٢٩

عمان- رند الهاشمي: قدم اكاديميون ومثقفون وناشطون من تركيا وايران والعراق والاردن وفلسطين ولبنان والكويت رؤاهم العربية والتركية والايرانية والكردية لاهمية الحوار البناء والجاد لمواجهة التحديات القائمة والتأكيد على الهوية الجامعة والمشاركة لاعمدة الامة الاربعة، وذلك في مؤتمر منتدى الفكر العربي الذي رعاه سمو الامير الحسن بن طلال، في العاصمة الاردنية عمان في ٢٢ تموز الجاري، واكدوا في اربع جلسات حوارية شهدت تقديم مداخلات معمقة، اهمية التنوع والتعددية في اطار الوحدة بوصفه مصدر غنى واثراء للمشارك الانساني.

كلمة افتتاحية

ودعا الامير الحسن في كلمة افتتاحية للمؤتمر، الى الحوار الجاد بين أعمدة الأمة الأربعة "الممثلة في العرب والفرس والأترك والكرد، لمواجهة التحديات القائمة، وذلك عبر التركيز على المشتركات، النابعة من أسس الإرث الحضاري والثقافي العريق لتاريخنا العربي الإسلامي الحافل بغنى التنوع والحوار بين أتباع الثقافات والديانات والإثنيات، وبقيم العيش المشترك). وأوضح أهمية (تعظيم الجوامع واحترام الفروق والاختلافات وتعزيز الحريات، عبر الالتفاف حول القيم المشتركة، من أجل إحلال السلم الإقليمي والدولي معا، وتحقيق النهضة العربية الإسلامية المنشودة، وتطوير علاقات تكاملية إقليمية متبادلة، لاستتباب الاستقرار، إذا أردنا لأمتنا حضورا جمعيا قويا، في المشهد العالمي). ورأى أن (غياب أو ضعف اللقاءات الجمعية يؤدي إلى إصدار الأحكام المسبقة الجائرة، خلافا للإلتزام المشاركة وقبول الرأي الآخر واحترام التنوع والاختلاف)، داعيا إلى تأسيس (مرصد معرفي في الإقليم للأحداث الجارية في المشهد الإقليمي العربي والدولي). وأكد ضرورة (القدرة على الإدارة الحكيمة للاختلاف، التي ستسهم في صياغة العلاقات الحضارية بين بلدان المشرق التي تملك إطارا متينا للتعاون والتلاقي، كما يمكن للوعي العام بالهوية المدنية التقريب بين شعوب المنطقة، خاصة عند ارتكازه على منظومة قانونية تعلي من كرامة الإنسان وتحترم حقوقه وواجباته). وركز على (مفهوم المواطنة الحاضنة)، التي تسهم في إعمار البلاد والمحافظة على التوازن المعرفي، أسوة بالعراقي والديني، حيث (تعبّر عن ذاتها عندما يرتقي الإنسان، بعد تمكينه بأساسيات الحياة الخمس، إلى أسس المواطنة بدون تمييز).

نظام عالمي

ودعا إلى ايجاد (نظام إنساني عالمي جديد، يشتمل على مفاهيم حقوق الإنسانية الحقيقية، التي تستند إلى بعد الكرامة الإنسانية كجزء وازن من منظومة الأمن، باعتبار أن الأمن الحقيقي هو الكرامة). وجدد الدعوة لإنشاء صندوق عالمي إنساني للزكاة، عادا المشكلة في حقوق الإنسان والسيادة القومية تتلخص في غلبة (الأننا)، وليس

التفكير في الـ(نحن)، والمجاميع الإنسانية والبشرية، لاسيما من أبواب الزكاة). وقال إن دعوة التلاقي الحوارية انطلقت في عهد مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية المغفور له جلالة الملك عبدالله الأول بن الحسين، طيب الله ثراه، عندما أكد في إحدى الوثائق، العام ١٩٥٠ فكرة التقارب بين الدول الإسلامية وفق أسس الإيمان بالأصالة المستهدفة في كل مكان، وتجسد ذلك عبر زيارته الخارجية، وذلك قبل سنوات عديدة من عدوان العام ١٩٥٦ على مصر وحادثة حريق المسجد الأقصى المبارك، العام ١٩٦٩. ولفت إلى أهمية الحوار الإنساني بين القوميات الكبرى في الإقليم، إذ بينما يدور الحديث عن حاضرة التنوير الغربي، فهناك في المقابل (حكمة الإشراق) من الشرق، كما قال شهاب الدين السهروردي، التي تجمع حكمة أوائل القدماء في الشرق الذين نقلوا هذه الخبرة إلى العالم، وذلك من خلال إسباغ مضمون التنوير على ثيمة الإشراق بالوعي والالتزام. ونبه الحسن إلى أخطار (أنماط التفكير المستند إلى مبدأ الطوائف والمذاهب والإثنيات، التي تجب معها احترام الاختلاف والعمل على المشتركات، صوب الاستقطاب الذي يولد الكراهية، وثنائية السنة – الشيعة)، لافتا إلى انعقاد أكثر من ١٠ لقاءات، في عمان، للمذاهب أهل السنة والجماعة إلى جانب الزيدية والجعفرية، حيث كانت تبحث، منذ البداية، عن الأصول والتقارب. وتوقف عند وجود ٢٠٠ مليون مُهجر في أنحاء مختلفة من العالم، واغتراب ٦٥ مليون لاجئ عن وطنه، فضلا عن أكثر من ١٤٠ مليون نازح داخل دولهم، بما يجعلنا نطلق على العصر الحالي بعصر الرُّحل)، لافتا إلى الأسباب الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بالهجرة الجماعية.

وأشار إلى المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية، المقدرين بأكثر من ٣,٤٥ مليون مسلم، غالبيتهم من بلاد المشرق، بنسبة ١ بالمئة من إجمالي السكان فيها، والذين يهاجرون بحثا عن الاستقرار النفسي والمادي، ولكنهم يفقدون بريقهم، أحيانا، وسط مساعي الإنسياق والاندماج.

وكان مدير عام المنتدى محمد ابو حمور قد القى كلمة رحب فيها بالمشاركين وعرض اهداف المؤتمر وجهود المنتدى في مجال التقريب بين المكونات في اطار الوحدة، ونوه الى النشاطات التي اقامها في هذا الاطار ومنها مؤتمر الحوار العربي الكردي الذي اقيم في عمان في الاول من اذار الماضي فضلا عن مؤتمرين سابقين للحوار العربي الايراني والعربي التركي، مشددا على الطابع الثقافي لتلك الحوارات الهادفة الى تعميق المشتركات وبناء روح التسامح والمصالحة مع الذات واحترام الآخر وحقوق الانسان، كما القى المفكر العراقي عبد الحسين شعبان كلمة جدد فيها الاشارة الى اهمية الحوار تحت خيمة المنتدى ورعاية الامير الحسن بهدف الانتقال الى مناخ اكثر مقبولية بين اعمدة الاقليم وجهود الناشطين العرب في لبنان وتونس والمغرب وغيرها لتحقيق هذه الغاية.

واتسمت مداخلات المؤتمر بالموضوعية وتبادل الافكار والرغبة في تعزيز المشتركات بمواجهة التحديات الكبيرة في اطار العولمة وما يعرف بصفقة العصر التي قد تتمخض عن جغرافية وتبادلات جديدة في المصالح الدولية والاصطفافات.

وكان قد شارك في المؤتمر من العراق كل من الدكاترة عبد اللطيف جمال رشيد وبختيار امين وشيرزاد احمد امين النجار ونجدت عقراوي وخانزاد احمد عبد وعامر حسن فياض واحمد عبد المجيد الى جانب البرلمان الاسبق وثاب شاكر والصحفي زيد الحلي، وحضرت في الجلسة الافتتاحية السفارة صفية السهيل التي قدمت مداخله حظيت بالاهتمام والترحيب.

وجهات تركية

وقد تقدّم عددٌ من المثقفين الترك بعرض وجهات نظرهم وطرح مفاهيمهم على أساس أننا يجب أن نعرف أن تاريخنا وديننا المشترك هو الذي أثبت أنه المرجع الذي يجمعنا، خصوصا في الإشارة إلى موضوع اللاجئين

السوريين. فيما ظهرت إشارات إلى أن البعض في العالم ضاق ذرعاً باللاجئين عندما وصل إليه عدد محدود منهم، نرى أن كلاً من تركيا والأردن ولبنان قد استقبل الملايين منهم بكل رحابة صدر.

وأكد المشاركون في هذا السياق أهمية الابتكار الثقافي، ودور المرأة في بناء السلام، وضرورة تمكين الشباب وأهمية دورهم في بناء المستقبل.

كما تناول عدد من المثقفين الإيرانيين ضمن رؤية تتعلق بواقع ومستقبل العلاقات بين أعمدة الأمة، شواهد تاريخية على أنه لما تضافرت حضارات الأندلس والوطن العربي مع الحضارة الفارسية تحت راية الإسلام، فقد حققت الأمة إنجازات علمية لا تضاهي.

كما حرص المثقفون الإيرانيون على التأكيد بأن الانغلاق على المواقف الضيقة والاستقطابية سيؤدي إلى الشرذمة، ولذلك فإن إيران ترى أن ما يجمع بين الفرس والعرب والترك أكثر مما يفرقهم.

أما بخصوص الرؤية الكردية فقد تحدث عنها عدد من المشاركين الكرد، بإشارتهم إلى المعاناة التي عاشوها، وأكدوا أهمية البحث في الحاضر واستشراف آفاق المستقبل بالرغم من أنهم كانوا فخورين بمساهماتهم بالدفاع عن الإسلام والمسلمين ضد الغزو الخارجي.

وهم يؤيدون أن الحوار بين الأطراف المختلفة يجب أن لا ينحصر في الإطار السياسي، أو بين الدول. بل يجب أن نتجاوز ذلك للحوار بين مكونات المجتمع وقادته الفكرية حيث التنوع الذي يغني.

ودعت الرؤية الكردية في مشتركاتها إلى تحقيق المساواة في علاقتهم مع العرب والفرس والترك، وأن يكون لهم الحقوق والواجبات نفسها، ويجب تجنب الخلافات التي تشعل الحروب على حساب الحياة الإنسانية الكريمة، وجعل الكرد أو غيرهم وقوداً لها.

كما تحدث عدد من المثقفين العرب وأشادوا بمبادرة المنتدى في توسيع دائرة الحوار الذي بدأ قبل نحو أربعة أشهر بعنوان (الحوار العربي الكردي) وأشادوا بدور ورعاية سمو الأمير الحسن والاستجابة الكبيرة التي لقيتها هذه المبادرة، وقدموا مع زملائهم الترك والفرس والكرد مقترحات من شأنها إدامة هذا الحوار وإكسابه طابع الاستمرارية لتفعيل الرؤية المشتركة، وذلك من خلال مقترح تشكيل فريق عمل يجمع شخصيات من أعمدة الأمة الأربعة، والعمل على تنظيم ندوة أو مؤتمر سنوي بإشراف المنتدى لبحث جوانب العلاقات المختلفة: الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية، وكل ما يتعلق بالتنمية والتعاون وبروح من القيم الإنسانية، ولا سيما الحرية، والمساواة، والعدالة، والشراكة، والمشاركة، والتسامح، والسلام، والعمل على نقل الحوار إلى عواصم ومدن الإقليم الذي تمثله الأعمدة الأربعة.

فريق عمل

واتفقوا على مدّ الجسور بين فريق العمل ومنظمات المجتمع المدني المعنية بالحوار، وأصحاب القرار، والجامعات ومراكز الأبحاث والدراسات وتشجيعها على إطلاق منصة معرفية، بهدف تجسير الفجوة من جهة بين المفكر والمثقف والأكاديمي، وبين الإدارات الحاكمة وسلطاتها المختلفة من جهة أخرى، بهدف تعزيز التكامل والتفاعل والتواصل والمشاركة في إطار خطط التنمية والتعاون. كما أشاروا إلى أهمية اكتساب المهارات اللغوية للأعمدة الأربعة ودورها في تعزيز التفاهم والفهم المشتركين.

وأكد المشاركون أيضاً ضرورة الاهتمام بالشباب لأنهم يشكلون الغالبية السكانية من مجتمعات الأعمدة الأربعة، وضرورة إعدادهم للمستقبل وتهيئة الأجواء المناسبة للحوار والشراكة فيما بينهم.

وناشد المجتمعون الإعلام في بلدان أعمدة الأمة الأربعة بالالتفات إلى أهمية إبراز الجوامع والمشاركات والسعي لتعظيمها، خصوصاً وهي تمثل رسالة أساسية لمنتدى الفكر العربي.

تساؤلات حول ارتفاع سعر النفط

*سايمون هندرسون

معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى: ٢٠١٨/٧/٢٩

إنه فصل الصيف. الحرارة مرتفعة، والجميع يريد الذهاب في عطلة صيفية. لكن من يتابع أخبار سوق النفط يساوره شعورٌ مزعج بأنه قد لا يتسنى له قراءة رواية تافهة على شاطئ البحر، لأن أسعار النفط على وشك الانفجار. ومن الملام؟

يأتي على رأس اللائحة الرئيس الإيراني حسن روحاني الذي حذر الولايات المتحدة يوم الأحد من أن الصراع مع الجمهورية الإسلامية سيكون "أم الحروب كلها". بالإضافة إلى ذلك، فإن تعليقه بأن إيران "لطالما ضمنت الأمن" في مضيق هرمز - الممر المائي الضيق نسبياً الذي يربط الخليج العربي بالمحيط الهندي، والذي تمر عبره ٤٠ في المائة من صادرات النفط العالمية - اعتُبر تأكيداً للتهديدات الإيرانية بإغلاق المضيق فعلاً وليس إنكاراً لها. وقد دفعت كلمات روحاني الرئيس ترامب إلى تغريد تحذيره الخاص على موقع تويتر، بأحرف كبيرة. ولم يكن من المستغرب أن ترتفع أسعار النفط في الأصل يوم الاثنين، ولكن أثناء كتابة هذه السطور عادت الأسعار وانخفضت إلى ما دون المستوى الذي أغلقت عنده يوم الجمعة الماضي. فقد بقي مؤشر "خام غرب تكساس المتوسط" (West Texas Intermediate) - الذي يُعتبر مؤشراً هاماً في سوق النفط - أقل من ٧٠ دولاراً للبرميل الواحد. ومع ذلك، أثار تحليل جديد مخاوف أخرى. فقد أصدر مراقب سوق النفط المتمرس فيليب ك. فيرليغر تقريراً من شركته "بي كي فيرليغر المحدودة" توقع فيه وصول أسعار النفط إلى ٢٠٠ دولار للبرميل الواحد، مع إمكانية ارتفاعها بشكل ساحق إلى ٤٠٠ دولار للبرميل خلال الأشهر الاثني عشر إلى الثمانية عشر المقبلة.

واستند تركيز فيرليغر إلى نقص خفي في وقود الديزل، بدلاً من التهديدات الجغرافية-السياسية التي تم تبادلها بين روحاني وترامب. ومع ذلك، لا يمكن التغاضي عن تحليله بسهولة. يتعين على محطات التكرير في جميع أنحاء العالم إعادة تقييم وقودها لإنتاج ديزل منخفض الكبريت للوفاء بالأنظمة البيئية الجديدة، مما يؤدي إلى نقص يمكن أن يدفع الأسعار إلى الأعلى. وفيما يلي بعض المبادئ التوجيهية التي توضح النقاط المهمة لأولئك الذين يجدون صعوبة في فهم طريقة عمل أسواق النفط: السياسة الجغرافية: هو مصطلح منمّق للحروب والأزمات. فإذا (اندلعت) الحرب في الشرق الأوسط، قد يكون الوضع سيئاً بالنسبة إلى أسواق النفط، على الرغم من أن المذابح التي اجتاحت سوريا واليمن في السنوات الأخيرة كانت بالنسبة للسوق مجرد ضجيج في الخلفية. ومن المحتمل أن يتمكن السوق من تحمّل انخفاض صادرات النفط الإيرانية أو حتى انعدامها - ولكن إذا تم تخفيض الصادرات السعودية، فسيكون التأثير سيئاً. وفي رأيي، إن كل هذا الكلام عن

مضيق هرمز هو مجرد أداة لتشتيت الانتباه: فخطوط الشحن الواردة والصادرة تمر فعلياً في المياه الإقليمية العُمانية. وإذا هددت إيران الناقلات بضربة عسكرية (الخيارات الواضحة هي استعمال الألغام العائمة أو القوارب السريعة)، فسيرد الأسطول الخامس الأمريكي، بدعمٍ من حلفاء الولايات المتحدة، على الفور وبقوة. وأظن أن إيران قد تفضّل التكتيكات التي لا تتجلى فيها لمستها بوضوح - مثل تخريب منشآت النفط السعودية أو البحرينية، أو تشجيع المسلمين الشيعة في هاتين الدولتين على التمرد. أوبك و"أوبك بلس" (تقييد الإنتاج = OPEC-Plus): تحبّ الدول المصدّرة للنفط الأسعار المرتفعة التي توفر لها المزيد من المال لإنفاقها داخل بلدانها (أو في جنوب فرنسا وأماكن مماثلة). ولربما ظننا قبل عامين أننا قد ودّعنا الكارتل الذي ترأسه السعودية، لكنّ الرياض تعاونت مع موسكو (وبالتالي "أوبك بلس") لتقييد الإنتاج ولاستنزاف المخزونات الكبيرة بوجه خاص. والنتيجة هي الأسعار الحالية. وحتى الآن، لا يزال الحديث الأخير عن زيادة الإنتاج لمنع ارتفاع الأسعار بشكل حاد مجرد كلام. الاقتصاديات: النمو أمر جيد عموماً ولكنه يزيد أيضاً الطلب على الطاقة، مما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار. وفي الوقت الحالي، يشهد الاقتصاد العالمي نمواً جيداً ومن هنا جاء ارتفاع أسعار النفط خلال الأشهر الأخيرة. بيد، إن الاحتمالات المتزايدة لحدوث حرب جمركية (تعريفية) بين الولايات المتحدة والصين تثير حالة كبيرة من عدم اليقين تضرّ بالنمو الاقتصادي.

العوامل التقنية: وهي العبارة التي يستخدمها خبراء المجال لوصف الضوابط المفروضة على معامل التكرير وخطوط الأنابيب. فبرميل النفط الخام (بحالته الأصلية) غير صالح للاستخدام، إذ إنه بحاجة إلى عملية "تقطير تجزيئي" في معمل تكرير من أجل إنتاج الديزل والبنزين وزيت الوقود الثقيل ومجموعة من المنتجات التي لا ترتبط بقطاع النقل، بل يُستخدم بعضها في المستحضرات الطبية. ويختلف الطلب باختلاف المنتج، ولا يمكن تعديل عمليات التجزئ المختلفة بشكل كبير. ومن أبرز المخاوف الأمريكية هو توفر خطوط الأنابيب، إذ يتعذر إرسال بعض الزيت الحجري الجديد إلى معامل التكرير بسبب عدم وجود خطوط أنابيب كافية. ويبدو أن أحداً لا يرغب في مرور خط أنابيب جديد بالقرب من فنائه الخلفي. لذا، فإنّ أيّ هدوء عملي في أسواق النفط معرّض لجملة تهديدات محتملة - وهي علاوة على ذلك منتشرة على الصعيد العالمي وليست محصورة بالمستوى الإقليمي. (وتعكس الاختلافات الطفيفة في الأسعار بين الولايات المتحدة وأوروبا وآسيا نوعيات متباينة من النفط الخام ومسافات مختلفة من الأسواق الرئيسية). وصحيح أن الأسواق متطورة بما يكفي لاستيعاب بعض الأخبار السيئة والتغريدات الرئاسية، ولكنها مثل غالبيتنا لا تحبّ المجهول. أما الخطابات السياسية الراهنة فلا تساعد في تحسين الوضع. ويبدو الأمر كما لو أن حبكة تلك الرواية التافهة التي أردنا قراءتها أصبحت حقيقةً على أرض الواقع.

* سايمون هندرسون هو زميل "بيكر" ومدير برنامج الخليج وسياسة الطاقة في معهد واشنطن

إغلاق المضائق البحرية: سيناريوهات

*وليد خلدوري

صحيفة (الحياة): ٢٩/٧/٢٠١٨

من اللافت للنظر أنه رغم الهجوم الحوثي على ناقلة سعودية قرب مضيق باب المندب، وتهديد قاسم سليمانى لأسطول البحرية الأمريكية في البحر الأحمر، إضافة إلى الخليج العربي، وإعلان وزير الطاقة والصناعة والثروة المعدنية السعودي خالد الفالح أن بلاده لن تشحن النفط الخام قبل التأكد من سلامة الملاحة عبر مضيق باب المندب، لم تتحرك الأسواق والأسعار.

متابعة هذه الأخبار الحيوية المتتالية خلال الأيام الأخيرة، رغم أهميتها، تراوح السعر بين ٧٣ - ٧٤ دولاراً لبرميل نفط «برنت»، وهذا أمر مهم نظراً إلى التحديات الجيوسياسية العديدة لأمن الطاقة خلال هذه الفترة. إن الاعتداء الذي وقع عند مضيق باب المندب، وأدى إلى إيقاف السعودية شحناتها عبر المضيق إلى حين التأكد من سلامة العبور خلاله، أمر أمني حيوي وواقعي وليس من تكهنات الأسواق. فقد طرح هذا الاعتداء ورد فعل الأسواق عليه أسئلة وتصورات عدة لسيناريوهات متعددة، منها:

أولاً: إن الحادث شبيه بما حصل أخيراً من تهديدات مماثلة ما بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية، التي وصلت إلى درجة إطلاق كوريا الشمالية صواريخ بالستية عبر اليابان، حليف الولايات المتحدة، ناهيك عن تهديدات بقصف الولايات المتحدة نفسها بقنابل نووية، وتهديدات أمريكية مماثلة بحرب مدمرة لكوريا الشمالية عن بكرة أبيها. المفاجأة في اجتماع قمة للرئيسين الأمريكي والكوري الشمالي في سنغافورة ومحادثات مستمرة لتوطيد العلاقات بين البلدين.

يعتمد هذا السيناريو على فرضية أن أسلوب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في المفاوضات هو توجيه أقصى أنواع التهديد لخصمه، في انتظار قبول الخصم باقتراحات معتدلة ومقبولة خوفاً من تصعيد الأزمة لتصل إلى مواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة.

أصبح هذا الأسلوب الدبلوماسي والتهديدي صفة معروفة للرئيس ترامب، ليس فقط مع الدول المعادية لبلاده، بل مع حلفائها أيضاً - الذين قبلوا على مضض هذا الأسلوب الدبلوماسي في تعامل حليفهم الأقوى معهم. المفاوضات التي جرت أخيراً في واشنطن بين الرئيس ترامب ووفد السوق الأوروبية المشتركة، سبقها قبل يوم من عقدها خطاب حاد لترامب حول تمسكه بفرض التعريف الجمركية على الحديد والألومنيوم الأوروبي المصدر إلى واشنطن، وكيف سيضغط على الأوروبيين للحصول على ما يريد.

وتبين أثناء التصريحات الإعلامية بعد المفاوضات، أن ترامب قرر غض النظر عن اقتراحاته الجمركية تجاه أوروبا المثيرة للجدل، مقابل موافقة الأوروبيين على تشييد الموانئ اللازمة لاستيراد الغاز المسال الأمريكي الذي ستزداد صادراته خلال العقد المقبل، بدلاً من استيراد مزيد من الغاز الروسي.

الأمر الذي سيخلق أزمة مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين. من المحتمل، أن الأسواق النفطية أخذت في الاقتناع بعد مسلسل التهديدات ثم التفاوض من «موقع قوة»، بأن البيت الأبيض، بشخصية ترامب في العلاقات الدولية وطريقته، يلجأ إلى هذا الأسلوب من التعامل.

ولفت الإعلام الأمريكي الانتباه قبل أيام من حادثة مضيق باب المندب، الى أن واشنطن بدأت تتكلم عن «اتفاق نووي جديد» مع إيران.

ثانياً، ضغط الرئيس ترامب في الآونة الأخيرة على منظمة «أوبك» لزيادة الإنتاج تحسباً للحصار النفطي الذي أعلن عنه ضد إيران، وذلك للتأكد من عدم حصول شح في الأسواق، ما قد يؤدي الى زيادة الأسعار. وطالبت واشنطن بأن تبدأ زيادة الإنتاج منذ الآن، رغم أن العقوبات ستبدأ في الأسبوع الأول من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل. وقد بدأت الدول ذات الطاقة الإنتاجية الفائضة بالزيادة فعلاً، رغم قناعتها بأن هناك ما يكفي من الإمدادات في الوقت الحاضر، ولا داع للزيادة حالياً.

من ثم، فإن توقف تصدير النفط الخام السعودي عبر مضيق باب المندب الى حين التأكد من سلامة مروره، لا يشكل نقصاً فادحاً في الأسواق ويمكن استيعاب هذا النقص خلال المرحلة الحالية التي لا تزال مستمرة فيها الصادرات الإيرانية. إذ يتم تصدير الغالبية الساحقة من صادرات النفط الخام السعودي عبر مضيق هرمز. كذلك، هناك أنبوب النفط الشرقي - الغربي بطاقة ٥ ملايين برميل يومياً، الذي ينقل النفط الخام من المنطقة الشرقية الى الغربية. ويستعمل بعض هذا النفط في التكرير المحلي، والبعض الآخر يصدّر الى الأسواق الأوروبية عبر قناة السويس أو خط سوميد، وتصدّر كميات محدودة الى الأسواق الأمريكية والأفريقية من خلال مضيق باب المندب (تتباين الأرقام وتتراوح ما بين ٥٠٠ - ٧٠٠ ألف برميل يومياً).

ثالثاً، في حال تزايد التهديدات وتصاعد العمليات العسكرية مع اقتراب موعد العقوبات، أكان ذلك ضد سفن الأسطول الأمريكي، أو ضد الناقلات التي تحمل نفوط الدول الخليجية، التي لها تفاهات وضمانات ومعاهدات أمنية مع واشنطن، من المتوقع جداً في حينه زيادة أسعار النفط الى مستويات قياسية، وتحديدًا لتفادي إيقاف أو تقليص العبور عبر مضيق هرمز أو باب المندب.

وهنا، يمكن اللجوء الى خيارات عدة. استعمال المخزون النفطي في شرق آسيا والبحر الكاريبي وروتردام، لضمان توافر إمدادات كافية تؤمن استقرار الأسواق. لقد تم التحضير لهذه الإجراءات الاستثنائية خلال الهجمات الأمريكية على العراق في التسعينيات.

وفوجئت الأسواق في حينه، وانخفضت الأسعار بدلاً من أن ترتفع. من الطبيعي، أن تختلف طبيعة ومدة العمليات العسكرية وأهدافها. فهناك اليوم شخصيات مسؤولة في البيت الأبيض تنادي بتغيير نظام الحكم في طهران. وعمليات عسكرية من هذا النوع لها اعتبارات مختلفة وتستغرق أوقاتاً أطول، إضافة الى حسابات وتحضيرات إضافية. لكن مهما كانت نوعية العمليات العسكرية المحتملة، فإن التخطيط لها، بناء على التجارب السابقة، يشير الى التحوط لها عبر توفير مخزون نفطي وافٍ خارج منطقة الخليج.

يحمل هذا السيناريو، أخطاراً محتملة ومفاجآت عدة. وليس مستبعداً، بل من المتوقع تحريك الأوضاع في دول عربية مجاورة، لخلط الأوراق، حيث يوجد نفوذ للحرس الثوري وحلفائه على رغم عدم تأثير هذا المخطط على الدول المصدرة في شكل مباشر على الإمدادات، كما كان واضحاً خلال السنوات الماضية.

تكمّن مفاجأة هذا السيناريو في تطور العمليات العسكرية ونتائجها من ناحية، وفي ردود فعل الأسواق عند استمرار توافر إمدادات وافية بفعل المخزون الاحتياطي.

* وليد خدوري كاتب عراقي متخصص في شؤون الطاقة

حتمية التغيير السياسي في المنطقة العربية

* محمد هنييد

صحيفة (الوطن) القطرية : ٢٠١٨/٧/٣٠

إن خلاصة ما تشهده المنطقة اليوم من صراعات إنما يتعلق أساسا بطرق التغيير السياسي ومنولاته بين الدول العربية. فالأساس الرئيسي لكل التفاعلات في المنطقة لا ينفصل عن طريقة انتقال السلطة وشروط هذا الانتقال ومساراته ومختلف ردود الأفعال المتعلقة به.

لقد اختبرت الدول العربية جميعها ثلاثة منولات للتغيير السياسي خلال فترة وجيزة جدا لا تتجاوز العقد من الزمان حيث اختبرت الثورة والانتخاب والانقلاب جميعها في فاصل زمني وجيز جدا.

الثورات الشعبية التي عرفها مجال الربيع هي أول نماذج المطالبة بالتغيير السياسي من مصدر شعبي قاعدي يتسم بالفجائية وسرعة الإنجاز. أما الانتخابات التي تلتها خاصة في مصر وتونس فهي كذلك منوال آخر من منولات التغيير السياسي السلمي في إطار ديمقراطي.

أما الانقلابات على الانتخابات والتي وقعت في مصر وليبيا فهي كذلك عنوان التغيير القسري بالقوة المادية لمسار الانتقال السياسي.

الثابت الأكيد هو أن تتابع هذه النماذج في التغيير بقطع النظر عن طبيعتها مؤشر على حتمية التغيير نفسه بما أنه أصبح ضرورة ملحة تفرضها معطيات موضوعية على الواقع فمنها ما يتعلق بطبيعة النظام السياسي ومنها ما يتعلق بوعي الجماهير العربية وطبيعة تطور المجتمعات.

إن هذه الحتمية بما هي خلاصة لا تقبل النقاش أو الطعن تعلن في حد ذاتها عن بلوغ المشهد العربي مرحلة حاسمة وأنه يدشن منعرجا تاريخيا جديدا. بناء عليه فإن أبسط قواعد التعامل السياسي الواقعي مع هذا الحدث لابد أن تراعي هذه الحقيقة التاريخية التي تتجاوز الصراعات الداخلية وأجندات الأنظمة مهما كان نوعها أو طبيعتها.

فنحن أمام خيارين أو نوعين من ردود الأفعال: فإما مسايرة هذه المطالب والوعي بها والتعامل معها بنوع من التنازل الذي يجنب الدولة كل أنواع الانزلاق الممكنة ويمنعها من السقوط في العنف والفوضى وإما إنكار هذه الحتمية التاريخية والدخول في صدام مع المطالب الشعبية وتحمل كل العواقب التي يمكن أن تؤدي إليها مثلما حدث في سوريا حيث تكاد تختفي ملامح الدولة ومؤسساتها وتسقط في أيدي قوى خارجية.

لا شك أننا نقف اليوم أمام لحظة حاسمة من تاريخ الأمة حيث يشتد الصراع بين الرغبة في التغيير وبين منع هذا التغيير بالقوة المادية الباطشة والسعي إلى تأييد الاستبداد والإبقاء على النظام الرسمي العربي كما هو وبخصائصه التي صُنِعَ بها. لكن هذا التعنت الرافض لمنطق التاريخ يتناقض تماما مع أبسط مبادئ الحكمة السياسية التي هي شرط بقاء النظام والدولة معا.

* د. محمد هنييد أكاديمي تونسي وأستاذ علوم السياسة بجامعة السوربون - باريس.

إخراج الدين من التسخير السياسي هو الحل

*د. عبد الحميد الأنصاري

صحيفة (الجريدة) الكويتية : ٢٠١٨/٧/٢٠

تسييس الدين هو الآفة الكبرى في الحياة العربية، وهو المعوق الأكبر أمام الإصلاح والتنمية والتقدم وتجاوز هوة التخلف، تسييس الدين آفة قديمة، كان أول توظيف سياسي للدين، مشهد رفع المصاحف من قبل جيش معاوية طلباً للتحكيم، في حرب صفين ٣٧ للهجرة، وكانت حرباً للصراع على السلطة، ليتطور بعد ذلك، فينشق فريق من جيش الإمام علي، كرم الله تعالى وجهه، سمو بالخوارج، ويرفعوا شعار لا حكم إلا لله في وجه الإمام، ويتمردوا عليه، ويسلوا سيوفهم قتلاً في المخالفين لهم من المسلمين، من الصحابة والتابعين، وتاصل هذا التوظيف السياسي للدين على يد خلفاء بني أمية مدة ٩٠ عاماً.

ثم خلفاء بني العباس الذين امتدت خلافتهم أكثر من ٥ قرون، ليأتي خلفاء بني عثمان، ويؤسسوا إمبراطوريتهم التي دامت ٦ قرون، وتنتهي بإعلان انتهاء الخلافة الإسلامية على يد أتاتورك في ٣ مارس ١٩٢٤، ليستمر التوظيف السياسي للدين على يد الحكام والملوك والأمراء، وصولاً إلى حكم الانقلابيين الثوريين العسكريين إلى يومنا، لذلك لن نكون مجازفين إذا قلنا: يمكن تلخيص التاريخ الإسلامي بعبارة موجزة، إنه تاريخ الصراع على كرسي السلطة وقديماً قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: إن أول سيف سل في الإسلام، سل من أجل الخلافة.. خلال ١٤ قرناً كان الصراع الدموي على السلطة، هو الحدث الأبرز في دنيا العرب والمسلمين، وكل هذه الصراعات بين السلطة والمعارضة، كانت تتخذ من الدين، شعاراً شرعياً وسياسياً مسوغاً، وكانت المؤسسة الدينية غالباً مع السلطة في فتاوى دينية، تحرم الخروج المسلح على الحاكم وتصف الخارجين بالبغيظة، كل هذا التاريخ الطويل من الصراعات الدموية على الكرسي، لم تدفع النخب المجتمعية إلى التوصل إلى حلول سلمية توافقية ترضي الأطراف المختلفة للوصول إلى السلطة وتضمن انتقالاً سلمياً للحكم ضمن نظام تداولي، كما فعلت أمم أخرى، لها تاريخ أسوأ من تاريخ المسلمين، وكانت بينهم صراعات أهلكت الحرث والنسل، لكن هؤلاء تعلموا من تاريخهم وتجاوزوا وتوصلوا إلى الصيغ السلمية لانتقال الحكم دون اضطرابات ولا زلازل سياسية، ونحن بعد لم نفعل ولم نتجاوز.

التساؤل المطروح: لماذا لم نتوصل، عبر التاريخ الطويل من تجارب الصراعات على السلطة، إلى نظام سياسي، يضمن الانتقال السلمي إلى السلطة، عبر نظام الأغلبية الشعبية؟!

هذا تساؤل طرح قديماً وما زال مطروحاً، والإجابات عديدة، وإجابتي تتلخص في عبارة واحدة، بسبب التوظيف السياسي للدين ولشرح ذلك، أقول: إن الفكرة التي سادت وهيمنت على العقل السياسي العربي، منذ نشأة الخلافة وامتدادها إلى آخر خليفة فاطمي في مصر، أي ٨ قرون، أن الخليفة يجب أن يكون قرشياً، بناءً على حديث منسوب إلى الرسول، عليه الصلاة والسلام، الأئمة من قریش و تم توظيف الحديث، شعاراً شرعياً، يحتكر السلطة في قریش، مما دفع الفقهاء وأهل الحل والعقد، إلى الاهتمام بشخصية الخليفة، من حيث النسب القرشي والشروط الشخصية الأخرى، بأكثر من اهتمامهم بنظام سياسي يتيح مشاركة الناس في اختيار من يرتضونه، ولو لم يكن قرشياً، وعندما جاء العثمانيون توارثوا السلطة بحكم التغلب، واستمروا في توظيف الدين لتوطيد حكمهم وقمع من يعارضهم والتنكيل به، وكانت المؤسسة الدينية تصدر الفتاوى المحصنة للسلطة، والمجرمة للمعارضة.

ختاماً: ما نراه اليوم على امتداد الساحة العربية، من مشاهد عنف وإرهاب ومجازر ودماء وتهجير للملايين من البشر، وناراً حامية تحرق الأخضر واليابس، وفيديوهاث ينفطر لها القلب وتدميه كما قال سمو أمير الكويت، حفظه الله تعالى، ماهي إلا ثمرة هذا التوظيف السياسي للدين، ولا مخرج أمامنا إلا بتوافق سياسي واجتماعي بين كافة الأطراف السياسية والأنظمة الحاكمة، على إخراج الدين من التسخير السياسي، كما فعل الآخرون ونجحوا وحققوا الازدهار، فالدين للجميع، سلطة ومعارضة، وينبغي ألا يدعي فصيل سياسي أو نظام حاكم احتكاره للدين ويرمي خصومه بأنهم خارجون عنه، فالسلطة وإدارة الشأن العام، شأن بشري، تدبيري أنتم أعلم بأمور دنياكم وإن كان هذا الشأن يستظل بهدي السماء في منطلقاته وأهدافه وقيمه، ونحن مؤمنون حقاً بأن للدين كلمة، بل كلمات في إدارة الشأن العام، لكن ليس بمعنى التوظيف النفعي للدين.

العلاقات العربية الإيرانية ما بين الاختراق والعناق

*خالد الحروب

موقع قنطرة الألماني: ٢٠١٨/٧/٢٠

ليس بالإمكان تغيير الجغرافيا الإقليمية، أي أن الجوار الإيراني - العربي مسألة حتمية ومتأبدة ولا يمكن تغييرها، لكن الذي يمكن تغييره والتأثير فيه هو التاريخ والسياسة. لذلك تكمن مصلحة العرب وإيران في إنهاء مرحلة الصراعات والتوجه نحو مرحلة التعاون والأمن الإقليمي.

تناقش هذه المداخلة أربعة احتمالات، غير حصرية، مستقبلية إزاء علاقة العرب بإيران وهي: أولاً، تطور وتصاعد المواجهات والصراعات الحالية إلى مستوى حروب إقليمية وشاملة ومدمرة. ثانياً، استمرار وضع المواجهات والصراعات على المستوى الراهن والذي يعني استدامة الاستنزاف والإنهاك المتبادل. ثالثاً، التبريد التدريجي والاحتواء المتبادل. رابعاً، حل الصراعات والانتقال إلى التعاون الجماعي الشامل ضمن نظام أمن إقليمي.

في المدى المنظور، تغلب فرص الاحتمالين الأولين، رغم أن هذا لا يعني انعدام فرص الاحتمالين الآخرين. وترتبط فرصة كل واحد من هذه الاحتمالات الأربعة بمدى رغبة وقدرة الأطراف السياسية المختلفة في تغليب حسابات البراغماتية السياسية على النزعات الأيديولوجية والتوسعية وإغراءاتها، ومدى بروز خطاب وممارسة سياسية إقليمية قائمة على المساومات والرهان على التعاون المستقبلي الذي يشترط تقديم الجميع تنازلات معينة لقاء مكاسب التعاون الإقليمي.

لاتزال المنطقة العربية تتعرض لتدهور إقليمي وتفكك متزايد، خاصة أن عدداً من بلدانها الرئيسية يقع في قلب العاصفة الإقليمية التي لم تهدأ في المنطقة، والتي تنخرط فيها إيران في شكل أو في آخر، منذ الحرب الأمريكية على العراق سنة ٢٠٠٣ على أقل تقدير، ثم ما تلا ذلك من حروب طاحنة وصلت مراحل متقدمة من الدمار سواء في سورية أو العراق أو اليمن. منذ ذلك التاريخ وحتى الآن، لعبت إيران وما زالت تلعب أدواراً متفاوتة في الأزمات والحروب القائمة على أرض عربية، وهي الحروب التي تدفع فاتورتها وخسائرها بلدان ومجتمعات عربية.

وفي خضم مصفوفة الأزمات والتحالفات وحروب الوكالة والاحتمالات الغامضة وتبدل موازين القوى ومعها تبدل حضور وانسحاب قوى عالمية للمنطقة، تنفتح مستقبلات الشرق الأوسط والمنطقة على احتمالات عديدة. وتصطف غالبية هذه الاحتمالات في جانب المزيد من التدهور، خاصة في ظل التفكك العربي وغياب مواقف متماسكة وموحدة حتى ضمن منظومة مجلس التعاون الخليجي وهي المنظومة الوحيدة في المنطقة العربية التي أبقت على قدر معقول من التماسك والتضامن الداخلي.

الجغرافيا مصير الشعوب

الفكرة الأساسية التي تقدمها هذه المداخلة تتأسس على أنه ليس بالإمكان تغيير الجغرافيا الإقليمية، أي أن الجوار الإيراني - العربي مسألة حتمية ومتأبدة ولا يمكن تغييرها، لكن الذي يمكن تغييره والتأثير فيه هو التاريخ والسياسة. على ذلك، فإن مصلحة العرب وإيران تكمن في إنهاء مرحلة الصراعات والتوجه نحو مرحلة التعاون والأمن الإقليمي. البقاء في مرحلة الصراعات لا يعني سوى المزيد من الإنهاك والمزيد من الدمار.

المعادلة الصفرية تنذر بتدمير المنطقة: يحذر المراقبون من تداعيات سعي بعض الدول العربية إلى التحالف مع إسرائيل والولايات المتحدة بهدف تقليص قوة إيران الإقليمية ويعتبرون أن حل الإشكال الإيراني - العربي يتطلب الكثير من الدبلوماسية، وإعادة النظر بالأولويات الإقليمية.

في مقاربة الخيارات المطروحة الحالية والمستقبلية أعلاه، من المهم الانطلاق، عربياً، من محاولة فهم إيران وما الذي تريده، وكذا الخليج العربي وما الذي يريده. يمكن القول أولاً إننا إزاء عدة هويات سياسية وأيديولوجية وتعريفية لإيران وليست ثمة هوية أو تعريف حصري واحد يجمع إيران وكأنها كتلة صلبة واحدة ومتناغمة. الهوية الإيرانية الأولى هي هوية الدولة الدينية المتحفزة شيعياً، والمقادة من جانب الحرس الثوري، والمتسمة بالرغبة الجارفة في التوسع ومد النفوذ.

وهذه الهوية تستفز الجوار العربي والإقليمي بطبيعة الحال، كما تستفز رد فعل سلفياً دينياً على المستوى الإقليمي يعزز من الانشطار الطائفي. الهوية الثانية هي الهوية الفارسية القومية المتنوعة التشدد، والسمة الأساسية لهذه الهوية، لجهة العلاقة مع العرب والجوار، هي العداء القومي تجاه العرب والنزعة الإمبراطورية المتضخمة، وتتلاقى هذه الهوية مع الهوية الدينية في توجهات التوسع وبسط النفوذ الإقليمي.

والهوية الإيرانية الثالثة منطلقة من الدولة الوطنية nation state وتحوم حولها والتي تتحرك وتعيش وفق قوانين الدول الوطنية في البحث عن المصالح والستراتيجيات وتعتمد البراغماتية السياسية. هذه الهوية هي التي توفر نافذة لمستقبل أفضل نحو التعاون الإقليمي القائم على قاعدة المصالح المشتركة.

هذه الهويات الإيرانية الثلاث منخرطة في علاقة ودينامية معقدة ومركبة بين بعضها البعض، تتنافس حول مساحات، وتلتقي في مساحات أخرى، لكن لا تتناغم بالضرورة حول كل السياسات والقضايا وفي كل الأوقات. وثمة توتر دائم بين هوية الدولة الوطنية والهويتين الأخرين. كما أن لكل واحدة من هذه «الإيرانات» فاعلين في التراتبية السياسية والعسكرية. وخارجياً تشغل هذه الإيرانات في السياسة الخارجية إقليمياً ودولياً في شكل يتبدى وكأنه تقسيم أدوار لكن ليس بالضرورة أن يكون ذلك بتخطيط وتنظيم مسبق ومحكم.

ضرورة تطوير علاقات تبادلية بين دول وطنية

ومن وجهة نظر عربية مستقبلية تتركز الرغبة في التعامل مع إيران كدول وطنية، ومع الأطراف الداخلية التي تعبر عن هذه إيران على حساب إيران التوسعية والإمبراطورية سواء أكانت الدينية أم الفارسية. وتنامي واستقرار إيران الدولة الوطنية وترسخها مقابل الهويات الأخرى من الأسس الضرورية لبسط مساحات التعاون الإقليمي المستقبلي. ذلك أن إيران الهويات الأخرى الدينية والإمبراطورية لا تعرفان على وجه التحديد ما الذي تريده بعيداً عن الشعارات الكبرى والإحساس بالمجد والتفوق على الآخرين. في المقابل، يمكننا تصور أن الدولة الوطنية الإيرانية أكثر عقلانية وإدراكاً لما تريد كالأمن والاستقرار والاقتصاد والتنمية، وهذا بالإمكان ترجمته عبر تعاون إقليمي ودور فاعل في المنطقة من دون أن يكونا مصحوبين بالنفوذ والسيطرة، وهذه الأهداف مشروعة وهي الأهداف نفسها التي تريد الدول العربية ودول الخليج تحقيقها لنفسها.

عند تناول السؤال نفسه حول تعريف وهوية الدولة في منطقة الخليج العربي، يمكن القول إن ليس ثمة التباس هنا، ذلك أن تعريف هذه الدول لذاتها أو هويتها السياسية (بخلاف حالة إيران)، قائم وبوضوح وصرامة على فكرة الدولة الوطنية. ليس هناك أيديولوجيا توسعية لا دينية ولا قومية. التيارات السلفية الجهادية وغير الجهادية منها تتحرك في أغلب الحالات على الضد من الدول الوطنية، وأحياناً كثيرة تهاجمها. كما أن القومية العربية ليست لها فاعلية تذكر في تحديد الهوية السياسية لهذه الدول. وتدرك هذه الدول أنها لا تريد مواجهة إيران ثلاثية الأبعاد: الشيعية، والقومية، والدولة الوطنية، كما أنها في حالة توازن غير متماثل معها من ناحية القوة العسكرية وربما النووية.

لكن هذا لا يعني أن ميزان القوى العسكري محسوم لمصلحة إيران، إذ من المعروف أن عقود الحصار العسكري والاقتصادي أنهكت المؤسسة العسكرية كما أنهكت الاقتصاد الإيراني. لكن المحصلة النهائية الراهنة هي وجود القدرة والإمكان على الانخراط في صراعات استنزاف طويلة الأمد، مدمرة للطرفين معاً.

من أجل ذلك وبسببه من المهم دفع العلاقة العربية - الإيرانية إلى مربع العلاقات التبادلية بين دول وطنية، وليس بين دول وطنية ودولة إمبراطورية أو توسعية. ورغم أن هذا الكلام يبدو حالماً وطوبواً، لكنه في الجوهر سياسي وبراغماتي وممكن، لأنه يطرح السيناريو الوحيد الذي يمكن أن ينأى بالمنطقة كلها من دمار شامل وطويل الأمد. في قلب هذا السيناريو الإقرار المتبادل بالحفاظ على السيادة وتأسيس علاقات اقتصادية تقود البلدان إلى استقرار وتنمية في الخليج وفي إيران لأن غياب التنمية وإنهاك الاقتصاد لا يعنinan إلا بروز سياسات راديكالية وتطرف يدمر الذات والآخرين. ليس من مصلحة العرب وجود إيران، كدولة وطنية، منهكة داخلياً ومحطمة اقتصادياً ومُنتجة للتطرف والأفكار التوسعية. وليس من مصلحة إيران دمار الجوار العربي في العراق والخليج واليمن لأن هذا أيضاً معناه تناسل التطرف الديني والطائفي إلى ما لا نهاية. من مصلحة الطرفين اللجوء إلى منطق الدولة الوطنية التي تكبح جماح تطرفها، وتنزع نحو المصلحة المشتركة مع الجوار.

لا يبلغ العداء الحالي بين إيران والخليج العربي عشر العداء الألماني - الفرنسي ولا الألماني - البريطاني عقب الحربين العالميتين الأولى والثانية، واللتين خلفتا أكثر من مئة مليون قتيل. ومع ذلك وبعد سنوات قليلة من انتهاء الحرب، انخرطت هذه الدول في نظام تعاون إقليمي اقتصادي وأمني على قاعدة المصالح المشتركة، وعلى قاعدة تقديم تنازلات كبيرة، وإنهاء مزاعم ورغبات النفوذ والسيطرة.

وكانت النتيجة هي قيام أكبر كتلة اقتصادية فعالة في العالم هي الاتحاد الأوروبي. الدرس الأوروبي يقدم لنا مثلاً جذاباً وجديراً بالتأمل العميق في تحويل العداء إلى علاقة تعاون. ما يواجهه العرب وإيران واحد من مسارين: الاستمرار في التدمير المشترك، أو الانطلاق نحو التعاون.

* كاتب وأكاديمي عربي - مداخلة في ندوة «منطقة الخليج العربي والتحديات الإقليمية»، بتنظيم النادي الثقافي، مسقط ١٥ آذار (مارس) ٢٠١٧

سياقات اتفاقية السلام لجنوب السودان ومآلاتها

مركز الجزيرة للدراسات: ٢٠١٨/٧/٣٠

ألبو قرنق: أتت جولة التفاوض في الخرطوم في إطار جهود المنظمة الحكومية للتنمية (الإيغاد)، وهي منظمة دول القرن الإفريقي التي تتكون عضويتها من ثمانية دول، هي: جيبوتي، وإثيوبيا، وإريتريا، وكينيا، والصومال، وجنوب السودان، والسودان، وأوغندا.

رعت إثيوبيا جولات التفاوض في الصراع السياسي في جنوب السودان الذي أفرز اقتتالاً بين أنصار ريك مشار، النائب السابق لرئيس جمهورية جنوب السودان، مع حكومة جنوب السودان بزعامة الفريق سلفاكير ميارديت، منذ يناير/كانون الثاني ٢٠١٤، حتى توقيع اتفاق السلام، في أغسطس/آب ٢٠١٥. غير أن ذلك الاتفاق فشل في صياغة فترة انتقالية سلسة، وعاد القتال محل الهدوء النسبي بعد فرار ريك مشار من العاصمة جوبا، في يونيو/حزيران ٢٠١٦، وإعلانه العودة إلى القتال من الخرطوم في سبتمبر/أيلول ٢٠١٦.

وجّهت المنظمة الحكومية للتنمية (الإيغاد) أطراف الصراع في الحركة الشعبية المعارضة جناح ريك مشار، وحكومة جنوب السودان بالإضافة إلى مجموعة قادة الحركة الشعبية (المعتقلين السابقين) والمجموعات الأخرى بالعمل على نبذ العنف وتقديم أطروحاتها في جلسات إحياء الاتفاقية وفقاً للمادة (٥) من إعلان مجلس وزراء خارجية منظمة الإيغاد الصادر في ٥ يوليو/تموز ٢٠١٧.

رغم الانتكاسة التي لحقت باتفاقية السلام نتيجة عودة الاقتتال بين قطبي الصراع، في يونيو/حزيران ٢٠١٦، فإن إقرار منظمة الإيغاد باحتواء ريك مشار في ضيافة جنوب إفريقيا والإعلان بأن الاتفاقية هي الإطار الأوسع لحل الصراع مع مطالباتها حكومة الوحدة الانتقالية بالتطبيق الكامل للاتفاقية الموقعة في أغسطس/آب ٢٠١٥، منع انزلاق البلاد لحرب شاملة.

صدرت دعوة إعلان رؤساء منظمة الإيغاد لتنظيم عملية تنشيط اتفاقية السلام عبر تنظيم جولات لاحقة في محاولة لإحياء عملية السلام تتضمن إشراك القوى السياسية المعارضة والأجنحة المتمردة الجديدة التي لم تكن جزءاً من اتفاقية السلام سنة ٢٠١٥، كما منظمات المجتمع المدني والأحزاب السياسية الأخرى، وفق جدول زمني محدد وموجهات عامة، فيما نص قرار مجلس الرؤساء على أجندة ملتقى إحياء الاتفاقية وفق النقاط الثلاث الآتية:

إعادة النظر في الجدول الزمني لتطبيق الاتفاقية.

مثّلت النقاط الثلاث أجندة عملية إحياء اتفاقية السلام بين أطراف الصراع في جنوب السودان، مع دفع الأطراف للاعتراف بعدم وجود حل عسكري والسعي نحو وقف إطلاق نار دائم وحسم الصراع في إطار التسوية السياسية، وهو ما أُمن عليه بحسب المادة (٣) من اجتماع مجلس سلم وأمن الاتحاد الإفريقي بالاعتراف بوجود اتفاق سلام بطيء التطبيق هو الأفضل للتسوية السياسية.

تمخضت الجولة الأولى في أديس أبابا، من ملتقى إحياء اتفاق السلام، عن اتفاق لوقف العداء ووقف إطلاق النار، كما تم الاتفاق على تحديد نقاط الخلاف في النقاط الثلاث التي تستهدفها عملية إحياء الاتفاقية.

أما الجولة الثانية في أديس أبابا، فانصبت على مطالبة الأطراف المتفاوضة بتقريب وجهات النظر لإتاحة الوساطة للتفاوض المباشر الذي طالب به الفرقاء، ومنحت الوساطة ذلك الطلب الاعتباري اللازم بترك التفاوض بين أطراف الصراع برعاية وفد مجلس كنائس جنوب السودان المراقب وسكرتارية قدمها ممثلو منظمات المجتمع المدني.

أما الجولة الأخيرة في أديس أبابا، في شهر يونيو/حزيران ٢٠١٨، فقد حاولت وضع نهاية للركود عبّر عنه بتنظيم لقاء مواجهة بين الرئيس سلفاكير ميارديت وخصمه الرئيس ريك مشار، ثم اختتمت الجولة بتقديم مسودة اتفاق سلام سُميت باتفاق التجسير، لكنه رُفض من كافة أطراف النزاع.

سياق مبادرة الخرطوم

استشف رئيس الوزراء الإثيوبي غياب وحدة الموقف الإقليمي بعد أن تبين أن هناك رغبةً جادةً في إنهاء الصراع في جنوب السودان. وبوصفه رئيس منظمة الإيغاد، اقترح أن تنتقل الوساطة إلى دول أخرى. وعلى هذا الأساس، اقترحت قمة رؤساء الإيغاد، في ٢١ يونيو/حزيران ٢٠١٨، بناءً على طلب السودان تكليفها برعاية الوساطة وفق المادة (٩) من إعلان الرؤساء، وبتنظيم جولة تفاوض يتم فيها لقاء مباشر بين الرئيس سلفاكير ميارديت ورياك مشار في جولة ثانية بعد لقاء أديس أبابا.

نص قرار مجلس رؤساء الإيغاد على أن يبحث السودان القضايا العالقة في الترتيبات الأمنية والقضايا المتعلقة بالحكم والسلطة التي أوردتها مسودة اتفاقية التجسير التي قُدمت بالإضافة إلى بحث سبل تحسين الاقتصاد في جنوب السودان وفق اتفاق التعاون بين جنوب السودان والسودان.

كما جاء في إعلان رؤساء قمة الإيغاد أيضاً ضرورة أن تستهل الخرطوم الوساطة بتقديم الرئيس السوداني، عمر البشير، الرئيس أوهور كينيا، رئيس كينيا، مشاراً إياه نتيجة جهوده بحسب المادة (١٠). على أن ينظم الرئيس أوهور كينيا الجولة الثالثة بين الرئيس سلفاكير ميارديت ورياك مشار في نيروبي وبعده يقدم تقريراً لمجلس رؤساء الإيغاد في الجولة العادية القادمة.

بدأت الخرطوم عملية الوساطة بزخم التنسيق مع رئيس جمهورية أوغندا الغريم للدود للسودان، فأوغندا الجارة الجنوبية لجنوب السودان ظلت العمق الاستراتيجي لحزب الحركة الشعبية الحاكم، بينما كانت الخرطوم المأوى التاريخي للمعارضة المسلحة مع بدء صراعات الحركة الشعبية الداخلية منذ العام ١٩٩١ بقيادة أقطابها ريك مشار ولام أكاويين.

كان للتحرك السوداني صده، إذ إن تعاون السودان وأوغندا، وهما الطرفان الإقليميان الأساسيان، مكنهما من الضغط سوياً على أطراف الصراع في جنوب السودان لوضع تعهد شامل بإنهاء كافة أشكال النزاع المسلح وتوقيع إعلان الخرطوم في ٢٧ يونيو/حزيران ٢٠١٨.

آفاق اتفاق مبادرة الخرطوم

ظل مجلس رؤساء الإيغاد يثمن أية جهود تسعى لحل الأزمة في جنوب السودان وإيجاد حلول سياسية حتى مع ظهور جهود موازية لجهوده، كما ظل يعترف بها كجهود مكملة للوساطة. ومن ذلك، جهود الرئيس أوغندي، يوري موسيفيني، المنسقة مع الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، لإعادة توحيد الحركة الشعبية لتحرير السودان. لم يضمن مجلس الرؤساء عن تقديمه الدعم حتى لجهود الرئيس سلفاكير ميارديت، رئيس جمهورية جنوب السودان، حين سعى لتنظيم مبادرة حوار وطني شامل بقيادة كبار رموز جنوب السودان السياسية في محاولة لضم أكبر قدر من المعارضين للمشاركة سواء العناصر السياسية المناوئة والمعارضة والمقاتلة. يُنظر بإيجابية للوساطة التي يقوم بها السودان في إطار التحركات الإقليمية تلك، كما يُتوقع أن لا تثير أية اتفاقية تنتج عن منبر الخرطوم ردود أفعال دولية نظراً لحساسية وضع جمهورية جنوب السودان بالنسبة لمحيطها الإقليمي ودور الفاعلين الدوليين بها. لذا، فإن النظر لآفاق أي اتفاق ينتج عن مبادرة الخرطوم ينبغي اختزاله وفق النقاط الآتية:

*تأثيره على السودان.

*تأثيره على جنوب السودان.

*تأثيره على الإقليم.

*التوازنات الدولية.

المعطى الأول: تأثير الاتفاقية على السودان

تعتبر وساطة السودان بين أقطاب الصراع في جنوب السودان فرصة تاريخية للجميع، فهي أولى خطوات تقاطع خطوط السودان مع جنوب السودان في الإطار الإيجابي بعيداً عن الجوانب السلبية التي دأبت على طبع العلاقة والصلات بين البلدين، وما يترتب على ذلك من صراع مباشر ومن عمل على دعم وتقوية الحركات المتمردة لإسقاط نظام الحكم في جوبا، وحرب حدودية على منطقة بان طاو (هجليج) في ٢٠١٢.

إن التغيير في سلوك الخرطوم مؤخراً يتوافق مع الشروط الأمريكية لرفع العقوبات عن السودان وإدماجه في المجتمع الدولي، وتقيد الخرطوم بالالتزام بدور إيجابي في جنوب السودان. فضلاً عن هذا فللسودان نفسه مصلحة في لعب دور الوسيط في صراع جنوب السودان على المستوى الإقليمي ليتحول إلى فاعل أساسي ومؤثر.

من ناحية أخرى، يعمل السودان على تجسيد صورة الأخ الأكبر الحريص على تحسين الأوضاع الأمنية في جنوب السودان نظراً للأواصر التاريخية، فضلاً عن تضرر السودان من توافد اللاجئين والصعوبات الاقتصادية التي تصنعها الحرب في جنوب السودان وانعكاسات توقف تصدير البترول جنوب السوداني عبر السودان وعليه.

ولا شك أن فرصة لعب السودان دوراً فاعلاً كصانع للسلام لكفيلة بأن يتناسى العالم الحروب الأهلية التي تدور رحاها بالسودان والتي لم تضع أوزارها بعد في دارفور وجبال النوبة والنيل الأزرق. يمكن أن تتجسد فوائد الوساطة السودانية في نقطتين، هما:

أولاً: كسب حضور إقليمي للخرطوم: ونعني به أن دور منظمة الإيغاد في السودان محوري، وهي المنظمة التي أنهت أطول حرب أهلية في إفريقيا حيث قامت برعاية الاتفاقية التي أدت إلى قيام دولة في جنوب السودان عام ٢٠١١. غير أن السودان لم يكن يظهر بمظهر المخير في صناعة القرار في المنظمة حينذاك. وتعتبر وساطة الخرطوم ونتيجتها الإيجابية المأمولة فرصة لإعادة دمج السودان في ريادة الإقليم، كما تعتبرها الخرطوم فرصة لفرض حضورها في شأن جنوب السودان الذي انفردت به إثيوبيا طويلاً، فيما سلام واحد يُغلق إحدي البؤر يعتبر إنجازاً يُحتفى به في إقليم مضطرب.

ثانياً: تمرير بعض الأجندات الاستراتيجية: حيث يعتبر السودان استقرار جمهورية جنوب السودان أمراً استراتيجياً بالنسبة له، خصوصاً إذا كان ذلك الاستقرار سيسفر عن تشكيل حكومة موالية له أو قيام سلطة مشكلة من فاعلين من ساسة جنوب السودان لا تنازع السودان في الحدود. على أن إعلان اتفاقية الخرطوم وخصوصاً المادة (٥) قد تضمنت أولويات استراتيجية بالنسبة للسودان ومنها العمل على إعادة تأهيل حقول النفط في جنوب السودان في مربعات ١، ٢، ٤ و ٥A، فضلاً عن استعانة حكومة جنوب السودان بجيش السودان لحماية مناطق إنتاج البترول. وعليه، يمكن تلخيص هذه الأولويات على النحو الآتي:

- نفوذ سوداني جديد على حقول النفط في جنوب السودان.
- إيجاد موطئ قدم للعمالة السودانية بجنوب السودان.
- نشر الجيش السوداني داخل أراضي جنوب السودان.
- تمديد أجل اتفاقية المساعدة المالية (النفط) الذي انتهى قبل ثلاث سنوات عام ٢٠١٥.

المعطى الثاني: تأثير الاتفاقية على جنوب السودان

سوف تترتب على مبادرة الخرطوم التأثيرات التالية على جنوب السودان، وتتلخص في نقطتين هنا: فرصة صناعة السلام وفق نظرية تبادل المصالح: حيث يعي قادة أطراف الصراع السياسي في جنوب السودان أن الخرطوم لم تستضف مبادرة الوساطة بينهم رغبة في إنهاء النزاع فحسب، بل أيضاً تبحث الخرطوم عن حضور سوداني له ما بعده" سواء أكان إقليمياً أو دولياً كما في جنوب السودان. وكانت الخرطوم قد قدمت مسودة أولى ليوقع عليها الرئيس سلفاكير ميارديت ورياك مشار، يوم ٢٦ يونيو/حزيران ٢٠١٨، لكنهما تفاديا توقيعها بحنكة ودبلوماسية. وقد تجاوزت الوساطة السودانية عدم التوقيع على المسودة الأولى لصناعة السلام وسعت لفرض أجندة الخرطوم في وضع مناطق البترول في جنوب السودان تحت حماية جيش السودان، كما سعت لتحديد عاصمة البلاد بتقديم اقتراح بتنقل العاصمة في ثلاثة أقاليم متجاوزة بذلك اقتراح التجسير الذي تم تقديمه في أديس أبابا. إن توقيع إعلان الخرطوم كان لأغراض إعلامية كما يمكن اعتباره احتفالاً مبكراً بأمر لم يتم بعد نظراً لاستمرار خروقات وقف إطلاق النار، وهي تطورات قد لا تبشر بحضور الخرطوم المرجو والمأمول في شأن جنوب السودان.

٢. الحل السلمي وبناء الوحدة الوطنية: يعتبر منبر الخرطوم فرصة لإنهاء الحرب، وهو مكسب لشعب جنوب السودان رغم عدم ثقة الجميع في وساطة السودان" لكونها الدولة الوحيدة التي تُصنّف جمهورية جنوب السودان "دولة عدوة" وفق قانون صادر بالإجماع من برلمان السودان، بتاريخ ١٦ أبريل/نيسان ٢٠١٢، وهو تشريع لم يُعدّل ولم يُلغَ بعد. كما أن قادة الحركة الشعبية على تباين أجنداتهم لم يتناسوا سياسة السودان التي أعلنها رئيس البرلمان السوداني حين قال: "نعلن أننا سنصادم الحركة الشعبية إلى أن ننهي حكمها في جنوب السودان، وقد جمعنا كل جهودنا للوصول إلى هذا الهدف". لذا، يتساءل المراقب عن مدى صدقية الجهود المبذولة في منبر الخرطوم للوصول إلى رأب الصدع بين فرقاء الحركة الشعبية لتحرير السودان.

المعطى الثالث: التأثيرات المترتبة إقليمياً

إن الحضور الأوغندي في منبر الخرطوم لم يأت خالياً من الاشتراطات أيضاً" فأوغندا تريد أن تمتنع الخرطوم عن دعم الجماعات المناوئة لكمبالا مثل جيش الرب، كما أن السودان سيجني نجاحاً أكيداً لتمرير مبادرته من وجود أوغندا على الطاولة أو في أروقة التفاوض، كما ستستفيد كمبالا من تهدئة الجبهة الحدودية وسيزيد توقيع الاتفاقية من تحسين صورتها دولياً وإقليمياً. إن التحالف الجديد بين السودان وأوغندا يهدف إلى عودة قوية لكليهما في الساحة الإقليمية نظراً لكونهما الأقرب جغرافياً لجنوب السودان والأكثر تفهماً لقضاياهما بدلاً من استئثار إثيوبيا وكينيا بصناعة القرار الإقليمي.

المعطى الرابع: التوازنات الدولية

تقف الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة وسط بين التشكيك في مساعي منظمة الإيغاد ومساندة جهودها" ذلك أن واشنطن تساند المنظمة بالمال تارة، وتقف بالمرصاد لجهودها تارة أخرى. لقد فرضت أمريكا عقوبات على خمس عشرة شركة من شركات النفط جنوب السودانية، كما فرضت عقوبات على قادة من جيش جنوب السودان الموالي للحكومة، وعلى بعض الحركات المتمردة واصفة إياهم بالمسؤولين عن انتهاكات تمس حقوق الإنسان. كما فرضت واشنطن عقوبات أحادية تجسدت في حظر بيع السلاح لجنوب السودان، ثم فرضت عقوبات ضد أفراد لاتهامها إياهم بالعمل ضد السلام.

ورغم نجاح مبادرة الخرطوم في إعلان وقف دائم لإطلاق النار، فقد استمرت جهود الولايات المتحدة في فرض عقوبات حظر السلاح عبر مجلس الأمن الدولي" وذلك له دالتان: الأولى: أن الإدارة الأمريكية لا تعترف باتفاقية الخرطوم وما قد ينتج عنها من وقف شامل للحرب، والثانية: أنها تريد أن تنزع الشرعية عن حكومة جوبا وتشجع المعارضة المسلحة على تغيير النظام بما يقود لتعطيل جهود الوساطة واستمرار أوار الحرب من جديد. على أن نجاح مبادرة الخرطوم في الوصول بأطراف النزاع للتوقيع على اتفاق شامل بما يتناسب مع أجندة عملية إحياء اتفاقية السلام التي وضعها رؤساء الإيغاد، يُعزّي الهدف الأمريكي، ويُعطي الفرصة للسودان للظهور كلاعب إقليمي يسعى لصناعة السلام.

العراقيل التي تعترض مبادرة الخرطوم

تعاني مبادرة الخرطوم من عدة عراقيل يمكن استخلاصها من قراءة التأثيرات الدولية والإقليمية والداخلية في جنوب السودان. إن السياق الذي وُلدت فيه أولى مسودات مبادرة السلام بجنوب السودان مثل إعلان الخرطوم حول اتفاقية أطراف النزاع في جنوب السودان المتعلق بالوقف الدائم لإطلاق النار، وكذلك المسودات التي قُدّمت بهدف إنهاء الخلاف حول المسائل العالقة تعاني من عدد من العراقيل، من أبرزها:

١. غياب التفاوض المباشر: ذلك أن مبادرة الخرطوم ركزت على التفاوض غير المباشر عبر الوسيط، كما عمدت الخرطوم إلى تشكيل فريق وساطة خاص بها برئاسة وزير خارجية السودان، ثم ظهر جلياً أن الخرطوم تدفع بأجندة تستوعب مصالحها الذاتية في المقام الأول في خضم المواد المتعلقة بترتيبات مصالحة الأطراف المتصارعة.

إن عملية تركيز الوساطة في يد الدولة المضيفة لها بدلاً من المبعوث الخاص للمنظمة يعد إضعافاً للدور الإقليمي "لأن إدخال المصالح الوطنية يصطدم برغبة دول الإقليم الأخرى الساعية للحفاظ على مكتسباتها ومصالحها، وهذا ما قد يقود إلى صراع إقليمي أو تكالب نفوذ على السلطة في جنوب السودان والذي شهد له السيد أتييم قرنق بأنه "الدليل على صراع حكومات دول (الإيغاد) حول كيف يمكن أن تخرج كل دولة بغنيمة ما من جنوب السودان، فالمهم لدى هذه الحكومات ليس استقرار جنوب السودان وإنما ما تستفيده وتنتفع منه كل حكومة وإلا فليستمر القتال!".

٢. التفاوض مع الوسيط بدلاً من الغريم: أن يتسنى للوسيط أن يجعل نفسه طرفاً في الصراع ويصبح مفاوضاً إما باسم آخرين دون علمهم، أو يطرح مواقف تفاوضية كحلوف توفيقية يفاوض عليها الأطراف أمر يعقد الوساطة، وكان من الأجدر أن ينحصر التفاوض بين الغرماء فيما يسعى الوسيط إلى توفير البيئة الملائمة لبناء الثقة. أما أن يجعل الوسيط نفسه طرفاً في الصراع فذلك يعني أنه أصبح جزءاً من المشكلة وليس طرفاً في الحل، كأن يلوم أحد الأطراف مثلما فعل وزير الخارجية السوداني لائماً حكومة جنوب السودان واصفاً إياها بالطرف الوحيد الذي رفض توقيع مسودته، ذاكراً أن كل الأطراف وافقت عليها مما جعل الوسيط غريباً وطرفاً في الصراع" مما حدا بالسيد مايكل مكوي، وزير الاعلام والبعث والناطق باسم حكومة جنوب السودان لأن يصفه "بأنه لم يكن صادقاً مع نفسه".

٣. غياب الثقة: تهدف عملية الوساطة إلى تغيير سلوك الفرقاء من الخصام إلى الشراكة سعياً لإيجاد حل لمعضلتهم التي استوجبت الوساطة، غير أن الوسيط الذي يضع نفسه صانعاً للحلول لا يبغى السلام إنما يبغى نصراً مؤقتاً سينتهي إلى صراع جديد بين ذات الفرقاء نظراً لأن العامل الأساس في خلافهما لم يُحل. تسعى الخرطوم بشكل حثيث للنجاح في وساطتها بتقديم وثيقة نهائية" مما جعلها تغفل الدور الرئيس للوسيط وهو تقليل حدة العداء وبناء الثقة بين الفرقاء، مما جعل الناطق باسم البيت الأبيض الأمريكي يصرّح بأن الولايات المتحدة الأمريكية تتشكك في قدرة نجاح الرئيس سلفاكير ميارديت ونائبه الأول على إكمال الفترة الانتقالية والانتقال السلمي إلى التحول الديمقراطي في الفترة المرجوة.

إن غياب الثقة لا يقتصر على الفرقاء فقط وإنما يشمل الثقة في الوسيط أيضاً" حيث إن حكومة السودان تمثل العدو التقليدي لجنوب السودان" لذا قوبلت وساطة الخرطوم بالتشكيك من قبل قادة الرأي والسياسة حيث كتب السيد أتييم قرنق دي كويك، وهو عضو برلمان جمهورية جنوب السودان، أنه "من الصعب منطقياً تقبل العقل جديّة الخرطوم وأهليتها لقيادة ما يمكن أن يجلب الخير والسلام والاستقرار لجنوب السودان".

خلاصة

تهدف مبادرة الخرطوم إلى وضع اتفاقية سلام بين فرقاء جنوب السودان، بينما نجاح المبادرة سيعيد للخرطوم حضورها الإقليمي كما سيعيد لها بريق صناعة القرار في جنوب السودان. وأياً كانت الآراء حول نوايا الخرطوم، فإنه يحسن أن يتم النظر إلى أي اتفاق قد ينتج عن مبادرة الخرطوم من واقع نصوصه، ومن الأجواء الإقليمية والمواقف الدولية التي تتم في ظلها عملية صناعة القرار في الوساطة التي تقودها حكومة السودان.

إن الخرطوم، بتواصلها مع أوغندا، فرضت على الإقليم التريث في شأن جنوب السودان واعتبارهما جزءاً من الحل وليس جزءاً من الأزمة، كما أن التعاون بينهما أعاد ترتيب الأوراق داخل الإيغاد" بحيث إن استبعادهما من صناعة السلام ربما كان له الأثر في تأخير الوصول إلى اتفاقية شاملة ومرضية.

كما يجب على الأطراف الدوليين والإقليميين النظر في موضوع العقوبات التي تأتي دون مراعاة للتطورات التي تحرزها الوساطة، فالعقوبات سلاح ذو حدين، قد تخدم القضية بتركيز انتباه الأطراف صوب الحلول المطروحة، وقد تعيدهم للمربع الأول.

* أليو قرنق، باحث في قضايا الأمن والسلام في القرن الإفريقي وشرق إفريقيا.

في مخاطر الإعلام الجديد على الديمقراطية

*علاء بيومي

العربي الجديد: ٢٠١٨/٧/٣١

لا توجد وسائل إعلام مثالية، فلكل جيل من وسائل الإعلام مزايا وعيوب، ولو نظرنا إلى الإعلام التقليدي، كالصحف والفضائيات، لوجدنا أنها ساعدت عقوداً في تعميق وعي الشعوب، من خلال نشر المعارف ووجهات النظر المختلفة والأحداث فور وقوعها، لكنها، في الوقت نفسه، وسائل عالية التكلفة، تخضع باستمرار لرقابة الحكومات والجهات المالكة، ناهيك عن تعرضها لمخاطر التحزب، وخدمة المصالح الخاصة، وهو ما دفع الأجيال الشابة في العالم العربي إلى التوجه، بشكل متزايد، نحو وسائل الإعلام الجديد، لما تتميز به من إتاحة وانفتاح، خصوصاً شبكات التواصل الاجتماعي، فيسبوك وتويتر وغيرهما، والتي يرى بعضهم أنها لعبت دوراً محورياً في دعم انتفاضات الربيع العربي.

وتتميز وسائل التواصل الاجتماعي بسرعتها الفائقة، وبصعوبة إخضاعها للرقابة، وبإتاحتها الفرصة أمام جميع مستخدميها، للتعبير عن ذاتهم، والتحول إلى مصدر للمعلومة، ومحرراً لها وحكماً عليها، فوسائل التواصل عصية على الرقابة، ويمكن لمتابعيها اعتناق أي فكر يترددون عليه من دون قيود أو شرط، أضف إلى ذلك مساعدة وسائل التواصل الفئات المهمشة على التنظيم والتكتل، كما حدث في الربيع العربي، حيث تحولت مجموعات شبابية على "فيسبوك" إلى منابر لتنظيم (وتحريك) فئات واسعة من الجماهير، كان يصعب تصور إمكانية حشدتها في الماضي. ولكن وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام الجديد، بما في ذلك يوتيوب والتطبيقات الإلكترونية المختلفة، لا تخلو من عيوب واضحة، تهدد بتحويلها خطراً جسيماً على الديمقراطية ومساعي الانتقال الديمقراطي. والحديث هنا بالأساس عن عيبين أساسيين، أولهما يتعلق بطبيعة وسائل التواصل، باعتبارها منابر إعلامية لا تخضع، في أحيان كثيرة، لمعايير التحرير والانضباط المفترض توفرها في وسائل الإعلام ذات المصداقية، وثانيها يتعلق بعلاقة وسائل التواصل بالديمقراطية نفسها، كعملية ونظام سياسي، وهي القضية الأهم والأخطر.

وفي ما يتعلق بالعيب الأول، يفتقر مستخدمون كثيرون لوسائل التواصل الاجتماعي للخبرات والمعايير التي تتوفر في المؤسسات الإعلامية الجادة، حيث يتحول كل شخص إلى ناشر للمعلومة، من دون امتلاكه أدوات ضرورية، كالقدرة على التحقق منها، والحكم عليها وفقاً لمعايير أخلاقية ومهنية واضحة، ما ساهم في انتشار ظاهرة الأخبار الكاذبة، خصوصاً مع سعي الحكومات والجماعات المنظمة المستمرة إلى الهيمنة على وسائل التواصل الاجتماعي، من خلال الحسابات المزيفة والإعلانات وترويج أخبار كاذبة، واستخدام المشاهير والمحتويات الجذابة، ولو مضللة. كما يخلط كثيرون من رواد وسائل التواصل الاجتماعي بين الشهرة وعدد المتابعين من ناحية، ومصداقية المصدر وقدرته وحرصه على تحري المعلومة الصحيحة وكشف معلومات جادة تخدم الرأي العام من ناحية أخرى، لذا يشتكي كثيرون من تحول وسائل التواصل الاجتماعي إلى وسائل لنشر الأكاذيب وخطاب الكراهية والاستقطاب، وتشويه السمعة من دون قيود أو عقاب.

أما العيب الأهم لوسائل التواصل الاجتماعي، فهو مناقضتها بعض أهم مبادئ الديمقراطية، فكرة وعملية ونظاماً سياسياً، فالديمقراطية أكبر بكثير من التدفق الحر وغير المقيد للمعلومات، هي نظام أكثر تعقيداً بكثير، ومليء بالضمانات الهادفة إلى حماية الشعوب من التلاعب بإرادتهم، وتتطلب توعية المواطنين وتنظيمهم وتحريكهم باستمرار، للتعبير عن إرادتهم بشكل منظم ومؤسسي، ومن خلال مواعيد وعمليات محددة، كالانتخابات مثلاً، وحماية تلك الإرادة من خلال مؤسسات عديدة، كالبرلمانات والمحاكم والقوانين، والتي تستند على تراث ضخم من القيم الإنسانية والمشاركة والمتفق عليها. وتضمن الديمقراطية كذلك عقاب المخالفين، ومنتهكي تلك القيم والمبادئ، وحساب الحكام أنفسهم، وتغييرهم كل فترة، للحفاظ على مصالح وإرادة الأغلبية واحترامها.

في المقابل، لا تضع وسائل التواصل الاجتماعي الديمقراطية، وتصورها لدور المواطن وسبل حماية إرادته هدفاً أساسياً لها، فالإعلام الجديد يدور، في أحيان كثيرة، حول قيمة عليا مختلفة تماماً، هي مصلحة مرتاديها باعتبارهم

مستهلكين للمواقع الإلكترونية، وهناك فرق هائل بين تعامل الديمقراطية مع الفرد مواطنًا وتعامل وسائل التواصل الاجتماعي معه مستهلكًا. والمواطنة ليست حقًا فقط، وليست رخصة لإرضاء كل رغبات المواطن ونزواته، وهو في عزلة عن بقية المجتمع. تفرض المواطنة على المواطن العمل المباشر مع الآخرين، بما في ذلك من يختلف معهم، ومحاولة إقناعهم بوجهة نظره، كما تفرض عليه الحياة مع آخرين قد لا يعرفهم، والتعرض باستمرار، وبشكل مفاجئ، لوجهات نظر مختلفة، كما يحدث في الميادين العامة مثلًا، وكذلك تحميه من الآخرين (ومن نفسه أحيانًا) من خلال سلسلة هائلة من المؤسسات، كالبرلمانات والمحاكم ومؤسسات المجتمع المدني، المفترض فيها حماية القيم الإنسانية والمصالح المشتركة للمواطنين، بل ومساعدتهم على العيش سويًا في تسامح.

تتعامل وسائل التواصل الاجتماعي مع الإنسان بوصفه مستهلكًا، ووظيفتها أن توفر له ما يريد من معلومات بسرعة هائلة، وفي الظروف التي يفضلها، وفي عزلة عن المجتمع لو أراد، وبدون مجهود أو رقابة تذكر كذلك، أو مؤسسات تضمن أن تلتزم تلك المعلومات بمعايير المجتمع ومصالحه، وبمتطلبات العيش المشترك.

يتعلم مرتاد وسائل التواصل الاجتماعي قيمًا مناقضة، في أحيان كثيرة، لقيم المواطنة، فهو يتعامل بوصفه مستهلكًا على حق، مشغولًا بإرضاء آرائه الخاصة، يعيش في عزلة عن الآخرين، وفي تكتلات من أشخاص يتفقون معه في الفضاء الإلكتروني، حتى ولو لم يلتقهم مرة واحدة في حياته، كما أنه غير مشغول بتنظيم هؤلاء، أو تحويلهم إلى كيان منظم، أو كتلة تصويتية أو جماعة حقيقية صاحبة نفوذ، فيمكن أن يكون الشخص عضوًا في جماعة إلكترونية صغيرة، أو تقدر بالملايين، لكنها متفرقة على بقاع العالم أو الوطن، لا تربطها أي روابط جغرافية وغير قادرة على الصمود في أي انتخابات.

ليس مستهلك وسائل التواصل مشغولًا بتنظيم أحد، أو الاقتناع برؤى مخالفه، أو إقناعهم برأيه، كما أنه لا يمتلك أي ضمانات مؤسساتية لحماية نفسه، أو حماية الآخرين، أو لتحقيق إرادته على أرض الواقع.

ونتيجة ما سبق، قد تهدد وسائل التواصل الاجتماعي الديمقراطية، قيمة ونظامًا سياسيًا، على أكثر من مستوى، فهي تنشر قيم الفردانية والانعزال والذاتية من ناحية، وتؤدي إلى تعميق الانقسام وتفتيت المجتمعات وانغلاق الجماعات من ناحية أخرى، وتضعف القدرة على التنظيم والتواصل المباشر من ناحية ثالثة، وتساهم في تراجع المؤسسات السياسية وفكرة التنظيم السياسي بشكل عام من ناحية رابعة.

وهذا لا يعني أن وسائل التواصل الاجتماعي خطر حتمي على الديمقراطية، إذ يمكن استخدامها على نحو مناقض للأخطار السابقة، بنشر مستوى أفضل من المواد الإعلامية المحررة، وتشجيع مرتاديها على التعرف على وجهات النظر المخالفة، وتنظيم أنفسهم، والتواصل المباشر مع الآخرين، ونشر وعي أفضل بالديمقراطية ومتطلباتها. ولعل تحقيق ذلك يتطلب، قبل أي شيء، تغيير نظرنا إلى وسائل التواصل الاجتماعي، والنظر إليها بشكل أكثر موضوعية وحيادية، فلا توجد وسيلة إعلامية إيجابية أو سلبية بشكل مطلق، ولكل وسائل الإعلام مزاياها وعيوبها، ومع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، خصوصًا في أوساط الأجيال الشابة، يجب إدراك المخاطر التي تمثلها.

في بلاد تعاني من الاستبداد المتجذر كبلادنا العربية، قد تساعد وسائل الإعلام الجديدة على كسر حاجز الصمت، والهروب من الرقابة، وتنظيم المهمشين وتحريكهم، لكنها، في الوقت نفسه، قد تؤدي إلى تعميق الانقسام، والحد من القدرة على العمل الجماعي، وبناء المؤسسات والحركات المنظمة، والقدرة على العمل مع الآخرين، خصوصًا من يختلف معهم، والخضوع لرأي الأغلبية، والتعبير عن الرأي بشكل مؤسسي ومنظم، ومن خلال إجراءات ومواعيد منظمة، وكلها من متطلبات الانتقال الديمقراطي الأساسية.

العقل الإسلامي الفلكوري

*سالم سالمين النعيمي

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية : ٢٠١٨/٧/٣١

لا يُصلح البشر الدين، وإنما يُصلح الدين البشر. والدين هنا ليس المقصود به حصراً الدين الإسلامي في مخطوطات ووثائق ومراجع وعلماء ومشايخ وتفسيرات ومفاهيم مرتكزة على القول بوجود وحدة أصلية بين التراث المكتوب والنص السماوي المحفوظ، وبين القول إن الإنسان مفطور على أخلاق التوحيد ومعانيه، ولذلك لا بد من إخضاعه للدين الإسلامي، وكيف نقول إن الإسلام دين الفطرة وقد اختزل القرآن الكريم الفطرة وماهيتها للمسلم، ومن ثم نقول في مفارقة كبرى إن فطرة المسلم بحاجة لكهنوت يوطر لها ولا تقوم ولا تصلح من دونه والخروج من إطار قدسية النص إلى هيمنة وسيطرة التأويل الذي احتل حيز الدين وحوله من البساطة للتعقيد وجعله مادة علمية، وتأسيس علوم تجعل التاريخ هو الحاضر الأكبر في الإحكام والتشريعات وعلاقة مفتوحة بين القرآن والتاريخ، وصولاً إلى إسلام يبحث عن مسلمين.

ومما لا شك فيه وجود فجوة في صناعة الدين والدين كمؤسسة، وبين الدين في أكمل صورته والتمثلة في تعاليم الله بين دفتي القرآن، وذلك يعود لتداخل الدين والسياسة وغياب الحوار بين من فهم وفسر النص القرآني وجعل فهمه جزءاً أصيلاً من الدين ورحل عن الحياة منذ مئات السنين، وبين الشارع المسلم اليوم وعبر القرون، والجدار الذي شيد بين المُلقي والمتلقي من خلال وسطاء ليس لهم حصر جعلوا الدين وفهم النص من خلال مؤلفاتهم لشرح فهم مرجعهم الذي في الأساس بينه وبين المسلمين فراغ زمني وفكري شاسع، ونشر وهم أن فهماً مُعيناً هو أكثر إيماناً والأقرب للصفاء والنقاء الديني، ومن ثم نستغرب من أين جاء الإرهاب والتطرف، وكيف أن شيوخاً قد رحلوا من مئات السنين لا يزال فكرهم حاضراً كالشيخ ابن تيمية وأهميته الاستثنائية كون الرجل يقيم بقوة بين ظهرانينا اليوم، على رغم مضي ثمانية قرون على وفاته بالجسد، بينما تداعيات فهم وتفسير فكره قائمه بيننا تقود المنظومة الفكرية للتيارات المتعصبة اليوم.

وفي الغالب لا يشغل تفكير المسلم مدى صحة ما تم تدوينه وتداوله من كتب التراث الإسلامي وهو يقر بصحته بالتبعية! ناهيك عن الاعتقاد الأعمى بأن الرموز الدينية التراثية فوق النقد والقراءات للنص القرآني تعادل تشريعات، والاختلاف في التأويل رحمة، والقول بحديث «إن اختلاف أمتي رحمة» وهو حديث متداول جداً، بين الناس وهو ضعيف. وقد بنيت عليه منظومة ثقافة دينية كاملة نعاني من ويلاتها في وقتنا الحاضر، وبالمقابل فإن قبول التجديد في فهم الدين يبدأ من داخل الإنسان كضرورة للانسلاخ التدريجي من الأفق الأنطولوجي الضيق الذي يدعونا إلى العودة عبر الذاكرة وتطبيق فهم حصري للنص الذي له سبب نزول واضح ومحيط معلوم.

فهل نستطيع أن نقرأ التراث الإسلامي ومنتج المدارس الإسلامية والرموز التاريخية بعيداً عن زمن إنتاج النص؟ أم ربطه بزمن المسلم اليوم ومعضلة وصفه بالرجعية، وكأن القدم متلازم مع التخلف، وكل ما هو حديث هو الأنسب والأصلح بعيداً عن ما ينفع البشرية اليوم وفي المستقبل. فعندما نضع قواعد محددة لفهم الدين، ونقول إن فئة مختارة لها الحق أن تفهم النص القرآني فنحن نعطيها قوة خارقة، والحكمة يأتيها الله من يشاء وليست مسألة شروط وأحكام. وقد حدد الله في كتابه ما معنى أن يكون الإنسان مؤمناً، ولا يوجد نص واحد يدعو المسلم أن يتبع مذهباً أو شيخاً، وهو ليس الأصل في الإسلام؟

وهل أراد الله للقرآن أن يكون نصاً فوقياً لا تفهمه غير قلة قليلة من الناس، وكمسلمين لا بد من إعادة برمجتنا وأن نتساءل هل القرآن الكريم المحكمة آياته والمفصلة من لدن خير عليم، لم تفصل فيه وتبين فيه، حسب ما ذكره رب العزة، الآيات التي فيها خير البشرية، ويدخل الإنسان الجنة بصورة واضحة لا لبس ولا اشتباه فيها؟

فالانقسام الذي حدث بين المسلمين عبر العصور، ولا يزال قائماً وسيستمر، حدث بسبب تراث كُتب خلال الأزمات التي مر بها المسلمون منذ البداية ومن ينتصر لهذا أو ذاك من موت الرسول ليومنا هذا. والشرح الذي حصل شكّل الوعاء العام الذي أنتج من خلاله المسلمون معظم علومهم، وهي حقيقة اتصال الموروث الإسلامي بانقسام المسلمين، وكلاً ينفي الآخر، وكل فئة لا تعترف بأن الآخر إسلامه كامل وصحيح.

رهانات العرب بعد سقوط كل الخيارات

*د. محمد السعيد إدريس

مركز الاهرام للدراسات: ٢٠١٨/٧/٣١

لسنوات طويلة ظل الكيان الصهيوني ومؤسسه وقادته وحلفاؤه من دول العالم خاصة الغرب الاستعماري، وفي المقدمة منه بريطانيا والولايات المتحدة يتسترون على الحقائق والمكونات التي تأسس عليها هذا الكيان من أهداف وأدوار.

ربطوا بين «الصدمة» وبالتدرج في الإفصاح عن هذه المكونات. كان التدرج والمخادعة هما السمة العامة، وعندما يدركون أن الظروف باتت مواتية يسارعون بفرض الصدمات وذلك بشن حروب التوسع وسياسات القهر والعدوان على الشعب الفلسطيني والدول العربية المجاورة ابتداءً من حرب ١٩٤٨ وبعدها العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، ثم عدوان يونيو ١٩٦٧، ثم الحروب المحدودة والاعتداءات على الشعب الفلسطيني. كان العامل الحاكم في هذه السياسة هو «الرهان على الزمن» والثقة بأنه يعمل لصالحهم وليس لصالح العرب والفلسطينيين بالأساس، من هنا كان رفضهم لكل مبادرات السلام، وكل قرارات الشرعية الدولية والإصرار على التأسيس لشرعية بديلة حاکمة هي شرعية «القوة الإسرائيلية» ومتطلبات الأمن والتوسع الإسرائيلي لفرض السلام الذي يريدونه.

اهتموا بإعلان إسرائيل دولة ديمقراطية لإخفاء حقيقة كونها دولة عنصرية بغيضة، لأسباب تتعلق بالرهان على الزمن و التاريخ ومخادعة العالم، تماماً كما أخفوا حقيقة كونهم دولة نووية، واختاروا ما سموه بسياسة «الخداع الإستراتيجي». ظلوا يخادعون العالم بإخفاء هذه الحقائق على اعتبار أن الوقت لم يكن مناسباً للإفصاح عنها وبالذات بالنسبة لهوية الدولة والتوسع الاستيطاني، ولعل هذا ما يفسر أسباب رفضهم لمبادرة السلام العربية الصادرة عن مؤتمر القمة العربية الذي عقد عام ٢٠٠٢ في بيروت، وهي المبادرة التي قبلت، بمقايضة الانسحاب الإسرائيلي الكامل من كل الأراضي العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ بالتطبيع الشامل للعلاقات بين الدول العربية وإسرائيل.

رفض الإسرائيليون منذ عام ٢٠٠٢ مبادرة السلام العربية لأنهم كانوا يريدون من العرب السلام والتطبيع الشامل دون دفع أي ثمن، أي دون الانسحاب من الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧، لقناعتهم بأن بمقدورهم أن يفرضوا على العرب تطبيع علاقاتهم مع إسرائيل دون دفع أي ثمن للفلسطينيين، ويبدو أنهم أضحوا الآن على قناعة بأن بمقدورهم أن يفرضوا ذلك، ولعل هذا ما حفزهم على إصدار ما يسمى بـ «قانون الدولة القومية» الذي يجعل من فلسطين وطناً وأرضاً للشعب اليهودي دون غيره، ويجعل حق تقرير المصير حقاً لليهود دون غيرهم على هذه الأرض، ويجعل اللغة العبرية اللغة الرسمية الوحيدة في البلاد، ويجعل العرب مجرد أقلية، ومن ثم يفرض على عرب فلسطين حتمية القبول بأحد خيارين إما الرحيل من الدولة إلى خارجها، وإما القبول بالدونية وأن يتحولوا إلى مجرد أقلية ليس من حقها المطالبة بالمواطنة والحقوق المتساوية. هكذا أشهرت إسرائيل عنصريتها دون خجل وضربت عرض الحائط بما كان يسمى «ديمقراطية»، لم تكتف بذلك بل شرعنت هذه العنصرية بهذا القانون الذي يُعلي من شأن يهوديتها. فالقانون ينص على أن «إسرائيل هي الوطن التاريخي للشعب اليهودي»، وأن حق تقرير المصير فيها «يخص

الشعب اليهودي فقط» لم يكتف بالنص على أن «إسرائيل هي دولة الشعب اليهودي» بل نص على أنها «وطن الشعب اليهودي» ما يعني تبني أكذوبة أن فلسطين هي أرض الشعب اليهودي فقط، هي «أرض الميعاد» وهي «عطاء من الرب» لا يمكن التفريط فيه، وأن الوجود العربي كان وجوداً احتلالياً، وأن حرب ١٩٤٨ هي «حرب الاستقلال» وأن الأرض التي يقومون بالاستيطان فيها ابتداءً من القدس إلى معظم أراضي الضفة الغربية ليست احتلالاً بل إن ما يقومون به هو توسع في الوطن الإسرائيلي، لذلك نص هذا القانون على أن «الدولة تعتبر تنمية الاستيطان اليهودي قيمة قومية وستعمل على تشجيع ودعم تأسيسه»، كما نص على أن «القدس الكبرى والموحدة والكاملة عاصمة إسرائيل وأن اللغة العبرية هي لغة الدولة الرسمية، وأن الهجرة التي تؤدي إلى المواطنة المباشرة هي لليهود فقط» ما يعني الإنهاء الكامل لحق العودة بالنسبة للشعب الفلسطيني، وجعل العودة حقاً مطلقاً لليهود دون غيرهم. كم كان ملفتاً ما حدث عقب التصويت على هذا القانون والتصديق عليه من الكنيست من جانب بنيامين نتنياهو هو رئيس الحكومة.

فقد تقدم إلى منصة الكنيست وقال مخاطباً العالم كله، وفي القلب منه العالم العربي، وليس فقط الإسرائيليون «أن هذه لحظة مؤسسة في تاريخ الصهيونية، وتاريخ دولة إسرائيل، فبعد ١٢٢ عاماً من نشر هيرتسل حلمه (ثيودور هيرتسل مؤسس المشروع الصهيوني والمشرف على انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧). ثبتنا بقانون، المبدأ الأساسي لوجودنا. إسرائيل هي الدولة القومية للشعب اليهودي.. أنا أكرر: هذه دولتنا، دولة اليهود»، وكم كان ملفتاً أيضاً حرص النائب آفي ديختر، المبادر الأول لإعداد هذا القانون (وزير الشاباك «أمن الدولة» الأسبق) على أن يوضح لزعماء ونواب الشعب الفلسطيني في الكنيست من أعضاء القائمة العربية المشتركة الحدود التي يجب أن يتحركوا طبقاً لها ابتداءً من لحظة التصديق على القانون، وهي أن أقصى ما يجب أن يطمحوا إليه هو «المساواة بين الأقليات وليس المساواة القومية» وقال «كل ما باستطاعتكم فعله هو المساواة لأقليات، وليس مساواة قومية». لن تكون أي أقلية قادرة على تغيير رموز الدولة «إسرائيل ليست دولة ثنائية القومية أو ثنائية اللغة ولن تكون هكذا، إسرائيل هي الدولة القومية للشعب اليهودي».

قد يتصور البعض، عن إدراك خاطئ، أن هذا القانون يقتصر فقط على من يعيشون داخل إسرائيل أي العرب الذين يشكلون الآن ٢٠٪ من السكان، لكنه يمتد بالتأكيد إلى القدس والضفة الغربية ضمن إطار التوسع الاستيطاني والتهويد، في ظل هدف فرض فلسطين دولة لشعب واحد هو الشعب اليهودي. وهكذا يكون خيار حل الدولتين قد سقط نهائياً، وسقط معه خيار الدولة الواحدة ثنائية القومية (أي العرب واليهود) والرسالة التي يريدون فرضها بهذا القانون أنه لم يعد أمام الفلسطينيين والعرب غير القبول بأن فلسطين هي للشعب اليهودي وحده، وأن عليهم القبول بنهاية حق عودة اللاجئين الفلسطينيين.

راهن الإسرائيليون على أن الزمن يعمل لصالحهم كما راهنوا على العجز العربي الكامل، واختلال موازين القوى لصالحهم وثقة منهم أنه ليس باستطاعة العرب إسقاط السماء على الأرض مثلاً لم تسقط عندما أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب القدس الموحدة عاصمة أبدية لدولة إسرائيل، لكن يبقى السؤال الأهم وهو بعد هذا كله: على ماذا يراهن العرب بتمسكهم بـ«خيار السلام» بعد أن أسقطت إسرائيل كل الخيارات؟

عمران خان باكستان

*شاهيد بوركي

پروجيڪٽ سنڊيڪيٽ: ۲۰۱۸/۷/۳۱

ڪراتشي - سوف يصبح لاعب الكريڪيٽ عمران خان الذي تحول إلى سياسي رئيس وزراء باكستان القادم. فقد اكتمل فرز الأصوات بعد ثلاثة أيام من الانتخابات في الخامس والعشرين من يوليو/تموز، وقاد خان حزيه، حركة إنصاف باكستان، إلى النصر. يحتاج أي حزب - أو ائتلاف من أحزاب - إلى دعم ۱۳۷ عضوا في الجمعية الوطنية على الأقل حتى يتسنى دعوته لتشكيل الحكومة. وقد اقترب خان من تحقيق هذا الهدف. فبعد حصوله على ۱۱۵ مقعدا، يجب أن يكون حزب حركة إنصاف باكستان قادرا على الحصول على دعم العشرات من المستقلين وأعضاء الأحزاب الأصغر حجما. ومن المرجح أن يؤدي اليمين قبل الرابع عشر من أغسطس/آب، الذي يوافق الذكرى السنوية الحادية والسبعين لمولد باكستان.

في انصياح لمشورة مستشاريه المقربين، وبمخاطبته لجماهير الناس بوصفه رئيس الوزراء المنتخب، قال خان إنه بعد أن مارس رياضة الكريڪيٽ بات يعلم أن المباراة لا تنتهي إلى أن تُضرب آخر كرة. لكنه ظهر في وقت لاحق على شاشة التلفزيون الوطني وهو يعدّ بباكستان جديدة.

لقد أكملت البلاد واحدة من أكبر الممارسات الديمقراطية في العالم. ففي الإجمال، جرى تسجيل ۱۰۶ مليون ناخب لاختيار أعضاء الجمعية الوطنية القادمة وأربع جمعيات إقليمية. ومن هؤلاء، أدلى ۵۶ مليون شخص (ما يقرب من ۵۳٪ من الإجمالي) بأصواتهم. وقد اختار الناخبون ۲۷۰ عضوا للجمعية الوطنية. ولأن اثنين من المرشحين قُتلا في أعمال عنف سابقة للانتخابات فقد جرى تأجيل التصويت على اثنين من المقاعد المنتخبة بشكل مباشر. كما تم انتخاب ستين امرأة وعشرة أعضاء من أقليات دينية مختلفة بشكل غير مباشر من قبل الجمعيات الإقليمية الأربع، وبذلك بلغ مجموع أعضاء الهيئة التشريعية الوطنية ۳۴۲ عضوا.

تنافس أكثر من ۳۶۰۰ مرشح على مقاعد الجمعية الوطنية المنتخبة بشكل مباشر (۲۷۲ مقعدا)، بمتوسط ۱۳ متنافسا على كل مقعد. وهو دليل جيد لقياس حالة السياسة. ففي الأنظمة السياسية الأقل تطورا، يكون الانضباط الحزبي عادة أضعف من أن يحد من عدد القادرين على خوض الانتخابات.

والساحة السياسية الباكستانية مزدحمة أيضا بعدد كبير من الأحزاب - وهي علامة أخرى على عدم نضج النظام.

فبالإضافة إلى حزب حركة إنصاف باكستان، الذي أسسه خان في عام ۱۹۹۶، يتمتع حزبان آخرا بعدد حاشد من الأتباع. الأقدم بينهما هو حزب الرابطة الإسلامية في باكستان (نواز)، الذي يرجع تاريخه إلى عام ۱۹۰۶، عندما شكل السكان المسلمون في الهند البريطانية منظمة لتمثيل مصالحهم السياسية والاقتصادية في المجتمع. وبقيادة مؤسس باكستان، محمد علي جناح، نظم حزب الرابطة الإسلامية الباكستانية حملة لإنشاء دولة منفصلة للسكان المسلمين في الهند. ومنذ استقلال باكستان في عام ۱۹۴۷، عاد الحزب إلى الحياة في عدة أشكال: وكان أحدث أشكاله الرابطة الإسلامية الباكستانية (ن) بقيادة رئيس الوزراء السابق نواز شريف والآن بقيادة أخيه شهبان.

تأسست القوة السياسية الرئيسية الأخرى، حزب الشعب الباكستاني، على يد ذو الفقار علي بوتو في عام ١٩٦٧، بعد أن استقال من الحكومة التي كان يترأسها مرشد الجنرال أيوب خان، أول قائد عسكري للبلاد، بسبب خلافات حول سياسات خان في إدارة العلاقات مع الصين والهند والولايات المتحدة.

كانت الانتخابات العامة الأخيرة رقم ١١ في باكستان. وحتى الآن، لم تكن الانتخابات مفتوحة وديمقراطية إلا في مناسبتين فقط، في عام ٢٠٠٨ ثم في عام ٢٠١٣. وكل من المناسبتين أدت إلى انتقال سلمي ومنظم للسلطة. فاز في انتخابات ٢ٰ٠٨ حزب الشعب الباكستاني تحت قيادة مشتركة تألفت من آصف علي زرداري، أرمل رئيسة الوزراء السابقة بينظير بوتو، التي قتلت في ديسمبر/كانون أول ٢٠٠٧ أثناء كلمة كانت تلقيها أمام حشد انتخابي. وفاز حزب الرابطة الإسلامية الباكستانية (ن) في انتخابات ٢٠١٣، وأصبح شريف رئيسا للوزراء. لكنه خُلع في عام ٢٠١٧، عندما أدت تسريبات ما أسمي أوراق بنما إلى اتهامه جنائيا بعدة جرائم مالية. وفي وقت سابق من هذا العام، منعت المحكمة العليا من تولي أي منصب عام مدى الحياة، وفي هذا الشهر حُكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات.

جرت انتخابات هذا العام في سلام نسبي، وهو ما يرجع جزئيا إلى وجود قوات عسكرية قوامها ٣٧٠ ألف جندي حول مراكز الاقتراع. ورغم أن نشر هذه القوات كان المقصود منه منع مزاعم تزوير الأصوات، التي استخدمها عمران خان وأنصاره لإلقاء ظلال من الشك على شرعية حكومة شريف، زعمت الأحزاب المهزومة أن الانتخابات لم تكن نزيهة.

كان نجاح حزب حركة إنصاف باكستان راجعا إلى مجموعة من العوامل. فبدأي ذي بدء، رفع الحزب مكانته بين شباب المناطق الحضرية في باكستان. تتمتع باكستان بواحد من أكثر شعوب العالم شبابا، حيث يبلغ متوسط العمر بين السكان ٢٥ عاما فقط، وكانت هجرة الشباب إلى المدن الكبرى سببا في زيادة نسبة الشباب في أماكن مثل كراتشي ولاهور إلى نحو ٧٠٪ إلى ٧٥٪. ومن منظور كثيرين من هؤلاء الشباب، لم يلب حزب الرابطة الإسلامية الباكستانية (ن) ولا حزب الشعب الباكستاني طموحاتهم، في حين وعد خان بوظائف مجزية فضلا عن التعليم والرعاية الصحية والنقل الحضري. وحقق حزب حركة إنصاف باكستان تقدما كبيرا في مدينة كراتشي الضخمة، حيث ألحق مرشحوه الهزيمة بأحزاب قديمة راسخة.

كما اجتذب تركيز خان الشديد على الفساد الدعم من الناحيين الشباب. فقد اتهم كل من زرداري وشريف بالفساد من قبل مكتب المحاسبة الوطني، وهي المنظمة التي تتمتع بصلاحيات قضائية والتي أنشأها الجنرال برويز مشرف، رابع رئيس عسكري للبلاد، للتحقيق في مخالفات عالية المستوى. وفي حملته الانتخابية، ربط خان بين الفساد الرسمي وفشل الدولة في تسليم السلع والخدمات التي يريدها الشباب.

جلبت الانتخابات أيضا قضيتين أخريين إلى الصدارة. فأولا، إلى أي مدى كانت المؤسسة العسكرية متورطة في الخروج بهذه النتائج التي يعتقد كثيرون في البلاد أن الجنرالات كانوا يريدونها. وثانيا، ما هي العواقب الطويلة الأمد المترتبة على الدور العدواني الذي لعبه القضاء في إدارة شؤون الدولة؟ سوف يستغرق الرد على مثل هذه التساؤلات بعض الوقت. لكن الإجماع الناشئ يشير إلى أن خان كان المفضل لدى المؤسسة العسكرية. ومع قبول وسائط الإعلام الرئيسية هذا التقييم إلى حد كبير، فسوف يشكل هذا الإجماع التصورات الدولية لحكومته.

عن عنصريتنا التي نخالها مقنعة

*شيرزاد اليزيدي

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/٧/٣١

انتشرت في وسائل التواصل الاجتماعي العربية والكردية معايير استهزاء وتهكم حول التنوع العرقي الطاعي في تشكيلات الفرق الرياضية المتنافسة في مونديال كأس العالم ٢٠١٨ لا سيما الأوروبية منها في ظاهرة جديرة بسبرها والتمعن في مضامينها فمختلف المنتخبات الأوروبية خاصة الإسكندنافية منها والغربية تميزت بتنوع خلفيات لاعبيها العرقية الشديد في علامة صحية تستحق بدهاء الاشادة وليس الاستهزاء حيث اللاعبون : الأفريقي والجنوب شرق آسيوي والامازيغي والعربي... جنبا الى جنب مواطنيهم وزملائهم في الفرق الأوروبية يسطرون ملاحم كروية ابداعية ويستحوذون على المربع الذهبي اذ احتكرت أوروبا بمنتخباتها دوري الأربعة في البطولة ما يؤشر الى مدى بلوغ دولة المواطنة والمساواة مبلغها المؤسساتي الناجز

والجميل أن صناع النصر في هذه المنتخبات هم في غالبهم من اللاعبين المتجنسين ممن يتحدرون من أصول أجنبية كما حال مجموعة من اللاعبين ذوي الأصل الأفريقي في منتخب فرنسا الذي بات وللمرة الثانية بطل العالم لكرة القدم

واقع الحال أن هذه الظاهرة اللافتة هذا المونديال لا يمكن فصلها عن مؤثرات حقبة الاستعمار والانتداب فمثلا تتحدر نسبة وازنة من لاعبي الفريق الفرنسي من مستعمرات فرنسية سابقا وهكذا لكن بدلا من أن تشكل هذه الظاهرة الهاما وحافزا لمجتمعاتنا نحن خاصة لتجاوز عقد النقص والدونية والتناوب والسمو فوق النزعات العنصرية نرى العكس تماما فنحن الذين لطالما نصف الغرب بالعنصرية والاستعلاء ها نحن نمارس فعل الاستهزاء بحق فريق حصد كأس العالم بتشكيلة متناغمة موزايقية فقط لكون أبرز نجومه سودا وأفارقة بالأصل ما يكشف وللمرة المليون حجم النفاق والازدواجية التي تعانيها مجتمعاتنا المأزومة التي ربما في محاولة لامتصاص عقدة العجز عن حصد هذه الكأس أو بلوغ مراحل البطولة المتقدمة نمارس كالعادة العنصرية الفاضحة التي تخال نفسها مقنعة لدرجة أن بعض التعليقات أتت على شكل : أخيرا افريقيا حصلت على كأس العالم فالأمر ولا ريب أكبر من مجرد خريشات تواصل اجتماعي أو حديث مقاهي شعبية إنما هو تعبير عن وعي عام عصابي لا يكف عن القطع مع كل ما هو إيجابي وإنساني تفاعلي وتكاملي وعن السعي الدائم الى الحط من شأن مركزية الحضارة الأوروبية التي ليس سرا أن فرنسا مهدها التكويني في محاولة للتعويض الوهمي لليأس عن العجز والفشل الحضاريين المبرمين

على أن نجاح مواطنين فرنسيين وإنكليز وسويديين... من أصول متنوعة في الوصول الى قمم الرياضة الوطنية والعالمية مؤشر الى تقدم وتكرس قيم التشارك والتكامل في التراكيب الاجتماعية والوطنية لهذه

البلدان التي تجاوزت العرقية والعنصرية ويمكن لأي مقيم فيها استحصال جنسياتها خلال بضع سنوات قليلة من الإقامة بعكس دولنا التي تحرم حتى أبناء الزوجة المواطنة من الحق في الحصول ع جنسية بلد الأم وقس على ذلك

على أنه في موازاة ذلك فإن الترحم على زمن الاستعمار الجميل من قبل الشعوب الخاضعة للاستعمار ذات حقبة والتي أستقلت ولم تتحرر لم يعد سرا ولعل من أبرز تجلياته أن بلدانا كانت مستعمرات فرنسية خرجت فيها مظاهرات فرح وغبطة احتفالا بحصد المنتخب الفرنسي للقب الرياضي العالمي الأهم فنحن هنا أمام سقوط مبرم لسرديات وشعارات أبلسة الاستعمار الغربي الأوروبي ولعنه بمناسبة وبدونها وتحميله وزر الفشل والإخفاق في بناء دول تعاقدية مؤسساتية بعد مرحلة الاستقلالات فالدولة المستعمرة ليست كلها شرا مطلقا بل يمكن الاستفادة منها جنبا الى جنب نقد وتفكيك سردياتها الاستعمارية بل ومحاكمة ارتكاباتاها حتى فماذا لو تم الاقتداء بنموذج الحكم الرشيد والتداول على السلطة وفصل السلطات وتكريس النظام الديمقراطي التعددي الذي يميز كبريات القوى الاستعمارية الغربية فنحن نستورد كل شيء من هذا الغرب سوى الديمقراطية

وأن يحتفل أفارقة ومغاربة وتوانسة ولبنانيون بفوز فرنسا فهذا مؤشر صريح الى أن ثمة نوستالجيا ما ليس للاستعمار بمعناه السلبي الاحتلالي المباشر إنما لواقع التقدم الحضاري الذي يجسده ذاك المستعمر والذي يوفر آليات حتى لمحاكمة الحقب الاستعمارية في عقر دار كبريات الدول الاستعمارية بينما يبقى الاستعمار في وعينا وفي يومياتنا الشماعة الأثيرة التي نعلق عليها إخفاقاتنا الوجودية الممتدة من الفشل في بناء تعاقدات وطنية الى الفشل في مجال الخدمات والتعليم والطبابة والرياضة عامة وكرة القدم خاصة.

هذا الملمح الكوزموبوليتي الطاغي على منتخبات الدول الأوروبية تحديدا ظاهرة جديدة بالبناء عليها لجهة تعزيز مناخات الاندماج والتواصل والتعايش ليس على صعيد بلدان القارة العجوز فقط بل هو درس لنا جميعا حول العالم مفاده أن التعدد والتنوع والانفتاح وتكافؤ الفرص وتنمية روح المبادرة الفردية التي تجعل لاعبا مهاجرا متحدرا من بيئات مدقعة يصل لعرش الكرة العالمية مجلبة سعد وانجاز فمن مبابي الفرنسي الى لوكاكو البلجيكي الى رحيم الإنكليزي كم كان جميلا وعابقا بالدلالات السامية أن لاعبين سودا وسمرا أفارقة وكاريبيين... في الأصل هم رأس حربة منتخبات أوروبا التي لطالما اقترنت في وعينا بالانسان الأبيض العنصري مصاص دم الشعوب والرأسمالي الجشع الذي ها هو يهمل لمواطنه الأسود البشرة بينما نحن نسخر من اللاعبين الملونين ونعتبر وجودهم طعنا في أصالة ونقاء منتخبات كفرنسا وانكلترا وبلجيكا... لا شيء جديد ولا غريب في ذلك فمجمل مقارباتنا وحركاتنا وسكناتنا تدور في هذا الفلك : الانفصام عن الواقع والتناقض وتوهم العظمة واحتقار الغير والخط من شأنهم وإنجازاتهم عبر إطلاق العنان لترساناتنا الكلامية البليغة في الإنشاء اللغوي ودوما على حساب الإنشاء الحضاري

الربع الثالث أغسطس 2018

في ذكرى مانديلا: مسيرته الطويلة إلى الحرية أظهرت أننا نستطيع تغيير العالم

*ستيفان سيمانوفيتز

مجلة (نيوزيك): ٢٠١٨/٨/٤

ترجمة: علاء الدين أبو زينة: "لقد حلمت بهذه اللحظة لأكثر من نصف عمري"، هذا ما همست به لي جاني حليم الناشطة المناهضة لنظام الفصل العنصري منذ فترة طويلة، عندما اقترب منا نيلسون مانديلا منا في الصف. كان ذلك في العام ١٩٩٣، وكنت قد تخرجتُ حديثاً في ذلك الوقت، وتواجدتُ في جنوب إفريقيا للعمل مع المؤتمر الوطني الإفريقي أثناء فترة انتقاله من حركة تحرير إلى حزب سياسي، ثم في النهاية إلى حكومة. مع أن قدومه كان متوقعا، فإن الأنباء التي تحدثت عن وصول مانديلا إلى المقر الرث لحزب المؤتمر الوطني في غرب كيب تسبب في إثارة كبيرة. وقد هرعت من مكتبي وراقبت من الممر المفتوح الذي كان يطل على موقف السيارات حيث ترجلت حاشيته الصغيرة من سيارات المرسيدس التي يستقلونها. وكان رئيسنا الإقليمي، توني ينجيني، هناك ليفتح له باب السيارة. ونظرت إلى الأسفل بينما ظهر زوج من الأحذية المصقولة، تلاه بنطال مكوي جيدا، ثم أخيراً، الرجل نفسه.

بدا مانديلا مسترخياً وأنيقاً وهو يتجه إلى المبنى. وفي الطابق الأول، رتبنا نحن الموظفين والمتطوعين أنفسنا على عجل في صف كيفما اتفق، وتركزت أعيننا على مطلع الدرج في نهاية الممر. وبالنسبة لكل واحد منا، كان مانديلا يمثل شيئاً شخصياً عميقاً: تجسيدا للآمال والصراعات التي كنا نادراً ما نجرؤ على التحدث عنها بصوت عالٍ. ثم ظهر. أطول مما كنت أتصور. كان في الخامسة والسبعين من العمر في ذلك الوقت، وكان نحيلاً بحضور قوي موسوم بالكرامة. وبدأ يشق طريقه إلى صف النشطاء، ويتحدث إلى كل واحد منهم.

بالنسبة لي، كان ماديبا، كما كان معروفاً بمودة، جزءاً من وعيي طيلة الوقت الذي أتذكره. وعندما كنت طفلاً وذهب في زيارات إلى جنوب أفريقيا، كنت أستلقي على سريرتي القابل للطوي على شرفة شقة جدي وجدتي وأنظر عبر المحيط المعتم إلى أضواء جزيرة روبن الخافتة، وأفكر فيه. وفي المدرسة، أعددت مشاريع كثيرة عن الفصل العنصري، وشاركت على مدى سنوات في المسيرات والاحتجاجات وشاركت في الحملات.

في العام ١٩٩٠، عندما انتشرت الأخبار عن أن مانديلا سيطلق سراحه، ذهبت مباشرة إلى ساحة الطرف الأغر في لندن للاحتفال، وفي اليوم التالي بقيت مسمراً أمام شاشة التلفزيون لكي أشهد أول لمحة له. اليوم، أصبح وجهه من أكثر الوجوه المعروفة في العالم، أما في ذلك الوقت، فكان ٢٤ عاماً قد مر منذ نشر آخر صورة لمانديلا. وكان القليل من الناس يعرفون كيف يبدو مانديلا، ناهيك عن نوع الرجل الذي أصبح عليه.

والآن، هناك كان، واقفاً أمامي، بيد ممدودة.

"هذا هو ستيفان الذي يعمل في مكتبنا الإعلامي"، قال توني ينجيني. "إنه من لندن". "أه، من إنجلترا"، قال مانديلا وهو يُثبِت عليّ عينين باسميتين ويهزني يدي بحرارة. "ما الذي أتى بك إلى بلدنا؟" أوضحت له باختصار كيف كان والدائي في الأصل من كيب تاون وكيف كنت ناشطاً في الحركة المناهضة للفصل العنصري. "شكراً لك على وجودك هنا"، قال، متوقفاً لالتقاط صورة قبل أن ينتقل إلى بقية الصف. وبعد ذلك لم أراه مرة أخرى لمدة عام تقريباً.

كان ذلك قبل تسعة أيام من الانتخابات، وعلى الرغم من أن حزب المؤتمر الوطني الإفريقي كان يعرف أن كيب الغربية لم تكن منطقة يمكنه الفوز فيها - خسرنّا في النهاية أمام الحزب الوطني بنسبة ٤٠٪ تقريباً - فقد تقرر أن يأتي مانديلا إلى كيب تاون لعقد بعض الاجتماعات النهائية وحضور تجمع شعبي. وكنت مسؤولاً عن تنظيم شؤون الإعلام، أولاً بالتقاط صور له مع تلاميذ المدارس في ملعب جرين بوينت، ثم في اجتماع سياسي في "حديقة جراسي" وأخيراً في حدث أقيم في استاد رياضي في أثلون.

عندما وصل مانديلا إلى استاد غرينبوينت في ذلك الصباح المشمس، كنت هناك في استقباله هو وفريقه. وعندما رأيته، ابتسم مانديلا، ومن دون تفويت أي تفصيل، سألتني: "كيف حال إنجلترا؟".

لكن اليوم الذي بدأ بشكل مشرق انتهى بمأساة عندما أدى حادث التدافع في ملعب أثلون إلى مقتل ثلاثة أشخاص وتسبب بأكثر من اثنتي عشرة إصابة. ومع انتشار أخبار الكارثة، كان أحد رؤسائي يشعر بالقلق حيال الكيفية التي

يمكن أن تظهر بها الحادثة في وسائل الإعلام. وقال متحسراً: "يمكنني أن أرى عناوين الأخبار الآن. سوف يسألون كيف يمكن أن يدير حزب المؤتمر الوطني الإفريقي البلد عندما لا نستطيع حتى أن ننظم تجمعاً شعبياً". لكن قلق مانديلا لم يكن يتعلق بتأثير وسائل الإعلام. كانت أفكاره الوحيدة تتركز على الذين قتلوا وعائلاتهم. وقام على الفور بتغيير خططه المسائية ليقوم بزيارة المصابين في المستشفى. لم تكن لديه حاجة لاستشارة الأطباء لتوجيهه إلى ما قد يكون الشيء الصحيح الذي ينبغي عمله. كان يعرف ذلك بشكل غريزي.

بعد أن أغلقت صناديق الاقتراع في يوم الانتخابات، كان مانديلا في مزاج تأملي. "كان يجب أن أقفز من الفرع، ولكنني أشعر فقط بسكون"، كما تردد أنه قال لصديق: "هناك الكثير جداً من المسؤولية. الكثير جداً مما ينبغي عمله".

وبعد أسبوع من الانتخابات، كنت في بريتوريا لحضور تنصيب مانديلا، وهو اليوم الذي أهدى فيه المناسبة إلى "جميع الأبطال والبطلات في هذا البلد وبقية العالم الذين ضحوا بطرق عديدة، وقدموا حياتهم حتى نستطيع أن نكون أحراراً. لقد أصبحت أحلامهم حقيقة. والحرية هي مكافأتهم". وفي ذلك اليوم المليء بالنشوة في العام ١٩٩٤، بدا كما لو أن أي شيء يمكن أن يتحقق: أن الناس، إذا اجتمعوا معاً، يمكنهم حقاً أن يغيروا العالم.

ربما كان ذلك واحداً من عناصر إرث مانديلا الأكثر ديمومة. فقد أظهر، بنزاهته وشجاعته وقوته، وفي مثال عملي، ما يمكن لفرد واحد أن يحققه، وبذلك غرس الإيمان بأن الظلم، سواء كان كبيراً أو صغيراً، يمكن أن يُهزم.

على مدى العقدين التاليين، رأيت مانديلا من بعيد مرات عدة. شاهدته بينما كان هو والملكة يرقصان في الحفل الذي أقيم في قاعة ألبرت في العام ١٩٩٦، ومرة أخرى في عيد ميلاده التسعين في هايد بارك في العام ٢٠٠٨. وفي العام ٢٠١٠، عدت إلى جنوب أفريقيا للاحتفال بالذكرى العشرين لإطلاق سراحه. كان عمره آنذاك ٩١ عاماً، وكان أضعف من القدرة على القدوم إلى موقع الاحتفال خارج بوابات سجن فيكتور فيرستر، لكنه ظهر لفترة وجيزة في البرلمان.

في حديثه في ذلك اليوم خارج بوابات السجن، قال سيريل رامافوزا، نائب الرئيس آنذاك، للحشد الصغير الحاضر بأنه "عندما كان مانديلا يسير خارجاً عبر هذه البوابات، كان سراحنا نحن يُطلق أيضاً".

لكن أهمية الإفراج عنه كانت محسوسة أبعد كثيراً خارج حدود جنوب إفريقيا. وفي العالم الجديد لما بعد الحرب الباردة الذي يختبر فترة تحول سريعة وخالية من اليقين، أعطى إطلاق مانديلا شعوراً متجدداً بالأمل والتفاؤل. وكما كتب الكاتب بريتين برايتنباخ في ذلك الوقت: "ربما يكون هناك الآن معنى أكثر منطقية لمرورنا المظلم على الأرض".

على الرغم من أنه لم يكن مفاجئاً، ضربني خبر وفاة ماديلا في كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١٣ بقوة غير متوقعة. شعرت بفراغ هائل - على الصعيدين الشخصي والعالمي.

في معرض إلقائه محاضرة مانديلا السنوية يوم الثلاثاء، في ذكرى ميلاد الراحل في ١٨ تموز (يوليو)، نسج باراك أوباما على إرث مانديلا لتذكير جمهوره بأن "النضال من أجل العدالة الأساسية لن ينتهي أبداً"، وليحثهم على عدم الاستسلام للتشاؤم. وقال: "لقد مررنا بأوقات أكثر قتامة. مررنا بويديان أكثر انخفاضاً. وأنا أؤمن برؤية نيلسون مانديلا.. أؤمن برؤية المساواة والعدالة والحرية".

في ذلك الأسبوع، عند افتتاح معرض مانديلا المئوي في لندن، صادفت النسخة التي كان يمتلكها مانديلا من الأعمال الكاملة لشكسبير. وكان الكتاب مفتوحاً على المشهد الثاني من الفصل الثاني من مسرحية "يوليوس قيصر"، وكانت إحدى الصفحات معلّمة في الهامش باسم مانديلا وبالتاريخ: كانون الأول ١٩٧٧.

كان النص في الصفحة: "الجناء يموتون مرات عديدة قبل مصارعهم. والشجعان لا يذوقون طعم الموت سوى مرة واحدة. من بين كل العجائب التي سمعتها حتى الآن، يبدو الأكثر غرابة أن يخاف الرجال، وهم يرون أن الموت، وهو نهاية ضرورية، سيأتي عندما يأتي".

*عمل ستيفان سيمانوفيتز في حزب المؤتمر الوطني الإفريقي في الفترة من ١٩٩٢ حتى ١٩٩٤، في دائرة الإعلام والنشر في المؤتمر الوطني الإفريقي.

عصر الحروب التفكيكية

*طيب تيزيني

صحيفة (الاتحاد) الاماراتية : ٢٠١٨/٨/٤

اتضح أن التراكم الذي تحقق نسبياً مرات عدة في العالم العربي، منذ القرن التاسع والعشرين، لم يأخذ بمده التاريخي للتأسيس لأي مشروع يكون «خاتمة الأحزان» و«بداية للتأسيس» لمشروع وطني هنا وهناك بصيغة «التأسيس لمشروع قومي» يضم الأقطار العربية أو المحتمل منها. لقد حدث ذلك مرات متعددة وفي أكثر من حالتين اثنتين على الأقل، فمعظم الحالات التي حدثت على هذا الصعيد تم إحداثها، دون رؤية تاريخية ناضجة وعلى نحو تم تفكيكها وإسقاطها بفعل مجموعة من العوامل داخل الأقطار العربية نفسها من طرف، وبفعل الأحداث التي جاءت كردود أفعال من الخارج والداخل العربي نفسه من طرف آخر.

لقد حدث ذلك في كل المحاولات الاندماجية والتقريبية التي حدثت بين أقطار عربية، والأمر وصل إلى درجة التدخل في محاولات التوحيد والتقريب بين بلدان عربية عملت قياداتها على هذا الاتجاه. لقد كانت التجربة النموذجية هي التي غرقت في أحوال الصراعات السياسية والاقتصادية والثقافية، والطائفية أحياناً. في هذا الحقل: حدث ولا حرج! ففي التجربة التوحيدية بين سوريا ومصر الناصرية، مثلاً، كان أحد الشروط التي تمسكت بها مصر الناصرية حيال دعوة السوريين للوحدة مع «الشقيقة الكبرى» أن تُنجز عملية حاسمة في سوريا كأحد الشروط الحاسمة لمشروع التوحيد، هو أن تُحل الأحزاب السياسية في «البلد الشقيق» مع سوريا. وكان ذلك: لقد ألغيت أو مُنعت في هذا البلد الأخير، خطوة بخطوة «مع أحزاب مصر». لقد مُنعت الأحزاب السورية رسمياً، دون أن يستجيب إلى ذلك مسؤولو مصر في حينه، وعلى رأسهم الرئيس عبدالناصر، وبهذه الخطوة الافتراضية تم لجم المجتمع السياسي ومنعه في سوريا، لكن في مصر ظل الاتحاد الاشتراكي، حزب السلطة هناك، قائماً من الناحية العملية، وقُضي على التعبير السياسي في مصر، دون تماثل الوضع السوري معه تماماً.

وبذلك، مُنعت الأحزاب في مصر ثم في سوريا، دون أن ينتهي ذلك إلى «صنع» المجتمع المدني والآخر السياسي رسمياً، ولكن ضُيق عليها. ذلك كان مثلاً قاسياً وفضلاً في العالم العربي. وجاءت مرحلة التضييق على من تابع سيره في البلدين، حتى حدث انفصال بين سوريا ومصر. لقد كانت المرحلة التالية قاسية على البلدين، ما سهّل عمليات تضييق على كل من انتقد ضمن الحالتين في البلدين في سوريا ومصر. وكان ذلك مناسبة ذهبية للتدخل الأجنبي في البلدين الذين انفتحت أبواب التدخل الأجنبي فيهما، وبالطبع، فإن ذلك انعكس عموماً في بقية البلدان العربية، فقاد إلى عملية مفتوحة من الانقلابات العسكرية، يداً بيد مع عمليات النكوص والاضطراب في بلدان عربية، حتى وصلنا إلى المرحلة التالية، وهي تلك التي نعيشها راهناً في البدايات النسبية زمانياً: في مصر ولبنان وسوريا واليمن وليبيا والعراق إلخ، ونعني من ذلك الحروب الأهلية بين بلدان عربية، وبين أخرى بحمايات أجنبية، كانت مناسبة لتدخلها في هذا القطر العربي أو ذاك، مع ديمومة الحروب الداخلية، التي قامت بعمق وعلى امتداد سنوات طويلة بإنتاج أسئلة نارية مشتعلة وبكيفية راحت تفرض أسئلتها على الأمة كلها. ها هنا، تذكر العرب أنهم ينتمون إلى قومية واحدة، هي العربية.

لقد أخذنا نسجل كثيراً من الملاحظات على ما بدأ قبل عقد ونيف من السنين. أول هذه الملاحظات لها خطورة فظيعة في مستقبل (الوطن العربي)، حيث نشأ نمط من الحروب في المنطقة العربية: إنها الحروب الأهلية التدميرية والتي تتسم برؤية تفكيكية وتدميرية، مشوبة بفيض من الرغبة في الخراب والتأسيس لوطن عربي حُطام، رحنا نواجهه على شاشات التلفزة. فكأن عدو الوطن والشعب العربي قد أصبح ديدنه تفكيك العالم العربي إلى طوائف وأعراق وأجناس وأديان مختلفة متصارعة. وراح الجميع أو معظمهم يعلنون استقواءهم بانتماهم الطائفي الذي أظهر أن القتال بين الجميع ضد الجميع كأنما هو المرحلة الأخيرة من التاريخ.

انقلاب جيو استراتيجي عالمي

*إميل أمين

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/٨/٤

ما الذي يجري حول العالم في السنوات القليلة الماضية؟ وهل هي عملية مخاض حكماً سيولد من رحمها عالم جديد برؤى مغايرة لما صارت عليه الأمور منذ أواخر ثمانينات القرن المنصرم؟ السؤال المتقدم لا يزال يلح على العقول منذ قمة هلسنكي الأخيرة ولقاء ترامب وبوتين، حيث الأول لا يزال يمثل القيادة العالمية بدرجة أو بأخرى، حتى وإن كان المتقدم بين متساويين، والثاني الثعلب الروسي الذي لم يعد دباً بعد، ولهذا أتسم برشاقة وسرعة الحركة والقفز من موضع إلى آخر خلال العقد الماضي وحتى الساعة. كيف يبدو مشهد النفوذ العالمي في حاضرات أيامنا؟

الجواب يكاد ينحصر تقليدياً بين القوى القديمة، أي واشنطن وموسكو، غير أن الحقيقة على خلاف ذلك فهناك صحوة آسيوية تجعل من دول تلك المنطقة شريكاً فاعلاً في رسم خريطة العالم الجديد.

نعم لا يعيد التاريخ نفسه، لكن أحداثه ولا شك تتشابه، ففي أوائل سبعينيات القرن الماضي كان الضد الأكبر للولايات المتحدة الأمريكية الاتحاد السوفييتي، ولهذا عمد اثنان من أساطين الفكر الاستراتيجي الأمريكي إلى رسم خريطة استراتيجية لمستقبل البلاد، أولهما هنري كيسنجر، وثانيها زيجينو بريجنسكي، وقد قاد كيسنجر جولة المصالحة مع الصين عبر ما عرف بدبلوماسية «البنج بونج»، حيث كان الهدف واضحاً في عيون الأمريكيين وقتها، أي خلق جبهة أمريكية - صينية، تستطيع أن تتصدى وتتحدى أطماع الاتحاد السوفييتي في الهيمنة على العالم.

استطاعت استراتيجية كيسنجر أن تترك أثرها الواضح على السياسات الدولية في سبعينيات القرن العشرين، وها هو كيسنجر يتكلم من جديد، مع ملاحظة تغير الأدوار، بمعنى أنه لم تعد روسيا الاتحادية هي العدو الأكبر للأمريكيين بل الصين، وعلى غير المصدق العودة إلى تحذيرات الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) الأيام القليلة الفائتة.. ماذا عن ذلك؟

في لقاء جمع كبار المسؤولين من وزارة الخارجية الأمريكية وأعضاء من مختلف أجهزة الاستخبارات الأمريكية، تحدث المدير المساعد لوكالة المخابرات المركزية لشرق آسيا «مايكل كولينز» عن الرؤية التي يقود بها الرئيس الصيني «شي جين بينج» بلاده سيما بعد التعديلات الدستورية الصينية الأخيرة. الذين قرأوا توجهات «بينج» يؤكدون أن التهديد الصيني الآن هو أخطر تحد بين جميع التحديات التي تواجهها الولايات المتحدة، فالصين تقود حرباً باردة ضد أمريكا، وذلك عبر أدوات اقتصادية وعسكرية، واللجوء إلى وسائل قانونية وغير قانونية، محاولين إضعاف خصومهم قدر المستطاع ومع حرص كامل على تجنب الدخول في حرب.

هل الاتهام أو التوجس الأمريكي صحيح وحقيقي وقابل للتحويل إلى أفعال على الأرض؟ الجواب نجده عند كبير الباحثين في معهد دراسات الشرق الأقصى «الكسندر لومانوف» والذي يقطع بأنه خلال عشر سنوات وربما خمس سيصبح الاقتصاد الصيني هو الاقتصاد المهيمن على مقدرات العالم، والأول في الترتيب، ليس فقط بمقياس القوة الشرائية، وإنما بمعيار تحويل الناتج المحلي الإجمالي إلى عملة.

يذكرنا هذا التحليل بمصطلح «توازن الردع النقدي»، إذ لم يعد توازن الردع النووي هو العامل الحاسم في الهيمنة على المقدرات الاستراتيجية لعالمنا المعاصر.

مرة جديدة يقدر لكيسنجر أن يظهر صواب رؤاه، ففي حديث له لمجلة الفاينانشيال تايمز، أشار إلى أن «حلف الناتو أخطأ في حق روسيا - بوتين، من خلال خطط التوسع شرقاً نحو حدود روسيا، الأمر الذي أعتبر تحدياً لهويتها، وما يمكن أن يتسبب في خطر حقيقي للامبراطورية الأمريكية المنفلتة».

الذين تابعوا زيارة بوتين إلى الصين الشهر الماضي، شعروا بان التقارب الروسي - الصيني، يمكن أن يصيب الولايات المتحدة في مقتل، حيث ستجد واشنطن ذاتها في مواجهة نوعين من قوى الردع، نووية لدى الروس، ونقدية لدى الصينيين الذين يخترقون العالم بدولاراتهم، وما يقومون به في القارة الأفريقية خير شاهد على ذلك. ينصح كيسنجر ترامب بان يترفع عن لغة التعالي الفوقية الإمبريالية التي أتبعها سلفه أوباما في التعامل مع بوتين، ومحاولة استقطاب رجل روسيا وقصرها الجديد، عوضاً عن أن يرتمي في أحضان التنين الصيني وساعتها لن يكون لواشنطن الكلمة العليا حول العالم. بريجنسكي الذي رحل عن عالمنا مؤخراً أشار إلى الخطورة الحقيقية للتحالف الصيني - الروسي الإيراني، بل وحذر من حلف أو محور قد يكون كارثياً للأمريكيين، ففي ضوء القومية اليابانية المتصاعدة بقيادة «شينزو آبي»، والدعوات المتكررة لإنهاء الوجود العسكري الأمريكي في اليابان، يمكن أن تلتقي مصالح الصين واليابان، ما يعني خسارة للأمريكيين في آسيا مرة وإلى الأبد.

الانقلاب الاستراتيجي الجيو سياسي العالمي من بين ملامحه ومعالمه التفكير الأوروبي ولو من وراء الكواليس في تعميق التعاون الأوروبي - الروسي، أي إحياء حلم الأوراسية الذي قال به شارل ديغول زعيم فرنسا الأشهر، بمعنى وحدة ما سياسية أو اقتصادية من المحيط الأطلسي غرباً إلى جبال الأورال شرقاً، ويبدو أن ضغوطات ترامب على دول الاتحاد الأوروبي تكاد تحول الهمس في المخادع الأوروبية إلى مناداة من فوق السطوح. رويداً رويداً، تنطلق دول «بريكس» لتهيمن على دول العالم النامي وقاراته، ولقاء جوهانسبرج الأخير خير دليل على ذلك.

السؤال قبل الانصراف... هل يأخذ العرب بعين فاحصة ما يجري من حولنا لإعادة ترتيب صفوفهم، وإلا فان الموجة القادمة لن تبقي لهم مكاناً في ظل تسونامي، ستراتيغي قادم؟

*كاتب مصري

من هو الباحث؟

*عبد الجليل زيد المرهون

مركز الجزيرة للدراسات: ٢٠١٨/٨/٥

ما هو دور الباحث؟ وما الفرق بينه وبين المحلل أو كاتب الرأي؟

الباحث هو من يقوم باستقراء مسألة ما واستنباط نتائج وأحكام خاصة بها. وبهذا المعنى، فإن الباحث هو من ينتج الأفكار.

والبحث لا يكون بحثاً بالمعنى النظامي للمصطلح ما لم يقدم علماً جديداً. وسمي البحث العلمي بالعلمي لأنه ينتج الفكر أو يُولده.

والعلم ليس اصطلاحاً رديفاً للرأي. وقد اختلف الفلاسفة، منذ سالف الأزمان، حول تعريف العلم، وعلاقته بالعقل، وصلته بالوجود المادي للبشرية.

والسؤال بعد ذلك، هو: من يحكم على وجود العلم في عمل الباحث؟

هذه قضية محورية، لكنها سهلة الضبط والسيطرة.

في الأصل، وحتى يكون هناك بحث علمي، بالمعنى النظامي للمصطلح، لا بد من وجود أدوات تحليل واضحة، منسجمة وخصوصية المسألة موضع المعالجة، على مستوى النوع، والظرفين المكاني والزمني.

وهذا ما يُعبر عنه بجدارة أو مرونة أدوات التحليل.

من دون هذه الأدوات ليس هناك بحث، واستتباعاً ليس هناك علم. ولا يغني عن ذلك وجود فرضيات أو منهج في عمل الباحث، مهما بدا ذلك مهماً.

الفرضيات والمنهج والنتائج، أو ما قد يوصف بالنتائج، لا قيمة لها من دون أدوات تحليل ذات جدارة. وإذا أراد المرء تقييم بحث ما فعليه أولاً أن ينظر في أدوات التحليل التي يركز إليها، فإن لم تكن ذات جدارة، فعليه أن يترك البحث ويغادره، لأنه لا قيمة لكل ما سيأتي لاحقاً.

إن وجود كم وفير من المعلومات والمصادر لا صلة له بأصل فكرة البحث وغاياته النهائية. هذه المعلومات تبقى نوعاً من المادة الارشيفية، قد تفيد نهم المطالعة، لكنها لا تخلق علماً جديداً.

الفكرة هي أن البحث العلمي هو عملية توليد للعلم، وليس جمعاً للمعلومات.

وهل للبحث العلمي سياق معياري؟

المعيارية هي النقيض التام للبحث العلمي. ولا يستطيع الباحث أن يولد العلم ارتكازاً إلى أي سياقات معيارية.

العلم، كما أوضحنا، ليس هو الرأي. والسياقات المعيارية تعنى بالأراء والتموضعات الخاصة بالإنسان. وهل هذا يعني أن البحث العلمي عمل محايد بالضرورة؟ نعم هو عمل محايد بالضرورة. ومن دون الحياد لا يكون البحث علمياً. البحث معني بإنتاج العلم. وهذه مسألة خارج الأيديولوجيات والقناعات الخاصة. إن كيفية التعامل مع العلم المنتج، أو الأفكار المنتجة، من خلال البحث العلمي، قد تخضع للحسابات الأيديولوجية والسياسية. وهذه مسألة لا صلة لها بالبحث ذاته. وهل ينتهي دور الباحث بما ينتجه من علم؟

هنا، تأتي مسألة التوصيات.

التوصيات ليست هي العلم ذاته، لكن جوهرها يجب أن يرتكز للعلم المنتج، وإلا فلا قيمة للبحث ذاته. الباحث ليس مستشاراً بالضرورة. بيد أن كل مستشار يجب أن يكون باحثاً، أو مستنداً إلى خلية بحث، أو منظومة بحثية عريضة، وفقاً لأهمية موقعه، وحدود ارتباطه بالمصالح العليا. من دون هذا الأمر، لا يصبح المستشار صالحاً. لاحظوا، هناك فرق بين فلسفة الاستشارة، بالمدلول العلمي، وبين طرح الرأي على سبيل الاستئناس.

تقديم الرأي على سبيل الاستئناس مهمة يسيرة في المجمل، يمكن للكثيرين أن يقوموا بها. بيد أن هذا ليس هو المطلوب في حسابات الأمم والشعوب.

إن العالم اليوم يشهد منظومة متغيرات عريضة واسعة، والعلاقة بين حجم المتغيرات، أو منسوبها، وبين الحاجة للبحث العلمي هي علاقة طردية بامتياز. ومن هنا، يُمكن القول إن هذه الحاجة تبدو الآن أكثر ضرورة وإلحاحاً من أي وقت مضى.

إن دول العالم المختلفة، بما فيها دول الشرق الأوسط، معنية بزيادة الإنفاق على البحث العلمي، والاهتمام به، لأنه يُمثل ركيزة أساسية لأمنها القومي، كما فرص تطورها على المستويات كافة.

الدول الوطنية وسياسات الدين

*د. رضوان السيد

صحيفة (الاتحاد) الاماراتية : ٢٠١٨/٨/٥

قبل أسبوعين كان شيخ الأزهر بربطانيا واجتمع بالملكة، وأجرى محادثات مع أسقف «كاتدربري» الذي كان قد اتفق معه على برامج للتعاون في لقاءات بأبوظبي وبالقاهرة. وكانت للشيخ زيارات في السنتين الماضيتين إلى الفاتيكان وإلى ألمانيا وفرنسا. وقد زاره البابا فرنسيس في مصر، وعقدا مؤتمراً للسلام، ونشأت برامج للتعاون. وتحرك الشيخ عبدالله بن بيه رئيس منتدى تعزيز السلم في السنوات الماضية كثيراً في المجال الدولي والعالمي، بخاصة باتجاه الولايات المتحدة الأمريكية، وعقد مؤتمرات نوعية لجهة الموضوعات، ولجهة الحاضرين والمحاضرين. وفي المملكة العربية السعودية ظهرت مراكز وبرامج، وتحرك الدكتور محمد العيسى رئيس رابطة العالم الإسلامي باتجاه أوروبا والولايات المتحدة.

إنّ هذا النشاط الكبير للمؤسسات الدينية، بقصد تغيير الصور السلبية عن الإسلام، والتصدي لموجات الإسلاموفوبيا، ترافق بالطبع مع عمل بالداخل لمكافحة التطرف من خلال ظهور معاهد لتدريب الأئمة والمدرّسين، وتغيير البرامج التعليمية، وعقد مؤتمرات وورش عمل إرشادية، وتنظيم شؤون الفتوى، وتكثيف الظهور في الإعلام والفضائيات، وإنشاء المراكز.

وكنّت أطلب بالتعاون بين المؤسسات الدينية في العالمين العربي والإسلامي لتبادل الرأي، والتشاور بشأن تطوير وسائل وأساليب مكافحة التطرف، والدعوة للخير والمعروف. وقد حصل ذلك في السنوات الأخيرة فيما بين المؤسسات الدينية الكبرى والفاعلة في مصر والسعودية والمغرب والأردن وإندونيسيا وباكستان وماليزيا.

ولا شك أنّ هذه النشاطات والتحركات حظيت وتحظى بدعم وتحفيز الدول الوطنية في بلدان تلك المؤسسات. بحيث صار يمكن الحديث عن سياسات جديدة للدين أو تجاه تلك المؤسسات تحت شعارات وعناوين مكافحة التطرف ونشر الاعتدال، ومواجهة ظواهر ومظاهر العنف باسم الدين، وضرورات انتهاج أساليب جديدة في التربية الدينية من جهة، وتأهيل المؤسسات الدينية وشبان العلماء لنوع آخر ومختلف للتعامل مع المجتمعات الداخلية من جهة، ومع المؤسسات والجهات المماثلة في العالم.

وبالطبع فإنّ هذه النشاطات الزاخرة انطلقت وتعددت في الأصل لمواجهة الظاهرة المأساوية المتمثلة في ممارسة العنف باسم الدين من جهة، ومحاولات الحزبيات الاستيلاء على إدارات الدول بعناوين مثل تطبيق الشريعة، أو مكافحة التغريب، أو إقامة الدولة الإسلامية أو دولة الخلافة. لكننا الآن وبعد عقدين من التحرك في كل اتجاه، صارت هناك إشكاليتان مطروحتان: علاقة بنية تلك المؤسسات بالمهمات المطروحة

والمستجدة- وعلاقة المؤسسات بالدول الوطنية. بالنسبة للأمر الأول“ فإن تراكم تلك النشاطات تبعاً للتحديات، أظهر أن بنى تلك المؤسسات المعرفية والإدارية تحتاج إلى تجديد كبير وإصلاح كبير. فظاهرة «عودة الدين» السلمية والعنيفة، الناجمة عن تحديات العولمة ووسائل الاتصال وتأثيراتها المتناقضة، تفرض معارف جديدة، واهتمامات جديدة، وأسئلة جدية بشأن مهمات الدين في القرن الحادي والعشرين. وما إذا كانت المؤسسات مؤهلة لذلك معرفياً وإدارياً، ولذلك فوجئت بالعنف الأعمى من جهة، ومن جهة أخرى: الإقبال الهائل من الفئات الشابة على الدين بطرائق حميمية، وظهور تعبدات جديدة تتجاوز كثيراً ما كانت المؤسسات الدينية في سائر الأديان الكبرى تعرفه أو تعترف به. فإذا كانت الشذوذات التي ظهرت باسم الدين، واقتضى الأمر مواجهتها تحت عنوان «مكافحة التطرف»، فهناك مئات الأشكال الدينية وشبه الدينية غير العنيفة، والتي تقتضي المعرفة والتصرف بما يتجاوز مسألتى السنة والبدعة. ولذلك قلت: هناك حاجة شديدة للمعرفة والاستيعاب بما لا تحتمله البنى والاهتمامات الحالية. نحن محتاجون إلى فلاسفة واجتماعيين وإعلاميين جديدين لدى تلك المؤسسات أو إلى جانبها، لأننا إذا كنا قد ظللنا طوال القرن العشرين نتتبع بالاستغراب والاستنكار ظواهر ومظاهر الإعراض عن الدين، فنحن مسؤولون تجاه هذا الإقبال المنقطع النظير على الدين بالسلب والإيجاب. وقد جمعت ما نحتاج إليه تحت مصطلحي التأهل والتأهيل. التأهل بالمعرفة والفهم والمتابعة. والتأهيل باجتراح الأساليب التي تمكننا من مواجهة التحديات الجديدة.

أما الأمر الآخر أو المسألة الأخرى، فتتعلق بطبيعة العلاقة بين المؤسسات الدينية والدول الوطنية في الأزمنة الجديدة. كان يقال إن المؤسسات تابعة للدول، وكان ذلك بين أسباب قصورها وتقصيرها. لكن الدول الآن، وبسبب الظواهر الجديدة التي ذكرناها محتاجة إلى مؤسسات دينية فاعلة ومتحركة ومزدهرة. ولذلك هناك حاجة ملحة لعقد جديد إذا صح التعبير عمادُه الانسجام بين الطرفين لمصلحة الدين والدولة معاً. فالدول مهمتها حُسن إدارة الشأن العام. والمؤسسات الدينية مهمتها العناية بالشأن الديني من خلال أربع وظائف: رعاية وحدة العقيدة والعبادة، والتعليم الديني، والتقوى والإرشاد العام. وكلتا الإدارتين لا تنافسان بينهما بسبب اختلاف المهام والوظائف. وإنما يحتاج الأمر إلى تمكين متبادل، لكي يستطيع كل منهما القيام بمهامه بسلاسة. ما شاركت المؤسسات الدينية بعامة في الاشتباك الذي حصل بين الدين والدولة، لكنها لم تستطع مقاومة الانشاقات العنيفة على الوجه المرغوب. ولذلك يحتاج الأمر إلى تقدير وإقدار، وقد بدأ ذلك يحصل بالتدريج، إنما المطلوب أن يتم ذلك بوعي وتفهم وتفاهم وإن في مديات متطاولة. لقد بادرت الدول، فينبغي أن تُبادر المؤسسات بالعقليات الجديدة، وبالإدراك الجديد للمهمات والمسؤوليات والفرص.

*أستاذ الدراسات الإسلامية بالجامعة اللبنانية

قمة البريكس ٢٠١٨ والتحديات العالمية الراهنة

المركز الديمقراطي العربي: ٢٠١٨/٨/٥

مقدمة: عقدت قبل أيام ٢٥ . ٢٧ جويلية الجاري القمة العاشرة لمجموعة دول البريكس بجوهانسبورغ في جنوب افريقيا وعلى جدول اعمالها الكثير من القضايا العالمية الاقتصادية والسياسية الملحة منها مواجهة النزعة الانفرادية للولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي، النمو الاقتصادي لدول البريكس، الحوكمة العالمية والتنمية المستدامة، التعاون جنوب - جنوب، النزاعات المسلحة في شرق المتوسط ، الامن السيبراني لدول البريكس..

اذن على أهمية تلك المسائل تعقد البريكس قمته العاشرة في ظل متغيرات إقليمية ودولية مهمة على اعتبار ان مجموعة البريكس تمثل قوة صاعدة في النظام الدولي وتهدف بشكل أساسي الى انهاء الاحتكار الأمريكي للقضايا الدولية وحماية اقتصاداتها الناشئة، فضلا عن ذلك المساهمة في النمو العالمي وإرساء الامن والاستقرار الدوليين. وعليه نطرح السؤال الآتي:

ماهي أبرز التحديات العالمية الراهنة التي ناقشتها قمة البريكس ٢٠١٨ ؟

نجيب على السؤال من خلال أربع محاور أساسية:

١. خلفيات نشأة مجموعة دول البريكس BRICS .
٢. موقع البريكس على الخارطة الاقتصادية الدولية.
٣. التحديات العالمية المطروحة في قمة البريكس ٢٠١٨.
٤. توصيات قمة البريكس ٢٠١٨.

خلفيات نشأة مجموعة دول البريكس BRICS

مجموعة البريكس BRICS مجموعة اقتصادية بامتياز، وتسمى رسميا باتحاد الاقتصاديات الوطنية الناشئة متكونة من الدول المؤسسة وهي البرازيل وروسيا الهند والصين وانضمت إليها جنوب افريقيا في ٢٠١٠، استعمل مصطلح البريكس أول مرة جيم اونيل رئيس بنك " غولدمان ساكس " حيث كتب في تقرير للبنك مفاده " أن العالم يحتاج في بنائه الى مزيد من البريكس) الطوب (لتحقيق النمو الاقتصادي"، في إشارة منه الى دور الاقتصادات الحيوية و الصاعدة في القرن الجديد لدول البريكس.

نشأت مجموعة البريكس رسميا سنة ٢٠٠٦ في خضم الحاجة الى تعاون تكامل اقتصادي إقليمي، حيث كانت الازمة المالية العالمية ٢٠٠٨ أبرز عوامل التي ساهمت نشأتها لما خلفته من أضرار على اقتصادات الدول الناشئة، تعقد البريكس قممها دوريا كل سنة في احدى دول المجموعة وتخرج ببيان مشترك يترجم الموقف الموحد للمجموعة من القضايا الدولية.

يذكر أن أول قممها عقدت في ٢٠٠٩ في روسيا وفيما يأتي باقي قممها:

وعليه يرى الدكتور كاظم الموسوي ان تأسيس مجموعة البريكس وتطويرها هو في حد ذاته مؤشر على تحول التدريجي في التوازن العالمي من الدول المتقدمة الى الدول الصاعدة، وفرصة للدول النامية لتطوير وتنمية نفسها.

موقع البريكس على الخارطة الاقتصادية الدولية

تضطلع البريكس بدور مهم على الساحة الاقتصادية العالمية باعتبارها أكبر تكتل اقتصادي لأسرع خمسة اقتصادات دولية نموا في العالم، فالمعطيات الاقتصادية والاجتماعية لدول البريكس إيجابية، بحيث يبلغ نسبة سكان دول البريكس ٤٣٪ من سكان العالم ويبلغ الناتج المحلي لاقتصادات دولها نحو ٢٠٪ من إجمالي الناتج العالمي، وبلغت استثمارات دول البريكس الى ١١٪ من إجمالي حركة الاستثمارات الأجنبية المباشرة على مستوى العالم أي ٤٦٥ مليار دولار وهو ما يعني ان نصف الاستثمارات الأجنبية تحوز عليها دول البريكس.

وتمتلك دول البريكس اقتصادات وطنية ناشئة صاعدة حيث:

تمتلك الصين ثاني أكبر اقتصادات في العالم بمعدل نمو سنوي ١٠٪ على مدى ثلاثين سنة.

الصين أكبر مصدر وثاني أكبر مستورد في العالم.

يحتل اقتصاد البرازيل المرتبة السادسة في العالم.

الاقتصاد الروسي يحتل المرتبة ١١ عالميا من حيث الناتج القومي، والسادس عالميا من حيث القدرة الشرائية.

يملك الهند سوقا استهلاكية كبيرة وهي من أكبر الدول المصدرة.

يعتبر اقتصاد جنوب افريقيا أكبر الاقتصادات في الاتحاد الافريقي، ومن الدول الرائدة في التعدين وتصنيع

المعادن وثالث أكبر مصدر للفحم في العالم.

وقد افاد تقرير البنك الدولي الصادر عام ٢٠١٢ ان دول البريكس تحتل مراتب متقدمة في التنمية العالمية ما جعلها تقوم بإنجازات كبيرة، حيث أنشأت بنك بريكس الذي يعتبر مركز احتياطي لل عملات الأجنبية ولديه مواصفات المؤسسة الدولية، وتطمح الصين الى انشاء بنك استثمار البنى التحتية، من جهة أخرى تشير التوقعات طويلة الأمد ان البريكس ستساهم بنسبة ٥٠٪ في أسواق الأسهم المالية في ٢٠٥٠، وسيتجاوز ناتجها المحلي مثيله في الولايات المتحدة في ٢٠٢٠، و بحلول عام ٢٠٢٧ تصبح البريكس بحجم مجموعة ٧ (G7).

ما يمكن استنتاجه ان لتكتل البريكس وزن اقتصادي مهم في النظام الدولي انطلاقا حجم اقتصادات دولها،

وخطتها التنموية وإنجازاتها المؤسسية ..

التحديات العالمية المطروحة في قمة البريكس ٢٠١٨

كانت قمة البريكس ٢٠١٨ على مدار ثلاث أيام مهمة بأهمية القضايا المطروحة على جدول أعمالها، والوفود رفيعة المستوى التي حضرت فعاليتها واجتماعاتها الرسمية وغير الرسمية وقادة دول كتركيا وانغولا والارجنتين .. وهي دول خارج مجموعة البريكس.

ناقشت قمة البريكس عدة تحديات راهنة أبرزها أن النظام التجاري العالمي يواجه تحديات غير مسبوقة، وهي إشارة الى قضية الحرب التجارية والاقتصادية بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين على خلفية رسوم جمركية التي فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية على الفولاذ و الالمنيوم الصينيين و إجراءات أخرى فرضتها على روسيا و بلجيكا و المانيا، وقد عبر المنظمون على قلقهم الكبير من الإجراءات الأمريكية الاحادية التي تهدد اقتصادات الدول البريكس كالصين وروسيا ..والتي من شأنها ان تحدث تأثيرات سيئة على نموهم مستقبلا، مؤكدا على ضرورة وجود اقتصاد عالمي مفتوح يسمح لجميع الدول والشعوب من الاستفادة من مزايا العولمة.

وقد صرح في هذا الصدد الباحث الصيني شيو شيو جين المدير التنفيذي لقاعدة أبحاث مجموعة البريكس التابعة لمركز أبحاث الاقتصاد والسياسة بالأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية ” ان النزعة الحمائية للولايات المتحدة تمثل خلفية هامة لقمة جوهانسبورغ ، خاصة و ان الحرب التجارية قد فرضت عدة تحديات على العالم ، فان طرق مواجهة الحرب التجارية، ستمثل احدي اهم النقاط المطروحة على طاولة نقاش في القمة.

من جهة أخرى المتغيرات الراهنة تفرض على مجموعة البريكس بناء نموذج برغماتي تعاوني موسع بصيغة متعددة الأطراف، حيث تناقش القمة النمو الشامل للثورة الصناعية الرابعة، فعلى مستوى التكامل الصناعي تعد روسيا دولة رائدة في الصناعات الثقيلة، وتمتلك الهند صناعة برمجيات متطورة، وهو ما يتيح فرص تعاون برغماتي عالي المستوى في المجال الصناعي، على غرار التعاون في مجال انشاء مناطق صناعية والتسهيلات الاستثمارية والتجارية، وطرح المشاريع التي تجتذب كل الأطراف، وفي اطار الاستثمارات كشفت الصين عن خطة لاستثمار ١٤ مليار دولار في جنوب افريقية في اطار إقامة شراكات اقتصادية مع دول القارة الافريقية و التعاون جنوب . جنوب . أسست بنك التنمية الجديد للمجموعة.

وقد أعلن نائب وزير المالية الروسي سيرغي ستوريتشاك استعداد روسيا والهند وجنوب افريقيا للانضمام لبنك بريكس لأسواق الديون المحلية لهذه الدول، من جهة أخرى تطمح روسيا ان دعم القمة البريكس هذه طلب روسيا في استضافة معرض اكسبو ٢٠٢٥ في مدينة يكاتيرينبورغ الروسية. على المستوى السياسي والأمني، ناقش الرئيس الروسي بوتين مع الرئيس التركي أردوغان نزاعات المنطقة العربية وتأثيراتها السلبية على دول العالم وعلى رأسها النزاع السوري وإمكانيات التعاون معه لتسويته، ومحاربة الإرهاب، التطرف وتهريب المخدرات والجريمة العابرة للحدود وحماية الأمن السيبراني لدول البريكس بشكل عام تطرق المجتمعون إلى العوامل التي من شأنها بعث الاستقرار والأمن الدوليين.

توصيات قمة البريكس ٢٠١٨

في ختام القمة العاشرة لمجموعة البريكس وقع أعضاؤها الخمسة والمشاركون بيان ختامي تضمن جملة توصيات:

مواجهة النزعة الانفرادية والحرب التجارية الأمريكية.

رفض الأحادية القطبية في النظام الدولي.

تكثيف التعاون والاستثمار البيني بين دول البريكس.

رفع معدلات النمو الاقتصادي لدول البريكس.

حماية الأمن المعلوماتي لدول البريكس.

يجب التعاون الأمني بين دول البريكس في التصدي للتهديدات والمساهمة في حماية الأمن والسلم الدوليين.

خاتمة:

مجموعة البريكس تكتل اقتصادي رغم حداثة الا انه نجح في القيام بعدة مشاريع اقتصادية مهمة، البريكس يهدف لحماية وتطوير نمو اقتصادات الدول الناشئة، وفرض تصورها الاقتصادي في ظل سياسات الولايات المتحدة الأمريكية لتقويضها عبر العقوبات القاسية، من جهة أخرى يمكن القول ان تكتل البريكس نما سريعا رغم عدم التكافؤ في اقتصادات دوله، والقمة العاشرة اثبتت عبر اجتماعاتها ان البريكس يواجه تحديات كبيرة كالحروب التجارية الغربية، الأمن المعلوماتي، الإرهاب الدولي و الجريمة المنظمة .. واتفق المنظمون على ضرورة محاربتها بتكثيف التعاون في كافة المجالات، وتبقى الشراكة والتعاون اليات لتجاوز المعوقات وإرساء اقتصادات ناجحة مستقبلا .

*اعداد : أميرة أحمد حرزلي، باحثة في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة باجي مختار . عنابة / الجزائر

لماذا تحب بعض الشعوب زعماء طغاة ؟

Aeon magazine : ٢٠١٨/٨/٦

نشر موقع «أيون» مقالا لديفيد ليفينجستون سميث، أستاذ الفلسفة بجامعة نيو إنجلاند، حاول فيه تفسير ترحيب الناس بالزعماء الطغاة السلطويين حيناً بعد حين. قال سميث: «منذ ألف سنة، والفلاسفة والمنظرون يحاولون شرح الأسباب التي تجعلنا نشارك طواعية في اضطهاد أنفسنا، من خلال الخضوع للزعماء السلطويين. وقد زادت أهمية هذا السؤال في عصرنا الحالي عن أي وقت مضى» مع الصعود المشؤوم للأنظمة السلطوية».

شرح الأمر يتطلب تعمقاً أكثر

كان أفلاطون واحداً من أوائل المفكرين الذين عالجوا مشكلة الطغيان، وأكثرهم نفوذاً إذ قال في كتابه «الجمهورية»، الذي كتبه حوالي عام ٣٨٠ قبل الميلاد: «إنَّ الدول الديمقراطية محكوم عليها بالانهيار إلى حكم سلطوي». لم يكن أفلاطون من المعجبين بالديمقراطية، وربما يعود السبب في ذلك إلى أنَّ الديمقراطية الأثينية هي التي حكمت بالإعدام على أستاذه الحبيب: سقراط. كان أفلاطون يعتقد أنَّ أنماط الحكم الديمقراطية تخلق شعوباً خليعة وغير منضبطة، تقع بسهولة فريسة للكلام الناعم للسياسيين الماهرين في فن تملق رغبات الجمهور.

وقال أفلاطون في كتاب «جورجياس»، الذي كتبه في نفس وقت كتابة «الجمهورية»: إنَّ مثل أولئك السياسيين يغوون الجماهير بوعود غير صحيحة، بدلاً عن تنمية الصالح العام. وقال أفلاطون باستخفاف: «لقد وضع الخباز قناع الطبيب، وتظاهر بمعرفة الأغذية المثلى للجسد، لو تنافس خباز وطبيب أمام أطفال، أو أمام رجال في حماقة الأطفال، لتحديد أي منهما لديه المعرفة الجيدة بالطعام الجيد والسيئ، فسوف يموت الطبيب جوعاً».

وقال سميث: إننا لو تأملنا عمل عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر، في أوائل القرن العشرين، والذي كان من مؤسسي علم الاجتماع، وطور مفهوم «السلطة الكاريزمية». وهي «صفة خاصة بشخصية فردية يتميز بفضلها عن الرجال العاديين ويعامل بصفته فوق الطبيعي، أو إنساناً خارقاً، أو على أقل تقدير بصفته إنساناً ذا قوى أو صفات استثنائية على وجه الخصوص»، فإنه يعتبر أولئك القادة – أصحاب الكاريزما – أنبياء من قبل أتباعهم.

وتعمق وجهات نظر فيبر من الرواية العامة لأفلاطون فالطاغية الصاعد يكون ذا هالة سحرية خاصة، ويعتقد أتباعه أنَّ بإمكانه أن يفعل المعجزات، وأن يحول حياتهم، ويتساءل سميث، لكن كيف يحدث هذا؟ ما الذي يجعل بشراً عقلاء في العموم ينصاعون إلى تبني مثل هذه الرؤى غير الواقعية بشكل خطير؟ وإجابة على هذا التساؤل يعتقد سميث بأن شرح الأمر يتطلب تعمقاً أكثر.

أتباع الزعماء كما يفسرهم فرويد

وصل تفكير فرويد إلى ذروته في كتاب «علم النفس الجماعي وتحليل الأنا» (١٩٢١). ركز الكتاب على الديناميكيات النفسية للأتباع. هذا النص مثله في ذلك مثل معظم كتابات فرويد: نص معقد، لكنَّ ثمة فكرتين تبرزان من بين ثناياه. أولاً يقول فرويد: إنَّ أولئك المنجذبين إلى القادة السلطويين يبجلونهم "إذ يُنظر إلى الزعيم باعتباره إنساناً نموذجياً بطولياً منزهاً عن كل عيب خطير. وثانياً، يقول: إنَّ التابعين يتماثلون مع زعيمهم من خلال استبداله بما يسميه فرويد بالأنا المثالية. هذه الأنا المثالية عبارة عن تمثيل عقلي للقيم المرشدة للإنسان. وتتكون هذه الأنا من اعتقادات حول الصواب والخطأ، والإلزامي والمحظور. إنَّ هذه الأنا هي بوصلتنا الأخلاقية" إذ يشبه عملها

عمل الضمير. وعندما يحل الزعيم المستبد محل الأنا المثالية لأولئك الأتباع، فإنه يصبح ضمير الأتباع، وصوته يصبح صوت ضميرهم. فيصبح كل ما يتفوه به الزعيم – بالتعريف – حسنًا وصوابًا.

يضيف سميث: إنَّ نظرية فرويد تنسجم مع ما حدث في ألمانيا وقت هتلر. خذ مثلاً ألفونس هيك "كان هيك زمن شبابه عضواً في شبيبة هتلر. كتبت المؤرخة كلاوديا كونز في كتابها «الضمير النازي» (٢٠٠٣) أن هيك عندما شاهد رجال البوليس السري الألماني (الجيستابو) وهم يجمعون اليهود في قريته للترحيل، بما فيهم أعز أصدقائه، هاينز، لم يقل لنفسه: «يا له من شيء رهيب أنهم يعتقلون اليهود» وإنما قال، بعد أن استوعب المعرفة عن «التهديد اليهودي»: «يا لسوء الحظ أن هاينز يهودي». ولما صار بالغاً قال: «لقد قبلت الترحيل باعتباره أمراً عادلاً».

إنَّ لحقيقة تماثل هوية مجتمع الأتباع مع الزعماء السلطويين تبعة أخرى مهمة. فالأتباع يتعرفون على بعضهم بصفاتهم جزءاً من «حركة»، ويعتبرون أنفسهم مندمجين في إطار جماعي. إنَّ هذا الشعور المسكر بالاتحاد، وإخضاع المصلحة الذاتية للفرد إلى قضية أكبر، عنصر مهم للغاية في الأنظمة السلطوية. ونجد هذا العنصر بشكل كبير في الخطاب السلطوي، كما وضح في حالة الرايخ الثالث فكرة أهمية الإنسان الفرد بصفته مهماً فقط من حيث كونه عربيةً في سباق، وأنَّ واجب الفرد ناحية هذه الروح الأعظم المتسامية يفوق مصالحه الشخصية الضيقة كان سائداً في ألمانيا في عهد هتلر. تعلم الطلاب الألمان المحافظة على (نقاء) دمائهم، أي تجنب تمازج الأجناس. لم يكن دمهم خاصاً بهم، وإنما للجنس الألماني، في الماضي والحاضر والمستقبل، ومن خلال هذه الدماء سوف يحوزون الحياة الخالدة.

التسليم والخضوع من أجل النقاء

قال التقرير: إنَّ للمشاركة في الأنظمة السلطوية نغمة دينية لا تخطئها العين" إذ تتضمن تسليم الشخص نفسه لقوة أعظم والتخلي عن حدود الأنا الفردية، من أجل النقاء. تستدعي هذه الأنظمة الخلود، وإعادة الميلاد والخلص.

إنَّ الطبيعة شبه الدينية لصعود هتلر قد وصفت في كتاب «الكاريزما المظلمة لأدولف هتلر» (٢٠١٢) للمؤرخ لورنس ريس: «إنَّ جحافل الألمان الذين سافروا . كالحجاج تقريباً لإظهار الاحترام إلى هتلر في منزله في بيرتشسجادن، وآلاف العرائض الشخصية المرسلة إلى هتلر في مستشارية الرايخ، والأيقنة شبه الدينية لمسيرات نورمبرج، وحقيقة أنَّ الأطفال الألمان كانوا يتعلمون أنَّ هتلر قد (أرسل من السماء) وأنه (إيمانهم) (ونورهم)، كل هذه الأمور تدل على أنَّ هتلر لم يكن ينظر إليه بصفته سياسياً عادياً، وإنما بشكل أكبر بصفته نبياً مرسلًا من السماء».

عام ١٩٣٢، ذهب المحلل النفسي، روجر ماني كيرل، إلى برلين لزيارة صديقه الدبلوماسي آرثر ينكن (الذي اغتاله النازيون لاحقاً). أخذه ينكن إلى تجميع للحزب النازي تحدث فيه كل من جوزيف جوبلز وهتلر. روعت هذه التجربة كيرل، فحاول فهم ما حدث من خلال فحص الخطابات وديناميكيات الجمهور عبر منظار التحليل النفسي. ونتج عن ذلك التحليل مقاله «سيكولوجية البروباغاندا» (١٩٤١).

في ذلك الوقت كان كيرل واقعاً تحت تأثير المحللة النفسية الإنجليزية ميلاني كلاين. كانت كلاين تعتقد أنَّ جميع البشر تطاردهم مخاوف مرعبة وعميقة سميتها «المخاوف الذهانية». وكانت تعتقد أنَّ هذه المخاوف واستجابتنا لها

تدفع أكثر السلوك الإنساني، خيراً وشرّاً. وطبقاً لهذه النظرية فقد كان ثمة نمطان أساسيان من المخاوف الذهانية: القلق العصابي، وهو الرعب من الاضطهاد بفعل قوى الشر، أو القوى الأبدية. والقلق الاكتئابي، وهو شعور المرء بالذنب لتدميره ما يحب أو يجل. ووصفت كلاين ما سمته الدفاع الهوسي، وهو إنكار العجز والاتكالية على الآخرين بفعل أوهام السلطة والعظمة والاكتفاء الذاتي، ويعبر عنها في مواقف النصر والسيطرة والازدراء.

خطاب المحبة في ثلاث خطوات

استخدم كيرل هذا الإطار لفهم قوة الخطاب النازي. وخلص إلى القول بأن هتلر وجوبلز كانا يستحثان في جمهورهما نوعاً من الذهان الجماعي، ويستخدمانه لأغراض سياسية. كتب كيرل: «لم تكن الخطابات نفسها مذهلة بشكل خاص، لكن الجماهير كانت لا تنسى. بدا أن الناس تدريجياً يفقدون شخصيتهم الفردية» لينصهروا إلى وحش ذي سلطة هائلة وإن لم يكن شديد الذكاء.. وكان هذا الوحش تحت السيطرة الكاملة للشخص الواقف على المنصة الذي كان يستدعي عواطفهم أو يغيرها بكل سهولة».

وقد أدى رصد كيرل لهتلر وجوبلز إلى اعتقاده بالفكرة القائلة إنه من أجل نجاح الدعاية السياسية، ينبغي لمن يقوم بها أن ينتزع من جمهوره شعوراً بقلّة الحيلة، ثم يعرض عليهم حلاً سحرياً. في البداية يصيبون الجمهور بالإحباط، يشعرونهم بأنهم قد فقدوا أو دمروا شيئاً شديد الجمال والقيمة، أنهم أخضعوا، أنهم صاروا أضحوكة، أنهم خانوا المصير العظيم للشعب الألماني، وكما وصف كيرل: «عشر دقائق سمعنا معاناة ألمانيا منذ الحرب، بدا أن الوحش مغمور في طقوس رثاء الذات».

تتمثل الخطوة الثانية في تحديد أقلية أو جماعة من الغرباء بوصفهم سبب المعاناة. هذه المجموعة هي قوى الشر، التي تضطهدنا من الخارج، أو تستهلكنا من الداخل. كتب كيرل: «أما الدقائق الـ ١٠ التالية فقد اشتملت على أفضع الشتائم ضد اليهود والديمقراطيين الاجتماعيين باعتبارهم السبب الوحيد لهذه المعاناة. حلت الكراهية محل الرثاء الذاتي، وبدا أن الوحش على وشك أن يصبح قاتلاً».

والخطوة الثالثة تتمثل في تقديم علاج هوسي لمخاوف العجز. قال كيرل: «ليس الرثاء الذاتي والكراهية كافيين. فمن المهم أيضاً طرد الخوف. لذا فقد تحول المتكلمون من السبب إلى مدح الذات. لقد أصبح الحزب، الذي بدأ صغيراً، حزباً لا يقهر. شعر كل مستمع بجزء من قوة الحزب المطلقة داخل نفسه. تحول المستمع إلى مختل عقلي. تحولت الكآبة المستحثة إلى سوداوية. وتحولت السوداوية إلى بارانويا، وتحولت البارانويا إلى جنون العظمة».

يذكر سميث أنه على الرغم من أن ماني كيرل قد استوحى ملاحظاته من الخطاب النازي، فإن ذلك لا يعني اقتصارها على النازيين. فقد حضرت الصحافية جوين جيلفورد عدداً من التجمعات الانتخابية لدونالد ترامب، في الجولة التحضيرية لانتخابات ٢٠١٦. استخدمت جيلفورد ملحوظاتها لاختبار نظرية ماني كيرل. وكتبت جيلفورد: «لقد مررت بجميع رزم الملحوظات التي خطتها في التجمعات الانتخابية لترامب. تقريباً كانت كل فقرة تلائم تسلسل ماني كيرل».

ختم سميث مقاله بالقول: إنه «بصرف النظر عن صحة هذا التشخيص النفسي للزعماء، فإن ثمة حاجة ماسة إلى مثل هذه التحليلات حول الينابيع النفسية لاشتراء الزعماء السلطويين، ذلك أن فهم جاذبية الأوهام السلطوية قد يساعدنا على تحصين أنفسنا منها، وعلى تجنب الوقوع في نفس الهاوية مرة أخرى».

الحصاد المر للربيع العربي

*د. برهان غليون

الاستبداد ليس ماركة عربية مسجلة.. لا لتأييد الديكتاتورية باسم "الخصوصية العربية"

موقع قنطرة الألماني: ٢٠١٨/٨/٦

بعد غيبة قصيرة، على إثر اندلاع ثورات الربيع العربي التي لم ينكر أحد أنها كانت تهدف إلى إحلال حكومات تمثيلية ودستورية محل نظم مستبدة ظالمة ووحشية في تعاملها مع شعوبها ومجتمعاتها، يستعيد بعض الباحثين اليوم نظرية الاستثناء العربي القديمة. ولكن في حلة جديدة تبدو أكثر حيادية، هي نظرية الخصوصية العربية. وهم يحاولون تفسير فشل ثورات الربيع العربي الشعبية في إنجاز تحول ديمقراطي، مثلما حصل في شرق أوروبا، بعد انهيار الكتلة السوفيتية، بالطابع الخاص للمجتمعات العربية، التي تبدو متشبثة أكثر من غيرها بالإرث الثقافي والديني الذي لا تريد الانفصال عنه.

ويأتي انتشار الحركات السلفية والإسلاموية الواسع، وانتزاعها القيادة في الثورات العربية، بمثابة التأكيد القاطع لفرضية الخصوصية هذه. ومن الطبيعي أن يلتهم أنصار الاستبداديين، الديني والسياسي، في العالم العربي، هذا التفسير، ليبرروا حرمانهم مواطنيهم من حقهم في الولوج إلى هذا المكتسب المدني الإنساني والتاريخي الجوهري، والمفتاح لمكاسب أخرى معا.

بداية، ليست الثقافة مطابقة للإرث الثقافي، فهي، بعكس الإرث الناجز والجاهز، عملية تفاعل حي مع الواقع والتاريخ معا، أي تتقف دائم ومثاقفة وانغماس للذات في الحدث والعصر. ولا يفكر الأحفاد، مهما حاولوا واجتهدوا، وتوهموا، كما يفكر الأجداد.

العرب، مثل جميع الشعوب والمجتمعات يعيدون تأويل الإرث الماضي، الديني والمدني، ويختارون منه، ويصورونه أيضا، على حسب حاجاتهم التاريخية، ومن خلال ذلك يقومون بتكوين ذاتيتهم/ ذاتهم في نشأتها الجديدة، التي تأخذ من العصر إشكالاته وقيمه وحوافزه وغاياته الانسانية، ومن الماضي مادتها وبعض رموزها.

(١)

من هنا، يشكل النزوع إلى استيعاب الحداثة وقيمها وغاياتها المحرك الأول لبناء الثقافة التي ليست سوى بلورة الخيارات الجديدة، ونشاندان الفعالية في كل ميادين النشاط المجتمعي.

وكما كان استيعاب العلوم والتقنيات وأنماط العمران والإنتاج والاستهلاك هو الموجه لنشاط المجتمعات العربية وغيرها في القرنين الماضيين، كان بناء دول وطنية وتزويدها بقوانين ومدونات مكتوبة ومؤسسات دستورية متعددة، وتبني نمط التوزيع السائد للسلطات فيها، الرد الأول والطبيعي والمنطقي على الحاجة إلى إعادة تأسيس الدولة، بالنسبة للنخب العربية وغير العربية، الخارجة من عصور السلطنة المنتهية، ثم من بعدها عهد الوصاية الاستعمارية.

سوريا الأسد مثالا: تجربة ثورات الربيع العربي أكبر برهان على أن إعاقة التحول الديمقراطي لم تأت من الشعوب، وإنما من الصراعات الجيوسياسية الإقليمية والدولية التي أثارتها والموقف الدولي العام الذي انحاز ضدها.

هكذا، باستثناء حالات خاصة، تقاطعت فيها مصالح داخلية وخارجية قوية، نشأت أكثر الدول العربية المستقلة على نمط الدولة الديمقراطية التعددية المدنية، واستمرت معه خلال النصف الأول من القرن العشرين. تفسير ذلك سهل جدا، وفي متناول الجميع، لأنه سنة التاريخ وقانونه، الذي يفيد بأنه لا يعيش اجتماع سياسي ومدني، ما لم يتمثل أسس قيام الاجتماع السياسي التاريخية، أي المتبعة في عصره، لأن العالم لا يتكون من مجتمعات مغلقة، ومكتفية بنفسها، ومتكورة على ذاتها، لكنه يتشكل في الصدام والصراع والتنافس. والشعب أو القومية التي لا تنجح في تمثل قواعد العمل والصراع السائدة في عصرها تخرج من التاريخ، وتتهمش قبل أن تذوب في غيرها.

ما يبدو من مظاهر تشبث المجتمعات العربية بالإرث الثقافي والديني القديم ليس له علاقة بهذا الإرث نفسه، وإنما هو ثقافة جديدة أو جزء من ثقافة جديدة، هي ثقافة الرد على حالة التهميش والإقصاء والعنصرية التي تعيشها الأغلبية الساحقة من الكتل الشعبية المنتزعة من أي هوية وثقافة، وهي ثقافة مختلفة تماماً تعبر عن ميول وتوجهات ومخاوف وتناقضات وتطلعات واختناقات نشأت في ظل الأوضاع الداخلية والخارجية القائمة في حضن المجتمعات بعد، وبسبب إجهاض محاولاتها الرائدة للانعتاق منذ قرنين. وهي ما أسميها ثقافة الضد أو الثقافة المضادة أو مقلوب الثقافة.

وبالمثل، لم يكن الفكر الديمقراطي وليداً شرعياً لأي ثقافة أو إرث خاص. لقد نجم عن طفرات وانقطاعات فكرية وسياسية، طرأت على مسار بعض المجتمعات الأوروبية المتأزمة، بعد أن لم تكن موجودة من قبل. ولكنه أصبح في عصرنا، كالماء والهواء، جزءاً من البيئة الثقافية والسياسية والنفسية المشتركة للبشرية، ويقف في مقدمة جدول العمل التاريخي لجميع الشعوب.

(٢)

وكما أنه لا يوجد شعب منفصل اليوم عن تحولات الثقافة والسياسة والفكر العالمي، كذلك لا يوجد شعب يفضل العبودية، أو حكم السيد الإقطاعي، أو الملك المطلق السلطات، على نظم التعددية الديمقراطية والمشاركة وحكم القانون والمساواة الأخلاقية والقانونية.

أکید أن تيارات رأي سياسية نشأت، منذ بضعة عقود، تعتقد أن القيم والمبادئ الدينية ينبغي أن تتقدم على مرجعية السيادة الشعبية أو الحكمة العقلية، وقد حققت بعض النجاح في الظروف الصعبة التي تمر بها المجتمعات الباحثة عن مخرج من معاناتها، لكنها لم تلبث أن اصطدمت بالواقع الصلب، وخسرت رهاناتها، واقع أن القيم الرئيسية التي تحرك الفرد، أي الأغلبية الساحقة من البشر، بما في ذلك جزء كبير من جمهور هذه الحركات، هي قيم المدنية الإنسانية التي بدأت تنتشر منذ عهد النزعة الإنسانية والنهضة الأوروبية. وأن المجتمعات التي خدعتها وعود تطبيق "الشريعة" الدينية بدل الدستور، أي في الواقع الأخذ برأي الفقهاء والشرعيين، بدل رأي ممثلي الشعب المجسد في حكم القانون، سرعان ما وجدت نفسها في صدام مع هذه التيارات، وتخلت عنها لإدراكها تناقض أهدافها مع تحقيق قيم المدنية الإنسانية التي تتطلع إليها.

خصوصية من داخل الشرط الإنساني العام

هذا ما حصل للحركات الإسلامية الإخوانية في السابق، ويحصل للسلفية التي تطفلت على بعض ثورات الربيع العربي البارحة، وما أدى إلى صدام عنيف في أكثر من مكان بين المدنيين وسلطة الأمر الواقع للمنظمات الجهادية الداعشية، أو القاعدية، والتي تحثها عقيدتها علناً ومباشرة على تكفير الجمهور الواسع، وإدانته والاعتداء المستمر عليه.

لا أريد أن أستنتج من ذلك أنه لا توجد خصوصية في التجارب العربية، إنما خصوصية من داخل الشرط الإنساني العام، لا ضده ولا من خارجه. وفي هذه الحالة، تتساوى جميع الشعوب والمجتمعات في سمة الخصوصية، ولا تتميز بها حالة بذاتها. فلا يوجد وضعان متماثلان لمجتمعين، حتى لو انتميا لتراث واحد.

ينجم عن ذلك أن بذور التحولات الديمقراطية موجودة اليوم في تربة المجتمعات كافة، الشرقية والغربية، المتقدمة والمتأخرة. وأن الدافع المشترك لها جميعاً هو التطلع إلى الانسجام والتناغم مع القيم الإنسانية الرئيسية التي نمت وانتشرت وسادت في القرنين الماضيين، وفي مقدمها قيم الحرية والعدالة والمساواة والقانون والمواطنة.

لكن تفعيل هذه البذور، والانتقال بها من حالة الكمون إلى حالة التجسد العملي للقيم المرتبطة بها لا يتعلق فقط بإرث الشعوب الثقافي وعقائدها الدينية وتقاليدها، ولا حتى بإرادة نخبها وأحزابها، وإنما بخصوصية شروط تحقيقها واختلاف بعضها عن بعض، في نوع التربية الثقافية والسياسية التي تلقاها نخبها الاجتماعية، أو في موقعها

في نظام العلاقات الدولية، ودوائر توزيع السلطة والثروة والقوة العالمية، وإزاء الاستراتيجيات الكبرى التي تتنازع فيما بينها على السيطرة الإقليمية والهيمنة العالمية. في المقابل، تبقى الثقافة الشعبية أكثر العوامل المؤثرة في هذا المسار مرونة، فهي قابلة بسهولة وسرعة للتغيير عن طريق التفسير والتأويل والتجديد. وهذا ما أثبتته تجربة الشعوب العربية ذاتها في النصف الأول من القرن العشرين، حين انتشرت التأويلات الديمقراطية والليبرالية للثقافة التراثية والدين.

كما إن تجربة ثورات الربيع العربي أكبر برهان على أن إعاقة التحول الديمقراطي لم تأت من الشعوب، وإنما من الصراعات الجيوسياسية الإقليمية والدولية التي أثارها، والموقف الدولي العام الذي انحاز ضدها، وغض النظر عن عملية سحقها من النظم الاستبدادية، وقرّر دعم هذه النظم ضد شعوبها.

مصر والعودة إلى المربع الأول: عانت مصر على مدار عام ٢٠١٣ من اضطرابات سياسية التي اتخذت طابعا دمويا إثر انقلاب الجيش على الرئيس محمد مرسي المنتخب ديمقراطيا، وقتل ما لا يقل عن ٢٠٠٠ شخص. ورغم تعهد وزير الدفاع عبد الفتاح السيسي آنذاك بتنفيذ خارطة طريق من شأنها قيادة البلاد نحو الديمقراطية، دخلت البلاد في مسار مظلم وتم تجميد الحياة السياسية واعتقال آلاف النشطاء السياسيين.

وبالمثل، ليس هناك أي أساس للزعم إن دعم الدول الديمقراطية المركزية أنظمة الاستبداد وتأييدها في الشرق جاء على أرضية الخوف من طابع الثورات الإسلامية، واحتمال حلول نظم إسلامية محل النظم "العلمانية" القائمة. بالعكس، لم تحصل الأسلمة ذاتها ويتسع نطاقها إلا بسبب التخلي الفعلي عن دعم هذه الثورات، وتركها لمصيرها أمام طغاة لم يترددوا في تحويلها إلى حروب إبادة جماعية.

وفي الحالة الوحيدة التي حصل فيها التدخل العسكري الدولي، بمبادرة من الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي في ليبيا، كان الغرض منه السطو على مصير بلد، والتسابق بمنطق المافيات على وضع اليد على ثروته النفطية، وانتزاعها من فم معمر القذافي وأعوانه وتقاسمها فريسة، من دون أي تفكير في مصير الليبيين وانتقالهم الديمقراطي أو مصير دولتهم. ولأغراض لا تقل أنانية وسوءا عن التي دفعت إلى التدخل في ليبيا، قامت الولايات المتحدة في عهد الرئيس بوش الابن بحربها التدميرية ضد العراق، للقضاء على نظام صدام حسين.

وتشكل هذه التدخلات التي غيرت مسار التطور السياسي لهذه المجتمعات وقوّضته، قبل اندلاع ثورات الربيع العربي وبعدها، امتدادا طبيعيا لسياسات الغرب، وهو الجار وصاحب النفوذ في الشرق، إزاء مشاريع التحديث العربية منذ نهاية القرن التاسع عشر، مروراً بالحقبة الليبرالية ثم الناصرية، ومحاولاته المستمرة لإجهاضها في جميع مستوياتها التقنية والعلمية والسياسية والاقتصادية.

(٣)

ما حكم موقف الدول القوية، الإقليمية والعالمية، من ثورات الربيع العربي، هو الحفاظ على توازنات جيوسياسية واستراتيجية واقتصادية، لا علاقة لثقافة العرب ودينهم، ولا حتى للحركات المتطرفة الإسلامية وتوسعها به، وفي مقدمتها توازنات القوة بين جنوب المتوسط وشرقه وأوروبا التي قرّرت الإبقاء على منطقة الشرق الأوسط تحت سيطرتها ووصايتها الدائمتين، وبالتالي تعزيز وسائل ضبط تحركات شعوبها وتقييد حريتهم.

ولم تنشأ المنظمات المتطرفة الجهادية بمعزل عن هذه الاستراتيجيات، فقد ولدت في مستنقع الغل واليأس الذي أنتجه إجهاد مشاريع التحديث والتنمية العربية، وما نجم عن الشعور بانسداد الأفق وغياب الخيارات من روح التمرد والعنف الموجه نحو الذات قبل الآخر، لكنها تشكل اليوم ميدان استثمار مشترك للنظم الاستبدادية ولقوى الوصاية الدولية معا التي تستخدمها لتبرير سياسات الحرب، وتحييد الشعوب وإخضاعها وتشتيتها والتحكم بمصيرها.

لا تساعد نظرية الخصوصية العربية على فهم أسباب انسداد طريق التحول الديمقراطي في البلاد العربية، لكنها تعمل بالعكس على طمسها، فبتركيزها النظر على إرث العرب وماضيهم، تريد في الواقع أن تغطي على الخصوصية الحقيقية لهذه المنطقة، وهي أنها كانت تعامل دائما بوصفها حقل صيد مفتوحا لجميع القوى الدولية والإقليمية الكبرى المتنافسة، وملتقى جميع تدخلاتها الدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية، الدائمة والمتعددة المستويات.

وهذا يعني خصوصية الإنكار على هذه الدول وشعوبها مفهوم السيادة، والادعاء في المقابل الحق بفرض المراقبة على قراراتها وتحولات مجتمعاتها، بزعم الحفاظ على التوازنات الإقليمية، أو حماية الأمن والسلام العالمي، أو مكافحة الإرهاب وحركات التطرف الدينية والقومية. يساعدها في ذلك الوهم الذي غدّته منذ قرون، وهي تعود إليه من جديد حول البعيع الإسلامي الكامن، بعد بيع الوحدة العربية التي جعلت منها فزاعة، وشبهتها بالرايخ الألماني، كما شبهت جمال عبد الناصر بأدولف هتلر لتبرير سيطرتها على المنطقة.

من بين جميع هذه المساعي لسد طريق التحول الديمقراطي أمام المجتمعات العربية، يشكل المسعى الرامي إلى تأكيد وجود خصوصية عربية، والمقصود بها في الواقع عاهة ولادية، تمنع العرب من طرق باب التحولات الديمقراطية، وتحول ثوراتهم الشعبية التي قامت من أجلها إلى تمرّدات طائفية ودينية وحروب أهلية لا غير، أقول يشكل مسعى التأكيد على الخصوصية الاختراع الأشد فتكا بصورة الشعوب العربية في وعي العالم، ووعي العرب أنفسهم، بمقدار ما يسلبهم هويتهم الإنسانية المشتركة، ويخرجهم من تاريخهم، ويسلم بانعدام قدرتهم أو أهليتهم لتمثل القيم المدنية الحديثة، ورفضهم لها. ما يشكل إدانة قاطعة، أخلاقية وسياسية دائمة، لهذه الشعوب، والحكم عليها بالبقاء في قفص الاستبداد، والنظر إلى الحروب الأهلية والنزاعات المستمرة التي تجري على أراضيها جزءا من هويتها وثقافتها، وهي المسؤولة الأولى عنها لا ضحيتها.

ولا تقف النتيجة المنطقية لهذه الافتراضات عند تبرير التخلي عن دعم شعوبها وتركها لمصيرها، فريسة النخب الكاسرة وحلفائها الخارجيين وشركائها من شبكات المافيا الدولية فحسب، وإنما تجعل منها خطرا على الإنسانية، وتبرر بالمناسبة ذاتها تحليل المجتمع الدولي من مسؤولياته السياسية والأخلاقية إزاء استمرار حروب الإبادة الجماعية وانتهاكاتها.

والخلاصة أن الخصوصية العربية الوحيدة في ميدان الانتقال الديمقراطي في البلاد العربية، إذا أردنا بالفعل الحديث عن خصوصية، تكمن في الإجهاض المنهجي لمشاريع الانعتاق والتحرر والتحديث، السياسية وغير السياسية، وتفريغها من مضمونها، سواء حصل ذلك بالتدخل العسكري المباشر، أو بالامتناع عن دعم الحركات الديمقراطية والشعبية، أو بتشويه صورة ما يحصل منها وإدراجها جميعا في دائرة الهبات السلبية الطائفية أو الدينية أو القومية أو الإثنية.

وهذا يعني في الحالة السورية محو الصورة المدنية والسياسية تماما للثورة ضد بربرية نظام الأسد، وتميرها على الرأي العام العالمي كحرب ضد الإرهاب من أجل تبرير إعادة تأهيل نظام، وظيفته الوحيدة حصار السوريين، وإرهابهم وتركيعهم.

وفي ما وراء ذلك، ما تهدف إليه نظرية الخصوصية لتبرير فشل التحولات الديمقراطية في العالم العربي هو إقناع الرأي العام العربي والعالمي معا بأنه لا يوجد أمام المجتمع الدولي خيار آخر تجاه تفجر أزمة المجتمعات العربية، والاحتراق ببراكينها سوى التعايش مع النظم الاستبدادية، بل التعاون معها، وتقديم يد العون لها، بصرف النظر عن سقوطها الأخلاقي وهمجيتها، والخراب الذي تقود إليه دولها، فهي السد المنيع الوحيد الذي يمكن الركون إليه لاتقاء شر شعوب دينت مسبقا بالفشل والعجز، وانعدام الأهلية للوصول إلى الديمقراطية، وتمثل القيم الإنسانية الجامعة.

***المفكر برهان غليون أكاديمي سوري، أستاذ علم الاجتماع السياسي في جامعة السوربون في باريس، أول رئيس للمجلس الوطني السوري المعارض، من مؤلفاته: "بيان من أجل الديمقراطية" و"اغتيال العقل" و"مجتمع النخبة".**

باكستان عمران خان

*شهيد جواد بوري

بروجيكت سنديكييت: ٢٠١٨/٨/٦

سوف يصبح لاعب الكريكييت السابق، عمران خان، الذي تحول إلى سياسي، رئيس وزراء باكستان المقبل. وقد اكتمل فرز الأصوات بعد ثلاثة أيام من الانتخابات في الخامس والعشرين من تموز (يوليو)، وقاد خان حزيه، حركة إنصاف باكستان، إلى النصر. ويحتاج أي حزب -أو ائتلاف من مجموعة أحزاب- إلى دعم ١٣٧ عضواً في الجمعية الوطنية على الأقل حتى تتسنى دعوته لتشكيل حكومة. وقد اقترب خان من تحقيق هذا الهدف. فبعد حصوله على ١١٥ مقعداً، يجب أن يكون حزب حركة إنصاف باكستان قادراً على الحصول على دعم العشرات من المستقلين وأعضاء الأحزاب الأصغر حجماً. وقد رجح المراقبون أن يؤدي اليمين الدستورية قبل الرابع عشر من آب (أغسطس)، الذي يوافق الذكرى السنوية الحادية والسبعين لميلاد دولة باكستان.

في انصياح لمشورة مستشاريه المقربين، وبمخاطبته لجماهير الناس بوصفه رئيس الوزراء المنتخب، قال خان إنه بعد أن مارس رياضة الكريكييت، أصبح يعلم أن المباراة لا تنتهي إلى أن تُضرب آخر كرة. لكنه ظهر في وقت لاحق على شاشة التلفزيون الوطني وهو يعدّ بيناء باكستان جديدة.

بعقد الانتخابات، أكملت البلاد واحدة من أكبر الممارسات الديمقراطية في العالم. وفي الإجمال، جرى تسجيل ١٠٦ ملايين ناخب لاختيار أعضاء الجمعية الوطنية المقبلة وأربع جمعيات إقليمية. ومن هؤلاء، أدلى ٥٦ مليون شخص (ما يقرب من ٥٣ ٪ من الإجمالي) بأصواتهم. وقد اختار الناخبون ٢٧٠ عضواً للجمعية الوطنية. ولأن اثنين من المرشحين قُتلا في أعمال عنف سابقة للانتخابات، فقد جرى تأجيل التصويت على اثنين من المقاعد المنتخبة بشكل مباشر. كما تم انتخاب ستين امرأة وعشرة أعضاء من أقليات دينية مختلفة بشكل غير مباشر من قبل الجمعيات الإقليمية الأربع، وبذلك بلغ مجموع أعضاء الهيئة التشريعية الوطنية ٣٤٢ عضواً.

تنافس في الانتخابات أكثر من ٣,٦٠٠ مرشح على مقاعد الجمعية الوطنية المنتخبة بشكل مباشر (٢٧٢ مقعداً)، بمتوسط ١٣ متنافساً على كل مقعد. وهو دليل جيد لقياس حالة السياسة في البلد. ففي الأنظمة السياسية الأقل تطوراً، عادة ما يكون الانضباط الحزبي أضعف من أن يحد من عدد القادرين على خوض الانتخابات.

كما تزدحم الساحة السياسية الباكستانية أيضاً بعدد كبير من الأحزاب، وهي علامة أخرى على عدم نضج النظام. فبالإضافة إلى حزب حركة إنصاف باكستان، الذي أسسه خان في العام ١٩٩٦، يتمتع حزبان آخران بعدد حاشد من الأتباع. والأقدم بينهما هو حزب الرابطة الإسلامية في باكستان (نواز)، الذي يرجع تاريخه إلى العام ١٩٠٦، عندما شكل السكان المسلمون في الهند البريطانية منظمة لتمثيل مصالحهم السياسية والاقتصادية في المجتمع. وبقيادة مؤسس باكستان، محمد علي جناح، نظم حزب الرابطة الإسلامية الباكستانية حملة لإنشاء دولة منفصلة للسكان المسلمين في الهند. ومنذ استقلال باكستان في العام ١٩٤٧، عاد الحزب إلى الحياة في عدة أشكال: وكان أحدث أشكاله الرابطة الإسلامية الباكستانية (ن) بقيادة رئيس الوزراء السابق نواز شريف، والتي أصبحت الآن تحت قيادة أخيه شهباز.

وتأسست القوة السياسية الرئيسية الأخرى، حزب الشعب الباكستاني، على يد ذو الفقار علي بوتو في العام ١٩٦٧، بعد أن استقال من الحكومة التي كان يترأسها مرشده الجنرال أيوب خان، أول قائد عسكري للبلاد، بسبب خلافات حول سياسات خان في إدارة العلاقات مع الصين والهند والولايات المتحدة.

كانت الانتخابات العامة الأخيرة هي رقم ١١ في باكستان. وحتى الآن، لم تكن الانتخابات مفتوحة وديمقراطية إلا في مناسبتين فقط، في العام ٢٠٠٨، ثم في العام ٢٠١٣. وأدت كل من المناسبتين إلى انتقال سلمي ومنظم للسلطة. وفاز في انتخابات العام ٢ٰ٠٨ حزب الشعب الباكستاني تحت قيادة مشتركة تألفت من آصف علي زرداري، أرمل رئيسة الوزراء السابقة بنظير بوتو، التي قتلت في كانون الأول (ديسمبر) من العام ٢٠٠٧ أثناء إلقاءها كلمة أمام حشد انتخابي. وفاز حزب الرابطة الإسلامية الباكستانية (ن) في انتخابات العام ٢٠١٣، وأصبح شريف رئيساً للوزراء. لكنه خُلع في العام ٢٠١٧، عندما أدت تسريبات ما أسمى "أوراق بنما" إلى اتهامه جنائياً بعدة جرائم مالية. وفي وقت سابق من هذا العام، منعت المحكمة العليا من تولي أي منصب عام مدى الحياة، وفي هذا الشهر حُكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات.

جرت انتخابات هذا العام في سلام نسبي، وهو ما يرجع جزئياً إلى وجود قوات عسكرية قوامها ٣٧٠ ألف جندي حول مراكز الاقتراع. وعلى الرغم من أن نشر هذه القوات كان المقصود منه منع مزاعم تزوير الأصوات، التي استخدمها عمران خان وأنصاره لإلقاء ظلال من الشك على شرعية حكومة شريف، زعمت الأحزاب المهزومة أن الانتخابات لم تكن نزيهة.

كان نجاح حزب حركة إنصاف باكستان راجعاً إلى مجموعة من العوامل. فبدأي ذي بدء، رفع الحزب مكانته بين شباب المناطق الحضرية في باكستان. وتتمتع باكستان بواحد من أكثر شعوب العالم شباباً حيث يبلغ متوسط العمر بين السكان ٢٥ عاماً فقط، وكانت هجرة الشباب إلى المدن الكبرى سبباً في زيادة نسبة الشباب في أماكن مثل كراتشي ولاهور إلى نحو ٧٠ ٪ إلى ٧٥ ٪. ومن منظور كثيرين من هؤلاء الشباب، لم يلب حزب الرابطة الإسلامية الباكستانية (ن) ولا حزب الشعب الباكستاني طموحاتهم، في حين وعد خان بوظائف مجزية، فضلاً عن التعليم والرعاية الصحية والنقل الحضري. وحقق حزب حركة إنصاف باكستان تقدماً كبيراً في مدينة كراتشي الضخمة، حيث ألحق مرشحوه الهزيمة بأحزاب قديمة راسخة.

كما اجتذب تركيز خان الشديد على الفساد الدعم من الناحيين الشباب. فقد اتهم كل من زرداري وشريف بالفساد من قبل مكتب المحاسبة الوطني، وهي المنظمة التي تتمتع بصلاحيات قضائية والتي أنشأها الجنرال برويز مشرف، رابع رئيس عسكري للبلاد، للتحقيق في مخالفات عالية المستوى. وفي حملته الانتخابية، ربط خان بين الفساد الرسمي وفشل الدولة في توفير السلع والخدمات التي يريدها الشباب.

جلبت الانتخابات أيضاً قضيتين أخريين إلى الصدارة. فأولاً، إلى أي مدى كانت المؤسسة العسكرية متورطة في الخروج بهذه النتائج التي يعتقد كثيرون في البلاد أن الجنرالات كانوا يريدونها. وثانياً، ما هي العواقب طويلة الأمد المترتبة على الدور العدواني الذي لعبه القضاء في إدارة شؤون الدولة؟ وسوف يستغرق الرد على مثل هذه التساؤلات بعض الوقت. لكن الإجماع الناشئ يشير إلى أن خان كان المفضل لدى المؤسسة العسكرية. ومع قبول وسائل الإعلام الرئيسية هذا التقييم إلى حد كبير، فسوف يشكل هذا الإجماع التصورات الدولية لحكومته.

*وزير المالية الباكستاني السابق ونائب رئيس البنك الدولي، وهو حالياً رئيس معهد شهيد جواد بوركي للسياسة

العامة في لاهور.

أمامهما ثلاثة شهور لتشكيل حكومة انتقالية تحكم ٣ سنوات طرفا النزاع في جنوب السودان يوقعان اتفاقاً نهائياً لتقاسم السلطة

فرانس بريس : ٢٠١٨/٨/٦

وقع طرفا النزاع في جنوب السودان اتفاقاً نهائياً لتقاسم السلطة، في وقت دعا الرئيس سلفا كير إلى الوحدة في بلد تمزقه حرب أهلية أودت بحياة عشرات الآلاف.

وأفاد مراسل وكالة فرانس برس، الذي حضر مراسم التوقيع الأحد، أن كير وخصمه ريك مشار وقعا في السودان المجاور للاتفاق، الذي سيعود زعيم التمرد بموجبه إلى حكومة الوحدة الوطنية كنائب أول للرئيس بين خمسة في هذا المنصب.

وُقِع الاتفاق بحضور الرئيس السوداني عمر البشير ورؤساء كينيا وأوغندا وجيبوتي، إضافة إلى عدد من الدبلوماسيين الأجانب.

وبعد توقيع اتفاق السلام، سيكون أمام الطرفين ثلاثة شهور لتشكيل حكومة انتقالية تحكم البلاد لثلاث سنوات.

تأتي المحادثات في إطار تحركات إقليمية تهدف إلى تحقيق السلام في جنوب السودان، الذي دخل في نزاع مدمر بعد عامين فقط من استقلاله عن السودان.

وأكد كير في خطاب أعقب التوقيع أن "على الاتفاق الذي وقعناه اليوم أن يرسم نهاية النزاع والحرب في بلدنا". وأضاف "علينا (...) تكريس أنفسنا مجدداً لتوحيد شعبنا، والعمل على الانتقال السلمي للسلطة عبر صناديق الاقتراع لا الرصاص".

من جهته، حث مشار "الهيئة الحكومية للتنمية" (إيغاد)، المنظمة الإقليمية التي تسعى إلى تحريك عملية السلام منذ أشهر، على ضمان تطبيق الاتفاق. وقال في خطابه "أدعو إيغاد (...) إلى التركيز الآن على تطبيق الاتفاق"، مضيفاً "قال أحدهم إن الشيطان يكمن عادة في (مرحلة) التطبيق".

تحديات مقبلة

واندلع النزاع المستمر منذ نحو خمسة أعوام في جنوب السودان، بعدما اتهم كير في ٢٠١٣ نائبه آنذاك مشار بالتخطيط للانقلاب عليه. وسبق أن اتفق الطرفان المتحاربان في جولة محادثات استضافها البشير على وقف دائم لإطلاق النار وسحب قواتهما من المدن.

نص اتفاق الأحد على أن تتألف الحكومة الانتقالية من ٣٥ وزيراً، عشرون من معسكر كير وتسعة من معسكر ريك مشار، على أن يمثل بقية الوزراء مجموعات أخرى. وسيضم البرلمان ٥٥٠ نائباً، بينهم ٣٣٢ من معسكر كير، و١٢٨ من معسكر مشار.

وحذر كير من أن حجم الحكومة قد يشكل تحدياً. وقال "انظروا إلى حجم البرلمان والحكومة. كيف سيتم دفع نفقاتهم؟"، معرباً عن قلقه بشأن كيفية توفير مقار الإقامة والمكاتب والمركبات للمسؤولين. لكن البشير قال إن الوسطاء ملتزمون بضمان تطبيق الاتفاق. وأكد أن هدفه هو شخصياً أن يتمكن جنوب السودان من استئناف إنتاج النفط في ولاية الوحدة الغنية بالخام بحلول ١ سبتمبر. وعلى مدى نحو خمس سنوات من الحرب، انخفض إنتاج النفط في جنوب السودان إلى نحو ١٢٠ ألف برميل في اليوم مقارنة بـ ٣٥٠ ألفاً عند ذروة إنتاجه، بحسب البنك الدولي.

دعم أمريكي

شككت واشنطن في السابق في إمكانية نجاح مبادرة السلام الأخيرة نظراً إلى العداء الشديد بين كير ومشار. وفي الشهر الماضي، حذر البيت الأبيض من أن "اتفاقاً ضيقاً بين النخب" لن يحل المشاكل التي تعم جنوب السودان، مشيراً إلى أنه "يُمكن اتفاق كهذا أن يزرع بذور دورة جديدة من النزاع". لكن القائم بالأعمال الأمريكي في الخرطوم ستيفن كوتسيس أشاد بتوقيع الاتفاق الأحد، وصرح للصحافيين "ندعم أي مبادرة تجلب السلام لجنوب السودان، ونأمل بأن تتواصل هذه العملية في شكل شامل".

بدورها، رأت الأمم المتحدة في اتفاق تقاسم السلطة "خطوة مهمة". وقال مبعوث الأمم المتحدة الخاص للسودان وجنوب السودان نيكولاس هيسوم "يجب أن تصمت البندقيات بعد توقيع هذا الاتفاق". ووقع اتفاق مماثل في ٢٠١٥، لكنه انتهك بعد معارك دامية فر على أثرها مشار من البلاد. وخيبت الحرب في جنوب السودان الآمال التي رافقت الاستقلال عن السودان في ٢٠١١. دخلت الدولة الوليدة في حرب أهلية شهدت قتالاً داخلياً في صفوف الجيش الوطني غذاه العداء الشديد بين الزعيمين. وخلفت الحرب عشرات آلاف القتلى ونحو أربعة ملايين نازح في وقت انهار اقتصاد الدولة الغنية بالنفط.

وتشير الأمم المتحدة إلى أن الاضطرابات الشديدة التي طرأت على قطاع الزراعة ستترك سبعة ملايين من سكان جنوب السودان يمثلون أكثر من نصف سكان هذا البلد، بحاجة إلى مساعدات غذائية خلال هذا العام.

جنوب السودان.. استقلال وحروب وانهايار اقتصادي

فرانس بريس : ٢٠١٨/٨/٦

خيمت على جنوب السودان الذي وقع طرفا النزاع فيه اتفاقا نهائيا لتقاسم السلطة الأحد بهدف إنهاء الحرب الأهلية أزمة اقتصادية ناجمة عن سنوات من الحروب. ودخلت الدولة الأحداث عهدا في العالم التي نالت استقلالها عام ٢٠١١ في حرب أهلية منذ العام ٢٠١٣ بعدما اتهم الرئيس سلفا كير خصمه ونائبه سابقا ريك مشار بالتخطيط للانقلاب عليه. وأسفر النزاع عن سقوط عشرات آلاف القتلى فيما نزح أربعة ملايين من سكان البلد الذي يعد ١٢ مليون نسمة.

وفي ما يأتي أبرز المحطات التي مرت بها الدولة الإفريقية الوليدة:
اقتصاد منهار

تراجع إنتاج النفط الذي شكل ٩٨ بالمئة من العائدات لدى الاستقلال قبل سبعة أعوام في وقت دمرت الحرب البنية التحتية. وتراجع الإنتاج إلى نحو ١٢٠ ألف برميل في اليوم مقارنة مع ٣٥٠ ألفا قبل النزاع، بحسب البنك الدولي. وتعتمد جوبا، التي ورثت ثلاثة أرباع مخزونات النفط السودانية لدى استقلالها، في تصدير النفط على البنية التحتية في جارتها الشمالية من مصاف وأنابيب. وفي ٢٠١٧، عانى جزء من البلاد من أربعة شهور من المجاعة التي أثرت على نحو ١٠٠ ألف شخص. وبحسب الأمم المتحدة، يحتاج نحو سبعة ملايين من سكان جنوب السودان إلى مساعدات إنسانية هذا العام.

حرب ضد الشمال المسلم

قبل استقلاله، كان جنوب السودان يشكل القسم الجنوبي من جمهورية السودان حيث شهدت المنطقة حربين أهليتين بين متمردين مسيحيين وأحيائيين تحديدا بمعظمهم في الجنوب ضد حكومة الخرطوم التي يسيطر على مقاليد السلطة فيها عرب ومسلمون. ولقي الملايين حتفهم جراء النزاع. وأشعل استقلال السودان عن بريطانيا ومصر في كانون الثاني/يناير ١٩٥٦ الحرب الأولى في الجنوب ضد هيمنة الشمال. وأنهت اتفاقات أبرمت عام ١٩٧٢ نزاعات استمرت ١٧ عاما حيث تم منح الجنوب حكما ذاتيا.

لكن في ١٩٨٣، تراجعت الخرطوم عن الاتفاقات ما أدى إلى اندلاع حرب جديدة بين الشمال والجنوب. وألهب ذلك مجددا الحركة الاستقلالية التي قادها جون قرنق والقوة المتمردة التابعة له -- الحركة الشعبية لتحرير السودان.

وفي كانون الثاني/يناير ٢٠٠٥، وقع قرنق اتفاق سلام مع الخرطوم استثنى الجنوب من قانون الشريعة الإسلامية المطبق في البلاد ومنحه ست سنوات من الحكم الذاتي قبيل استفتاء على الاستقلال. وقُتل قرنق لدى تحطم مروحيته في تموز/يوليو ٢٠٠٥ ليخلفه كير كزيم للجنوب.

الدولة الأحدث في العالم

في ٩ تموز/يوليو ٢٠١١، أعلن جنوب السودان استقلاله بعد ستة شهور من استفتاء صوت ٩٩ بالمئة من المشاركين فيه لصالح الانفصال عن الشمال. وتم تنصيب كير كأول رئيس للبلاد. واعترف المجتمع الدولي بقيادة الولايات المتحدة والصين وروسيا والاتحاد الأوروبي إلى جانب جمهورية السودان سريعا بالدولة الإفريقية الجديدة.

عداوة بعد تحالف

وبينما وحدت قضية التمرد على الخرطوم قبل الاستقلال كير ونائبه السابق مشار إلا أنهما لم يتخلصا من خصوماتهما السياسية والقبلية. وخلال الحرب الأهلية السودانية الثانية، انضم مشار المنتمي إلى قبيلة "النوير" إلى الحركة الشعبية لتحرير السودان التي كانت مكونة آنذاك تحديدا من أفراد قبيلة "الدينكا" التي ينتمي إليها كير. وعارض زعيم التمرد قرنق وحلفاءه بمن فيهم كير وأسس تنظيما منافسا تحالف مع الخرطوم قبل أن يعود إلى صفوف الحركة الشعبية لتحرير السودان في مطلع الألفية. وعينه كير نائبا للرئيس أول مرة في ٢٠٠٥ في منطقة جنوب السودان التي كانت تتمتع بحكم شبه ذاتي، ومن ثم في تموز/يوليو ٢٠١١ بعدما نال الجنوب استقلاله. وفي كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٣، دخلت الدولة الجديدة في حرب أهلية عندما اندلع القتال في صفوف الجيش الوطني في ظل النزاعات التي غذتها الخصومة بين كير ومشار. وفي ٢٠١٦، حذرت الأمم المتحدة من الإبادة والتطهير العرقي مشيرة إلى انتشار الفظائع ولا سيما العنف الجنسي والقبلي على نطاق واسع في جنوب السودان.

مفاوضات سلام

انهار اتفاق سلام أبرم في آب/أغسطس ٢٠١٥ عندما اندلع القتال في جوبا في تموز/يوليو ٢٠١٧. وفي ٢٠ حزيران/يونيو ٢٠١٨، التقى كير ومشار في أديس أبابا للمرة الأولى منذ عامين. وبعد أسبوع، اتفقا على وقف إطلاق النار. وفي السابع من تموز/يوليو، توصلا في كمبالا إلى اتفاق لتقاسم السلطة. ويوم الأحد، وقع كير ومشار على اتفاق في الخرطوم يعود زعيم التمرد بموجبه إلى حكومة الوحدة الوطنية كنائب أول للرئيس بين خمسة في هذا المنصب. ويمهد التفاهم الطريق أمام التوصل إلى اتفاق سلام نهائي يمنح فور توقيعه الطرفين ثلاثة أشهر لتشكيل حكومة انتقالية تتولى السلطة لثلاث سنوات.

رئيس بلديتها يحذر من تصاعد قوميات يهدد السلام العالمي هيروشيما تحيي الذكرى السنوية الـ٧٣ لقصفها بقنبلة ذرية

إيلاف : ٢٠١٨/٨/٦

أحييت اليابان الإثنين، الذكرى السنوية الـ٧٣ لإلقاء أول قنبلة ذرية في العالم على مدينة هيروشيما في غرب البلاد، في الوقت الذي حذر فيه رئيس بلدية المدينة من تصاعد النزعات القومية الذي يهدد السلام في العالم. إيلاف: السماء فوق حديقة السلام التذكارية في هيروشيما كانت صافية عندما قرع جرس السلام إيذاناً ببداية الحفل، تماماً كما كانت عليه في ٦ أغسطس عام ١٩٤٥ عندما ألقت قاذفة أمريكية من طراز بي-٢٩ حمولتها القاتلة على المدينة التي تنتشر فيها القواعد العسكرية، ما أدى إلى مقتل ١٤٠ ألف شخص من سكانها.

الاتعاظ من الماضي

وفي كلمة له دعا رئيس بلدية هيروشيما كازومي ماتسوي، الذي كان يقف في الحديقة قرب نقطة الانفجار، إلى عالم بدون أسلحة نووية، محذراً من تصاعد النزعات القومية. وبدون أن يسمي، حذر ماتسوي من أن "بعض الدول تعبر بشكل صريح عن قومية تتمحور حول نفسها، وهي تحدث ترسانتها النووية". أضاف إنهم "يعيدون إذكاء التوترات التي تراجعت مع نهاية الحرب الباردة". حض ماتسوي على نزع الأسلحة النووية في عام تعهد فيه الرئيس الأمريكي بزيادة الترسانة الأمريكية من هذه الأسلحة. وقال "إذا كانت العائلة الإنسانية تنسى التاريخ أو تتوقف عن مواجهته، فإننا بذلك نرتكب مجزاة خطأ مروعا. لهذا السبب بالتحديد يجب أن نستمر في التحدث عن هيروشيما". تابع "الجهود للتخلص من الأسلحة النووية يجب أن تستمر". لكن دعوته تظهر العلاقة المتناقضة لليابان مع الأسلحة النووية، إذ إن المسؤولين اليابانيين يعربون بشكل مستمر عن معارضتهم لامتلاك هذه الأسلحة، لكن دفاع دولتهم يعتمد بشكل أساسي على المظلة النووية الأمريكية.

هدم الهوة

رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي، الذي اختارت حكومته عدم المشاركة في معاهدة الأمم المتحدة بشأن حظر الأسلحة النووية، قال خلال الحفل إن مسؤولية اليابان ردم الهوة بين الدول النووية وغير النووية. أضاف من دون أن يشير إلى المعاهدة "في السنوات السابقة بات جلياً أن الفجوات موجودة بين الدول حول الطريقة التي يجب أن نستمر فيها بخفض الأسلحة النووية".

تابع "في الوقت الذي نحافظ فيه أمتنا على مبادئ (عدم امتلاك أسلحة نووية)، سنعمل بصبر لنكون بمثابة جسر بين الجانبين ولنقود جهود المجتمع الدولي "للحد من الأسلحة النووية".

وتعرضت اليابان لهجومين نوويين شنتهما الولايات المتحدة في نهاية الحرب العالمية الثانية، الأول استهدف مدينة هيروشيما، حيث قتل ١٤٠ ألف شخص، والثاني مدينة ناغازاغي بعد ثلاثة أيام، حيث قتل ٧٤ ألف شخص. وكان باراك أوباما أول رئيس أمريكي يزور هيروشيما خلال ولايته في مايو عام ٢٠١٦.

عالم ما بعد البريكس !

*إميل أمين

صحيفة (الحياة) ٦٠/٨/٢٠١٨

ضمن المحاولات الجادة لرسم خطوط ونسج خيوط ما بعد النظام العالمي الجديد، تأتي محاولة دول (البريكس) لخلق عالم مواز للعالم الحالي، وقد كانت القمة التي عقدت لأعضاء (البريكس) في جنوب افريقيا في الفترة من ٢٥ الى ٢٧ من يوليو الماضي خير دليل على وجود إرادة أممية قوية لعدم التسليم لقوة بعينها أو قطب واحد لمقدرات العالم والتصرف فيه كيفما يشاء وساعة أن يريد.

لم تكن القمة العاشرة لمجموعة دول (البريكس) قمة اعتيادية إذ جاءت في وقت حرج وحساس حيث المشاهد الدولية تتسارع والتحديات العالمية تتراكم، ولا يبدو في الأفق أن هناك من هو قادر على اتخاذ قرارات كونية نيابة عن الجميع، كما كان البعض يرى في دور الولايات المتحدة الأمريكية على نحو خاص.

ولعل السؤال هو ما هي مجموعة (البريكس) وما الذي تنشده؟

المعروف أنها تجمع يضم الدول المؤسسة له وهي البرازيل وروسيا والهند والصين وانضمت إليها في العالم ٢٠١٠ جنوب افريقيا، أما من استعمل تعبير (البريكس) للمرة الأولى فكان جيم اونيل رئيس بنك (غولدمان ساكس) حيث كتب في تقريره للبنك: إن العالم يحتاج في طريقه لبناء رؤية اقتصادية جديدة الى اقتصاديات حيوية صاعدة في القرن الجديد تمثلها دول (البريكس).

أما نشأة المجموعة رسميا فتعود الى عام ٢٠٠٦، حيث كانت هناك حاجة ماسة الى تعاون اقتصادي إقليمي، وقد جاء ظهور المجموعة قبل فترة يسيرة من الأزمة المالية العالمية التي ضربت العالم عام ٢٠٠٨، الأمر الذي عزز الحاجة الى دور تلك المجموعة لتجنيب العالم مرة تالية أخطاء الاقتصاديات الكبرى، ومن ثم تلافي الأضرار الواقعة على الدول الناشئة، والمعروف أن (البريكس) تعقد قممتها الدورية مرة كل عام في إحدى دول المجموعة وتخرج ببيان مشترك يترجم الموقف الموحد للمجموعة من القضايا الدولية، وقد كانت القمة الأولى لـ(البريكس) في روسيا عام ٢٠٠٩ ومن بعدها توالى القمم... ماذا عن قمة جوهانسبرج وما دار فيها؟

لعل أهم ما تسعى إليه قمم (البريكس) هو مناقشة أوضاع الاقتصاد العالمي والتبادل التجاري بين دول المجموعة ومن ثم التغلب على الصعوبات الاقتصادية التي تواجهها هذه الدول في الأوقات الحالية، وقد جاءت قمة جوهانسبرج وسط تعاف اقتصادي عالمي بطيء وانتكاسات يعاني منها العالم، وربما تكون قادرة على إضافة وجهات جديدة الى الأسواق الصاعدة والدول النامية.

هل من أهمية خاصة لقمة هذا العالم بنوع خاص؟

لا يمكن أن يوفر احد الدور الاقتصادي الأمريكي الذي يقوم به الرئيس ترامب على الصعيد الاقتصادي العالمي، الى الدرجة التي يتحدث معها الجميع بأنه يشن حربا تجارية على بقية دول العالم سيما الصين التي فرض عليها رسوما جمركية على واردات الأمريكيين منها بنسبة ٢٥٪ أي ما قيمته أكثر من ٥٠ مليار دولار، عطفا على تعاطيه مع دول الاتحاد الأوروبي بنفس الأسلوب، الأمر الذي جعل حلفاء واشنطن يخشونها أكثر من أعدائها.

هل يعني ذلك أن (البريكس) تجمع اقتصادي عالمي مضاد للولايات المتحدة الأمريكية بالمطلق أم انه وسيلة للتعاطي الخلاق معها وليس شرطا أن تكون المواجهة أو الحروب الاقتصادية هي الهدف النهائي؟

الجواب يحتاج الى بعض المقاربات الرقمية التي تيسر لنا فهم ما جرى في جوهانسبرج وبقية توجهات (البريكس)، فالمجموعة الأساسية لهذا الحضور الاقتصادي يبلغ حجم الناتج المحلي لها مجتمعة ١٦,٤ تريليون دولار بنسبة ٢٢,٣٪ من الناتج العالمي، فيما الناتج المحلي الإجمالي للولايات المتحدة الأمريكية يبلغ ١٨,٥٧ تريليون دولار، الأمر الذي يعني أن القوة الاقتصادية المالية الأمريكية ولو في المدى المنظور اكبر مما لدى دول (البريكس) مجتمعين.

لكن أمرا ما يخص دول (البريكس) يعد قيمة مضافة ولا شك في المستقبل القريب، وهو أن عدد سكان تلك الدول يبلغ ٤٠٪ من إجمالي سكان العالم، الأمر الذي يعطي دول (البريكس) ميزة نسبية في تحويل هذا العدد الكبير وتلك النسبة الغالية الى قيمة مضافة اقتصادية وبنوع خاص لدى الصينيين.

لكن السؤال الجوهرى هو: هل (البريكس) تجمع سياسي أم تجمع اقتصادي؟ عادة لا يمكن التمييز بشكل تام بين ما هو اقتصادي وما هو سياسي، فالاثنان متداخلان بدرجة أو بأخرى، وبشكل عام فانه في مواجهة الرئيس ترامب ربما تضحى الكلمة العليا للاقتصاد، فبقدر القوة الاقتصادية يمكن للدول والشعوب ترتيب وتدير مواقفها السياسية.

قبل نحو عام طرحت دول (البريكس) فكرة إنشاء بنك دولي خاص بالمجموعة برأس مال قدره ١٠٠ مليار دولار، ومن الواضح للجميع أن الهدف الرئيسى منه هو خلق حالة من التوازن المالى الدولى بعد أن تلاعب البنك الدولى وصندوق النقد الدولى بمصائر وأقدار العالم النامى اقتصاديا.

تبدأ القضايا من عند الاقتصاد وتمتد الى مساحات شاسعة وواسعة من السياسية، والدليل على صدق هذا الكلام ما اعلنه الرئيس الروسى فلاديمير بوتين خلال اجتماع موسع لزعماء (البريكس) عندما أشار الى انه يؤيد فكرة فتح مكاتب إقليمية للبنك الخاص ب(البريكس)، والآن هناك مفاوضات بين البنك والبرازيل، وبعد انتهاءها يأمل بوتين أن يتم افتتاح مكتب للبنك في روسيا.

لم يعد الحديث عن بنك (البريكس) مجرد تنظيرات فكرية على الأوراق فحسب، ذلك أن مجلس أعمال مجموعة (البريكس) قد وافق في الفترة الأخيرة على ٢١ مشروعا، سيتم تنفيذ خمسة منها في روسيا، وتتجاوز قيمتها المليار دولار.

ما الذي يعنيه تنشيط أعمال (البريكس) في الدول الأعضاء سيما من قبل بنك التنمية الجديد؟

الجواب يعود بنا الى دائرة السياسة من جديد، بمعنى انه يعطي فرصة للخروج على قيود وحدود النظام المالى العالمى الذي عرف باسم (بريتون وودز) من بعد الحرب العالمية الثانية وحتى الساعة، وبالنسبة الى روسيا تحديدا يشي هذا التوجه بالتفكير الروسى العميق لمواجهة العقوبات المفروضة عليهم من قبل أمريكا والاتحاد الأوروبى جراء إشكالية القرم وما يجري في أوكرانيا بشكل عام.

أما الفائدة الكبرى لبنك تنمية (البريكس) فأغلب الظن أنها ستعود على الصين، ذلك القطب القادم ولا شك لمصارعة الولايات المتحدة حول العالم، وبنوع خاص في الدول بل وربما القارات النامية ولهذا فان أعين الصين وروسيا وبقية دول (البريكس) على القارة الأفريقية والتي يجري من حولها الصراع في القرن الحادى والعشرين على وجه التحديد.

يحدثنا يوري فيرتاشوف الباحث في مركز دراسة العلاقات الأفريقية الروسية والسياسة الخارجية بمعهد الدراسات الأفريقية التابع لأكاديمية العلوم الروسية عن إمكانيات التعاون بين مجموعة (البريكس) ودول القارة الأفريقية فيقول إن السمة الرئيسية لتعاون (البريكس) مع إفريقيا النامية والصاعدة ترتكز على العلاقات التي تشكلت خلال الحقبة السوفيتية، فيما السمة الرئيسية في بناء علاقاتنا اليوم فهي الابتعاد عن الأيديولوجيا والتوجه نحو التعاون المتبادل المنفعة، وبخاصة أن الدول الأفريقية تجذب انتباه الشركات الروسية الكبيرة والمتوسطة الحجم بشكل متزايد.

(البريكس) في واقع الأمر هو مدخل غير مسبوق لروسيا والصين بالنسبة للقارة الأفريقية، وفرصة تاريخية لإزاحة القوى الغربية سواء التقليدية منها وهي الأوروبية، أو الأمريكية التي تسعى إلى تكريس الهيمنة التقليدية والحفاظ على فكرة القرن الأمريكي بامتياز.

توسع روسيا التعاون مع الدول الأفريقية في قطاع النفط والغاز، وتشارك بنشاط في بناء مرافق الطاقة النووية. ومساهمة روسيا في إنشاء أنظمة الاتصالات عبر الأقمار الصناعية محسوسة، ويبقى التعاون العسكري التقني مجالا هاما، ففي بلدان جنوب الصحراء الكبرى، تبلغ حصة الأسلحة الثقيلة الروسية ٢٧٪، وفي شمال إفريقيا ٣٠٪. وباختصار فإن التفاعل بين روسيا وإفريقيا يمكن أن يحقق اختراقا فقطاع الأعمال الروسي لديه قاعدة كافية لتوسيع مواقعه في إفريقيا، وانطلاقا من ذلك يمكن استنتاج أن العلاقات مع القارة السوداء ستكون متنوعة وستكتسب طابعا نظاميا.

ماذا عن الصين إذن في هذا الإطار؟

ربما تكون الصين الطرف الأكثر ربحا من تواجدها في (البريكس) وتنامي هذا التواجد في القارة الأفريقية، فالمعروف أن الصين هي صاحبة أكبر احتياطات مالية ونقدية حول العالم وهي التالية في الناتج المحلي الإجمالي بعد الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الراهن والمرشحة لتجاوزها خلال سنوات قد لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة.

ما لدى الصينيين من احتياطات مالية يمكنهم من الدخول بعمق في القارة الأفريقية التي تحتاج إلى أموال ساخنة وغير مشروطة، أما الأموال الساخنة فتعني إمكانية تدفقها بسهولة ويسر وبدون عملية معقدة من عمليات الاقتراض كما الحال من قبل المؤسسات المالية العالمية، فيما المشروطة تتعلق بعدم وجود شروط مثل أوضاع حقوق الإنسان، أو مستويات شيوع الديمقراطية، وما إلى ذلك من قضايا درجت الولايات المتحدة عطفًا على بقية دول الغرب على طلبها للموافقة على منح القروض.

ما تفعله الصين هو استيراد المواد الأولية وبأسعار زهيدة، ومن ثم تحويلها إلى منتجات بعض منها يعود ثانية للأسواق الأفريقية فيما الكثير يذهب إلى الأسواق الكبرى وفي مقدمها الأسواق الأمريكية والمقابل هو القروض السريعة التي تنقذ احتياجات الأفارقة.

من على البعد تراقب الولايات المتحدة مجموعة (البريكس) وبالقطع هي غير راضية عن تلك النجاحات التي تحقّقها المجموعة سيما وأنها جميعا في نهاية المطاف تمثل اقتطاعات من النفوذ الأمريكي حول العالم، ما يعني بالفعل أننا أمام إرهابات عالم ما بعد (البريكس)، وفيه تجد واشنطن شركاء لها حول العالم وفي صناعة القرار الدولي على عكس ما خطط المحافظون الجدد بشأن جعل القرن الحادي والعشرين قرنا أمريكيا بامتياز.

المطالبة بالسيادة الأوروبية من جديد

*يوشكا فيشر

بروجيكت سنديكييت: ٢٠١٨/٨/٧

بعد الجولة الأوروبية التي قام بها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب مؤخرا، وخُتِمت بمؤتمر صحفي عقده مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ترك انطباعا سيئا "لم يعد هناك شك في أن ترامب ومناصريه يرغبون في تدمير النظام الدولي والنظام التجاري العالمي اللذين تتزعمهما الولايات المتحدة.

من المؤكد أن ترامب لا يتوافق مع الولايات المتحدة" إذ فاز في انتخابات عام ٢٠١٦ رغم أن منافسه تقدم عليه بثلاثة ملايين صوت، ورغم أن معدل شعبيته لم يتجاوز أبدا ٥٠٪، إلا أنه لا يزال رئيسا لأمريكا، وهذا يجعله أقوى رجل في العالم.

ولكن تصرفات ترامب -التي غالبا ما تتصف بالغرابة والتناقض- أثرت على العالم بشكل خطير، خاصة على شركاء أمريكا المقربين. فخلال محطته الأخيرة في بريطانيا "ذهب ترامب إلى حد وصف الاتحاد الأوروبيبـ "العدو". "من خلال محاولته عرقلة كل ما شكّل الغرب تقريبا بعد الحرب العالمية الثانية" وضع ترامب العالم في نقطة تحول. وليست العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي -التي ما زالت قوية- هي المتضرر جراء هذا التحول، بل بالأحرى مركز الغرب بصفته مهيمن على الساحة العالمية. فترامب يسرع التحول في التوازن العالمي للقوة الذي من شأنه أن يترك أمريكا وأوروبا أضعف نسبيا"

ومن خلال محاولته عرقلة كل ما شكّل الغرب تقريبا بعد الحرب العالمية الثانية" وضع ترامب العالم في نقطة تحول. وليست العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي -التي ما زالت قوية- هي المتضرر جراء هذا التحول، بل بالأحرى مركز الغرب بصفته مهيمن على الساحة العالمية.

فترامب يسرع التحول في التوازن العالمي للقوة الذي من شأنه أن يترك أمريكا وأوروبا أضعف نسبيا. وبما أن الدخل والرفاهية تتحول من الغرب إلى الشرق" فإن الصين ستكون قادرة على تحدي الولايات المتحدة الأمريكية، التي تتزعم العالم بصفقتها قوة جغرافية واقتصادية وتكنولوجية.

ولن يحدث هذا التحول بسهولة" إذ بالنسبة لأوروبا لن تكون المخاطر أكبر مما هي عليه الآن، لكن يمكن لتعديل التوازن القائم أن تحدد مصير الديمقراطية والرفاهية والاستقلال ونمط الحياة في أوروبا. وإذا لم تستعد أوروبا فلن يترك لها أي خيار آخر سوى أن تعتمد على أمريكا أو الصين -التعاون الأطلسي أو التعاون مع روسيا.

ويجب ألا يعول الأوروبيون على الحلفاء الحاليين لمنحهم الحماية في هذه الفترة، كما يجب علينا عدم الرجوع إلى منطوق وسياسات السلطة التقليدية للقرن التاسع عشر.

وقد يتجه العالم نحو سياسة تفتقر إلى قائد واضح، وتقودها قوى عظمى تتصارع من أجل السلطة بشكل مستمر. لكن الظروف اليوم تختلف عن تلك التي شهدتها فترة "اللعبة العظمى". فالتنافس المتزايد بين الصين وأمريكا لن يكون إلا لصالح القارة العجوز.

وبالنسبة للأوروبيين" فقد تشكل القرن التاسع عشر في الفترة ما بعد الثورة الفرنسية والثورة الصناعية، بينما تشكل القرن العشرون في الفترة التي تلت حريين عالميتين، والحرب الباردة وتطور الأسلحة النووية.

فبعد الحرب العالمية الثانية" فرضت قوتان غير أوروبيتين نفسيهما على كلا الجانبين من النظام الأوروبي القديم، وهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي، بينما بقيت أوروبا مجرد مربع آخر في رقعة الشطرنج.

وقبل نهاية الحرب العالمية الثانية“ تحكمت أوروبا في العالم بفضل تقدمها التكنولوجي، ولكن بعد نهاية الحرب انتهت سيطرتها على العالم. وبعد تلك الفترة“ قُسمت ألمانيا بين القوتين الجديتين، واندثرت السيادة الأوروبية بسبب تأسيس السياسة الخارجية للكرملين.

من المؤكد أن فرنسا وبريطانيا -بصفتها القوتين الأوروبيتين اللتين حققنا النصر- حافظتا على ما تبقى من سيادتهما، بصفتهم عضوين دائمين في مجلس الأمن الدولي (ولاحقا بصفتهم دولتين مسلحتين نووياً). لكن اعتباراً للتوازن العالمي“ كان ذلك رمزياً أكثر من كونه يعكس تأثيرهما الحقيقي.

"هناك ثلاثة تحولات -على الخصوص- جعلت أوروبا تقلق على مستقبلها. أولاً، ما زال ترامب يشك في التزام الولايات المتحدة بالدفاع المتبادل بموجب اتفاقية حلف شمال الأطلسي. وثانياً، تنتقد إدارة ترامب منظمة التجارة العالمية والنظام التجاري العالمي الذي تعتمد على معظمه رفاهية أوروبا. وثالثاً، ظهر النظام الرقمي والذكاء الاصطناعي الذي يهدد اليوم بزيادة الفوارق التكنولوجية العالمية"

وبعد انتهاء الحرب الباردة“ اتخذت أوروبا توجهها وفيّاً للاتفاقيات العابرة للأطلسي. فيما يتعلق بالأمن“ تعتمد أوروبا على الولايات المتحدة الأمريكية، لكن على المستوى الاقتصادي والتكنولوجي استرجع الأوروبيون سيادتهم. هناك ثلاثة تحولات -على الخصوص- جعلت أوروبا تقلق على مستقبلها. أولاً، ما زال ترامب يشك في التزام الولايات المتحدة بالدفاع المتبادل بموجب اتفاقية حلف شمال الأطلسي. وثانياً، تنتقد إدارة ترامب منظمة التجارة العالمية والنظام التجاري العالمي الذي تعتمد على معظمه رفاهية أوروبا. وثالثاً، ظهر النظام الرقمي والذكاء الاصطناعي الذي يهدد اليوم بزيادة الفوارق التكنولوجية العالمية.

وتتحدى هذه التطورات مركز أوروبا في العالم. والسؤال الآن هو عما إن كانت أوروبا ستطالب بسيادتها بشكل كامل وإثبات نفسها كقوة على الساحة العالمية، أم إنها ستترك نفسها تسقط؟ لقد دقت ساعة الحقيقة.. ولن تكون هناك فرص أخرى.

فقط الاتحاد الأوروبي هو من يمكنه استرجاع السيادة الأوروبية في القرن الواحد والعشرين. وإذا وُضعت هذه المهمة بأيدي الدول التقليدية مثل المملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا فإن المهمة ستفش.

فالمطالبة بالسيادة لا تتطلب جهداً كبيراً فقط، بل أيضاً جبهة موحدة وفهماً جديداً للعلاقة بين الاتحاد الأوروبي ودوله الأعضاء. وسيستمر المشروع الأوروبي في تيسير التجارة وضمان السلم، لكن على دوله أيضاً القضاء على السيادة المشتركة.

إذا نجح الاتحاد الأوروبي في هذه المهمة“ فسيكون ترامب قد أسدى معروفاً دون أن يقصد ذلك، فالتاريخ أحياناً يمضي بشكل غريب، والحل هو استغلال الفرص وعدم التردد حين يحين الوقت لاتخاذ القرار.

القبيلة.. بعصبيات جديدة

*السيد ولد أباه

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية : ٢٠١٨/٨/٧

في فكرنا السياسي المعاصر نذهب إلى أن القبيلة حالة بدائية سابقة للدولة القومية المندمجة التي استبدلت التضامن الألي بالتضامن العضوي، وعوضت الهويات الأصلية المتوارثة بالهويات الحرة المفتوحة.

من المثير في أيامنا أن الحديث المتزايد حول أزمة، بل نهاية الدولة الوطنية، يصاحبه حديث متنامٍ حول الرجوع إلى القبيلة، لا بالمعنى العشائري التقليدي، وإنما بمعنى العصبيات المجموعات المغلقة التي كان ابن خلدون قد نبه إلى أنها حقيقة في مسألة القبيلة وليس النسب. وإذا كان عالم الاجتماع الفرنسي «ميشال مافسولي» قد أشار في الثمانينيات من القرن الماضي إلى ظاهرة تجدد القبيلة من خلال رصد للهويات المجتمعية الجزئية التي انتزعت حق الاعتراف والخصوصية داخل النسيج الوطني للدولة القومية (في كتابه عصر القبائل)، فإن الظاهرة التي تهتمنا هنا تتعلق بمحدين مختلفين هما من جهة إعادة تشكل الهندسة السياسية في البلدان التي انهارت فيها الدولة الوطنية على أساس الهويات القبلية، كما هو شأن العديد من بلدان الشرق الأوسط، ومن جهة أخرى تجدد النزعات العصبية في أبعادها الإثنية والمحلية الضيقة في الدول القومية العريقة والديمقراطيات العتيدة في العالم الغربي.

في هذا السياق تبين الباحثة السياسية الأمريكية «آمي تشوا» في مقالة مهمة بعنوان «العالم القبلي» (فورين أفيرز - يوليو ٢٠١٨)، أن المآزق الستراتيجي الأكبر الذي انجر عن سياسات التدخل الأمريكي لقلب أنظمة الحكم وقولبة الأوضاع السياسية في العالم يتمثل في عدم إدراك أهمية المعطى العصبي في تشكل المجتمعات الإنسانية، نتيجة لانبناء الثقافة السياسية الأمريكية على مراكز الدولة الوطنية الشاملة والمجردة والتبادل الاقتصادي الحر والتعددية السياسية الانتخابية (الفردية الرأسمالية والمواطنة الديمقراطية).

فعلى عكس القوى الاستعمارية الأوروبية التي كانت تدرك أهمية وتأثير العامل القبلي، قلبت الحروب الأمريكية الأخيرة التوازنات الاجتماعية القائمة على الهويات العصبية، وبدلاً من فرض قيم المواطنة والديمقراطية التعددية انجر عنها انهيار كلي للدولة الوطنية، بحيث استفادت بعض المكونات الاجتماعية من التغيير القسري، فمارست التسلط والإقصاء باسم الموازين الديمقراطية، وفرضت على القوى المقصاة والمهمشة الانتظام في هويات دفاعية تستغلها الجماعات الراديكالية المتطرفة (قبائل البشتون في أفغانستان والعشائر السنية العربية في العراق). بيد أن الخطر انتقل في السنوات الأخيرة إلى قلب المجتمع الأمريكي نفسه، حسب تحليل «آمي تشوا» التي اعتبرت أن الهويات العصبية الانكفائية أصبحت تهدد الأمة الأمريكية التي تميزت داخل السياق الغربي بأنها تأسست على فكرة التعددية والتنوع وبلورت فكرة المواطنة الديمقراطية المتساوية، على عكس المجتمعات الأوروبية التي تأسست على خلفيات قومية ذات أبعاد إثنية ضيقة.

تبين «تشوا» أن القاعدة الانتخابية التي صوتت للرئيس الحالي «ترامب» هي نمط من القبيلة البيضاء تنتمي لأمريكا «العميقة»، تستشعر الخطر من طغيان وسيطرة النخب المعولمة التي تسيطر على الاقتصاد والإعلام والفضاء الإلكتروني.

ما لم تذكره «تشوا» هو ما نبه إليه الكاتب والفيلسوف الأمريكي «مارك ليلا» في كتابه الأخير «ما مضى والمستقبل الليبرالي» من أن النزعة القبلية الأمريكية بدأت في أوساط اليسار الذي ركز على حقوق الأقليات القومية والثقافية والجنسية وتخلّى عن قيم المواطنة والكونية، فكرس الطريق لخصخصة وتجزئة المطالب السياسية، بما ولد ردة فعل مماثلة لدى الفئات الشعبية العريضة التي أصبحت ترى نفسها ضحية سيطرة وتحكم الأقليات المنتظمة في هويات قبلية مغلقة.

طغيان النزعات الشعبوية في أوروبا برافديها اليميني واليساري هو مظهر بارز لهذه الهويات القبلية الجديدة، التي تحدث عنها الكاتبان الأمريكيان وهما يعنيان هنا بطبيعة الأمر الدلالة العصبية للانتماء التي تختلف عن المفهوم العشائري أو العرقي للقبيلة، حتى ولو كانت بعض الأدبيات السياسية المنتشرة تستخدم للتعبئة والتحشيد السردية العرقية العتيقة التي تختلف نوعياً عن الأطروحة القومية الحديثة التي تدمج عنصر المواطنة المتساوية والاختيار التعاقدية.

في إسرائيل التي تنعت عادة بالديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، اعتمد الكنيست قانوناً يكرس يهودية الدولة أي طابعها القبلي بالمفهوم البدائي الميثولوجي الذي يتنافى مع المفاهيم السياسية المدنية الحديثة، ويتعارض مع أطروحة الهوية المفتوحة الحرة، التي هي مرتكز العقل الديمقراطي نفسه، بما يعني إقصاء وإلغاء خمس سكان الدولة من العرب غير اليهود. في تعريفه للمثقف يذهب الفيلسوف الفرنسي «رجيس دوبريه» أنه هو من يتمتع بشجاعة «الخروج على القبيلة»، أي بعبارة أخرى من ينتزع حقه في صناعة هويته الحرة المستقلة دون أن يقوده القطيع المتلاحم.

وماذا عن يسارنا العربي؟

*مشاري النايدي

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/٨/٧

تحدث الكاتب والصحافي السعودي ممدوح المهيني في مقالة له (العربية نت) عما وصفه بـ«غسل اليسار للأفكار»، وهو صادق بهذا، والأمريسي على أجيال كاملة وبيئة تفكير عامة تصل للنهايات الطرفية المتمثلة بالعوام عوام الإعلام والمشهد العام.

الأمر ليس خاصاً بالحالة الجامعية والإعلامية الأمريكية، وهي الحالة التي تمثلها ممدوح محيلاً لتجربته الخاصة مع أنصار اليسار في البيئة الجامعية الأمريكية، وقصّ قصصاً له مع شراسة اليسار المهيمن، ونبذه أي مختلف عنه في تفسير السياسة والأحداث.

المثال اللافت الذي يثير العجب، هو مثال المؤرخ المعروف نيل فيرغسون، الذي اشتكى من سيطرة الأفكار اليسارية على الجامعات الأمريكية، خصوصاً كليات التاريخ وعلوم السياسة والاجتماع. في حوار أجري أخيراً معه قال متحسراً: «كم كنتُ ساذجاً. اعتقدتُ أن الموهبة والمثابرة والكفاءة هي معيار التقدم في العمل الأكاديمي، وفي كل مكان آخر، ولكنني كنتُ مخطئاً. اكتشفتُ متأخراً أن الأيديولوجيا الفكرية هي العامل الأهم». مجموعة اليسار الفكري يساند بعضها بعضاً وتُقصي أصحاب الأفكار المختلفة حتى يتلاشى صوتهم وتأثيرهم. فمع خروج كل أكاديمي محافظ من الكلية يتم استبدال مؤرخ ذي نزعة يسارية به، وبهذا يزيد نفوذ الأيديولوجيا اليسارية.

يقول فيرغسون إنه حضر مرة بديلاً لأحد الأساتذة في جامعة بيركلي، وأشار إلى الأسباب الدينية خلف تفجيرات ١١ سبتمبر (أيلول). شعر على الفور بتملل وعدم ارتياح الطلاب من هذه الحقيقة، مفضلين عليها أسباباً أخرى حُقت برأسهم، بينها أنها كانت ردة فعل على «الإمبريالية» الأمريكية.

هؤلاء الذين ولدهم رحم اليسار أو «ثقافة اليسار» للدقة، هم سادة المشهد الإعلامي الأمريكي وربما الأوروبي كله، لذلك نشهد هذه الحرب العوان لصالح «الأوبامية» ضد الرئيس الأمريكي دونالد ترمب ورجاله وكل سياساته، لدرجة وصلت فيها الحرب إلى طرد مراسلي «سي إن إن» الأمريكية رأس الحربة في هذه الحرب اليسارية، من قبل أنصار ترمب في تجمع لهم بفلوريدا مؤخراً.

منتجات هذه الميديا اليسارية الأمريكية «المناضلة» عن العالم، بما فيه القضايا السعودية والعربية، هي التي تملأ الأفق بدخان كثيف يخنق النفس ويحجب النظر، ويضللّ ضعاف البصر والبصيرة... دخان يتمطى على السماء حتى يجثم على أثير كثير من الشاشات العربية، والصحف والمنابر الرقمية الشبابية الحديثة، لذلك صار من الغريب أن تجد مثقفاً عربياً، مثلاً، إلا وهو بالضرورة ثوري قطعي من أنصار «الثورة باقية للأبد»!

نحن بحاجة لمراجعة كثير من أصنام اليسار أو «متملقي اليسار» في عالمنا العربي، ممن احتكروا صورة المثقف «الوطني» ففي البدء كانت الفكرة والصورة.

انتكاس على الجبهات كافة

*حازم صاغية

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/٨/٧

تتبدى صورة صناعة القرار في البلدان الغربية على درجة من الاختلاط والالتباس غير مسبوق. ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً، لم يعد واضحاً ما هو الموقف الرسمي من روسيا وسياساتها ورئيسها فلاديمير بوتين، وما إذا كان الأخير يتدخل، أو لا يتدخل، في الشؤون الأمريكية والغربية عموماً. فدونالد ترامب يقول شيئاً، لكن بعض البارزين في إدارته وفي حزبه يقولون شيئاً آخر. وهذا إلى جانب أن ترامب نفسه قد يقول، أو يغرد، أكثر من شيئين متناقضين في يومين، وربما في يوم واحد!

إلا إن بريطانيا، ومن دون الدراما الترامبية في الولايات المتحدة، لا تبدو أفضل حالاً على هذا الصعيد. فليس واضحاً تماماً أي صورة سوف يستقر عليها «بريكسيت» والعلاقة بالاتحاد الأوروبي، وأي صورة بالتالي ستستقر عليها بريطانيا نفسها. وهذا إلى جانب التحولات الكبرى التي طالت الكتل الحزبية الحاكمة في كل من إسبانيا وإيطاليا، والوضع الحساس جداً الذي تعانيه المستشارية الألمانية أنجيلا ميركل، مما يفتح الباب أمام احتمالات شتى تفتقر إلى التجانس أو القدرة على توقعها سلفاً. والخريطة تلك تضرب الأحزاب السياسية التي لا تعوزها العراقة في تلك البلدان: يكفي النظر مثلاً إلى أحوال الحزب «الجمهوري» في الولايات المتحدة، وهو يراقب التغييرات الكبرى التي ينفذها الرئيس «الجمهوري» ترامب على جميع الصعد تقريباً، من التحالفات الخارجية إلى الاقتصاد المفتوح. فإذا صح أن قطاعاً عريضاً من «الجمهوريين» لا يزال يساير رئيسه لأغراض انتخابية محضة، صح أيضاً أن الرهان على وحدة الحزب، بالرغم من كل شيء، قد لا يدوم طويلاً.

والشيء نفسه ينطبق على حزب «المحافظين» الحاكم في بريطانيا، لا سيما بعد استقالة وزير الخارجية السابق والنجم الأبرز لحملة الانفصال عن الاتحاد الأوروبي، «بوريس جونسون». لقد باتت حالة رئيسة الحكومة «تريزا ماي» تشبه حالة حكام «العالم الثالث» الذين يعيشون في رعب الانقلاب العسكري الذي يطيحهم في أي لحظة. فحزبها حزبان، تماماً كما أن الإجماع حول دورها القيادي سلعة نادرة.

وفيما يمضي الرئيس إيمانويل ماكرون في سياسة يصف وظيفتها بأنها تجديد وتحديث لفرنسا الهرمة، يبقى الغموض كبيراً في ما خص الميناء الذي سترسو عليه بلاد الغال بعد تلك الإصلاحات (التي يبدو أن معارضتها الداخلية والنقابية ضمرت وتراجعت).

لكن، وعلى نطاق أوسع، يمكن القول إن سائر المؤسسات والبنى التي عرفها عالمنا في النصف الثاني من القرن العشرين باتت محاطة بعلامات الاستفهام الكبرى. فحلف شمال الأطلسي (الناطو) لا يبدو بخير، إذ يبدي رئيس دولته المؤسسة، أي ترامب، شكوكه الموسمية بجذواه وبأكلافه المالية وتوزيعها على الأعضاء. والأمر نفسه يصح في الاتحاد الأوروبي الذي غادرته بريطانيا، وبات من الواضح أن ترامب يعمل على تصديعه وإغراء أعضائه الأوروبيين بتركه لصالح علاقات ثنائية مجزية مع الولايات المتحدة (وهذا فضلاً عن تعرضه للحصار من الشرق على يد بوتين). أما مؤسسات التعاون الغربي، والدولي تالياً، فلا تبدو أحسن حالاً: من الأمم المتحدة ومتفرعاتها المطعون بها أمريكياً، إلى الاتفاقات التجارية والبيئية الكثيرة.

وإذا كانت هذه التطورات مقلقة على وجه العموم فأكثر ما يقلق فيها أمران متلازمان: أن القوى الشعبية، وعلى رأسها قيادة الكرملين، تعبر عن تماسك يضعها في موقع القادر على الاستفادة من كل تعثر أو تراجع غربيين. أما ثانياً، فهو التراجع الذي لا بد أن يصيب مبدأ حقوق الإنسان، ليس فقط لأن المؤسسات العابرة للدول الوطنية تعاني ما تعانيه من انكماش وضمور، بل أيضاً لأن مفهوم «الإنسان» كقيمة وواقع كونيين يحاصره الصعود الظافر للقوميين والشعبيين ودعاة الهويات من كل نوع. وهذا، على عمومه، إنما يدل على عمق الترابط بين مصالح التوطد الديمقراطي والليبرالي في الغرب ومصالح التقدم على نطاق كوني. والحال أن الانتكاس يضرب الجبهتين راهناً.

*محلل سياسي - لندن

الحكمة وسيلة للمواساة والعزاء الجماعي

موسى برهومة

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/٨/٧

انتصار الباطل على الحق لا يعني أن الباطل على حق، تلك حكمة يواسي المرء بها نفسه، وهو يراقب انشطارات الأمكنة والأزمنة، وتفسخ القيم، وتوالي الحروب التي تفتقر لأي مبرر عقلاني، وتسفر عن مصائب إنسانية لا دور للأخلاق في منع تداعياتها وحصر آلامها.

«الحكمة ضالة المؤمن»، قالها أناس ربما يكونون حكماء، لكنهم جانبوا الإنصاف في جعل الحكمة مقتصرة على المؤمن، وكأن غير المؤمن ليس جديراً بالحكمة، أو لا تصيبه خيراتها، ولا تهطل عليه أمطارها، فيبقى يابس الروح، شحيح الخيال.

والحكمة لا علاقة مباشرة لها بالإيمان بالمعنى الديني، لكنها متصلة بإيمان من نوع خاص، يمدّ صاحبه بالعزم على المجابهة، ويسنده كلما أوشك على الترنح والسقوط. وقد يسعف التاريخ المرء المعتصم بالحكمة فيمده بوقائع تفيده في الصمود، لأنّ قوماً غابرين، مروا بأزمته وربما بأعنف منها، لكن تفوقوا على المأساة، وهزموا اليأس، فيسيل ماء هذه القرائن على نفس الكائن كأنه ماء بارد بعد قيظ طويل. ولعل هذا الأثر الذي تحقن فيه الحكمة شرايين الإنسان، ما يفسّر حاجته إلى الدين كرافعة نفسية وروحية باتجاه إنتاج العزاء، والتمسك بجدار، ولو غير مرئي، من الصبر على البلاء، والتعويل على بصيص فجر ينبثق من وسط الغيوم. لهذا يمتلئ الخطاب الشعبي بهذه العبارات التي تردّ كل شيء إلى قوة كلية بيدها مقاليد الأمور.

وكلما زادت أهوال الناس وزاد قهرهم وانتشر بؤسهم، زاد اعتصامهم بالحكمة الدينية، ولو بمعناها الميتافيزيقي. إنهم من دونها عراة لا ستر يقيهم، ولا جدار يردّ عنهم زمهرير الأيام القاسية، وريح السموم. وفي البلدان التي طغى فيها القادة وتجبروا ظل الناس يراهنون على أن للظالم يوماً سيلاقي فيه جزاء ما اقترفت يداه الأثمتان، لكنّ ظالمين كثيراً وطغاة حطموا الأرقام القياسية في التوحش، ما زالوا طلقاء يعربدون ويقصفون المدنيين، الرافعين أيديهم بالدعاء، بالبراميل المتفجرة، ثم يذهبون إلى قصورهم، ويغتسلون ثم ينامون، مثل أي رجل متعب كدّ حتى وهنت قواه!

والحكمة كما ورد، ربما تكون مدعاة إلى انتظار ما لا يأتي أو ما يتأخر، لكنّ ثمة حكمة تستفرّ وتشعل الحرائق وتتمرد على الطاعة، فتثمر أحياناً ثورات تغيّر وتحسّن أحوال البشر، كما كان الأمر في أوروبا التي خرجت من عتمة الجهل والظلام إلى عالم الأنوار والحضارة والمدنية. كانت حكمة مبهرة تحرك الناس في ذلك الزمان، فأرشدتهم إلى سواء السبيل.

حكمة الأمل هي التي أحييت نفوس البشر الغارقين في وحل الدم وحرائق المدن، بعد الحرب العالمية الثانية، فحرّضت أرواحهم على اشتقاق درب الصعود والتحدي، فكان لدينا نموذجان عملاقان أنتجا وما زالا الإنسان المعجزة، كما هو الحال في ألمانيا واليابان، اللتين ألهمتا من بعدهما دولاً سارت على الدرب نفسه، فأثمرت حضارة ورقيا، ولنا في سنغافورة وماليزيا واندونيسيا، ومناطق أخرى من العالم، شواهد ماثلة على حيوية الأمل، وإمكان تجسيد حكمة البقاء، في عالم يحض على الإحباط باعتباره أسهل الخيارات.

ولعل الحكمة مرتبطة، أحيانا، بالثقافة، فترفع من شأن كلامها هنا فتمنحه أجنحة، أو تجعل الكلام في حيّز القول المحض الذي ينسيه قولٌ لاحق، وهكذا دواليك، وهو أمر «تمتان» به الثقافة العربية التي يغلب عليها التواكل، وانتظار المعجزة من الغيب، وكأن مسؤولية الإنسان في هذه الثقافة أن يواصل الدعاء وهو مستلق لا يلوي على شيء، كأن السماء تمطر ذهباً.

لن نغرق في هجاء تلك الثقافة. حسب المرء في هذا الزمان المتقلّب أن يقبض على جمرة حكمة ما، حتى لو كوت كفه، فذلك خير من الاستسلام للعدم، وأكثر منفعة وجدوى من امتداح اليأس، باعتباره المسار الحصري الوحيد في عالم كل ما فيه يتداعى!

* كاتب وأكاديمي أردني

اللوبيات وصناعة القرار السياسي

أدوات الجماعات الضاغطة في أوروبا وأمريكا

مجلة (المجلة) اللندنية: ٢٠١٨/٨/٧

بون: جاسم محمد: جماعات الضغط Pressure Group هي نوع من الجماعات التي يلجأ إلى تكوينها أو الانضمام إليها بعض أفراد أو مجموعات من أفراد مجتمع ما بهدف التأثير على سياسته العامة بشأن موضوع أو قضية محددة، تمثل بالنسبة إلى هؤلاء الأفراد أو تلك الجماعات مصلحة جوهرية مشتركة تربط بينهم. لذلك، عادة ما تعرفها الأدبيات السياسية بأنها «تنظيمات تستهدف التأثير في صانعي القرار».

وفي النظم السياسية المعاصرة، فإن وجود جماعات المصالح على تنوعها وتباين توجهاتها يُعدُّ من أهم خصائصها. فجماعات المصالح تُعدُّ من بين أبرز مؤسسات المجتمع المدني أو المؤسسات غير الحكومية فيها، وتتزايد فرصتها في وجود مؤثر فعال بتوافر مناخ أكثر ديمقراطية. وعادة ما يتجه عددها إلى الاضطراد بتزايد معدلات ومستوى التنمية. من هنا كان نموها وتقدمها أكثر وضوحاً في المجتمعات الديمقراطية والصناعية أكثر من غيرها بوجه عام.

تعتبر عملية اتخاذ القرار ركيزة أساسية في العمل المؤسسي، وتزداد أهميتها مع تصاعد الضغوط التنافسية بين الشركات، والتعقيدات الإدارية، إضافة إلى تغير سلوكيات الأفراد داخل المجتمعات.

كثيراً ما يتشابه عمل «اللوبي» مع عمل شركات الإعلان ومكاتب المحاماة ومؤسسات الأبحاث والاستشارات. وتستخدم تلك الجماعات ما يمكنها من الوسائل بهدف التأثير على الرأي العام والحكومة، وعلى عملية صنع القرار السياسي بوجه عام في إطار سعيها لتحقيق مصالحها الخاصة. ويعرفها دوليير وأدلمان بالقول: «إنهما يتجهان إلى التركيز بوجه خاص على عنصري قوة المصلحة، واستمراريتها كشرطين أساسيين لقيام جماعة المصالح»، وطبقاً لمفهومهما فإن الأفراد عادة «ما يتجهون للانضمام إلى تلك الجماعة للتعبير عن مصالح مستقرة وقوية بدرجة كافية».

وظائف جماعات الضغط تعني:

- صياغة المطالب والتعبير عن الاتجاهات السياسية للحصول على مكاسب مادية لأعضائها.
- معارضة قرار أو سياسة ترى فيها إضراراً بمصالح أعضائها.
- التعبير عن رأي قطاع معين من الرأي العام حيال القضايا العامة.
- عمل دعاية لسياسة معينة.

آليات الضغط

- التمثيل المباشر: في أجهزة صنع القرار وخاصة البرلمان والأجهزة التنفيذية.
- المساندة الانتخابية: وتهدف إلى مساعدة مرشح ما على الفوز وإسقاط مرشح آخر، وقد تكون المساندة بالمال أو الرجال أو الدعاية أو الثلاثة معا.

- الدعاية والمعلومات: بهدف إقناع الجماهير واستثارة اهتمامها بفكرة أو سياسة ما.
- إقامة علاقات خاصة مع الأحزاب، وأهم صورها خلق كتل تشريعية داخل حزب أو أكثر لتدافع عن مصالح الجماعة.

الجهات المؤثرة في القرار السياسي

الرأي العام: توجد علاقة بينه وبين مختلف السياسات التي توطرها الدولة أو الحكومة حيث إن ما يفكر فيه الجمهور هو ما تفعله الحكومة فهو وجهة نظر الأغلبية تجاه قضية مهمة وتكون مطروحة للنقاش بحثاً عن حل " فالرأي العام يملك التأثير في مسارات الحكومة وسياساتها والعكس صحيح.

الأحزاب السياسية: تؤدي دورا رائدا في توفير قنوات للمشاركة السياسية والتعبير عن الرأي فهي عامل مؤثر في القرار السياسي الصادر من أي جهة كونها تناقش النظام السياسي في مختلف المسائل الأساسية التي تعنى بالمجتمع والدولة داخليا وخارجيا وتعمل على إثارة الرأي العام وبالتالي تتألف قوة ضاغطة على الحكومة وسياساتها.

الصحافة ووسائل الإعلام: صناع القرار يحتاجون إلى الاطلاع على وسائل الإعلام بكل أنواعها قبل اتخاذ أي قرار، ويمكن أن يكونوا تحت تأثير الدعاية والإعلام.

الجماعات الضاغطة (اللوبيات): وهي جماعات مختلفة الهوية ومتنوعة العدد والتنظيم والمكانة والقوة، لها هدف إثارة اهتمام الحكومة حول قضية ما تهم هذه الجماعات ويخدم مصالحها.

النموذج الأمريكي

أدوات جماعات الضغط هي:

مجلس الأمن القومي: تنسيق أنشطة المؤسسات المهمة بالأمن القومي، ويرأس رئيس الدولة بنفسه أعمال المجلس، ويضم: وزير الخارجية، ووزير الدفاع، ووزير المالية، ورئيس هيئة الأركان. ويمكن أن يضم عددا من كبار الموظفين في الحكومة.

وكالة المخابرات المركزية: تقدم المخابرات الاستشارات لمجلس الأمن القومي وتقدم التوصيات للهيئات الحكومية جميعها، وتنفذ الوكالة بأمر من مجلس الأمن القومي مهام مختلفة تتعلق بالأمن القومي لأمريكا. وتقديم المعلومات والمعطيات والتحليلات في الميادين الاستراتيجية العسكرية والسياسية والاقتصادية لمجلس الأمن القومي.

وزارة الدفاع: هي سلطة فعلية، فالرئيس يتخذ شخصا القرارات الأمرة لكل جندي أو ضابط أو قائد أركان في القوات المسلحة.

وزارة الخارجية: هي المسؤولة عن الشؤون الدولية، إلا أن وظائفها غالبا ما تؤثر فيها الكثير من الدوائر التنفيذية.

شركات المال والأعمال والبنوك الأمريكية: تعتبر مصدر قوة وتأثير كبير في السياسة الأمريكية، ولديها نفوذ هائل من خلال الاحتياطي الفيدرالي، والبنك المركزي الأمريكي، وتسيطر من خلاله على السياسة النقدية للبلاد وبالتالي تسيطر على السياسة النقدية للعالم ويعد المال هو عصب الاقتصاد الأمريكي.

وادي السيليكون: أصبحت شركات التكنولوجيا الأمريكية المتمركزة في وادي السيليكون، أكبر مجمع صناعي للتكنولوجيا في العالم بمثابة مركز قوة كبير في أمريكا ولها تأثير كبير على السياسة والقرار في الولايات المتحدة وأصبحت شركات مثل «مايكروسوفت» و«غوغل» و«آبل» وحتى «فيسبوك» مؤثرة في كل ما يجري في أمريكا والعالم. وفي هذا السياق، تعتبر تكنولوجيا القيادة والتحكم في الأداء مجموعة من الوسائل والأدوات المستعملة في إدارة المؤسسات بغرض تجسيد رؤية القيادة إلى استراتيجية عمل، متمثلة في بنك أهداف قابلة للقياس بما يحقق المراقبة الشاملة والتحكم في بوصلة الأداء.

شركات البترول: يعد لوبي الشركات النفطية أحد أقوى اللوبيات في أمريكا، وتسيطر شركات «إكسون موبيل، وشيفرون تكساسو، وهالبرتون للطاقة، وأنوكال للنفط» على هذا اللوبي.

مراكز الأبحاث: تساهم في صنع وصياغة الكثير من سياسات الدول التي تثق وتعتمد على هذه المراكز في عمليات اتخاذ القرار. وأصبحت مصدرا للتوجيه والتوعية وبلورة الرأي العام ووسيلة لتكريس شرعية صنع القرار في الدول المتطورة.

الإيباك (AIPAC): وتعتمد على التفاعل والوجود الدائم مع المشرعين بمجلسي الكونغرس، والاعتماد على تقديم الدراسات والمعلومات الموثقة والدقيقة التي تساعد على اتخاذ القرار، إن لم تقترحه عليهم بشكل أو آخر دراساتها وتحليلاتها، ويعد تقرير الشرق الأدنى، والذي تصدره الجماعة كل أسبوعين، أحد أهم أسلحتها المعلوماتية.

في حديث مباشر عبر الهاتف مع الدكتور هيثم الهيتي أستاذ الفلسفة السياسية في جامعة واشنطن، أجاب رداً على سؤال عن أدوات التأثير على صناعة القرار الأمريكي قائلا:

إن أول أداة في اتخاذ القرار الأمريكي هو (الثقافة السياسية) مثلا قبل الحرب على العراق قام عدد من الكتاب بتأليف كتب حول العراق، أبرزها كتاب «جمهورية الخوف» وكتاب «الشعب المنسي» وكتب أخرى حول صدام حسين.

وأضاف الدكتور الهيتي بأن هناك ما يسمى الثقافة أو التثقيف السياسي في أمريكا، وأوضح الدكتور الهيتي قائلاً: إذا وجدت مجموعة من الكتاب في أمريكا وجاء من يتحدث بقصص جميلة، تؤثر في الكونغرس أو في المجتمع الأمريكي، إذن الثقافة والكتاب عاملان رئيسيان في صنع القرار وأداة جيدة بيد اللوبيات. وشدد الدكتور هيثم الهيتي على تأثير الصحافة الأمريكية على صنع القرار، الصحف اليومية، كتابة المقالات، مثل «نيويورك تايمز» و«واشنطن بوست».

وأضاف الدكتور الهيتي إلى أداة Think Tank ومراكز الدراسات والبحوث أو نشر محاضرات عن قضية معينة مثلاً قضية الانتخابات العراقية. وهناك في أمريكا عدد من اللوبيات منها معهد السلام ومجموعة الأتلانتك وهذه اللوبيات يحضرها الكثير من صناع القرار السياسي ويعد إعداد التقارير بالتأكيد أداة مؤثرة على صنع القرار. وفي أمريكا هناك أداة تأثير مباشر، أن يقوم شخص بالجلوس مع الكونغرس الأمريكي ويتحدث مثلاً عن قضية مثل قضية العراق حسب وجهة نظره، وهذا يكون أداة مؤثرة في القرار الأمريكي أيضاً. وجميع هذه الأدوات تستخدمها اللوبيات بالتأثير على صنع القرار وعلى الكونغرس ٤٣٠ عضواً مع مجموعة السيناتور والبيت الأبيض.

وأضاف الدكتور هيثم الهيتي أن هذه الأدوات جميعها لم تكن مؤثرة إذا لم تتبلور وتصب أولاً في المصلحة الأمريكية، وإذا لم تكن فيها مصلحة أمريكية فسوف لن يكون لها أي تأثير. وأكد الدكتور الهيتي أن الأفكار والأدوات التي تطرحها مجموعات الضغط، يجب أن لا تتقاطع مع القيم الأمريكية، لكي تكون مؤثرة. وكذلك فإن هذه الأدوات أن لم تصنع صورة إيجابية عن الولايات المتحدة فسوف لا تكون مؤثرة أبداً. وأضاف الدكتور الهيتي مختصراً حديثه أن الأمريكيان يبحثون عن حكواتي يحكي قصصاً، لذلك إذا أراد شخص أن يروج لقصة عليه أن يستخدم الكتاب والإعلام والمؤلفين لكي تؤثر في المستمع السياسي... واستدرك الدكتور الهيتي قائلاً: «إنه حتى القصص التي يتحدثها الحكواتي يجب أن تتضمن القيم الأمريكية والصورة الإيجابية لأمريكا وفيها مصالحهم أي المصالح الأمريكية».

النموذج الأوروبي

تعتبر بروكسل، مركز الاتحاد الأوروبي، ثاني عاصمة لمجموعات الضغط الأمريكية بعد واشنطن بنحو ٣٠٠٠ من الجماعات التي نجحت مؤخراً بعد جهد جهيد وطويل بتمرير مشاريع «التجارة الحرة عبر الأطلسي» والشراكات الاستراتيجية. وتضم جماعات الضغط الأمريكية في بروكسل ١٤٥ من أكبر الشركات الأمريكية في العالم التي تشمل صناعات كشركة بوينغ وجنرال موتورز وبنوك وأعمال مونسنتو وماكدونالد والبنوك والإنترنت... وهي تستعين بجماعات ضغط أخرى في بيوت الخبرة ومراكز الأبحاث والطاولات المستديرة و«Think Tank».

أكد المرصد الأوروبي للدراسات أن القطاع المالي في بريطانيا ينفق أكثر من ٣٤ مليون يورو سنوياً على «اللوبيات» في بروكسل، فهو يوظف أكثر من ١٤٠ لوبياً للتأثير على صناعة القرارات في الاتحاد الأوروبي. وكشف عن قيام أكثر من ٢٢٨ لوبياً في بريطانيا مدعومة بقوة من القطاع المالي بإجراء لقاءات مع النخب المسؤولة في المفوضية الأوروبية، وعلاوة على ذلك عقد أكثر من ٧١ ممثلاً عن شركة «ستي أوف لندن» للقاءات مع أعضاء البرلمان الأوروبي. وأظهرت الدراسة أسماء معروفة في عالم التمويل المالي تدعم بقوة تلك اللوبيات وتساهم في صنع القرارات في الاتحاد الأوروبي مثل (باركليز، بنك أوف أمريكا، ميريل لانش، غولدمان ساكس، مورغان ستانلي مؤسسة خدمات مالية واستثمارية أمريكية متعددة الجنسيات، رويال بنك أوف سكوتلاند).

ويقول فيكي كان وهو أحد الباحثين في الدراسة إن الخدمات المالية التي يقدمها القطاع المالي في بريطانيا لها تأثيرات إيجابية في بروكسل، ولا سيما أنه المتحكم بشئى شؤون الحياة بما في ذلك القدرة على تنفيذ أجندته بشكل واضح وعلى الملأ، وهذا باختصار يترجم النفوذ السياسي الخطر لتلك اللوبيات على صنع القرار في الاتحاد الأوروبي، مشيراً إلى ضرورة

ضغط مواطني الاتحاد الأوروبي على السياسيين لإيقاف هذا المد الاستعماري ولصد نيران تلك اللوبيات من خلال تجريدها وإبطال أجندها.

وربما جماعات الضغط الإعلامية في أوروبا، على عكس أمريكا بسبب محدودية تأثيرها على صناع القرار، باستثناء بعض الصحافة الكبيرة في أوروبا منها «دير شبيغل» الألمانية.

وتبقى أدوات الضغط غير ثابتة وتتغير من بلد إلى آخر، على سبيل المثال في ألمانيا تعتبر الجاليات التركية والكردية، أداة ضغط بين جماعات الضغط واللوبيات، تتأثر بعوامل وجماعات خارج ألمانيا، يمكن تحريكها عند الحاجة، وهذا ما يسبب مصدر ضغط وازعاج للحكومة الألمانية.

أما إذا انتقلنا إلى فرنسا فيكون بعض الجماعات الدينية المسيحية على سبيل المثال في باريس أداة ضغط بيد اللوبيات، وكذلك بريطانيا هي الأخرى تخضع لتأثيرات الجماعات الإسلامية ومنها الإخوان إلى جانب اللوبي اليهودي، وربما بريطانيا يظهر فيها اللوبي الإعلامي أكثر من بقية دول أوروبا.

وفي حوار خاص عبر الهاتف مع الدكتور رامي العلي أستاذ الفلسفة السياسية، في جامعة السوربون، سألناه حول أدوات التأثير على صناعة القرار الأوروبي والغربي فقال:

إن مصالح الدولة هي التي تحدد استراتيجية الدولة العامة ولكن في بعض الدول أو في بعض الحالات يكون للوبيات تأثير كبير، لأن نشوء هذه اللوبيات جاء مرتبطاً مع نشوء مصالح استراتيجية خاصة في الدول الغربية. وخذ على سبيل المثال اللوبي الأرمني، له تأثير كبير على الحكومة الفرنسية، رغم أنها جالية صغيرة لكن استطاعت التأثير على رؤية الحكومة الفرنسية، خاصة تجاه تركيا على وجه التحديد.

ويمكن القول ذاته على اللوبي الكردي في ألمانيا، وكذلك اللوبي المسيحي العربي، وأكد إجابة على سؤالي بأن اللوبيات تختلف من دولة إلى أخرى. وأضاف دكتور العلي، قائلاً: «لنأخذ الموارنة اللبنانيين على وجه التحديد في فرنسا يعتبرون لوبياً مؤثراً على الحكومة الفرنسية، واتخاذ قرارها تجاه منطقة الشرق الأوسط».

واستدرك الدكتور العلي بالقول: «إن العامل الاقتصادي يبقى فاعلاً، لكنه يبقى ضمن المصالح العامة للدولة. فالمصالح الاقتصادية تفرض وجودها، على سبيل المثال المصالح الأوروبية مع إيران كبيرة لكنها لا يمكن مقارنتها بمصالح أوروبا مع الولايات المتحدة، وهذا ما يمثل أداة ضغط على أوروبا، بعد انسحابها من الاتفاق النووي الإيراني».

الخلاصة

ما ينبغي على مجموعات الضغط، هو تحديد أدوات الضغط، وأن لا تعم ذلك على جميع الدول، فما يصلح من أدوات في دولة ما لا يصلح ربما في دولة أخرى. وهذا يعني أن مجموعات الضغط تحتاج العنصر البشري أي المصادر البشرية على الأرض في الدول الأهداف من أجل الحصول على التغذية العكسية في المراحل الأولية لجمع المعلومات والبيانات، هذه البيانات والمعلومات بالتأكيد تشكل قاعدة بيانات في عمل أي دولة ضمن مهام العمل الدبلوماسي أو الأمن القومي، من خلالها يتم فرز الأدوات، ليصار العمل عليها في مرحلة قادمة.

تبقى المعلومات هي العنصر المهم الذي يحتاجه صانع القرار، إلى جانب البيانات والتحليلات التي تقدمها مراكز الأبحاث والدراسات. وبسبب زحمة المراكز والضخ الكبير للبيانات والمعلومات وكذلك الاستطلاعات، ينبغي على صانع القرار أن يسعى، ليس فقط للحصول على المعلومات والتحليلات بل الفرز، وهي ربما تعتبر عملية معقدة لا تقل خطورة عن اتخاذ القرار ومرتبطة من دون شك بالأمن القومي للدولة.

الوضع العربي.. مراجعة المفاهيم

*عبدالرحمن شلقم

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/٨/٧

لا نختلف على أن الشعوب كائنات حية، تنمو وتتغير. تتطور وتتقدم وتنتكس عبر حركتها في رحاب الزمان، وفوق تضاريس مكونات المكان.

هناك مأزق عربي " بل أكثر من مأزق واحد، ولكن لنقف أولاً عند كلمة «العربي»، ماذا نقصد بها اليوم؟ هل هو الإنسان الذي يتحدث اللغة العربية؟ أو يتحدر من العرق العربي؟ كل المتساكنين في المنطقة الممتدة من الخليج إلى المحيط؟ ما المكونات التي تربط هؤلاء اليوم؟

هل هم أمة واحدة، في وطن واحد، لهم الهوية الثقافية نفسها، يتحركون نحو الأهداف نفسها، أو لنقل نحو الأحلام نفسها؟

بعيداً عن تفاصيل جيولوجيا التاريخ القديم، لنقف في عجلة مع محطات زمنية أنتجت مفاهيم كانت من أبناء وبنات وقتها. ففي أواخر العهد العثماني، برزت عقلية التتريك الطورانية التي ولدت نزعة مضادة حملت شحنة في المشرق العربي عنوانها القومية العربية. وبعد الحرب العالمية الأولى، برزت نزعات قومية شوفينية في أكثر من بلد في العالم.

بعد الحرب العالمية الثانية، استيقظت الشعوب المستعمرة تناضل من أجل الاستقلال. الكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفياتي انتظمت في رابطة أيديولوجية هي الشيوعية، وأوروبا الغربية والولايات المتحدة في كتلة العالم الحر، في تجمع وصف بالليبرالي. استقلت البلدان العربية وقامت جامعة الدول العربية، وهو تجمع إقليمي موصوف لا تغطيه عباءة أيديولوجية. وفي بداية ستينات القرن الماضي، تأسست منظمة الوحدة الأفريقية، انضمت إليها الدول العربية الأفريقية.

الأحزاب الأيديولوجية العربية كانت وليدة خمسينات القرن العشرين، كانت الشعارات القومية - أقول الشعارات - هي وقودها، والوحدة العربية هي هدفها، وتحرير فلسطين الغاية المقدسة. تهاوت تلك الأحزاب القومية تاركة المساحات السياسية والفكرية لنسائم أيديولوجية إسلامية. بقينا تحت ظلال الشعارات من «أمة عربية واحدة»، إلى شعار «الإسلام هو الحل».

أوروبا التي عاشت حربين عالميتين ودعت الشوفينية الوطنية المدمرة، وتجاوزت الأيديولوجيات، تحركت بواقعية حكيمة نحو وحدة اقتصادية تقودها ديمقراطية عقلانية، وأسست كياناً اقتصادياً عملاقاً. الصين أعادت إنتاج نفسها بعد غياب ماو تسي تونغ، ووضعت كتابه الأحمر في متحف الذكريات، وأصبحت النمر الاقتصادي الآسيوي العملاق. أمريكا اللاتينية من أحلام سيمون بوليفار الثورية الوحودية إلى العواصف الماركسية والانقلابات العسكرية، انتهت إلى مشروعات للتنمية والديمقراطية.

انتبه بعض العرب، وتجاوزاً للشعارات أسسوا تجمعات إقليمية، على رأسها مجلس التعاون الخليجي، ثم اتحاد المغرب العربي، وأطلقت أمنية رغوبية عند بلدان أخرى، هي مصر والأردن واليمن والعراق، لتأسيس الاتحاد العربي الذي مات اسمه بعد غزو العراق للكويت.

هناك حقائق كشفتها ثورات الربيع العربي، أولاها أن الدول التي رفعت شعارات الوحدة العربية كانت الأكثر هشاشة في داخلها. لم تمتلك هوية اجتماعية صلبة توحدتها. ثانياً تلك الحقائق أن كيان الدولة غير متكامل بل غائب في بعضها كلياً. والحقيقة الأخرى أن الاختلاف بين البلدان العربية أكثر بكثير من التوافق والتشاكل.

الحقيقة الصادمة هي هشاشة كثير من الكيانات، ما جعلها سهلة الاختراق من القوى الأجنبية المختلفة. الاختراق الطائفي المذهبي كشف غياب اللازب الوطني الموحد - للمجتمعات.

الأسئلة: هل شعارات أو هدف الوحدة القومية التي طغت في صيرورة تاريخية معينة، ما زالت قابلة للاسترداد؟ وهل هناك نمط سياسي واحد قابل للتطبيق في جميع البلدان من المحيط إلى الخليج؟ وهل يوجد اليوم تماثل اجتماعي واقتصادي وثقافي بين هذه الدول؟

التجارب التي عاشتها شعوب ما يعرف بالعالم الثالث تقدم لنا مؤشرات بل دروساً نستضيء بها. أتوقف هنا عند تجربتين في أفريقيا، وهما: التجربة السنغالية والتجربة التنزانية. هذان البلدان من الدول الأفريقية التي لم تشهد انقلابات عسكرية، ونجحت في ترسيخ الوحدة الوطنية. الفضل في الحالتين إلى شخصيتين قياديتين، هما جوليوس نيريري في تنزانيا، وليوبولد سنغور في السنغال، قاما بدور الأب الوطني الذي زرع بذور السلم الاجتماعي، وتهيئة البلاد للانتقال والتداول السلمي على السلطة.

القراءة الموضوعية لوضعنا اليوم تؤكد غياب الثقة بين كثير من الأنظمة العربية، مما يجعل التعاون في غاية الصعوبة. فلنبدأ بترسيخ سياسة حسن الجوار، التي تركز على بناء الثقة وعدم التدخل في شأن الآخر، ثم الانتقال إلى سيولة التجارة البينية بين الدول وتشجيع الاستثمار، وتجاوز نهج تصدير الأيديولوجيات والعنف، واحترام خصوصيات كل مجتمع.

لكل زمن منتجاته الفكرية والسياسية. الحياة تتقدم بالتجديد في كل شيء، وما لم نمتلك الجرأة الفكرية كنخب لقراءة الواقع واجترار خرائط مستقبلية، بمقاييس رسم فكرية جديدة تستضيء بتجارب الإنسانية، سنبقى ندفع ثمن الحياة في متحف الأحلام والرغائب.

الدولة الوطنية المستقلة، هي الحقيقة الواقعية اليوم. الدول التي انتظمت في كيان ما قبل الكونفدرالي مثل أوروبا، احتفظت بكيانها الوطني، وبرزت في هذا التجمع هبات شعبية تقاوم سياسات هذا التجمع الاقتصادي. نشترك في اللغة والموروث الفني والأدبي "لكن علينا ألا نحمله ثقلاً لا مكان له على أرض الواقع، ولا حتى في الرؤوس. بالنظر إلى بريطانيا العظمى التي سيطرت على نصف العالم، حكمت بقوة السلاح والدهاء السياسي. ولدت من رحمها دول مارست العنصرية، مثل الولايات المتحدة، وجنوب أفريقيا، وروديسيا.. بريطانيا هذه أصبحت اليوم دولة يشارك في قراراتها المصرية كثير من الذين قدم آبائهم من مستعمراتها السابقة. قل هذا الكلام ذاته عن أمريكا وفرنسا. الحقيقة الأخرى أن نسبة التعليم التي ارتفعت في البلدان العربية ووسائل الاتصال والإعلام، وارتفاع درجة الوعي عند الشباب، كل ذلك يجعل مراجعة كثير من المفاهيم القديمة أمراً لا مناص منه.

لنطرح سؤالاً قد يضيء لنا مسار المراجعة، وهو: لماذا انسحبت بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وبقرار من الشعب البريطاني في استفتاء عام؟ ببساطة نقول: إن الشعب البريطاني، وهو شعب واع ومسيس، راجع المعطيات التي قادته يوماً ليكون عضواً في هذا الكيان الأوروبي، واتفقت غالبية على مغادرته. أوروبا تحركت قبل ذلك على مدى عقود، لتصل إلى صيغة التكامل في اتحادها الذي يخضع دون توقف لمراجعات تنظيمية وإدارية وسياسية. الرابط الأساسي الذي يجمع القارة الأوروبية هو منظومة القيم الأساسية، وهو (الديمقراطية)، وسيادة القانون، والمساواة بين الناس من خلال قاعدة المواطنة، والقدرة على إدارة الاختلاف.

هل تستطيع النخب الفكرية والسياسية والاقتصادية العربية، أن تقدم مشروعاً موضوعياً وواقعياً، لتأسيس علاقات بين أقطار تجمعها الجغرافيا والتاريخ والدين، يمكنها من تحقيق التعاون الاقتصادي البيني، بعيداً عن ثقل الوهم الشعائري، وعن تصدير الأفكار والأيديولوجيات العابرة للحدود، وأوهام السيطرة على الآخر؟ ما توصلت إليه أوروبا كان ثمرة عقود بل قرون من الصدام الدموي ومعاناة البشر من جنون الديكتاتورية، وأوهام الهيمنة.

لكل عصر تربته العقلية، ويحتاج إلى بذور تتناغم مع هذه التربة، كي تنمو وتثمر.

صعود الفرد في مواجهة المجتمعات والسلطة

*إبراهيم غرايبة

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/٨/١١

في صعود الفرد والفردانية وانحسار الدور الاجتماعي والأخلاقي للدول والمجتمعات، يشعر الفرد اليوم بأزمة تكاد تفوق أزمة الهيمنة والوصاية التي خضع لها قرونا طويلة، يحدث له اليوم مثل قصة المتصوف الذي أمضى أربعين عاما يسير في الطرقات باحثا عن اسم الله الأعظم، وفجأة لقيه طفل في طريقه، فقال له: أنت اسم الله الأعظم، لكنه حين عرف اسم الله لم يعد يعرف ماذا يفعل، فلم يكن يفعل من قبل سوى البحث. هكذا فإن الفرد الذي يظل يناضل في مواجهة التنظيم والتنميط الاجتماعيين والأخلاقين لم يعد يعرف ماذا يفعل وكيف يفكر ويميز وحده من غير مرجعية دينية أو مجتمعية بين الصواب والخطأ وبين القبيح والحسن. وهكذا أيضا يمكن فهم وتفسير الأزمات الاجتماعية والسلوكية الجديدة.

نحتاج إلى تأمل طويل لملاحظة التحول أو التشوه الذي أصاب الإنسان على نحو متراكم بفعل التنشئة الاجتماعية والسلسلة الطويلة المتراكمة من الشرائع والمنظومات الدينية المؤسسية، كيف يستعيد ذاته وينعتق من كل هذا الركام ويكون في الوقت نفسه أقدر على تحقيق السلام وحماية وتطوير العقد الاجتماعي؟ كيف يحل الضمير محل الدين والمجتمع في التنظيم الاجتماعي والسياسي والبناء الإيجابي للعلاقات الاجتماعية؟ كيف ينظم الناس أنفسهم ومصالحهم من غير أحزاب ومنظمات اجتماعية، أو ليكن السؤال كيف تعمل المنظمات الاجتماعية الجديدة في ظل قيم الفردية؟

لقد أنشأت الحضارة الإنسانية بمركزية الدين ثم الدولة والمجتمع منظومة من القيم والأخلاق مليئة بضدها، صحيح أن منظومة "القلاع والهيكل" أنشأت المدن والشرائع والتنظيمات القانونية، وحسنت الحياة إلى مستويات مدهشة، لكننا في حاجة اليوم لنعرف ماذا أصاب الفرد من تشوه، وما الذي يجب التخلص منه أو التمسك به، فكثير مما كان يبدو خلقا جميلا صار رذيلة يجب التخلص منها، كانت القلاع والهيكل تحمي حياة الناس وتقدم المعرفة أيضا، أو تنظم الحصول عليها، لكن الإنسان الفرد في مقابل الحياة والمعرفة تحول إلى تابع للقلعة وطبال في الهيكل! بلا ملاءمة حقيقية أو جميلة لما يريده بالفعل وما يحتاج إليه وما يجب أن يكون عليه!

وحولت السلطات والمؤسسات الدينية توق الإنسان إلى الارتقاء والمعرفة والمعنى والجدوى إلى جموع منظمة تمضي في حماس وصدق وذكاء إلى النشوة بدلا من المعنى، والترفيه بدلا من المعرفة، وإلى النظر إلى

الذات بدلا من الكون، والاكتفاء بالانتماء بدلا من الغايات والجدوى، وصناعة الوهم بدلا من الحكمة، وتحويل الثقة والفضول والاستعداد إلى قرابين تمضي مثل العجول في المسالخ إلى الموت والبطولة الجوفاء.

أصبح ذكاء الفرد وتفرد عبقاً على المؤسسات الاجتماعية والسياسية، فلا تستطيع أن تظل فردا كما أنت، لأنك لا تقدر على الانتماء والمشاركة إذا لم تشبه الجموع المنتظمة والمتشابهة والمتحمسة على نحو يجعلك مختلفا أو خارجا على السياق وربما مجنونا، فيتحول لأجل أن يبقى ويتقدم إلى أبله متسول، ويتخلى عن براءته الفطرية لينشئ استجابات وتكيفات تلقائية مع القيم التنظيمية السائدة والمعدة لأجل الطاعة والولاء أكثر مما هي للإبداع والانسجام.

وفيما يحسبه تحايلا ذكيا للتوفيق بين انتمائه وحكمته المستقلة، يحول صدقه ونزاهته إلى وهم وثقافة، ويحسب أنه قادر على التظاهر بالانتماء وهو متفرد، أو أنه يسير في رحلتين متوازيتين "رحلة الذات ورحلة الجماعة، لكنه أنشأ قيما هائلة ومطورة من البلاهة والندم ليحمل نفسه على الانتماء والتكفير في الوقت نفسه عن خطيئته، وكان ذلك أفضل وأهم ما حصلت عليه المؤسسات والنخب السياسية والدينية، إذ يتحول إلى كائن متوقع ومنسجم.

هكذا تمضي متوالية تشكيل الفرد لذاته، فيحمي مصالحه مع الجماعة المهيمنة بالكذب، ويحمي ذاته من الكذب بالاحتقار والتخلي عن الكرامة، ويدرك على نحو لا يريد أن يعترف به أنه لن يحصل على متع الحياة في ظل هذه القلاع والهياكل إلا بالكذب واحتقار الذات، وحين يطلب منه أن يعمل ويواجه مخالفا ضميره وفكرته عن الحياة والكون يستعين بالكراهية، فإذا كانت الإساءة والظلم خطأ فإنه يصير يعتقد أن هؤلاء الذين يغشهم أو يظلمهم لا يستحقون العدل والعطف، يصبح العدل يخص الجماعة وليس قيمة حياتية مطلقة ومستقلة! فيكون بذلك قادرا على المشاركة في سياسات القتل والاعتداء والظلم والتمييز وفي الوقت نفسه يكون محبا للحياة وأسرته وأطفاله ومواطنيه وجماعته!

وأخيرا تجد أنك لن تكون قادرا على العمل مع القلعة والهيكل وأنت أنت، ولن تحظى بالبركة والأمن وأنت غير قادر على أن تكون غير أنت، فلا تعود تعرف ذاتك إلا بالجماعة، ولا حيلة لك سوى التفاهة والخواء، وقد تحصل على متعة عابرة رديئة متاحة أو على وعد بالنعيم المقيم بعد الموت!

ثقافة التعايش وفقه الحوار

*د. عبدالحسين شعبان

صحيفة (الخليج) الاماراتية : ٢٠١٨/٨/١١

حين يصبح التعصب والتطرف والعنف والإرهاب، بجميع أشكاله وألوانه ومبرراته ودوافعه، خطراً يهدد البشرية برمّتها، فإن هذا الخطر يكون مضاعفاً في المجتمعات والأمم النامية التي تعاني الاحترابات والنزاعات والصراعات، الأمر الذي سينعكس على تنميتها وتقدمها، فما بالك بتعرضها لتحديات خارجية أيضاً، تلك التي تحاول زرع الفتنة، وإشعال الحروب الأهلية والإقليمية وتغذية كل ما من شأنه إثارة روح الكراهية والشقاق بينها، خصوصاً باستهداف المناطق الريفية والخاصات الهشة التي تزيد الهوية عمقاً بما يؤدي إلى التباعد والتنافر والتناحر، وحتى الحروب والنزاعات الإثنية، والدينية، والطائفية، تلك التي باتت منتشرة في شرقنا الأدنى والأوسط.

ولم تقتصر تلك الصراعات الدموية على فئة، أو مجموعة، أو شعب، أو أمة، أو قومية، أو دولة، أو جغرافيا، أو لغة، أو دين، أو طائفة، بل أصبح الجميع من ضحاياها، ووقوداً لها، أرادوا أم لم يريدوا، وهو ما حاولت قوى دولية وإقليمية توظيفه لمصالحها الخاصة، بما فيها «إسرائيل» المستفيد الأول منها، والتي وجدت الفرصة مناسبة لإعلان مشروع دولتها «القومية» اليهودية النقية.

من هنا تتأتى أهمية ثقافة التعايش وفقه الحوار لتوثيق عرى المشترك الإنساني الذي أصبح اليوم ضرورة لا غنى عنها لاستمرار وتطوير العلاقات بين الأمم والشعوب، ومنها أمم الإقليم العربية والتركية والفارسية والكردية، لاسيّما، في ظلّ التناقضات والصراعات التي تعيشها، منذ قرن ونيف من الزمان، حتى أصبح «فرض عين وليس فرض كفاية»، كما يُقال، وغداً هاجساً لدى نخبة من المثقفين والأكاديميين والناشطين المدنيين والممارسين العرب الذين دعوا إلى مواصلة مشروع حوار معرفي وثقافي لوضع أسس علاقات متكافئة ومتساوية لأمم الإقليم هدفها تعظيم القيم الإنسانية المشتركة، مثل قيم الحرية، والمساواة، والعدالة، والمشاركة، والشفافية، والسلام، والتسامح، والعيش المشترك، وتقليص الفوارق كي لا تتحول الاختلافات والتنوع والتعددية إلى خلافات إقصائية وإغائية وتهميشية، خصوصاً حين يتم طمس الحقوق والتجاوز على ما يجمع البشر، ويوحدهم، ويصون اختلافاتهم وهوياتهم الفرعية ولغاتهم الخاصة، بل وخصوصيتهم بشكل عام.

وكان «منتدى الفكر العربي» احتضن حوارات عربية- تركية، وعربية - إيرانية، وعربية - كردية، وقد دعا إلى حوار شامل تحت عنوان «أعمدة الأمة الأربعة»، ورعاه في عمان الأمير الحسن بن طلال، والفكرة تنطلق من كون الحوار وسيلة حضارية لتعزيز ثقافة التفاهم والتعاون والعمل المشترك، ولاسيّما بين المثقفين، وبين هؤلاء وأصحاب القرار، بهدف تجسير الفجوة من جهة، وتطوير التنمية والمشاركة في صنع القرار وتنفيذه من جهة ثانية. وتأتي هذه المبادرة تنويعاً لسلسلة لقاءات تمهيدية في تونس وبيروت، سعياً لبلورة مشروع مستقبلي يضمّ تحت لوائه «أعمدة الأمة الأربعة»، من عرب، وترك، وفرنس، وكرد.

وحين خاطب الأمير الحسن النخبة التي شاركت في الحوار دعا إلى استخدام منطق العقل، وأدب الحوار، مشدداً على المكونات الديموغرافية الأربعة التي تواجه تحديات كثيرة، فرغم الاختلافات فيما بينها، إلّا أنه لا ينبغي أن ندع الفوارق تسيطر على المشتركات. وكتب لاحقاً: إن هذا الحوار هو خطوة أولى تسعى لخلق المشتركات بين هذه الأعمدة، ووسيلة للتواصل والاتفاق على الهوية الجامعة، واللغة الجامعة.. لاسيّما وأنها جميعها مستهدفة. ولهذا فإن إقامة إطار «شوروي» (استشاري) يتسع للجميع، وسقف من الأمن والوعي المشترك، سيكون هدفه تجنّب ما يريده بنا من لا يحبّون حضارتنا، ولا لغتنا، ويسعون إلى تفتيتها إلى هويات فرعية ضعيفة مستضعفة.

إن قيمة مثل هذا الحوار تكمن في التواصل المعرفي والتفاعل الثقافي لما يتصل بمجمل علاقات الأمم الأربع، خصوصاً في وضعه التعايش السلمي والمصالح المشتركة الآنية والمستقبلية في أولوية اهتماماته، لاسيّما بالتركيز على الإيجابيات، وما هو جامع من قيم إنسانية، بما فيها علاقات التآخي بين الأمم والشعوب، وحققها في تقرير مصيرها. وكان البيان الختامي تضمن توصيات تتعلق بالاستمرارية لتفعيل الرؤية المشتركة، وتشكيل فريق عمل لبحث جوانب العلاقات المختلفة، وكل ما له علاقة بالتنمية والتعاون بروح القيم الإنسانية السامية، والعمل على نقل الحوار إلى عواصم ومدن «أعمدة الأمة الأربعة»، مثلما وضع مسألة الاهتمام بالشباب وإعدادهم بروح التآخي والمشاركة الإنسانية ضمن برامجه.

وقد يكون مناسباً أن تسهم «جامعة الدول العربية» كمُنظمة إقليمية، وكذلك «منظمة التعاون الإسلامي» في تأطير وبلورة مشروع حوار جامع استناداً إلى القيم الإنسانية، لتعزيز ثقافة التعايش وفقه الحوار، ولمواجهة ظواهر التعصب والتطرف والعنف والإرهاب، خصوصاً بالتعاون بين الحكومات ومؤسسات المجتمع المدني والفاعليات والأنشطة السياسية والفكرية والثقافية والمؤسسات الأكاديمية والتربوية.

جدلية الداخل والخارج وآمال التحول الديمقراطي

*عمرو حمزاوي

صحيفة (الشروق) المصرية: ٢٠١٨/٨/١١

الناظر إلى النقاشات العربية الراهنة حول التغيير السياسي والاجتماعي سرعان ما يكتشف محورية حديث «الخصوصية العربية» وتعدد السياقات التي توظف بها النخب الحاكمة مقولات «تفرد المجتمعات العربية» لكي تبرر غياب التداول السلمي للسلطة وتراجع حكم القانون والإخفاق الديمقراطي المستمر. على صعيد أول، تمثل الخصوصية العربية بل وخصوصية كل مجتمع عربي السهم الجاهز دوما للرمي الذي تواجه به النخب الحاكمة تدخلات الخارج الأمريكي والأوروبي الذي يوصم بالمركزية الغربية ويرمي بعدم فهم حقائق الواقع العربي. يوظف حديث الخصوصية من قبل النخب الحاكمة، ثانيا، في محاولة للتحكم الأحادي في إيقاع التغيير إزاء مطالبة بعض القوى الاجتماعية والسياسية في بلاد العرب بإصلاحات شاملة. هنا تدعي النخب اختلاف كل حالة عربية عن الأخرى بمنطق «ما يصلح في تونس قد لا يصلح لمصر أو للمغرب»، وتسفه من مطالب الإصلاح الشامل التي تصورها كمطالب يرفعها مثاليون وحالمون لا يدركون ما آلت إليه الأوضاع بعد الانتفاضات الديمقراطية ٢٠١١. ثالثا، تستخدم بعض القوى الاجتماعية والسياسية، تحديدا الحركات الدينية، يافطتي الخصوصية والأصالة لإضفاء هالة من القداسة واحتكار الحقيقة المطلقة على رؤاها هي حول الدولة والمجتمع واستبعاد تصورات الأحزاب والحركات العلمانية بادعاء غربتها وعدم ملائمتها للواقع العربي.

العقدة الماثلة أمامنا هنا هي إطلاقية حديث الخصوصية ونتائجها السياسية شديدة المحافظة. فهناك من جهة في معرض تناول قضية النموذج الأمثل للتحول الديمقراطي الدفع بعدم عالمية الخبرة الغربية وما أفرزته من صياغة ليبرالية لعلاقة الدولة والمجتمع والفرد المواطن. تشير المقولات المتواترة في النقاشات العربية إما إلى خصوصية الغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين بحكم الظاهرة الاستعمارية والثورة الصناعية، أو إلى اختلاف المسارات السياسية للمجتمعات الأوروبية إذا ما قورنت على سبيل المثال حالة بريطانيا بألمانيا، أو إلى أوجه قصور متوهمة في ديموقراطيات العالم المتقدم من شاكلة الفردية والمادية وتهميش الدين وهيمنة أصحاب الأموال والتكنوقراط والتي تحد في نهاية المطاف من مصداقية الديمقراطية الغربية داخل وخارج مواطنها. وواقع الأمر أن فساد مثل هذه النظرة لا يرتبط بالأساس بعدم دقة بعض جزئياتها، وإنما بتجاهلها المشترك العالمي في الخبرات التاريخية المتنوعة ومعايير التقييم الموضوعي للأخيرة فضلا عن تناسيها مغزى ظرف العولمة. لا يمكن إدراك سعي البشرية الدؤوب نحو المزيد من الحرية والمساواة والعدالة واحترام حقوق الإنسان إلا باعتباره قيمة عامة تعارفنا وتوافقنا عليها جميعا بعد تجارب مريرة في شتى بقاع الأرض. هنا تبدو عبقرية التجربة الغربية الحديثة بشقيها الديمقراطية الليبرالية واقتصاد السوق الرأسمالية (تحديدا اقتصاد السوق ذا البعد الاجتماعي الذي يطبقه الكثير من الخبرات الأوروبية المعاصرة) والتي أنجزت أكثر نماذج البشرية رقيا وقربا من الحرية والمساواة والعدالة على نحو يجعل من التساؤل حول إمكانيات استلهاهاها الشامل أو الجزئي خارج أوروبا وأمريكا الشمالية أمرا مشروعا بل وشديد المنطقية.

وحين يضاف إلى هذه الحقيقة زمانية العولمة، ليس بالمعنى القدرى الرائج في نقاشات المثقفين العرب في سياق رمزية تذكر بطوفان نوح وإنما على أنها تعني تسارع معدلات التواصل والتفاعل والحراك بين اقتصاديات وسياسات وثقافات ومواطني أقاليم العالم المختلفة، يصير واضحا أن هناك نزعة طاغية نحو التوحد الكوني تتقارب معها تدريجيا توقعات ورؤى إنسان القرن الحادي والعشرين للمستقبل ومعاييرها في الحكم على الأمور بصورة تتخطى حدود الدول القومية والإطارات الحضارية. تنهاوى، إذا، المنطلقات الفكرية والسياسية والاجتماعية لخطابات

الخصوصية العربية ومقولات تفرد المجتمعات العربية ويصير بإنكار النخب الحاكمة لحق العرب في الديمقراطية والتداول السلمي للسلطة وحكم القانون وكذلك بنزوع تلك النخب نحو تصوير الديمقراطية كأمر غير ملائم للواقع العربي الدليل الأكبر على رغبة الحكام في احتكار السلطة وفرض الطاعة على المواطنين وتهديدهم بالقمع والعقاب حال عدم الامتثال.

من ذات النافذة، جدلية الداخل والخارج، يطل علينا أيضا وهم مسئولية الغرب عن الأزمات السياسية والاجتماعية المتتالية للمجتمعات العربية. يتوارى في العديد من الأحيان التعامل النقدي مع مشكلات السياسة والمجتمع في عالمنا خلف ستار سميكة تنسجها أحداث متواترة عن سياسات القوى الكبرى وانعكاسات صراعاتها منذ القرن التاسع عشر على قضايا المنطقة التي تبدو وكأنها ساحة مفرغة من الفاعلين المحليين وقابلة فقط لفعل أطراف خارجية معادية لا ترغب في تقدم العرب وتحريك لهم المؤامرات بانتظام.

وبعيدا عن سلامة بعض الاستشهادات التاريخية الموظفة هنا والمرتبطة عادة بحقبة الاستعمار الأوروبي (معاهدة سايكس - بيكو) مروراً بتأسيس إسرائيل (١٩٤٨) وانتهاء بالهيمنة الأمريكية منذ تسعينيات القرن العشرين في مقابل الخلل التاريخي والموضوعي الكامل للنظريات المتداولة بشأن التآمر الغربي على العرب قبيل وأثناء الانتفاضات الديمقراطية ٢٠١١ وهي تلك النظريات روجت لها النخب الحاكمة الخائفة من التغيير في بلاد العرب، يظل الهدف الأبرز لتحميل الغرب مسئولية أزماتنا السياسية والاجتماعية هو إعفاء الذات الجمعية العربية من مسئوليتها هي الفعلية عن غياب الديمقراطية وعن تدني معدلات النمو الاقتصادي والاجتماعي وعن تراجعنا الكارثي في مجالات المعرفة العلمية والتقدم التكنولوجي. وفي المقام الثاني، يمكن تحميل الغرب مسئولية أزماتنا من إضفاء رمزية الضحية علينا كعرب حيث يصبح الآخر الغربي هو المسئول عن إخفاقاتنا وعذاباتنا وأيضا المالك الوحيد لقدرة خلاصنا النهائي منها.

من ذات النافذة، جدلية الداخل والخارج، تطل أيضا مقولات الخصوصية الدينية والثقافية التي تطلقها الحركات الدينية في معرض سعيها لادعاء احتكار الحقيقة المطلقة (ولسان حالهم نحن العالمين أكثر من غيرنا بأحوال مجتمعاتنا وبلداننا) ومحاربتها للأحزاب والحركات العلمانية بسلاح نزع المصادقية. غير أن مقولات الخصوصية الدينية والثقافية التي ترسم صورة وهمية للعرب كراغبين في الحكم الديني وصورة غير موضوعية للعلمانيين العرب كدعاة تغريب واغتراب، مثل هذه المقولات لا تركز إلى شواهد موضوعية وتنبنى على رؤية معكوسة لترابطات الدين والثقافة والمجتمع تجعل من الأول والثانية مهيمنين على الأخير في حين أن وقائع التاريخ لا تعرف إلا متغيرات دينية وثقافية تتغير معانيها ووظائفها بتبدل أحوال المجتمع وتطلعات المواطنين.

إزاء حديث «الخصوصية العربية» ومقولات «التفرد العربي» التي توظفها النخب الحاكمة غير الراغبة في التداول السلمي للسلطة أو الحركات الدينية التي تريد أن تفرض رؤاها كحقائق مطلقة، تصبح مهمة القوى الديمقراطية والتحديثية صياغة فهم للسياسة والمجتمع والتغيير المنشود يتخطى الخصوصيات ويكتشف مساحات الفعل العالمي ويدرك منطق التطور التاريخي والمتراكم من قيم إنسانية مشتركة تدفعنا جميعا إلى طلب الحق والحرية والعدل والتقدم ورفض الحقائق المطلقة. ولا سبيل لذلك سوى بالتداول السلمي للسلطة وحكم القانون وإن طال انتظار مجتمعاتنا لانتصار دعاة الأحرار، ولا سبيل لذلك سوى بالفصل بين الدين وبين شئون الحكم وإن طال انتظار العرب لصعود قوى علمانية لا تساوم على الديمقراطية بتحالفات مشبوهة مع النخب الحاكمة.

* عمرو حمزاوي عمرو حمزاوي أستاذ علوم سياسية، وباحث بجامعة ستانفورد. درس العلوم السياسية والدراسات التنموية في القاهرة، لاهي، وبرلين، وحصل على درجة الدكتوراة في فلسفة العلوم السياسية من جامعة برلين في ألمانيا. يعمل أيضا كأستاذ مساعد للعلوم السياسية في قسم العلوم السياسية، جامعة القاهرة.

السعودية "الخاسر الأكبر" من عقوباتها ضد كندا

مركز "ستراتفور" للبحوث الاستراتيجية: ٢٠١٨/٨/١٢

نشأ صراع دبلوماسي بين السعودية وكندا بعد انتقادات علنية قدمها وزير كندي لسياسات اعتبرها السعوديون مسألة داخلية.

وفي حين قد يكون للتوتر بعض التأثيرات الدائمة على العلاقات التجارية بين البلدين، فإنه من غير المحتمل أن يؤدي إلى تجميد دائم لعلاقاتهما الدبلوماسية.

ماذا حدث؟

أعلنت الخارجية السعودية، في ٥ أغسطس/آب الجاري، استدعاء سفيرها في كندا، ومنحت السفير الكندي في الرياض ٢٤ ساعة لمغادرة البلاد.

وحسب بيان للوزارة، تم فرض حظر على جميع الصفقات التجارية أو الاستثمارية الجديدة بين كندا والمملكة.

ويبلغ حجم التبادل التجاري السنوي بين البلدين نحو ١٤ مليار ريال سعودي (٣,٩ مليارات دولار). كما أكدت الحكومة السعودية، أيضاً، إلغاء المنح الدراسية لنحو ١٦ ألف طالب سعودي كانوا يستعدون للدراسة في الجامعات الكندية خلال العام الدراسي القادم.

وستقوم الخطوط الجوية السعودية بوقف الرحلات إلى كندا اعتباراً من ١٣ أغسطس/آب الجاري. وكانت العاصفة الدبلوماسية انطلقت بعد تصريحات لوزيرة الخارجية الكندية، "كريستيا فريلاندر"، الأسبوع الماضي، انتقدت فيها اعتقال السلطات السعودية لناشطة في مجال حقوق المرأة.

لماذا كل هذا؟

ومع رد فعلها القوي على هذه التصريحات، ترسل الحكومة السعودية إشارة إلى الغرب مفادها أنها لن تتسامح مع النقد الخارجي لما تعتبره مسألة أمنية داخلية.

وترفض الرياض بإصرار أية ضغوط خارجية في ما تعتبره "قضية أمن قومي"، بما في ذلك الطريقة التي تحد من حرية الناشطين الذين يتحدثون أوامر الحكومة.

ويضغط بعض الناشطين لتحقيق مطالب ربما تسعى الحكومة السعودية لتحقيقها بالفعل، لكن الرياض تريد متابعة الإصلاح وفق شروطها الخاصة.

ورغم سعي المملكة بقوة للحصول على تمويل خارجي، إلا أن تحركاتها ضد كندا تحدث أثراً عكسياً فهي تؤكد صحة مخاوف بعض المستثمرين، وقد تقلل من معنوياتهم.

وحدث موقف مماثل في أعقاب الانتقادات الألمانية للسعودية، في نوفمبر/تشرين الثاني، إثر محاولة السعودية الضغط على رئيس الوزراء اللبناني، "رفيق الحريري" لمواءمة سياسته حكومته مع الرغبات السعودية.

وفي أعقاب هذا الخلاف، وجدت الشركات الألمانية أن ممارسة الأعمال التجارية في المملكة أكثر صعوبة. ومن المرجح أن يشعر المستثمرون الكنديون بالقلق تجاه التعاملات المستقبلية في المملكة، حتى إن انتهى التوتر العلني في العلاقات.

ولن يلغي هذا الصدد أي صفقات تجارية قائمة، بما في ذلك اتفاق لشركة كندية على تسليم مركبات مدرعة خفيفة ثم توفير صيانتها، لكنه سيؤثر على الصفقات المستقبلية.

ماذا بعد؟

ومن المنظور الكندي، سيظل التركيز على حقوق الإنسان، بدرجات متفاوتة، سمة من سمات نظامها السياسي.

وتجعل هذه الاعتبارات من المحتمل، في مرحلة ما، زيادة التعبير عن القلق حول ممارسات حقوق الإنسان في السعودية" مما يزيد من الضغط على العلاقة المتوترة.

وبالنظر إلى التجربة الألمانية، هناك خطر من إقدام المملكة على تجميد التعاملات الشركات الكندية أو المستثمرين الكنديين كلياً إذا نمت التوترات بشكل أكثر ضراوة.

وفي الوقت الذي يناصر فيه ولي العهد السعودي، الأمير "محمد بن سلمان"، الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية، بما في ذلك السماح لمزيد من الحريات للنساء، أوضح أيضا أن الدولة، وليس المجتمع المدني، هي المسؤولة عن التشريع وتنظيم هذه الحريات.

وبالنسبة لـ "بن سلمان"، فالاحتفاظ بولايته على الإصلاح، سيتطلب منه مقاومة الضغوط من القوى الخارجية.

ويجدي هذا الموقف بشكل جيد مع المواطنين السعوديين.

وأدى امتناع البيت الأبيض الحالي عن فرض الإملاءات حول السياسة الداخلية السعودية إلى تشجيع السعودية على رفض ومقاومة الانتقادات من الآخرين.

ويعود ذلك جزئياً إلى أن المملكة تعرف أن القادة في واشنطن أقل اهتماماً بالتعبير عن معارضتهم لسياساتها الداخلية، أو لأفعالها ضد دول مثل كندا.

لماذا تخلت أمريكا عن كندا في أزماتها مع السعودية ؟

هافنكتون بوست عربي: ٢٠١٨/٨/١٢

في الوقت الذي صبَّ المسؤولون السعوديون جام غضبهم على كندا، التزمت الولايات المتحدة الصمت الكامل، ما يشير إلى تحول صارخ في العلاقات بين الجارتين الشمالييتين. فبعد تولي دونالد ترمب مقاليد السلطة بوقت قصير، بات من الواضح أن العلاقة الطويلة الوطيدة بين الولايات المتحدة وجارتها الشمالية على وشك التحول، فهناك مسألة إعادة المفاوضات والمقتضبة لاتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (نافتا)، وآلاف طالبي اللجوء الذين يعبرون الحدود المشتركة، والحملة ضد السياسات التجارية الحمائية لكندا، بحسب تقرير لصحيفة The Guardian البريطانية. ولكن خلال هذا الأسبوع، ربما قد برز التحول الأكثر حدة في العلاقة بين الجارتين، إذ صرَّحت الولايات المتحدة أنها ستلتزم الصمت حيال غضب المسؤولين السعوديين، بسبب مطالبة كندا بالإفراج عن نشطاء الحقوق المدنية المسجونين بالسعودية. صرَّحت هيدز ناووت، الناطقة باسم وزارة الخارجية الأمريكية، خلال الأسبوع الجاري، أن «الأمر يرجع لحكومة المملكة العربية السعودية والكنديين، في التوصل لحلٍّ للأزمة». وأضافت: «على الطرفين حل المسألة بالطرق الدبلوماسية معاً. لا يمكننا فعل ذلك بالنيابة عنهم».

ليس لدينا صديق واحد في العالم بأسره

وسرعان ما لوحظ موقف كندا المنعزل شمال الحدود. فقد عبرت راشيل كوران، مديرة السياسات خلال حكم رئيس الوزراء الكندي السابق، ستيفن هاربر، عن أسفها عبر تغريدة على موقع تويتر، إذ قالت «ليس لدينا صديق واحد في العالم بأسره». وقد أشار بوب راي، الزعيم السابق لحزب العمال الاتحادي، إلى أن المملكة المتحدة كان لها موقف صامت مماثل. وكتب راي على حسابه على موقع تويتر «سارع البريطانيون والترامبيون بالاختباء، وقالوا إننا أصدقاء للسعوديين والكنديين». وأضاف «نشكر دعمكم لحقوق الإنسان، وسوف نتذكر هذه الواقعة بكل تأكيد». اندلع هذا الخلاف، الأسبوع الماضي، عندما عبَّرت وزارة الخارجية الكندية عن قلقها حيال الاعتقالات التي تنال أعضاء منظمات المجتمع المدني السعودي، والناشطات في مجال حقوق المرأة، من خلال تغريدة صرَّحت فيها عن المخاوف التي عبَّرت عنها الأمم المتحدة في وقت سابق. وسرعان ما جاء ردَّ المملكة العربية السعودية، فقامت بطرد السفير الكندي لديها، وعلَّقت الاستثمارات وعقود التجارة الجديدة مع أوتاوا، ووضعت خطة لسحب آلاف الطلاب والمرضى السعوديين من كندا، بالإضافة إلى تعليق رحلات الطيران من وإلى كندا، من بين تدابير عقابية أخرى. وفي معرض حديثه إلى المراسلين الصحفيين في الرياض، حثَّ وزير الخارجية السعودي كندا على «إصلاح خطئها الكبير»، وحذر من اتخاذ المملكة لتدابير عقابية إضافية ضد كندا.

رسالة للأخريين وليس كندا فقط

وقال محللون ومسؤولون إقليميون للصحيفة البريطانية، إن هذا الخلاف ليس له علاقة كبيرة بكندا، وأشاروا إلى أن الإجراءات التي اتخذتها الرياض ما هي إلا إشارة موجَّهة إلى الحكومات الغربية بشكل أشمل، أن أي انتقاد لسياساتها الداخلية يُعد أمراً غير مقبول. في غضون ذلك، أعربت دول عدة عن دعمها للمملكة العربية السعودية، بما في ذلك مصر وروسيا. إلا أن كندا ظلَّت وحيدة دون دعم في هذه المسألة، حتى بعد أن أعلنت وسائل إعلام حكومية بالمملكة عن «قطع رأس» و«صلب» رجل مُتهم بقتل امرأة، وارتكاب مجموعة جرائم أخرى.

كندا مستمرة في علاقاتها مع المملكة لكنها ستضغط عليها أيضاً

وقال جاستن ترودو، رئيس الوزراء الكندي، إن كندا مستمرة في علاقاتها الدبلوماسية والسياسية مع المملكة العربية السعودية. وصرّح لعدد من الصحفيين هذا الأسبوع قائلاً: «نحترم أهمية الدور الذي يقومون به في العالم، ونشهد أنهم حققوا تقدماً في كثير من القضايا المهمة». لكنه أكد في نفس الوقت على أن حكومته ستواصل الضغط على المملكة العربية السعودية، في سجلها في مجال حقوق الإنسان. وقال: «لكننا في الوقت نفسه سنواصل التحدث بوضوح وحزم في قضايا حقوق الإنسان في الداخل والخارج، وبقا رأينا ضرورة لذلك». في هذا الخلاف على وجه التحديد، كندا ليست بحاجة إلى مساندة الولايات المتحدة، حسب ما صرّح به توماس جونو، الأستاذ بجامعة أوتاوا. إذ قال: «إن العلاقات الكندية السعودية محدودة للغاية، وبالتالي ليس ثمة أضرار هائلة قد أصابت كندا في الوقت الراهن». وأضاف: «إلا أن هناك مصدر قلق كبير يجب أخذه في الحسبان: عندما نواجه أزمة حقيقية، ثم نجد أنفسنا وحدنا، ما الذي يتوجب علينا فعله؟» أشار جونو إلى أن أحداث هذا الأسبوع قد أضافت حماسة إلى المحادثات التي بدأت رويداً رويداً في كندا. وقال: «لقد بدأنا البحث والتحليل بجدية في أعماقنا، عن معنى أن تكون الولايات المتحدة أكثر حيادية بالنسبة لكندا، وأكثر رفضاً للقواعد والمبادئ التي يحددها دورها القيادي في النظام العالمي، الذي لعبته لمدة ٧٠ عاماً»، بحسب الصحيفة البريطانية. وشجعت التغيرات التي حدثت لدى الجارة الجنوبية المملكة العربية السعودية، حسب وصف جونو، على اتخاذ الإجراءات الأخيرة ضد اليمن وقطر ولبنان، فيما يُعد نمطاً من السلوك العدواني الطامح المتهور.

توقعات باستمرار الأزمة

لا يرى جونو حلاً سريعاً لهذا الخلاف، خاصة أن كلا الجانبين غير متضررين بشكل كبير من هذا النزاع. وقال: لقد أظهرت المملكة العربية السعودية خلال السنوات القليلة الماضية رغبة في العدول عن سلوكها المتهور والمندفع، بينما تبغض الحكومة الفيدرالية الكندية -التي هي على موعد مع إجراء انتخابات عامة في غضون ١٤ شهراً والتي تتعرض لانتقاد حاد جراء بيعها أكثر من ٩٠٠ عربية مصفحة للرياض- أن تتبنى أي موقف استرضائي تجاه المملكة المحافظة. وفي الوقت الذي شعر فيه كثيرون في كندا بخيبة أمل تجاه موقف المملكة المتحدة وأوروبا، لتفضيلهما البقاء علناً على الحياد من هذا الخلاف الدبلوماسي، أشار جونو إلى أنه موقف غير مفاجئ. وقال «عندما خاضت المملكة العربية السعودية خلافاً مماثلاً مع السويد وألمانيا في السنوات القليلة الماضية، هل وقفت كندا إلى جانب السويد أو ألمانيا. كلا، على الإطلاق». وأضاف: «لقد التزمنا الصمت لعدم وجود مكاسب يمكن تحقيقها إذا دخلنا إلى هذا المعترك. وبالتالي فإن الأمر نفسه ينطبق على الجانب الأوروبي». ولقد اجتذب موقف كندا المنفرد من أجل الدفاع عن حقوق المرأة في المملكة العربية السعودية دعماً من بعض الشخصيات من شتى بقاع العالم، فقد نشرت صحف الغارديان، ونيويورك تايمز هذا الأسبوع مقالات افتتاحية، تحثُ أوروبا والولايات المتحدة على الوقوف إلى جانب كندا. بل ذهبت صحيفة واشنطن بوست إلى أبعد من ذلك، إذ نشرت مقالتها الافتتاحية باللغة العربية. وقد ردّد نداءاتهم عدد من الأصوات البارزة في الولايات المتحدة، بما في ذلك السيناتور بيرني ساندرز. فقد كتب عضو مجلس الشيوخ الأمريكي على صفحته في موقع تويتر «إنه لأمر مشروع تماماً أن تسلط الحكومات الديمقراطية الضوء على قضايا حقوق الإنسان لدى الحكومات غير الديمقراطية». وأضاف: «يجب أن تكون الولايات المتحدة واضحة في إدانة القمع، خاصة عندما تمارسه حكومات تنال دعمنا».

الخلاف مع كندا يكشف "هشاشة" الإصلاح السعودي

*بيل لو

الجزيرة الإنجليزية: ٢٠١٨/٨/١٢

ترجمة - الخليج الجديد: "تشعر كندا بقلق بالغ إزاء الاعتقالات الإضافية لناشطي المجتمع المدني وناشطي حقوق المرأة في السعودية، بما في ذلك سمر بدوي، ونحث السلطات السعودية على الإفراج عنهم فوراً وجميع ناشطي حقوق الإنسان السلميين الآخرين".

لا تبدو هذه التغريدة التي عبرت فيها وزيرة الشؤون الخارجية الكندية، "كريستيا فريلاند"، عن القلق بخصوص اعتقال الناشطات السعوديات عدائية بشكل خاص "فهذا ما تفعله الحكومات الغربية من حين إلى آخر عندما يتم وخز ضميرها بشكل خفيف بواسطة تصرفات الأنظمة الاستبدادية".

وغالبا ما تجاهل تلك الأنظمة هذه الانتقادات، وتستمر الحياة والاتفاقات التجارية وانتهاكات حقوق الإنسان حتى المرة القادمة التي يتم فيها إزعاج الضمير الديموقراطي بشكل ما.

لقد أصبح الأمر -إذا- بمثابة لعبة إلى حد ما تشمل مجموعة من المشاهد المعد لها سلفا وذات العواقب الضئيلة على كلا الجانبين.

ومع ذلك فإن السعوديين في هذه الحالة أظهروا غضبا شديدا، واتهموا كندا "بممارسة تدخل صارخ في شؤون المملكة الداخلية، يخالف المعايير الدولية الأساسية وجميع البروتوكولات الدولية"، وأن تغريدة فريلاند كانت "إهانة كبيرة وغير مقبولة لقوانين المملكة وقضائها وانتهاكا واضحا لسيادتها".

وأضاف السعوديون -مهددين- أنه في حال عدم توقف الكنديين عن انتقاداتهم، فإن أي خطوة أخرى من الجانب الكندي في هذا الاتجاه "ستعتبر اعترافا بحقنا في التدخل في الشؤون الداخلية الكندية".

ولا أحد يعرف بالضبط كيف ستتدخل السعودية في الشؤون الكندية "فهل مثلا عبر دعم "الحزب الكيبكي" الانفصالي ضد الحكومة الفيدرالية؟ أم مهاجمة دوري كرة القدم الكندي؟

تفسير الغضب السعودي

وفي ظل موجة الغضب تلك، استدعى السعوديون سفيرهم، وأعطوا السفير الكندي ٢٤ ساعة للمغادرة، وجمدوا جميع الصفقات التجارية والاستثمارية الجديدة، وكانت تلك استجابة استثنائية بكل المقاييس تركت حكومة كندا ومعظم الكنديين في حيرة من أمرهم.

لكن هناك صلة كندية بالقصة، وهي "سمر بدوي"، التي قامت منذ فترة طويلة بحملة نيابة عن شقيقها "رائف"، وهو مدون حُكم عليه قبل سنوات بالسجن لمدة ١٠ سنوات و١٠٠٠ جلدة بتهمة "الردة" و "الإساءة للإسلام" عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

وبعد القبض على "بدوي"، فرت زوجته "إنصاف حيدر" إلى كندا مع أطفالهما الثلاثة حيث حصلوا على الجنسية الكندية مؤخرا.

ومن موقعها في كندا، قامت "إنصاف حيدر" بحملة علنية دون كلل من أجل إطلاق سراح زوجها، وهو وضع أزعج السعوديين بشدة بلا شك، وربما يكون هذا أحد الأسباب وراء ردة فعلهم المبالغ فيها.

هناك سبب آخر قد يتمثل في التدقيق المستمر من قبل وسائل الإعلام الكندية في صفقة أسلحة بقيمة ١٥ مليار دولار تم إبرامها خلال فترة حكم رئيس الوزراء المحافظ السابق في كندا، "ستيفن هاربر".

وتتضمن تلك الصفقة بيع مركبات مدرعة خفيفة، والتي يمكن استخدامها إما ضد المواطنين السعوديين في المنطقة الشرقية المضطربة أو في الحرب المستمرة في اليمن. وفيما اعتُبر بادرة حسن نية، قررت حكومة "جاستين ترودو" الليبرالية المضي قدماً في البيع رغم المخاوف، لكن الانتقادات الإعلامية والهجمات من جماعات حقوق الإنسان لم تهدأ، بل تكتفت. لم يقدّر وليّ العهد "محمد بن سلمان" -الحاكم الفعلي للسعودية- إلى أي مدى تم طعن الصفقة في الصحافة الكندية.

ومن وجهة نظر الرياض، فإن عملية البيع كانت إيماءة صداقة وتضامن، وهدية شُرفت بها السعودية كندا في حين كان من الممكن أن تحصل عليها من مكان آخر، وأن وسائل الإعلام الكندية كانت تتصرف بشكل غير مشرف بمهاجمتها.

وفي المملكة، لا يحتاج المسؤولون للقلق تجاه هذا النوع من المشاكل الذي تسببه الصحافة الحرة حيث تقوم وسائل الإعلام المدجّنة بإمطار الثناء وابل من الصور على كل حركة تقوم بها الحكومة، وخاصة وليّ العهد "محمد بن سلمان".

هشاشة أجندة الإصلاح

لكن كما هو الحال مع معظم مغامرات الشؤون الخارجية الأخرى التي قام بها "بن سلمان"، فإن هذه الأخيرة لها كل السمات المميزة لرجل شاب متهور غير صبور ومتغطرس.

الحرب في اليمن كان يُفترض أن تنتهي في غضون أسابيع، لكنها الآن في عامها الرابع، وكانت النتائج التي ترتبت على الشعب اليمني كارثية تماماً.

هناك، أيضاً، الحصار الاقتصادي والدبلوماسي لقطر، الذي أطلقه السعوديون والإماراتيون، والذي كان يُفترض أن ينتهي باستسلام قطر السريع وقبولها بقائمة طويلة من المطالب، لكن مر أكثر من عام، وقطر تثبت مرونتها في الدفاع عن سيادتها.

كذلك، هناك الجلوس مع كبير مستشاري الرئيس الأمريكي، "جارييد كوشنر"، لطبخ "صفقة القرن" للسلام في الشرق الأوسط، ومحاولة إجبار الفلسطينيين على ابتلاعها، وهذه كارثة أخرى تنتظر الحدوث.

ويعد التنمر على كندا -وهي دولة ذات صورة عالمية إيجابية بشكل عام-، وفي نفس الوقت التهديد بالتدخل في الشؤون الداخلية الكندية ما لم يتوقف النقد" أمراً غريباً للقيام به خاصة إذا كنت تحاول إعادة تقديم بلدك كبلد معتدل ومنفتح أمام الأعمال التجارية.

لكن عندما يكون الحاكم شاباً متعجلاً ولديه قوة كبيرة في يده، ومشغولاً بحبس كل من يجروء على الانتقاد، فإن هذا هو المتوقع.

بالمقارنة مع غيرها من زلاته الخارجية، فإن الهجوم على كندا يعد زلّة خفيفة ومدعاة للضحك، لكنها تعزز الإجماع المتنامي على أن "بن سلمان" ليس لديه الخبرة ولا المهارة اللازمة، ويكافح في الداخل لفرض تحوله المبالغ فيه للاقتصاد السعودي، في حين يتعثّر على المسرح الدولي ويبدو "أحمقاً" بشكل متزايد.

وكما هو متوقع، فإن الكنديين يلعبون لعبة مهذبة وصبورة، بينما يتمسكون بموقفهم بحزم إذ قالت متحدثة باسم وزير الخارجية: "كندا ستدافع دائماً عن حقوق الإنسان، بما في ذلك حقوق المرأة، وحرية التعبير حول العالم، ولن تتردد حكومتنا أبداً في تعزيز هذه القيم، وتعتقد أن هذا الحوار ضروري للدبلوماسية الدولية".

ويبدو أن الكنديين أصبحوا بارعين في التعامل مع التنمر الاستبدادي الذي تمارسه السعودية.

تعثرات الديمقراطية

*نصير فليح

العالم العربي بوجه عام لم يتعود على الممارسة الديمقراطية وقبول الرأي الآخر والتداول السلمي للسلطة

صحيفة (الصباح الجديد) : ٢٠١٨/٨/١٢

الديمقراطية كما يبدو هي منطق العصر. واليوم في بلدان العالم اكبر نسبة من البلدان الديمقراطية عبر تاريخ الانسان، لكن بالطبع مع درجات مختلفة من الشفافية والنزج. فلا ديمقراطية اصلا يمكن ان تصل الى الكمال، حتى من الوجهة النظرية، الا اللهم في احلام المدن الفاضلة.

لكن الوضع في البلدان التي لم تتعود على الديمقراطية، او التي لا تاريخ وتقاليد ديمقراطية فيها، يجعل التحول الديمقراطي عادة صعبا وشاقا كثيرا.

فالديمقراطية كما نعرف ليست مجرد صناديق انتخاب، بل ممارسة ووعي عام يتغلغل في ثنايا المجتمع برمته. اما البلدان التي تعاني من انقسامات اثنية او طائفية او عنصرية حادة، او التي هيمنت فيها دكتاتوريات لمدة طويلة غيبت الحياة السياسية باسبغ اشكالها، وقمعت المشاكل دون ان تحلها، او التي تتعرض لتدخلات خارجية شتى تهدف الى تخريب المسار الديمقراطي، او التي تخفق فيها القيادات الجديدة في تلبية مطالب الشعب، فان الحالة تصبح اصعب واصعب.

وبلدا واحد من هذه البلدان التي اجتمعت فيها شتى انواع العوائق الداخلية والخارجية منذ خمسة عشر عاما. يخبرنا التاريخ ان هناك ديمقراطيات وصلت في حالات معينة الى طرق مسدودة بسبب كثرة التناقضات الداخلية فيها، او التي تم اجهاؤها بتدخلات خارجية وانهيارات عسكرية ايضا. مع هذا، من يقرأ دروس التاريخ جيدا، يجد ان هذه البلدان عادت بعد كل الويلات التي واجهتها الى المسار الديمقراطي مرة اخرى.

الديمقراطية لا تتأثر بالبيئة الداخلية وثقافة وطبيعة المجتمعات المعنية فقط، بل بالبيئة الجيوسياسية الاقليمية التي تحيط بها. فمثلا، بعد الحرب الاهلية الدموية التي جرت في اسبانيا في عقد الثلاثينيات من القرن الماضي، وهيمنت الدكتاتورية فيها لعقود، عادت مجددا الى المسار الديمقراطي.

لكن هذه التحولات جرت بسهولة اكبر بكثير، لان البيئة الاوروبية المحيطة باسبانيا والتي تنتمي اليها وترتبط بها تاريخيا وثقافيا وجغرافيا واقتصاديا، كانت قد ترسخت فيها الممارسات الديمقراطية الى حد بعيد، وبالتالي تصبح العودة او التحول الى المسار الديمقراطي مرة اخرى عملية طبيعية تمتلك المقومات المختلفة لانجاحها.

بينما نجد الوضع في عالمنا العربي، وبضمنه بلدا العراق، مختلفا كثيرا. فهناك بلدان قوية في المنطقة تحارب التجارب الديمقراطية الناشئة بكل الطرق، وتسعى الى اغراقها في شتى انواع الحروب والصراعات الداخلية القبلية او الطائفية او السياسية.

كما ان العالم العربي بوجه عام، لم يتعود على الممارسة الديمقراطية وقبول الرأي الآخر والتداول السلمي للسلطة، والانتماءات المحلية على حساب شعور المواطنة حاضرة وبقوة، وفي ظروف كهذه، يكون التحول الديمقراطي شاقا، وقد ينكفي حتى الى الدكتاتورية مرة اخرى في حالات معينة، او يعيش مراحل طويلة من الصراع والاضطراب.

وهو ما نأمل ان يتخطاه بلدا وكل التجارب الناشئة، وان يشعر الناس بثمار التحول الديمقراطي لا مخاضاته فقط.

سؤال الأمن والاستقرار إذ يؤجل الحاجة إلى الديمقراطية

*موسى برهومة

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/٨/١٢

كلما أمعن العالم العربي في أزmate وانشطاراته التي لا يبدو أن هناك نهاية منتظرة لمآلاتها، ينكشف حنين غامض إلى زمن الطغاة الذي كانوا يحكمون بلادهم بالنار والفساد والحديد، قبل ثورات الربيع العربي التي انخرفت في غالبيتها عن مساراتها، وبيّنت عن عفن تاريخي عمره أكبر من عمر الدول ذاتها، ويبدو أنه متوارث في الجينات السياسية لأهل الحكم والناس على حد سواء.

ليبيون يحثون إلى معمر القذافي حنين المحبّ الولهان، وعراقيون، بينهم يساريون وشيوعيون، يترحمون على زمن «القائد» صدام حسين، وكذا الأمر مع زين العابدين بن علي، وحسني مبارك، وعلي عبدالله صالح. ولا يختلف الأمر كثيراً مع من يعتبرون بشار الأسد خياراً ومخلصاً لضمان عدم ضياع سورية وتمزيقها، كأن «سورية الأسد» الآن جنة غناء عامرة بالاستقرار والعيش الرغيد!

الديموقراطية التي كانت شعاراً أولياً رفعت ثورات الربيع الأولى لاستعادة العدالة والكرامة وحقوق الإنسان، تتآكل الآن، بعد جني ثمرات خريف عصف بالعالم العربي، وأرهقه واستنزفه اقتصادياً، وجعل «ثوار» الربيع العربي عاطلين من العمل والأمل في وقت واحد، وبدأت العودة إلى استنهاض الديمقراطية، أو في الأقل الانفراج الديموقراطي أمراً عصبياً، لأنّ الفتق صار أكبر من قدرة الراق، وهذا ملمح يثير الخطر في اتجاهات كثيرة، أولها ما يلاحظه المراقب من طمأنينة بعض الأنظمة التي روجت لخيار الاستقرار أو الدمار، فأقنعت شعوبها بأنّ الخبز مقدّم على الديمقراطية، بل ذهب بعض التائهين إلى هجاء الديمقراطية باعتبارها منصة لخراب البلدان وتدمير العمران.

بيد أنّ الملمح الثاني الذي يمكن التقاطه في هذه القنطرة الملتبسة من حياة العالم العربي، أنّ ما من أحد تعلم أنّ الأمن تلزمه، على المدى البعيد، تنمية اجتماعية واقتصادية تجعل هجائي الديمقراطية، أو عدم الميالين إلى اعتناقها سبيلاً للحل، يشعرون بأنهم في منأى من الحاجة والفاقة والحرمان والقلق من المستقبل، وهي مؤشرات تعصف بغالبية البلدان العربية التي يشكل الشباب عصبها الرئيسي.

ويقود هذا الملمح إلى آخر ثالث يتجلى في انفصال السلطات العربية الحاكمة عن الواقع، وعدم إصغائها العميق للبراكين الموّارة تحت جمرة ربيع مخطوف لم تنطفئ جمراته، إذ يبدو أنّ تلك السلطات تبصر الرماد فقط، ولا تعلم أنّ أي عاصفة مقبلة قد تعيد الحريق، وربما على نحو أعنف. فماذا فعلت الأنظمة كيلا تدفع بلدانها إلى ثورات تنتقل الآن شراراتها بالعدوى، ولن يسلم من نيرانها أحد، إلا من حصّن نفسه بخطط واضحة وستراتيجيات قريبة وبعيدة المدى، لانتشال الشباب العربي من أنياب البطالة التي تدفع بعضهم إلى التفكير في الهجرة، وتترك السواد الأعظم منهم فريسة التطرف والفوضى والعدم، ولاسيما حين لا يبقى للإنسان ما يخسره، وتلك لحظة انفجارية عنيفة لطالما حدّرنا منها ولا نزال.

لا يتعيّن، وهذا ملمح رابع، أن يعلو سؤال الأمن والاستقرار على الحاجة إلى الديمقراطية، لأنّ الأخيرة هي المولد الحقيقي للأمن والاستقرار والعدالة والكرامة والتقدم والرفاهية. الدول لا تدار بعصاة أو نخبة متحكمة، ولا تمكن السيطرة عليها إلى الأبد من خلال نظام عائلاتي أو عشائري أو طبقي يستثني الجميع من المشاركة في صناعة المستقبل.

حصة كل مواطن في بلده وفق مبادئ العدل التي تحمي الأوطان من العواصف مهما كانت عاتية. ويمكن المرء أن يستطرد في هذه النقطة ويولد أفكاراً كثيرة منها، لكنّ الخشية من الوقوع في الإنشاء والبلاغة والوطنيات، تحول دون ذكر ما أضحي معروفاً ومتداولاً، وفي متناول من يريد أن يعرف كيف قامت الحضارات، وكيف أصبحت في ذمة الأفل!

أسس الإسلام السياسي والأساسيات المنسية

*الباحث سعيد ناشيد

أفكار تحتاج إلى تحرير

صحيفة (العرب) اللندنية: ٢٠١٨/٨/١٢

تقوم السياسة على العديد من الأساسيات التي قد ينساها البعض، وقد يتناساها الكثيرون من المنشغلين بالإسلام السياسي. وعلى أساس التناسي أو النسيان قد تنشأ فرضيات خاطئة، وخيارات مضللة. من بين الأساسيات المنسية للسياسة نذكر ما يمكن تسميته بـ "وظيفة النفس العاقلة" فمن أول شروط الحياة السياسية أن يكون المواطنون قادرين على التحكم في انفعالاتهم السلبية وغرائزهم البدائية، إذ يلجمون داخل أنفسهم -ولو نسبيا- قوى الغضب، والغيرة، والحسد وما إلى ذلك من الأهواء التي كلما تغوّلت إلا وقد تقود إلى خراب العمران وخلو الأوطان. وإذا كان أفلاطون، قد اعتبر الحكماء هم الأحقّ بالحكم، فدليله في ذلك أن الحكيم من يحكم نفسه، ولا يليق بمن لا يحكم نفسه أن يحكم الآخرين.

كما تستدعي الممارسة السياسية الالتزام بالسلوك المهذب. فمن أهم قواعد السلوك السياسي السليم أن يتصف الممارس السياسي بآداب اللباقة بلا قيد ولا شرط ولا استثناء. وهي الآداب التي تنسجم مع الدلالة الاصطلاحية للسياسة والتي تحيل في اللغات الأوروبية إلى أخلاق المدينة (بوليس إتيك). أما الأساسية الجوهرية في العمل السياسي فهي ترسيخ السلم الأهلي بين الناس.

وبصرف النظر عن طبيعة النظم السياسية القائمة، والتي هي مسألة اجتهادية في آخر الحساب، فإن الغاية القصوى للسياسة تكمن في ترسيخ السلم الأهلي، عبر ترسيخ ثقافة القانون، واحترام المؤسسات، وتنمية القدرات التواصلية. على هذا الأساس، يُعتبر تأجيج الانفعالات المؤدية إلى العنف، من قبيل الغضب والغيرة والكراهية، وكل أشكال التهيج والتجيش، بمثابة إجراءات مدمرة للسياسة، حتى ولو قام بها من يحملون مصادفة صفة "رجال السياسة"، لا سيما في عصر موصوف بعصر انتصار الديمقراطية.

عندما يزعم مسلم أنه الأقدر على إدراك الحق طالما ينتمي إلى "خير أمة أخرجت للناس"، فإنه يمثل تهديدا للديمقراطية.

وللديمقراطية بدورها عدة أساسيات منسية، من بينها المساواة في العقول بين كافة البشر، ذلك أن الناس متساوون في قدرتهم على التمييز بين الجيد والسيء، أو بلغة المعتزلة بين الحسن والقبيح. فلا عصمة لأحد، ولا وصية لأحد على أحد. لذلك لا تشترط الديمقراطية على المواطنين أي شروط معرفية أو اجتماعية أو دينية كيفما كان نوعها. لذلك، عندما يزعم أحدهم بأن المسلم هو الأقدر على إدراك الحق طالما ينتمي إلى "خير أمة أخرجت للناس"، فإنه بذلك الادعاء يمثل تهديدا للديمقراطية.

ومن المهم التذكير بأن لا ديمقراطية دون وجود الفرد كذات مستقلة، إذ يعتبر الستار العازل داخل مخادع التصويت الانتخابي تعبيراً بليغاً عن اللحظة الأكثر أهمية في ممارسة الديمقراطية، لحظة وقوف الفرد بصيغة المفرد أمام ضميره الخالص. لذلك لا توجد ديمقراطية إلاّ حيث يوجد الفرد كذات تمتلك إرادتها الحرة والمستقلة.

الإكثار من الديمقراطية يقتل الديمقراطية. كما يقول المنظرون الغربيون في الحقل السياسي. وأكثر ما يهدد الديمقراطية هو الديمقراطية نفسها، أي الشعبوية. لذلك السبب تحتاج الديمقراطية إلى تدابير وقائية قد لا تبدو ديمقراطية، ولقد اهتدى الوعي الديمقراطي المعاصر إلى بعضها، من قبيل دسّرة حقوق الأقليات والحريات الفردية وحرية الإعلام والمساواة بين الجنسين.

ومن الأساسيات الثابتة في الديمقراطية، الحرص على عدم الإفلات من النقد. كونك تمثل أغلبية ديمقراطية فهذا الأمر لا يمنحك الحصانة من النقد، ولا العصمة عن الخطأ. بل يظل النقد السياسي ضروريا طالما الواقع السياسي محكوم بالنسبية والسيولة، وذلك حتى لا تنقلب الديمقراطية على نفسها.

كانت هذه . وبشكل مختصر . أساسيات السياسة والديمقراطية، أما عن أساسيات الإسلام فهي بدورها منسية وكثيرة، نذكر من بينها أساسية رئيسية تتمثل في مبدأ كلي وجامع وهو أن لا مؤسسات في الإسلام. مؤكداً أن الإسلام ديانة لا مؤسساتية، ديانة دون رجال دين، ديانة دون هرمية. فإمامة الصلاة تطوعية ومتاحة لأي كان بلا شروط مؤسساتية، كما أن الإشراف على أي شعيرة من الشعائر ليس سوى ممارسة تطوعية، وقد يجعلها الناس أحيانا نشاطا تكميليا ضمن مهن حديثة، ووفق شروط تقنية وفنية غير شعائرية.

كما أن لا كهنوت في الإسلام، وحين نقول بهذا المبدأ وهذه القناعة الثابتة فمعناه إن لا وجود لرجال دين في الإسلام، وهو ما لا ينكره أحد. لكن معناه كذلك أن لا وجود لدولة أو سلطة دينية في الإسلام. الأساسية الجوهرية الأخرى في الدين الإسلامي هي أنه لا يحيل إلى أي انتماء أو هوية أو تيار أو جماعة، لكنه تجربة روحانية قائمة على توحيد الربوبية، ومجردة عن كل النزعات المذهبية.

من أهم قواعد السلوك السياسي السليم أن يتصف الممارس السياسي بآداب اللباقة بلا قيد ولا شرط ولا استثناء.

أما الأساسية الأخيرة والمفصلية فتتمثل في قناعة يجب أن تُرسخ في الأذهان وهي أن لا دولة في الإسلام، إذ لا يكفي أن نقول إنَّ الإسلام دين وليس دولة، لكي ينتهي النقاش حول علاقة الدين بالدولة في الإسلام، فهذا القول استنزف منذ الخوارج الذين أكدوا قديما بأنَّ الإمامة ليست أصلا من أصول الدين ولكنها من المصالح المفوضة لنظر الأمة. ومع أنه لا أحد استطاع أن يبرهن بالحجج على نقض أطروحة الخوارج، حتى ابن تيمية نفسه، إلا أن ذلك لم يمهّد النقاش حول علاقة الدين بالدولة في الإسلام. عقب الفتنة الكبرى انتهت السلطة إلى معاوية بن أبي سفيان (الأموي) وليس إلى علي بن أبي طالب (الهاشمي)، وهو ما بدا كما لو كان منافياً للمكانة الاعتبارية لعلي بن أبي طالب، ومعاكسا لموازن القوى العديدة.

وإذا كان التفسير الشائع يكتفي بالإحالة إلى دهاء معاوية وخديعة التحكيم، فإن هذا النوع من التفسير لا يفيد شيئا في فهم حركة التاريخ. ذلك أن المشروع القائمة على كثرة الأتباع أو ورعهم لا تمثل أي سند للدولة، ولا تمثل أي قاعدة للملك. كتب ابن خلدون في تاريخه: "لما هلك عثمان واختلف الناس على علي، كانت عساكر علي أكثر عددا لمكان الخلافة والفضل، إلا أنَّها من سائر القبائل من ربيعة ويمن وغيرهم. وجموع معاوية إنما هي جند الشام من قریش شوكة مضر وبأسهم، نزلوا بثغور الشام منذ الفتح، فكانت عصبية أشدّ وأمضى شوكة".

وإذا كان أساس الدولة في تاريخ الإسلام هو العصبية، وليس الدين، فإن بناء الدولة المدنية العلمانية اليوم سيكون بمثابة خروج عن العصبية، وليس خروجا عن الدين.

بخلاف الوظيفة العقلانية للسياسة، وبخلاف الوظيفة الاجتماعية للسياسة، وبخلاف الوظيفة الأخلاقية للسياسة، بخلاف كل تلك الوظائف الأساسية فقد رفع الإسلام السياسي شعارات ومفاهيم مضادة، سرعان ما دمرت مقاصد السياسة، ولم تترك منها سوى فتنة تنام حينا وتصحو أحيانا.

*كاتب ومفكر مغربي

خطاب الكراهية: ماذا فعل بنا؟!

*د. عبد الحميد الأنصاري

صحيفة (الجريدة) الكويتية : ٢٠١٨/٨/١٣

لماذا لم تنجح الدول العربية في تحقيق حداثة عربية إسلامية، بعد الاستقلال وإلى اليوم، بينما نجحت دول عديدة، كانت تحت الاحتلال، من تحقيق حداثة عصرية، ونهضة شاملة: اليابان، الهند، دول النمرور الآسيوية وغيرها؟! هناك بالطبع، إجابات عديدة، تختلف باختلاف مشارب أصحابها الفكرية والسياسية، لكن إجابتي، وبإيجاز: إنه خطاب الكراهية، كراهية الغرب المستعمر، ومن ثم كراهية حضارته، ورفضها ومعاداتها بوصفها مادية صليبية حاكمة ومعادية، لا تريد بالعرب خيراً، ولا يأتي منها إلا كل شر.

وعلى امتداد ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن، اشتغل على ترويج هذا الخطاب، وغرسه في بنية المجتمعات العربية: مناهج تعليمية، وخطاباً دينياً وثقافياً وسياسياً، ونظاماً سياسياً، ٣ تيارات فكرية وسياسية ودينية رئيسية حاکمة لدنيا العرب السياسية: التيار الديني، بنسخه المختلفة: الصحوي والتقليدي والمتطرف، والتيار القومي، بنسخته: الناصري والبعثي، والتيار اليساري، جمع هذه التيارات الثلاثة، خطاباً سياسياً مشتركاً، هو خطاب كراهية الغرب، باعتباره العدو الدائم، المتربص والمتآمر والمعوق لنهضة العرب، وحال دون توحدهم، برسمه للحدود القطرية، وزرعه إسرائيل في قلب الأمة العربية، وهيمنتها على المقدرات العربية. الغرب، في أدبيات هذه التيارات الأيدولوجية الثلاث، وحش إمبريالي، خرج لفرض هيمنتها على العالم، والتهام موارده، وإفقار الأمم الأخرى، وإحكام العالم في حروب بلا نهاية، طبقاً لأمير طاهري، وهو يسعى، بوجه خاص، لتذويب الهوية العربية الإسلامية، وتخريب المرأة العربية، وإضعاف تماسك العرب والمسلمين بثوابتهم الدينية والوطنية والقومية.

هذا الخطاب المرتاب في الآخر المتفوق، والذي لم يميز بين الغرب المستعمر والغرب الحضاري، هو الذي حال دون الإفادة، من عوامل تقدمه، وتحقيق إنجازاته الحضارية وفتوحه المعرفية والعلمية والتقنية، ونظمه السياسية والإدارية والحقوقية، كما فعلت الأمم الأخرى، والتي نكبت بأشكال من الاستعمار، أشد وطأة وأقسى استعباداً، مما نكبت به الدول العربية، لكن قادتها، وهم في سعيهم النضالي للاستقلال من المستعمر الغربي، كانوا على وعي بالتفرقة، بين الغرب المستعمر، والغرب الثقافي والحضاري، وكانوا مدركين بوضوح: أنه لا تقدم ولا نهوض ولا حداثة، إلا بالإفادة من أسرار التقدم الغربي، بالإقبال على حضارته، والإفادة من معارفه وعلومه، والأخذ بنظمه، والحرص على تعليم النشء لغته، وتحبيبهم فيها، لم ينشغلوا بخطاب تحريضي، يملأ صدور ناشئتهم، غضباً وكراهية ضد من استعمرهم واستبد بهم، بالأمس، تجاوزوا المراتب السابقة، وتغلبوا على مشاعر العداوات الماضية، واستطاعوا أن يصنعوا نماذجهم التنموية والحداثية المتقدمة، بل ونافسوا بإنتاجهم وإنجازاتهم التقنية وصناعاتهم، إنتاج وصناعات مستعمرهم السابقين، هكذا فعلت اليابان، والهند، وبقية النمرور الآسيوية، بينما ظل العرب يجترون المراتب، ويعسكرون منظومتهم التربوية والتعليمية والمعرفية، ويتخذون في حصون الماضي، مغتبطين بوضعهم، يرددون: نحن خير أمة أخرجت للناس، وقد كنا بالأمس سادة العالم، والحضارة المعاصرة مدينة لنا. وحدها تونس، بين الدول العربية شكلت استثناء فريداً في هذا المجال، نجحت ثورتها، وحققت إنجازاً تنموياً وتشريعياً وسياسياً، وحداثة فكرية، طبقاً للكاتب الأمريكي من أصل أردني صفوان مصري في كتابه المتميز تونس: فرادة عربية ولكن لماذا؟! لأن قائد نهضتها، بورقيبة، وهو يناضل لتحرير بلادها من قبضة المستعمر الفرنسي، لم يكن معادياً لثقافة المستعمر ولغته، بل حرص على تعليم النشء لغة المستعمر وثقافته وحضارته ونظمه، بامتلاك أسباب الحداثة الحقيقية واعتبارها (الجهاد الحقيقي والأكبر) فتجنب الانفصام الذي وقع فيه الآخرون بين توسل حضارة الغرب، ولعنها والدعاء عليها بالدمار وتحريض ناشئتهم عليها، لماذا لا ندرس الغرب بدلاً من أن نعاديها؟ ترى، ماذا نفعل... إذا سقطت الحضارة الغربية؟! طبقاً للكاتب الكويتي خليل حيدر.

ختاماً: شحن عقول وأفئدة الأجيال بخطاب الكراهية، لعقود طويلة، أفرز ثقافة تدمير الذات، التي أنتجت شباباً متطرفاً، حول طاقاته من ميادين البناء والتعمير، إلى ميادين الهلاك والتدمير في سبيل الله تعالى... لقد ضل سعيهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا!

خطاب الكراهية بين جذوره الفردية وأسبابه السوسيوسياسية

*د. عامر صالح

موسوعة (صدي) ٢٠١٨/٨/١٣

أشدد خطاب الكراهية في السنوات الأخيرة في مجتمعات عدة في العالم، وأكثرها وضوحا في العالم العربي والاسلامي بصورة عامة وفي المجتمعات ذات التنوع القومي والاثني والديني وما يتبعه من مذهبي، وبعد ان كنا نتغنى ونفتخر لهذا التنوع الجميل ونعتبره فسيفساء جميل يرفد الثقافة الوطنية والمجتمع بمصادر التنوع والثراء ويعبر عن التسامح في التعايش وقبول الآخر المختلف، أصبح اليوم من الاسباب التي تهدد السلم المجتمعي وينذر بتفكيك المجتمعات وانكفاءها دينيا ومذهبيا وأثنيا. وبالتأكيد فإن الاسباب لا تكمن في ذات التنوع، بل في مجمل السياسات والمنعطفات الخطيرة التي تمر بها المجتمعات العربية والاسلامية، والتي ادت في مجملها الى تحويل هذا التنوع الى مجموعات منعزلة تلغي بعضها الآخر عبر التكفير والترهيب والقمع وعدم الاعتراف بالمكونات المجتمعية المختلفة في المجتمع الواحد!!.

والكراهية كما ترد في احدى تعريفاتها بأنها المشاعر الانسحابية التي يصاحبها اشمئزاز شديد، نفور وعداوة أو عدم تعاطف مع شخص ما أو شيء أو حتى ظاهرة معينة، تعزو عموما إلى رغبة في تجنب، عزل، نقل أو تدمير الشيء المكروه، يمكن أن يبني على الخوف من غرض معين أو ماضي سلبي نتج عن التعامل مع ذلك الغرض، يمكن للناس أن يشعروا بالنزوع أو المشاعر أو الأفكار التي تستلزم الكره، كعلاقة الكره والحب. أحيانا يستخدم لفظ " الكراهية " عرضا للمبالغة في وصف شيء لا يطيقه شخص ما، مثل شكل معماري معين، حالة طقس، وظيفة معينة وحتى بعض أنواع الطعام. وتستخدم كذلك لفظة الكراهية لوصف إحجاف أو حكم مسبق، تعصب أو إدانة تجاه فئة أو طبقة من الناس وأعضاء هذه الفئة، والكراهية العنصرية والقومية والدينية والمذهبية والسياسية هي من اخطر أشكال هذه الكراهية ومن الممكن أن تسبب في تدمير كل البشر إذا استقرت وتجرت في عقول الكارهين بدون حل لشفرتها ومسبباتها ووضع برامج شاملة لردعها وحصرها في نطاق محدود !!!.

وإذا كان العنف باعتباره المظهر الصارخ في التعبير عن كراهية الآخر، والذي يقترن باستخدام القوة الفيزيائية، فهو ذلك الآفة الاجتماعية المانعة للوحدة المجتمعية والمحرضة على شيوع القسوة بين الناس ومنع المودة وزرع الأحقاد الفردية والجماعية بين مكونات المجتمع الواحد بكل تنوعاته السياسية والمذهبية والاثنية، وهو لم يكن بشكله هذا يوما ما فطريا ومتأصلا في الطبيعة الإنسانية، بل هو نتاجا معقدا لمنظومة من العوامل الاجتماعية والتربوية والحكومية والإعلامية، والتي تعمل جاهدة في صياغة عقل وحيد الجانب لا يرغب في المعاشية والتكيف مع التنوع الفكري والعقلي والثقافي في البيئة المحيطة، ومن هنا صح قول عالم النفس السلوكي " سكينر " إن العنف يبدأ في الرؤوس قبل استخدام الفؤوس.

وإذا كانت الكراهية في بعض الأحيان مزاجا كامنا غير معبر عنه في العلن بسلوكيات مطابقة له، فإن العنف العيني باعتباره معبرا عن الكراهية بأساليب مختلفة يعتبر لغة التخاطب الأخيرة مع الواقع ومع الآخرين حين يحس المرء بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي في ظل ظروف بيئية غير مواتية للحوار المتبادل يسودها الاحتقان وعدم احترام حرية الرأي والرأي الآخر. والعنف من الناحية النفسية هو صورة من صور القصور الذهني حيال موقف معين، والعنف وجه آخر من أوجه النقص التقني في الأسلوب والإبداع في حل ومواجهة معضلة وقد يصل العنف لمرحلة الانهيار العقلي والجنون " فصام العقل " كما قد يكون وسيلة من وسائل العقوبة والتأديب أو صورة من صور تآنيب الضمير على جرم أو خطيئة مرتكبة ولن يتعدى في كل أحواله القصور الذهني والفكري لدى الإنسان وهو في حالة من حالاته اضطراب في إفرازات الغدد الهرمونية في جسم الفرد وعدم تناسب أو انتظام في التوزيع الهرموني داخل الجسم الذي قد ينتج أحيانا عن سوء في التغذية أو سوء اختيار نوعيتها.

ومن الناحية النشئية والإنمائية يرى علماء النفس أن الطفل لا يكون قادرا على إتيان أفعال الخير أو الشر إلا بعد أن تشكل الأنا وينمو الوعي بالذات لديه، وطالما لم يكن للأنا عنده معنى ظلت أفعاله محايدة من الناحية الأخلاقية، لا تقبل إصدار أي حكم أخلاقي بشأنها، بحيث يمكن القول أن للطفل طبيعة، ولكنه لا يمتلك مزاجا

أخلاقيا. إن الخير والشر هما من الإمكانات التي تنطوي عليها طبيعة الطفل، ومع تنامي الوعي بالذات تنتقل من الإمكان إلى الفعل، وتفصح عن نفسها في شكل سمات المزاج الثابتة نسبيا. حينئذ فقط يمكن القول عن الشخص بأنه فاضل أو رزيل، عدواني ومسال، ويصبح الخير أو الشر وظيفة من وظائف الأنا. ويتوقف تشكل هذه الوظائف ونموها على طبيعة التنشئة الاجتماعية التي خضع لها الطفل، فقد تكون من النوع الذي يساعد على تنامي هذه السمة أو تلك أو من النوع الذي يحول دون ذلك !!!.

وتتأثر عملية التنشئة الاجتماعية بمنظومة من العوامل المتشابكة والمتداخلة، ابتداء من ولادة الطفل ونشأته الأولى في البيت والأسرة متأثرة بعوامل مختلفة كالقسوة وعنف التربية والحرمان الطفولي في إشباع الحاجات المختلفة النفسية منها، كالأمن والأمان والاحترام والاستقلالية، وكذلك الحاجات المادية من تغذية مناسبة وملبس وسكن و الخلو من الأمراض المزمنة وغيرها، ثم الدائرة الثقافية والبيئية ومدى غناها بعوامل التنشئة الإيجابية أو العكس، مروراً بالنظام التربوي والتعليمي باعتباره المصدر لمنظومة القيم والاتجاهات السلوكية المختلفة، ومدى إمكانياته في الاعتراف الفعلي بالشخصية الإنسانية وتنميتها على روح الحوار البناء وتقبل الآراء المغايرة، وكذلك تتأثر عملية التنشئة الاجتماعية بعوامل القهر الاجتماعي العام الذي يتعرض له الأفراد، من اغتصاب للحقوق وعدم تحقيق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص وعدم احترام الأقليات الدينية والعرقية والسياسية والفكرية، وجميعها عوامل مولدة للعنف والعدوان والشر على نطاق واسع وعلى المستوى الفردي والاجتماعي وبمدى خطير يصعب التنبؤ بنتائجه الضارة. ومهما تكن أسباب العنف ودوافعه فهو فعل سلوكي مرفوض حضاريا وأخلاقيا وسلوكيا واجتماعيا، وهو مؤشر خطير للتفكك الاجتماعي وزرع الخوف والقلق في الطرف الآخر الذي يقع عليه فعل العدوان، إلى جانب كونه وسيلة منبوذة لحل المشكلات لأنه يخلق عنفا مضادا فتتسع دائرة العنف كالنار في الهشيم في كل ثنانيا ومكونات المجتمع!.

أما بالنسبة لثقافة العنف والكراهية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية اليوم وعلى المستوى الفردي والمجتمعي والسياسي فهو لا يخرج عن الإطار العام الذي تمت الإشارة إليه، ولكن بخصوصية أعمق وتركيز شديد هو نتاج معقد لمنظومة العوامل الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والتي ألقت بضلالها الكثيف في تشكيل هذا السلوك المعرقل لنهضتها في مختلف المجالات. فإذا استثنينا العمق التاريخي - الثقافي في نشأة العنف والعدوان والمتمثل في الصراعات السياسية منذ نشأة الدولة الإسلامية الكبيرة والصراعات التي جرت في أكنافها، وحتى ما قبل ذلك التاريخ، والتي أسست للعنف والعنف المتبادل والتي أدت في مجملها إلى انقسام الأمة الإسلامية والعربية إلى فرق وأحزاب متقاتلة، والتي لا زالت آثارها ماثلة ومؤثرة بشدة اليوم في حاضر الأمة ومشهدا السياسي، وإذا أبعدا أيضا عن السياق جوهر تأثيرات المجتمعات العربية الأبوية البطريركية وتأسيسها للعنف والتسلط ضد المرأة الزوجة والمرأة الإنسانية والأخت، وإشاعة قيم الذكورة التي تنزل القصص بقيم الأنوثة وتفرض قيودها وقيمها كيف ومتى ما تشاء، وتفرض قيم الإكراه والقسر والتقييد وعدم المساواة بالعنف والقوة، وهو نقيض قيم المساواة والرحمة، وجميعها تؤسس للعنف وإعادة توليده في رحم الأسرة أولا، ثم لاحقا وعلى أساسه في عقول أفراد المجتمع وقياداته، فأن العنف في العقود الأخيرة نشأ مستشرى على خلفية فكرية ودينية وسياسية، وهو ذو أبعاد جمعية خطيرة لرسم صورة المستقبل!!.

لقد سيطرت لعقود طويلة حكومات عربية ذات طبيعة اقصائية متمثلة بحكومات الحزب الواحد ذو المسحة القومية الشوفينية والوطنية الزائفة والبعض منها متلبس بلباس الدين، وقد شنت حروبا داخلية ضد كل الأفكار والتنظيمات السياسية المغايرة لتوجهاتها، مستخدمة ذرائع الحفاظ على الوطن والوطنية وانجاز " التنمية " الاقتصادية والاجتماعية تحت قيادتها التاريخية والحكيمة والمخلصة للوطن هي وحدها فقط، مما حصر وكرس مفهوم الوطن والوطنية والبناء الاجتماعي بجهة سياسية واحدة تدعي المقدرة الفريدة في قيادة المجتمع، وقد ترتب على ذلك القيام بحملات العنف والاعتقال والإبادة الجماعية لكل من يخالفها في الآراء والتوجهات السياسية وتخوين المعارضة السياسية والتشكيك بوطنيتها وزجها في غياهب السجون والمعتقلات، مما أسست إلى ظاهرة العنف والعنف المتبادل لحماية النفس من قبل الطرف الآخر الضحية. وقد لعبت لديها الهواجس الأمنية وافتعال الأعداء في الداخل والخارج جل اهتمامها مستنزفة موارد البلاد المالية لزراعة الرعب والتنكيل بالشعب لأغراض البقاء في الحكم مهما بلغت تضحيات الشعب، كما استخدمت كافة قدراتها الحكومية من مؤسسات إعلامية ومنظمات سياسية رسمية موالية لها وحتى مؤسساتها الدينية من أجل تعبئة الناس وغسل أدمغتهم لأغراض احتكار السلطة والبقاء

فيها وإشاعة الفساد الإداري والأخلاقي والمالي وممارسة الالتفاف والتلفيق والخداع والكذب كآلية للبقاء في الحكم، وخلق منظومة قيمية موالية لمنظومة الحكم، مما أدى هذا إلى خلق حالات من الكراهية والعنف بين شرائح المجتمع المختلفة، وخاصة بين الشرائح المنتفعة من النظام والشرائح الأخرى المتضررة منه!!.

كما يلعب اليوم الخطاب الديني المتطرف بشقيه التكفيري والسياسي دورا خطيرا في زرع الكراهية والعنف بين شرائح المجتمع، سواء من ذات الدين الواحد عبر إشاعة الفرقة بين طوائفه ومذاهبه المتنوعة، وكذلك بين المجتمع المتعدد الديانات عبر فرض أجندة دينية وسياسية . دينية وحيدة الرؤى، مما يحرم الآخرين من حق التمتع بممارسة حقوقهم الدينية وحريتهم في المعتقد، و يخلق بيئة مواتية للعنف والعنف المضاد تراق فيه دماء الملايين من مختلف الأديان والمذاهب والطوائف المختلفة. وبما أن الكراهية والعنف منبؤ ومدان في كل القيم والأديان السماوية وغير السماوية فإن اللجوء إلى تأويلات متشددة ومتحيزة ومزاجية بل ومصالحية للنص المقدس وللأحداث التاريخية والافتراضات العنثية لنيات الآخرين المغايرين في الدين أو المذهب واستحضار الجانب المؤلم والمشكل في التاريخ، ويجري هذا مترامنا مع الفتاوى التي تصدر يوميا في الخفاء والعلن من دعاة الدين لأيقاظ وإلهاب روح الكراهية والتحريض والعنف بين الناس وضرب وحدتهم الوطنية في الصميم، وهكذا يتحول العنف من قيمة منبؤة في الدين والسياسة إلى واجب ديني ” الهي ” وسياسي له الأولوية في عقول المتطرفين على بناء الوطن ونهضته. وقد لعبت آثار ما يسمى ” بالربيع العربي ” دورا تخريبيا في اشعال نار الفتنة الديتية والمذهبية بين ابناء المجتمع الواحد، وزج هذه المجتمعات في آتون الصراعات الاقليمية ذات الصبغة الطائفية المدمرة!.

و كذلك نظرية المؤامرة في السلوك اتجاه الآخر هي الأخرى تؤسس للكراهية والتحامل والعنف بين أفراد المجتمع الواحد، وكذلك في النظر إلى العالم الخارجي، دول ومجتمعات وأفراد، وقد نشأ سلوك المؤامرة في داخل المجتمعات الذي تجسده انعدام الثقة بالآخر والشك في نية أفعاله حتى وان كانت ” حسنة ” على خلفية انعدام الثقة التاريخي بين النظام السياسي وبين الشعب بصورة عامة، وبين النظام السياسي والأحزاب السياسية خارج النظام، وينشأ نتيجة لذلك فكرا وسلوكا إسقاطيا، أي ما أفكر به أنا هو الصحيح وأتوقعه من الطرف الآخر وبالتالي يجب أن أقوم بضربة استباقية قبل أن يبدأ بها الطرف الآخر، مما يعزز اتجاه الكراهية والعدوان بين المنظومة المجتمعية بمكوناتها المختلفة!.

ويشكل تدهور الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من الأسباب القوية في زرع الكراهية والعنف في البنية المجتمعية، فانتشار الفقر وتدني مستوى الحياة وضعف الخدمات الاجتماعية من صحة وخدمات عامة، وكذلك ارتفاع نسبة الأمية الأبجدية والحضارية بين مختلف الفئات الاجتماعية وخاصة الفقيرة منها، واستشراء الفساد بمختلف مظاهره الإدارية والمالية والأخلاقية، وغياب العدالة الاجتماعية في توزيع الثروات الوطنية واستئثار الحكم وحاشيته بالثروة الوطنية، جميعها عوامل تأسس للكراهية والحقد والعنف بين مكونات المجتمع!.

أن العنف والكراهية الناتجة من الأسباب المجتمعة والمذكورة أعلاه تفضي إلى اضطراب في منهجية التفكير النقدي البناء وقصور في الفكر الجدلي الذي تجسده حالة العجز في الجمع في سياق واحد بين الأوجه الموجبة والأوجه السالبة، والعجز في الجمع بين المميزات والعيوب لمسألة ما سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية وسيطرة المستوى السطحي من التفكير الذي يشكل قناعا يخفي الحقيقة، وإطلاق الأحكام القطعية والنهائية بشكل مضلل، وطغيان الانفعالات وما يرافقها من نكوص على مستوى العقلانية والعودة إلى المستوى الخرافي، وإلى الحلول السحرية والغيبية، وإلى الإرهاب باعتباره واجبا ” مقدسا ” أو حلا قسريا للأزمة النفسية والسياسية.

ومن هنا تأتي أهمية العمل على أكثر من صعيد وعلى أكثر من جبهة للحد من العنف وسلوك الكراهية، وخاصة في ظروف التغير العاصف الذي يمر به اليوم العالم العربي ولكي لا نخسر ما تبقى لنا، فهناك جبهة بناء المؤسسات الديمقراطية، وجبهة إعادة البناء الاقتصادي والتأسيس الحديث للبنية التحتية الاقتصادية والاجتماعية، وهناك جبهة الإعلام والتركيز على ما هو مشترك وإيجابي بين الأديان وشعوب المنطقة، وكذلك الجبهة التربوية والتعليمية وإعادة بناء نظم التعليم على أسس الحداثة ومعطيات العلم والتقدم التقني، وهناك أيضا إعادة صياغة لعلاقة الدين بالدولة بما يؤمن احترام الدين وعدم استخدامه في السياسية وكذلك إعلان القطيعة مع كل موروث مسبب للفتنة ويسئ للمبادئ العامة للدين ووظيفته الفطرية.

*دكتوراه الفلسفة في التربية وعلم النفس اخصائي علم النفس اللغوي واضطرابات النطق والكلام....

معركة الاختبارات الصعبة

*د. محمد السعيد إدريس

مركز (الأهرام) للدراسات: ٢٠١٨/٨/١٣

وضع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، النظام في إيران أمام أصعب اختبارات، بتوقيعه، يوم الاثنين الماضي، على قرار تفعيل العقوبات الأمريكية، التي كان قد تم رفعها بموجب التوقيع الأمريكي على الاتفاق النووي مع إيران، وأكد في ذات الوقت، أن واشنطن سوف تفرض الحزمة الثانية من العقوبات، وهي الأصعب، في الخامس من نوفمبر/تشرين الثاني القادم، وتشمل منع إيران من تصدير النفط والغاز وكذلك عمليات الشحن. ترامب لم يكتف بذلك، لكنه هدد الدول والشركات، التي ستواصل تعاونها مع إيران، وحذرهم من «عواقب وخيمة»، ووضع إيران أمام خيارين أحلاهما شديد المرارة بالنسبة لصدقية وشرعية النظام الحاكم في طهران، فإما أن تقبل إيران بالشروط والمطالب الأمريكية، وإما أن تواجه العزلة الدولية، وربما يتطور الأمر إلى التعرض لأنشطة تستهدف إسقاط النظام من الداخل على نحو ما كان وزير الخارجية الأمريكية مايك بومبيو قد أوضح.

شروط ترامب للتعاون مع إيران تتضمن ما ورد على لسان جون بولتون مستشار الأمن القومي، ومايك بنس نائب الرئيس وبالتحديد الدخول في تفاوض جديد على اتفاق نووي جديد.

شروط ترامب وإدارته لا يمكن قبولها من منظور شرعية النظام، الذي وضع نفسه على رأس تيار مناورى وبقوة للسياسة الأمريكية، ومن ثم فإن الخيار الثالث، أو البديل الثالث يبدو أكثر صعوبة، وربما يكون هذا البديل الثالث هو ما يحاول أن يبحث عنه الآن الرئيس الإيراني حسن روحاني من خلال إشارة وردت في رده على عقوبات ترامب، فهو لم يعلن التحدي، ولكنه التزم منطق التهدة، وتفنيد خطاب ترامب ووصفه بـ «اللامنطقية» بقوله إن «إجراء مفاوضات (جديدة) مع فرض عقوبات أمر غير منطقي، وهو يراهن على خيار الصمود معتمداً على مرتكزين.

المرتكز الأول، هو تأمين الجبهة الداخلية الإيرانية لتفعيل خيار الصمود أمام العقوبات بتصوير العقوبات الأمريكية باعتبارها «عدواناً» على كرامة وعزة إيران، وأن هذا الوقت هو وقت التوحد أمام «الاستكبار» الأمريكي، ومن يخرج عن هذا التوحد يعد «خائناً للوطن المستهدف». روحاني هنا سيتوحد مع تيار التشدد، الذي يقوده المرشد علي خامنئي والحرس الثوري والقيادات العسكرية وسيتقوى بهم «للخروج من مأزق التردى الاقتصادي، واحتواء الاضطرابات الداخلية الناتجة عن ارتفاع الأسعار وانهييار العملة الوطنية.

المرتكز الثاني هو التعامل مع قرارات ترامب ولغة التهديد للدول التي ستتعاون مع إيران كوسيلة لخلق «جبهة دولية موحدة» ضد الولايات المتحدة. روحاني يراهن هنا على إخفاقات الرئيس الأمريكي في علاقاته مع القوى الدولية الأخرى، وتورطه في «حرب تجارية معها». فعل هذا مع شركائه في مجموعة الدول الصناعية السبع أثناء قمتهم الأخيرة في كندا، وفعل هذا مع الصين، وفعله قبل ذلك مع روسيا، ولم يستثن حلف شمال الأطلسي، هذه المواجهات التجارية أو الحرب التجارية يحاول روحاني استغلالها ضمن خطة تستهدف وضع الولايات المتحدة في مواجهة مع هذه الدول، وتصوير تلك الممارسات الأمريكية «باعتبارها» نزوعاً أمريكياً للتفرد بالزعامة الدولية»، في محاولة لخلق «جبهة دولية داعمة لإيران» باعتبار أن صمود إيران أمام العقوبات والضغط الأمريكية، معركة تخوضها إيران نيابة عن العالم كله، وأن على العالم أن يقف مع إيران في مواجهة «الاستكبار الأمريكي».

ما يشجع روحاني على هذا الرهان، ما حصل عليه محمد جواد ظريف وزير الخارجية الإيراني من وعود صريحة باستمرار التعاون مع إيران خلال لقائه مع وزير الخارجية الصيني ووزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي في القمة الأخيرة لرابطة دول جنوب شرق آسيا (آسيان)، التي عقدت في سنغافورة (٢-٣ / ٨ / ٢٠١٨) فقد حصل على وعود صينية، باستمرار التزام الصين بشراء الحصة، التي تشتريها من النفط الإيراني، كما أكدت موجيرياني التزام الاتحاد بالتعاون مع إيران، رغم العقوبات الأمريكية، وكانت الهند وتركيا قد أعلنتا أنهما لن تلتزما بأية عقوبات ضد إيران غير تلك الصادرة بها قرارات دولية من مجلس الأمن.

القرار الصادر عن الاتحاد الأوروبي، عقب توقيع ترامب قرار تفعيل العقوبات ضد إيران، والذي أكد التصميم على حماية الجهات الأوروبية الناشطة في أعمال مشروعة مع إيران عبر تطبيق آلية «التعطيل الأوروبية» شجع طهران على رهان إيجاد هذه الجبهة الدولية الموسعة لمواجهة السياسة الأمريكية، هذا يعني أن الأيام القادمة ستشهد اختبارات صعبة لمصادقية الولايات المتحدة كقوة عالمية متفردة ولمصادقية النظام الإيراني وقدرته على الصمود.

العقوبات على تركيا وإيران تبني قواعد النظام الإقليمي الجديد

*أحمد أبودوح

تحالف الضرورة

صحيفة (العرب) اللندنية: ٢٠١٨/٨/١٣

باتت سياسة الورقة الواحدة هي المحور الرئيسي الذي يتحكم في علاقة تركيا وإيران مع الولايات المتحدة. الأمر يشبه التعلق بقشة، كما يقول المثل العربي المعروف. في إيران، يتعمق خيار الضرورة بعدم الانسحاب من الاتفاق النووي، كلما ضيّقت الولايات المتحدة الخناق على النظام، وفي تركيا لم يعد أمام الرئيس رجب طيب أردوغان سوى ورقة القس أندرو برنسون لمساومة الأمريكيين بها.

بات واضحا أن العقوبات الاقتصادية ستكون العصا الأمريكية لتأديب الإسلاميين في المنطقة. الأمريكيون، تحت حكم دونالد ترامب، فهموا أن المشكلة ليست في أذرع الإسلاميين، لكن المشكلة الحقيقية تكمن في الرأس.

ليس صحيحا أن واشنطن منزعة من تمسك إيران بالاتفاق النووي، واستمرار أردوغان في احتجاز برنسون. من الممكن أن تثير مسألة برنسون خصوصا ضيق ترامب، الذي يريد إخراج تركيا بطريقة احتفالية تحسب له قبيل انتخابات التجديد النصفي للكونغرس المقرر إجراؤها في نوفمبر المقبل. لكن المؤسسات الأمريكية لها رأي آخر.

كلما طال أمد بقاء إيران في الاتفاق النووي، كلما تضاعفت قدرة واشنطن على فرض المزيد من العقوبات على إيران، وكلما كان أثر هذه العقوبات مؤلما بالنسبة للإيرانيين. إذا لم يكن يجمع إيران أي اتفاقات اقتصادية مع الشركات الأوروبية وغير الأوروبية بموجب الاتفاق النووي، لما كان للعقوبات الأمريكية على هذه الشركات معنى. وقتها لم يكن نظام العقوبات ليفرق كثيرا مع دولة لم تجرب الاستثمار أو تبني خططها المستقبلية عليه. اقتصاد المقاومة كان سيشكل عقبة أمام شعور الإيرانيين بتأثير هذه العقوبات.

احتجاز أندرو برنسون في تركيا مجرد ثغرة مكنت الولايات المتحدة من إضفاء شرعية على العقوبات التي فرضتها على وزيرين تركيين، وعلى قرار مضاعفة الرسوم الجمركية على صادرات الصلب والألومنيوم التركية إلى الولايات المتحدة. المسؤولون الأمريكيون كانوا بحاجة إلى تبرير قرار غير مسبوق، وهو فرض عقوبات على حليف وعضو في حلف شمال الأطلسي (ناتو). عناد أردوغان يخدم الأجندة الأمريكية، ويبقي على وجهة القرار قائمة.

تحمل العقوبات الأمريكية إلى كل من تركيا وإيران أبعادا تتجاوز دوافعها الأولى، أي انسحاب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب من الاتفاق النووي في مايو الماضي، والخلاف على احتجاز أنقرة للقس الأمريكي أندرو برنسون. إذ يدرك ترامب أنه كان بحاجة إلى تبريرات لفرض إجراءات عقابية غير مسبقة على المحور التركي الإيراني. ليقينه أن ممارسة الضغط عليهما من باب العقوبات سيضعفهما على المستوى الداخلي وهو الأهم بالنسبة إليه، لكن ترامب غفل عن أن أنقرة وطهران ستواجهانه بنفس السلاح وستستغلان إجراءاته التصعيدية الأخيرة لكسب تأييد شعبي وتحويل الخلاف مع واشنطن إلى قضية قومية.

ليس غريبا أننا لم نشهد احتجاجا من الأعضاء الآخرين في الناتو على قرار كهذا. أردوغان لم يترك له أصدقاء في أوروبا خصوصا للدفاع عنه أمام التحركات الأمريكية، التي تستهدف بالأساس توجيه صفة سياسية له كرئيس، على المستويين الداخلي والخارجي. ترامب يرى المسألة شخصية، والمؤسسات الأمريكية تراها استراتيجية. مشكلة أردوغان أنه لم يفهم أن الضغط الذي مارسه على الكرد السوريين إلى جانب القواعد الأمريكية في منطقة شرق الفرات، أثرا على التخطيط الاستراتيجي الأمريكي بشكل مباشر. تقليص أعداد هذه القواعد، أو الاضطرار لسحب جنود أو معدات عسكرية نوعية من المنطقة إرضاء لتركيا، خلق ثغرات في الانتشار الاستراتيجي للقوات الأمريكية في الشرق الأوسط.

تصريحات أردوغان المتمردة، والزائدة عن الحاجة أحيانا، تسببت في تحويل الخلاف بالنسبة لترامب إلى مسألة شخصية. بات ثمة توافق أمريكي، من الجانبين الشخصي الذي يمثلته ترامب والستراتيجي الذي تمثلته المؤسسات، على عقاب تركيا.

إن، إذا كانت إيران وتركيا تنظران إلى الاتفاق النووي واحتجاز أندرو برنسون باعتبارهما قشتين تتعلقان بهما بحثا عن النجاة، فإن نفس هذين الملفين في نظر الأمريكيين هما الحجران اللذان ستغرق بهما واشنطن نظامي الحكم المتطرفين في البلدين.

الأمر بات يتعلق أساسا بطول المدة التي يستطيع فيها البلدان الصمود في مواجهة الضغط الأمريكي. تعقيد الخلاف بين الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين حول نظرة الغرب لروسيا والاتفاق الإيراني والسياسات التجارية الحمائية وانعزال الولايات المتحدة، تفكك النظام الليبرالي العالمي الذي تأسس بعد انتهاء الحرب الباردة، ويعيد تركيبه على أسس جديدة تماما. ليس صحيحا أن هذه معركة الغرب فقط. منطقة الشرق الأوسط ستشهد تغييرات جذرية أيضا كامتداد لهذا النظام الجديد، الذي يحدد ملامحه الغرب كالعادة.

الأقدار كانت سببا في أن تكون إيران وتركيا حجر الزاوية في رسم ملامح المعادلة الجديدة التي ستتشكل في الشرق الأوسط. بمعنى أدق، النتائج النهائية التي سيسفر عنها المخاض الذي تمر به إيران وتركيا مع الغرب ستحدد مسار المنطقة لعقود قادمة.

إذا تمكن البلدان من المناورة لفترة تكفي لدفع الولايات المتحدة لتقديم تنازلات، أو تطول إلى حين استقرار الشكل الجديد للمنطقة، فسيصبحان القوتين الوحيدتين اللتين ستتحكمان، مع إسرائيل، في معادلة القوة الإقليمية، دون أي منافس عربي على الإطلاق. أما إذا انهار تماسكهما في صراعهما مع الولايات المتحدة، فلن يبقى أمام المنطقة سوى ضرورة قيام تحالف عربي يملأ الفراغ، أو الفوضى.

هذه المعادلة تعكس أن لا إيران ولا تركيا تملكان ستراتيجية تقوم على تعدد الخيارات حاليا. سياسة التمسك بالورقة الواحدة في المناورة مع الأمريكيين تبدو لحظية ومؤقتة، ولا تؤثر كثيرا على رؤى الأمريكيين ولا قناعاتهم بضرورة معاقبة البلدين. الأمر يبدو وكأن ظهر تركيا وإيران إلى الحائط، بينما تتلقيان الضربات دون أن تكون لديهما فرصة للرد أو حتى التفكير فيه.

إذا كانت إيران وتركيا تنظران إلى الاتفاق النووي واحتجاز أندرو برنسون باعتبارهما قشتين تتعلقان بهما بحثا عن النجاة، فإن نفس هذين الملفين في نظر الأمريكيين هما الحجران اللذان ستغرق بهما واشنطن نظامي الحكم المتطرفين في البلدين

المشكلة التي يريد أردوغان خصوصا أن يتجنبها هي تحول تركيا إلى المثل الذي يضربه الأمريكيون لأي قوة إقليمية حليفة تتحرك، عسكريا أو سياسيا، بشكل متعارض مع رؤية الولايات المتحدة. المسألة لم تعد تقتصر فقط على تقويض المصالح الأمريكية في المنطقة كما كانت العادة دائما.

المسؤولون الأمريكيون يلاحظون مع الوقت تزايدا في رغبة حلفاء واشنطن الإقليميين، كتركيا والسعودية والإمارات، في التحرك وانتزاع مصالحهم بشكل منفرد، بغض النظر عما تعتقده واشنطن أو تريد تحقيقه.

إذا ترك هذا الاتجاه، الذي ينحو إلى الاستقلالية ولو ظاهريا فقط، في التمدد بين معسكر الحلفاء، فهذا يعني أن النظام الجديد الذي ينشأ في المنطقة سيقوم على لامركزية القرار، ومن ثم ستنتقل إدارة الصراع من المستوى الدولي إلى المعايير الإقليمية التي تتحكم فيه. هذا يعني أن المنطقة ستصل إلى نهاية عصر "الشرطي الأمريكي" الذي شكل محور رسم التوازنات منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية.

الشرق الأوسط نموذج مصغر لتفاعلات المعادلة الدولية التي تحصل الآن. كما أن هناك سياستين في عصر ترامب، تقومان على عداة الحلفاء وصداقة الأعداء، على المستوى الدولي، ينطبق الأمر نفسه على الشرق الأوسط. ترامب يسعى للتصالح أو الحوار مع طهران عدوة واشنطن، ويشدد الخناق على أنقرة حليفها. هذا موقف قد يحتاج فيه البلدان إلى أكثر من قشتين كي يضعوا خطط إنقاذ واقعية.

*كاتب مصري

نهاية الديمقراطية

*كولبرت كينج

(واشنطن بوست) و (بلومبيرك نيوز سيرفز) : ٢٠١٨/٨/١٣

لا تقل آراء «الجمهوريين» من الأمريكيين العاديين، التي تكشف عنها استطلاعات آراء الناخبين، عن كونها مصدر إزعاج. ودعونا نبدأ باستطلاع للرأي أجرته مؤسسة «إبسوس» العالمية للتسويق، والذي نشر نتائجه موقع «ذا ديلي بيست». فقد كشف استطلاع الرأي أن ٤٣ في المئة ممن يعرفون أنفسهم بأنهم «جمهوريون» قالوا إنهم يعتقدون أنه «ينبغي أن تكون لدى الرئيس صلاحية إغلاق المنصات الإخبارية التي تسيء التصرف».

وعندما سئلوا هل ينبغي أن يخلق الرئيس دونالد ترامب «واشنطن بوست» و«سي. إن. إن» و«نيويورك تايمز»، أجاب ٢٣ في المئة من «الجمهوريين» بالقبول!

وهذه النتائج مقلقة بوضوح بالنسبة لي كعضو في «السلطة الرابعة». لكن في عصر ترامب، أضحت التجاوزات بحق وسائل الإعلام أمراً طبيعياً.

والأكثر إزعاجاً بالنسبة لي كمواطن هو أن أولئك المؤيدين لترامب يمنحوه الصلاحية طوعاً و رغباً، لتجاوز التعديل الأول من الدستور الأمريكي، مدمرين بذلك جزءاً جوهرياً من الديمقراطية الأمريكية التي لا يحبها الرئيس ترامب، وهو أمر مثير للقلق. وإما أنهم لا يعرفون أو لا يكثرثون بما كتبه قاضي المحكمة العليا «هوجو بلاك» في صحيفة «نيويورك تايمز» عام ١٩٧١: «إن الآباء المؤسسين قصدوا أن تكون الصحافة في خدمة الشعب وليس الحكومة». بيد أن أولئك المقوضين للتعديل الأول سيجعلون الولايات المتحدة تنضم إلى أعداء حرية الصحافة في أرجاء العالم.

والعداوة التي يكنها بعض أنصار ترامب للمعارضة وقبولهم لخصوم أمريكا أمر مثير للدهشة، فهناك صورة متداولة تظهر رجلين في منتصف العمر بأحد حشود ترامب الانتخابية بأوهايو، وأحدهما يعتمر قبعة كتب عليها: «لنجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى»، وكلاهما يرتديان قميصين طبع عليهما رسالة مفادها: «أفضل أن أكون روسياً على أن أكون ديمقراطياً»!

ويبدو أن ولع «القاعدة الشعبية للجمهوريين» بروسيا، بسبب انسجام ترامب مع الكرملين، أمر واسع النطاق أكثر مما يتصور البعض، لدرجة أن استطلاعاً للرأي أجرته «مونكي بول» و«ياهو فاينانس» في يوليو الماضي، أظهر أن ١١ في المئة من «الجمهوريين» اعتبروا أنه «من الملائم» أن تتدخل روسيا في انتخابات التجديد النصفى لو أن ذلك سيساعد في حفاظ حزبهم على السيطرة على الكونجرس، بينما اعتبر ٢٩ في المئة أنها «لن تكون مشكلة كبيرة».

*كاتب أمريكي

الاتحاد الأوروبي.. والتصدع الغربي

*توماس فريدمان

صحيفة (نيويورك تايمز) : ٢٠١٨/٨/١٣

أدركت مؤخراً أن بمقدوري إفساد أي حفل عشاء، فهو أمر بسيط كالسحر.. فقط دعوني أتطرق إلى موضوعات مثل ترامب أو بوتين أو التغير المناخي، ويمكنني أن أجعل التجهم يعلو كل وجه، والأسى يرتسم على كل جبين. وأنا على أهبة الاستعداد أيضاً لحفلات الزفاف وأعياد الميلاد!

وقد كنت أتصور أنني سأتي إلى إيطاليا من أجل الاستمتاع بالشمس والأطباق الإيطالية اللذيذة، لكنني اقترفت خطأ رغم ذلك بإهدار بضعة أيام مع خبراء في الحكومة الإيطالية وخبراء دوليين في محاولة لفهم أزمة اللاجئين التي تقسم الاتحاد الأوروبي، وقدر كبير منها متجذر في إيطاليا.. والآن خمنوا! أصبح بمقدوري إفساد حفل العشاء والإفطار أيضاً!

وما تجده عندما تلقي نظرة عن كثب إلى الوضع هنا هو أمر مقلق جداً. فقد ولدت في عام ١٩٥٣، وعشت طوال حياتي في مجتمع «الأنظمة الديمقراطية»، التي باتت تُعرف بـ«الغرب»، وتوسعت بعد ذلك لتشمل دولاً ديمقراطية في أرجاء العالم، مثل اليابان والبرازيل وكوريا الجنوبية والهند. وفي قلب هذا المجتمع كانت هناك ركيزتان هما: الولايات المتحدة ومجموعة الدول الأوروبية الديمقراطية التي كوَّنت «الاتحاد الأوروبي».

ولم يكن «الغرب» مجرد حالة ذهنية، وإنما مجموعة من الدول التي تتقاسم مصالح ومواقف وقيماً مشتركة، وخصوصاً قيم الحرية والديمقراطية والأسواق الحرة وحكم القانون، التي شكلت عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، ورغم أنه بعيد كل البعد عن المثالية، إلا أنه كان مكاناً كريماً وحرراً ومزدهراً إلى حد كبير لكثير من الناس. وهذا المجتمع من الدول الديمقراطية كان منارة وملأذاً وموضع جذب لأولئك الذين أرادوا اعتناق قيمه، لكنهم تعرضوا للرفض حيث كانوا يعيشون.

غير أن الركيزة الأوروبية في هذا المجتمع لم تتعرض من قبل لهجوم أكبر مما تتعرض له في الوقت الراهن، لدرجة أنني للمرة الأولى أتساءل ما إذا كان من الممكن أن تتداعى هذه الركيزة الأوروبية؟

ومن إيطاليا يمكنك رؤية جبهات الهجوم كافة، فدونالد ترامب يأتي من الغرب وفلاديمير بوتين من الشرق، والاضطرابات البيئية والسياسية من الجنوب.. من أفريقيا والشرق الأوسط، حيث أدى القرار الفرنسي البريطاني المتهور في عام ٢٠١١ بالإطاحة بنظام الرجل القوي معمر القذافي من دون المساعدة في بناء نظام جديد مكانه، الذي يجتاح شبحة إيطاليا في الوقت الراهن.

ربما أن الإطاحة بالقذافي من دون بناء نظام جديد كان أكثر القرارات التي اتخذها حلف الناتو حماقة في تاريخه. فقد أدى ذلك إلى كشف الغطاء عن أفريقيا، وأفضى إلى تدفق ٦٠٠ ألف أو يزيدون من اللاجئين

السياسيين والمهاجرين إلى شواطئ إيطاليا في السنوات القليلة الماضية، بقي منهم زهاء ٣٠٠ ألف على الأراضي الإيطالية، بينما تسللت البقية إلى دول أخرى أوروبية. وقد أفضى ذلك إلى حدوث تصدعات داخل التكتل، الذي يتعين عليه استيعاب مهاجرين كثر، وأدى إلى انطلاق موجات شعبية قومية في دول الاتحاد الأوروبي كافة.

وفي هذه الأثناء، ليس من المفاجئ أن بوتين، الذي لطالما كان هدف سياسته الخارجية إضعاف الاتحاد الأوروبي وزعزعة الثقة فيه، من أجل تقويضه كبديل حيوي لنظامه القومي أو كنموذج ملهم للدول التي كانت تابعة للاتحاد السوفييتي السابق مثل أوكرانيا، قد شجع على صعود الأحزاب المناهضة للتكتل في دول مثل إيطاليا وكذلك على خروج بريطانيا من الاتحاد «بريكست».

من جانبه، حضّ ترامب رئيسة الوزراء البريطانية تريزا ماي على الخروج من الاتحاد الأوروبي من دون اتفاق، فيما يعرف بـ«خروج صعب»، إذا أرادت إبرام اتفاقية تجارة حرة مع الولايات المتحدة، ووصف الاتحاد الأوروبي ليس بأنه شريك تجاري وإنما بأنه «خصم». ويبدو أن ترامب يفضل انقسام الاتحاد الأوروبي ليتمكن من إبرام صفقات تجارية أفضل مع كل دولة على حدة. وإلا كيف يمكن تبرير تلك التحركات؟

ومن أوائل الزوار الأجانب الذين قدموا إلى إيطاليا للاحتفاء بحكومتها الجديدة، التي يوجد بها عدد من الوزراء المشككين في الاتحاد الأوروبي و"النااتو" والشعبيين المناهضين للهجرة، المستشار السابق لترامب «ستيف بانون»، الذي أشارت التقارير إلى أنه أكد للائتلاف الإيطالي الحاكم: «إذا نجحتم في إيطاليا، فستنجح الفكرة في أنحاء أوروبا، وسيُهزم أنصار العولمة».

وبالعودة من كلام أحمق، فقد كانت الولايات المتحدة والدول التي شكلت الاتحاد الأوروبي هي التي تولت دفة القيادة ليس فقط من أجل التصدي للشيوعية، ولكن لوضع القواعد وتحفيز المؤسسات التي نجحت في إدارة القضايا العالمية المهمة بعد الحرب العالمية الثانية، مثل التجارة والهجرة والبيئة وحقوق الإنسان، وساعدت الناس من أنحاء العالم على الهروب من براثن الفقر بوتيرة أسرع من ذي قبل.

ونحتاج أن تضطلع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، مع الدول الأخرى في مجموعة ال ٢٠، بدور مماثل في الوقت الراهن. فقد ألقى التغير في وتيرة التغير المناخي والعولمة والتكنولوجيا بمجموعة كاملة من التحديات الجديدة بسرعة شديدة، لاسيما حدة الطقس، والجرائم الإلكترونية والعملات المشفرة وشبكات التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا المزيفة والسيارات ذاتية القيادة والذكاء الاصطناعي وأدوات التصميم البيولوجية وأساليب التمييز بين اللاجئين والمهاجرين الاقتصاديين وطالبي اللجوء السياسي. ولا يمكن مواجهة مثل هذه التحديات من دون تعاون دولي وقواعد جديدة.

أزمة التعددية القطبية

*السيد ولد أباه

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية: ٢٠١٨/٨/١٣

لقد أصبح أسلوب الرئيس الأمريكي «دونالد ترامب» غير التقليدي في الحكم معروفاً بما فيه الكفاية، ومع ذلك لا يمكن على غرار التحليلات العربية السائدة تفسير قراراته الرئيسية التي أخذها منذ وصوله للسلطة بمجرد العوامل الشخصية والنزوات الفردية. سواء تعلق الأمر بانسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من العديد من الاتفاقات الدولية التي وقعتها سابقاً أو محاولتها إعادة ترتيب حركية التجارة الدولية من منظور مصالحها الاقتصادية على حساب تحالفها التقليدي مع بلدان أوروبا وأمريكا الشمالية، أو تعلق الأمر بالموقف من المؤسسات الدولية وبإدارة الملفات العالمية الكبرى، لا يشكل ترامب لحظة قطيعة جذرية في التقليد السياسي الأمريكي، ولا يمكن عزل مواقفه وتصرفاته عن التحديات والإشكالات الراهنة للنظام الدولي. قد لا يكون من السهل تصنيف سياسة ترامب الخارجية ضمن القوالب العادية للدبلوماسية الأمريكية التي تتوزع وفق المحللين والدارسين إلى اتجاهين كبيرين: انكفائي انعزالي وأمني ينزع للتدخل الخارجي، مع التمييز داخل كل واحد من الاتجاهين بين المسلك الواقعي المتمحور حول احتساب موازين القوة والمصالح التجارية، والمسلك المثالي الرسالي الذي يربط بين المصالح القومية الأمريكية وتصدير المثل الأخلاقية والأيدولوجية التي قام عليها النموذج الأمريكي إلى بقية العالم (مقاربة روزفلت - ولسون). وإذا كان بعض الباحثين يميل إلى تصنيف ترامب ضمن اتجاه ثالث مثله تاريخياً الرئيس «أندرو جاكسون» الذي حكم الولايات المتحدة من ١٨٢٩ إلى ١٨٣٧، وهو اتجاه قومي شعبي يرتكز على عنصر القوة العسكرية، إلا أن نهج ترامب في الحقيقة لا يخرج عن ثوابت النموذج الأمريكي الذي يربط عضواً بين عناصر ثلاثة محورية، هي المصالح القومية الحيوية والتفوق الاقتصادي والعسكري والرسالة الأخلاقية الكونية.

صحيح أن الجانب الأخلاقي الأيدولوجي يبدو خافتاً في الخطاب السياسي الأمريكي الحالي، إلا أنما يميز نهج ترامب هو تغليب المصالح التجارية والأمنية القومية على اعتبارات الرسالة الأخلاقية التي تظل حاضرة ولو مع تبدل ملحوظ في الخلفيات الفكرية والعقدية (من الليبرالية الكونية إلى القومية الشعبوية المحافظة). لقد بين الباحث السياسي الفرنسي (من أصل جزائري) (زكي العايدي) أن التحولات الأخيرة التي عرفت الولايات المتحدة في عهد ترامب لا يمكن فصلها عن الأزمة العميقة التي يعرفها منذ سنوات مفهوم «القطبية التعددية» الذي أصبح الأفق الاستراتيجي للعلاقات الدولية بعد الحرب الباردة. ما ظهر من تتبع الأزمات العالمية في السنوات الماضية هو أن تعدد اللاعبين الدوليين لا يعني بالضرورة الإدارة التعددية للنظام الدولي، بحيث أصبح من الممتنع الوصول إلى وضع يتم فيه الإجماع عليه و يضمّن مصالح الأطراف الفاعلة العديدة بقدر ما أنه لا توجد قوة مهيمنة قادرة على فرض رؤيتها ومصالحها على غيرها نتيجة لتوزع عناصر القوة العسكرية والاستراتيجية بين جهات عديدة متضاربة المصالح. هذه الحالة هي التي تفشل شلل المؤسسات الدولية وعجزها عن إدارة الملفات العالقة، سواء تعلق الأمر بقضايا الأمن والسلم كما هو الشأن في النزاعات الشرق أوسطية الراهنة (الموضوع الفلسطيني والموضوع السوري مثلاً) أو بقضايا التجارة العالمية. وعلى عكس ما يظن عادة، فإن ترامب ليس معادياً لفكرة الشراكة الدولية، لكنه يريد إخضاعها للمصالح الحيوية الأمريكية لو على حساب التزامات واشنطن تجاه حلفائها التقليديين، بما يعني إدخال تحويرين بارزين على محددات هذه الشراكة، هما حسب "العايدي": استبدال منطق القواعد التنظيمية للشراكة الدولية بمنطق النتائج العملية العينية واستبدال معايير التحالف السياسي بمعايير الحماية مقابل المنافع والمصالح والامتيازات (الراجعة للولايات المتحدة). من الخلف أذن قراءة المعادلة الدولية الراهنة من منظور الجدال حول الأحادية القطبية (التي ليست هي الخيار الذي يتبناه ترامب) والتعددية القطبية التي إن كانت حقيقة بمعنى تعدد الأطراف الفاعلة في المسرح الدولي، إلا أنها لا تعني تشكل أقطاب استراتيجية عالمية تتنازع موازين القوة والفاعلية. وما نعيشه راهناً هو ما عبر عنه "العايدي" بازدواجية الثنائية القطبية في مستويين متميزين: القطبية الاستراتيجية التي تبرز في الصراع الروسي - الأمريكي المتمحور حالياً حول الشرق الأوسط والجناح الشرقي للحلف الأطلسي والقطبية الاقتصادية التي تبرز في الصراع الأمريكي - الصيني من أجل التحكم في حركة التجارة الدولية، وأن تداخل هاتين الحركيتين هو الذي يفسر أزمة التعددية القطبية العالمية.

العالم الذي نعيش فيه

*ستيفن كوتين

(١) عالم واقعي: اللاعبون يتغيرون، لكن اللعبة تبقى

مجلة (فورين أفيرز) : ٢٠١٨/٨/١٤

ترجمة: علاء الدين أبو زينة: ليست الجغرافيا السياسية عائدة من أي مكان“ لأنها لم تذهب أبداً إلى أي مكان. وقوس التاريخ ينحني في اتجاه الوهم. كل مُهيمن يعتقد أنه الأخير“ وكل العصور تعتقد أنها ستدوم إلى الأبد. وفي الواقع، بطبيعة الحال، تنهض الدول، وتسقط، وتتنافس واحداً مع الأخرى على الطريق. والكيفية التي تفعل بها ذلك تقرر مصير العالم.

الآن، كما دائماً، سوف تُحرك سياسات القوة العظمى الأحداث، وسوف تتقرر الخصومات والمنافسات الدولية بالقدرات النسبية للمتنافسين -رأسمالهم المادي والبشري، وقدرتهم على حكم أنفسهم وإدارة شؤونهم الخارجية بفعالية. ويعني هذا أن مسار العصر المقبل سوف يتحدد إلى حد كبير بالكيفية التي تدير بها الصين والولايات المتحدة موارد قوتيهما، والعلاقة بينهما.

تماماً كما سمحت المملكة المتحدة صاحبة التجارة الحرة لمنافستها، ألمانيا الإمبريالية، بأن تصبح قوية، فعلت الولايات المتحدة صاحبة التجارة الحرة الشيء نفسه مع الصين. لم يكن خطيراً على المهيمن الليبرالي أن يسمح للمنافسين المستبدين بأن يكسبوا الأرضية، كما جرى المنطق، لأن المتحدين سوف يواجهون بالضرورة خياراً قاسياً: أن يظلوا مستبدين وراكدين، أو أن يصبحوا ليبراليين حتى يستمروا في النمو. وفي كلتا الحالتين، سوف يكون المهيمن على ما يرام. ولم تنتهِ الأمور إلى خير في المرة الأولى، وهي تبدو موضع شك في هذه المرة، أيضاً.

سوف يكون لدى الصين قريباً اقتصاد أكبر بطريقة يعتد بها من اقتصاد الولايات المتحدة. وهي لم تتحول إلى الديمقراطية بعد، ولن تفعل في أي وقت قريب، لأن البناء المؤسسي الشيوعي لا يسمح بالدمقرطة الناجحة. لكن الاستبدادية لم تعن الركود، لأن المؤسسات الصينية تمكنت من مزج الجدارة بالفساد، والكفاءة بعدم الكفاءة، واستطاعت بطريقة ما إبقاء البلد ماضياً إلى الأمام والأعلى. وربما يبطل البلد الخطو، بل وحتى ينفجر بسبب تناقضاته التي لا تُحصى. لكن التحليلات كانت تتنبأ بذلك بالضبط منذ عقود، وكانت مخطئة دائماً حتى الآن.

في الأثناء، وبينما كانت الصين تزداد قوة وتمضي قدماً -إلى حد كبير ضد التوقعات- وقعت الولايات المتحدة والديمقراطيات المتقدمة الأخرى في اختلال وظيفي محلي، جاعلة قوتها المستقبلية الخاصة موضع شك. وقد تمكنت نخبها من إدارة أجيال العولمة بما يكفي من النجاح لتمكين حراك اجتماعي واسع وتقدم بشري مهم في كل أنحاء العالم، وأبليت حسناً على طول الطريق. لكنها تجاهلت، بينما تشجع حتى التخمة، الآثار الاقتصادية والاجتماعية السلبية لكل هذا على المواطنين في أطرافها وهوامشها الداخلية. وقد صنع ذلك فُرجة ليستغلها الديماغوجيون، وهو ما فعلوه بحماس المنتقم.

كان الركود العظيم قد وضع نهاية لعصر سابق من العولمة -واحد بدأ في أواخر القرن التاسع عشر. واعتقد البعض أن الأزمة المالية العالمية للعام ٢٠٠٨ ربما تفعل الشيء نفسه بالموجة الحالية. وقد نجا النظام، لكن تدابير الطوارئ التي استُخدمت لإنقاذه -بما فيها عمليات إنقاذ البنوك، وإنما ليس الناس العاديين- كشفت تناقضاته الداخلية وسلطت الضوء عليها. وفي العقد الذي تلا، نمت الحركات المناهضة للمؤسسة مثل الفطر.

ليست المنافسة القائمة بين الصين والولايات المتحدة اليوم سوى تطور جديد في قصة قديمة. فحتى بداية القرن العشرين، كانت الصين -وإلى حد كبير- أكبر اقتصاد وأقوى بلد في العالم، مع حصة تقدر بنحو ٤٠ في المائة من الناتج المحلي الإجمالي العالمي. ثم دخلت في طور هبوط طويل، في الداخل والخارج -حول نفس الوقت الذي ولدت فيه الولايات المتحدة وبدأت طريق صعودها الطويل إلى الهيمنة العالمية. وما كان صعود الولايات المتحدة ليحدث

من دون ضعف الصين، بالنظر إلى مدى أهمية هيمنة الولايات المتحدة على آسيا للتفوق الأمريكي. ولكن، ما كان انبعاث الصين ليحدث أيضاً من دون قيام الولايات المتحدة بتوفير الأمن والأسواق المفتوحة أيضاً. هكذا هيمنت كلتا الدولتين على العالم، ولكل منهما نقاط قوتها وضعفها، ولأول مرة، أصبحت كل منهما تواجه الأخرى كنظير. ومن المبكر كثيراً معرفة ما الذي ستكشف عنه الأشواط القادمة. لكننا نستطيع أن نكون على ثقة من أن اللعبة سوف تتواصل.

احذر إزاء ما تتمناه

حتى تفهم عالم الغد، انظر وراء إلى أمس. في السبعينيات، كانت الولايات المتحدة وحلفاؤها أغنياء، وإنما غير منظمين وراكدين" كان الاتحاد السوفياتي قد حقق التكافؤ العسكري وكان يواصل التسلح" وكانت الصين تعاني من الاضطرابات الداخلية والفقر" وكانت الهند أفقر من الصين" وبالكاد كان لدى البرازيل، التي كانت تحكمها طغمة عسكرية، اقتصاد أكبر من اقتصاد الهند" وكانت جنوب أفريقيا مقسمة إلى أوطان تحت نظام من العنصرية المؤسسية.

بعد أربعة عقود من ذلك، تحلّل الاتحاد السوفياتي، واعتنقت الدول التي خلفته نظام الرأسمالية والملكية الخاصة. والصين، التي ظلت شيوعية سياسياً، اختارت الأسواق وفضلتها على التخطيط، ونمت لتصبح ثاني أكبر اقتصاد في العالم. والهند التي كانت معدمة ذات مرة، أصبحت الآن سادس أكبر اقتصاد. وأصبحت البرازيل ديمقراطية، وشهدت إقلاعاً اقتصادياً، ولديها الآن ثامن أكبر اقتصاد في العالم. وجنوب أفريقيا أطاحت بنظام الفصل العنصري وأصبحت الآن ديمقراطية متعددة الأعراق.

لم يكن مسار هذه التغيرات عرضياً. فبعد الحرب العالمية الثانية، عملت الولايات المتحدة وحلفاؤها جاهدين من أجل خلق عالم مفتوح، بتجارة تزداد حرية باطراد، وبتكامل عالمي يتسع بلا توقف. وقد راهن صانعو السياسة على أنهم إذا بنوا هذا العالم، فإن الناس سيأتون. وكانوا مُحَقِّين. وإذا ما أُخِذَ مَعاً، فقد كانت النتائج استثنائية قطعاً. لكن نفس صانعي السياسة هؤلاء والذين جاؤوا بعدهم لم يكونوا مستعدين للنجاح عندما حدث.

تخلق العولمة الثروة عن طريق إغواء المراكز الحضرية الدينامية في الدول الأغنى بالاستثمار في الخارج بدلاً من الاستثمار في الأطراف والمناطق الهامشية داخل الوطن. وهذا يزيد فعالية الاقتصاد والعوائد المطلقة، كما تقترح النظرية الاقتصادية التقليدية، أكثر أو أقل. وقد أفضى إلى التقليل من عدم المساواة على المستوى العالمي، عن طريق تمكين مئات الملايين من الناس من النهوض من رتبة الفقر المدقع.

ولكن، في الوقت نفسه، كان هذا الاقتصاد مُعاد التوجيه يزيد من عدم تكافؤ الفرص المحلية والشعور بالخيانة السياسية في داخل الدول الغنية نفسها. وبالنسبة لبعض الخاسرين، يصبح الجرح أكثر إيلاماً بسبب ما يبدو إهانة ثقافية، بينما تصبح مجتمعاتهم أقل ألفة باطراد. وقد ركزت النخب الغربية على حصاد منافع العولمة بدلاً من تقليل كلفها، ونتيجة لذلك، زودت العملية بشحنات من القوة الإضافية، لتزيد بذلك من عواقبها المدمرة.

أقنع كثيرون جداً أنفسهم بأن التكامل العالمي يتعلق أساساً بالاقتصاد والتماثل، وبأنه سوف يمضي قدماً بصورة حتمية. ولم يكن سوى بضع متنبئين، مثل العالم السياسي صامويل هنتنغتون، هم الذين أشاروا إلى أن الثقافة تظل أقوى، وأن التكامل يمكن أن يبرز الاختلافات بدلاً من أن يحلها، سواء في الوطن أو في الخارج. وفي العام ٢٠٠٤، لاحظ هنتنغتون:

"في أمريكا اليوم، توجد فجوة رئيسية بين نخب الأمة والجمهور العام حول بروز الهوية الوطنية مقارنة بالهويات الأخرى وحول الدور المناسب لأمريكا في العالم. وأصبحت عناصر مهمة من النخبة تنفصل بشكل متزايد عن بلدها، وفي المقابل، أصبح الجمهور الأمريكي يشعر بخيبة أمل متزايدة من حكومته".

وسرعان مع اغتنم رجال الأعمال السياسيون "الخارجيون" اللحظة.
بعد أن اعتنقت أيديولوجية العولمة، تركت النُخب الغربية نفسها مكشوفة أما تحدٍ سياسي جماهيري متأسس في الأغلبية القومية التي كانت هذه النُخب قد تخلّت عنها. وربما تكون حجج المدافعين عن التمردات الشعبية مليئة بالزيف، لكن عواطف ناخبهم حقيقية، وتعكس المشكلات الرئيسية التي تجاهلها الخبراء المفترضون أو رفضوها.

كان ذلك حينذاك

مع كل التغيرات الهائلة التي حدثت على مدى القرن الماضي، فإن الصورة الجيوسياسية الماثلة اليوم تشبه إلى حد كبير تلك التي كانت حاضرة في السبعينيات، بل وحتى العشرينيات من القرن الماضي، ولو مع استثناء واحد حاسم. القوة الروسية المتناقصة - وإنما المقيمة - في أوراسيا؟ صحيح.
وجود ألمانيا في قلب أوروبا قوية، وإنما عقيمة؟ صحيح. عملاق أمريكي مشئت الانتباه، قوي بما يكفي ليقود، لكنه متردد في فعل ذلك؟ صحيح.

برازيل وجنوب إفريقيا تهيمنان على مناطقهما؟ صحيح.

ولكن، وبصرف النظر عن المؤشرات على بداية حركة لمراكز القوة الهندية والعثمانية والفارسية، فإن الفارق الأكثر أهمية اليوم هو حلول الصين محل اليابان لتكون اللاعب الأساسي في ميزان القوى الآسيوي.
كان اجتهد الصين هائلاً ومشهدياً، وكسب ذلك البلد بالتأكيد موقعه الجديد عن جدارة. لكنه ما كان يمكن أن يحقق ما حققه على مدى الجيلين الماضيين من دون الانفتاح الاقتصادي والأمن العالمي اللذين وفرتهما الولايات المتحدة كقوة مهيمنة ليبرالية. ومنذ أواخر القرن التاسع عشر وإلى القرن العشرين، وعلى النقيض من الأوروبيين واليابانيين، أنفقت الولايات المتحدة القليل من الجهد - نسبياً - في محاولة إقامة حكم استعماري مباشر في أراض أجنبية. وقد اختارت بدلاً من ذلك تعزيز مصالحها أكثر من خلال التحالفات الطوعية، والمؤسسات متعددة الأطراف والتجارة الحرة.

وجاء هذا الاختيار مدفوعاً إلى حد كبير بالمصلحة الذاتية المستنيرة أكثر من كونه مدفوعاً بالإيثار والغيرية، وكان مدعوماً بهيمنة عسكرية عالمية. وبهذا، فإن الهيئات العديدة متعددة الأطراف وعمليات نظام ما بعد الحرب تُفهم أفضل ما يكون - ليس كمفهوم خيالي جديد يدعى "النظام العالمي الليبرالي"، وإنما كآليات لتنظيم وتوسيع مدار النفوذ الجديد والهائل للولايات المتحدة.

تحاول الدول القوية ذات الأيديولوجيات المتميزة بشكل عام أن تمارس التبشير، وعادة ما يتقاطر المتحوّلون بشكل عام إلى فائز. ولذلك يجب أن يكون مفاجئاً بالكاد أن تصبح الديمقراطية، وحكم القانون، والقيم الأمريكية الأخرى، شعبية على نطاق عالمي خلال سنوات ما بعد الحرب، بالنظر إلى قوة المثال الأمريكي (حتى على الرغم من حقيقة أن المثل الأمريكية كانت تُكْرَم من خلال انتهاكها أكثر من احترامها). لكن القوة النسبية للولايات المتحدة تراجعت الآن، وأصبحت الماركة التجارية الأمريكية تواجه المتاعب، وتكشفت هشاشة نظام ظلّ معتمداً على قوة الولايات المتحدة وكفاءتها وصورتها.

هل ستجد القوتان العظميان الجديدتان طريقة لإدارة منافستهما من دون السير إلى الحرب؟ إذا لم تتمكننا من فعل ذلك، فيحتمل كثيراً أن يكون السبب هو تايوان. ويشكل هذا النمر الآسيوي المزدهر أيضاً شيئاً آخر يُعزى إلى العولمة، بعد أن أصبحت تايوان غنية وقوية ومزدهرة بعد بدايتها غير المثيرة للإعجاب قبل سبعة عقود.

لكن بكين ظلت حازمة في إصرارها على استعادة الأراضي كافة التي تعتبرها ممتلكاتها التاريخية، وقد أعاد الرئيس الصيني، شي جين بينغ، شخصياً التأكيد على أن تايوان هي أرض صينة و"مصلحة جوهرية". كما أن جيش التحرير الشعبي، من جانبه، حشد القدرة بالتدريج من أجل الاستيلاء على الجزيرة بالقوة. ربما تبدو هذه الخطوة المتطرفة مجنونة، بالنظر إلى حجم الفوضى التي يمكن أن تثيرها، وبكم من العمق يعتمد نجاح الصين الداخلي المستمر على الاستقرار الخارجي. لكن استطلاعات الرأي بين سكان الجزيرة سجلت اتجاهًا حاسماً نحو الإبقاء على كيان تايواني منفصل، على النقيض مما كانت بكين قد توقعته من التكامل الاقتصادي. (ليست النخب الغربية هي الوحيدة التي تنطوي على الأوهام). فهل ستقف بكين تزداد قوة باطراد على الهوامش وتشاهد جائزتها التي سعت إليها طويلاً وهي تنسرب من يدها؟

هكذا هي الأمور الآن

على مدى العقد الأخير، أربكت روسيا التوقعات حين تمكنت من النجاة من أسعار النفط المتقلبة والعقوبات الغربية. وقد يكون نظام فلاديمير بوتين حكومة عصابة من اللصوص، لكنه ليس ذلك فحسب. فحتى الأنظمة الاستبدادية الفاسدة يمكن أن تعرض حكماً رشيداً مستداماً في بعض المجالات الرئيسية، وقد تمكنت سياسة اقتصاد كلي ذكية من إبقاء روسيا عائمة.

لدى الصين، أيضاً، نظام استبدادي بلطجي وفاسد، وقد أثبتت هي أيضاً كونها أكثر تكيفاً بكثير مما تخيل معظم المراقبين أنه ممكن. وقد تمكنت نُخبها من تطوير بلد بحجم قارة بسرعة ونطاق لم يسبق لهما مثيل، إلى درجة يتساءل معها الكثيرون عما إذا كانت الصين ستهيمن على العالم. وكان المرء ليتوقع في العام ١٨٠٠ أن تهيمن الصين بعد قرن لاحقاً - لكن القوة الصينية انهارت بدلاً من ذلك وحلقت القوة الأمريكية. لذلك تبقى إسقاطات الخط المستقيم محفوفة دائماً بالمخاطر. ولكن، ماذا لو أن تلك النبوءة من بواكير القرن التاسع عشر لم تكن مخطئة، وإنما كانت مبكرة فحسب؟

مع أن النظم الاستبدادية قوية جداً، فإنه هشّة مع ذلك" في حين أن الديمقراطية بائسة ومثيرة للمشقة، وإنما مرنة وقادرة على المقاومة. وما تزال الصين الآن سائرة في شوط طويل من النجاح المستقر، لكن الأمور يمكن أن تتغير بسرعة. فبعد كل شيء، قاد ماو تسي تونغ نفس النظام بالضبط، وكان واحداً من القادة الأكثر بربرية وتدميراً للذات في التاريخ. وتاماً كما افترض الكثير من الناس ذات مرة أن الصين لا يمكن أن تقطع أبداً هذا الشوط البعيد بهذه السرعة الكبيرة، فإن البعض يفترضون الآن أن صعودها يجب أن يتواصل بشكل حتمي - ولو مع القليل من التبرير.

جاء قرار شي جين بينغ مركزة السلطة من مصادر متعددة، لكن واحداً منها بالتأكيد هو تقدير لكم هي المشاكل التي تواجهها الصين صعبة. وردة الفعل الطبيعية للأنظمة الاستبدادية على الأزمات هو تشديد قبضتها على القمة. ويسمح ذلك باستغلال أكبر للأحداث في المدى القريب، وينتج أحياناً نتائج قصيرة الأجل مثيرة للإعجاب. لكنه لم يكن حتى الآن وصفاً للنجاح الأصيل على المدى الطويل.

مع ذلك، في الوقت الحالي، تتطلع الصين -مدعومة باقتصادها الهائل- إلى بسط سلطتها في كل الاتجاهات، من بحر الصين الشرقي إلى بحر الصين الجنوبي، إلى المحيط الهندي، إلى آسيا الوسطى، بل وحتى إلى أفريقيا وأمريكا اللاتينية. وقد اجتمعت الثروة مع الثبات لخلق صورة مثيرة للإعجاب للقوة الناعمة إلى جانب صورة القوة الصلبة، والتي تمكن الصين من شق الطرق إلى تخوم مناطق منافستها نفسها.

على سبيل المثال، تشكل أستراليا ديمقراطية غنية وقوية بدرجة عالية من التضامن الاجتماعي، وعموداً حاسماً للنظام الأمريكي -ويصاف أنها تقع في طريق توسع الصين. وكان نفوذ الصين وتدخلها هناك ينموان بثبات على مدى الجيل الأخير، كنتيجة طبيعية للاعتمادية الاقتصادية المتبادلة، وبفضل حملة مثابرة طويلة الأمد شنتها

الصين لإغواء أستراليا لتكون نسخة القرن الحادي والعشرين من تطبيع فنلندا (1). (Finlandization) وتجري عمليات مشابهة عبر كل آسيا وأوروبا، بينما تعكف الصين على بناء "أوراسيا كبرى" متمحورة حول بكين، بل وربما تحويل وجهات أوروبا نفسها بعيداً عن الأطلسي.

في الوقت الحالي، يعطي تراجع الولايات المتحدة دفعة للصين. لكن هناك في الحقيقة، كما لاحظ آدم سميث، "قدر كبير من الدمار في الأمة"، وتبقى الولايات المتحدة أقوى قوة في العالم، وبمسافة كبيرة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذه ستكون لعبة ثنائية صرفة. نعم، لقد سمحت المملكة المتحدة لألمانيا بأن تصعد وتقوم تحدياً للهيمنة ضدها - مرتين. لكنها سمحت أيضاً للولايات المتحدة بأن تصعد، وهكذا، عندما جاءت تلك التحديات، كان من الممكن - كما فهم ونستون تشرشل - أن يأتي "العالم الجديد"، بقدرته وقوته، لنجدة "العالم القديم".

بنفس الطريقة، سمحت الولايات المتحدة للصين بأن تصعد، لكنها سهّلت أيضاً نمو أوروبا، واليابان، والهند، والبرازيل والكثير من الآخرين. ومهما كان مقدار احتمال ضيق هؤلاء اللاعبين بعناصر من القوة الأمريكية أو مطاردة الاستثمار الصيني، فإنهم سيفضلون استمرار الترتيبات الحالية على إجبارهم على الخضوع لـ "المملكة الوسطى".

قد تبدو قضية اليوم متعلقة بما إذا كان مجال النفوذ الصيني يمكن أن يتسع من دون أن ينقض النظام الحالي الذي صنعه الولايات المتحدة والنظام الدولي الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة. لكن السفينة أقلعت فعلاً: فقد توسع مجال الصين بشكل مذهل وسوف يواصل ذلك. وفي الوقت نفسه، كسب انبعاث الصين لها الحق في أن تكون صانعة للقواعد. وبذلك، يكون السؤال الحقيقي هو ما إذا كانت الصين ستعامل الدول الأخرى بازدراء وقسوة، لأنها تستطيع - وما إذا كانت الولايات المتحدة ستتقاسم معها القيادة العالمية، لأنها يجب أن تفعل.

هل تكون التزامات المهيمن متعاقبة، بحيث يعني التخلي عن بعض منها تقويض البقية؟ هل يمكن أن تتحلل التحالفات والضمانات في مكان بينما تبقى تلك الموجودة في مكان آخر متماسكة؟ باختصار، هل إعادة التخذيق ممكنة، أم أن أدنى إلماح إلى التراجع يجب أن يتحول إلى هزيمة؟ ربما يكون انتقال أمريكي من تنفيذ جيداً من نشاط الهيمنة المفرط إلى انخراط عالمي أكثر انتقائية على أساس المصالح الجوهرية موضع ترحيب في الوطن والخارج على حد سواء، مهما كان مقدار شكوى السياسة والمفكرين من هذا الاتجاه. لكن حالات إعادة التخذيق السلمي تظل نادرة، ولم تبدأ أي منها من مثل هذه القمة.

لا يخبرنا التاريخ بأي شيء عن المستقبل سوى أن المستقبل سيفاجئنا. ربما تعمل تقنيات الطباعة ثلاثية الأبعاد، والذكاء الاصطناعي والثورات الرقمية والجينية، على إحداث انقلاب في التجارة وتزعزع استقرار العالم بشكل جذري. لكن النتائج الجيدة في الجيوسياسية تبقى ممكنة أيضاً - فليست الواقعية مشورة لليأس. وحتى يتمكن مجالدو اليوم من اجتياز المتناقضات وتجنب التشاجر والإطباق على حناجر بعضهم البعض مثلما فعل معظم أسلافهم، ثمة أربعة أشياء ستكون ضرورية. على صانعي السياسة الغربيين أن يجدوا طرقاً لجعل أغلبية كبيرة من مواطنيهم تستفيد من - وتعتنق عالماً مفتوحاً ومتكاملاً. ويجب على صانعي السياسة الصينيين أن يواصلوا صعود بلدهم بشكل سلمي، من خلال التسويات، بدلاً من التحول إلى الإكراه في الخارج أيضاً. وتحتاج الولايات المتحدة إلى إيجاد التوازن الصحيح تماماً بين الردع القوي والطمأنينة القوية مع الصين، وأن تعيد ترتيب بيتها محلياً. وأخيراً، سيكون على نوع من المعجزة أن يعتني بتايوان.

* مؤرخ وأكاديمي ومؤلف أمريكي. وهو حالياً أستاذ التاريخ والعلاقات الدولية في جامعة برينستون، وزميل معهد هوفر في جامعة ستانفورد. آخر كتبه هو الثاني مما يفترض أن تكون ثلاثة مجلدات، والذي يناقش حياة وأوقات الزعيم السوفيياتي جوزيف ستالين، "ستالين في انتظار هتلر، ١٩٢٨-١٩٤١". (٢٠١٧).

في أحوال الإسلام السياسي

*حازم صاغية

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/٨/١٤

الإسلام السياسي مفهوم واسع جداً. متضارب ذاتياً. منقسم مذهبياً. غير متجانس في المصالح أو المناطق أو الطبقات أو التأويل. فيه جماعات كـ «الإخوان» ومحاربون كـ «داعش». قد يقيم جمهورية إسلامية، كما في إيران، وقد يحافظ على شيء من العلمانية والديموقراطية التمثيلية، كما في تركيا. لكن على تنوعاته، فإن أحواله لا تطمئن أصحابه. كل قول بتدخل الدين في السياسة، أو اشتقاق السياسة من الدين، هو اليوم مأزق.

وأن يكون الاقتصاد السبب المباشر في معاناة النظامين الإيراني، ذي الإطلاقة الدينية، والتركي، ذي النسبية الدينية، فهذا إنما يرمز إلى مصاعب التكيف مع العالم الحديث استناداً إلى عدة فكرية بسيطة، وإلى قرارات تهبط على المجتمع من موقع سلطوي مغلق لا مكان معه لاستشارة الناس في أمور حياتهم. صحيح أن السياسات التي تتبناها إدارة ترامب هي التي لعبت دور الصاعق المفجر في إيران، وبدرجة أقل في تركيا. ينطبق هذا خصوصاً على الانسحاب من الاتفاق النووي، وفرض الرسوم الجمركية على الصلب والألومنيوم المستوردين. لكن الصحيح أيضاً أن الأسباب الداخلية، في سياسات البلدين وإدارتهما الاقتصادية، تبقى الأساس.

في إيران يتضافر الفساد الفلكي والإنفاق الموسع على المشاريع العسكرية الإمبراطورية لتصديق الاقتصاد الوطني. ولا نزال نذكر أن «الثورة الخضراء» في ٢٠٠٩ وكانت أبرز تحدٍ يواجهه النظام منذ الثمانينات: بدأت بالاعتراض على نتائج الانتخابات وانتهت اعتراضاً على السياسات التوسعية وأكلافها.

في تركيا، وبعد النصف الأول من سنوات حكم «العدالة والتنمية» الذي اتسم بنجاحات اقتصادية باهرة، بدأ العد العكسي الذي تلازم مع تعاظم هيولي في المديونية ليجد تتويجه في نزاع إردوغان، وقد صار رئيساً للجمهورية، مع البنك المركزي، وإطلاقه نظرياته العشوائية في نسب الفائدة، ثم دعوته الأتراك إلى شراء الليرة المنهارة. إلى ذلك، سلم صهره بارات ألبيراق وزارة المال.

هذان التطوران قد يسقطان، وقد لا يسقطان، النظامين. لكن وظائفهما الخارجية ستتأثر حتماً. من المستبعد أن تستطيع إيران المفلسة المضي في تمويل شبكتها الممتدة من اليمن إلى غزة مروراً بالعراق وسورية ولبنان. ويرجح أنها سوف تحاول توريث العراق (ولبنان) بتحميله بعض أكلاف أزمتها. أما تركيا، فسوف ينهار تماماً ما تبقى من جاذبية النموذج الذي طرحه حزبها الحاكم ومشايعوه، أي ما وصف بـ «المصالحة (الأردوغانية) بين الإسلام والحادثة». وهذا بعد الضربات الموجعة الكثيرة التي نزلت تباعاً بهذا النموذج، لا سيما التجاوز المتماهي على الديموقراطية، وتالياً الإعلام والقضاء والمجتمع المدني، منذ المحاولة الانقلابية الفاشلة صيف ٢٠١٦.

هذه الانتكاسات الكبرى لا تكتمل من غير الإشارة إلى أحداث وتطورات سابقة عليها: في الجزائر، تراجعت كثيراً قوة الأحزاب الإسلامية، على ما دلت الانتخابات المحلية الأخيرة. في تونس، تعايشت «حركة النهضة»، أو قيادتها على الأقل، مع الواقع الجديد. في المغرب، رضي «حزب العدالة والتنمية» برئاسة الحكومة وكفى الله المؤمنين القتال. قبل ذلك، ومنذ ١٩٩٩ مع خلاف البشير والتراي، لم يعد الإسلاميون، بصفتهم هذه، يحكمون السودان. أهم من ذلك كله كانت إطاحة الرئيس الإخواني محمد مرسي في مصر، وأواسط ٢٠١٣، وصعود «داعش» ثم اندحارها في العراق، ومسؤولية التنظيمات الدينية المتطرفة، والمكملة لمسؤولية الأسد، عما آلت إليه أمور سورية، وسلطة «حماس» في غزة التي ضربت الرقم القياسي في رداءة الأنظمة اقتصاداً وتعليماً وحرّيات. وبألعابها الصغرى، أكانت على شكل معارك أم على شكل هُدن، باتت «حماس» تقدم لإسرائيل الذرائع المجانية كي تمارس فتكها المجنون بالمدنيين في غزة. لنا أن نتوقع أيضاً احتداماً في العلاقات البيئية لأطراف الإسلام السياسي العراقي بعد التزام حيدر العبادي بالسياسة الأمريكية حيال إيران.

هذا لا يعني أننا لن نشهد حركات اعتراضية راديكالية ودينية. فالأرض تزداد خصوبة لمثل هذه الحركات. المؤكد أن صفحة طويت، فيما على الجدد أن يفتحوا صفحات جديدة.

حرب الشرق الأوسط الكبرى عام ٢٠١٩

*الرائد نداف بين حور ومايكل آيزنشتات

أمريكان إنترست : ٢٥/٨/٢٠١٨

أثارت التوترات المتزايدة على الحدود الشمالية لإسرائيل مخاوف بشأن مواجهة أخرى بين إسرائيل و«حزب الله» أو اندلاع حرب بين إسرائيل وإيران في سوريا. وقد لا تقتصر حربٌ مماثلة على المشاركين الأصليين فحسب، بل قد تشمل مجموعةً من الميليشيات الشيعية وحتى نظام الأسد، كما يمكن أن تمتد إلى كافة أرجاء المنطقة - وبالتالي تؤثر على المصالح الأمريكية الحيوية هناك.

وتعود هذه التوترات إلى عاملين أساسيين هما: الجهود التي يبذلها «حزب الله» وسوريا - بمساعدة إيران - لإنتاج صواريخ عالية الدقة في لبنان وسوريا يمكن أن تشلّ البنية التحتية الحيوية لإسرائيل وتجعل الحياة هناك غير محتملة من جهة، وجهود إيران لتحويل سوريا إلى نقطة انطلاق للعمليات العسكرية ضد إسرائيل ومنصة لإبراز القوة في بلاد المشرق من جهة أخرى. ولكن في الوقت الذي تتبع فيه إيران أجندةً مناهضة لاستمرار الوضع الراهن، والتي غالباً ما تسببت في نزاع مع إسرائيل والولايات المتحدة، أظهرت أنها تسعى لتجنب الحروب التقليدية وما يترتب عليها من خسائر فادحة لقواتها. وبدلاً من ذلك، تعتمد على تنفيذ عمليات بالوكالة وإرهاب وأنشطة مؤثرة بل غير فتاكة. ومع ذلك، فقد كانت مستعدة في بعض الأحيان للمغامرة بنشاطات عالية المخاطر تنطوي على احتمالية التصعيد. (على سبيل المثال: قامت القوات الإيرانية في سوريا بإطلاق طائرة بدون طيار محملة بالمتفجرات في الأجواء الإسرائيلية في شباط/فبراير المنصرم) وقد تم إسقاطها، لكن الحادثة أثارت جولة من الاشتباكات).

ويبدو أن إسرائيل عازمة على تجنب الحرب أيضاً، رغم أن أفعالها تظهر أنها مستعدة لقبول خطر التصعيد لمواجهة هذه التهديدات الناشئة. وبالفعل، فمنذ عام ٢٠١٣، نفذت أكثر من ١٣٠ ضربة في سوريا ضد شحنات من الأسلحة الموجهة لـ «حزب الله»، ومنذ أواخر عام ٢٠١٧، وسعت هذه «الحملة بين الحروب» لاستهداف المنشآت العسكرية الإيرانية في سوريا - دون أن تؤدي، حتى الآن، إلى إثارة مواجهة أوسع نطاقاً.

إلا أن هذا هذا الشعور بالرضا ليس له مبرر. فقد جاءت المواجهات العربية - الإسرائيلية الكبرى في الماضي القريب (لبنان في عام ٢٠٠٦، وغزة في ٢٠١٤) نتيجة تصعيد غير مقصود. كما أن الديناميكية الناشئة بين إسرائيل، وإيران، و «محور المقاومة» كانت بمثابة صيغة لـ «حادث» ثالث كبير، ولذا تستحق التحليل الدقيق.

جهات فاعلة وجبهات ونطاقات متعددة

يبرز احتمال وقوع حرب أخرى - على نطاق لم يسبق له مثيل من حيث التعقيد - نتيجة للحرب الأهلية في سوريا، التي مكنت إيران من بناء بنية تحتية عسكرية في سوريا ونشر «فيلقها الأجنبي» الشيعي على حدود إسرائيل. وقد أصبح من الممكن الآن أن تندلع الحرب على جبهات متعددة وفي أماكن بعيدة وتدور على الأرض، وفي الجو، وفي البحر، وفي مجال المعلومات والنطاق السيران من قبل مقاتلين من «حزب الله»، وإيران، وسوريا، والعراق، وأفغانستان، وباكستان، وحتى اليمن. وفي هذا الإطار، سوف يخلق النطاق الموسع للحرب المحتملة خيارات عسكرية جديدة لإيران و «حزب الله»، ويوسع القدرات الإسرائيلية إلى أبعد حدودها.

وهذا ما جاء على لسان الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصرالله، وربما مع بعض المبالغة، عندما حذر في حزيران/يونيو ٢٠١٧ من أنه «إذا شنت إسرائيل حرباً ضد سوريا أو لبنان، فلا أحد يدري إن كان القتال سيبقى لبنانياً - إسرائيلياً، أو سورياً - إسرائيلياً»، و «قد يفسح ذلك الطريق أمام الآلاف، وحتى مئات الآلاف من المقاتلين من جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي للمشاركة». وبالمثل، صرح قائد «الحرس الثوري الإسلامي» الإيراني

محمد علي جعفري في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٧ أن "مسير جبهة المقاومة مترابط والجميع يقفون متحدون، وإذا هاجمت إسرائيل أي طرف منها، سيهب الطرف الآخر من الجبهة لمساعدته".

من المرجح أن تحدث مثل هذه الحرب نتيجة لتصعيد غير مقصود، في أعقاب إجراء إيراني آخر ضد إسرائيل من سوريا، أو في أعقاب ضربة إسرائيلية في لبنان أو سوريا (على سبيل المثال، ضد منشآت إنتاج الصواريخ). ويمكن أن تبدأ نتيجة لضربة أمريكية و/أو إسرائيلية على برنامج إيران النووي. وقد تحدث حتى نتيجة لصراع يبدأ في الخليج لكنه يصل إلى حدود إسرائيل - ربما نتيجة لتحركات إيرانية تحريرية (مثلما حاول صدام حسين عرقلة الحملة العسكرية الأمريكية لطرد القوات العراقية من الكويت عام ١٩٩١ بإطلاقه الصواريخ على إسرائيل).

ويمكن لحرب شمالية جديدة أن تأتي على شكل أحد السيناريوهات التالية:

حرب لبنان وما يزيد على ذلك: هي حرب بين إسرائيل و«حزب الله» في لبنان، لكن يشارك فيها أيضاً الإيرانيون وآلاف المقاتلين الشيعة الأجانب، وحتى «حماس» (التي أقامت وجوداً عسكرياً محدوداً في جنوب لبنان). وتبقى الجبهة السورية هادئة نسبياً، حيث تقوم إسرائيل هناك بأنشطة محدودة لاعتراض حركة المقاتلين والقدرات إلى داخل لبنان.

حرب في سوريا: وهي حرب تقع على الأراضي السورية بين القوات الإسرائيلية والقوات الإيرانية، والمليشيات الشيعية (بما فيها مقاتلي «حزب الله») وربما عناصر من الجيش السوري. وتبقى الجبهة اللبنانية هادئة نسبياً. ولكن، إذا تم انجراف القوات البرية السورية إلى القتال، فقد تتدخل روسيا لحماية موكلاتها.

حرب على جبهتين: وهي حرب في لبنان وسوريا بين القوات الإسرائيلية والقوات الإيرانية، و«حزب الله» والمليشيات الشيعية وربما حتى عناصر من الجيش السوري، حيث يعامل كلا الجانبين لبنان وسوريا كمسرح واحد، وموحد للعمليات.

وتتطوي هذه السيناريوهات الثلاثة على إمكانية التصعيد أو الامتداد إلى جبهات أو مساح ثانوية، ومشاركة عناصر إضافية على الشكل الآتي:

جبهات/مساح إضافية: قد تدفع الحرب في لبنان و/أو سوريا إلى قيام: هجمات على إسرائيل من غزة، أو اضطرابات في الضفة الغربية، أو هجمات إرهابية في إسرائيل أو هجمات من قبل الحوثيين على المصالح الإسرائيلية (مثل النقل البحري الإسرائيلي في مضيق باب المندب)، أو ضربات إسرائيلية على أهداف الحوثيين في اليمن أو هجمات صاروخية على إسرائيل من قبل المليشيات الشيعية في العراق، وضربات إسرائيلية مضادة. وبالفعل، حذرت بعض هذه المليشيات، من أن الضربات الإسرائيلية المضادة يمكن أن تسبب هجمات على أفراد أمريكيين في العراق.

إسرائيل ضد إيران: خلال القتال في سوريا أو لبنان، تهاجم إسرائيل إيران من أجل توجيه ضربة ضد الركيزة الأساسية لائتلاف العدو، وبالتالي التأثير على مسار الحرب. وفي المقابل، تزيد إيران من هجماتها على إسرائيل من سوريا أو لبنان، مصحوبة بهجمات من أراضيها، وقد يكون ذلك بعد تكبدتها خسائر فادحة في سوريا. كما بإمكان هذه التدابير اتخاذ شكل غارات جوية أو ضربات صاروخية و/أو هجمات إلكترونية مدمرة ضد الأهداف العسكرية والبنية التحتية الحيوية.

حرباً إقليمية: إنه سيناريو مع احتمال ضعيف/ذو تأثير قوي يتحول فيه الصراع في المشرق إلى حرب إقليمية تشمل المملكة العربية السعودية وربما الإمارات العربية المتحدة أيضاً. وترد إسرائيل على الهجمات على بنيتها التحتية الحيوية بالضربات الجوية أو الهجمات الإلكترونية على قطاع النفط الإيراني أو حتى منشآتها النووية - مع تشجيع من دول الخليج العربية وربما دعمها اللوجستي. وتقوم إيران بالرد على إسرائيل، لكنها تشن أيضاً هجمات

صاروخية أو تقوم بعمليات تخريبية أو تشن هجمات إلكترونية على منشآت النفط العربية في جميع أنحاء الخليج، مما يؤدي إلى حدوث تصعيد هناك، وربما حتى إلى تدخل عسكري من قبل الولايات المتحدة.

الاعتبارات في تصميم الحملة:

بالنسبة إلى إسرائيل، ينطوي التخطيط للحرب القادمة في شمال البلاد وخوض غمارها على تحديات غير مسبقة، وذلك بسبب الشكوك المتعلقة بعدد الجهات الفاعلة المنخرطة، وإمكانية القتال على جبهات، ومسارح ونطاقات متعددة (بما فيها الإنترنت)، ودور القوى العظمى. بالإضافة إلى ذلك، نظراً إلى التطور السريع للقدرات العسكرية لكلا الجانبين وللبيئة الجيوسياسية، وبما أن إيران بدأت بعملية ترسيخها في سوريا في الآونة الأخيرة فقط، فإن طبيعة الحرب المستقبلية ستتأثر إلى حد بعيد بتوقيتها. فالحرب التي قد تندلع في عام ٢٠١٩ ستكون مختلفة تماماً عن الحرب في عام ٢٠٢٥.

على الرغم من هذه الشكوك، تسمح التجارب الحديثة والتوجهات الحالية بتعميمات عديدة. فستكون الحرب القادمة في شمال إسرائيل أوسع نطاقاً بكثير من الصراعات السابقة. وقد تبدأ إسرائيل بحملة جوية مكثفة لمواجهة تهديد قذائف العدو وقوته الصاروخية وميليشياته، إلا أن التعامل الفعال مع هذا التهديد سيتطلب عمليات برية واسعة النطاق. ولن يكتفي أعداء إسرائيل بإطلاق الصواريخ والقذائف على المنشآت العسكرية الإسرائيلية، والمجمعات السكنية، والبنية التحتية الحيوية فحسب، بل سيحاولون استخدام القوات البرية للتسلل داخل الخطوط الإسرائيلية والاستيلاء على بعض القرى الإسرائيلية والمواقع العسكرية الصغيرة. ومن المرجح أن يستخدموا أيضاً الحرب الإلكترونية دعماً للعمليات العسكرية التقليدية (على سبيل المثال، لتعطيل الدفاعات الإسرائيلية الصاروخية)، وربما ضد البنى التحتية الحيوية، لتحقيق تأثيرات استراتيجية.

وفي النزاعات السابقة مع «حزب الله»، ركزت إسرائيل على القوات العسكرية للمنظمة، وقياداتها، وأخصائييها العسكريين، وعناصر من البنية التحتية اللبنانية التي سهّلت عملياتها. أما في الحرب المقبلة في شمال إسرائيل، فإن المعضلة حول ما إذا كان من الضروري تحديد أولويات التحرك ضد التهديدات المباشرة أو مراكز الثقل الخاصة بالعدو وعوامل التمكين الحاسمة ستكون أشد حدة. كما ينبغي بذل جهود كبيرة في تحديد مراكز الثقل التي يمكن أن تُستهدف للإسراع بإنهاء الحرب بشروط مؤاتية.

وتشكل روسيا طرفاً فاعلاً رئيسياً في سوريا ويمكن أن تكون عاملاً أساسياً في حرب مستقبلية. والاسئلة التي تطرح نفسها هنا، هل ستقف موسكو جانباً، أم أنها ستحد من قدرة إسرائيل على ضرب القوات الموالية للنظام في سوريا لمنع خسارة مكاسب الحرب الأهلية ضد نظام الأسد ما بعد عام ٢٠١٥؟ وهل ستبقى واشنطن غير منخرطة عسكرياً - ربما فيما يتخطى زيادة الدفاعات الصاروخية الإسرائيلية - أم أنها ستؤدي دوراً أكثر فعالية، وترى ذلك كفرصة لضرب إيران، وبالتالي تعمل على تحقيق هدفها في تقويض نفوذ هذه الأخيرة في المنطقة؟ اعتماداً على مجريات الأمور، يمكن لإسرائيل أن تواجه احتمالاً مثيراً للقلق، ألا وهو: الجهود الروسية الرامية إلى إحباط استخدامها للقوة الحاسمة، وتحفظ الولايات المتحدة، ودبلوماسية القوة العظمى غير الفعالة قد تمنع إسرائيل من تحقيق أهدافها العسكرية الكاملة - الأمر الذي لا يختلف تماماً عن خاتمة حرب تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣. وقد يؤدي ذلك إلى حرب طويلة الأمد، وربما إلى حرب تنتهي دون أن تحقق إسرائيل أهدافها.

التحديات التي تفرضها التعقيدات:

ستتطلب الحرب القادمة في شمال إسرائيل «تنفيذ» مفاهيم عملياتية جديدة وإعادة التفكير في "نهج الحرب" الذي ستعتمده إسرائيل، لا سيما مقاربتها للوصول إلى قرار عسكري عبر آليات الهزيمة المصممة خصيصاً للتصدي لخصومها. ويشتدّ التحدي الذي يواجهه المخططون كونهم يتعاملون مع تهديد ناشئ ومعقد، يشارك فيه العديد من

الجهات الفاعلة، التي تعمل على جبهات متعددة، ومن دون أي مركز ثقل محدد المعالم. بالإضافة إلى ذلك، يتعين على المخططين العسكريين الإسرائيليين مراعاة العديد من العوامل الأخرى عند مواجهة هذه البيئة العملياتية المعقدة وهي:

الغايات والسبل والوسائل: من المحتمل أن تتشكل أهداف الحرب الإسرائيلية من خلال الطبيعة التي تبدأ بها الحرب وسياقها الجيوسياسي. هل ستهدف إسرائيل إلى تحطيم قوات العدو وإضعاف معنوياتها؟ أم إلى تعطيل تماسك محور المقاومة؟ أم نزع مصداقية "عقيدة المقاومة" التي يعتمد عليها العدو؟ أم زعزعة استقرار سوريا و/أو إيران؟ أم ببساطة تجديد عملية الردع وتحقيق فترة طويلة من الهدوء؟ فكم هدفاً من هذه الأهداف يمكن تحقيقه؟ وهل يجب أن تركز إسرائيل على «حزب الله» ونصرالله؟ أم على البنية التحتية اللبنانية التي تسهل أنشطة «حزب الله»؟ أم على إيران وقائد «الحرس الثوري» سليمان؟ أم على الميليشيات الشيعية؟ أم على نظام الأسد؟ إلى أي مدى ينبغي التركيز على استهداف القوات الميدانية للعدو، والبنية التحتية العسكرية، والقيادة، والحوافز/الروح المعنوية، وكيف ينبغي على إسرائيل أن تحدد أولوية هذه الجهود وكيف ستبذلها؟ وأخيراً، كيف ستقوم إسرائيل بتخفيف حدة التوتر بين الضرورة الحتمية لإنهاء حروبها بسرعة بطريقة تستعيد فيها قوة الردع - الأمر الذي يتطلب منها إلحاق ضرر كبير بقوات العدو التي ستدمج بين المدنيين في كثير من الحالات - ورغبتها في تجنب التصعيد غير الضروري، إلى جانب الوفاء بالتزاماتها الخاصة التي ينص عليها قانون النزاعات المسلحة؟

صور النصر: لدى إسرائيل فرص أكبر للنجاح مقارنةً بأعدائها. فإذا كان بإمكان محور المقاومة أن ينشر صوراً لأعلامه التي ترفرف فوق المواقع أو القرى العسكرية الإسرائيلية التي تم الاستيلاء عليها (حتى لو تمت استعادتها في وقت لاحق)، وأن يضرب البنية التحتية الحيوية لإسرائيل، وأن يواصل إطلاق الصواريخ ضد إسرائيل في اليوم الأخير من القتال، فإنه سيعلن النصر. ومع ذلك، قد يتعذر على محور المقاومة الحفاظ على بريق هذه الإنجازات المفترضة في مواجهة الخسائر القتالية الكبيرة والدمار الواسع النطاق في لبنان وسوريا وحتى إيران.

نطاق العمليات: لطالما حاولت إسرائيل تجنب الحروب المتعددة الجبهات التي تتطلب منها تقسيم قواتها. وما لا يُعرف، بل أساسي، هو ما إذا كان «حزب الله» أو إيران سيحاولان تضيق نطاق الصراع مع إسرائيل أو توسيعه. فهل سيتحاشى «حزب الله» القتال في لبنان للحفاظ على أصوله العسكرية هناك، ويتجنب دمار واسع النطاق للبنية التحتية للبلاد، ويتفادى إثارة رد فعل سياسي؟ هل ستشارك القوات السورية بصورة نشطة في مثل هذه الحرب؟ هل ستشجع إيران الحوثيين على مهاجمة السفن الإسرائيلية في البحر الأحمر، أم أن الحوثيين سيقومون بهذه الخطوة دون أن يطلب منهم ذلك؟ هل سيقوم كل من «حزب الله» وإيران بشن هجمات إرهابية ضد المصالح الإسرائيلية منذ بداية الحرب، أم قد يحاولان وقف تصعيد الصراع التقليدي المدمر المحتمل في المشرق من أجل شن "حرب إرهابية خفية" أقل خطورة وأقل حدةً ضد المصالح الإسرائيلية في جميع أنحاء العالم؟ وهل قد تهدد إسرائيل بنقل الحرب إلى لبنان أو إيران من أجل منع المزيد من التصعيد وتعزيز قوة الردع؟

معضلة «حزب الله»: يملك «حزب الله» أكثر من ١٠٠ ألف قذيفة وصاروخ في لبنان - ما يكفي لكي تطغي على الدفاعات الإسرائيلية - رغم أن معظمها غير دقيق للغاية. ومن جهتها، تملك إيران آلاف الصواريخ الأخرى - إلا أن معظمها لا يستطيع الوصول إلى إسرائيل. أما سوريا، فبعد سبع سنوات من الحرب الأهلية، لم يبقَ لديها سوى عدد قليل نسبياً من الصواريخ - رغم أنها تحاول إعادة بناء هذه القدرة. وفي هذا الصدد، تُعتبر قوة الصواريخ والقذائف لدى «حزب الله» في لبنان عاملاً أساسياً لتحقيق تأثيرات استراتيجية حقيقية ضد إسرائيل. كما أن الافتراض الأساسي السائد على مدى العقد الماضي هو أن «حزب الله» سيكون المشارك الرئيسي في الحرب القادمة في شمال إسرائيل. لكن قد لا يكون الأمر كذلك، لأن هذا من شأنه أن يدعو إسرائيل إلى شن غارات جوية وعمليات برية ضخمة، ويؤدي إلى دمار واسع النطاق في لبنان - وهي نتيجة يريد تجنبها «حزب الله» على ما يُفترض. وهنا تكمن معضلة الحزب: كيف يمكنه استغلال إمكانات قوة الصواريخ والقذائف التي يملكها دون تدمير لبنان أو تعريض هذه الأصول الاستراتيجية للخطر، إذ قد تكون ضرورية في مرحلة لاحقة من الحرب لمواجهة التحركات الإسرائيلية

التصعيدية. وقد يكون هذا سبب قيام «حزب الله» (بمساعدة إيران) بتشكيل وكلاء خاصين به من السوريين والعراقيين للقتال من أجله في الجولان - وأيضاً سبب محاولة إسرائيل عرقلة بعض هذه الجهود.

إمكانية التعبئة: لا يوجد سوى عدد قليل من أفراد الفيلق الأجنبي الشيعي الخاص بإيران في سوريا (ربما ما بين ١٠ آلاف إلى ٢٠ ألفاً من بين ٢٠٠ ألف مقاتل أجنبي تدعي الجمهورية الإسلامية أنها قد دربتهم). وفي حال نشوب حرب غير متوقعة مع إسرائيل، قد يستغرق الأمر أسابيع كي تقوم إيران بنشر قوات الميليشيات الموجودة خارج سوريا. وستقوم إسرائيل باعتراضها دون أي شك، وهي في طريقها إلى الجبهة. وبسبب تناقص أعدادها ومستواها التدريبي المتدني نسبياً، قد لا تتمكن هذه القوى من دعم المجهود الحربي بشكل كبير.

محور التجاوز المفرط؟

غالباً ما يقوم أعضاء محور المقاومة بالتجاوز المفرط (على سبيل المثال، «حزب الله» ضد إسرائيل في عام ٢٠٠٦، وإيران ضد إسرائيل في سوريا عام ٢٠١٨) وقد يفعلون ذلك مجدداً عن طريق دفع إسرائيل إلى حرب مدمرة أخرى. وهذا من شأنه أن يضيق خياراتهم العسكرية بعد الحرب، ويُفشل المكاسب العسكرية التي تحققت بصعوبة، للقوات الموالية للنظام في سوريا، ويزيد من زعزعة استقرار لبنان وحتى إيران. لذلك، يجب على واشنطن أن تستخدم شبح خطورة مثل هذه النتائج لحث روسيا على كبح شركائها في محور المقاومة في أوقات الحرب.

التداعيات:

لن تكون الحرب القادمة على الجبهة الشمالية لإسرائيل، سواء بدأت في لبنان أو سوريا، مجرد تكرار أوسع وأكثر تدميراً لـ "حرب لبنان الثانية" عام ٢٠٠٦. إذ تضمن التطورات التي حدثت منذ ذلك الحين أن مثل هذه الحرب ستشمل على الأرجح العديد من الجهات الفاعلة، ومسرح عمليات أكبر، وتحديات غير مسبقة لإدارة التصعيد، وخوض الحرب وإنهاءها - وإمكانية اندلاع حرب إقليمية مستعرة.

وتتطلب البيئة العملياتية الناشئة المعقدة تحليلاً تفصيلياً لتداعياتها على الولايات المتحدة وإسرائيل من خلال المناورات الحربية، والتشكيلات الحمراء، وجهود التخطيط المشتركة، وتطوير مفاهيم جديدة للعمليات الإسرائيلية وتحديد الأولويات والتنفيذ التدريجي المناسب للعمليات العسكرية، وتحديد مراكز ثقل العدو واستهدافها، وموقف دبلوماسي عسكري أمريكي ناشط لضمان عدم تحول الحرب المحلية المروعة المحتملة إلى صراع إقليمي مدمر ومزعزع للاستقرار.

ومع ما تقدّم ذكره، يشير التقييم السابق إلى عدة سُبل يمكن من خلالها أن تشكل الولايات المتحدة وإسرائيل البيئة العملياتية لتعزيز احتمالات التوصل إلى نتيجة تتوافق مع مصالحهما المشتركة فيما يتعلق بإيران ومحور المقاومة الخاص بها، في حال اندلاع الحرب:

استغلال عزوف إيران عن التصعيد: تسعى إيران بشكل عام إلى تجنب الحروب التقليدية أو ردعها، وهي حساسة تجاه التهديدات التي تطال النظام والوطن. وعليه، يتعين على صانعي القرار الأمريكيين والإسرائيليين استخدام إمكانية التصعيد الكامنة في حرب شمالية محتملة لردع إيران عن الأعمال التي قد تؤدي إلى مثل هذا الصراع في المقام الأول، أو انتشاره إلى إيران - الأمر الذي قد يهدد المصالح الاقتصادية الحيوية لإيران، (على سبيل المثال، إذا تم ضرب بنيتها التحتية النفطية)، واستقرار نظام الأسد في سوريا.

دعم "الحملة ما بين الحروب" التي تقودها إسرائيل في سوريا: سبق أن أدت المحاولات الإسرائيلية لتعطيل الحشد العسكري الإيراني في سوريا إلى إثارة بعض الاشتباكات هناك. ومع ذلك، قد تقلل مثل هذه الجهود من حاجة إسرائيل إلى اتخاذ إجراءات وقائية في أوقات الأزمات، ومن احتمالات التصعيد في زمن الحرب، ومقدار الضرر الذي قد

تحدثه الحرب المستقبلية. وفي هذا الإطار، يجب على الحكومة الأمريكية دعم هذه الجهود وتعزيز الدبلوماسية الإسرائيلية مع روسيا للحفاظ على حرية التصرف العسكرية الإسرائيلية في سوريا. كما يجب أن توضح ضمناً لروسيا بأن الحرب في سوريا قد تعرض الإنجازات العسكرية الأخيرة التي حققتها موسكو هناك إلى الخطر، وذلك من خلال تشجيع الجماعات المتمردة السورية الناجية على استئناف قتالها ضد نظام الأسد الواهن.

إبقاء < حزب الله > في الخارج: بسبب حجم ترسانة الصواريخ والقذائف التي يملكها «حزب الله» وحجم القوات البرية التابعة له، فإن إبقاء الجزء الأكبر من قوات الحزب خارج الحرب في شمال إسرائيل، ومنع انتشار مثل هذه الحرب إلى لبنان، قد يسهّلان إلى حد كبير الجهود المبذولة لمنع تحوّل حرب محلية إلى حرب أكبر بكثير، وربما من إشعال فتيل حرب إقليمية.

إبقاء القوات الأمريكية "داخل" سوريا: إن تواجد وحدة عسكرية أمريكية، حتى لو كانت صغيرة، في شمال شرق سوريا قد يثني الميليشيات الشيعية الموالية لإيران عن التحرك عبر هذه المناطق نحو الجبهة مع إسرائيل في زمن الحرب، وقد يحدّ من حركتها نحو بعض الطرق في جنوب شرق سوريا – وبالتالي يسهّل اعتراضها من قبل إسرائيل. ولهذا السبب ولأسباب أخرى عديدة، يجب أن يحافظ الجيش الأمريكي على وجود بري محدود في شمال شرق سوريا.

تعزيز التعاون العربي-الإسرائيلي: إن احتمال اندلاع حرب بين إسرائيل وإيران ومحور المقاومة التابع لها يثير تساؤلات حول إسهامات سرية أو ضمنية في المجهود الحربي المشترك من قبل دول عربية مختلفة. ينبغي على واشنطن أن تحثّ على التنسيق والتعاون العسكري الهادئ بين إسرائيل وهذه الدول، الأمر الذي قد يُعقّد بشكل كبير التخطيط للحرب وخوضها بالنسبة لإيران ووكلائها.

إنهاء الحرب: شكل إنهاء الصراع تحديات كبيرة في النزاعات العربية الإسرائيلية الأخيرة، كما أن تعدد الجهات الفاعلة ذات المصالح المتنوعة المشاركة في حرب الجبهة الشمالية سيجعل هذا الأمر أكثر تعقيداً من ذي قبل. فبعد الحرب الباردة، لم تعد الدول الكبرى تشعر بالحاجة إلى التدخل لمنع هزيمة موكلها أو لتجنب مواجهة بين القوى العظمى. ومع ذلك، فقد عادت روسيا إلى سوريا، وقد تقرر كبح جماح إسرائيل أو شركاء سوريا في محور المقاومة أم لا. لكن السلوك الروسي، وإن كان غامضاً إلى حد ما على المستوى العملي، يمكن أن يضمن أن الحرب القادمة ستكون طويلة. ويكمن التحدي بالنسبة للدبلوماسية الأمريكية والإسرائيلية في التوصل إلى تفاهات مستدامة مع روسيا لضمان اضطلاعها بدور بناء خلال الحرب القادمة، وفي الجهود المبذولة لإنهائها. وقد تكون روسيا غير مستعدة أو غير قادرة على القيام بذلك، ولكن عدم استكشاف الامكانيات قد ينمّ عن انعدام المسؤولية.

ويؤكد هذا الواقع على ضرورة قيام إسرائيل بتطوير مفاهيم عملية قابلة للتطبيق، و"مقاربات جديدة للحرب"، وآليات هزيمة ذات مصداقية، لكي يتسنى لها اتخاذ قرار وإنهاء حروب مستقبلية بالشروط التي تحددها. كما يسلّط الضوء على ضرورة بقاء الولايات المتحدة منخرطة في المنطقة لكي تتمكن، إذا ما اندلعت الحرب، أن تضمن تمتع إسرائيل بحرية التصرف لتحقيق أهدافها الحربية، وبالتالي تعزيز المصالح الأمريكية في مواجهة النفوذ الإيراني في المنطقة وتقليصه.

*الرائد نداف بين حور: عسكري بالجيش الإسرائيلي، وزميل عسكري زائر في معهد واشنطن.

*مايكل آيزنشتات: زميل "كاهن" ومدير برنامج الدراسات العسكرية والأمنية في معهد واشنطن.

*ترجمة: المركز الكردي للدراسات

معادلة تقاسم النفوذ في العالم العربي وآثارها المدمرة

*غازي دحمان

"عربي ٢١: ٢٥/٨/٢٠١٨"

على الرغم من الشكل الفوضوي الظاهري، لانخراط القوى الخارجية في الصراعات والأزمات العربية، والتدخلات الواضحة في أدوارها ومجالات تحركها، إلا أن ثمة تفاهما، يصعب إخفاؤه، ساهم بدرجة كبيرة في ضبط علاقات هذه القوى ضمن سياقات مشاريعها الجيوسياسية للمنطقة، وهذا ما يفسر بدرجة كبيرة أسباب ارتفاع منسوب التآزم في القضايا العربية، بتناسب طردي مع الانفراجات الدائمة في علاقات هذه الأطراف، أو على الأقل نجاتها من التصادم البيني بينها، رغم تعقد وتشابك الأزمة وإجهاض حلول الأزمات بشكل دائم.

يقوم هذا التفاهم على قاعدة أن منطقة الشرق الأوسط واسعة على طرف واحد، ذلك أن القوى التي تريد ضم هذه المنطقة إلى خانة مناطق نفوذها، عليها أن تتولى أمر إدارة صراعاتها اللامتناهية وضبط توازناتها الآيلة إلى التفلت على الدوام، وهو ما يرهق أي قوة مهما بلغت قدراتها وإمكاناتها، وهذا ما حصل مع أمريكا التي غرقت في صراعات المنطقة، من الفترة ١٩٩٠ إلى بداية هذا العقد، وشكّل هذا الواقع محركاً لطلب تيار أمريكي واسع الانسحاب من رمال الشرق الأوسط، التي يصعب على أي قوة تحقيق الانتصار الناجز فيها، إلى جنوب شرق آسيا حيث الريح الصافي في منطقة مزدهرة وواعدة.

منطقة الشرق الأوسط واسعة على طرف واحد، ذلك أن القوى التي تريد ضم هذه المنطقة إلى خانة مناطق نفوذها، عليها أن تتولى أمر إدارة صراعاتها اللامتناهية وضبط توازناتها الآيلة إلى التفلت على الدوام، لكن في الوقت ذاته، لا تتسع المنطقة لأكثر من طرفين يديرانها ويضبطان صراعاتها، وهذه المعادلة استقرت منذ بداية القرن الماضي، حين تقاسمت بريطانيا وفرنسا النفوذ في المنطقة، وأبعدتا أي نفوذ لألمانيا وإيطاليا، فيما جرى حصر النفوذ الإسباني في زاوية ضيقة في أقصى صحراء المغرب، كما تم إخراج روسيا من المعادلة، رغم أن حصتها من تقاسم النفوذ، حسب اتفاقات سان ريمون تركزت خارج البلاد العربية، في إيران.

ولتجاوز هذه الإشكالية المتمثلة بعدم إمكانية استيعاب أكثر من لاعبين في المنطقة العربية، فقد جرى حل الأزمة عبر لعبة المنظومات، حيث تشكل أمريكا رأس منظومة، فيما تشكل روسيا (أو الاتحاد السوفييتي سابقاً) رأس المجموعة المقابلة، على أن يتم احتساب النفوذ الذي تحققه القوى الفرعية "الإقليمية" في إطار مكاسب المنظومة التي تنتمي لها. وتم استيعاب الطاقات الإقليمية وتشغيلها ضمن مدار القوى الدولية المحركة، بهدف استهلاك هذه القوى من جهة، وتنظيم الصراع بين الأقطاب من جهة أخرى.

وقد صبغ هذا الوضع، على الدوام، مكاسب الأطراف الإقليمية، بصبغة المؤقت والمتحرك، وليس الثابت والدائم، وذلك لكون استمراره مرهونا ببقائه تحت مظلة القوى الأساسية من جهة، ولكونه رصيذا قابلا للتفاوض عليه بين الطرفين الأساسيين، أو رهينة لدى الأطراف الإقليمية إلى حين الطلب. وكانت أولى

تطبيقات هذه الحالة في التسويات التي جرت بين إسرائيل والدول العربية بطلب أمريكي، ونراه اليوم بوضوح في الصراع السوري، حيث فرضت روسيا على إيران الانسحاب من جنوب البلاد“ تطبيقاً لتفاهات مع أمريكا، وكذلك اضطرار تركيا لعقد تفاهات مع أمريكا وروسيا للاعتراف لها بأدوار مؤقتة في شمال سوريا.

ليست الوقائع المدمرة التي تعيش في ظلها سوريا والعراق واليمن وليبيا وفلسطين سوى انعكاس أمين لتطبيق هذه المعادلة. وليس ثمة ما يبشر بإمكانية العدول عن هذه المعادلة“ لأنها ببساطة تبدو مناسبة لأطرافها

لم يأت صراع النفوذ بين الأقطاب الدولية، وتوابعها الإقليمية على المنطقة العربية من فراغ، فالمنطقة على الدوام كانت تنطوي على مزايا استراتيجية واقتصادية حاکمة، بمعنى أن مواردها ذات تأثير فعلي على حركة التطور العالمية، ورمانة الميزان الاستراتيجي الدولي، لموقعها الجغرافي المتحكم بالمعابر الدولية، وثرواتها من النفط والغاز، وهي موارد ضرورية لأي قوة ترغب في التربع على عرش السيادة العالمية، لدرجة أصبح معها مقدار السيطرة والنفوذ في الشرق الأوسط يشكل أحد المعايير الأساسية لوضع دولة ما في خانة الدول العظمى، وتجربة روسيا في هذا الإطار ما زالت حيّة، ذلك أن مكانة روسيا الدولية ما قبل التدخل في سوريا غيرها تماماً ما بعد التدخل، حيث فرضت نفسها لاعب دولي بجدارة.

تحقق مثل هذا الأمر لن يتم بدون إصلاح المجال السياسي العربي وإعادة صياغته بصيغة مختلفة، ومغادرة الحالة الراهنة المتمثلة بإدارة شؤون السياسة والمجتمع في البلاد العربية بأدوات القرن الماضي ليس صعباً اكتشاف مدى الضرر الذي تلحقه هذه المعادلة في الواقع العربي، الراهن والمستقبلي، وليست الوقائع المدمرة التي تعيش في ظلها سوريا والعراق واليمن وليبيا وفلسطين سوى انعكاس أمين لتطبيق هذه المعادلة. وليس ثمة ما يبشر بإمكانية العدول عن هذه المعادلة“ لأنها ببساطة تبدو مناسبة لأطرافها، سواء لجهة جدواها ونتائجها المتحققة، أو لانخفاض تكاليفها بالنسبة لتلك الأطراف. والمشكلة أن هذه المعادلة ستبقى صالحة لأزمة قادمة ما دامت قادرة على تحقيق المنفعة لأطرافها، وما دامت صالحة لإدارة التنافس والصراعات بين تلك الأطراف، وليس مهماً حجم تأثيرها على المجتمعات العربية، التي دخلت في طور التعفن، رغم ظاهرة الاستقرار الشكلية في أكثر من بلد.

وهذا ما يطرح ضرورة البحث عن سياسة عربية تهدف إلى كسر هذه المعادلة“ لأن استمرارها يعني حكماً فقدان قدرة العرب على التحكم بمصائرهم وتحديد شكل مستقبلاتهم. ولكي نكون واقعيين، فإن تحقق مثل هذا الأمر لن يتم دون إصلاح المجال السياسي العربي وإعادة صياغته بصيغة مختلفة، ومغادرة الحالة الراهنة المتمثلة بإدارة شؤون السياسة والمجتمع في البلاد العربية بأدوات القرن الماضي والعيش جسدياً بالقرن الحالي.

العالم يخسر كوفي أنان «الوجه الأرستقراطي» للدبلوماسية الدولية

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٥/٨/٢٠١٨

نيويورك: علي بردى: بغياب الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي أنان، يخسر العالم من كان يعتبر أحد أهم شخصياته السياسية والدبلوماسية والرمز الكاريزماتي الذي ارتقى كل درجات سلم المراتب في المنظمة الدولية ليصير أمينها العام الأفريقي الأول، الذي فاز بجائزة نوبل للسلام وظلّ أيضاً مرجعاً لمن بعده في هذا المنصب وسواهم حتى الأشهر الأخيرة قبل وفاته السبت في سويسرا عن ٨٠ عاماً. وأعلنت المؤسسة التي تحمل اسمه في تغريدة على «تويتر» أن الوفاة حصلت في سويسرا، مضيفاً أنه توفي بعد مدة قصيرة من إصابته بالمرض. ولكنها لم تحدد سبب الوفاة. وأضافت أن زوجته الثانية ناني وأبناءه أما وكوجو ونينا كانوا بجواره في أيامه الأخيرة. وأفادت بأنه «أينما كانت هناك معاناة أو حاجة، اتصل وتواصل مع أناس كثيرين بعطف وتعاطف عميقين».

وقال مصدران مقربان من أنان، الذي يحمل جنسية غانا، إنه توفي في مستشفى بيرن بسويسرا في الساعات الأولى من صباح السبت.

وأضى أنان حياته المهنية بالكامل إدارياً في الأمم المتحدة. وساعده أسلوبه الذي كثيراً ما وصف بأنه «أرستقراطي» وأناقته الهادئة وذكاؤه السياسي في توجيه صعوده ليصير أمينها العام السابع، وهو الأول الذي يُعين لهذا المنصب من داخل المنظمة. وخدم ولايتين من ١ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٧ حتى ٣١ ديسمبر (كانون الأول) ٢٠٠٦، وتوجت في منتصفها تقريباً عندما جرى منحه هو والأمم المتحدة جائزة نوبل للسلام عام ٢٠٠١. وبعد انتهاء ولايته في الأمم المتحدة، تقاعد أنان وأقام في قرية سويسرية قريبة من مدينة جنيف. وتزوج مؤسسته التي تأسست قبل عشر سنوات للحكم الرشيد والتحول في مجال الزراعة بأفريقيا. ولكنه ظل مناصراً قوياً للقضايا العالمية من خلال مؤسسته.

وخلال توليه المنصب، كان أنان على رأس بعض أسوأ الإخفاقات والفشائخ في المنظمة الدولية، في واحدة من أكثر الفترات اضطراباً في العالم منذ تأسيس الأمم المتحدة عام ١٩٤٥. وأرغمته التحديات من البداية على تمضية معظم وقته في الكفاح من أجل استعادة سمعته الملتصقة. وتمكن إلى حد كبير من صون رفعة الأخلاقية من الشوائب، بفضل الكاريزما التي اتسم بها وبفعل التفاوض مع معظم القوى في العالم. وعندما غادر الأمم المتحدة، ترك منظمة دولية أكثر انخراطاً في حفظ السلام ومحاربة الفقر، ووضع إطار عمل لاستجابة الأمم المتحدة في القرن الحادي والعشرين للفضائح الجماعية ولتأكيداها على حقوق الإنسان والتنمية. ونعاه الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش في بيان قائل إن أنان «كان قوة موجهة للخير»، فضلاً عن أنه كان يجسد منظمة الأمم المتحدة، التي ترقى بين صفوف الموظفين فيها ليقودها إلى الألفية الجديدة بعزم وإباء لا مثيل لهما.

وأضاف أنه يفخر بأن أنان كان صديقاً ومرشداً له، وبأنه اختاره ليكون مفوضاً سامياً لشؤون اللاجئين تحت قيادته. وقال: «ظلّ أنان شخصاً ألجأ إليه دائماً لطلب المشورة والحكمة، وأعلم أنني لم أكن وحدي في ذلك» لأنه «أتاح للناس في كل مكان مجالاً للحوار ولحل المشكلات ومساراً لإيجاد عالم أفضل»، معتبراً أنه «في هذه الأوقات الصعبة، لم يتوقف أنان عن العمل لتجسيد قيم ميثاق الأمم المتحدة»، مؤكداً أن «إرثه سيظل مصدر إلهام لنا جميعاً». وقال أيضاً إنه «في نواح كثيرة كان كوفي أنان هو الأمم المتحدة. ترقى في السلم الوظيفي حتى قاد المنظمة إلى ألفية جديدة بكرامة وتصميم منقطعي النظر».

وقدم غوتيريش تعازيه لزوجته كوفي أنان، ناني، ولذويه ولكل من يشعر بالحزن لوفاته «ابن أفريقيا الأبى الذي صار بطلاً عالمياً للسلام من أجل البشرية جمعاء». وكتب غوتيريش في تغريدة على «تويتر» أن «كوفي أنان كان قوة موجهة للخير، شارك العالم الحداد على وفاته. في هذه الأوقات المضطربة والعصيبة، سيظل إرثه، باعتباره بطلاً عالمياً للسلام، مصدر إلهام حقيقياً لنا جميعاً».

وحتى عندما صار خارج المنصب، لم يغادر أنان قط مدار الأمم المتحدة. عاد إليها في أدوار خاصة، بما في ذلك المبعوث الخاص المشترك للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية إلى سوريا عام ٢٠١٢. واستقال بعد إخفاق قوى عالمية في الوفاء بالتزاماتها، قائلاً: «خسرت قواتي وأنا في الطريق إلى دمشق».

وتولى أنان المنصب الأرفع على قمة الأمم المتحدة بعد ست سنوات من انهيار الاتحاد السوفياتي وترأس خلال عقد، اتحاد العالم فيه ضد الإرهاب بعد هجمات ١١ سبتمبر (أيلول) ثم انقسم بشدة على الحرب بقيادة الولايات المتحدة ضد العراق. واختبرته العلاقة مع الولايات المتحدة كزعيم دبلوماسي عالمي.

عارض بحزم الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣. وقال في مقابلة مع مجلة «تايم» في فبراير (شباط) ٢٠١٣ بمناسبة نشر مذكراته «عمليات التدخل: الحياة في الحرب والسلام»: «أعتقد أن اللحظة الأهلك لدي كانت حرب العراق، والحقيقة أننا لم نستطع إيقافها». وفي المقابلة المسجلة على شريط فيديو، التي نشرها موقع مؤسسة «كوفي أنان» على الإنترنت، أضاف: «عملتُ بجدٍ - كنتُ أتصل عبر الهاتف لأتحدث مع الزعماء في أنحاء العالم. لم تحظَ الولايات المتحدة بالدعم في مجلس الأمن». وزاد: «لذلك قرروا الذهاب من دون المجلس. لكنني أعتقد أن المجلس كان على حق في عدم الموافقة على الحرب». وسأل: «هل يمكن أن تتخيلوا إذا كانت الأمم المتحدة أيدت الحرب في العراق، كيف ستكون سمعتنا؟ على رغم ذلك آنذاك، قال الرئيس (جورج دبليو) بوش إن الأمم المتحدة تتجه إلى أن تكون عديمة الصلة، لأننا لم ندعم الحرب. الآن نحن نعرف بشكل أفضل».

رغم مهاراته الدبلوماسية الحذقة، لم يخش أنان إطلاقاً التحدث بصراحة. لم يحصل على تأييد شعبي كافٍ بسبب ذلك، لا سيما في حال إدارة بوش، حيث أمضى معسكر أنان الكثير من الوقت في التشاحن معها. ومضى الكثير من فترة ولايته الثانية على خلاف مع الولايات المتحدة، المساهم الأكبر في الأمم المتحدة، بينما كان يحاول الاعتماد عليها لدفع ما يقرب من ملياري دولار من المتأخرات.

وتعرض أنان للانتقاد عندما كان رئيساً لعمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام بسبب إخفاق المنظمة الدولية في وقف الإبادة الجماعية التي وقعت في رواندا في التسعينات من القرن الماضي. وارتبط اسمه أيضاً بجهود السلام لإعادة توحيد شطري جزيرة قبرص، إذ تقدم بمسودة خطة لإعادة توحيد الجزيرة لكن القبارصة اليونانيين رفضوها في استفتاء عام ٢٠٠٤.

وخلال مقابلة مع برنامج «هارد توك» في هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي» في أبريل (نيسان) الماضي بمناسبة عيد ميلاده الثمانين، قال أنان: «يمكن تحسين الأمم المتحدة، إنها ليست مثالية (...) أنا متفائل عنيد. ولدت متفائلاً وسأظل متفائلاً».

وعندما كان كبير الموظفين الدوليين، كان من أولوياته برنامج الإصلاح الشامل لتعزيز منظومة الأمم المتحدة وجعل النظام العالمي أكثر فعالية. وكان مدافعاً ثابتاً عن حقوق الإنسان وسيادة القانون والأهداف الإنمائية للألفية وأفريقيا. وحرصاً منه على أن تكون الأمم المتحدة أكثر قرباً للجمهور العام، عزز علاقات المنظمة الدولية بالمجتمع المدني والقطاع الخاص وشركاء آخرين. وبمبادرة منه، عززت قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام بشكل مكن المنظمة من التكيف مع الزيادة السريعة في عدد عمليات وأفراد حفظ السلام.

وبناء على دعواته، أنشأت الدول الأعضاء لجنة بناء السلام، ومجلس حقوق الإنسان. كما قام بدور محوري في إنشاء الصندوق الائتماني الدولي لمحاربة الإيدز والسل والملاريا، واعتماد استراتيجية الأمم المتحدة الأولى لمكافحة الإرهاب، وفي قبول الدول الأعضاء مبدأ «مسؤولية الحماية» لضمان حماية الناس من الإبادة الجماعية وجرائم الحرب والتطهير العرقي والجرائم ضد الإنسانية.

الوجه الآخر.. إرث كوفي انان الذي لم يخضع للمساءلة أو المحاسبة

*فيليب غوريفيتش

مجلة نيويورككر : ٢٥/٨/٢٠١٨

ترجمة وتحرير: نون بوست: خلال العشر سنوات التي قضاها كأمين عام للأمم المتحدة، كان كوفي انان غالبا ما يوصف بالشخصية الهادئة على نحو غير طبيعي. فقد بدا، حتى لأولئك الذين عملوا معه بشكل وثيق، كرجل لا يغضب، ولا يأخذ الأمور على محمل شخصي مطلقا، وهي ميزة انعكست حتى على أسلوبه في الخطاب الذي يستخدم فيه "نحن"، حتى عندما تكون الأمور على المحك. وغالبا ما كانت قدرة انان على إبراز هذه الشخصية الهادئة، التي تعد بمثابة الوسيط النزيه بين المصالح المتضاربة، تعتبر من أهم نقاط القوة لديه عموما. ومن ناحية أخرى أكثر عمقا، كانت انطوائيته أحد أبرز نقاط ضعفه.

قبل أن يصبح أمينا عاما للأمم المتحدة سنة ١٩٩٧، شغل انان منصب رئيس عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، وتولى بناء على ذلك رئاسة التحقيقات حول الإخفاقات الفاضحة لمهام الأمم المتحدة في كل من الصومال ورواندا والبوسنة. لكن، إلى غاية وفاته، يوم السبت الماضي في سويسرا، أصر انان على إنكار أي مسؤولية تخص شخصه أو المنظمة التي كان يرأسها تجاه هذه الخروقات، حتى عند حديثه المتكرر عن حاجة العالم الماسة إلى قيادة مسؤولة أكثر "ورؤساء جيدين وقرارات متزنة". وقد تطرق انان إلى ذلك في مقابلة مع "بي بي سي"، في شهر نيسان/ أبريل، خلال ظهور علني له بمناسبة عيد ميلاده الثمانين.

كانت إحدى البرقيات الأربع التي ذكرها انان تتألف من تقرير مفصل بشكل خطير، عن الاستعدادات للإبادة الجماعية، تم إرساله من قبل قائد القوات في كينغالي، الجنرال الكندي روميو دالير، في كانون الثاني/ يناير من سنة ١٩٩٤. لقد كانت الصورة الهادئة التي كان يروج لها انان لا تتعدى كونها مجرد صورة. فلا شك أن الجانب الغاضب من شخصيته الخشنة قد ظهر، على سبيل المثال، في برقية قام بإرسالها سنة ١٩٩٥، عشية الذكرى الأولى للإبادة الجماعية في رواندا، إلى مسؤول آخر في الأمم المتحدة. وقد كانت سخريته واضحة في الجملة الأولى، حيث كتب: "لقد كانت بعض ملاحظات المدافعين عن حقوق الإنسان أو الصحفيين التي عادة ما تظهر بين الحين والآخر على وسائل الإعلام، إما من قبلهم أو من قبل أشخاص آخرين، قد حذرت بعثة الأمم المتحدة لحفظ السلام في رواندا من إبادة جماعية وشيكة".

من ثم، أضاف انان قائلا: "لا نتذكر أي تقارير مفصلة تلقيناها من كينغالي في هذا الغرض". وقد أكدت إعادة النظر في ملفات حفظ السلام أنه لم يتم تلقي سوى أربع برقيات من كينغالي في الأشهر التي سبقت الإبادة الجماعية والتي ذكرت أن "التوترات العرقية قد تكون مرتبطة، أو غير مرتبطة، بحوادث عنف معينة".

لكن، في الواقع، كانت إحدى البرقيات الأربع التي ذكرها انان تتألف من تقرير مفصل بشكل خطير، عن الاستعدادات للإبادة الجماعية، تم إرساله من قبل قائد القوات في كينغالي، الجنرال الكندي روميو دالير، في كانون الثاني/ يناير من سنة ١٩٩٤. وقد علم دالير من مصدر موثوق به بكشوف مرتبات الحزب الحاكم في رواندا، كما كشف له عن خطط "لإشعال فتيل حرب أهلية"، وقتل قوات حفظ السلام البلجيكية من أجل إسقاط بعثة الأمم المتحدة هناك. وقال المصدر نفسه إنه شارك في وضع قوائم بأسماء أفراد مجموعات التوتسي في كينغالي، الذي أكد دالير "أنه يشك في إمكانية أن تتم إبادتهم. وذكر الجنرال الكندي قدرة قواته على قتل ما يصل إلى ألف منهم في عشرين دقيقة".

عادة انان في التحدث باسم الأمم المتحدة عند تعرضه لانتقادات، أو حين يلقي اللوم على العالم بأسره لفشل المنظمة، تتناقض بشكل كبير مع رغبته في نسب الفضل لنفسه عندما يكون هناك مديح

عندما طلب دالير الإذن باتخاذ إجراءات بناء على هذه المعلومات ومداومة مخابئ الأسلحة غير القانونية والاستيلاء عليها، رد مكتب انان على الفور، في برقية باسمه، ووقعت من قبل نائبه، أخبر فيها دالير بعدم اتخاذ أي إجراءات. وبدلا من ذلك، طلب منه اتباع البروتوكول الدبلوماسي ومشاركة المعلومات التي بحوزته مع الرئيس الرواندي، رئيس الحزب الذي أراد دالير التحرك ضده. وبعد ثلاثة أشهر، وتحديدًا في نيسان/ أبريل سنة ١٩٩٤، حدث ما وصفه دالير في تحذيره، وخلال مائة يوم تم ذبح حوالي مليون شخص من التوتسي.

في آيار/ مايو سنة ١٩٩٨، عندما قمت بنشر تقرير عن الفاكس الذي أرسله دالير ورد انان عليه، رفض هذا الأخير، الذي تمت ترقيته آنذاك إلى منصب الأمين العام، أسئلة الصحفيين بشأن هذه المسألة، قائلا إن "هذه القصة قديمة وقد تم تحريفها". وقد قال مؤكدا: "لا أشعر بأي ندم". بعد مرور سنة، وعندما أشار التحقيق الذي أجرته الأمم المتحدة إلى أن السبب وراء عدم رغبة انان في مشاركة المعلومات الموجودة في فاكس دالير مع مجلس الأمن كان غير مفهوم، ظل انان هادئا وكأن الأمر لا يهمه. وفي هذا الصدد، قال انان: "علينا جميعا أن نأسف بشدة لأننا لم نبذل قصارى جهدنا لمنع ذلك. لذلك، وبالنسبة عن الأمم المتحدة، أقر بهذا الإخفاق وأعبر عن ندمي الشديد".

في الحقيقة، كان انان أول أمين عام يتمتع بسيرة مهنية طويلة في إصلاح بيروقراطية الأمم المتحدة. وقد كتبتُ عنه مقالا سنة ٢٠٠٣، خلال الفترة التي سبقت حرب العراق، حيث تحدثت عن خلفيته وكيف قامت بتشكيل سلوكه وردود أفعاله. وقد كتبت في ذلك الوقت أن "عادة انان في التحدث باسم الأمم المتحدة عند تعرضه لانتقادات، أو حين يلقي اللوم على العالم بأسره لفشل المنظمة، تتناقض بشكل كبير مع رغبته في نسب الفضل لنفسه عندما يكون هناك مديح".

فضلا عن ذلك، أوضحتُ أن "هذا يعد رد فعل متأصل بين مسؤولي الأمم المتحدة. فهم غالبا ما يلقون باللوم على الدول الأعضاء في إخفاقات المنظمة، تماما مثلما تلقي الدول الأعضاء باللوم على الأمم المتحدة. وعلى الدوام، هناك شكاوى عديدة من الطرفين، ولكننا لا يمكن أن نحكم عليها على نحو صحيح وفقا للمعايير ذاتها".

قاوم انان، كونه أمينا عاما، الإغراءات التي تدعو إلى تقديم المزيد من الوعود الكاذبة المتعلقة بالحماية، التي لا طالما خرقتها الأمم المتحدة مرارا وتكرارا أثناء توليه منصب الوكيل العام لعمليات حفظ السلام، ولهذا تم الترحيب به كمصلح بصفته الأمين العام، سعى انان إلى المطالبة بأن تكون الأمم المتحدة صاحبة القرار الأخير عندما يتعلق الأمر بالشرعية وتطبيق القانون المتعلق بالعلاقات الدولية. ومع ذلك، فإن المفارقة في تلك السلطة هي أنها مستمدة بالكامل من السلطات السيادية التي تريد فرض سيطرتها. ويبدو أن إصرار انان على أنه لا يجب توجيه اللوم للأمم المتحدة بسبب فشلها، وأنها يجب أن تحصل على ائتمان في حال نجاحها، فشل في حل هذا التناقض.

كما قاوم انان، كونه أمينا عاما، الإغراءات التي تدعو إلى تقديم المزيد من الوعود الكاذبة المتعلقة بالحماية، التي لا طالما خرقتها الأمم المتحدة مرارا وتكرارا أثناء توليه منصب الوكيل العام لعمليات حفظ السلام، ولهذا تم الترحيب به كمصلح. الجدير بالذكر أن محاولته إعادة صياغة دور الأمم المتحدة لتكون سلطة قانونية دولية عنى تقييد شرعيتها، كي لا تتعدى مجرد ختم بالموافقة على قرارات مجلس الأمن.

خلال الفترة التي سبقت حرب العراق، وصلت التناقضات بخصوص هذا الموقف القانوني ذروتها. ففي الوقت الذي قدمت فيه الولايات المتحدة قضيتها من أجل الإطاحة بصدام حسين عند رفضه الامتثال لقرارات مجلس الأمن السابقة، وقع انان في مأزق كبير، مما ساعد مجلس الأمن في منح الشرعية لشن حرب على العراق. وقد حدث ذلك على الرغم من أن انان وأغلب الدول الأعضاء في مجلس الأمم المتحدة اعتقدوا أن هذا القرار غير شرعي.

في آخر مؤتمر صحفي له بصفته أمينا عاما، تحدث بشكل سيء، أو بالأحرى بشكل ساخر، عن إلقاء الجميع باللوم عليه فيما يخص فشل مجلسه

في الواقع، كان انان آخر شخص يتقلد منصب أمين عام في الأمم المتحدة، يتصدر عناوين الأخبار ويعتبره الجميع شخصية أساسية لحل النزاعات الدولية الرئيسية في عصره. لكن أبرز نقاط ضعفه تمثلت في عدم القدرة على التحكم في مجلسه، بالإضافة إلى تصرفاته الغريبة التي كانت عبارة عن مزيج من التكبر واللامبالاة. لقد كان يظن نفسه قائدا عظيما، لكنه كان غير قادر من الناحية الدستورية على تحمل الأعباء التي ترتبط بالقيادة العظيمة.

ففي آخر مؤتمر صحفي له بصفته أمينا عاما، تحدث بشكل سيء، أو بالأحرى بشكل ساخر، عن إلقاء الجميع باللوم عليه فيما يخص فشل مجلسه. وفي هذا الصدد، أفاد انان أن "هناك ميل كبير نحو إلقاء اللوم على الأمين العام في كل شيء، خاصة لما حدث في رواندا وسربرنيتسا ودارفور. ألا ينبغي علينا إلقاء اللوم أيضا على الأمين العام في كل ما يحدث في العراق وأفغانستان ولبنان ولومه على التسونامي والزلازل كذلك؟ ربما ينبغي حقا لوم الأمين العام على كل تلك الأمور، وبوسعنا أن نستمتع بذلك إذا أردتم".

تجدر الإشارة إلى أنه في نيسان/أبريل الماضي، وعندما حضر انان في مقابلة مع شبكة "بي بي سي"، تم الضغط عليه للمرة الأخيرة للإقرار بأن بعض أفعاله وعملياته على الساحة العالمية كانت لها عواقب وخيمة، لكنه رفض الاعتراف بذلك كما فعل دائما. وعندما تم التطرق إلى الضربات الجوية على البوسنة، قال انان: "إنه من السهل دائما العثور على كبش فداء". أما بالحديث عن رواندا، فقال: "لقد كنا عاجزين".

إنجاز كوفي أنان

*راميش شاكور

بروجيكت سنديكيت : ٢٥/٨/٢٠١٨

يستحق كوفي أنان أن يذكره التاريخ بوصفه الأمين العام شبه المثالي للأمم المتحدة. الواقع أن المسؤولين التنفيذيين العظماء يحتاجون إلى رؤية هادئة لممارسة السلطة، وخاصة عندما تكون سلطة مدنية دولية. استند نجاح أنان إلى قدرته على الجمع بين البرغماتية والتواضع وبين رؤية دائمة للتقدم البشري والتضامن. ولعل هذا الاندماج بين الرؤية والشخصية يتجلى في أوضح صوره في الأهداف الإنمائية للألفية (٢٠٠٠-٢٠١٥)، التي رسمت مجموعة طموحة من الأولويات للأمم المتحدة. وبدافع من إنسانية ملتزمة وإخلاص لروح ونص ميثاق الأمم المتحدة، عمل أنان على توسيع السلطة التنفيذية للمنظمة من خلال تفسيرات خلاقة للميثاق فضلا عن الشخصية الكاريزمية لتأمين تبني المبدأ المثير المحفز المتمثل في "المسؤولية عن الحماية".

لقد نجح أنان، حفيد زعماء القبائل وابن حاكم أحد الأقاليم في مستعمرة جولد كوست البريطانية (غانا الآن)، في المزج بين أسلوب أرستقراطي في القيادة وسحر شخصي عذب اللسان، فضلا عن التعاطف، والوقار الفكري، وأناقة الملبس، وكانت سنوات ولايته أمينا عاما للأمم المتحدة (١٩٩٧-٢٠٠٦) تتسم بالحكمة السياسية، واللباقة، والنزاهة.

وتتلخص الشهادة البليغة على خصوصية ولايته التي دامت عشر سنوات في الولاء الدائم الذي يقترب من التفاني التام الذي كان مصدر إلهام لمجموعة موهوبة للغاية من كبار المستشارين الذين قام باختيارهم بنفسه.

"نجح أنان، حفيد زعماء القبائل وابن حاكم أحد الأقاليم البريطانية المستعمرة (غانا الآن) في المزج بين أسلوب أرستقراطي في القيادة وسحر شخصي عذب اللسان، فضلا عن التعاطف، والوقار الفكري، وأناقة الملبس، واتسمت تجربته الأممية بالحكمة السياسية واللباقة والنزاهة".

وقد شهد العالم العديد من التغيرات العميقة خلال تلك السنوات المضطربة. فأشرف أنان على توسع هائل لعمليات السلام التابعة للأمم المتحدة في استجابة للمطالب والتوقعات المتزايدة، لكن العديد منها رُميت باتهامات من قبيل عدم الفعالية، والفساد المالي، والاستغلال الجنسي.

كان التحدي الرئيسي الذي اضطر أنان إلى التصدي له، بمستويات مختلفة من النجاح، هو كيفية الجمع بين الشرعية الفريدة التي تتمتع بها الأمم المتحدة ومجلس الأمن بوصفه قمرة القيادة الجيوسياسية للعالم. فعندما كانت القوى الكبرى موحدة، كان يمثل لإرادتها. وعندما كانت هذه القوى تمسك بخناق بعضها بعضا بسبب مصالح حيوية متضاربة، لم يكن بوسعها أن يفعل الكثير. ولكن عندما انقسم المجتمع الدولي بمرارة، حاول أنان التوصل إلى التوافق من خلال تحديد المصالح المشتركة ودفع الدول الأعضاء نحو حلول وسط تنقذ ماء الوجه.

كان النهج الذي سلكه أنان في إصلاح الأمم المتحدة تثقيفيا. قال لي أنان، علينا أن نحدد القضايا العالمية الكبرى التي تتطلب مشاركة الأمم المتحدة، ثم ينبغي لنا أن نتجاهل القضايا التي لن تتفق الدول على عمل مشترك في التعامل معها، فضلا عن القضايا التي يمكن أن تتفق عليها بشكل تلقائي بسبب أولويات مشتركة. ولم ير أنان أي جدوى من إنفاق رأس المال السياسي الشحيح في أي من الحالتين.

وبدلا من ذلك، ركز أنان على القضايا الكبرى حيث يمكن دفع تحركات الدول الأعضاء إلى ما هو أبعد من نقطة التحول من خلال الاستثمار في هيبة وسلطة الأمين العام في حل القضايا. وقد نجح أنان بصفته أمينا عاما للأمم المتحدة من خلال مهارات القيادة الناعمة: القدرة على حمل الآخرين على التواصل عاطفيا وفكريا في إطار قضية أكبر تتجاوز مصالحهم الذاتية المباشرة.

كان أنان، الذي حظي بمعاملة "نجوم موسيقى الروك" في ولايته الأولى، على اتصال منتظم بقيادة الحكومات، والمنظمات الدولية، والشركات المتعددة الجنسيات، ومنظمات المجتمع المدني. ونادرا ما كانت دبلوماسيته الهادئة ضمن حدود خصوصية مكتبه تحتاج إلى أي عملية مكاملة من خلال الدبلوماسية العامة والمكانة العالية التي تتمتع بها الأمم المتحدة.

فمن ناحية، حاول أنان توسيع وظيفة "الترخيص" للقانون الدولي لتمكين الأمم المتحدة من اتخاذ التدابير اللازمة ضد الدول المتمردة التي تستغل مبدأ السيادة لحماية تصرفاتها. ومن ناحية أخرى، ساعد أنان في ترسيخ وظيفة "المقود" المتمثلة في تقييد العدوان من قبل القوى العظمى.

في عام ٢٠٠٤، أشار أنان بوضوح إلى أن غزو العراق كان خرقا لقانون ميثاق الأمم المتحدة فيما يتصل باستخدام القوة. وقد أكسبه هذا الموقف عداء المحافظين الجدد في إدارة الرئيس جورج دبليو بوش في الولايات المتحدة، والتي هددت بجعل الأمم المتحدة غير ذات أهمية" ومع ذلك، لو كان مجلس الأمن استسلم للضغوط الإنجلو أمريكية لتأييد الحرب، استنادا إلى اتهامات مختلفة بشأن هجمات إرهابية وأدلة ملفقة حول امتلاك أسلحة الدمار الشامل، فإن الأمم المتحدة كانت ستعاني من ضرر أكبر وأكثر ديمومة.

ثم تورط أنان في فضيحة النفط في مقابل الغذاء، التي استغلها أعداؤه من المحافظين الجدد إلى أقصى درجة ممكنة. ولكن حتى في هذا السياق، كانت الهفوات الأخلاقية التي ارتكبتها الدول الأعضاء -بما في ذلك الولايات المتحدة وأستراليا، التي رفضت اتخاذ أي إجراء عندما رفع مسؤولو الأمم المتحدة الرايات الحمراء- أشد خطورة. وكان تورط نجله في تعاملات مشبوهة مؤلما بشكل شخصي لأنان.

كانت الوصمة التي يتعذر محوها التي لطخت سمعة أنان هي مسؤوليته عن التفسيرات المقيدة لتفويض الأمم المتحدة فيما يتصل بعمليات حفظ السلام في رواندا، وسربرنيتسا في البوسنة في الفترة ١٩٩٤-١٩٩٥. والواقع أن بعض الناس يزعمون أن أنان لم يدفع قَط الثمن السياسي في مقابل التقصير في أداء الواجب في هاتين المناسبتين.

لكن أنان قام بالتكليف بمراجعات داخلية لمثل هذه الإخفاقات المزعمة للضمير، وشجع المحققين على الذهاب إلى أي مكان يقودهم إليه بحثهم عن الحقيقة. وعندما انتهى المحققون، صرح أنان بنشر التقارير، بما في ذلك النتائج المعاكسة فيما يتصل بأوجه القصور الجهازية التي تعيب الأمم المتحدة وفشل القيادة من جانبه بوصفه المسؤول الأكبر عن حفظ السلام في ذلك الوقت.

ورغم جرحه العميق نتيجة لهذه التجارب العسيرة، نجح أنان في تحويل ضمير مضطرب إلى إرث باق من ثلاثة مبادئ إلى جانب التقدم المؤسسي. فقد أصبحت حماية المدنيين أولوية قصوى في عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة. كما دافع أنان عن مبدأ المسؤولية عن الحماية للتحايل على إساءة استخدام مبدأ سيادة الدولة من قبل حكام متوحشين يرتكبون الفظائع ضد شعوبهم. ورحب بإنشاء المحكمة الجنائية الدولية باعتبارها الأداة القانونية لإنهاء الإفلات من العقاب ومحاكمة ومعاقبة القادة العسكريين والسياسيين عن أفظع الجرائم.

لم ينته تفاني أنان في خدمة الإنسانية بمغادرته الأمم المتحدة. فقد ظل منخرطا في جهود الحد من الفقر، وحل النزاعات، وجهود الإغاثة الإنسانية من خلال طلبات الأمم المتحدة، ومؤسسة كوفي أنان، ومجموعة الحكماء، كراع للضمير العالمي.

كان أنان يحترم مشاعر الآخرين، وكان مهموما برفاة موظفيه إلى حد استثنائي، وكانت روحه مرحة رقيقة غالبا. في إحدى المناسبات، حوَصر بعض موظفي الأمم المتحدة في منطقة نزاع سريع التصاعد. وكان اثنان من كبار المساعدين يحاولان شرح المخاطر لأنان عندما توقف أحدهم وتساءل: "لماذا لا أرى عليك علامات الذعر أيها الأمين العام؟"، فأجابه قائلا: "لماذا يجب أن أشعر بالفرح ما دمت أنت تشعر بالفرح نيابة عني؟".

*مساعد سابق للأمين العام للأمم المتحدة

كيف تهدد تكنولوجيا المعلومات الديمقراطية؟

*كوفي انان في مقاله الاخير

بروجيكت سنديكيت: ٢٠١٨/٨/٢٥

من ينبغي له أن يمتلك كل البيانات التي تجمعها هواتفنا وساعاتنا؟ وكيف ينبغي لهذه البيانات أن تُستخدَم؟ هل يتطلب استخدامها من قبل آخرين موافقتنا؟ وأي جهة يجب أن يخضع من يستخدمون بياناتنا لمساءلتها؟ هذه هي الأسئلة الكبرى التي ستشكل مستقبل الحرية.

ذات يوم كانت شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي محل إشادة لأنها تخلق فرصا جديدة لنشر الديمقراطية والحرية، والواقع أن "تويتر" و "فيسبوك"، وغير ذلك من وسائل التواصل الاجتماعي أدت في حقيقة الأمر دورا رئيسا في الانتفاضات الشعبية التي اندلعت في إيران عام ٢٠٠٩، وفي العالم العربي في عام ٢٠١١، وفي أوكرانيا في الفترة ٢٠١٣-٢٠١٤، وفي ذلك الوقت بدت التغريدة على موقع "تويتر" أمضى من حد السيف.

لكن الأنظمة الاستبدادية سرعان ما بدأت تشن حملة صارمة ضد حرية الإنترنت، فكانت هذه الأنظمة تخشى العصر الرقمي الجديد الشجاع، لأنه كان بعيدا عن متناول مؤسساتهم الأمنية التناظرية، وقد تبين أن هذه المخاوف كانت بلا أي أساس حقيقي، وفي حقيقة الأمر فشلت أغلب الانتفاضات الشعبية التي مكنتها وسائل التواصل الاجتماعي بسبب الافتقار إلى قيادة فعّالة، وحافظت المنظمات السياسية والعسكرية التقليدية على موقعها بوصفها صاحبة اليد العليا.

الواقع أن هذه الأنظمة بدأت تمارس السيطرة على وسائل التواصل الاجتماعي وتوظفها لتحقيق غاياتها الخاصة. فقد سمعنا جميعا الادعاءات بأن روسيا استخدمت وسائل التواصل الاجتماعي سرا للتأثير في النتائج الانتخابية في أوكرانيا، وفرنسا، وألمانيا، وكانت أشهر تدخلاتها في الولايات المتحدة. وتشير تقديرات "فيسبوك" إلى أن المحتوى الروسي على شبكتها، بما في ذلك المشاركات والإعلانات المدفوعة، وصل إلى ١٢٦ مليون مواطن أمريكي، نحو ٤٠٪ من مجموع سكان الولايات المتحدة.

وينبغي لنا أن نتذكر اتهامات روسيا بشأن الدور الذي أداه الغرب في تحريك "الثورات الملونة" في أوكرانيا وجورجيا، ووفرت شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي ساحة معركة أخرى، كما يبدو، للتلاعب المستتر بالرأي العام.

وإذا كانت حتى الدول الأكثر تقدما على المستوى التكنولوجي عاجزة عن حماية سلامة العملية الانتخابية، فبوسع المرء أن يتصور التحديات التي قد تواجه دولة أقل دراية. بعبارة أخرى نستطيع أن نقول إن التهديد عالمي، وفي غياب الحقائق والبيانات فإن مجرد احتمال حدوث التلاعب يعمل على تغذية نظريات المؤامرة وتقويض الثقة بالديمقراطية والانتخابات في وقت حيث الثقة العامة متدنية بالفعل.

وتؤدي "غرف الصدى" الأيديولوجية التي تستخدمها وسائل التواصل الاجتماعي إلى تفاقم الانحياز الطبيعي بين الناس والحد من فرص إدارة مناقشة سليمة، ويخلف هذا الوضع تأثيرات ملموسة في العالم الحقيقي، لأنه يعزز الاستقطاب السياسي ويُضعف قدرة القادة على صياغة حلول وسط، والتي تشكل الأساس الذي يقوم عليه الاستقرار الديمقراطي. على نحو مماثل، قد يؤدي خطاب الكراهية، والفتن الإرهابية، والتحرش العرقي والجنسي، والذي وجد موطننا له على شبكة الإنترنت، إلى العنف في العالم الحقيقي.

لكن وسائل التواصل الاجتماعي ليست أول ثورة اتصالات تتحدى الأنظمة السياسية، فكانت الصحافة المطبوعة، والإذاعة، والتلفزيون وسائل ثورية وقت ظهورها، وقد خضعت جميعها للتنظيم تدريجياً، حتى في الديمقراطيات الأكثر ليبرالية، ويتعين علينا الآن أن ننظر في كيفية إخضاع وسائل التواصل الاجتماعي لقواعد الشفافية نفسها، والمساءلة، والقواعد الضريبية التي تخضع لها وسائل الإعلام التقليدية.

في الولايات المتحدة تقدمت مجموعة من أعضاء مجلس الشيوخ بمشروع "قانون الإعلانات الصادقة"، والذي كان سيعمل على توسيع نطاق القواعد التي تنطبق على المطبوعات، والإذاعة، والتلفزيون، لكي تشمل وسائل التواصل الاجتماعي، وهم يأملون أن يتحول إلى قانون قبل انتخابات التجديد النصفي في عام ٢٠١٢، وفي ألمانيا يُلزم قانون جديد شركات وسائل التواصل الاجتماعي بإزالة خطاب الكراهية والأخبار الكاذبة في غضون ٢٤ ساعة أو مواجهة غرامات تصل إلى ٥٠ مليون يورو (٦٣ مليون دولار).

وبقدر ما قد تكون هذه التدابير مفيدة فإنني لست على يقين من كفاية هذه القوانين الوطنية لتنظيم النشاط السياسي على الإنترنت، ذلك أن العديد من الدول الفقيرة لن تتمكن من بناء مثل هذه المقاومة، وسيكون إنفاذ القانون صعباً في كل مكان، لأن قدراً كبيراً من البيانات يخزن ويدار خارج الدولة المنظمة.

وسواء كانت القواعد الدولية الجديدة ضرورية أو لم تكن، ينبغي لنا أن نتوخى الحذر حتى لا نتسبب في سعيها إلى كبح التجاوزات في تعريض الحق الأساسي في حرية التعبير للخطر، ولا ينبغي للمجتمعات المفتوحة أن تبالغ في استجابتها، خشية أن تتسبب في تقويض الحريات التي تستند إليها شرعيتها.

ولكن لا يجوز لنا أن نبقي خاملين، فهناك قلة من اللاعبين الأساسيين في وادي السليكون وأماكن أخرى، يتحكمون في مصائرنا، ولكن إذا تمكنا من إشراكهم، فسيصبح بوسعنا معالجة أوجه القصور التي تعيب النظام الحالي.

في عام ٢٠١٢ دعوت إلى عقد اللجنة العالمية المعنية بالانتخابات والديمقراطية والأمن لتحديد ومعالجة التحديات التي تهدد سلامة الانتخابات وتعزيز شرعية العمليات الانتخابية، فالانتخابات التي يقبلها عامة السكان باعتبارها نزيهة وجديرة بالثقة هي وحدها القادرة على إفساح المجال للتناوب السلمي الديمقراطي للقيادة، وإضفاء الشرعية على الفائز وحماية الخاسر.

تحت رعاية مؤسسة كوفي أنان، أعتزم الآن الدعوة إلى إنشاء لجنة جديدة - ستضم هذه المرة قادة وسائل التواصل الاجتماعي وتكنولوجيا المعلومات، فضلاً عن القادة السياسيين - لمساعدتنا في معالجة هذه القضايا الجديدة الحرجة. وسنعمل على إيجاد حلول قابلة للتطبيق تخدم ديمقراطياتنا وتحمي سلامة انتخاباتنا، في حين تسخر الفرص العديدة التي تتيحها التكنولوجيات الجديدة. وسنخرج بتوصيات من شأنها، كما نأمل، أن تساعد في التوفيق بين التوترات المعقدة التي قد تنشأ بين أوجه التقدم التكنولوجي وواحد من أعظم إنجازات البشرية: الديمقراطية.

إن التقدم التكنولوجي لا يتوقف، ولا ينبغي للديمقراطية أيضاً أن تتوقف، وعلينا أن نسارع إلى العمل، لأن التقدم الرقمي قد يكون مجرد بداية جديدة لمنحدر زلق يقودنا إلى عالم يسيطر عليه "أخ أكبر"، على غرار عالم جورج أورويل، حيث الملايين من أجهزة الاستشعار في هواتفنا الذكية وغير ذلك من الأجهزة التي تجمع البيانات وتجعلنا عرضة للتلاعب والاستغلال.

من ينبغي له أن يمتلك كل البيانات التي تجمعها هواتفنا وساعاتنا؟ وكيف ينبغي لهذه البيانات أن تُستخدم؟ هل يتطلب استخدامها من قبل آخرين موافقتنا؟ وأي جهة يجب أن يخضع من يستخدمون بياناتنا لمساءلتها؟ هذه هي الأسئلة الكبرى التي ستشكل مستقبل الحرية.

* رئيس مؤسسة كوفي أنان

الشرق الأوسط الجديد

*د. عبدالمنعم سعيد

المركز الاقليمي للدراسات الاستراتيجية : ٢٠١٨/٨/٢٦

في الزمن غير البعيد كان ذكر «الشرق الأوسط الجديد» يعني أن قوة ما إقليمية أو عالمية تعيد تشكيل المنطقة، كما يتوافق مع مصالحها وطموحاتها التي لا تتوافق بالضرورة مع مصالح الدول والشعوب في المنطقة ذاتها. كانت ذكرى اتفاق «سايكس بيكو» من الذكريات غير السعيدة، وكان يضرب بها المثل كلما وردت خريطة أو مذكرة أو كتاب أو رؤية حول المصير المؤسف المنتظر.

وعندما نشر شيمون بيريز رئيس إسرائيل ورئيس وزرائها الأسبق كتابه عن «الشرق الأوسط الجديد» خلال التسعينات من القرن الماضي فإن الذائع في المنطقة العربية كان أن «الحقبة الإسرائيلية» قد حلت، وبعدها عندما وردت في قاموس وزارة الخارجية الأمريكية عبارة «الشرق الأوسط الكبير» كان في القاموس العربي يعني المدى الذي وصلت إليه الولايات المتحدة في النفوذ والتأثير في الإقليم الشرق أوسطي كله عربي وغير عربي. كانت الحرب الباردة قد انتهت، وتوافق العالم أن عصر القطبية الثنائية قد انتهى ولم يبقَ إلا قطب واحد مؤثر في العالم كله، وما بقي على العالم إلا التعلق بأهدابه.

ولكن العالم تغير، وكذلك الشرق الأوسط، ومن المؤكد أن الولايات المتحدة لم تعد القطب القائد والمؤثر الوحيد، ولم يعد ممكنا تجاهل روسيا ولا الصين ولا عدد آخر من الأقطاب التي لها في العالم الاقتصادي والعسكري نصيب وحظ. أسباب ذلك ليس موضوعنا هنا، وما يهمنا هو أن انتخاب الرئيس دونالد ترمب كان إشهارا لنوعية جديدة من القومية الأمريكية التي لا تهتم كثيرا بالعالم بما فيه أقرب حلفائها في حلف الأطلسي، وإنما تعتبر حالها عالما كافيا يتقدم إلى الدنيا كلها بالقدر الذي يريده ويرغب فيه.

وهكذا فإن الخطوة الأولى في عالم متعدد الأقطاب يصبح مؤثرا بشده في النظم الإقليمية المختلفة، ومن ينظر إلى أوروبا فسوف يجد كثيرا من التغيير، فلم يعد الاتحاد الأوروبي امتدادا لحلف الأطلسي، وبينما كان الخروج البريطاني من الاتحاد له دلالات كبيرة، فإن التغيرات في بولندا والمجر وإيطاليا مؤخرا تدفع في اتجاهات أوروبية جديدة. والمظاهر الأخرى في النظام العالمي من أول تجمع دول «البريكس» وحتى الغزل الجاري بين كوريا الشمالية وتلك الجنوبية يحكي قصة أخرى عن تغيرات إقليمية متنوعة.

ولم يقل أهمية عن كل ذلك أن تغيرا جوهريا في الفكر العالمي أخذ في التشكيل، وبعد أن كانت الليبرالية والديمقراطية هما دين العالم الجديد منذ انتهاء الحرب الباردة، فإن الواقع الدولي وضع كليهما موضع التساؤل، فلم يعد لكلا منهما ما يعطي اليقين، مع اختلاف الأمم والشعوب ودرجات تطورها. لم يعد هناك دين سياسي واقتصادي مناسب لكل الدول وفي كل الأوقات، وباتت الكفاءة في إدارة التطور والتنمية مما يجري قياسه على قدرات الدول وتاريخها وتقاليدها.

لم يكن الشرق الأوسط استثناء من التغير الذي جرى في العالم، وبات ذلك مؤكدا بعد عواصف «الربيع العربي» المزعوم، والذي بدا للحظة أنه يسير في مسار الدين الشائع، ولكن النتيجة كانت تسليم الدول التي تمكن منها إلى أكثر التيارات تطرفا وفاشية.

الدول التي عرفت كيف تتجنب العاصفة، والدول التي نجحت في مقاومتها عرفت أن أول الدروس هي الحفاظ على الدولة وسيادتها وإلا كان هناك انفراط وتمزق وتشتيت. وثاني الدروس كان أنه لا مفر من الإصلاح بكل أشكاله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولكنه ليس «روشتة» طريق إلى الفوضى والانقسام الوطني والتبعية لجماعات ومؤسسات «عالمية» تحت غطاء العولمة.

لم يعد يهم آراء وتوجهات «هيومان رايتس واتش» ولا «العفو الدولية»، ولا مواقف وبيانات وآراء باراك أوباما ولا السفارة الكندية ولا أي من الدول التي تصورت أن نهاية التاريخ حدثت عند بابها. تمثل الدرسان (الحفاظ على الدولة والإصلاح) في تجارب دول الخليج العربية ومصر والأردن والمغرب وتونس والجزائر، بينما ظهر الوجه الآخر القبيح في العراق وسوريا واليمن وليبيا وفلسطين بأشكال مختلفة، كان أشدها قسوة ما جرى من حروب أهلية، بدأت ربيعاً من الشباب وانتهت شتاءً قاسياً ومدمراً.

أولى النتائج في النظام الإقليمي الجديد لـ«الشرق الأوسط» كانت استعادة الدولة لدورها مرة أخرى، ولم تحافظ الدول المشار إليها فحسب على وقف مسار التمزق في الدول العربية بل إنه بات ممكناً أن تمنع محاولة الاستقلال الكردية في العراق، وانتهت «دولة الخلافة» المزعومة بين سوريا والعراق، وعادت الحكومة الشرعية اليمنية إلى أرض اليمن مرة أخرى. وربما كان أهم ما جرى أن الإرهاب بدأ في الانحسار التدريجي في العالم والشرق الأوسط في مقدمته. وبعد أن كان العام ٢٠١٤ هو قمة سنوات الإرهاب التي جرت فيها ١٧ ألف عملية إرهابية، وسقط فيها ٤٥ ألفاً من الضحايا تراجع في عام ٢٠١٧ عدد العمليات الإرهابية في العالم إلى ١٠٩٠٠ عملية وبلغ ضحاياها ٢٦٤٠٠ ضحية أي تراجعت العمليات بنسبة ٣٥٪ والضحايا ٤١٪. في الشرق الأوسط الذي جرت فيه أكثر من ثلث العمليات الإرهابية في عام ٢٠١٧ فإنها في الحقيقة تراجعت بنسبة ٣٨٪ من عدد العمليات و٤٤٪ من عدد الضحايا. وبشكل ما فإن تراجع الدور الأمريكي في المنطقة، وإعلان الرئيس ترامب عن نيته في الانسحاب من سوريا، جعل الباب مفتوحاً ليس فقط في الانفتاح على العالم بقواه وأقطابه المختلفة، وإنما فتح الباب لأشكال مختلفة من التعاون الإقليمي العربي.

لقد كان مشهد اللقاء بين خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز والرئيس عبد الفتاح السيسي في مدينة نيوم إطلاقة عربية جديدة على المستقبل الذي شرع فيه وفتح الباب لأشكال جديدة من التعاون المصري السعودي يقوم على التنمية المشتركة للثروات في البحر الأحمر وخليج العقبة. ومع تخطيط الحدود البحرية بين مصر وقبرص انفتح الباب لعلاقات جديدة في منطقة شرق البحر المتوسط لا تقوم فقط على حركة النفط والغاز والصناعات القائمة عليهما، وإنما أكثر من ذلك إقامة الجسور في مدينة واحدة تقع بين السعودية ومصر والأردن. مثل هذا المشهد مع الإجراءات الإصلاحات الجارية في الدول الناجية من العواصف الرملية للربيع العربي المزعوم كلها تمثل النواة التي يقوم عليها النظام الإقليمي الجديد لـ«الشرق الأوسط».

هي نوع من «العروبة الجديدة» التي لا تقوم على شعارات براقة ومحتوى فارغ، وإنما تقوم على تواكب إصلاحات داخلية مع علاقات خارجية إقليمية مواكبة ومدعمة لها، بالقدر الذي يتواءم مع الثقافات والقدرات السياسية والاقتصادية المتوافرة بالفعل في الإقليم، وبالقدر الذي يسمح بالتطور والتقدم على الطريقة العربية، وليس على ما تروج له مراكز البحوث والجمعيات في الغرب.

نظام جديد في الشرق الأوسط عماده الفوضى

مجلة "فورين أفيرز": ٢٦/٨/٢٠١٨

استعرض مارك لينش، أستاذ العلوم السياسية والشؤون الدولية لدى جامعة جورج واشنطن، ومؤلف كتاب "حروب عربية حديثة: انتفاضات وفوضى في الشرق الأوسط"، ضمن مقالته الأخيرة، في مجلة "فورين أفيرز"، ما شهده العالم العربي منذ ٢٠١١، عندما خرج ملايين إلى شوارع عدة مناطق عربية، في انتفاضات امتدت من تونس إلى ليبيا ومصر وسوريا على أمل بقلب أنظمة حكم أوتوقراطية، وتطبيق إصلاحات ديموقراطية. في سوريا، تواصل إسرائيل شن غاراتها الجوية ضد أهداف عسكرية سورية وإيرانية. كما تهدد العمليات التركية عبر الحدود، وتخندق الوجود الإيراني بدفع الحرب الأهلية نحو اتجاهات جديدة وفي لحظة ما، بدا أن نظام الشرق الأوسط القديم أوشك على نهايته، وأن آخر جديداً وأفضل سيحل مكانه. ولكن سرعان ما حلت الفوضى في بعض الدول بسبب نشوب حروب أهلية.

لا تحولات إيجابية

ويرى كاتب المقال، أنه بعد سبع سنوات، يبدو أن تلك التطلعات المبكرة بشأن إحداث تحول إيجابي في سياسات الشرق الأوسط، لم تكن في محلها. ولكنه يرى أن تلك الفوضى ولدت نظاماً عربياً جديداً مختلفاً عما توقعه الناس. ورغم عدم إنتاج انتفاضات عربية لديمقراطيات حديثة، فقد أعادت صياغة علاقات إقليمية. ولم تعد قوى إقليمية، كمصر والعراق وسوريا، دولاً فاعلة. وأدى بروز دول فاشلة وضعيفة لتوفير فرص جديدة للتنافس والتدخل في ظل لاعبين جدد وقدرات حديثة. ولم تعد ديناميكيات إقليمية تتقرر من قبل تحالفات رسمية، أو عبر صراعات تقليدية بين قوى رئيسية. عوضاً عنه، أصبحت القوة تمارس عبر شراء النفوذ والحروب بالوكالة.

تهديدات وفرص

ويرى كاتب المقال أن السياسة الخارجية تمارس حالياً، في معظم الدول العربية، من خلال مزيج من تهديدات وفرص ملموسة. فقد بات الخوف من انتفاضات محلية، ومن النفوذ والتوسع الإيراني، فضلاً عن تخلي أمريكا عن المنطقة، يترافق مع تطلعات للاستفادة من دول ضعيفة وفوضى دولية. وقد قاد ذلك لجر قوى إقليمية نحو حروب بالوكالة أدت إلى زرع الفوضى في المنطقة. وهكذا بات النظام الجديد صورة من الفوضى والاضطرابات.

صور مؤلمة

وبرأي الكاتب، يبدو من الصعب فهم الأحداث الجارية في الشرق الأوسط. فقد تحولت الحرب الأهلية السورية إلى إحدى أكثر الكوارث البشرية إيلاًماً في التاريخ، بعدما قتل ما لا يقل عن نصف مليون شخص، ونزح أكثر من ١٠ ملايين سوري. وفي العراق، ورغم تحقيق تقدم ملحوظ في تقويض داعش، لكن ذلك الإنجاز دفع ثمنه الباهظ سكان يقيمون في مناطق محررة. كما تحولت ليبيا إلى دولة فاشلة.

بضعة نقاط مضيئة

ويقول كاتب المقال إنه في الوقت نفسه، لا تتوافر في المنطقة سوى بضعة نقاط مضيئة. فقد أدى انسحاب أمريكا من الصفقة النووية الإيرانية لعودة احتمال توجيه ضربة عسكرية أمريكية أو إسرائيلية ما قد يقود إلى حرب مع إيران. وفي سوريا، تواصل إسرائيل شن غاراتها الجوية ضد أهداف عسكرية سورية وإيرانية. كما تهدد العمليات التركية عبر الحدود، وتخندق الوجود الإيراني بدفع الحرب الأهلية نحو اتجاهات جديدة، حتى في غياب قوات معارضة لنظام الأسد. وفي الوقت نفسه، يهدد تجدد العنف في غزة، ونهاية متسارعة لحل الدولتين لإعادة موضوع المناطق الفلسطينية المحتلة إلى بؤرة الاهتمام الدولي.

دروس للشرق الأوسط من سلام ويستفاليا

*أندرياس كلوث

موقع "هاندلسبلات غلوبال": ٢٠١٨/٨/٢٦

ترجمة: علاء الدين أبو زينة: أول شرط للأمل في الشرق الأوسط هو أن تفهم مجموعة كبيرة الحجم من المتحاربين أن الحرب لا يمكن كسبها: لا يستطيع أي من اللاعبين أن يسود، لكن كل لاعب يستطيع أن يحرم الآخرين من الانتصار. والمتطلب الثاني هو أن تتفق هذه المجموعة من المتحاربين السابقين أو الأمراء الخارجيين، لدى دخول المفاوضات، على ضرورة تحييد قضية الدين: حيث تتخلى كافة الأطراف عن ادعاءاتها اللاهوتية بامتلاك "الحقيقة" عن طريق فصل الدين عن السياسة.

قبل ٤٠٠ عام بالضبط من هذا العام، قام البروتستانت في براغ بقذف ممثلي "الإمبراطور الروماني المقدس" من نافذة في الطابق الثالث. وقد نجا الثلاثة جميعاً، إما لأنهم سقطوا على كومة من الروث (النسخة البروتستانتية)، أو بفعل تدخل إلهي (الكاثوليك). وليس في الأمر شيء كبير، كما قد يعتقد المرء.

لكن قذف هؤلاء الناس من النافذة آذن بانطلاق سلسلة من الأحداث التي ما كان أحد ليتوقعها، بطريقة ما تزال محيرة حتى اليوم. والنتيجة: على مدى ثلاثين عاماً، ظلت الإمبراطورية الرومانية المقدسة للأمة الألمانية -ألمانيا اليوم إلى حد كبير- ساحة معركة متواصلة. ومات في القتال نحو واحد من كل ثلاثة من مواطنيها -وفي بعض المناطق مات اثنان من كل ثلاثة.

ولكن، في ذلك الحين -قبل ٣٧٠ عاماً، وبعد خمس سنوات من المفاوضات الشاقة- تمكن أمراء وقوى أوروبا من إيقاف سفك الدماء بشكل دائم، ووقعوا ثلاثة من المعاهدات الأكثر شهرة في التاريخ. وكان ما يدعى "السلام الويستفالي" السبب في ولادة نظام الدولة الحديثة. ويمكن أن تكون لذلك كله صلة خاصة بالنسبة لكل المعنيين بالشرق الأوسط اليوم.

هذه، على الأقل، هي الفرضية التي يعتنقها العديد من الساسة والمفكرين الألمان، الأكثر ميلاً إلى أن يكونوا أكثر معرفة بحرب الثلاثين عاماً من زملائهم الأنجلو-ساكسون مثلاً. وقالت المستشارة الألمانية، أنجيلا ميركل، مؤخراً، إن مقارنة الصراع الدائر اليوم في سورية بحرب الثلاثين عاماً "ليست غير ملائمة" كلية. وخلال خدمته السابقة كوزير للخارجية، كان رئيس ألمانيا الحالي، فرانك فالتر شتاينماير، قد كتب في مقال أن "السلام الويستفالي لا يستطيع أن يعطينا مخططاً جاهزاً للسلام في الشرق الأوسط، لكنه قد يعطينا -إذا بحثنا عن كتب في الأدوات والأساليب والأفكار، عن مخطط". وقد خصصت الوكالة الألمانية الفيدرالية للتعليم المدني عدداً كاملاً من مجلتها العلمية المرموقة للخوض في هذا المبحث.

الدول الفاشلة والطائفية

وإذن، ما الذي يجعل عقد مثل هذه المقارنة مغرياً إلى هذا الحد؟ كبدائية، نشب كلا الحريقين -حرب الثلاثين عاماً والحرب الأهلية السورية- في "دول فاشلة"، باستخدام المصطلح الحديث. وعلى النقيض من الملكيات الفرنسية والإسبانية والإنجليزية، كانت الإمبراطورية الرومانية قد فشلت في مركز السلطة. وبعد قرن من ذلك، سوف يقول فولتير إنها "لم تكن بأي طريقة مقدسة، ولا رومانية، ولا إمبراطورية". وبالمثل، فإن سورية واليمن، وكذلك العراق ودولاً أخرى في المنطقة، افتقرت منذ الربيع العربي إلى وجود حكومات متماسكة.

ثانياً، يجلس الشرق الأوسط كله، كما كان حال أوروبا الوسطى في ذلك الحين، فوق خطوط من القسمة الدينية. في ألمانيا، كان "الإصلاح" قد أثار -وإنما لم يحل- الأسئلة الصعبة حول التوازن بين الكاثوليك والبروتستانت، سواء في الإمبراطورية ككل أو في داخل كل إمارة على حدة. وبشكل مشابه، ينقسم الشرق الأوسط اليوم بين الإسلام السني والشيعة. وبالقدر الذي يعتقده بعض المتقاتلين، فإنهم يقاتلون من أجل "الحقيقة" المطلقة، وبذلك تصبح التسوية أكثر صعوبة، كما يرى هيريفرايد مونكلر، أستاذ السياسة في جامعة هومبولت في برلين.

ثالثاً، الآن، وفي ذلك الحين، تشكل هذه الجغرافيا الطائفية منصة لسياسة القوة اللادرية للاعبين الخارجيين المحايدون إزاء الدين، والذين ينجذبون إلى الفراغ الناجم. بذلك، أصبحت حرب الثلاثين عاماً مواجهة بين القوى العظمى الإقليمية مثل النمسا، وإسبانيا، وفرنسا، والدنمارك والسويد. ويشكل الشرق الأوسط اليوم رقعة شطرنج للصراع بين المملكة العربية السعودية السنية، وإيران الشيعية - وإنما أيضاً لكل من تركيا، وإسرائيل، وروسيا، والولايات المتحدة.

تعمل هذه الطبقات من المصالح على تحريض الانقسامات الدينية. وعند نقاط مختلفة في القرن السابع عشر، كانت سكسونيا البروتستانتية تدعم الإمبراطور الكاثوليكي وكانت السويد البروتستانتية تقاتل بنفس المقدار الدنمارك البروتستانتية وهكذا. واليوم، تجد تركيا (السنية)، وروسيا (الأورثوذكسية)، وإيران (الشيعية) نفسها وهي تقف معاً في نفس الجانب (أي جانب الأسد) في سورية. وفي حين شهدت حرب الثلاثين عاماً مرحلة "بوهيمية" وأخرى دنماركية وثالثة سويدية، يبدو أن للصراع الراهن في الشرق مراحل فلسطينية، ولبنانية، ويمينية، وعراقية، وكردية وسورية، من بين أخريات.

رابعاً، لا يقتصر خوض حرب الثلاثين عاماً وحرب الشرق الأوسط اليوم على الدول فقط، وإنما تشارك فيهما الميليشيات الخاصة أيضاً. قبل أربعة قرون، شمل ذلك متعهدي الحروب الذين قادوا الجيوش. وهو يتراوح اليوم من مشاركة جماعات الثوار الكردية والسورية إلى الشبكات الإرهابية. وهذا الحضور من المستفيدين الذين تشكل الحرب بالنسبة لهم نموذجاً للأعمال التجارية، جعل الهدنة - في ذلك الحين كما هو الحال الآن - مراوغة وصعبة المنال، كما يقول السيد مونكلر. مع ذلك، انتهت حرب الثلاثين عاماً في نهاية المطاف. وبذلك، فإن حرب الشرق الأوسط يمكن أن تنتهي أيضاً. فما هي إذن تلك "الأدوات، والأساليب، والأفكار"، التي يتحدث عنها فرانك - فالتر شاينماير، والتي يمكن أن يستعيرها صانعو السياسة اليوم من سلام ويستفاليا؟

خمسة متطلبات للأمل

تعتقد إليزابيث فون هامرشتاين، الخبيرة في مؤسسة كوربر-ستيفتونغ الفكرية في برلين، بأن أول شرط مسبق هو أن تفهم مجموعة كبيرة الحجم من المشاركين أن الحرب لا يمكن كسبها: لا يستطيع أي من اللاعبين أن يسود، لكن كل لاعب يستطيع أن يحرم الآخرين من الانتصار. والمتطلب الثاني هو أن تتفق هذه المجموعة من المتحاربين السابقين أو الأمراء الخارجيين، لدى دخول المفاوضات، على ضرورة تحييد قضية الدين: حيث تتخلى الأطراف كافة عن ادعاءاتها اللاهوتية بامتلاك "الحقيقة" عن طريق فصل الدين عن السياسة.

المتطلب السابق - والدرس - الثالث، هو أن يتفق المتفاوضون على منح عفو عام عن كل الفضاعات والمظالم التي حدثت سابقاً. ومن الصعب تصور مثل هذا في الشرق الأوسط اليوم، لكن حاله كان كذلك في ألمانيا بحلول الأربعينيات. وقد أظهرت ويستفاليا أنك لا يمكن أن تحصل على السلام والعدالة في الوقت نفسه.

رابعاً، هناك حاجة إلى إنشاء مؤسسات إقليمية جديدة لمعالجة النزاعات من خلال التحكيم بدلاً من العنف. وفي الإمبراطورية الرومانية المقدسة، اتخذ هذا شكل هياكل كونفدرالية (ليست مختلفة عن الهياكل الماثلة اليوم في الاتحاد الأوروبي). وفي الشرق الأوسط، سوف يتطلب الأمر إنشاء منتديات التحكيم هذه من الصفر.

خامساً، على القوى الخارجية المذكورة أعلاه أن تضمن، كما فعلت مثيلاتها في العام ١٦٤٨، تنفيذ معاهدة سلام يتم التوصل إليها بمصادقية، بحيث تراقب واحدها الأخرى في نهاية المطاف وبحيث يلتزم الموقعون في المنطقة بالشروط. ويعني هذا أن على إيران، والسعودية، وتركيا، وروسيا والولايات المتحدة، أن تلعب أدواراً مشابهة لتلك التي لعبتها فرنسا وإسبانيا والنمسا والدنمارك والسويد في ذلك الحين. ويبدو كل هذا صعب التخييل اليوم. لكنه بدا كذلك أيضاً قبل أربعة قرون.

*رئيس تحرير موقع "هاندلسبلات غلوبال"

بوتين وأردوغان وخامنئي.. مشروع تحالف يصطدم بحقائق التاريخ والجغرافيا

*د. عماد بوظو

موقع قناة الحرة: ٢٠١٨/٨/٢٦

بعد أكثر من سلسلة اجتماعات (أكثر من خمسين) استغرقت ٢٢ عاما وقع قادة الدول المطلة على بحر قزوين في شهر آب/ أغسطس الحالي على اتفاقية متعلقة بالوضع القانوني لهذا البحر. لا تحدد هذه الاتفاقية بشكل صريح حصة كل بلد مما يحتويه بحر قزوين من ثروات طبيعية ولكن بنودها تقود في النهاية إلى ذلك. هذا يعني أن حصة إيران من قاع البحر ستكون في حدود ١٢ حتى ١٣ في المئة فقط، وستكون هذه الحصة في المناطق المحاذية للشاطئ الإيراني الفقيرة بالنفط والغاز مقارنة بوسط وشمال بحر قزوين الغني بهذه الموارد.

طوال السنوات الماضية كانت إيران تصر على تقاسم قاع البحر على مبدأ الملكية المشتركة بحيث تتوزع ثرواته بحصص متساوية ٢٠ بالمئة لكل دولة، اعتمادا على أن الاتفاقيات السابقة لعامي ١٩٢١ و ١٩٤٠ كانت تعتبر البحر ملكية مشتركة بين الاتحاد السوفييتي وإيران، ولذلك فقد اعتبرت الاتفاقية الحالية خسارة كبيرة لإيران، واتهم المعارضون الإيرانيون الرئيس حسن روحاني بالتنازل عن جزء من حصة إيران لصالح روسيا بموافقة مرشد الجمهورية علي خامنئي، ووصف أبو الحسن بني صدر أول رئيس إيراني بعد الثورة توقيع النظام الإيراني على الاتفاقية بأنها "دفع فدية لروسيا".

تاريخيا، كانت شبه جزيرة القرم (القرم تعني باللغة التتارية القلعة) تابعة لمملكة القبيلة الذهبية التي أسسها التتار والترك والتي سيطرت على أجزاء واسعة من القوقاز وأوروبا الشرقية، واعتنقت الإسلام عام ١٣١٣، ثم أصبحت عام ١٤٤٣ مركزا لدولة تسكنها قبائل القيشاق ذات الأصول التركية الذين يعتبرون سكان القرم الأصليين. سيطر عليها العثمانيون لاحقا وبقيت تابعة للدولة العثمانية حتى نهايات القرن الثامن عشر حين احتلتها روسيا بعد حروب القرم، وتعرض سكان القرم منذ ذلك الوقت لحملات اضطهاد وتجويع وتهجير منتظمة كان آخرها على يد ستالين عندما اتهمهم بالتواطؤ مع المحتل النازي فقام عام ١٩٤٤ بتهجيرهم إلى سيبيريا وآسيا الوسطى، وألحقت شبه جزيرة القرم بأوكرانيا عام ١٩٥٤.

نتيجة لهذه الحملات بات تتار شبه جزيرة القرم يشكلون ١٢ بالمئة فقط من السكان حسب إحصاء ٢٠٠١، وهؤلاء يتحالفون حاليا مع الأوكرانيين الذين يشكلون ٢٤ بالمئة من السكان ويتعاطفون مع حكومة كييف المعارضة للاحتلال الروسي، وهذا هو موقف ملايين التتار شمال البحر الأسود الذين يعيشون حاليا في تركيا وغيرها من دول الشتات والذين شكلوا الكثير من الجمعيات التي تعمل على حشد التأييد لحقوقهم التاريخية بالقرم، وينظر هؤلاء باستغراب لمحاولات الرئيس أردوغان التودد لبوتين وإن كان يعني اعترافا ضمينا بضم شبه جزيرة القرم لروسيا.

وفوق ذلك فإن المناطق التي تشكل جنوب جمهورية روسيا الاتحادية حاليا هي أقاليم إسلامية احتلتها روسيا بعد صراعات طويلة مع تركيا وإيران، من داغستان شرقا التي تطل على بحر قزوين، إلى الشيشان ثم الأنغوش فالقبردين والفارتشاي والشركس والأبخاز وصولا لكراي في الغرب ومدينتهم تشاشا والتي اشتهرت باسمها الروسي سوتشي والتي جعلها بوتين مقره المفضل الذي يستضيف فيه الكثير من النشاطات والمؤتمرات الدولية. تعرضت هذه الشعوب خلال التاريخ الحديث لحملات قمع متواصلة على يد الروس بهدف محو هويتها الثقافية المميزة. وحتى اليوم لم تستطع دولة روسيا الاتحادية إيجاد طريقة مقبولة للتعامل مع ٢٨ مليون مسلم يشكلون ٢٠ بالمئة من سكانها.

تاريخ العلاقات الروسية - التركية - الإيرانية ليس إلا تاريخ من الحروب المتواصلة. هناك سلسلة الحروب الروسية - العثمانية التي وقعت بين القرنين السادس عشر والعشرين، والتي بلغت ثلاثة عشر حربا كبرى، كان الهدف من أغلبها صد هجمات الروس على الأقاليم الواقعة شمال البحر الأسود الذي كان في ذلك الوقت بحيرة عثمانية خالصة. في المقابل، كان هدف الروس الوصول إلى المياه الدافئة ليتم عبرها التواصل مع دول العالم تجاريا وحضاريا. انتهت أغلب هذه المعارك بانتصار روسيا وسيطرتها على مناطق واسعة من شواطئ هذا البحر، وكانت الحروب الروسية من أهم أسباب ضعف وانهار الدولة العثمانية.

أما الحروب الروسية - الفارسية فهي خمس حروب نشبت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. بدايتها كانت الحملة الفارسية لبطرس الأكبر والتي استهدفت توسيع النفوذ الروسي في بحر قزوين ومناطق القوقاز ونتيجة خسارة الفرس لهذه الحرب فقد تنازلوا عن دربند في داغستان وباكو في أذربيجان المطلتان على بحر قزوين وبعض المحافظات الفارسية الأخرى. وفي حرب أخرى اجتاحت روسيا معظم أراضي أذربيجان، وفي آخر هذه الحروب انتصرت روسيا على الدولة القاجارية التي تنازلت فيها عن مناطق في جنوب شرق القوقاز، وبذلك أصبح الروس مسيطرين على قسم كبير من بحر قزوين وأرمينيا الشرقية وكاراباخ.

أما الحروب التي وقعت بين الدولة العثمانية والدول التي تعاقبت على حكم إيران خلال القرون الماضية فهي سلسلة من اثني عشر حرباً رئيسية. تميزت حروب القرنين السادس عشر والسابع عشر بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية بمدتها الطويلة والتي استمر بعضها لعشرات السنين، بحيث أن تاريخ البلدين طوال هذين القرنين كان إما الحرب أو الاستعداد للحرب المقبلة. في أغلب هذه الحروب انتصر العثمانيون.

في القرون التالية وقعت ستة حروب بين الدولتين استمرت كل واحدة منها عدة سنوات خسر في أغلبها العثمانيون، واستغل الروس وقوعها ليتوسعوا على حساب الدولتين.

عند النظر إلى خرائط هذه الدول في هذه الأيام فإننا نرى بأن نتائج هذه المعارك هي التي رسمت الحدود بينها، ولا تتطابق هذه الحدود مع التركيبة السكانية لشعوبها. ففي جنوب جمهورية روسيا الاتحادية هناك شعوب القوقاز المسلمين وأغليبيتهم من ذوي الأصول التركية، وفي القسم الشمالي الغربي من إيران هناك الأذريين وهم من ناحية العرق أتراك رغم أنهم من أتباع المذهب الشيعي، وفي شرق تركيا يؤمن الأرمن بأن مناطق واسعة هناك كانت موطنهم لآلاف السنين قبل أن يتعرضوا للإبادة على يد العثمانيين عام ١٩١٥.

تريد روسيا وتركيا وإيران بعد كل حروب الماضي وخلافات الحاضر إقامة تحالف بينها. ربما كان ذلك ممكناً لو عملت هذه الدول على بناء دولهم على أسس حديثة قوامها المواطنة المتساوية لأبنائها، ولو عالجت بعدل مشاكلها الحدودية والتداخل بين شعوبها. لكن ذلك لم يحدث. فالأنظمة الحالية الحاكمة لهذه الدول تعيش في الماضي عوض التطلع للمستقبل. الرئيس بوتين يتصرف باعتباره القيصر الجديد وزعيم الأرثوذكس في العالم. الرئيس أردوغان يحاول إعادة إحياء الخلافة العثمانية ويرى نفسه زعيم المسلمين السنة. الحكم في إيران يحاول شد العصية الفارسية من جهة ويرى نفسه وصياً على الشيعة من جهة أخرى.

كما أن هذه الأنظمة لا تراعي مصالح حلفائها" فالحكم في روسيا يعامل المسلمين من السنة والشيعة كمواطنين من الدرجة الثانية ويفرض عليهم رقابة أمنية خاصة دون مراعاة لحلفائهم الأتراك والإيرانيين، وكذلك إيران لا تراعي حليفها أردوغان عندما لا تعامل بعدل السكان من الأذر الأتراك أو من الطائفة السنية، وحتى اليوم ترفض تركيا الاعتراف بوجود المكونات القومية المختلفة ضمن أراضيها كما ترفض الاعتراف بمجزرة الأرمن التي نفذتها الدولة العثمانية قبل قرن رغم أن الأرمن أرثوذكس تحت رعاية حليفهم بوتين.

وفي سياسة هذه الدول الإقليمية كان لهم دوماً مواقف متباينة أو متناقضة في كل أحداث الشرق الأوسط، ففي حروب الشيشان اتهمت روسيا تركيا بمساعدة المتمردين. وفي الحرب بين أذربيجان وأرمينيا وقفت روسيا وإيران مع أرمينيا بينما وقفت تركيا مع أذربيجان. وفي أفغانستان هناك العلاقة الغامضة بين إيران وحركات جهادية بما فيها طالبان في موقف مختلف عن الموقف الروسي.

أما قبرص، التي تجمعها علاقة مالية وسياسية وطائفية قوية مع روسيا فلا تزال تركيا مصرة على استمرار احتلالها للجزء الشمالي منها، وكذلك اليونان التي تعتبر ركيزة الحلف الأرثوذكسي لروسيا فهي العدو الرئيسي للأتراك لأسباب تاريخية وخلافات حدودية. وفي سورية والعراق تؤيد كل دولة من الدول الثلاث جهات وتنظيمات وفصائل مختلفة وأحياناً متحاربة، ويسعى كل طرف منهما للوصول إلى نهاية لهذه الصراعات تختلف عما يريده الطرف الآخر.

تتقاطع مصالح هذه البلدان حالياً نتيجة مجموعة من الظروف الآنية" فالدول الثلاث تمر حالياً بفترة علاقات متأزمة مع الولايات المتحدة وأوروبا، وهناك عقوبات مفروضة على هذه البلدان لأسباب مختلفة، ونتيجة عوامل داخلية وخارجية فإن قيمة العملة الوطنية في هذه البلدان تتعرض للانخفاض، كما أن هناك درجات متفاوتة من الاستياء الشعبي عند شعوب هذه البلدان تجاه حكوماتها نتيجة تراجع الوضع الاقتصادي وزيادة القيود على الحريات السياسية والثقافية. لكن كل هذا ليس سبباً كافياً بحد ذاته لبناء تحالف حقيقي بينها، لأن مصالح أعضاء هذا الحلف تتناقض في كل القضايا الداخلية والإقليمية، وكل ربح لأحد الأطراف ضمن هذا الإقليم يكون خسارة لطرف آخر، مما يجعل هذا الحلف في الظروف الحالية قريب الشبه بالأحلام.

أوضح تعبير عن ذلك ما قاله كبير مستشاري الرئيس أردوغان يكييت بولوت: "إن بلاده لن تتراجع أبداً عن فكرة الإمبراطورية الروسية التركية، وأنه لو تحالف الأتراك مع الروس عام ١٨٥٤ لكان شعبا البلدين يتجولان على سواحل نورماندي الفرنسية حاملين قواميس تركية - روسية!".

لقد أكد هذا المستشار هشاشة هذا الحلف المصطنع عندما تخلى بسهولة عن الشريك الثالث إيران، كما أكد على الإصرار على الحياة في الماضي بما فيه استمرار الأحلام القيصرية والعثمانية باحتلال أوروبا، دون أن يوضح كيف ستميز الحضارة والصناعة واللغات التركية والروسية عن اللغة الفرنسية أو الحضارة الإيطالية، أو الصناعة الألمانية.

وفاة السيناتور الأمريكي جون ماكين: عملاق السياسة الأمريكية المتمرد

إعداد: الانصات المركزي : ٢٠١٨/٨/٢٦

توفي ليلة الأحد، السيناتور الأمريكي، المرشح الرئاسي السابق، وبطل الحرب جون ماكين عن ٨١ عاما. وكانت عائلة ماكين أعلنت توقفه عن تعاطي العلاج من مرض السرطان قبل أيام، وهو ما ترك صدى واسعا في الأوساط السياسية الأمريكية بمختلف أطيافها، وأبدى الكثيرون تعاطفهم مع السياسي البارز، الذي أمضى ثلاثة عقود ممثلا لولاية أريزونا، ويحظى بتقدير كبير.

فمن هو جون ماكين؟

ولد ماكين في التاسع والعشرين من آب/أغسطس عام ١٩٣٦ في مركز عسكري أمريكي في "منطقة قناة بنما" حيث كانت تتمركز الأسرة في ذلك الوقت. الأب والجد كلاهما كانا ضابطين في البحرية، وحصل على رتبة "ادميرال". عاش ماكين فترتي الطفولة والمراهقة متنقلا برفقة عائلته بين القواعد البحرية في الولايات المتحدة وخارجها. التحق الشاب الذي يتحدر من عائلة عسكرية بالأكاديمية البحرية عام ١٩٥٤، وتخرج منها بعد أربع سنوات، ثم خدم في سلاح البحرية حتى عام ١٩٨١.

وخلال خدمته، تطوع للعمل كطيار بحري مقاتل، وشارك في العمليات القتالية خلال حرب فيتنام. وفي تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٧، أسقطت طائرته في أجواء هانوي، وتم أسره وقام خاطفوه بالاعتداء عليه، ما أدى إلى كسر ذراعيه وساقه وكتفه.

قضى ماكين خمس سنوات ونصف في سجون فيتنامية مختلفة، من بينها سجن "هانوي هيلتون" سيئ السمعة، حيث تعرض للتعذيب.

وبعد انتخابه في مجلس الشيوخ، زار فيتنام عدة مرات سعيا لإعادة رفات الجنود الأمريكيين الذين قضوا في تلك الحرب. في مقابلة مع "صوت أمريكا" أجريت معه عام ٢٠١٦، قال ماكين إنه كان يسعى لإعادة العلاقات بين واشنطن وهانوي لطبيعتها و"تضميد الجراح".

في عام ١٩٩٩، نشر كتابه Faith of My Fathers الذي تناول فيه تاريخ عائلته العسكري وتجربته مع الأسر. لدى ماكين سبعة أبناء، أربعة من زوجته سيندي هينسلي، وثلاثة (اثنان بالتبني) من زوجته الأولى كارول شيب. نال في ٢٠١٧ "وسام الحرية" من مركز الدستور الوطني وسلمه له جو بايدن، نائب الرئيس السابق باراك أوباما، وحصل أيضا على العديد من الشهادات الشرفية من جامعات أمريكية وأجنبية.

العمل السياسي والمرض

بعد تقاعده من الجيش، دخل ماكين مضمار العمل السياسي عام ١٩٨٢ عندما انتخب في مجلس النواب عن ولاية أريزونا، وظل محتفظا بهذا المقعد لفترتين، ثم انتخب في مجلس الشيوخ عام ١٩٨٦، وأعيد انتخابه بسهولة ثلاث مرات.

في عام ٢٠٠٠، حاول ماكين نيل ترشيح الحزب الجمهوري لانتخابات الرئاسة، وفي ذلك الحين، كان ينظر إلى أسلوبه المباشر باعتباره أمرا حيويا، لكنه خسر السباق في النهاية أمام جورج بوش الابن. في ٢٠٠٨، ضمن تسمية الحزب في السباق الرئاسي في مواجهة المرشح الديموقراطي باراك أوباما، لكنه خسر أمامه أيضا.

ورغم خسارته مرتين، يعتبر ماكين واحدا من أبرز السياسيين في واشنطن، وهو يشغل منصب رئيس لجنة الخدمات المسلحة في مجلس الشيوخ، وتقديرا لجهوده تم إطلاق اسمه على قانون ميزانية وزارة الدفاع.

قضى ماكين ٣٥ عاما في الكونغرس ممثلاً لأريزونا، شارك خلالها بقوة في نقاشات حول الحرب والسلام والتوجهات الأخلاقية للأمة، وكان معروفاً عنه أسلوبه المباشر والصريح في الحديث عن القضايا المختلفة، ما أدخله في عدة معارك كلامية، كان نادراً ما ينسحب منها بسهولة.

ورغم أنه حاد الطباع، يتمتع ماكين بشعبية في أوساط الديمقراطيين نظراً لآرائه الليبرالية إزاء بعض القضايا رغم كونه محافظاً، وهو أيضاً منفتح على الرأي العام والصحافة.

عمل السيناتور أيضاً على عدة قضايا أبرزها تشديد القوانين المتعلقة بالتبغ، وإصلاح نظام تمويل الحملات. أيد قرار حرب العراق عام ٢٠٠٣، وفي عام ٢٠٠٧ ساند قرار زيادة عدد القوات الأمريكية هناك.

صوت المشرع الأمريكي العام الماضي ضد استبدال قانون الرعاية الصحية المعروف باسم (أوباما كير)، ودخل في معارك مع الرئيس دونالد ترامب الذي كان يدعم الاستبدال.

حضر ماكين جلسة تصويت حاسمة للمشروع في تموز/يوليو ٢٠١٧ بعد أقل من أسبوعين فقط على خضوعه لعملية جراحية لإزالة تجمع دموي فوق العين. وكان قد تبين بعد تلك العملية إصابته بسرطان الدماغ.

لم يحضر ماكين منذ عدة أشهر جلسات المجلس، إذ لازم منزله في أريزونا للراحة وتلقي العلاج، ويوم الجمعة، أعلنت أسرته أن لن يتعاطى العلاج بعد الآن.

لم تكن المرة الأولى التي يتم تشخيص إصابة السياسي الأمريكي البارز بمرض السرطان، ففي عام ٢٠٠٠، اكتشف إصابته بسرطان الجلد، وخضع لعملية جراحية ناجحة لإزالة الأنسجة السرطانية.

جون ماكين: عملاق السياسة الأمريكية المتمرد

لم يكن لجون سيدني ماكين الثالث إلا ربّ عمل واحد على مدى مسيرته المهنية البارزة والمضطربة -- الولايات المتحدة الأمريكية.

ويبدو أنه تقليد عائلي إذ إن ماكين هو سليل مباشر كما يقول لقائد في جيش جورج واشنطن خلال حرب الاستقلال الأمريكية.

وعلى غرار والده وجدّه قبله، وهما أدميرالان بأربعة نجوم يحملان كذلك اسم جون ماكين، عاش في خدمة بلاده -- كطيار حربي في البحرية الأمريكية ومن ثم كنائب في الكونغرس حتى وفاته السبب عن عمر ٨١ عاماً بعدما تم تشخيصه بسرطان الدماغ في صيف العام ٢٠١٧.

وكان ليصبح هو كذلك أدميرالاً لو أن صاروخ أرض-جو سوفياتي الصنع لم يضرب طائرته من طراز "إيه-٤ سكاي هوك" أثناء تحليقه فوق هانوي في ٢٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٧.

ونجا ماكين بنفسه حيث هبط بمظلة في بحيرة صغيرة وسط المدينة لتستقبله عصابة غاضبة كانت على وشك قتله. وتعرض ذراعه وركبته اليمنى إلى كسور شديدة.

ونظراً لكون والده قائد جميع القوات الأمريكية في المحيط الهادئ، بقي ماكين أسير حرب لأكثر من خمس سنوات.

وأطلق سراحه عام ١٩٧٣ بعد اتفاقية باريس للسلام. لكن العواقب الجسدية للكسور التي لم تُعالج بشكل جيد عن قصد خلال أسره والتعذيب الذي تعرض له، كلفتته مسيرته المهنية كطيار.

وقال في مقابلة من العام ١٩٨٩ "السبب ما لم تكن تلك الفترة هي فترتي، وأعتقد أنه لهذا السبب، كان مقدر لي أن أفعل شيئاً ما".

هزيمة من قبل أوباما

واتضح لاحقاً أن هذا الشيء هو السياسة. فبعد عدة سنوات من عمله كمنسق خاص للبحرية في مجلس الشيوخ، انتقل ماكين إلى أريزونا، التي تنتمي إليها زوجته الثانية، ليفوز بمقعد في مجلس النواب الأمريكي عام ١٩٨٢. وكبرت طموحاته منذ ذلك الحين فصعد سريعا إلى مجلس الشيوخ -الهيئة التي تملك أعلى سلطة في الولايات المتحدة- ليملك فيه ٣٠ عاما.

ولطالما برز ماكين بصورة الجمهوري المتمرد حيث تحدى حزبه بشأن قضايا تتراوح من إصلاح تمويل الحملات الانتخابية إلى الهجرة.

ولم يؤمن كثيرا بالانضباط الحزبي، وهو موقف عززته خبراته السابقة في التمرد -- كطالب عنيد في الأكاديمية البحرية الأمريكية أو كسجين متهور يستفز سجنائه الفيتناميين.

وفي مذكرات تعود للعام ١٩٩٩ تحت عنوان "عقيدة آبائي"، كتب ماكين "عزز نجاتي من الأسر الذي تعرضت له ثقتي بنفسي. وعلمني رفضي للإفراج المبكر عني أن أثق بأحكامي".

وكان ماكين غير التقليدي والمزدرى للسلطة والمتعجرف أحيانا هو ذاته الذي قرر خوض انتخابات العام ٢٠٠٠ الرئاسية.

ومقدما نفسه على أنه مرشح يتحدث بشكل "صريح"، عرض على الأمريكيين رؤيته اليمينية المعتدلة مبتعداً عن المسيحيين المحافظين الذين نجح خصمه جورج بوش الابن آنذاك في جذبهم.

وفشل ماكين عندها إلا أنه استعاد صلابته وانتزع في النهاية الشعلة الجمهورية من بوش الذي تراجعته شعبيته بشكل كبير.

وفي العام ٢٠٠٨، تصالح مع المؤسسة الحزبية وفاز أخيرا بالترشح للرئاسة.

ومع اقترابه من البيت الأبيض، اتخذ قرارا عفويا ومثيرا للجدل. فلن يغفر له الكثير من شركائه اختياره حاكمة الاسكا التي لم يكن يعرف عنها الكثير ساره بالين كنائب رئيس خلال الانتخابات.

وسمح القرار ببروز "حزب الشاي (تي بارتني)" وصعود الشعبوية التي تجسدت لاحقا بالرئيس الحالي دونالد ترامب.

وهيمن الديموقراطي باراك أوباما آنذاك على المشهد في الانتخابات ليخسر ماكين للمرة الثانية.

استياء من ترامب

وامتلك ماكين قدرة على تحريك الحشود. وفي واشنطن، اجتمع الصحفيون حوله في قاعات الكونغرس حيث بدا حاد اللسان وقليل الصبر.

وفي إحدى المرات، قال لأحد الصحفيين "هذا سؤال غبي". وفي حالات أخرى، تحولت نبرته النزقة إلى انتقاص من الذات حيث قال في إحدى المرات "لا أعتقد أنني شخص ذكي جدا".

وقد يكون كذلك سريع الانفعال خاصة عندما يتعلق الأمر بقضايا تعني له الكثير على غرار القوات المسلحة والاستثناء الأمريكي وفي سنوات لاحقة -- التهديد الذي يشكله الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الذي وصفه ماكين بأنه "قاتل ومجرم".

ولطالما سخر الجمهوريون من مواقف ماكين المؤيدة للتدخل العسكري حيث أشاروا إلى أنه لا يقول لا إطلاقا على الحرب.

وحتى النهاية، بقي ماكين على قناعة بضرورة مشاركة القيم الأمريكية والدفاع عنها حول العالم. وكان كثيرا ما يتوجه إلى بغداد أو كابول أو تايبيه أو كييف أثناء انتفاضتها، ليحظى باستقبال رئيس أكثر منه كنائب.

وبعد ضم روسيا لشبه جزيرة القرم، أدرجت موسكو اسمه على قائمة سوداء أعدتها للرد على العقوبات التي قادت لها الولايات المتحدة. وعلق هو على ذلك بالقول "أعتقد أن هذا يعني أنني لن أتمكن من قضاء عطلة الربيع في صربيا".

وعلا صوت ماكين عندما تعلق الأمر بروسيا وسوريا. لكنه كان في الواقع جنرالا لا يملك جيشا.

وبدا أن انتخاب ترامب ضرب عرض الحائط بكفاح ومبادئ السناتور الجمهوري المخضرم الذي لم يخف استياءه من نزعة رجل الأعمال الملياردير القومية والحمائية إلى جانب مغالته لبوتين واستخفافه الجلي بكرامة منصب الرئاسة.

وعلق كذلك على استفادة ترامب أيام حرب فيتنام من تأجيلات متتالية أعفته من الخدمة في الجيش بسبب "نتوء عظمي" في كاحله.

لكن لم يدفع أي من ذلك ماكين إلى التقاعد. فلربما كان يفكر في جدّه الذي توفي بعد أيام فقط من عودته إلى الولايات المتحدة عقب استسلام اليابان في الحرب العالمية الثانية، فسعى ماكين إلى البقاء في مجلس الشيوخ لأطول فترة ممكنة حتى عندما تم تشخيصه بنوع من سرطان الدماغ شديد الخطورة.

لكنه ابتعد منذ كانون الأول/ديسمبر عن مجلس الشيوخ حيث كان يتلقى العلاج في أريزونا بينما استقبل في مزرعته الأصدقاء والزلاء الذين قدموا لوداعه بعيدا عن أنظار وسائل الإعلام.

وليلة وفاته، أعلنت عائلته أنه قرر التوقف عن العلاج. وفي مذكراته التي نشرت في أيار/مايو تحت عنوان "الموجة التي لا تهدأ"، أكد أنه يرغب بأن يتم دفنه في ماريلاند قرب صديقه القديم من البحرية تشاك لارسون.

وفي موقف آخر فقد طلب ماكين أن يُدلي كل من الرئيس السابق باراك أوباما والأسبق جورج بوش بخطاب في مراسم التأيين بحسب ما ذكرته قناة CBS News.

السيناتور الجمهوري كان قد طلب على الهواء مع المقدمة ليزلي ستال برنامج Minutes ٦٠ أن تُجرى مراسم التشييع في الأكاديمية البحرية، مضيفا: "وأن يتواجد بعض الأشخاص ليقولوا بأن هذا الرجل خدم وطنه".

برقيات وتغريدات نعي:

***فور شيوع نبأ رحيل ماكين توالى ردود فعل الطبقة السياسية الأمريكية، وقال الرئيس الديموقراطي السابق باراك أوباما الذي هزم ماكين في الانتخابات الرئاسية في ٢٠٠٨، إن "جون وأنا كنا ننتمي إلى جيلين مختلفين، كانت لدينا أصول مختلفة تماما، وتواجهنا على أعلى مستوى في السياسة، لكننا تشاركنا، على الرغم من اختلافاتنا، ولاء لما هو أسمى، للمثل التي ناضلت وضحت من أجلها أجيال كاملة من الأمريكيين والمهاجرين".

***من جهته، دعا زعيم الأقلية الديموقراطية في مجلس الشيوخ تشاك شومر إلى إطلسساق اسم جون ماكين على مبنى تابع للكونجرس كان فيه مكتب السيناتور الراحل.

***أما الرئيس دونالد ترامب الذي كان على خصام علني مع ماكين فاكتفى بتقديم تعازيه إلى أسرة الراحل في تغريدة لم يأت فيها على ذكر أي جانب من جوانب حياة ماكين المهنية أو الشخصية. وقال في تغريدته: "أقدم تعازي وأصدق احترامي لعائلة السيناتور جون ماكين. قلوبنا وصلواتنا معكم".

وأضاف: "قليلون منا اختبروا طريقة جون ماكين، لكن كل واحد منا يطمح لأن تكون عنده هذه الشجاعة، كما كانت عند ماكين الذي أظهر لنا معانيها".

***جورج بوش الابن أيضا، والذي هزم ماكين في ترشيحات الحزب الجمهوري بانتخابات عام ٢٠٠٠، قال في تصريح له: "هو رجل صاحب عقيدة، ومقاتل من الطراز الرفيع، من الصعب تخيل فقدان بعض الأشخاص".

***جون بايدن نائب أوباما والذي قضى سنوات طويلة في الكونغرس مع ماكين قال: "حياة جون ماكين دليل على أن الحقائق لا تقدر بثمن، أمانة، شجاعة، حسن السلوك والشرف، حياة مضت لضمان بقاء هذه الحقائق".
والمح أن ماكين كان جنديا في البحرية، زميلا في الكونغرس، معارضا سياسيا، لكن الأهم أنه كان صديقا قريبا بالنسبة له.

***الرئيس السابق بيل كلينتون كتب أيضا: "جون ماكين آمن بأن كل مواطن مسؤول عن فعل شيء لخدمة الحريات التي ضمنها الدستور، منذ خدمته بالبحرية وحتى وصوله إلى الكونغرس عاش مع عقيدته كل يوم".

العالم في نظر جون ماكين

عن مجلة (نيوزويك) الأمريكية ٢٠٠٨/٤/٢ :

٢٠١٨/٨/٢٦

مايكل هيرش: كان جون ماكين يقول: "علينا أن نصغي إلى آراء... حلفائنا الديمقراطيين". ثم، ومع أن الكلمات لم تكن واردة في نص الخطاب، كرر السيناتور من أريزونا كلامه، وكأنه يؤنب نفسه: "علينا أن نصغي". هذه العبارة التي ردها مرتين كانت مفعمة بالمعاني، وكانت من المواضيع الأساسية في أول خطاب مهم عن السياسة الخارجية ألقاه ماكين بعدما أصبح المرشح المتوقع للحزب الجمهوري.

كان ماكين يقول لأمریکا وللعالم بأسره: إذا انتخبت، فستكون هناك أخيراً عودة إلى ما أسماه جيفرسون بـ "الاحترام اللائق لآراء البشرية". لن تتخذ قرارات متسارعة بشأن الحروب بعد الآن، ولن تتخذ قرارات أحادية الجانب. لقد ولي زمن جورج دبليو بوش. والأهم من ذلك أن ماكين بدا كأنه يقول إنه، في حين ينقض هيلاري كلنتون وباراك أوباما أحدهما على الآخر، سأكون السياسي الحكيم والرحب الصدر الذي سيعيد علاقات أمريكا مع العالم إلى طبيعتها حتى قبل أن يصل إلى البيت الأبيض. لا عجب في أنه بعد هذا الخطاب الذي ألقاه الأسبوع الماضي في مجلس العلاقات الدولية في لوس أنجلوس، أصبح التعاون الدولي محور كلام القيمين على حملة ماكين، وما أسماه ماكين بـ "الميثاق الجديد". يقول ريتش ويليامسون، أحد مستشاريه: "إنه يتمتع بعلاقة وطيدة مع الكثير من الأوروبيين وغيرهم في أمة أخرى، بما فيها آسيا والشرق الأوسط" مضيفاً إن ماكين حافظ على حضوره على الساحة الدولية من خلال "ذهابه كل سنة إلى مؤتمر الأمن في ميونخ".

كل ذلك كان مطمئناً جداً. لكن هناك مشكلة واحدة: فجون ماكين لا يتصرف دائماً بحسب الصورة التي رسمها لنفسه بأنه قائد أمة. في الواقع، خلال حضوره مؤتمر ميونخ عام ٢٠٠٦، كان لماكين إحدى اللحظات التي أصبحت معروفة بلحظات ماكين. خلال اجتماع مصغر في فندق بايريشير هوف، كان ماكين يتشاور مع فرانك والتر شتاينماير، وزير خارجية ألمانيا - إحدى أهم الدول الحليفة مع أمريكا - عندما سمع الآخرون ماكين ينفجر غضباً. كان رأيه أن وزير الخارجية الألمانية متساهل أكثر من اللازم مع نظام روسيا البيضاء الوحشي. فرفع صوته على شتاينماير - المعروف بأنه يتكلم بأسلوب دبلوماسي مبهم - و"بدأ ماكين يرتجف ونهض عن كرسيه"، بحسب أحد المشاركين، وهو مسؤول دبلوماسي سابق رفيع المستوى تحدث عن الحادثة شرط ألا يتم ذكر اسمه. وأضاف: "قال كلاماً مثل: «لم آت إلى ميونخ لأسمع ترهات كهذه». فتدخل جو ليبرمان، صديق ماكين القديم. ليبرمان، الذي يعرف ماكين جيداً، وضع يده على ذراع ماكين وقال بهدوء: «جون، أظن أن هناك خطأ في الترجمة». طبعاً، ليبرمان لا يتحدث الألمانية ولم يحدث أي خطأ في الترجمة... لكنه اضطر إلى التدخل بسبب حدة طبع ماكين".

وطبعاً، لم يؤد ذلك إلى أزمة كبيرة، وقال الألمان لاحقاً إنهم سامحوه. لكن لا يمكن اعتبار غضب ماكين في ميونخ حادثاً منعزلاً. ماكين الذي لا يخشى أحداً ويعتبر أعماله مبررة أخلاقياً، لطالما كان معروفاً بأنه يصب غضبه على معارضيه، زملائه في مجلس الشيوخ، ومحاوريه الأجانب، وحتى مستجوبيه الذين كانت حياته بين أيديهم في سجن هانوي هيلتون. (يبدو أن ليبرمان، زميله المعتدل، اتخذ في الآونة الأخيرة دور مراقب لماكين. قبل أسبوعين فقط، عندما أخطأ ماكين وقال إن إيران تدرب مقاتلي تنظيم القاعدة في العراق، كان السيناتور من كونيتكت هو الذي أخذه جانباً من جديد وذكره بهدوء بأن النظام الإيراني متهم بتدريب المتطرفين الشيعة، وليس مقاتلي القاعدة السنة). بالنسبة إلى شخص على وشك الوصول إلى البيت الأبيض - وترتكز حملته على صورته بأنه سياسي محنك - لاتزال هناك أسئلة جديّة بشأن كيفية تصرف ماكين إذا أصبح رئيساً.

هذا يعود جزئياً إلى عدم سهولة تحديد شخصية ماكين. هناك ماكين البراغماتي: الخير بأمور الحياة والحادق، والعازم على التركيز على الوقائع بدلاً من الإيديولوجية، رجل مستعد لتحدي حزبه وإقامة تسويات، حتى مع الليبراليين أمثال تيد كنيدي (فيما يتعلق بمنح المهاجرين غير الشرعيين مجالا للعفو) وجون كيري (فيما يتعلق بتطبيع العلاقات مع فيتنام). ومن ثم هناك المدافع الناشط، والعازم على التوصل إلى أهدافه، والذي يستشيط غضباً في بعض الأحيان على معارضيه وهو مستعد لمواجهة الجميع بمفرده، من دون أي حلفاء، إن اقتضت الحاجة.

كلتا الصفتين جذابتان في ماكين. إنه براغماتي لخدمة المصلحة الوطنية وهو يزداد انفعالا عندما يعتقد أن أفضل القيم الأمريكية على المحك. حتى بعض الذين يقلقون بشأن حماسه وطباعه يقولون إنهم ينوون التصويت له (وهذا ما يقوله

أيضا الكثير من المحافظين المتشددين الذين يقلقون بشأن اعتداله). يقول ليبرمان إن غضب ماكين "جزء من قوته وجراته. هناك بعض الأمور التي يجب أن نغضب بشأنها عن حق".

في بعض الأحيان، اجتمعت شخصيتا ماكين هاتان – النضالية والبراغماتية – لتجعلا منه قوة ريادية في سبيل التغيير، وهذا ما يبدو أن الأمريكيين يريدونه الآن. ماكين المحلل العسكري المحنك هو الذي أمعن النظر في تنامي التمرد العراقي في خريف عام ٢٠٠٣، وقرر أن هناك حاجة إلى المزيد من الجنود الأمريكيين، ومن ثم واجه دونالد رامسفيلد العنيد لتغيير رأيه في هذه المسألة. (كان ماكين في الحقيقة أول شخص في واشنطن يدعو إلى زيادة "عدد الجنود"). في النهاية، وبعد أربع سنوات، تمكن من إقناع الكونغرس، والرئيس بذلك. وقد قال ماكين: "عارضت إرادة حزبي عندما لم يكن الأمر مؤاتيا من الناحية السياسية".

لكن صحيح أيضا أنه لطالما أيد الدعوات للإطاحة بصدام حسين، وكان من أشد مؤيدي الحرب في العراق. وبالرغم من جهوده الحثيثة لتصوير نفسه على أنه الرئيس الشافي، فإن هذا الرجل الغريب الأطوار من أريزونا يقلق الكثير من الناصحين. دعابته على أنغام Beach Boys حول ما إذا كان يجب "قص، قص، قص، قص" إيران ربما يسهل الاستهزاء بها. لكن ماكين قال مرارا إنه عندما يتم انتخابه رئيسا سوف يواجه "التحدي الأهم في القرن الـ٢١"، أي الحرب ضد الإرهاب الإسلامي المتطرف. وقد قال أكثر من ذلك: مشيرا، إلى أن من يخالفه الرأي في هذا الشأن – أي باراك أوباما وهيلاري كلنتون – عديم الكفاءة بكل بساطة. وأعلن في لوس أنجلوس: "أي رئيس لا يعتبر هذا التهديد أهم من كل التهديدات الأخرى ليس جديرا بأن يجلس في البيت الأبيض، لأنه لا يأخذ على محمل الجد الواجب الأساسي للرئيس، وهو حماية حياة الشعب الأمريكي".

هذا ما يقلق البعض بشأن حماسة ماكين لبعض القضايا: يمكن أن يكون براغماتيا في سعيه لمعالجتها، لكن يبدو أن نظرته لهذه القضايا غير قابلة للمساومة، تماما مثل جورج دبليو بوش، وهو يرفض إيجاد حل وسطي لها. الخلايا الإرهابية ربما تنتشر، لكن إيديولوجيتها المجنونة – كلامها عن إقامة خلافة من القرون الوسطى – تتلاشى حينما تبصر النور. وماذا عن التهديدات الكبيرة الأخرى، مثل الاحتباس الحراري العالمي؟ في مقابلة مع نيوزويك، قال ماكين إن هذه التهديدات مهمة، "الكنني أعتقد أن من لا يفهم حجم وهول هذا التهديد (المتطرف) ليس مؤهلا لأن يكون رئيسا للولايات المتحدة". في العراق، حيث فشلت الحكومة العراقية الأسبوع الماضي في قمع أعمال العنف المتجددة من قبل جيش المهدي التابع لمقتدى الصدر – ما أجبر القوات الأمريكية على التدخل من جديد – أعلن ماكين أخيرا: "إننا ننجح. ولا أكرث لما يقوله أحد". كلامه اللاذع في مسألة روسيا البيضاء مثال آخر على ذلك: لا أحد يشك في أن ألكساندر لوكاشينكو دكتاتور شرير ولو كان عديم الأهمية، لكن أحيانا يجب التكلم مع الأشرار.

وكذلك، رفض ماكين النظر في إمكانية الاجتماع مع الحكومة الإيرانية الحالية. ويخشى بعض النقاد أنه بالرغم من التزام ماكين المعلن بالضغط الدبلوماسي على طهران، فقد تؤدي هذه المقاربة المتشددة إلى أعمال عنائية. يقول وينسلو ويلر، وهو خبير في موازنة الدفاع راقب ماكين طوال سنوات بصفتة مساعدا لعدة أعضاء في مجلس الشيوخ: "الأمر الذي يمكن أن نتوقعه من أحد قدامى الحرب، لاسيما شخص يتمتع بخبرته المؤلمة، هو حذر يفوق الحذر الذي يبديه".

هذا الميل إلى ملاحقة القضايا بلا هوادة – مثل كرهه العميق لفلاديمير بوتين الروسي الذي يشبهه بالدكتاتور ويريد طرده من مجموعة الدول الصناعية الثماني (خلافًا للرغبة الأوروبية) – يقلق حتى بعض المتشددون في الحزب الجمهوري. وقد قال مسؤول سابق رفيع المستوى في مسائل السياسة الخارجية تحدث شرط ألا يتم ذكر اسمه: "حاولت التحدث إليه بشأن روسيا، لكنه كان متصلبا. بالنسبة إلي، هذه إحدى النواحي الأكثر إثارة للقلق بشأنه. يجب أن يكون المستشارون قادرين على دخول المكتب البيضاوي والقول: «اسمع، سيدي الرئيس، أظنك مخطئا». هذا أمر صعب في كل الأحوال. لكن إذا ظننت أنه سيؤنكب بشدة ولن يسامحك أبدا، فستكون مشكلتك كبيرة". وكما يقول ويلر: "لن يكون جو ليبرمان معه في الساعة الثالثة فجرا في سريره عندما يرن الهاتف".

ماكين نفسه لطالما كان مدركا لطباعه "الأسطورية" كما أسماها في كتابه الذي صدر عام ٢٠٠٢ بعنوان Worth Fighting For (تستحق القتال لأجلها). وقد كتب: "أنا نضالي، لا جدوى من ادعاء عكس ذلك". مع أنه أصر آنذاك على أن

الناس يميلون إلى تضخيم حدة غضبه (معظم أصحاب الطباع الحادة يقولون الأمر نفسه)، فهو يعترف بأن طباعه جعلته يرتكب معظم الأخطاء الفادحة في مسيرته المهنية. لكن حدة طباع ماكين ليست الأمر الوحيد الذي يقلق معارضيه» بل شعوره بأن أعماله مبررة أخلاقيا. عند ترشحه لمجلس الشيوخ في المرة الأولى عام ١٩٨٦، سئم ماكين من سماع شكاوى بشأن غضبه لدرجة أنه صرخ في وجه العاملين لديه ("فيما كانوا يحاولون تمالك أنفسهم عن الضحك"، بحسب الكاتب روبرت تيمبرغ): "طباعي ليست حادة! بل أهتم بشدة لبعض المسائل". المشاركون في مؤتمر ميونخ الذي شهد جدال ماكين مع شتاينماير عام ٢٠٠٦ يوافق على ذلك. وهو يقول: "إنه بكل بساطة السياسي الأمريكي الأكثر انفتاحا من الناحية العاطفية. كانت طباع أشخاص آخرين حادة. أيزنهاور كان مشهورا بحدة طباعه وكذلك كلنتون وريغان. لكن الفرق أن ماكين عاطفي جدا ويتسرع في الاستنتاجات". في مجلس الشيوخ، يُعرف عن ماكين أنه يغادر الجلسة إذا لم يعجبه ما يسمعه. يقول أحد العاملين الديموقراطيين القدامى في مجلس الشيوخ الذي وافق على وصف لقاءات خاصة شرط ألا يتم ذكر اسمه: "لا يمكن للرئيس أن يغادر متى شاء" لديه واجبات أوسع نطاقا". ينفي ماكين مغادرته أي اجتماع لهذا السبب، قائلا إن سجله في مجلس الشيوخ يظهر "ساعات طويلة من المناقشات الهادئة والمرتنة وحسن النية والاحترام للذين لديهم آراء مخالفة"، لكنه يضيف: "الذي مشاعر قوية بشأن بعض المسائل، ويوم تزول هذه المشاعر، سأعتزل الحياة العامة وأذهب إلى دار الجنود العجزة لأجلس على كرسي هزاز".

حتى أشد منتقديه لا يقولون إن ماكين، الذي اختبرت شخصيته وسلامة عقله في أقسى ظروف التعذيب التي يمكن لإنسان أن يتحملها، غير مستقر عقليا. وحتى الكثير من معجبيه الديموقراطيين، مثل عضوي مجلس الشيوخ السابقين بوب كيري وغاري هاري، يعتقدون أنه سيكون رئيسا ممتازا. ليبرمان، وهو ربما أحد أشد مؤيديه في مجلس الشيوخ، يقول إنه من "العدل" التساؤل عما إذا كان الغضب الذي ميز مسيرة ماكين في مجلس الشيوخ يليق بالبيت الأبيض. لكنه يضيف: "لم أره قط يغضب لدرجة فقدان السيطرة على نفسه".

أي معارك من المحتمل أن يخوض باعتباره رئيسا؟ كونه من المحاربين القدامى في فيتنام، التي خففت الهزيمة فيها من حدة طباعه، اتخذ ماكين الكثير من القرارات الحكيمة والعميقة بشأن استعمال القوة خلال أكثر من ٢٠ سنة في مجلس الشيوخ. في عام ١٩٨٣، حينما كان عضوا في الكونغرس، طالب بانسحاب مشاة البحرية من بيروت، متحديا رئيسا كان قد أعلن أنه معجب به، وهو رونالد ريغان. وصوت ضد التدخل في هايتي ولمصلحة الحد من التمويل للمهمة العسكرية في الصومال. كان حذرا من حرب برية ضد العراق عام ١٩٩١، مع أنه في النهاية صوت لها. لكن منذ ذلك الحين، أظهر ماكين أيضا استعدادا لاستعمال القوة، مما يوحي بأنه تخطى حذره المتأني من تجربته في فيتنام.

ماكين نفسه ينكر أن آراءه تغيرت، ويقول مساعدوه إنه بقي يؤيد المفهوم الذي يتشارك فيه الكثير من المحاربين القدامى في فيتنام: أي "عقيدة باول". وتفيد هذه العقيدة المسماة تيمنا برئيس هيئة الأركان المشتركة ووزير الخارجية السابق كولين باول، بأنه يجب عدم الاستعانة بالجيش الأمريكي ما لم تكن المهمة وأهدافها واضحة، وما لم تستعمل القوة الساحقة. في بيروت والصومال، رأى ماكين أن المهمتين كانتا مشوشتين، كما يقول مارك سالتر، كاتب خطاباته منذ زمن بعيد وصديقه المقرب. "كان رأيه: «بحق السماء، ماذا يفعل بضع مئات من مشاة البحرية هناك سوى تعريض أنفسهم للخطر؟»" (بعيد ذلك، في ٢٣ أكتوبر ١٩٨٣، قتل ٢٤١ جنديا من مشاة البحرية في تفجير إرهابي).

بدا ماكين أكثر ميلا إلى استعمال العنف عقب النجاحات الباهرة في حرب الخليج - بداية حقبة "القنابل الذكية" - وانتهاء الاتحاد السوفييتي. وبدأت نظرتة إلى مهمة أمريكا تتوسع، خصوصا بعدما قتل الصرب ٨٠٠٠ مسلم في سربرينيتشا عام ١٩٩٥. في أواخر تسعينيات القرن الماضي، أيد بشدة الحرب الجوية في كوسوفا، ووقع مع بعض المحافظين الجدد أمثال بول وولفويتز وريتشارد بيرل على وثيقة "مشروع لقرن أمريكي جديد"، تدعو للإطاحة بصدام حسين.

بعد مرور عقد، في أعقاب هجمات ١١ سبتمبر، كان ماكين أكثر تلهفا من بوش لمحاربة صدام في خضم الحرب ضد تنظيم القاعدة، معلنا في أوائل عام ٢٠٠٢ أن العراق هو "الجبهة التالية". منذ ذلك الحين، تعهد بإبقاء الجنود الأمريكيين هناك لأجل غير مسمى، قائلا إنه يوافق أسامة بن لادن نفسه الرأي بأن العراق هو ساحة المعركة الأساسية في الحرب على الإرهاب. وقد

قال ماكين أخيراً: "الجنرال بترايوس وأنا وأسامة بن لادن متفقون. يصعب علي فهم عدم استيعاب السيناتورين كلنتون وأوباما هذا المفهوم".

ماكين يعرف أن حملته الرئاسية ستنتج أو تفشل تبعاً لنظرة الشعب إلى العراق والحرب على الإرهاب بشكل عام، وقد قال أخيراً للصحافيين على متن طائرة حملته: "رأي الناس في كيفية سير الأمور في العراق سيكون له تأثير مباشر على رأيهم بي. هذا خارج عن سيطرتي من بعض النواحي". الأسبوع الماضي، مع اندلاع أعمال العنف في بغداد والبصرة، برزت أسئلة جديدة حول "فهم" ماكين لما يجري في العراق وللحملة الدقيقة ضد التمرد التي يقودها الجنرال ديفيد بترايوس. عندما سافر إلى هناك العام الماضي، وتجول في سوق مفتوحة في بغداد بسترة مضادة للرصاص لإظهار نجاح استراتيجية زيادة عدد الجنود، "شعر الكثيرون منا بالانزعاج. شعرنا بأنه يسعى لتحقيق تقدم بقوة وبسرعة مفرطة"، كما يقول عضو سابق في القيادة الأمريكية في بغداد وافق على التحدث عن مناقشات داخلية شرط ألا يتم ذكر اسمه.

بالرغم من سجل ماكين المتضارب حول استعمال القوة، يفهم فريقه أنه يعاني مشكلة فيما يتعلق بصورته العامة. لذلك لم يكن مفاجئاً أن الجمل الأولى من خطابه الأسبوع الماضي كانت تهدف إلى إزالة أي شكوك متبقية في أن ماكين من مؤيدي الحروب، كما يقول سالتر. فقد أعلن ماكين: "أنا أكره الحرب. عندما تسعى الأمم لحل خلافاتها بالقوة، يلي ذلك ملايين المآسي... مهما كانت المكاسب، فإن الذين قاتلوا في الحرب لا يتذكرون سوى الخسائر التي تكبدوها".

مع ذلك، لا عجب في أن تجربة ماكين في فيتنام تشكل عاملاً أساسياً في تكوين شخصيته. يقول غاري هارت، الذي تولى مرافقة المدعويين إلى مقاعدتهم في زفاف ماكين عام ١٩٨٠: "موقفه من العراق متأثر إلى حد كبير بتجربته في فيتنام. أظن أنه من الناحية النفسية غير قادر على تحمل الخسارة. إنه، على غرار الكثير من المحاربين القدامى، يعتقد أننا كنا قادرين على «الانتصار في حرب فيتنام» لو لم يصب السياسيون بالهلع ويرضخوا لمطالب الشعب وينسحبوا قبل الأوان".

لكن المسألة الأهم التي تلاحق ترشيح ماكين المتجدد هي ما إذا كان سيشن حرباً جديدة على إيران. فقد قال ماكين لنيوزويك إنه "سيستمر في تجربة كل الخيارات الممكنة قبل تعريض حياة الشبان الأمريكيين للخطر"، لكن "لا يمكننا تحمل اكتساب إيران أسلحة نووية". يقول ليبرمان إن ماكين هو الرجل المناسب لتجنيب أمريكا الحرب: "سيفعل كل ما بوسعه لتفادي مواجهة عسكرية مع إيران. هناك تعبير قديم مفاده أن أفضل طريقة لتحقيق السلام هي الاستعداد للحرب". لقد دعا ماكين إلى زيادة ١٠٠٠٠٠ فرد جديد إلى الجيش الأمريكي ومشاة البحرية، لكنه يفهم أيضاً أن الصراع العالمي ضد الإرهابيين والدول الراعية لهم يتم من خلال استراتيجية مكافحة التمرد على نطاق واسع التي تتطلب كسب "القلوب والعقول" بقدر ما تتطلب القيام بعمليات عسكرية. وقد قال في لوس أنجلوس: "في هذا الصراع، ستكون المنح الدراسية أكثر أهمية من القنابل الذكية". إذا أصبح جون ماكين رئيساً، فأي منها سيستعمل أكثر؟

حوار حول ما يستحق القتال لأجله

تحدث السيناتور جون ماكين مع مايكل هيرش من نيوزويك بشأن المواجهة مع إيران، وتجدد العنف في العراق، وطباعه، من بين مسائل أخرى. وهذه مقتطفات:

هيرش: لماذا تعتقد أن التطرف الإسلامي هو "التحدي الأهم" في هذا القرن؟ متى قررت ذلك؟

ماكين: لطالما أقلقني ذلك. عندما سافرت إلى الخارج رأيت المدارس الدينية، وبالطبع كنت أطلع على تقارير استخباراتية بشأن انتشار التطرف. كانت هناك مؤشرات أخرى إضافة إلى ذلك تعود إلى تفجير ثكنة مشاة البحرية في بيروت (عام ١٩٨٣). لا أظن أن هناك أي شكوك في أن هجمات ١١ سبتمبر أعطت المسألة أهمية أكبر.

عام ١٩٨٣، دعوت إلى ضبط النفس، وسحب مشاة البحرية.

في الحقيقة، كنت أدعو إلى سحبهم لأنني كنت أخشى... أن يكونوا مجرد قوة رمزية تفتقر إلى التنظيم والدعم الكافيين للتأثير على الأرض.

أستأجل إن كانت آراؤك بشأن استعمال القوة قد تغيرت منذ ذلك الحين. يقول بعض الناس إن نجاح الجيش الأمريكي في حرب الخليج الأولى جعلك أكثر استعداداً لنشر القوات العسكرية في الخارج.

لا، لا أظن ذلك. إذا تم اقتراح وضع شبيه بما حصل في بيروت، فسأعارضه حتما. لدي قناعة قوية بأن علينا القيام بكل ما بوسعنا لمنع انتشار التطرف الإسلامي أو زيادة نفوذ إيران في الشرق الأوسط، لكن يجب أن يكون هناك اقتراح فعال للحفاظ على مصالحنا الأمنية القومية (كي أوافق على إرسال جنود).

في خطابك في لوس أنجلوس، بدت عازما على تبديد أي شكوك في أنك قد تجر أمريكا إلى حرب أوسع، ربما مع إيران.

لا، لا أظن ذلك. قلت ذلك لأول مرة في تسعينيات القرن الماضي، عندما لم أكن مرشحا للرئاسة. كنت أحاول التعبير عن آرائي بأن المحاربين القدامى يكرهون الحرب أكثر من غيرهم، لأنهم يحزنون على فقدان رفاقهم ويعرفون فظائع الحرب عن كثب. سأكرر مرارا بأن النزاع المسلح هو الخيار الأخير.

فيما يتعلق بإيران، إذا استنزفت كل الخيارات الدبلوماسية، وفشلت الضغوط الاقتصادية في إجبارها على إيقاف برنامجها النووي، هل ستفكر في شن حرب؟

حسنا، إن كان لا بد من الإجابة عن سؤالك، سأعيد صياغته بشكل يتيح لي ذلك. علينا أن نستنزف كل الخيارات الممكنة. أظن أن هناك الكثير من الخيارات الفعالة، بما فيها خيارات تحدثت عنها مع (الرئيس الفرنسي نيكولا) ساركوزي و(رئيس الوزراء البريطاني غوردن) براون خلال رحلتي الأخيرة إلى أوروبا، تشكل سبيلا فعالا لفرض العقوبات. لكنني أقول بلا تردد إنه لا يمكننا تحمل حصول إيران على أسلحة نووية بسبب العواقب الجلية، انتشار الأسلحة النووية في المنطقة، وتهديد وجود إسرائيل، إلخ.

في نقاشاتك مع ساركوزي وبراون، هل اتفقتم على أي عقوبات قد يتم فرضها غير تلك التي فرضتها إدارة بوش؟

كلا، لم نتطرق إلى هذه التفاصيل... ما ناقشته معهم هو مفهوم تضافر الدول بطريقة حازمة وفعالة لإقناع الإيرانيين بنجاح بأن سعيهم للحصول على أسلحة نووية سيؤدي إلى عواقب عالية الكلفة، اقتصاديا ودبلوماسيا.

هل توافق الرئيس بوش الرأي بأننا نخوض "حربا على الإرهاب"؟

أظن أنه نزاع عسكري واستخباراتي ودبلوماسي وإيديولوجي. الأهم أن النزاع إيديولوجي على المدى البعيد... نزاع داخل المجتمع الإسلامي، بين المتطرفين والمعتدلين. ومن ثم هناك نزاع آخر بين كل القيم المهمة بالنسبة إلينا والمتطرفين الذين ازداد نفوذهم إلى حد كبير في بعض أنحاء العالم.

لاحظت أنك تستعمل كلمة "نزاع" وليس "حرب".

لا أحب استعمال كلمة "حرب"، لأن النزاع متعدد الأوجه. وقد يتضمن شقا مسلحا وعسكريا. لكن في نهاية المطاف، أظن أن المسألة تتعلق بالإيديولوجية.

في كتابك بعنوان "تستحق القتال لأجلها"، تقول إن "طباعي جعلتني أرتكب معظم الأخطاء الفادحة في مسيرتي المهنية". أي أخطاء؟

أعني عندما أرى الفساد، وعندما أرى الإنفاقات التي في غير محلها التي تذهب إلى مشاريع الهدر غير الضرورية، وعندما لا يحظى الرجال والنساء في القوات المسلحة بالأفضلية من حيث التجهيزات والتدريب. عندما أرى أناسا لا يحترمون المعايير والقيم التي نضحي لأجلها، أحيانا - مع أن هذا لم يحدث في السنوات الأخيرة - أفقد رباطة جأشي وأتكلم بغضب. لدي مشاعر قوية بشأن بعض المسائل، ويوم تزول هذه المشاعر، سأعتزل الحياة العامة وأذهب إلى دار الجنود العجزة لأجلس على كرسي هزان.

في خطابك في لوس أنجلوس، قلت إن أي رئيس لا يعتبر أن التطرف الإسلامي أهم من كل التهديدات الأخرى في القرن الـ ٢١ ليس جديرا بأن يجلس في البيت الأبيض. هل من العدل التفاوض عن الرأي القائل إن تهديدات أخرى - مثل أزمة القروض والاحتباس الحراري ونهوض روسيا - قد توازيها أهمية أو قد تكون أكثر أهمية؟

أنا أتقبل هذا الموقف. لكنني أعتقد أنه لا يجدر بأحد أن يجلس في المكتب البيضاوي إن لم يكن يفهم أن هذا هو التحدي الأهم في القرن الـ ٢١. أعتقد أن التحدي الاقتصادي كبير وقاس وربما الأصعب منذ الحرب العالمية الثانية. لكن لدي ثقة راسخة في الاقتصاد الأمريكي. أعتقد أن من يعجز عن فهم حجم وهول هذا التحدي (المتطرف) ليس مؤهلا لأن يكون رئيسا للولايات المتحدة.

مولد الديمقراطية في العراق

*جون ماكين

صحيفة وول ستريت جورنال ٢٨/٣/٢٠١٠ :

٢٦/٨/٢٠١٨

كتب جون ماكين، السيناتور الجمهوري عن ولاية أريزونا والمرشح السابق للرئاسة الأمريكية عن الحزب الجمهوري، مقالاً نشرته صحيفة وول ستريت جورنال تحت عنوان «مولد الديمقراطية في العراق جاء فيه: هناك حاجة إلى التزام أمريكي متواصل»، قال فيه إن الأعصاب مشدودة هذه الأيام في العراق، إذ يتنافس العراقيون للسيطرة على البلاد، ويدينون منافسيهم بقسوة. وفي مثل هذه المناسبات تكون الانفعالات متأججة، والغضب عارماً. لكن على خلاف السنوات الأخيرة، الحرب العراقية على السلطة هذه المرة لا تخاض من خلال القتل والقمع، لكن عبر الحجة والتحالفات. الديمقراطية قد حلت في العراق، إن انتخابات ٧ مارس كانت نصراً للعراق وللولايات المتحدة. الانتخابات كانت حرة ونزيهة بدرجة كبيرة. ومع أن الطائفية لا تزال تلون المشهد السياسي العراقي، لكنها تكبح من خلال تحالفات أكثر تنوعاً وبراماتية. المرشحون ذوو التوجهات العلمانية أو القومية أو الدينية المعتدلة سادوا كثيراً على المتطرفين الطائفيين. والتحالفات المؤيدة للولايات المتحدة سادت في معظمها على تلك المدعومة من إيران. فمما لا شك فيه أن ديمقراطية عراقية حقيقية ومتفردة تولد في العراق.

ويقول الكاتب إن الحكمة التقليدية قبل وقت ليس ببعيد كانت تقول العكس تماماً. إن العراق بلد مصطنع، محكوم عليه بالأحقاد العرقية والطائفية والفوضى والطغیان. فكان البديل الضمني هو ترك العراق يلتهم نفسه.

لكن لحسن الحظ رفضت هذه الحكمة التقليدية، وقدمت الولايات المتحدة المساعدة للأغلبية العراقية المعتدلة لتحويل المد ضد أقلية عنيفة، وفتح الفضاء أمام عملية سياسية ديمقراطية وسلمية.

ويقول الكاتب إن العراق الآن أمامه فرصة لمستقبل أفضل، لكنه لم يخرج إلى شط الأمان بعد. مكاسبه حقيقية لكنها هشة. هناك إرهابيون وجيران مصممون على إشعال العنف من جديد داخل البلاد. وهناك نزاعات كبرى، مثل وضع مدينة كركوك، تبقى دون حل ويمكنها أن تنزع الاستقرار في أي وقت.

فبعد كل هذه التضحيات الكثيرة، لا تزال نقف أمام مرحلة حرجية، فإما أن يتعزز النجاح أو يهدر، ويتعين على الولايات المتحدة أن تكون أكثر انخراطاً منها في أي وقت مضى. ويضيف الكاتب أن الولايات المتحدة يتعين عليها في هذه الآونة، بعد صدور نتائج الانتخابات، أن تحث جميع الأطراف على القبول بالنتائج بطريقة سلمية، وتساعد العراقيين في تشكيل حكومة جديدة تستطيع أن تلبي التوقعات المرتفعة بحياة أفضل للشعب العراقي. وعلى الولايات المتحدة أن تستغل نفوذها لمساندة العراقيين في صنع القرارات التي تخدم مصالحهم القومية، لا المصالح الطائفية الضيقة.

ولهذا السبب، يناشد الكاتب الرئيس أوباما مواصلة المرونة في تنفيذ سحب القوات. ويلفت إلى أن اتفاق سنة ٢٠٠٨ حول وضع القوات، الذي يعتبر الإطار المنظم للانسحاب، لا يورد ذكراً لتخفيض مستويات القوة الأمريكية في العراق إلى ٥٠,٠٠٠ بحلول أغسطس ٢٠١٠. الرئيس هو من أضاف هذه المهلة بنفسه، على افتراض أن الانتخابات العراقية كانت ستجري في يناير، لا في مارس. ولهذا يجب أن تكون الولايات المتحدة منفتحة أمام مراجعة هذه المهلة، استناداً إلى الأوضاع المتغيرة على الأرض.

ويضيف الكاتب أن عراقاً ناجحاً يمكن أن يخدم كنموذج من الطراز الأول في حرب الأفكار ضد تنظيم القاعدة: دولة مستقلة وذات سيادة بأغلبية عربية وإسلامية ترفض الإرهاب والتطرف العنيف، وتحتضن التحديث.

ويختم الكاتب مقاله بالتشديد على أن هذا التقدم يعتمد على التزام أمريكي متواصل ومن الحزبين بالعراق، وهذا هو ما يتحقق الآن بعد طول انتظار. ويعزو الكاتب الفضل في ذلك إلى استراتيجية عديد القوات، وطي صفحة الخلافات الداخلية الأمريكية حول العراق. فالحرب حول الحرب توشك على الانتهاء، لكن يبقى على الولايات المتحدة التزام أخلاقي بإنجاح التجربة العراقية، ولا بد من أن يكون التزاماً دائماً.

الشرق الأوسط في فوضى: عن الأنظمة والحدود

*يوست هلتزمان

مؤسسة (منتدى الشرق) : ٢٧/٨/٢٠١٨

ملخص: مئة عام مرت على تشكل حدود الشرق الأوسط الحديث للمرة الأولى. مضت حينها بريطانيا وفرنسا، المنتصرتان في الحرب العالمية الأولى، في تقسيم بقايا الإمبراطورية العثمانية المنحدرة. وبقيت الحدود التي رسمتها الدولتان حتى يومنا هذا، وتطورت الأنظمة السياسية التي وضعتا قواعدهما، لكنهما لم تفلتا أبداً من اعتماديتها على قوى خارجية متعددة، ما أفضى إلى أنظمة حكم تتوطن فيها أوجه الخلل. هذا النظام الفوضوي الذي امتد قرناً من الزمان قد واجه تحدياً ممتداً في أثناء انتفاضات ٢٠١١ الشعبية التي جابت منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وأتاح الانهيار اللاحق لعدد من الدولة العربية بدوره الفرصة لمجموعتين من الجهات الفاعلة من غير الدول كي تمحو الحدود التي تعتبرها ظالمة، وتعمل على رسم حدود جديدة: الأولى تضم الكرد، الذين عانوا بشدة في نضالهم من أجل تأسيس دولة حُرِّموا منها قبل مئة عام، والثانية تضم أتباع الدولة الإسلامية (داعش)، الساعين إلى تأسيس خلافة إسلامية عالمية تسمو فوق الدول القومية. وفشل المجموعتين حتى الآن في تحقيق طموحاتهما يشهد على قوة حدود منطقة الشرق الأوسط. ربما تسنح الفرصة لاحقاً لكن في الوقت الراهن، ربما يكمن حل مشكلة الحدود الظالمة في ترتيبات سياسية أكثر فعالية داخل هذه الحدود. وبينما تبدأ مجتمعات الشرق الأوسط في انتزاع نفسها من هوة النزاع، كما يفعل العراق اليوم فيما يبدو، فإن ذلك هو التحدي الذي سيتحتم عليها مواجهته، أي إعادة صياغة العقود الاجتماعية، وتأسيس بني حكم قادرة على استيعاب احتياجات شعوب شديدة التنوع، والمساواة بينها، والإدارة السلمية للنزاعات الإقليمية مع الجيران.

حين يتعرض الناس للصدمة وينجون منها، فإن طموحاتهم في التغلب عليها ومنع تكرارها لا تموت. بل بالعكس، تزداد تلك الطموحات قوة بمرور الوقت، برغم الانتكاسات – الكارثية أحياناً – حتى يأتي يوم يمنحهم فرصة كسر الحواجز الخارجية المفروضة عليهم، وتحقيق الأحلام التي طال انتظارها. لكن النجاح ليس مضموناً. فحراك الشعوب – أي استعدادها للكفاح والتضحية – قد يكون جوهرياً في تحقيق الأهداف، لكنه لا يكفي وحده. إذ تلعب البيئة الجيوسياسية المتغيرة باستمرار دوراً هائلاً في تحديد النتيجة.

وهناك مثالان قريبان على ذلك: استفتاء استقلال كرد العراق في أيلول/سبتمبر عام ٢٠١٧، الذي اتضح أن توقيته أسى تقديره إساءة جسيمة، والانتفاضات العربية الفاشلة، التي سعت إلى إسقاط أنظمة الدول المصنوعة في أعقاب انهيار الإمبراطورية العثمانية (تطورت هذه الأنظمة في الأعوام المئة المنصرمة، لكنها اتسمت بالخلل الوظيفي، وفقدت في نهاية المطاف البقية الباقية من شرعيتها). إن الحدثين منفصلان لكنهما متصلان أيضاً، فانهيار نظام الدول العربية غذى إيمان الكرد بإمكانية المضي قدماً من أجل تحقيق حلم الدولة الكردية. وكلا الحدثين أيضاً يرجع أصله إلى الفوضى الناشئة عن الحرب العالمية الأولى وتفكك الإمبراطورية العثمانية، التي وفرت لقرون شيئاً من النظام لقاطنيها رغم أوجه الخلل المتزايدة بها.

الحدود وضحاياها

إن الغنائم تذهب للمنتصر، ويخرج المندحر بأعمق مشاعر الحقد يغذيها الانتقام الذي لم يتحقق. بدأت القوى المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، وهي بريطانيا وفرنسا، في تقسيم بقايا الإمبراطورية قبل نهاية الحرب بكثير. وتنازعت الدولتان على ترسيم الحدود لبضعة أعوام منذ اتفاقية سايكس بيكو لعام ١٩١٦، واستقرتا في النهاية على التسوية الباقية إلى يومنا هذا. وقطعت بريطانيا وفرنسا وعوداً للشعوب الخاضعة لهما، وحنثتا بها بالسرعة نفسها. وفي الكثير من الحالات، لم تكن هذه وعوداً حقيقية، بل مجرد أفكار برزت في خضم التفاوض ورسم الخطوط على الأوراق. فلم يحصل الكرد على دولتهم الخاصة التي طالبوا بها وظنوا أنهم قد وعدوا بها، بينما انقسمت "الأمة" العربية إلى دول شتى، رسمت حدودها المصالح الإمبريالية التي فصلت العائلات عن بعضها والقبائل عن بعضها، وكانت الدوافع الرئيسية هي الولوج إلى موارد المياه والنفط. وخرجت تركيا دولة ذليلة منفصلة عن الإمبراطورية.

لكنها - مدفوعةً بحماسةٍ قوميةٍ جديدةٍ تحت قيادة مصطفى كمال أتاتورك - تمكّنت من كبح الطموحات الإقليمية لخصومها والسعي الكردي إلى الاستقلال.

وكان الشعب الكردي، الذي هو واحدٌ من أكبر الشعوب في العالم بلا دولة، ضحيةً واضحةً للأعيب القوى الإمبريالية وخيانتها من وجهة نظره. فبعد أن عُرضت عليه احتمالية إقامة دولة في معاهدة سيفر عام ١٩٢٠ - في مساحةٍ جغرافية لا تضمُّ غالبية الكرد - حُرِم الكرد منها بعد ثلاثة أعوام فقط في معاهدة لوزان. وفي البنية الجديدة للشرق الأوسط، انقسم الكرد إلى أربع أقاليم منفصلة: في تركيا، وإيران، ودولتي العراق وسوريا العربيتين الجديدتين. وتاريخ الكرد من بعدها هو تاريخ كفاح من أجل الحريات والانفصال، من أجل الاستقلال بدولتهم أو الاتحاد الذي تأخّر كثيراً تحت مظلة دولة كردية جامعة.

من السهل فهمُ دافع الكرد، فقبائلهم وعشائريهم وعائلاتهم مزقتها الحدود الجديدة. فلم يعد بمقدور رعاة الغنم نقل قطعانهم من سهول شمال تركيا إلى المراعي الصيفية المعتادة في جبال جنوب شرق تركيا، وواجه التجار رسوماً جمركية غير مألوفة لكي يتمكنوا من البيع في مجتمعهم الخاص، ولم يعد مسموحاً بالانتماء والتمثيل السياسي إلا إن استتبع الولاء لدولة مركزية هي بالنسبة إليهم غريبة وعدوانية في المعتاد. وأي احتجاج - وبالأخص أي تعبير عن قومية كردية عابرة للحدود - قوبلَ بالقمع العنيف. وصارت حدود ما بعد الحرب العالمية الأولى مقدسة بالنسبة إلى تركيا وإيران والعراق وسوريا، بغض النظر عن رأيهم فيها، ورأوا في أي محاولة لإزالتها تهديداً وجودياً، وسبباً كافياً للاتفاق برغم خلافات هذه الدول السياسية والأيدولوجية والجيوسياسية العميقة. وصارت كلمة "التقسيم" هي أكثر الكلمات المكروهة في لسان العرب.

حصل العرب على دولهم، لكن الطموح الذي عاش لأعوام وصاغه القوميون العرب بإنشاء كيانٍ واحد تربطه اللغة والثقافة والتاريخ تم إحباطه. وامتنع القوميون العرب من الطبيعة الاعتبارية - في نظرهم - للحدود المفروضة عليهم، وقاوموا نية بريطانيا المعلنة بتأسيس وطنٍ لليهود على أرضٍ عربية، باعتبارها محاولة خبيثة لإبقاء العرب منقسمين. وبدافع من هذه المظالم، تمتعت حركة الوحدة العربية بشعبية جارفة في معظم القرن العشرين. وحركتها نخب علمانية حاولت - في بعض الأوقات - إعطاها تعبيراً متماسكاً وقُبلة حياة عبر ضم دولتهم إلى دولة أخرى رأوا فيها الطموحات نفسها: كوحدة مصر وسوريا، والعراق والأردن، والجهود المشابهة. كانت كل هذه المشروعات بلا استثناء قصيرة العمر، إن كانت قد تحققت من الأصل. وعلاوة على ذلك، رضيت النخب الحاكمة مع مرور الوقت بالحدود التي ورثتها، واعتنقت بإخلاص الهويات المنفصلة (العراقية والسورية والأردنية والمصرية وغيرها) التي تميز دول الشرق الأوسط الحديث.

كانت نقطة التحول هي هزيمة الجيوش العربية في حرب ١٩٦٧، التي حملت الاسم المهيّن "حرب الأيام الستة". فقد أظهرت الحرب أنّ الوحدة العربية قد فشلت (استُبدلت لبعض الوقت بالقومية الفلسطينية). وتراجعت النخب العلمانية، وبرزت أيديولوجيات جديدة بقيادة إسلاميين يطمحون إلى الوحدة الإسلامية أكثر من الوحدة العربية. بعبارة أخرى: وحدة عمياء عرقية، بين العرب والأتراك والكرد وغيرهم، تحت راية الإسلام. وكان أول التعبيرات السياسية عن هذه الحركة جماعة الإخوان المسلمين، الجماعة ذات الأصول المصرية التي أنبتت جماعات زميلة بأيديولوجية مشابهة في أنحاء الشرق الأوسط. ويرجع بقاء هذه الجماعات، التي حظرتها أنظمة علمانية راسخة مدعومة من الغرب، بشكل كبير إلى تفادي العمل السياسي الصريح. وقد مرت هذه الجماعات أيضاً بدرجة من التحول إلى التطرف، إذ اندفع الشباب الساخط إلى ساحات الحرب في أفغانستان في ثمانينيات القرن الماضي، ولاحقاً في العراق مع الغزو الأمريكي. وهناك اكتسب الشباب مهارات التنظيم والقتال، وسمعة الأبطال المتصدين للغزاة الأجانب، وصنعوا نموذجاً رغب الكثيرون في الوطن العربي أن يحذو حذوه. وفي أكثر مظاهريهم التنظيمية تطرفاً، ألا وهو تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، استهدف الإسلاميون استعادة الخلافة التي أنهاها أتاتورك بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية.

وحين اندلعت الانتفاضات العربية في عام ٢٠١١، لم يتحرك المحتجون بدافع من ظلم حدود دولهم واعتباطيتها، بل بسبب طبيعة ترتيبات الحكم داخل هذه الحدود، التي تمخضت عن المحسوبية والمحاباة وأشكال أخرى من الفساد، وفشلت فشلاً متزايداً في تقديم الخدمات وتوزيع ثمار أي نمو اقتصادي (اختلف حجم النمو من دولة إلى أخرى،

وتراكت أغلب الثروات في دول الخليج). وجاء السعي إلى تغيير الحدود بين البلدان من فصليّين محدودين: الكرد، الذين ليست لديهم دولة من الأصل، وعانوا بشدّة في سعيهم إلى إنشاء دولة كردية على مدار قرن، وأتباع الدولة الإسلامية (داعش)، الذين احتفلوا في حزيران/يونيو ٢٠١٤ باختراق الحدود العراقية السورية كخطوة أولى تجاه تأسيس خلافة إسلامية عالمية تسمو فوق الدول القومية. وفشل المجموعتين حتى الآن في تحقيق طموحاتهما يشهد على قوة حدود منطقة الشرق الأوسط، في مقابل اصطناعيتها المزعومة.

كيف تتغيّر الحدود؟

إن اعتمدنا على التاريخ، فتغيرات الحدود – خاصة المتنازع عليها – تنشأ بشكل رئيس من أحداثٍ درامية تُطرح بما هو أكثر من الحدود – مثل تفكك إمبراطورية – ويخرج منها خاسرون وفائزون واضحون. وكانت الحرب العالمية الأولى مجموعة من تلك الأحداث التي رجّت الأرض، وكذلك كانت الحرب العالمية الثانية، التي تمخّض عنها الاتحاد الأوروبي، الذي هو اتحاد يتسع تدريجياً لمجموعة من الدول القومية في وحدة واحدة، تزال فيه الحدود بينها جزئياً بمرور الوقت. وأدت نتيجة الحرب أيضاً إلى تقسيم ألمانيا إلى دولتين ولم تتوحد الدولتان مجدداً إلا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي بعد أكثر من أربعة عقود. وكذلك سمح تفكك الاتحاد السوفيتي بافتراق التشيكيين والسلوفاكيين ودياً. وفي أماكن أخرى، تشكلت دول وحدود جديدة في أتون الحرب، كما حدث في البلقان وفي السودان وجنوب السودان. حتى داخل أوروبا، بدأت النزعات الانفصالية – التي جرى احتواؤها لمدة طويلة بسبب الدمار الذي يعرف الجميع إمكانية أن تتسبب به حركات الانفصال – في الاشتداد مجدداً. انظر إلى التطورات في إسبانيا/كاتالونيا في ٢٠١٧.

إن الكرد تلاميذ منكبّون على دراسة التاريخ والجغرافيا، وهدفهم الرئيس هو فهم تركيبة العوامل التي ستساعدهم في إنشاء دولة خاصة بهم، ومتى يمكنهم ذلك. وقد دخل الكرد مراراً في تحالفات مع القوى العظمى على أمل أنها ستدعم السعي الكردي إلى الاستقلال في مقابل المنافع التي سيقدمها الكرد بموجب هذه التحالفات. وحين رأى قادة كرد العراق الضعف الذي حلّ بدولة العراق بعد ٢٠٠٣، وسقوط سوريا في الحرب الأهلية بعد ٢٠١١، ومنعطف التدمير الذاتي الذي اتخذته تركيا بعد ٢٠١٥، وحين استغلوا بنجاح حاجة القوى الغربية إلى قوات برية محلية في قتال الدولة الإسلامية (داعش) بعد ٢٠١٤ عن طريق توفير القوة البشرية وجهود الحشد، وحين منحتهم القوى العظمى في المقابل المعدات العسكرية والتدريب إضافة إلى الدعم والتعاطف السياسي – ظنّ الكرد أنّ اللحظة قد حانت.

وفي سبتمبر/أيلول ٢٠١٧، تجاهل مسعود بارزاني، رئيس إقليم كردستان في العراق، كلّ الاحتجاجات من هؤلاء الحلفاء أنفسهم – الولايات المتحدة والحكومات الأوروبية وتركيا – ومن خصومه – الحكومة الفيدرالية في العراق وإيران. لكنّه في حميّه أساء تقدير القوة الباقية للتيارات القومية في العراق وسوريا، وتحكّم تركيا في دُخُل الكرد من صادرات النفط، والعزم الإيراني على نشر قواتٍ وكيّلة لمنع انفصال الكرد عن العراق، واستعداد واشنطن للتغاضي عن الإجراءات المضادة المشتركة من الجهات المذكورة حفاظاً على مصلحتها الأتقى، وهي الحفاظ على التماسك الإقليمي للعراق. وبدلاً من تحقيق استقلال كردستان العراقية، أجبر قادة الكرد على سحب قواتهم الأمنية من الأراضي العراقية، ومن ضمنها كركوك التي تحتوي ثورة نفطية كان من الممكن أن تصبح محركاً لاعتماد الكرد على أنفسهم اقتصادياً، وهو انسحاب أدى إلى انتكاس طموحات الكرد السياسية بما يقدر بعقود.

كذلك انهمزت طموحات الدولة الإسلامية (داعش)، لكن بوسائل أخرى. حوصرت تلك الطموحات بالقرار الاستراتيجي الذي اتخذته التنظيم بإطلاق مشروعه من قاعدة إقليمية بدلاً من محاولة بناء حركة منتشرة جغرافياً يصعب استهدافها، كما فعل تنظيم القاعدة والجماعات الموالية له. وفي أواخر عام ٢٠١٧، كان مقاتلو داعش قد طُرد أغلبهم من العراق وسوريا، وأعيد إرساء الحدود. وربما يبقى التنظيم، متغذياً على العداوات ذاتها التي أدت إلى نشأته، لكن من المستبعد أن يتمكن قريباً من تنفيذ محاولة أخرى لاستعادة الخلافة عبر احتلال المناطق. لا ينبغي توقع أن يتخلّى أيّ من المعسكرين عن طموحاته. غير أنّهما – إن كانا قد تعلّما من الإخفاقات – سيختاران وسائل مختلفة لتحسين فرصهما، انتظاراً للحظة الذهبية.

بمجرد انتهاء فرنسا وبريطانيا من تقسيم الشرق الأوسط ما بعد العثمانيين عبر ترسيم حدود الدول الجديدة، مضت الدولتان إلى تشكيل النظام السياسي داخل تلك الحدود، وفي كل الحالات أسست أنظمة خاضعة. شكلت الدولتان تلك الأنظمة جزئياً على صورتها: أنظمة ملكية في الدول الخاضعة للانتداب البريطاني، وأنظمة جمهورية في الدول الخاضعة للانتداب الفرنسي. وكان لجوء بريطانيا إلى الهاشميين من أجل تولي حكم العراق والأردن مكافأة على دعمهم بريطانيا في القتال ضد العثمانيين في الجزيرة العربية، وكان الهاشميون وشكل حكومتهم غرباء على الشعوب الخاضعة لحكمهم. بقي الهاشميون حكاماً للعراق لخمس وثلاثين عاماً، وحكاماً للأردن حتى اليوم.

ومن السمات المميزة للأنظمة التي صنعتها بريطانيا وفرنسا فهمها لمجتمعات الشرق الأوسط على أنها تكتل من مجتمعات عرقية وطائفية فاقدة لأي مبدأ تنظيمي أعلى، ومن ثم لا يمكن توقع انصهارها في دول متماسكة. فقد لعبت تلك الأنظمة على هذه الاختلافات بـ استراتيجيات فرقة تسد الإمبريالية، فانحازت إلى الأقليات وخاصة الأقليات الدينية، لمنع الأغلبية من الوصول إلى السلطة واتباع نهج أكثر استقلالية: كاليهود في فلسطين، والعرب في سوريا، والكردي في العراق.

وقد تنوعت سبل الدول الجديدة لتحقيق الاستقلال الرسمي في طولها، لكن اعتمادها على المراكز الإمبريالية الغربية (وفي بعض الحالات في أثناء الحرب الباردة على الاتحاد السوفيتي) في توفير الحماية العسكرية كان طویل الأمد. وقدمت هذه الأنظمة للدول الغربية في المقابل أقصى رغباتها: الولوع إلى الموارد، والولاء (وقمع النزعات القومية التي استغلها الاتحاد السوفيتي)، والطاعة وحتى الدعم المادي في الحروب (على سبيل المثال في الكويت)، ومعاهدة سلام مع إسرائيل.

وبمرور الوقت، أفضت الأنظمة الخاضعة إلى أنظمة لا يعتمد عليها، وتوقف الأمر على من يتولى السلطة، فالمجتمعات نفسها كانت في حالة تقلب مستمرة، والعالم من حولها تعرض لتغيرات مفاجئة على مدار القرن. والتجربة العربية ما بعد العثمانيين هي تأريخ لسعي المجتمعات إلى التكيف مع التدخلات المستمرة من لاعبين خارجيين أكثر قوة، وهذه التدخلات مكروهة بسبب استغلالها النيوكولونيالي للموارد الطبيعية ودعمها للأنظمة السلطوية التي تجعل هذا التدخل ممكناً، لكنها مرغوبة بسبب خواصها التحديثية. وسعت تلك المجتمعات كذلك إلى مقاومة هذه التدخلات، أو إن أمكن تحويلها ودمجها. والطبيعة المختلطة للدول الناشئة عن ذلك – المدفوعة جزئياً بمصالح إمبريالية، وتعكس جزئياً البنى والممارسات المحلية القائمة – جلبت معها أزمة شرعية مستمرة قد تجلب نهاية الأنظمة الفوضوية ما بعد العثمانيين، مثل كل الأمراض المزمنة.

في مئة عام، مرت المنطقة بسلسلة من التجارب السياسية والأيدولوجية، لكن أنظمة الدول بشكل شبه دائم، وبغض النظر عن قشورتها الأيدولوجية، كانت قائمة على حكم الأقليات العسكري القمعي، بلا معارضة لجشع القوى الخارجية في امتصاص الموارد. وصارت الانقلابات العسكرية الوسيلة المفضلة للوصول إلى السلطة، خاصة في أواخر الأربعينيات والخمسينيات والستينيات. واستغل المستبدون المؤسسات العسكرية الأمنية في السيطرة على المجتمعات، وسحقت هذه المؤسسات الحياة السياسية، ودخلت في دائرة مفرغة عطلت الآليات التي تضمن التداول السلمي المنتظم للسلطة. وصار الحكم العسكري متوطناً في تلك الدول. ومع تغيير الأنظمة بالقوة، تراجع دور المؤسسات المدنية التي أنشأتها القوى الاستعمارية، مثل البرلمانات الوطنية والمحاكم والسلطات القضائية، على عيوبها. وأزال هذا أي نظام يشبه الضوابط والموازنات الرقابية، أو توفير الخدمات عبر الأجهزة التكنوقراطية، وخلف مكانه أنظمة فاسدة لا تخضع للمساءلة، تعيش على أرباح النفط بشكل مباشر أو غير مباشر.

ومع تغيير مجتمعات الشرق الأوسط، فقدت تدريجياً بصمة صانعيها المميزة. ومن الخطأ أن نلوم هذه المجتمعات اليوم على العيوب الكثيرة في بنى الحكم التي استقبلتها في بادئ الأمر. فقد اكتسبت حياة خاصة بها، بصراعاتها الداخلية المستقلة على الأيدولوجيا والسياسة وتوزيع الموارد. غير أن هذه الحيوانات تشكلت أيضاً بالتفاعل

المستمر مع عالم خارجي يفوقها قوةً بكثير، اقتصادياً وعسكرياً. وقاد هذا إلى عملية "حل مشاكل" خارجية بواسطة التدخلات العسكرية، بدعوة من الدولة أحياناً (آخر الأمثلة، روسيا في سوريا في ٢٠١٥) لكن بلا دعوة في أغلب الأحيان (العراق في ٢٠٠٣، وليبيا في ٢٠١١، أمثلة قريبة). ودائماً ما تُعمّق التدخلات الخارجية مواطنَ الخلل في أنظمة الحكم بدلاً من تحسينها.

وكشفت الانتفاضات العربية في ٢٠١١ عن التصدّعات العميقة في أنظمة الحكم وإخفاقاتها، لكنّ حركات "نزول الشعب إلى الميادين" افتقرت بدورها إلى الإرادة والتنظيم اللازمين لتقديم رؤية بديلة. وفي أغلب الحالات، تعرضت تجارب الشعوب العربية في الحشد الشعبي إلى السحق التام أو التخفيف، أو سقطت في هوة الحرب الأهلية مع تصاعد قمع الدول البوليسية المحاصرة. غير أنّ السعي إلى نظام حكم أكثر فعاليةً مستمرّ في الشرق الأوسط، وغياب الحل لا يُفضي إلا إلى استجلاب موجة شعبية جديدة أكثر عنفاً في المستقبل. ولا يمكن أن يخرج الحل المناسب إلا من رحم كل مجتمع على حدة، فإن أي شيء آخر سيُتسم بالخلل والضعف نفسه أمام التدخل الخارجي.

أنظمة أفضل بواسطة حدود أفضل؟

سمحت النتيجة المؤسفة للانتفاضات الشعبية للجهات الفاعلة من غير الدول باستغلال الفوضى الناشئة، والضغط في اتجاه تحقيق طموحاتهم بتعديل الحدود المرفوضة منذ وقتٍ طويل، بل وإنزالتها. وقد انقسمت هذه الجهات إلى مجموعتين مختلفتين اختلافًا كبيرًا: الدولة الإسلامية (داعش) والكرد. وفشل كلاهما في تحقيق هدفه. ويُمكن الدفع بأنّ هدف الكرد كان الأقل طموحاً بين الاثنين – حتى مع الفشل في تحقيقه حتى الآن: فبعد حرمانهم من إقامة دولة خاصة بهم منذ قرنٍ مضى، لم يُرد قادة الكرد أكثر مما يرون أنّ كل شعبٍ آخر قد حصل عليه بالفعل: دولة خاصة بهم. كان هذا ليتطلب تعديلاً للحدود القائمة لكي تسع أقليةً كبيرة، وتقلصاً في حجم الدول "المستضيفة" للكرد، وهي تركيا وإيران والعراق وسوريا. ولا توجد دولة تتقبّل تقليص حجمها، إضافةً إلى أنّ الاضطراب الداخلي في العراق وسوريا بالأخص لم يخلق موقفاً يمكن للكرد النجاح فيه.

أما طموح الدولة الإسلامية فهو الأكبر، أي إنشاء خلافة للمسلمين في أنحاء العالم. كان هذا ليتطلب محو الحدود، ليس فقط في الشرق الأوسط بل في رقعة جغرافية أوسع بكثير. ومن الخطأ الاستهانة بقوة هذا المشروع الأيديولوجي وجاذبيته الدائمة، أو قوة الجماعات الجهادية مثل القاعدة، التي تعمل بصبرٍ على تحقيق هذا الهدف. لكن يصعب رؤية كيف يمكن لهذا المشروع النجاح في عالمٍ إسلامي متنوع تنوعاً كبيراً، وفي وجود الكثير من القوى المتعارضة بشرعية محلية أكبر أو أقل.

إن الحدود ستتغير مرةً أخرى بالطبع، وفي الشرق الأوسط أيضاً، لكن الأمر قد يتطلب حدثاً آخر يرجّح الأرض قبل أن يحدث هذا. وفي الوقت الراهن، سيتعيّن أن يأتي حلّ مشكلة الحدود الظالمة من تأسيس ترتيباتٍ سياسية أكثر فعالية داخل هذه الحدود، تستند إلى عقود اجتماعية مجددة في مجتمعات ما بعد الصراع، مجهزة ببنى حكم قادرة على استيعاب احتياجات شعوبٍ شديدة التنوع، والمساواة بينها، والإدارة السلمية للنزاعات الإقليمية مع الجيران. وربما يبدو هذا هدفاً غير واقعي. لكن، بينما تبدأ مجتمعات الشرق الأوسط في انتزاع نفسها من هوة النزاع، كما يفعل العراق اليوم فيما يبدو، فإنّ هذا سؤالٌ ينبغي الإجابة عليه. والطريقة التي ستتمُّ بها الإجابة عليه ستحدّد طبيعة الأنظمة والحدود المستقبلية في المنطقة.

*يوست هيلتمان هو رئيس برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في مجموعة الأزمات الدولية، منظمة غير حكومية مستقلة تسعى إلى منع الصراعات، والتي لعب فيها أدواراً مختلفة منذ عام ٢٠٠٢. قبل ذلك، كان الرئيس التنفيذي لقسم الأسلحة من هيومان رايتس وتتش بين عامي ١٩٩٤ و٢٠٠٢، ومنسق قاعدة البيانات ومنسق الأبحاث في منظمة حقوق الإنسان الفلسطينية أهل الحق في رام الله بين عامي ١٩٨٥ و١٩٩٠. يحمل هيلتمان شهادة الدكتوراة في علم الاجتماع من جامعة كاليفورنيا – سانتا كروز. وقد ألف عدة كتب: علاقة سامة: أمريكا، العراق، وإستخدام الأسلحة الكيميائية في حلبجة (كامبريدج، ٢٠٠٧)، خلف الإنتفاضة: حركات حقوق العمال والمرأة في الأراضي المحتلة (برنستون، ١٩٩١). ويعد مساهماً منتظماً إلى نشرات: النيويورك ريفيو أوف بوكس، لندن ريفيو أوف بوكس، النيويورك تايمز، لفورين افيرز، فورين بوليسي، ذا اتلانتيك، ميدل ايست ريبورت، وفضلاً عن نشرات أخرى. وهو متحدث عن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في عدة جامعات ومنصات، منها هارفارد، برنستون، ييل، كولومبيا، براون، ام اي تي، تافتاس، جامعة نيويورك، جورج تاون، إلى جانب مؤسسات أخرى.

صراع الجابرة على رقعة شطرنج الشرق الأوسط الكبير

*د. شهاب المكايله

صحيفة (راي اليوم) اللندنية: ٢٧/٨/٢٠١٨

في محاضرة أمام عدد من طلاب الدفاع والاستراتيجيات الدولية، ناقشت في محاضرة ماهية الصراع على الشرق الأوسط الكبير. فمن الناحية الجنوبية لحلف الناتو، تبدو الصورة العامة قائمة. فهناك فشل عام للحكومة حيث لا يزال شرق البحر الأبيض المتوسط والمناطق المجاورة له عبارة عن منطقة مضطربة وغير مستقرة للغاية، إذ لا تزال البيئة الأمنية تعكس مفهوم "Hobbesian" الذي يعني أنانية الفرد والمجتمع الدولي والحكومات.

وهذه الأنانية هي سبب النزاعات المدنية طوال التاريخ ما سمح بظهور الدول الهشة وغير المستقرة أو حتى الفاشلة مع إمكانية حدوث تغيير واقعي للحدود في أجزاء مختلفة من منطقة الشرق الأوسط وسط توترات طائفية وإرهاب جهادي وعدم العدالة الاجتماعية في توزيع الدخل وعجز الدول الإقليمية في تبني نظام ديمقراطي ما يسمح بانتشار الصراعات الداخلية والسماح للاعبين الخارجيين في تكديس السلاح في المنطقة تمهيدا لطموحات جنونية تؤدي إلى صراعات إقليمية ودولية تتماشى وطموح كل دولة وهوس بعض قياداتها.

فمن تلك الطموحات التنافس على موارد الطاقة في ظل عدم وجود بنية أمنية إقليمية ما قد يتسبب بعاصفة هوجاء تضرب منطقة البحر الأبيض المتوسط الكبير والتي تمتد من أفغانستان شرقاً إلى المغرب وموريتانيا غرباً. وهناك سيناريوهات للشرق الأوسط المستقبلي قد تُفضي إلى تطور تدريجي نحو نظام أمني متعدد الأقطاب. ونتيجة لذلك، قد يتعين على الغرب والناتو التكيف مع واقع جديد حيث ينخفض تأثيرهما في هذه المنطقة نسبياً ما ينعكس على توازن القوى العالمي.

بالطبع، تقوم الصين بتنفيذ سياسة متعددة الأوجه مع الدول الغنية بالموارد في أفريقيا ومنطقة الخليج، وهي بلا شك لاعب ناشئ في كل من شرق البحر الأبيض المتوسط وجنوب أوروبا. وما تقوم به الصين عبر المبادرات والمشاريع مثل حزام طريق الحرير والذي يشمل حتى اليوم ١٦ دولة بالإضافة إلى الصين يعني أن بيجينج تسعى لاقتناء الموانئ وغيرها من البنى التحتية الاستراتيجية في جميع أنحاء منطقة البحر الأبيض المتوسط. كما أنها تعمل على زيادة حجمها الاقتصادي. وهنا نرى بصمتها السياسية في المناطق التي تسعى للسيطرة عليها اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً. وما التعرّف الأمريكية الجديدة على الصين سوى ضريبة الحماية الأمنية التي تقدمها الولايات المتحدة للصين في الحصول على الموارد من الدول والتي تُسهم في تطور الصناعات الصينية.

في الوقت الحالي، تسعى الصين من مشاركتها الإقليمية في الشرق الأوسط وشرق البحر الأبيض المتوسط بشكل رئيس إلى الاستثمار في المجال الاقتصادي مع قناعاتها بأنها لن تقبل بعد مدة معينة أن تقوم الولايات المتحدة بمراقبة خطوط الإمداد تلك. من ناحية أخرى، سيتغير الواقع حين تقرر الصين أنها تريد وحدها أن تلعب دور الشرطي في المنطقة لحماية مصالحها وأن لا تكون عرضة للمقرصنة الدولية من دول كبرى.

وفي الوقت ذاته، كانت روسيا تحاول أيضاً استعادة بعض من نفوذها السابق في المنطقة. وحتى إن كان النفوذ الروسي مقارنة بالأمريكي محدوداً، إلا أن ذلك أتاح لموسكو أن تصبح لاعباً رئيساً في سوريا، وفي شرق البحر المتوسط بشكل عام. كما نجحت في إسقاط صورة قوة الدولة العظمى مستخدمة ورقة سوريا للتفاوض مع الغرب من موقع قوة نسبية وتبادل اتفاق حول سوريا مع حل وسط في الأزمة الأوكرانية (على أمل أن الغرب سيقبل ضم القرم إلى روسيا كأمر واقع).

كما أن الناتو يخشى من أن روسيا قد تحاول استخدام علاقتها مع تركيا، أو التوترات بين اليونان وتركيا كأدوات لتقويض تماسك حلف الناتو مع عدم سماح موسكو بأن تتجاوز التوترات مستوى معين بين أنقرة وأثينا. وعلى صعيد آخر، فقد الاتحاد الأوروبي بعض نفوذه الإقليمي ويبدو أنه يفتقر إلى سياسة ورؤية متماسكة وشاملة نحو الحوض الجنوبي للبحر المتوسط وشرقه.

وبالمقابل، قامت الولايات المتحدة بتحويل ثقلها الاستراتيجي إلى آسيا، وكانت تحاول الحد من وجودها العسكري في البحر الأبيض المتوسط عن طريق تفويض المسؤولية إلى دول الاتحاد الأوروبي للقيام بمراقبة دول غرب البحر الأبيض المتوسط وأجزاء من إفريقيا مع إعطاء أدوار لدول إقليمية في شرق المتوسط.

فعلى الرغم من أن السياسة الخارجية الأمريكية الحالية تجاه شرق البحر المتوسط تفتقر إلى التركيز الاستراتيجي والوضوح، ومن ضمنها قرارات الولايات المتحدة بنقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس، والاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل والأهم من ذلك، الانسحاب من الاتفاق النووي مع إيران وفرض عقوبات اقتصادية على روسيا بالجملة وضرائب على السلع المستوردة من الصين ومن غيرها من الدول، فإن ذلك سيشكل تحدياً أمنياً كبيراً ليس للدول الكبرى فحسب بل للاعبين الآخرين لأن تداعيات ذلك ستكون على حساب المنطقة.

أوقات عصيبة في انتظار رجال أشداء

*كريس باتن

بروجيكت سنديكيت: ٢٨/٨/٢٠١٨

لنتأمل هنا الصين. تشتهر ألعاب القوة الداخلية التي يمارسها الحزب الشيوعي الصيني بغموضها، ونادرا ما يصل الاقتتال السياسي الداخلي إلى المستوى الذي لا يمكن التستر عليه. ومع هذا، يمكننا أن نسمع دمدومات عدم الارتياح بوضوح. ففي هذا الشهر، عندما انعزل الرئيس شي جين بينج وكبار مستشاريه في منتجع باي ديه هي الساحلي، انتشرت الشائعات حول انتقادات متنامية لعبادة شخصية شي بين عامة أعضاء الحزب الشيوعي الصيني.

بالحكم من خلال الشائعات، يجب على شي جين بينج أن يسأل نفسه ما إذا كان من الحكمة أن يلغي إصلاحات دنج شياو بينج ويتجاهل السوابق التي وضعها زعماء الحزب الشيوعي الصيني السابقين مثل جيانج تسه مين وهو جينتاو. وربما يتعين عليه أيضا أن يعيد النظر في خطابه المتباهي بالنصر، في ضوء الحساسيات القومية وبلطجة سياسات الحماية التي يمارسها الرئيس الأمريكي دونالد ترمب. وأخيرا، ربما يكون لزاما عليه أن يعيد تقييم سياسته الأساسية، أو مبادرة الحزام والطريق، التي تلقى انتقادات متزايدة كآلية تستغلها الصين لتصدير ديونها إلى دول أخرى مثقلة بالديون، وغالبا من خلال الاستثمار في مشاريع وهمية وغير ذلك من المشاريع المشبوهة.

من ناحية أخرى، يظل صديق شي جين بينج المفضل الجديد، الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، منيعا من الناحية السياسية. ولكن كما اقترح أحد مراسلي فوكس نيوز، ربما يكون هذا راجعا إلى حقيقة مفادها أن عددا كبيرا من منتقديه "انتهى بهم الحال إلى الموت". ولا تزال حكومة روسيا تعتمد على النفط والغاز لتحصيل نحو ٤٠٪ من إيراداتها، ويظل الاقتصاد الروسي، المحروم من دينامية قيادة المشاريع والاستثمارات الأجنبية، في حالة احتضار. وما عليك إلا أن تنظر حول بيتك لترى ما إذا كان بوسعك أن تجد أي شيء مستجلب من روسيا، بعيدا عن الفودكا، أو الطاقة، أو أعمال تولستوي.

لكن متاعب الرجل القوي التي يواجهها فلاديمير بوتين وشي جين بينج تتضاءل بجانب المتاعب التي يواجهها الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، والرئيس ترمب الذي ورطه الآن محاميه القديم الذي دأب على "إصلاح" أخطائه في ارتكاب جريمة فيدرالية.

بعد خمسة عشر عاما من وصوله إلى السلطة على خلفية أزمة الصرف الأجنبي، يبدو أردوغان الآن عازما على صنع أزمة جديدة من عمل يديه. فقد خسرت الليرة التركية نحو ٣٨٪ من قيمتها في مقابل الدولار الأمريكي هذا العام، وهو ما يرجع بالكامل تقريبا إلى أمية أردوغان الاقتصادية، والمحسوبية، وامتناعه عن الاستماع إلى أي وجهة نظر بديلة.

خلفا لسلفه في منصب الرئاسة، عبد الله غول، لم يبذل أردوغان قُط أي جهد حقيقي لكي يثبت كونه زعيما للبلاد بالكامل. وكان أسلوبه المتعطر وسياساته التي تخدم مصالح الذاتية من الأسباب التي أدت إلى تعميق الانقسامات بين العلمانيين الأثرياء والمسلمين الأكثر فقرا في المناطق الريفية والذين يشكلون قاعدة أردوغان.

كانت أحدث أزمات تركيا أكثر مأساوية لأنها لم تكن ضرورية على الإطلاق. إذ تُعد تركيا مركزا إقليميا مهما، فهي موطن لنحو ٨١ مليون نسمة، كما تشكل جسرا بين الغرب والشرق الأوسط وآسيا الوسطى. ولديها القدرة على العمل كمحرك اقتصادي قوي. لكن سياسات أردوغان تجر اقتصاد تركيا إلى هاوية عميقة.

فعلى الرغم من سقوط الليرة التركية وارتفاع التضخم إلى عنان السماء، ضغط أردوغان على البنك المركزي لمنع من زيادة أسعار الفائدة، خشية أن يتسبب تباطؤ النمو في إلحاق الأذى بأفاق حزبه في الانتخابات المحلية المنتظرة في العام المقبل، وخاصة في المدن التركية. ولكن على مدار الأشهر الإثني عشر المقبلة، سيضطر أردوغان إلى التعامل مع عجز متزايد الاتساع في الحساب الجاري فضلا عن جبل من الديون المقومة بالدولار.

وما زاد الطين بلة أن أردوغان قام مؤخرا بتعيين صهره غير المؤهل، بيرات البيرق - جاريد كوشنر أنقرة - وزيرا للمالية والخزانة، وهو ما أدى إلى المزيد من عدم الاستقرار في الأسواق. كما انهزم أردوغان في نزاع دبلوماسي وتجاري متصاعد مع الولايات المتحدة بعد اعتقال قس أمريكي متهم بالتواطؤ في محاولة الانقلاب ضد أردوغان في عام ٢٠١٦. من جانبه، جعل ترمب من مسألة تحرير القس قضية شخصية، على سبيل مهادنة قاعدته الإنجيلية في الفترة التي تسبق انتخابات التجديد النصفي في الولايات المتحدة في شهر نوفمبر/تشرين الثاني. ولتحقيق هذه الغاية، أعلن ترمب مؤخرا أنه سوف يضاعف الرسوم الأمريكية على واردات الصلب والألومنيوم من تركيا.

الواقع أن المحاولات اليايسة التي يبذلها ترمب لإثبات عدم قدرة أي شخص (باستثناء بوتن) على إعطائه الأوامر معلومة للجميع. وفي نزاعه مع تركيا، لم يتردد في فرض الرسوم الجمركية، بصرف النظر عن الضربة الانتقامية المحتملة التي قد تتلقاها الشركات الأمريكية والمستهلكون الأمريكيون. ناهيك عن كون تركيا حليفا مهما في منظمة حلف شمال الأطلسي. ويبدو أن ترمب عازم على إخراجها من الحلف إلى أحضان روسيا والصين.

على الرغم من مشاكله القانونية المتصاعدة وشرعيته المشكوك فيها على نحو متزايد، استمر ترمب في تدمير النظام الدولي لفترة ما بعد الحرب والذي ساعدت أمريكا في إنشائه. والأسوأ من ذلك هو أن نسخته من سياسات عداء المهاجرين الأناية تنتشر في أنحاء آسيا وأوروبا، إلى الحد الذي قلب السياسة في إيطاليا والمجر وبولندا، بل وحتى المملكة المتحدة، رأسا على عقب.

في بريطانيا، زعم وزير الخارجية الجديد جيريمي هنت أن الحركة التي تقف وراء حملة الخروج من الاتحاد الأوروبي تختلف عن القومية الشعبوية في دول أخرى. لكن هذا غير صحيح. فمن الواضح أن المتشددون من أنصار الخروج البريطاني اكتسبوا قوتهم من العداء تجاه المهاجرين والأجانب. وإذا كان لدى هنت أي شك حول هذا، فما عليه أن ينظر إلى ما هو أبعد من سلفه بوريس جونسون، الذي كتب مؤخرا تعقيبا يسخر من النساء المسلمات اللاتي يرتدين النقاب.

على النقيض من الرجال الأقوياء الطموحين اليوم، كان الزعيم القوي حقا ليدافع عن التعاون الدولي ويسعى إلى إقناع الناحيين بأسباب أهميته. ولا يملك المرء إلا أن يأمل أن يفعل الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، والمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، ورئيس الوزراء الياباني شينزو آبي هذا على وجه التحديد في الأشهر المقبلة.

في هذه الأثناء، يتعين علينا أن نصلي كي لا يتمكن أشباه الرجال الأقوياء، من أمثال ترمب وأردوغان، من إلحاق أضرار بالغة ببلدانهم، وبقيّة بلدان العالم. فالآن حان الوقت لجعل أواصر التعاون عظيمة مرة أخرى.

تحولات العصر العظمى

*د. طيب تيزيني

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية : ٢٨/٨/٢٠١٨

تحولات جديدة شهدها العالم اقترن نشوؤها بنشوء «أجندة» جديدة، غيرت واقع الحال الاقتصادي والسياسي والثقافي في المنظومات الاقتصادية والسياسية والثقافية، كما انعكست في تحولات نوعية هائلة على صعد العيش في العالم الغربي، وكذلك الشرقي ولو نسبياً، ومن ضمنه العالم العربي. كان ذلك قد ظهر في ثورة المعلومات، التي اقترنت بنشوء النظام العولمي في الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً.

أما العالم العربي الذي كان أساساً وقبل تلك التحولات يعيش في حالات من الصراعات السياسية والعسكرية، ومن انهيارات اقتصادية، مع انهيارات سياسية وطائفية... إلخ، فقد وجد نفسه أمام زلزال من نوع جديد، وضمن مشهد انقلابي يرجّح به العالم.

لقد ظهرت ثورة الاتصالات، والثورة التي وضعت مسألتَي العدالة والحرية في موضع استفزازي، خصوصاً حين نضيف إليها مسألة العدالة والمساواة، واتضح أن مشهد «الانقلاب»، الذي عاشه العالم العربي مراراً بصيغة تكرر واقع الاستبداد والتخلف، إنما هو انقلاب من طراز «جديد» وحين يعبر الشعب عن رغبة في التغيير، يأتيه الجواب بالسلح «العالمي»، وبتحويل وطنه إلى حلقة سجون تعج بمن يصرح بما يراه صحيحاً، ضمن خيارات متعددة، من خيارات «الحقل الجاهلي الظلامي» المتعدد الصيغ والأنماط.

فبدلاً من قراءة التحولات العالمية العظمى، وبدلاً من البحث عن مخارج تاريخية للنظم العربية، واكتشاف ثلاثية القواعد التي تقف وراء ذلك، نعني غياب الديمقراطية، وهيمنة الاستبداد، وإغلاق أبواب الحرية والعدالة، نقول وراء ذلك كان الحصار التاريخي المغلق قد أحكم القبضة على الشعوب العربية، أي على كل ما بدأ يتسرب إلى تلك الشعوب من الغرب الأوروبي الليبرالي، اقتصاداً وسياسة وثقافة وحرية... إلخ، على عواهنه، لقراءة ما يحمله ذلك كله من دروس تجديدية ونقدية في طريقها إلى الأمام خارج السجون، وغيرها.

ومرت العملية المركبة المذكورة، وهي تخترق حواجز الجدران لا أقول الحديدية، بل الهشة، التي تفد إلينا من الغرب البراغماتي «الصريح»، لتصنع لنا الطريق الذي علينا أن نتبعه ليس كعلماء مبدعين، بل كمجموعات بشرية يكتب تاريخها ليس تلك الأخيرة، وإنما الغرب، الذي يتباهى بتحولاته العولمية، التي يلحق بها ما يأتي في كتاب «أمريكا - الكتاب الأسود»، تأليف بيتر سكاون، الدار العربية للعلوم، ترجمة إيناس أبو حطب، مركز التعريب والبرمجة عام ٢٠٠٣، بيروت، لبنان).

فوفق ذلك، لا ينبغي لنا أن نخطط طريقاً يعالج مشكلاتنا، وفق «خصوصيتنا التاريخية»، النسبية على كل حال، وإنما وفق التطور التاريخي الذي يخص أوروبا أو الولايات المتحدة! فأنا أؤكد أنني أعتقد أن مجتمعاتنا لا تخلو من الحكماء. فظهور ذلك «الكتاب الأسود» النقدي، تعبير عن الحرية وعن تحويلها إلى عنصر فاعل في الإعلام الأمريكي، ودعوة إلى تعميم النقدية والعقلانية والموضوعية في معالجة ما يمر به العالم.

وقد ظهر في ذلك السياق إعلام موضوعي يأتي الأمور من مداخلها العلمية النقدية، وهذا الأمر يمكن أن يتحول إلى مبادرة خلاقة وصادقة، تدعو إلى الموضوعية والإخاء والتضامن بين الشعوب، والتعاون بين علماء ومفكري العالم في عملهم العظيم الذي يأتي في مرحلة محلية وعالمية معقدة، كما لو كنا الآن نصبو إلى العيش في عصر يحقق النهوض والتنوير والديمقراطية، وكل ما يلزم للتمكين لعالم مفعم بالتعاون والحرية والأخوة.

إنها دعوة إلى تلك الأهداف التي رأت النور الباهر في القرن التاسع عشر يخترق العوالم للوصول إلى ما يجمع البشر من مبادئ عقلانية وديمقراطية جامعة. ومن ثم، نحن الآن أحوج ما نكون إلى رأس «عصر تنويري ديمقراطي جديد»، نواجه به تلك الظواهر الرعناء، التي يسلكها من يسلكها في العالم، لتعود إلى مرحلة الظلامية التي نعيش مظاهرها الخطيرة على العالم كله.

وربما يقول البعض بأن هذه إن هي إلا أحلام جوفاء عاشتها البشرية في مراحل سابقة، وأن بعض تلك الأخيرة تعيشها الآن كالحلم، فالتاريخ لا يسير في خط أحادي الموقف، إنما هو - خصوصاً في مثل المرحلة العالمية الراهنة - خط يفضي إلى الموت السريري، فالاستمرار في خط أعوج يوصل إلى موت سريري، دون فقدان الحياة التي ستتحول إلى مأساة.

ثقافة الفرخ في مواجهة غلواء التطرف

*موسى برهومة

صحيفة (الحياة): ٢٨/٨/٢٠١٨

الذين قالوا إنّ مواجهة الإرهاب والغلوّ والتطرف تحتاج إلى استراتيجية بعيدة المدى، لم يجانبوا الصواب فالمشوار نحو اجتثاث مظاهر التزمّت في الحياة العربية يلزمه نفسٌ طويل معطوف على خطط واضحة مضمونة الأثر.

ومع أنّ محاربة الإرهاب ظلت، حتى هذه اللحظة، موكولة إلى الجهود الأمنية والاستخباراتية، إلا أنّ ذلك لا يغني أن يتبلور بموازاة ذلك جهدٌ يحفر في أعماق التزمّت، ويستأصل جذوته، ويقوم بعد ذلك بتأهيل المجتمع نفسياً وفكرياً لتقبّل الآخر، واستيعاب الاختلاف، وتوسيع فسحة التسامح، والعمل بجد لبناء الكون، وإعمار الأرض. معروف أنّ التدين في المجتمعات العربية واسع ومتجذّر، ومن هذه الكوّة نفذت الحركات الإسلامية بذريعة نشر تعاليم الدين وتحفيظ القرآن، عبر إقامة مخيمات دورية للأطفال بهدف تنمية حسهم الديني وترقية سلوكهم الحياتي، لكنّ الأهداف المتوارية خلف هذه العناوين الجذّابة كانت إعداد أفراد تابعين لتلك الحركات التي تطوّر تزمّنتها باتجاه الجهاديات الإرهابية التي تقتل وتحرق وتسفك دماء الأبرياء، وتمتهن تعاليم الدين.

وعبر أكثر من نصف قرن، تشكل وعي ديني متطرف لدى الغالبية العظمى من العرب المسلمين الذين فهموا الدين السلفي بمعناه المتطرف، وابتعدوا في مقارباتهم من الدين المعتدل الذي يحض على الوسطية، وينأى عن التعصّب والنزعة الاستثنائية للآخر المختلف، واعتباره خارج دائرة الإنسانية.

ولأنّ الدولة العربية ظلت تمالئ أصحاب الفكر الديني على حساب أنصار التصورات التنويرية التي تتغيّا نهضة اجتماعية في دولة مدنية، فقد احتل الفريق الأول المشهد برمته، فصال وجال وتحكّم في مقادير الدولة من مناهج وسياسات كملت أفواه النساء وأقصتهن عن المشهد والمشاركة في الحياة، وأثمرت جيلاً متعصباً يرى الحياة بلونين اثنين لا ثالث لهما «الأبيض والأسود»، وهو ما تطور لاحقاً في أدبيات الحركات المتطرفة إلى فسطاطين: دار حق ودار باطل، كما كان يردد زعيم «القاعدة» أسامة بن لادن.

في غمرة ذلك، غابت الفنون، وأقصيت الفلسفة، وجرى تجاهل الفكر النقدي، ومناهج التحليل العلمي، لمصلحة ثقافة تعليمية قائمة على البصم والحفظ والتلقين والترديد الببغاوي للمعلومات من دون فحصها والتدبر في شأنها. غابت فضلاً عن ذلك الفنون التي كان يُنظر إليها باعتبارها حراماً. غاب الغناء واقتصرت على الذكور، وكان صوت المرأة متوارياً باعتباره «عورة». ولم نألف أن نرى حراكاً فنياً من مسرح وسينما وفنون تشكيلية ورقص، حتى وقت متأخر من زماننا الراهن، وظل ذلك، بعد ظهوره، مقتصرًا على النخبة، ولم يتغلغل في نسيج المجتمعات العربية، لا سيما المناطق الفقيرة التي كانت خزان وقود الجماعات التكفيرية، حيث وصلت إليهم قبل أن تنتبه إلى ذلك الدولة العربية التي ما انفكت ساهية عن الأمر!

مشوار تفكيك منظومة التزمّت يبدأ بالفنون والفلسفة والفكر النقدي الخلاق والتحليل الإبداعي، علاوة على تعميم ثقافة الفرخ، وتنمية مهارات الروح والجسد من خلال إحياء رياضات للأطفال والشباب توجه تركيزهم إلى المنافسة وتحقيق الفوز بالجهد الذاتي، وتعظيم إنجازات الآخرين. فمن المستغرب أن يبحث ربّ عائلة في مدينة عربية مزدهرة ومتطورة عن مركز لتدريب أبنائه التايكواندو ولا يجد، فيما تمتلئ الأنحاء بالمراكز ذات الغايات الدينية، أو يعج الفضاء ببرامج لا نفع منها سوى المظهرية العابرة التي سرعان ما تذوب كفقاعة صابون.

المهرجانات الفنية التي تستقطب الشعراء والأدباء والمطربين والفنانين من كل الاتجاهات والحرف، والرياضات التي تحرّر الجسد من أثقاله، أمور ضرورية لإيصال مياه العافية إلى النفوس العربية المتصحّرة التي يزيدها الخطاب المتداول عبر الفضائيات العربية انغلاقاً وتحجراً، ما ينمي ثقافة الخرافة والجهل، ويوقظ ما هجع في العقل الإنساني من توحش وبدائية تتجلى في سائر مظاهر الحياة العربية، وتضرم فيها نار التطرف والكراهية.

فكرة الموضوعية والصحافة

*نوح فيلدمان

(واشنطن بوست) و (بلومبيرك نيوز سيرفيس) : ٢٨/٨/٢٠١٨

ما هي القيمة الحقيقية في الصحافة المجانية؟ إنها الاستماع لرأي الصحافة - كما هي الحال في العديد من المقالات الافتتاحية التي نُشرت بالتنسيق خلال الأسبوع الماضي تعقيباً على خطاب الرئيس الأمريكي المناهض للصحافة، فإن الإجابة عن السؤال المطروح تعد من قبيل التغطية الواقعية والموضوعية للأحداث الراهنة. غير أن هذا ليس ما كان يفكر فيه صائغو دستور البلاد الأوائل، أو ما كان يفكر فيه القاضي أوليفر ويندل هولمز عندما وضع مجموعة قوانين الصحافة الحرة خلال الحرب العالمية الأولى. كما أن الأمر لا يتسق مع الطريقة التي فكر بها أغلب كتاب الصحف والجرائد في أنفسهم حتى بزوغ نجم الصحافة كـ«مهنة» في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية.

إن السبب الحقيقي وراء قيمة الصحافة الحرة يكمن في الإعراب عن مجموعة متنوعة ومختلفة من الآراء، لا سيما تلك الآراء التي تختلف تماماً عن الرؤية المتبناة حكومياً. وهذا بدوره من بين مغذيات الديمقراطية، التي تتطلب حالة من عدم الاتفاق مع أهل السلطة حتى يتسنى للجمهور والرأي العام التفكير في اختيار القادة الجدد بدلاً من ذلك. ومن الأهمية أن نأخذ في الاعتبار قيمة الرأي الحر في العصر الذي يشهد مزيداً من التشكيك في المقالات الافتتاحية وصحافة الرأي على الدوام. يتهم الرئيس دونالد ترمب، الإعلام، بأنه يلعب دور «حزب المعارضة»، ما يعني الفشل الضمني لقيمة الموضوعية. بيد أنه ليس أمراً سيئاً بالنسبة إلى صحافة الرأي، بما في ذلك مجالس التحرير في الصحف الكبرى لأن يعتبروا أنفسهم معارضين للرئيس ترمب. فإن هذا النوع من المعارضة الصحية هو ما يُبقي الديمقراطية في البلاد على قيد الحياة، ويشكل في فحواه واحدة من المسؤوليات الجوهرية للصحافة الحرة. واستيضاحاً للأمر، فإنني لا أكتب مناهضاً للتطلعات الصحافية المعنية باكتشاف الحقائق والإبلاغ عنها. فهناك فارق واضح بين الحقيقة الواقعية والأكاذيب المروية. وحيث إنه لا يوجد بين أركان المجتمع من لديه الوقت أو الاهتمام لضبط أو تعديل تلك الحدود، ينبغي على الصحافة بذل قصارى جهدها لأن تضطلع بهكذا مسؤولية. بدلاً من ذلك، فإنني أشير إلى الحاجة إلى أن التدقيق في الحقائق لم يكن الأساس الجوهرية للرؤية التقليدية، التي تفيد بأن الصحافة الحرة ضرورية للغاية في خدمة الديمقراطية.

ولنرجع بالذاكرة إلى جيمس ماديسون، الذي صاغ التعديل الدستوري الأول. لم يمنح الصحافة الحرة الكثير من التفكير عندما كان في واقع الأمر يعمل على صياغة التعديل الأول، وتوجه إلى التركيز على الصحافة الحرة فقط عندما بدأت المعارك الحزبية بين الحزب الجمهوري الذين ينتمي إليه وبين الفيدراليين من أنصار ألكسندر هاميلتون في تحديد هوية السياسات الوطنية.

استعان هاميلتون وأنصاره بصحيفة تسمى «غازيت أوف ذي يوناييتد ستيتس» في نشر الآراء ووجهات النظر الفيدرالية وترويجها، بل وتعتمد نشر المقالات المجهولة بواسطة جون أدامز، الذي خدم في منصب نائب الرئيس، وذلك بتشجيع وتأييد من جانب توماس جيفرسون (وزير الخارجية آنذاك)، الأمر الذي أفضى إلى إنشاء جريدة منافسة تحت اسم «ذي ناشيونال غازيت» لمجابهة صحيفة «هاميلتون» من خلال طرح الرؤية والمنظور الجمهوري للأمور.

وجاءت المنافسة الصحافية لتعكس أهمية التبارز بالآراء المختلفة. ولم يفكر أحد من كلا المعسكرين في موضوعية أي من الجرائد العاملة في الوقت ذلك. وفي واقع الأمر، كان من المشكوك فيه ما إذا كانت فكرة الموضوعية الفعلية - باعتبارها هدفاً صحافياً محضاً - متصورة في القرن الثامن عشر داخل الولايات المتحدة آنذاك.

عندما وقع جون أدامز كرئيس للبلاد، على قانون الفتنة الذي أقره الكونغرس الذي يسيطر عليه الفيدراليون وقتذاك، استخدم القانون في مقاضاة رؤساء تحرير الصحف المؤيدة للخط الجمهوري. وتعرض الكثيرون منهم للإدانة والغرامة والسجن، بسبب توجيه الإهانات المباشرة ضد الإدارة الأمريكية برئاسة أدامز.

الأمر الذي دفع ماديسون إلى العمل بصياغة تقرير تبنته الهيئة التشريعية في ولاية فيرجينيا، ويتضمن أول دفاع مفصل عن التعديل الدستوري الأول. وقال إن الصحافة الحرة ضرورة من ضرورات ضمان الانتخابات الحرة، نظراً لأن الصحافة الحرة وحدها يمكنها تزويد الجمهور بالأفكار التي يحتاجون إليها في «الممارسة المنصفة لحقوقهم الانتخابية». وكان هذا دفاعاً قوياً عن صحافة الرأي، وهو الأمر نفسه الذي يعاقب عليه قانون الفتنة سالف الذكر.

وبعد مضي أكثر من قرن من الزمان، عندما أعربت المحكمة العليا الأمريكية للمرة الأولى عن قيمة الصحافة الحرة وحرية التعبير، كتب هولمز يقول إن التعديل الأول لا بد أن يفهم في سياق التشبيه بسوق الأفكار المفتوحة. وكتب يقول: «إن الاختبار الأفضل للحقيقة يكمن في قبول قوة الفكر ضمن سياق المنافسة في السوق. وهذه، على أي حال، هي نظرية دستور بلادنا».

لم يترك هولمز المجال مفتوحاً لأي شكوك في أنه كان يفكر في الآراء، وليس في الحقائق الموضوعية. وحذر هولمز قائلاً: «يجب أن نتحلى باليقظة إلى الأبد ضد محاولات الحد من التعبير عن الآراء التي نرفضها، ونعتقد أنها محفوفة بالمخاطر المهلكة، إلا إذا كانت تلك الآراء تهدد فعلياً بالتدخل السافر والفوري في الأغراض المشروعة والملحة من القانون، التي يتطلب حيالها التدقيق العاجل والصارم إنقاذاً لمصالح البلاد».

وتستند نظرية هولمز بأكملها إلى البراغماتية الفلسفية. فقد كانت الآراء ذات قيمة مؤقتة، ولم تخضع للتحقق الموضوعي. حتى فكرة حرية التعبير في حد ذاتها، كما وصفها: «هي مجرد تجربة، كما أن الحياة ذاتها ليست إلا تجربة».

والنتيجة أننا في حاجة لكي نتذكر أن الصحافة الحرة تحفظ الديمقراطية، في غالب الأحيان، عن طريق السماح بالتعبير عن وجهات النظر والآراء البديلة. حيث تسعى الحكومات السلطوية أو الاستبدادية بكل قوتها إلى قمع وإخماد الخلاف في الرأي بالقدر نفسه، أو هو أكثر، من سعيها لقمع وإخماد الحقائق.

والمقالات الافتتاحية المنسقة المنشورة، الأسبوع الماضي، هي مثال على ذلك. فهي تمثل التعبير عن الآراء وليست الحقائق. ومن خلال بث هذه الآراء بين الناس، خلقت الصحف والجرائد دورة إخبارية ذاتية، تلك التي ركزت على الصحافة في حد ذاتها، بدلاً من التركيز على انتقاد الرئيس ترمب لها.

ومن الرائع أن تحاول الصحف والجرائد تبني مبدأ الموضوعية. لكن القيود الإنسانية للمحررين والكتاب تعني أن هذا الأمر لا يعدو أن يقترب من أفق التطلع، وليس الواقع المنجز بشكله الكامل.

وهذا جيد. إذ إن مبرر الصحافة الحرة لا يعتمد على كونها تتحلى بالموضوعية، بل على العكس، فالصحافة الحرة ضرورية للديمقراطية، نظراً لأنها تحافظ على تعددية الآراء ووجهات النظر المطروحة.

«التواصل الاجتماعي» والإعلام التقليدي

*سالم سالمين النعيمي

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية: ٢٠١٨/٨/٢٨

يعتقد الكثيرون أن سائل التواصل الاجتماعي قد نجحت في قلب الطاولة على الإعلام التقليدي الذي فقد ميزة السبق في الخير والمعلومة، أو حتى تمرير قرارات وسياسات حكومية مهمة، ولم تعد المخرجات التحليلية بدورها، تمثل عنصر جذب كما كان عليه الحال قبل ربع قرن. وأصبح كل شخص قادراً أن يكون صحيفة أو قناة مرئية فردية، ويمثل تنافسية كبيرة من حيث عدد المتابعين والحصول على المعلومة التي تمثل ثقل نوعي لدى المتلقي ويعتبرها ذات قيمة حقيقة يكمن الأخذ بها وبناء توجه ورأي من خلالها بجانب التسلية وقضاء وقت الفراغ في متابعة ما يجده مناسباً لذوقه وميوله، وبذلك تسير الأجيال الناشئة في المسار الطبيعي لثورة تكنولوجيا الاتصالات، وسهولة الحصول على المعلومة والمعرفة بسرعة فائقة. والتنبؤ بما هو قادم من أعلام الذكاء الصناعي واندماج الإنسان، والآلة والبرمجة المتبادلة بين الإنسان والتقنيات المعقدة وعلم الأحياء الحاسوبية.

ومن جهة أخرى، أصبح الوصول إلى شرائح المجتمع المختلفة أمراً أكثر سهولة عما كان في السابق. ولكن السؤال الأهم، والذي يبقى دائماً في الأذهان هو: هل يوجد اهتمام اليوم بين الشريحة التي تمثل الأكثرية في السكان بالأخبار السياسية والدبلوماسية وما يقوله المحللون والخبراء والمفكرون والكتاب والطبقة المثقفة والنخب المتنوعة، أم أن إثارة قضية ما بين مطربة وأحد نجوم «السوشيال ميديا»، هو ما أضى يمثل وجبة دسمة ومتابعة مكثفة من فئة كبيرة من الجمهور على اختلاف ميوله؟

ومن الملاحظ أن تغريدة واحدة قد يتبادلها مئات الآلاف من المستخدمين حول قضية ما، خاصة ما يتعلق بالتركيز على الفضائح والإشاعات التي تناسب وتيرة العصر، ومع ذلك الإعلام التقليدي مستمر في نمطيته الخيرية التي تبدو أحياناً بعيدة عن الواقع. وتواجه سباق تسلح إعلامي شرساً يحتاج للتفكير الإبداعي أكثر من الميزانيات والأجهزة الحديثة. والمستغرب منه أنك تجد مشاريع إعلامية ضخمة تصرف عليها ميزانيات خيالية، وهي مخصصة للذين يتشابهون في التفكير، ويتفقون في الرأي، ويظل هذا المنبر حصرياً وذات جماهيرية زائفة، وتأثير ليس له صدى حقيقي في الواقع، ولا يساهم في تحقيق وعي جماعي. ولا تمثل تلك المنصات مصالح الناس العاديين، وبعبده كل البعد عن الشفافية المسؤولة التي لا تضر بمصالح البلد بالمقام الأول، ولا تتحول لمسح لترسيخ الوهم الصافي. ومسألة أن تحب وطنك وتكون وطنياً لا تعني أنك تملك الأدوات المناسبة، أو تقوم بالممارسات الصحيحة لخدمة أجندة وطنك واستقراره، وهي أحد أكثر التحديات تشعباً وتعقيداً في العالم العربي على وجه الخصوص.

فهناك تكافؤ فرص للوصول إلى شبكة الإنترنت والمعلومات في الدولة المتقدمة، ولكن كل ذلك لم يوقف كل دول العالم على العمل الجاد لضبط الاتجاهات العامة للشعوب، واستخدام كل منصات التواصل الاجتماعي كمنبر إعلامي غير رسمي في الظاهر ورسمي في المضمون، حيث يدرس ويحلل، وقد يعيد برمجة طرق التفكير، ويقلل نسبة الفوارق بين الجنسين في توجهاتهم السياسية والقضايا والمصالح الوطنية والمدارس الفكرية والدينية والسياسية وتحديد العوامل والعناصر المؤثرة في صياغة الرأي، وإشراك وسائط الإعلام الاجتماعية في تشجيع السياسات العامة والتشريعات المختلف عليها، وتحريك مؤسسات الدولة وموظفيها نحو توجه عام يخدم الغايات العليا للدولة، ليأتي القرار مُتبنًى من الأسفل. وعندما يمرر من الأعلى للأسفل يكون مجرد عمل إجرائي قانوني، ويلقى دعماً منقطع النظير، حيث يحس كل شخص أنه قراره هو فيدافع عنه باستماتة.

ويبدو لي أن الوقت قد حان كي تُغير وسائط الإعلام والاتصالات جلدتها وقنواتها لتوفير إمكانية الوصول إلى المعلومات التفاعلية إلى جميع الفئات بأسلوب مشوق ومقبول للغالبية، وإنشاء منصات لتمكين الناس من المشاركة في إعلام البث المباشر خلال ٢٤ ساعة، ومنح الإعلاميين حرية أوسع لتبيان بعض فرص التحسين دون اتهامهم بالخيانة وعدم الوطنية، وضرورة أن يشترك الناس مباشرة في الحوار والنقاش من خلال وسائل الإعلام التي يجب أن تقوم بدور المرسل والمستقبل للخبر في آن واحد من خلال الجمهور، وأن تعكس المنظومة الإعلامية أنماط سلوك شبكات ووسائل التواصل الاجتماعية، والتدفق الحر للمعلومات، وهو ما يتطلب غربة نوعية الإعلاميين الحاليين، وجعلهم يطرحون البدائل والحلول، وليس تسليط الضوء على المشاكل والخلافات فقط.

حرية التعبير في المنصات الاجتماعية

*رانا فوروهار

فاينانشيال تايمز: ٢٠١٨/٨/٢٩

تدرس المحاكم الأمريكية حالياً إضافة العديد من المواد إلى بند «التعديل الأول» من القانون الأمريكي، وهو التعديل الذي يأتي تماشياً مع الاستخدام المتزايد خلال الفترة الأخيرة لوسائل التواصل الاجتماعي، وتأثيراتها الكبيرة على الجوانب السياسية في الولايات المتحدة وجميع أنحاء العالم، وهنا لا بد من الإشارة إلى فضيحة فيسبوك التي هزت أركانها، وأشارت إلى تدخل جهات خارجية في الانتخابات الأمريكية للتأثير على مجراها. هناك قوانين تضمن حماية الخطاب السياسي، وهو ما يهدف التعديل إلى تطبيقه على المنصات الاجتماعية والحسابات الفردية التي يمتلكها الناس، وبذلك سيتم تجريم ومنع جميع ممارسات حظر المتابعين على وسائل التواصل الاجتماعي باعتبار أن الحسابات الموجودة على تلك المنصات هي حسابات عامة، وهي المرة الأولى وفقاً للكثير من المراقبين والمحللين، وفقاً لما اعتقده أيضاً، التي يتم فيها تطبيق بند «التعديل الأول» على المنصات الخاصة.

يبدو التوسع في تطبيق البند القانوني الخاص بحرية التعبير، أمراً معقولاً، ولكن المشكلة هنا تتمثل في أن تطبيق البند القانوني على منصات التواصل الاجتماعي سيجعل من الصعب جداً بالنسبة لتلك المنصات - وربما مستحيلاً في بعض الأحيان - الحد من الأخبار المزيفة والتحرش الإلكتروني وخطاب الكراهية، وتحديد الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي يدعو العالم أجمع إلى معالجتها والتطرق إليها. إن قانون حرية التعبير يضمن حرية التعبير داخل تلك المنصات والحق في إنشاء الجمعيات وغيرها، هذا الأمر يمنح تلك المنصات حقاً دستورياً في وضع الشروط الخاصة بهم لما يتعلق بالخدمات التي يقدمونها، والتي يمكنهم استخدامها في أي شيء قانوني وغير قانوني.

تلك المنصات لن تتمكن إذا ما قررت المحكمة أنه لن يسمح لها بالتحكم في وضع الشروط الخاصة بها من حيث حرية التعبير بكل بساطة من مواصلة سيطرتها، وستقوم المحكمة بوضع الشروط الخاصة بها وفقاً للمبادئ القانونية والاختصاص القضائي الذي تخضع له تلك المنصات. وإذا ما قرر القانون ممثلاً في المحاكم، الإشراف على وضع تلك الشروط والأحكام، فإن تلك المنصات ستصبح بلا شك مساحات حرة يمكن لأي فرد فيها فعل ما يشاء، وهو ما يعتبر خطراً كبيراً، بسبب أن هذا الأمر سيمنح الجميع الحق في التعبير عن أي شيء بما في ذلك الخطابات التي تمنعها حالياً وسائل التواصل الاجتماعي، مثل خطاب الكراهية والدعوة إلى العنف وغيرها من المظاهر السلبية الأخرى، واعتقد أن الحل الأفضل يتمثل في الإبقاء على الوضع الحالي كما هو عليه، وفرض بعض التعديلات على المنصات نفسها لتطوير الأطر الداخلية التي تتبناها.

الطائفية والهوية الوطنية في العالم العربي

*موريس عايق

موقع قنطرة الألماني: ٢٩/٨/٢٠١٨

هناك العديد من التعاريف المقترحة للعلمانية: فصل الدين عن الدولة، أو الفصل بين الدين والمجال العام (أو السياسي)، أو فصل الدين عن مصادر السيادة. على رغم التفاوت بين هذه التعريفات، فإنها جميعها تدور حول موضوعة مركزية وهي الدين وحضوره في المجال العام باعتباره موضوع العلمانية. في المقابل، فإن المسألة الطائفية تدور حول موضوع مغاير تماماً وهو الهوية الوطنية، تحديد هوية الشعب والحدود، التي تعين الجماعة وحق الانتماء إليها. سؤال الطائفية هو سؤال الهوية. في الحالة الطائفية يصبح الانتماء الديني أو المذهبي محددًا للانتماء للجماعة. ما يحضر هنا ليس الدين بوصفه اعتقاداً، بل بوصفه انتماء. ففي الحالة الطائفية يكون المرء شيعياً، مثلاً، إذا ولد لعائلة شيعية وبمعزل عن اعتقاده الديني حتى لو كان ملحدًا، فهو شيعي بغض النظر عن رأيه واعتقاده. لكن مسألة العلمانية لا يمكن تحديدها من دون العودة إلى آرائه حول المعتقد الديني وحضوره العام، وبمعزل عن أصوله الطائفية والمذهبية.

على هذا الأساس يمكن لنا الحديث عن حالات علمانية وطائفية في الوقت ذاته. مثلاً، إيرلندا الشمالية: على رغم أنها علمانية ولا يوجد خلاف حول العلاقة بين الدولة والكنيسة، فإن النزاع يدور بين جماعتين مختلفتين طائفيًا، البروتستانت والكاثوليك، حيث تتماهى الهوية القومية لكل جماعة مع هويتها الطائفية. الحركة الصهيونية نفسها حركة علمانية في ما يتعلق بالعلاقة بين الدولة والدين، لكنها تعتبر الانتماء إلى الدين اليهودي انتماء قومياً. الأحزاب المسيحية اللبنانية هي أحزاب علمانية في خطها العام، لا تريد حكم الكنيسة أو تدخلها في الدولة، لكنها في المقابل أحزاب طائفية تقوم على أساس هوية الانتماء إلى الطائفة المسيحية.

حتى في الحالة الإسلامية يمكن تقديم عدد من الأمثلة لحركات قامت على أساس هوية الانتماء إلى الإسلام ولكنها علمانية النزعة، مثلما حصل مع تأسيس باكستان مع محمد علي جناح. فقد تأسست باكستان بوصفها دولة لمسلمي القارة الهندية، ولكنها دولة علمانية في الوقت ذاته بحسب المؤسس جناح، الأمر الذي سيتغير لاحقاً. العلمانية ليست الحل.. إيرلندا الشمالية مثلاً: على رغم أنها علمانية ولا يوجد خلاف حول العلاقة بين الدولة والكنيسة، فإن النزاع يدور بين جماعتين مختلفتين طائفيًا، البروتستانت والكاثوليك، حيث تتماهى الهوية القومية لكل جماعة مع هويتها الطائفية.

العلمانية والطائفية

إشكالية العلمانية مستقلة موضوعاً عن إشكالية الطائفية. لكن هذا الاستقلال ليس انقطاعاً تاماً، فهناك نوع من الاشتراط الذي يجمع المسألتين. فإذا قبلنا معنىً مقيداً للعلمانية – يقوم على الحد الأدنى – وهو حياد الدولة تجاه معتقدات مواطنيها والمساواة بينهم بغض النظر عن اعتقاداتهم، تغدو العلمانية عندها شرطاً يصعب الاستغناء عنه لحل المسألة الوطنية، كونها لا تركز أساساً تمييزياً في الجماعة الوطنية.

لكن يمكن النقاش حول مدى اندراج هذا المعنى المقيد في العلمانية، حيث يمكن تخيل دولة تتبنى القيم الثقافية والأخلاقية المنبثقة من دين الغالبية من جهة، وتكون من جهة أخرى محايدة تجاه الاعتقادات الدينية لمواطنيها وتصون المساواة التامة بينهم بغض النظر عن اعتقاداتهم وإيمانهم. بتعبير آخر يكون النظام القيمي لدين الغالبية

بمثابة مرجعية أخلاقية وثقافية من جهة، ومن جهة أخرى تكون الدولة محايدة تجاه "معتقدات" مواطنيها ومحقة للمساواة بينهم.

المسألة المركزية لحفظ الجماعة الوطنية هي عدم تكريس أي نوع من السياسات التمييزية على أساس الانتماء الديني أو الجهوي أو حتى الإثني، فيما تدور الإشكالية العلمانية حول حضور الدين ودوره كمصدر للتشريع والقيم الأخلاقية والثقافية النازمة لعمل الدولة.

في مواجهة انهيار مجتمعات المواطنة في المشرق العربي وصعود هويات طائفية يُرفع بشكل كبير شعار العلمانية باعتباره حلاً للمسألة الطائفية، "العلمانية هي الحل".

شعار العلمانية هي الحل يبدو شعاراً مزيّفاً ولسببين أساسيين:

الأول: تُطرح العلمانية كحل لمشكل لا صلة لها بالعلمانية نفسها، وهو تصدع الجماعة الوطنية التي تتمحور حول معضلة مغايرة لتلك الخاصة بالعلمانية.

الثاني أن العلمانية نفسها قد تكون سبباً في هذا التصدع، طالما أنها تخدم كشعار يُرفع تحديداً ضد الانتماء الديني للغالبية ولاحقاً ضد ثقافة محددة، فتصبح تبريراً لسياسة تمييزية. هناك مزحة سورية متداولة حيث يقول أحدهم إنه علماني يكره شيئين: الطائفية والسنة. تصبح العلمانية أيديولوجيا بالمعنى السيئ للكلمة، تزيف الواقع خدمة لمصلحة جماعات محددة. فتخفي عصبية طائفية نفسها تحت عباءة العلمانية، مصورة معركتها وكأنها معركة بين العلمانية والأصولية.

وعلى الجهة الأخرى تكون الصورة مقلوبة، أي أن العصبية الطائفية المقابلة تقدم معركتها وكأنها معركة الإيمان في مواجهة كفر العلمانية. وهذا ما يتجلى مع العديد من حركات الإسلام السياسي، التي تركز التمييز داخل الجماعة الوطنية انطلاقاً من نظرتها للإسلام التي تدمج الدين بالهوية، فلا تعود الحضارة الإسلامية ذلك الإطار الثقافي الواسع لكل الذين عاشوا وتربوا داخله. في الحالتين، تبني العلمانية أو الأصولية، فإن انهيار الجماعة الوطنية والنزاعات القائمة على العصبية المحلية يستمر من دون توقف.

لم تكن ألبانيا خلال الحكم الشيوعي دولة علمانية وحسب، بل دولة تبنت الإلحاد في شكل رسمي وتولّت التبشير به ومحاربة الدين. غير أن العصبية الفرعية المتمحورة حول الإسلام السني والبكتاشية والمسيحية الأرثوذكسية والكاثوليكية والعشائرية استمرت، فبقي الزواج المختلط بين هذه الجماعات في أضيق الحدود، على رغم التشجيع الرسمي وقتها له.

وما أن سقطت الشيوعية، التي أخضعت الجميع بالقمع، حتى عادت هذه العصبية الطائفية لتطفو على السطح وتطالب بإعادة تنظيم الدولة محاصصة بينها. كذلك كان البعث العراقي حزباً علمانياً وقومياً متطرفاً، لكن العصبية التي حُكم بها العراق استندت على الانتماء إلى المثلث العربي السني بالدرجة الأولى وبدرجات أعلى إلى الانتماءات العشائرية داخل هذا الانتماء للمثلث.

الربط المباشر بين العلمانية والطائفية، واعتبار الأولى حلاً مباشراً للثانية، لا يكتفي وحسب بخلط مسائل متباينة بعضها ببعض، بل قد يخدم كعباءة أيديولوجية في تزييف وتغذية النزاع الطائفي والمقوّض للجماعة الوطنية ذاتها.

حل المسألة الطائفية يقوم على تكريس الجماعة الوطنية والحفاظ عليها وإعادة الاعتبار للديموقراطية الحقيقية والمواطنة التي تقوم على تحقيق المساواة بين المواطنين أنفسهم.

سياسات الإقصاء.. لماذا تخاف دول الخليج من هيمنة الإمارات والسعودية؟

المركز العربي واشنطن دي سي: ٢٩/٨/٢٠١٨

كريستيان كوتس أولريخسن: تسببت القطيعة المفاجئة في العلاقات الدبلوماسية بين السعودية وكندا في تسليط الضوء على الديناميات السياسية الإقليمية التي وضعت ضغوطا غير مسبقة وغير قابلة للإصلاح على "مجلس التعاون الخليجي".

فعلى مدى السنوات الثلاث الماضية، تطورت الرؤية الشمولية التي كانت الأساس لـ "مجلس التعاون الخليجي" إلى نهج إقصائي متمحور حول الأمن في التعامل مع الشؤون الإقليمية. وكان "مجلس التعاون الخليجي" يؤدي أفضل أداء له كجامعة فضفاضة للدول الملكية التي كانت أسرها الحاكمة تحرس استقلالها الذاتي وتقاوم أي اقتراب من القضايا الكبرى التي تتعدى على السيادة الوطنية.

وقد شهد "مجلس التعاون الخليجي" هذا المزيج من المرونة والإجماع خلال ٣ حروب رئيسية بين الدول في الخليج: الحرب الإيرانية العراقية، الحرب لطرد العراق من الكويت، وغزو العراق عام ٢٠٠٣ حيث ساعد المجلس خلال تلك الفترات في الحفاظ على استقرار نسبي في منطقة مزقتها الصراعات، ومع ذلك، فإن ظهور محور جيوسياسي متشدّد من الرياض إلى أبوظبي قد وسع الشروخ القائمة، وخلق خطوط صدع جديدة، وألحق ضررا محتملا على المدى الطويل بما كان يعتبر التنظيم الإقليمي الأكثر استدامة في العالم العربي.

التفتت الإقليمي

في ظل استضافة الرياض لأمانة المجلس، ربما كان من غير المستغرب أن الأمين العام لـ "مجلس التعاون الخليجي"، "عبد اللطيف بن راشد الزياني"، قد أصدر بيانا سريعا في ٦ أغسطس/آب دعما لاستجابة القيادة السعودية الغاضبة لانتقاد كندا لسجل حقوق الإنسان الخاصة بها.

لكن رد فعل "الزياني" الفوري يتناقض مع الغياب العام للبيانات العامة الصادرة عن الأمانة المجلس على مدار الـ ١٥ شهرا الماضية منذ أن قام ٣ من أعضائه -السعودية والبحرين والإمارات- بالتحول ضد دولة رابعة عضوة في المجلس هي قطر لثاني مرة في أقل من ٣ سنوات.

ونتيجة لذلك، سرعان ما نأت الحكومة القطرية بنفسها عن ادعاء "الزياني" بالتحدث نيابة عن "مجلس التعاون الخليجي"، وأصدرت حكومتا الكويت وعمان بيانات خاصة بهما ركزت على مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية ولكنهما لم تتخذا موقفا في النزاع، في حين عبرت البحرين والإمارات عن انحيازهما للجانب السعودي في الخلاف، وهو تباين في المواقف جلب الصدع الخليجي إلى السطح مرة أخرى.

ومما لا شك فيه أن أزمة قطر لا تزال هي الانشقاق المركزي الذي أدى إلى تفتت "مجلس التعاون الخليجي" منذ أن اندلعت في مايو/أيار ٢٠١٧، ومع ذلك، ففي حين أن الأزمة الأولية قد استقرت في نمط معلق، إلا إن تداعياتها تستمر في إحداث موجات متتالية في المنطقة ككل، فمن الواضح أن صعود نهج صارم في التعامل مع الشؤون الإقليمية من قبل نخبة من صانعي السياسة في الرياض وأبوظبي قد حلت محل المرونة التي تمتع بها "مجلس التعاون الخليجي". أعطى التوجه الذي دام لعقود من الزمن لأعضاء العائلات الحاكمة الذين يشغلون مناصب طويلة الأمد ومناصب حكومية رفيعة، قدرا من القدرة على التنبؤ بصنع القرار في السياسة الخليجية، وبالرغم من حالة الركود الملحوظ، إلا أنها ضمنت أن عملية صنع السياسة كانت مستقرة بشكل عام.

وتجلى هذا النهج الهاديء والقابل للتنبؤ في السعودية على وجه الخصوص، حيث وفاة وزير الدفاع الأمير "سلطان بن عبدالعزيز" وشقيقه وزير الداخلية الأمير "نايف"، والملك "عبدالله"، ووزير الخارجية الأمير "سعود الفيصل" بين عامي ٢٠١١ و ٢٠١٥ بعد أن شغلوا مناصبهم الخاصة لعدد سنوات إجمالية يصل إلى ١٧٣ عاما.

محور جديد

سهّل موت أفراد العائلة المالكة السعودية هؤلاء قدرا من تركيز السلطة لم يسبق له مثيل في التاريخ السعودي في يد ولي العهد الأمير "محمد بن سلمان" البالغ من العمر ٣٢ عاما، وفي هذه الأثناء في دولة الإمارات صعد ولي عهد

أبوظبي الأمير "محمد بن زايد آل نهيان" على نحو مماثل كحاكم حقيقي خلف الكواليس، في ظل معاناة أخيه غير الشقيق حاكم أبوظبي ورئيس دولة الإمارات "خليفة بن زايد آل نهيان" من عكة صحية مستمرة منذ سنوات. وقام "محمد بن زايد" إلى جانب إخوته -مستشار الأمن القومي طحنون بن زايد ووزير شؤون الرئاسة منصور بن زايد- وابنه "خالد بن محمد بن زايد" الذي عينه نائبا لمستشار الأمن الوطني في عام ٢٠١٧، بتحويل أبوظبي إلى إمارة متشددة يتحكم فيها الأمن ووسعت سيطرتها على الإمارات الست الأخرى التي تشكل دولة الإمارات، وبذلك، ابتعد عن إرث أسرته كوسيط إقليمي ورجل دولة كبير محترم في الخليج، وهي السمات التي ميزت والده الشيخ "زايد" الأب المؤسس لدولة الإمارات العربية المتحدة الذي حكم البلاد حتى عام ٢٠٠٤. وتشير القرارات الأخيرة، مثل إطلاق العمليات العسكرية في اليمن في عام ٢٠١٥، وحصار قطر في عام ٢٠١٧، ومجلس التنسيق السعودي الإماراتي الجديد في عام ٢٠١٨ إلى الاحتكار الثنائي لـ "بن سلمان" و "بن زايد" كنقطة مركزية جديدة للسياسة الخليجية.

ومع إعادة تنظيم مركز الثقل الإقليمي في الرياض وأبوظبي، وجدت دول "مجلس التعاون الخليجي" الأخرى نفسها في موقع الحاجة إلى اللحاق بالتطورات، وأرسلت كلا من الكويت وقطر قوات إلى اليمن بعد أن تعرضت القوات الإماراتية والبحرينية لهجوم كبير على معسكر في سبتمبر/أيلول ٢٠١٥، في حين رفضت عمان الانضمام إلى التحالف الذي تقوده السعودية والإمارات في اليمن.

وفي النهاية، تم طرد القوات القطرية من التحالف بعد أن بدأ الحصار المفروض على قطر، ومن المفارقات أن ذلك حدث بعد أيام فقط من وفاة جنود قطريين أثناء دفاعهم عن الحدود الجنوبية للسعودية مع اليمن، أما عمان، فقد أصدرت احتجاجا رسميا للسعودية في سبتمبر/أيلول ٢٠١٥ بعد تعرض مقر إقامة سفيرها في اليمن لضربة جوية في صنعاء.

مخاوف كويتية عمانية

وكان من الملحوظ أن الكويت وعمان لم تنضما إلى حصار قطر في يونيو/حزيران عام ٢٠١٧، وشارك أمير الكويت الشيخ "صباح الأحمد الجابر الصباح" في جولات دبلوماسية مكوكية محمومة في بداية الأزمة، وفي سبتمبر/أيلول ٢٠١٧، بدا أن العمل العسكري ضد قطر كان مطروحا على الطاولة ولكن تم تفاديه.

هناك جانبان من أزمة قطر يدركهما من يقررون السياسات في الكويت ومسقط، الأول هو طبيعة الضغط على الدوحة لتتوافق مع مجموعة من متطلبات السياسة الإقليمية التي تتماشى مع الأولويات في الرياض وأبوظبي والذي لا يقدم مجالا واسعا للاستقلالية أو الحل التوفيقى، والثاني هو ملاحظة أن الضغط على قطر بدأ في غضون أسابيع من تولي أميرها الجديد، الشيخ "تميم بن حمد آل ثاني"، السلطة في يونيو/حزيران ٢٠١٣.

كان تحقيق التوازن في الشؤون الإقليمية منذ فترة طويلة السمة المميزة للسياسات الخارجية العمانية والكويتية، وتجلى ذلك في أوائل عام ٢٠١٧ عندما تواصل البلدان مع إيران لمحاولة خفض التوترات في الخليج، كما أن عملية انتقال السلطة الحتمية في كل من البلدين -لأمير الكويت البالغ من العمر ٨٩ عاما وسلطان عمان وعمره ٧٨ عاما- تثير القلق حول قابلية بلدانهم للتعرض للضغوط الخارجية أثناء مرحلة الانتقال السياسي.

بين عامي ٢٠١١ و٢٠١٤، عانت الكويت من المناوشات بين اثنين من المتنافسين الطموحين على منصب ولي العهد حالما يخلف الشيخ "نواف الأحمد الصباح" شقيقه الشيخ "صباح الأحمد" كأمر للبلاد، وتسببت المعركة بين رئيس الوزراء السابق الشيخ "ناصر محمد الصباح" ونائب رئيس الوزراء السابق الشيخ "أحمد الفهد الصباح" في احتكاك كبير في الكويت انتهى برحيل "أحمد الفهد الصباح" إلى المنفى في عام ٢٠١٥.

لكن التواجد في المنفى لمثل هذا الخصم الكبير الطامح للخلافة يوفر فرصة للتدخل المستقبلي المحتمل. ولم يفت المسؤولون في مدينة الكويت أن قاعدة دعم الشيخ "أحمد" تكمن في الدوائر الانتخابية القبلية والإسلامية السننية في الكويت، حيث لجأ مؤيده السياسي البارز، النائب المعارض السابق البارز "مسلم البراك"، إلى السعودية بعد إدانته في نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٧ بتهمة اقتحام الجمعية الوطنية خلال الاحتجاجات في عام ٢٠١١.

في عمان، تصاعدت المخاوف بسبب الأنشطة السعودية الإماراتية في محافظة المهرة جنوب شرقي اليمن المتاخمة للحدود العمانية، التي طالما اعتبرت منطقة عازلة تفصل عمان عن مشاكل اليمن الداخلية. وقد أذكت هذه الأنشطة ذكريات التوترات السابقة مع الإمارات، مثل الادعاءات بالإغراءات المالية للمواطنين العمانيين في شبه جزيرة مسندم في السبعينيات والثمانينيات، ودعوى وجود "خلية تجسس" إماراتية في عمان كشف عنها ظاهرياً في عام ٢٠١١، وإشارات بقيام الإماراتيين بشراء الأراضي على نطاق واسع في عمان. وقد راقب المسؤولون العمانيون عن كثب مع الحصار المفروض على قطر، وهم يدركون تمام الإدراك أن الدور قد يأتي عليهم في الضغوط للتوافق مع القيود الإقليمية المصممة في الرياض وأبوظبي.

مقاومة محتملة

ولكن في داخل الإمارات نفسها هناك شكوك بأن "محمد بن زايد" قد يواجه صعوبات من الجهود الرامية إلى تركيز السيطرة في أبوظبي وقلب الطبيعة الفدرالية للدولة الإماراتية والتوازن القائم بين الإمارات السبع، وقد كان حاكم دبي، الشيخ "محمد بن راشد آل مكتوم"، أبرز الغائبين عن الاجتماع الافتتاحي لمجلس التنسيق السعودي الإماراتي في جدة في ٧ يونيو/حزيران ٢٠١٨، على الرغم من مناصبه الفدرالية كرئيس للوزراء ونائب رئيس لدولة الإمارات. وقد عزز هذا الغياب تصورات مفادها أن المجلس الجديد كان مدفوعاً من وليي العهد في كل من الرياض وأبوظبي دون التشاور التشاور مع حكام الإمارات الستة الأخرى في الإمارات، ويبدو أن مجموعة المشاريع المشتركة بين السعودية والإمارات التي أعلن في اجتماع جدة تتناقض مع نموذج سياسة عدم التدخل الذي تتبناه به الإمارات. وظهرت علامات أخرى من التوتر المحتمل في دولة الإمارات على مدى الأشهر القليلة الماضية.

وأظهر الانشقاق الظاهري في مايو/أيار لنجل حاكم الفجيرة تساؤلات حول وجود ردات فعل مقاومة بين الإمارات الشمالية على المحاولات المزعومة من جانب أبوظبي للتأثير على اتجاه صنع القرار، وخلال العام الماضي، نجحت كل من الشارقة ورأس الخيمة في إقناع المستثمرين بالتقدم للحصول على مناقصات في مجال الطاقة في الإمارات القديمة التي تعاني من نقص النفط والغاز، وإذا نجح ذلك، فإن هذا من شأنه تنويع اقتصاداتها المحلية وجعلها أقل اعتماداً على التحويلات الفيدرالية من الحكومة المركزية في أبوظبي.

وقد فسر البعض ظهور الرئيس الإماراتي "خليفة بن زايد آل نهيان" بعد ٤ سنوات من إصابته بسكتة دماغية على أنه يرسل رسالة تذكيرية مفادها أن "محمد بن زايد" لم يتسلم بعد السلطة النهائية رسمياً، كما أن تحقيق "مولر" في الولايات المتحدة، والذي يُرجح أن يحقق في دور لعبته الإمارات في انتخابات عام ٢٠١٦، يمكن أن يولد تداعيات سلبية لقيادة أبوظبي. وهناك قلق مماثل يتعلق بآثار الانتخابات الماليزية والتركيز المتجدد على التدفقات المالية في قضية فضيحة صندوق تنمية ماليزيا التي يشتبه بضلوع الإمارات فيها.

من السابق لأوان معرفة ما إذا كانت المقاومة الأخيرة لخطط "محمد بن زايد" في الإمارات، أو "محمد بن سلمان" في السعودية حول القدس و "خطة السلام" الخاصة بإدارة "ترامب" هي مجرد زوبعة مؤقتة أم أنها بداية جهد مستمر للعودة إلى توافق الآراء الذي طالما تميزت به السياسة الخليجية، ومع ذلك، فقد تم بالفعل إلحاق ضرر كبير بالنسيج السياسي لـ "مجلس التعاون الخليجي" وخاصة العلاقات الاجتماعية (والاقتصادية) التي ربطت تقليدياً شعوب شبه الجزيرة العربية.

ويبقى الخاسر الأول من هذا هو "مجلس التعاون الخليجي" نفسه لأنه أصبح غائبا من كل مرحلة من مراحل الأزمة القطرية، كما تم تجاوزه من قبل المحور السعودي الإماراتي الجديد في اليمن بينما يشير إعلان يوليو/تموز ٢٠١٨ لمجلس التنسيق السعودي الكويتي إلى أن دول الخليج العربي قد تعود إلى نمط ما قبل دول "مجلس التعاون الخليجي" لإدارة علاقاتها، وذلك باستخدام الأساس الثنائي للعلاقات، ما لم تحدث ردة فعل قوية ضد الرياض وأبوظبي من قبل جيرانهم الخليجين.

التكلفة الاقتصادية لحرب اليمن وأثرها على أطراف الصراع

مركز الجزيرة للدراسات؛ ٢٠١٨/٨/٢٩

الباحث: منصور علي البشير: يُعدُّ اليمن أحد أقل الدول نمواً في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ويحتل مركزاً متأخراً في مؤشرات التنمية البشرية العالمية، ويُصنّف ضمن قائمة الدول منخفضة التنمية ويحتل المركز ١٦٨ من بين ١٨٨ دولة وفقاً لتقرير التنمية البشرية العالمي ٢٠١٦ حيث بلغت قيمة دليل التنمية البشرية في اليمن حوالي ٠,٤٨٢ مقارنة بحوالي ٠,٤٩٧ لمتوسط الدول ذات التنمية البشرية المنخفضة وحوالي ٠,٦٨٧ للدول العربية(١).

لم يشهد اليمن فترات استقرار طويلة تمكّنه من تحقيق أهدافه التنموية المنشودة“ إذ وقع ضحية الصراعات المسلحة والعنف المتكرر بين النخب السياسية والحركات المسلحة أبرزها الحرب الأهلية عام ١٩٩٤ وحروب صعدة الست (٢٠٠٤-٢٠١٠) مع جماعة الحوثي، إلى جانب الأنشطة الإرهابية التي شهدتها اليمن خلال العقود الماضية والتي أثّرت سلباً على صورة اليمن إقليمياً ودولياً وأبرزته كبلد غير آمن وغير مستقر، وصولاً إلى الحرب الحالية بين الحكومة الشرعية المعترف بها إقليمياً ودولياً مسنودة بالتحالف العربي وبين جماعة الحوثيين وحلفائهم من أعضاء المؤتمر الشعبي العام.

ومع أن الأسباب الجذرية للصراعات المختلفة في اليمن متعددة ومتنوعة، إلا أن أهمها كان انعدام العدالة والمشاركة السياسية الحقيقية والحرية الحقيقية وغياب المواطنة وصعوبة الوصول للخدمات الاجتماعية والتنمية المتساوية والمستدامة، وما نتج عنها من قضايا متعلقة بالعدالة في توزيع الموارد والثروات على المناطق والمحافظات اليمنية وبالأخص المناطق المنتجة للموارد والثروات.

على وقع احتجاجات شاملة اجتاحت دولاً أخرى في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، خرجت المظاهرات الشعبية (الثورة الشبابية الشعبية) في اليمن، في فبراير/شباط ٢٠١١، للمطالبة بتحقيق العدالة وبحكومة أكثر مشروعية واستجابة للمواطنين والتي انتهت بتوقيع المبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية في الرياض، في ٢٣ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١١، والتي كان من أهم مخرجاتها تسليم السلطة من الرئيس السابق، علي عبد الله صالح، إلى رئيس توافقي وتشكيل حكومة توافق وطنية تمثّل كل فرقاء العمل السياسي وانعقاد مؤتمر الحوار الوطني، الذي انطلق في ١٨ مارس/آذار ٢٠١٣، والذي مثّل نقلة نوعية في مسار المصالحة الوطنية الشاملة في اليمن“ حيث استهدف المؤتمر إجراء مراجعة عميقة وشفافة ومسؤولة لكل الاختلالات ومكامن الضعف في هياكل الدولة والممارسات السلبية التي أفضت لمشكلات سياسية واجتماعية واقتصادية وضعت اليمن ضمن قائمة الدول الفاشلة والمهددة بالانهيار(٢).

لقد خرج مؤتمر الحوار الوطني بمجموعة من الرؤى السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كان يمكن أن تكون أرضية مناسبة لبناء السلام المستدام في اليمن، وأهمها: صياغة دستور جديد لليمن وتحوله من دولة بسيطة (مركزية) إلى دولة مركبة (فيدرالية/اتحادية) تهدف إلى ضمان الشراكة العادلة في الثروة والسلطة وللحفاظ على الأمن والسلم الاجتماعيين، إلا أن التطورات العسكرية المتزامنة مع الحوار والتالية له وفشل المكونات اليمنية والدول الراعية لعملية الانتقال السياسي في التوصل إلى تسوية سياسية متفق عليها وبالأخص فيما يتعلق بموضوع الأقاليم وعددها، قد أسهم في العودة بقوة نحو الصراع والحرب من جديد بين أطراف الصراع، بل وانخرط العديد من دول الإقليم في هذا الصراع بصورة مباشرة كما هي الحال بالنسبة لكل من السعودية والإمارات أو غير مباشرة بالنسبة لإيران وحلفائها في المنطقة.

لقد أفرزت الحرب الأهلية منذ مارس/آذار ٢٠١٥ وحتى الآن ضغوطاً اقتصادية واجتماعية وإنسانية كبيرة على اليمن واليمنيين“ حيث أسهمت -وبصورة كبيرة- في تراجع الأداء الاقتصادي وتدهوره بصورة حادة نتيجة لتراجع النشاط الاقتصادي العام والخاص وحالة الحصار المفروضة على البلد، وتدمير الممتلكات العامة والخاصة وبالذات البنى التحتية والمؤسسية“ الأمر الذي انعكس في تدني مستوى الدخل وتزايد معدلات البطالة واستشراء الفساد وسوء توزيع الموارد والثروات. إلى جانب تدهور الجانب الاجتماعي والإنساني المتمثل في تزايد حالات النزوح والقتل واللجوء والتشريد وتزايد حالات سوء التغذية وتفشي الأمراض الوبائية وما صاحب ذلك من انتهاكات لحقوق الإنسان. كما أفرزت هذه الحرب أيضاً ضغوطاً على دول التحالف وبالأخص كل من السعودية والإمارات سواء على المستوى الاقتصادي أو على المستوى الحقوقي والدبلوماسي ولحق بها العديد من الخسائر البشرية والمالية، وهو ما تحاول هذه الورقة رصده وتحليله ومعرفة آثاره وتداعياته على حاضر اليمن ومستقبله.

١. التكلفة الاقتصادية والإنسانية على اليمن ٢٠١٥-٢٠١٨

من المؤكد أن الحرب الأهلية الجارية في اليمن، والتي دخلت عامها الرابع، قد ألحقت باليمن واليمنيين أضراراً بالغة على المستوى الاقتصادي والإنساني، ويمكن تقسيم تلك الأضرار إلى قسمين: الأول: الأضرار المباشرة للحرب والمتمثلة في القيمة المالية للأصول الاقتصادية والاجتماعية المدمرة سواء العامة أو الخاصة، والثاني: يتمثل في تكلفة الفرصة البديلة التي خسرتها القطاعات الإنتاجية والخدمية والتي توقفت بشكل جزئي/كلي عن العمل والإنتاج جرّاء الحرب وغياب مقومات السلامة الإنتاجية أو لعدم وجود موارد الطاقة اللازمة للإنتاج، فضلاً عن التكلفة الإنسانية المتمثلة في تزايد حالات القتل والإصابة والنزوح والتهجير القسري من المدن والمحافظات المختلفة.

على الرغم من عدم وجود تقييم وحصر دقيق لحجم الضرر الذي لحق بالاقتصاد اليمني جرّاء الحرب المستمرة والتدمير المستمر للبنى التحتية والمنشآت العامة والخاصة الإنتاجية والخدمية وعدم قيام الجهات المعنية بعمل المسوحات الفنية اللازمة لتحديد حجم هذه الأضرار، إلا أن هناك بعض التقارير والدراسات التي حاولت أن تعطي تقديرات أولية لحجم هذه الخسائر، والتي يمكن استعراضها في التالي:

١.١. التكلفة الإنسانية للحرب

ففي جانب الخسائر البشرية، تشير تقديرات الاحتياجات الإنسانية الصادرة عن مكتب الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية (٣)، في يناير/كانون الثاني ٢٠١٨، إلى وصول عدد ضحايا الحرب في اليمن إلى حوالي ٦٢ ألف شخص منهم ٩,٢ آلاف قتيل وحوالي ٥٢,٨ ألف جريح، منهم قرابة ٣,٣ آلاف طفل ما بين قتل وجريح. كما تشير تلك التقارير إلى وجود حوالي ٢٢,٢ مليون شخص يحتاجون إلى مساعدات إنسانية يشكّلون ٧٥٪ من إجمالي عدد السكان، منهم ١١,٣ مليون شخص في حاجة ماسة وشديدة للمساعدات الإنسانية منهم ٨,٤ ملايين شخص يعانون من انعدام الأمن الغذائي ويواجهون خطر المجاعة بمن فيهم ٣ ملايين نازح في الداخل. فضلاً عن وفاة حوالي عشرة آلاف يمني ممن يحتاجون للعلاج خارج البلاد، بسبب إغلاق مطار صنعاء من قبل قوات التحالف.

١.٢. التدمير الممنهج للبنى التحتية

تعرّض رأس المال المادي الذي تراكم خلال العقود الخمسة الماضية، والذي كان في الأساس لا يفي باحتياجات السكان من الخدمات الأساسية وبالذات خدمات الكهرباء والمياه والطرق والإسكان، إلى أضرار واسعة النطاق جرّاء الاستهداف المباشر والممنهج لهذه البنى، من قبل أطراف الصراع كافة بما فيها التحالف العربي، عبر الغارات الجوية التي دمرت غالبية تلك المرافق بصورة كلية أو جزئية كان آخرها استهداف منشآت استخراج وتوزيع المياه في مدينة الحديدة خلال شهر يوليو/تموز ٢٠١٨.

ونظراً لاستمرار الحرب وبالتالي استمرار التدمير لبقية البنى التحتية من كافة أطراف الصراع فإنه من الصعوبة بمكان التوصل إلى تقييم شامل للأضرار وبالتالي فإن ما سنذكره في هذا الجانب ما هو إلا تقديرات أولية صادرة عن بعض الجهات ذات العلاقة، ففي جانب الخسائر المادية وحتى يوليو/تموز ٢٠١٨، تشير بعض التقارير الحقوقية غير الرسمية (٤) إلى تضرر البنية التحتية بشكل كبير جرّاء الحرب حيث تشير إلى تضرر ١٥ مطاراً، ١٤ ميناء، ٢٥١٢ طريقاً وجسراً، ٧٢٧ خزاناً وشبكة مياه، و١٨٥ محطة ومولد كهرباء، و٤٢١ شبكة اتصالات، و٨٨٢ مدرسة ومعهداً، و٣١٨ مستشفى ومركزاً صحياً، و١٧٩٧ منشأة حكومية، و٣٦٠ محطة وقود وسيارات، و٢٦٥ ناقلة وقود، و٣١٦ مصنعاً، و٢٩٥ مزرعة دواجن ومواش، و٤٩٠ موقعاً أثرياً ومنشأة سياحية، و١١٢ منشأة رياضية.

٣.١. التكلفة الاقتصادية للحرب (تكلفة الفرصة الضائعة)

على الرغم من اتساع الوضع الاقتصادي العام في اليمن، قبيل اندلاع الحرب الأهلية الأخيرة والتدخل الإقليمي، بانخفاض معدل النمو الاقتصادي الحقيقي مقارنة بالاحتياجات التنموية على مستوى الفرد وتحسن مستوى الدخل أو على مستوى البلد وما تتطلبه العملية التنموية من موارد وإمكانيات لازمة لتحقيق أهداف التنمية المتعلقة بنقل اليمن من إطار الدول الأقل نمواً على المستوى العالمي إلى مستوى الدول متوسطة الدخل، إلا أن هذه الحرب قد عملت على تجريف ذلك الأداء المتواضع وتحويله إلى خسائر اقتصادية متراكمة سنة بعد أخرى تنعكس وبصورة مباشرة على حياة اليمنيين لتجرعهم مزيداً من البؤس والفقر والجوع.

ففي جانب الأداء الاقتصادي الكلي، تشير بعض التقديرات الاقتصادية (٥) إلى انكماش الناتج المحلي الإجمالي اليمني بصورة كبيرة خلال السنوات ٢٠١٥-٢٠١٨ جرّاء الحرب والصراع حيث قُدّرت الخسارة في الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي بحوالي ٤٧,١٪، بمعنى أن الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي خلال سنوات الحرب الأربع قد خسر ما يقارب ٥٠ مليار دولار، مع العلم بأن متوسط خسائر الحرب في دول أخرى في منطقة الشرق الأوسط يتراوح ما بين ٦-١٥٪ فقط من الناتج المحلي وعلى المستوى العالمي ما بين ٤-٩٪. وترجع الزيادة في خسائر الناتج المحلي الإجمالي في اليمن مقارنة بالدول الأخرى إلى ترافق الحرب مع حالة من الحصار البري والبحري والجوي المفروض على اليمن من قبل قوات التحالف العربي من ناحية، ومن ناحية ثانية استخدام أطراف النزاع في الداخل موارد الطاقة اللازمة للعملية الإنتاجية كأدوات في نزاعها وبالذات الكهرباء والمشتقات النفطية، فضلاً عن انقسام مؤسسات الدولة الاقتصادية بين طرفي النزاع.

في جانب الموازنة العامة للدولة، تشير تقارير وزارة المالية إلى تراجع الإيرادات العامة للدولة بحوالي ٥٠٪ خلال العام ٢٠١٥ و ٦٠٪ خلال عام ٢٠١٦ حيث تراجعت الإيرادات العامة من حوالي ٢,٢ تريليون ريال يمني في عام ٢٠١٤ إلى حوالي ١,١ تريليون في عام ٢٠١٥ ثم إلى ٩٠٠ مليار ريال فقط في عام ٢٠١٦ (وصل سعر الصرف للريال اليمني في بداية أغسطس/آب ٢٠١٨ إلى حوالي ٥٥٠ ريالاً/دولار). ويعود ذلك بصفة أساسية إلى توقف إنتاج وتصدير النفط والذي تُمثل عوائده قرابة الـ ٥٠٪ من إجمالي الإيرادات، فضلاً عن تعليق المساعدات الخارجية للموازنة العامة. ونتيجة لتراجع الإيرادات فقد انكمشت النفقات العامة هي الأخرى وبنسبة تصل إلى ٣٦٪ عام ٢٠١٦ مقارنة بعام ٢٠١٤، مع العلم بأن انقسام البنك المركزي اليمني بين صنعاء وعدن قد عمل على تعطيل الموازنة العامة للدولة خلال العامين ٢٠١٧ و ٢٠١٨ لتواجه بذلك الموازنة العامة أزمة سيولة أسهمت في توقف دفع رواتب نسبة كبيرة من الموظفين والمتقاعدين وبالذات في المحافظات الخاضعة لسيطرة الحوثيين ولقرابة العامين.

ومع توقف تدفق إيرادات الصادرات النفطية والغازية إلى خزانة الدولة جرّاء توقف الإنتاج والتصدير، عمل البنك المركزي على سحب الاحتياطات الخارجية لتغطية واردات السلع الأساسية حيث تراجع الاحتياطي النقدي الخارجي من ٤,٢ مليارات دولار نهاية العام ٢٠١٤ إلى ٤٨٥ مليون دولار فقط نهاية العام ٢٠١٦ الأمر الذي أسهم في

تدهور قيمة العملة المحلية بصورة كبيرة ليصل سعر الصرف للريال اليمني في بداية أغسطس/آب ٢٠١٨ - كما سبق القول - إلى حوالي ٥٥٠ ريالاً/دولار مقارنة بحوالي ٢١٥ ريالاً/دولار في مارس/آذار ٢٠١٥، فضلاً عن ارتفاع معدل التضخم وبصورة كبيرة.

٤.١. خسائر القطاع الخاص

نظراً للدور الاقتصادي الكبير الذي يلعبه القطاع الخاص في اليمن باعتباره القطاع المهيمن على مجمل الأنشطة الاقتصادية باستثناء قطاع النفط والغاز، فقد كانت وطأة الحرب والخسائر الناتجة عنها كبيرة على القطاع الخاص، وبالذات في قطاعات تجارة الجملة والمطاعم والفنادق والنقل والتخزين والاتصالات والبناء والتشييد والتمويل والتأمين والعقارات، ومن خلال مقاربات حسابية مستندة إلى مساهمة القطاع الخاص في تركيب الناتج المحلي الإجمالي خلال السنوات السابقة للحرب والمقدرة بحوالي ٥٦٪ (٦) فإن الخسائر التي لحقت بالقطاع الخاص جرّاء توقف النشاط الاقتصادي له بصورة كلية أو جزئية في منشآته تتراوح ما بين ٢٥-٢٧ مليار دولار، وإذا ما تم إضافة الخسائر الناتجة عن تدمير المنازل الخاصة والمنشآت الصناعية والتجارية والزراعية ووسائل النقل الخاصة فإن إجمالي خسائر القطاع الخاص ستتضاعف بالتأكيد.

من ناحية ثانية، أشار مسح تأثير الأزمة اليمنية على القطاع الخاص (٧) الذي أعدته وكالة تنمية المنشآت الصغيرة والأصغر بالتعاون مع البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة إلى أن الشركات الصغيرة والمتوسطة كانت الأكثر تضرراً من النزاع وبنسبة تصل إلى ٣٤٪ من إجمالي الشركات مقارنة بحوالي ١٧٪ من الشركات الكبيرة. كما أن الشركات العاملة في مجال الخدمات كانت الأكثر تضرراً حيث توقف حوالي ٣٥٪ منها عن العمل مقارنة ببقية الشركات العاملة في القطاعات الأخرى.

ومن حيث المناطق الأكثر ضرراً على منشآت القطاع الخاص، يبين التقرير أن حوالي ٩٥٪ من منشآت القطاع الخاص في كل من عدن وتعز قد تضررت بصورة جزئية أو كلية. وفي المقابل، كانت الأضرار التي لحقت بالشركات في صعدة أكثر كثافة وبنسبة ٤٣٪ من إجمالي التكلفة التقديرية لمتوسط الأضرار. من ناحية ثانية، تشير نتائج المسح إلى أن الغالبية العظمى من الشركات (٧٣٪) ليس لديها إمكانية الحصول على التمويل منذ اندلاع الحرب و فقط ١٤٪ من الشركات حصلت قرض.

٢. التكلفة الاقتصادية والبشرية على دول التحالف ٢٠١٥-٢٠١٨

مع دخول الحرب في اليمن عامها الرابع دون أفق واضح لتحقيق السلام سواء عبر المسارات السياسية أو الحسم العسكري، تستمر الخسائر البشرية والاقتصادية المباشرة وغير المباشرة لدول التحالف العربي وبالذات المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة باعتبارهما الدولتين المتورطتين بصورة مباشرة بالحرب في هذا البلد بما لذلك من انعكاسات سلبية كبيرة على الصورة العامة لهما على المستوى السياسي أو الاقتصادي.

وعلى الرغم من تكتم دول التحالف على خسائرها الاقتصادية والبشرية في حربها على اليمن خلال السنوات الماضية، إلا أن هناك العديد من التقديرات التي تنشرها مراكز الأبحاث المتخصصة، فوفقاً لصحيفة واشنطن بوست، فإن الخسائر البشرية للمملكة العربية السعودية في المناطق الجنوبية تقدر بنحو ٢٥٠٠ جندي، و ٦٠ ضابط صف ومن الرتب العليا. ومن حيث مستوى الإنفاق المالي على الحرب قدرت مجلة التايمز البريطانية تكلفة الحرب بنحو ٢٠٠ مليون دولار يومياً، أي ٧٢ مليار دولار سنوياً و ٢٥٢ مليار دولار خلال سنوات الحرب، فيما تقدر مصادر أخرى التكلفة بمبلغ أكبر بكثير، فوفقاً لتقديرات فورين بوليسي فقد بلغت تكلفة الحرب التي تكبدتها السعودية في الأشهر الستة الأولى فقط والمتعلقة بالصفقات العسكرية حوالي ٧٢٥ مليار دولار (٨).

١.٢. تداعيات الحرب على الاقتصاد السعودي

وبدون الخوض في التفاصيل الدقيقة للخسائر الاقتصادية التي تحملتها السعودية في حربها على اليمن خلال السنوات الماضية، يمكن التطرق إلى مجموعة من المؤشرات الاقتصادية المنشورة ضمن التقارير الاقتصادية السعودية (٩) والتي قد تعطي صورة أولية لحجم الخسائر المالية والاقتصادية السعودية في حربها على اليمن خلال الفترة، وذلك على النحو الآتي:

- تزايد نفقات الدفاع (الإنفاق العسكري) بصورة سنوية حيث تزايدت من ١٦٠ مليار ريال (٤٢,٧ مليار دولار) في العام ٢٠١٥ إلى ١٩٠ مليار ريال (٥٠,٧ مليار دولار) في عام ٢٠١٧ وإلى حوالي ٢١٠ مليار ريال (٥٦ مليار دولار) في موازنة العام ٢٠١٨، وبمعدل نمو سنوي متوسط يصل إلى ٩,٥٪، مع العلم بأن جزءاً كبيراً من النفقات العسكرية ونفقات الحرب الأخرى يتم إدراجها ضمن بنود أخرى في الموازنة العامة وبعضها لا تتضمنه الموازنة.

- تزايد عجز الموازنة العامة خلال السنوات الثلاث الماضية على الرغم من زيادة الإيرادات العامة بصورة كبيرة جرّاء ارتفاع أسعار النفط في السوق العالمية وزيادة العوائد المالية لتصدير النفط السعودي، فضلاً عن زيادة الإيرادات الناتجة عن فرض ضرائب ورسوم جديدة على المواطنين والمقيمين في المملكة وخفض الدعم الموجه للمشتقات النفطية والخدمات الأساسية حيث ارتفع عجز الموازنة العامة من ٣,٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي عام ٢٠١٤ إلى ١٥,٨٪ عام ٢٠١٥ قبل أن يتراجع العجز بصورة محدودة في العامين ٢٠١٦، ٢٠١٧ ليصل إلى ١٢,٩٪ و ٩,٣٪ من الناتج المحلي الإجمالي.

- لمواجهة الإنفاق العسكري الكبير ولتغطية عجز الموازنة العامة، لجأت السعودية إلى السحب من أصولها الخارجية، بحيث تراجعت قيمة الأصول الخارجية من ٧٣٢,٣ مليار دولار في عام ٢٠١٤ إلى ٦١٦,٣ مليار دولار عام ٢٠١٥ ثم إلى ٥٣٥,٧ مليار دولار، و ٤٩٦,٥ مليار دولار في العامين ٢٠١٦ و ٢٠١٧ على التوالي وبمعدل تراجع سنوي بمتوسط حوالي ١٢,١٪.

- لجوء المملكة إلى الدَّيْن العام لتغطية نفقاتها العسكرية وتمويل عجز الموازنة العامة بشقّيّة المحلي والخارجي، حيث ارتفع الدين العام من ٤٤,٣ مليار ريال وبما نسبته ١,٦٪ من الناتج المحلي الإجمالي عام ٢٠١٤ إلى ١٤٢,٢ مليار ريال وبنسبة ٥,٨٪ من الناتج المحلي عام ٢٠١٥، ليواصل الارتفاع في العامين ٢٠١٦ و ٢٠١٧ بصورة كبيرة، حيث بلغ عام ٢٠١٦ حوالي ٣١٦,٦ مليار ريال وبنسبة ١٣,١٪ من الناتج المحلي وحوالي ٤٤٣,٣ مليار ريال وبنسبة ١٧,٢٪ عام ٢٠١٧، وبذلك فإن الدين العام للمملكة قد حقق نمواً متوسطاً خلال فترة الحرب بلغ ١٢٨٪.

٢.٢. تداعيات الحرب على الاقتصاد الإماراتي

وبالنسبة لدولة الإمارات العربية المتحدة، فنظراً لصغر حجم مشاركتها في الحرب على اليمن مقارنة بالمشاركة السعودية سواءً من حيث عدد الطائرات المقاتلة أو من حيث القوات البرية واعتمادها بصورة شبه كلية على القوات اليمنية الموالية لها تحت اسم الأحزمة الأمنية أو النخب المناطقية التي أنشأتها في المحافظات الجنوبية من اليمن والمقدرة بحوالي ٣٥ ألف مجند فقد حدّ هذا الأمر من خسائرها البشرية والمالية في هذه الحرب مقارنة بالخسائر السعودية حيث تشير بعض المصادر (١٠) إلى أن الخسائر البشرية للإمارات في حرب اليمن منذ عام ٢٠١٥ بلغت حوالي ١١١ فرداً، وفي الجانب الاقتصادي تشير بعض التقديرات إلى أن الإمارات تنفق قرابة ١,٣ مليار دولار على تدخلها في اليمن شهرياً وبما يساوي ١٦ مليار دولار سنوياً وحوالي ٥٥ مليار دولار خلال سنوات الحرب.

من ناحية أخرى، ترى بعض المصادر (١١) والدراسات أن خسائر الإمارات أكبر بكثير مما ورد أعلاه مستندة في ذلك إلى عدد من المؤشرات في جانب السياسات الاقتصادية التي تم اتخاذها في السنوات الماضية، وعلى رأسها: قيام

السلطات الاتحادية برفع معدل الضرائب والرسوم على الخدمات في الإمارات على المواطنين والمقيمين وإزالة الدعم عن بعض السلع والخدمات التي تقدمها الحكومة وأهمها المشتقات النفطية، إلى جانب لجوء الإمارات إلى الصندوق السيادي للدولة لتغطية نفقاتها في اليمن وسدّ عجز الموازنة بحيث تراجعت أصول الصندوق قرابة ٣٠ مليار دولار نهاية عام ٢٠١٥، كما أنها خفضت حيازتها من سندات الخزنة الأمريكية من ٢٠٠ مليار دولار إلى ٦٦ مليار دولار فقط منتصف عام ٢٠١٧.

وإلى جانب الخسائر البشرية والاقتصادية التي تتكبدها الإمارات في اليمن، فإنها تتحمل خسائر أخرى تتمثل في اهتزاز صورتها لدى غالبية اليمنيين وبالأخص في المناطق المحررة من الحوثيين^{*} حيث أدت التصرفات الفردية الإماراتية الرامية إلى إضعاف الحكومة الشرعية اليمنية المعترف بها دولياً من خلال بناء تشكيلات عسكرية مسلحة غير خاضعة لمؤسسات الشرعية وتعمل على عرقلتها في عدن والمحافظات الجنوبية وتعز من خلال نشر الفوضى الأمنية، إلى جانب شروعها في بناء قواعد عسكرية في بعض الجزر اليمنية بدون أي تنسيق مع الحكومة اليمنية أو حتى علمها، كل ذلك قد حوّل نظرة اليمنيين تجاه الإمارات من دولة مشاركة في حرب إعادة الشرعية اليمنية إلى دولة احتلال لها مطامع اقتصادية وسياسية في اليمن بغض النظر عن موقف الحكومة اليمنية وسكوتها تجاه التصرفات الإماراتية في غالب الأحيان.

خاتمة

من خلال ما سبق، يمكن القول: إن الحرب الأهلية في اليمن وما صاحبها من تدخل إقليمي من قبل كل من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة تحت اسم التحالف العربي لدعم الشرعية في اليمن، قد أدت إلى أضرار وخسائر بشرية وإنسانية واقتصادية كبيرة وفادحة تحمل اليمن الجزء الأكبر منها. فإلى جانب الخسائر البشرية الجسيمة والمشكلة الإنسانية التي خلفتها الحرب لتصل -وفق تصريح لمساعد الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية- إلى أنها أكبر أزمة إنسانية يشهدها العالم من صنع البشر، فقد لحقت بالاقتصاد اليمني خسائر اقتصادية جسيمة تفوق في تقديراتها الأولية وحتى اليوم الـ ١٠٠ مليار دولار ولا يمكن لليمن واليمنيين تعويضها بسهولة في المرحلة القادمة إذا ما تحقق السلام في هذا البلد.

وإلى جانب الخسائر التي لحقت باليمن، فقد نالت كل من السعودية والإمارات نصيبها من الخسائر البشرية، وإن كانت محدودة مقارنة بخسائر اليمنيين، إلا أنها تكبدت خسائر اقتصادية كبيرة ربما تفوق قيمتها حجم الضرر والخسائر التي لحقت باليمن، مع العلم بأن الجزء الأكبر من هذه الخسائر كان من نصيب السعودية.

وإلى جانب الخسائر الاقتصادية التي لحقت بدول التحالف هناك خسائر سياسية وأخلاقية وحقوقية لهذه الدول خلال حربها في اليمن، وبالإمكان أن تزيد خسائرها على مستوى ثقة المستثمرين وخلق الوظائف، فضلاً عن الخسائر المحتملة لفقدان ثقة مواطنيها جرّاء السياسات الخاطئة التي ترتكبتها في حق شعوبها وفي حق المنطقة وسعيها لتحميل المواطن جزءاً كبيراً من تكاليف مغامراتها في الخارج من خلال زيادة الضرائب ورفع الدعم المقدم للسلع والخدمات الأساسية.

^{*}منصور علي البشيرى - باحث اقتصادي يمني.

كراهية الغرب للإسلام السياسي غدت الاستبداد العربي

الخليج الجديد: ٢٩/٨/٢٠١٨

انتقد الكاتب السعودي المقيم في المنفى "جمال خاشقجي" في مقاله بصحيفة "واشنطن بوست" نفور الأنظمة الغربية من جماعة "الإخوان المسلمون"، واعتبره أصل مأزق العالم العربي بأسره، لأنه دفع الغرب لدعم أنظمة سلطوية وديكتاتوريات عسكرية "خوفا من سيطرة الجماعة على السلطة. واعتبر الكاتب السعودي أن الخطأ الاستراتيجي لإدارة "أوباما" كان استجابتها لضغوط السعودية والإمارات وإهدارها فرصة الوقوف إلى جانب الديمقراطية في مصر.

مؤكد أن كراهية الغرب للإسلام السياسي غدت الاستبداد العربي، داعيا واشنطن للتخلي عن تلك الكراهية التي دمرت آمال العرب في الديمقراطية والحكم الرشيد.

وفي السطور التالية ينشر "الخليج الجديد" ترجمة لمقال الصحفي السعودي:

خلال فترة رئاسة "أوباما"، كانت الإدارة الأمريكية حذرة من جماعة "الإخوان المسلمون"، التي جاءت إلى السلطة في مصر، بعد أول انتخابات حرة في البلاد.

وعلى الرغم من دعمه المعلن للديمقراطية والتغيير في العالم العربي في أعقاب الربيع العربي، لكن الرئيس "باراك أوباما" لم يتخذ موقفا قويا في رفض الانقلاب ضد الرئيس المنتخب "محمد مرسي".

وأدى الانقلاب، كما نعرف، إلى عودة الجيش إلى السلطة في أكبر بلد عربي، إلى جانب الطغيان والقمع وانتشار الفساد وسوء الإدارة.

وهذا هو الاستنتاج الذي توصل إليه "ديفيد دي كيركباتريك"، في كتابه الرائع "في قبضة الجنود"، الذي صدر هذا الشهر.

ويقدم "كيركباتريك"، وهو مدير سابق لمكتب صحيفة "نيويورك تايمز" في القاهرة، قصة مؤسفة عن انقلاب مصر في عام ٢٠١٣، والذي أدى إلى فقدان فرصة كبيرة لإصلاح العالم العربي كله، ومنع تغيير تاريخي كان ليحرر المنطقة من ألف عام من الطغيان.

ويعد نفور الولايات المتحدة من جماعة "الإخوان المسلمون"، وهو أمر أكثر وضوحا في إدارة "ترامب" الحالية، أصل مأزق العالم العربي بأسره.

ويساوي استئصال "الإخوان المسلمون" إلغاء الديمقراطية وضمان استمرار العرب في العيش في ظل الأنظمة السلطوية والفاصلة.

وهذا بدوره يعني استمرار الأسباب وراء الثورة والتطرف واللاجئين، وكلها أمور أثرت على أمن أوروبا وبقية العالم، وقد غير الإرهاب وأزمة اللاجئين المزاج السياسي في الغرب، ودفعه إلى أقصى اليمين.

ولا يمكن أن يكون هناك أي إصلاح سياسي أو ديمقراطي في أي بلد عربي دون القبول بأن الإسلام السياسي هو جزء منه.

وسيعطي عدد كبير من المواطنين في أي بلد عربي صوتهם للأحزاب السياسية الإسلامية إذا تم السماح ببعض أشكال الديمقراطية.

ويبدو واضحا حينئذ أن الطريقة الوحيدة لمنع الإسلام السياسي من لعب دور في السياسة العربية هي إلغاء الديمقراطية، وحرمان المواطنين من حقهم الأساسي في اختيار ممثليهم السياسيين.

ويشرح "شفيق ناظم الغبرا"، أستاذ العلوم السياسية في جامعة الكويت، المشكلة بهذه الطريقة: "إن حرب الأنظمة العربية على جماعة الإخوان لا تستهدف الحركة وحدها، وإنما تستهدف أولئك الذين يمارسون السياسة، والذين يطالبون بالحرية والمساءلة".

وإن نظرة سريعة إلى التدهور السياسي الذي حدث في مصر منذ عودة الجيش إلى السلطة يؤكد ما يقوله "الغبرا". وقد قام نظام الرئيس "عبدالفتاح السيسي" بقمع الإسلاميين واعتقال نحو ٦٠ ألفا منهم، والآن امتدت يده الثقيلة لتطال كل من الشخصيات العلمانية والعسكرية، حتى أولئك الذين دعموه في مصر في يوم ما.

واليوم، باتت الحياة السياسية في مصر ميتة تماما.

ومن الخطأ التطرق إلى الإسلام السياسي، والمجتمع المحافظ، وقضايا الهوية، عندما يكون الخيار بين وجود مجتمع حر متسامح مع جميع وجهات النظر، وبين وجود نظام قمعي" وتوضح ٥ أعوام من حكم "السيسي" في مصر هذه النقطة.

وتوجد جهود هنا في واشنطن، تشجعها بعض الدول العربية التي لا تدعم الحرية والديمقراطية، لإقناع "الكونغرس" بتصنيف جماعة "الإخوان المسلمون" منظمة إرهابية.

وإذا نجحوا في ذلك، فإن هذا التصنيف سيضعف الخطوات الهشة نحو الديمقراطية والإصلاح السياسي، التي تم تقليصها بالفعل في العالم العربي.

كما ستدفع الدول العربية التي حققت تقدما في خلق بيئة متسامحة تتيح المشاركة السياسية لمختلف مكونات المجتمع، بمن في ذلك الإسلاميون، إلى التقهقر.

ويشارك الإسلاميون اليوم في برلمانات العديد من الدول العربية، مثل الكويت والأردن والبحرين وتونس والمغرب، وقد أدى ذلك إلى ظهور حركات ديمقراطية إسلامية، مثل حركة "النهضة" في تونس، ودفع إلى نضج التحول الديمقراطي في البلدان الأخرى.

وأدى الانقلاب في مصر إلى خسارة فرصة ثمينة لمصر وللعالم العربي بأكمله، وإذا سمح للعملية الديمقراطية بالاستمرار هناك، لكانت الممارسات السياسية لـ "الإخوان المسلمون" قد نضجت الآن، وأصبحت أكثر شمولاً، وكان من الممكن أن نرى تدويرا سلميا حقيقيا للسلطة.

وتقول إدارة "ترامب" دائما إنها تريد تصحيح أخطاء "أوباما"، ويجب أن يضاف إلى ذلك سوء إدارته للديمقراطية العربية.

لقد أخطأ "أوباما" عندما أهدر الفرصة الثمينة التي كان يمكن أن تغير تاريخ العالم العربي، عندما خضع للضغط من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، وكذلك من أعضاء حكومته.

لقد غاب الجميع عن الصورة الكبيرة، وكان يحكمهم كراهيتهم المتعصبة لأي شكل من أشكال الإسلام السياسي، وهي الكراهية التي دمرت اختيار العرب للديمقراطية والحكم الرشيد.

الربع الثالث سبتمبر 2018

الهوية والعنف

*إبراهيم غرايبة

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/٩/١

يقدم أمارتيا سن الحائز على جائزة نوبل وأستاذ الفلسفة والاقتصاد بجامعة هارفارد في كتابه "الهوية والعنف" مقارنة عميقة لفهم ومواجهة العنف والتطرف وعلاقتهاما بالهوية وتشكلاتها، ويقول إنه يمكن أن يتحول وعي معمق منذ النشأة بهوية مشتركة مع جماعة من الناس إلى سلاح قوي يوجه بوحشية ضد جماعة أخرى. والواقع أن كثيرا من النزاعات تتغذى على وهم هوية متفردة لا اختيار فيها. ويمكن أن يهزم الشعور المفرط بالهوية مشاعر التعاطف الفطري، ويدفع إلى العنف والإرهاب. ويمكن أن يكون الشعور بالهوية مصدرا ليس فقط للفخر والبهجة، بل أيضا للقوة والثقة، وليس من المدهش أن فكرة الهوية تلقى مثل هذا الإعجاب المنتشر. وبالطبع فإنه لا يمكن ولا يصلح مواجهة العنف والتطرف بكبح الهويات، لأن الهوية يمكن أن تكون مصدرا للدفع والثراء، كما يمكن أن تكون مصدرا للعنف.

هل الهوية مسألة اختيار أم إدراك للذات؟ يتساءل سن، ويقول: في مقدورنا بناء هوياتنا حول تحسين الحياة والعمل المشترك بدلا من التقسيم والتعصب، فإذا كنا جميعا نتألم ونجوع ونتعب ونحب ونكره ونخاف ونقلق ونشعر بالحر والبرد فلماذا نكون مختلفين في طبقاتنا أو أدياننا؟

ويشير إلى عمليات مواجهة التطرف المستمدة من محاولات التقريب والتسامح بناء على قراءة معتدلة للإسلام وتوظيف رجال الدين المسلمين، ويقول إنها مشكلة أكثر خطورة من التحريض على الإسلام، ففي دعوة المسلمين إلى التسامح لأن الإسلام دين سلام، وأن المسلم الحق متسامح بالضرورة نقم الإسلام في الصراع بدلا من تجنبه هذا الصراع، من المؤكد أن رفض فكرة صدامية عن الإسلام والمسلمين فكرة مهمة، لكننا أيضا يجب أن نسأل ما إذا كان ضروريا أو حتى من الممكن استخدام مصطلحات سياسية في تعريف ما يجب أن يكون عليه المسلم الحق، فلا ضرورة لأن تكون ديانة المرء هي كل هويته على وجه الحصر، والإسلام لا يلغي الاختيار المسؤول في كثير من مجالات الحياة، ويمكن أن يتخذ مسلم خيارا صداميا ومسلم آخر يتخذ خيارا متسامحا ويظلان مسلمين.

التركيز على التصنيف الديني الضخم وحده لا يعني فقط أن يفوت علينا الاهتمامات والأفكار الأخرى التي تحرك الناس، بل إن ذلك يؤدي إلى التضخم بشكل عام من صوت السلطة الدينية، وعلى سبيل المثال يعامل رجال الدين المسلمون في هذه الحالة باعتبارهم بحكم منصبهم المتحدث الرسمي لما يسمى بالعالم الإسلامي على رغم أن عددا كبيرا جدا ممن يدينون بالإسلام لديهم خلافات عميقة مع ما يقدمه رجال الدين. لكن يمكن أن يكون الإنسان متسامحا ومعتدلا ويؤمن في الوقت نفسه إيمانا قويا وعميقا بمعتقدات دينية.

إن الإنسان كل إنسان متعدد الهويات، وهذه الهويات ليست ثابتة، كما أن أهميتها لا تكتسب الأهمية نفسها دائما، إذ تزيد هذه الأهمية حسب الأحداث والمناسبات والظروف، فيمكن أن يكون أحدهم مسلما ونباتيا ومشتغلا بحماية البيئة والحفاظ على نوع من الطيور المهددة بالانقراض، ومشاركيا في هوايات وألعاب رياضية وثقافية ومشجعا لأحد الأندية العالمية أو الوطنية، ويكون أيضا ينتمي إلى فلسفة ليبرالية أو يسارية في الاقتصاد والسياسة والتنمية، وقد يكون متدينا أو غير متدين، وفي تدينه يسلك في خيارات واتجاهات عدة من المذاهب والسلوك والفكر والاعتقاد، وفي الصراعات الدولية والإقليمية يتخذ رؤية ومواقف تبدو متفقة مع خصومه السياسيين أو الدينيين، وفي اهتماماته التخصصية والثقافية يسلك في اتجاهات علمية وثقافية تتفق أو تختلف مع آخرين، وكذا في أسلوب حياته وطعامه ولباسه،.. كيف يمكن تصنيف أو محاسبة مثل هذا الشخص؟ وهذا ليس مثالا نادرا، إذ أن معظم الناس إن لم يكن جميعهم ينطبق عليهم هذا الوصف.

تحرير العقل العربي من قيود الشرق والغرب

*حسن العاصي

هل فشل التنوير العربي أم تعثر؟

موقع قنطرة الألماني: ٢٠١٨/٩/١

وأنت تطالع كتب التاريخ تنبهر بصفحات مشرقة من تاريخ العرب والمسلمين، تجد مراحل عاشها أجدادنا وكانت منارات في مختلف العلوم التطبيقية والإنسانية والرياضيات والموسيقى والفلك والترجمة. إنتاج معرفي علمي استعان به الغرب ونقل عنه المعارف وقطف ثمار العصر الذهبي للعرب والمسلمين، مما مكنه من شق طريقه نحو التطور والحداثة، بينما نحن أهدرنا هذه الإنجازات في غمرة الصراعات السياسية والاحتقان المذهبي والتعصب الديني والاقتتال الطائفي.

ماذا حصل؟

الأمة العربية والإسلامية دخلت العصر الظلامي حين دمر المغول بيت الحكمة في بغداد عام ١٢٥٨ ورموا أمهات المخطوطات العربية ونفائس كتب الطب والفلك والرياضيات في نهر دجلة. وقتل جيش هولاكو أكثر من ٢٠٠ ألف مسلم حسب بعض التقديرات. وأفضى سقوط بغداد إلى سقوط الخلافة العباسية، بعد تدمير كافة المنشآت العمرانية الحضارية لمدينة بغداد، وقتل الخليفة المعتصم. ومازال العرب يعيشون في العصور الوسطى رغم كافة مظاهر الحياة العصرية التي تحيط بنا. كان العرب في عصر النور فدخلوا في عصر العتمة، فيما الغرب خرج من هذه العصور الظلامية ليدخل عصر التنوير والتقدم. فقد شهدت أوروبا تحولات فكرية كبيرة في القرنين الخامس والسادس عشر نتيجة الإصلاح الديني الذي تم في النصف الأول من القرن السادس عشر، ثم بسبب الحركة النهضة التي تمثلت في ترجمة الآداب اليونانية والرومانية، ثم الاكتشافات العلمية الكبرى التي حصلت في ذلك العصر. ثم راح فلاسفة عصر النهضة يهتمون بفلسفة أفلاطون أكثر من أرسطو من أجل تحجيم هذا الأخير الذي كانت أفكاره وفلسفته تتبناها الكنيسة المسيحية. ودخلت أوروبا العصر الحديث التنويري الذي دشّنه عصر النهضة نحو عام ١٥٠٠ ومستمر حتى يومنا هذا. فما هو هذا التنوير السحري الذي غيّر المسار التاريخي لأوروبا، ونقلها من حال إلى حال.

عرف العصر الذي ظهرت فيه الأفكار الفلسفية التنويرية في فرنسا بأنه عصر الإيضاح، وفي ألمانيا سمي عصر التنوير، الذي هو في الأصل مصطلح إنكليزي Enlightenment كان مرتبطاً بالانتلجنسيا. وللتنوير كمصطلح فلسفي كثير من التعريفات جميعها تصب في سياق مفاده أن العلوم والثقافة والتنوير قادرة على تعديل الحياة الاجتماعية، حيث تتولى العلوم المختلفة تطوير الجوانب العملية في المجتمعات، بينما الثقافة تطور المعارف والعقل والقدرة على التفكير المستقل.

الفكر التنويري يدعو العقل للتمرد على حاله ليخرج من وضعية القصور التي تسبب له عجزاً عن الاستعمال الأمثل للعقل إلا بوصاية من آخر، وبهذا فإن الإشكالية لا توجد في العقل إنما في صاحب العقل نفسه الذي يتسم غالباً بالجن أو الكسل أو الاتكالية، والذي يقبل بمبدأ الوصاية على عقله.

التاريخ البشري يعلمنا أن الممالك -وربما الأمم أيضاً- تولد وتموت، مثل البشر أنفسهم، يولدون ضعفاء بلا حول ولا قوة، تشتد سواعدهم في مرحلة الشباب، ثم يُحسب لهم في مرحلة الرجولة، إلى أن ينتهي بهم العمر بالوهن والضعف والخرف في مرحلة الشيخوخة، التي نهايتها الموت الطبيعي الذي ينسجم مع صيرورة الحياة. وهناك أمم عظيمة لا تفنى.

أوروبا التي نتغزل بمكانتها وديمقراطيتها وتنويرها الآن لم تخرج عن هذه القاعدة، وهي ذاتها التي كانت مستنيرة في العهد الإغريقي والروماني، ثم دخلت مرحلة الانتكاسة الفكرية في القرن الخامس، ثم عانت من العصر الظلامي بعد انهيار الحضارة الرومانية وانتشار الأفكار اللاهوتية، ولم تبدأ فيها مرحلة التنوير الحديث إلا في نهاية القرن السابع عشر في إنكلترا ثم في فرنسا وألمانيا وبقية الدول الأوروبية.

التنوير في المصطلح والمفهوم والدلالات

حين سئل الفيلسوف الألماني " إيمانويل كانت " عن التنوير قال بما معناه أن يتخلص الإنسان ومجتمعه من القصور العقلي، أي عدم المقدرة على اتخاذ قرارات دون موافقة الأوصياء على المجتمع، الذين يستفيدون من استمرار انتشار الخرافات والأفكار السطحية وأثرها على عامة الناس.

"كانت" نفسه كان قد أصدر عمله الشهير "نقد العقل الخالص" (نقد السبب النقي) Critique of Pure Reason في عام ١٧٨١ وهو من أهم المؤلفات في نقد الفكر الغربي، شرح خلاله "كانت" كيف يتفاعل السبب والتجارب مع الفكر والفهم.

كان "ديموكرييتوس" الإغريقي " الجد الكبير لليونانيين " هو أول من قال بأهمية تحكيم العقل ونبذ الخرافات، إذ أنه شجع الناس على معرفة محاسن التشكيك بالأفكار القديمة لتحريرها من المفاهيم الوثنية لأنهم يخشون الآلهة. التنوير كمصطلح فلسفي ظهر عبر أفراد ومجموعات كحركة اجتماعية ثقافية فلسفية، تدعوا إلى استخدام العقل والمنطق في تفسير الأشياء، ونبذ الفكر الذي يعتمد على الخرافات، وكذلك رفض الوصاية على المجتمع الذي كانت تفرضه الكنيسة ورجال الدين. التنوير في اللغة هو النور والضوء، جعل الفكر متنوراً، تحرير العقل من الوهم أو الاعتقاد الخاطئ، وكذلك الإرشاد وتبيان الأمر على حقيقته.

دلالات مصطلح التنوير متعددة، أهمها تحرير العقل من أية قيود بهدف تطوير فاعليته، ومنها دلالات تشاركية مع المناهج والنظريات الفلسفية الأخرى، والتنوير هو أحد أهم الشروط لإجراء تغييرات في المجتمع لنقله من حالة التخلف والانغلاق إلى وضع يحقق فيه تقدماً حضارياً ينعكس بشكل إيجابي على واقع الناس. وهو مصطلح أكثر شمولية بدلالات معرفية ثقافية من مصطلح العقلانية الذي يمتلك دلالات معرفية.

هي العقلانية التي انتشرت في أوروبا في أواخر القرن السابع عشر وخلال القرن الثامن عشر وأخرجتها من عقلية القرون الوسطى التي تهيم عليها تعاليم الكنيسة، وأنظمة الحكم الملكي المطلق، وطبقة الإقطاعيين. والتنوير الذي حرر الإنسان الأوروبي عبر ثورات أدت إلى إقامة أنظمة حكم علمانية فيما يتعلق بموقفها من المجتمع، وهي أنظمة رأسمالية في تعاملها الاقتصادي، وهي ليبرالية في الموقف من الدولة ومؤسساتها، وبناء مجتمعات ديمقراطية. الفكر التنويري أعطى الأوروبيين درساً مهماً وهو أن الواقع -أي واقع كان- قابل للتغيير إن توفرت الإرادة والكادر والظروف والرؤية، وأن الطبيعة -مهما كانت قاسية- يقهرها العلم والمعرفة.

ألم يعرف العرب التنوير؟

التنوير الذي كان له الفضل في إخراج أوروبا من ظلاميتها إلى عصر النور، حيث غلب العقل والمنطق الأفكار الخرافية، هذا التنوير لم يكن جديداً كلياً بظني، حيث أنه وجد كومضات قدرية تاريخياً، حيث يشهد التاريخ الإسلامي أن إخوان الصفا والمعتزلة طالبوا بتحكيم العقل وتقديمه على النقل في العصر العباسي. لكن التنوير في أوروبا الذي حصل في القرنين السابع والثامن عشر كان منظماً في حركة قوامها العلماء والفلاسفة والمثقفين، وترافق -وهذا الأهم- مع نهضة صناعية مادية ضخمة قطعت الحوار الذي كان جارياً لمصلحة التفكير العلمي ورفض الفكر اللاهوتي والخرافي والجدلي.

ولنا في تاريخنا نماذج، منذ تجربة المعتزلة الذين تناظروا مع الملحدين ومع أتباع بقية الديانات في احترام وفندوا أفكارهم بالحجة والدليل. مروراً بتجربة الأندلس وبروز مفكرين لمعوا في ميادين العلم والمعرفة "ابن رشد، ابن فرناس، ابن حزم، ابن عربي" الذين قدموا رسالة معرفية تجاوزت الدين والجنس والعرق واللون، حيث كانت رسالتهم للإنسانية جمعاء، وصولاً إلى رواد النهضة العربية الحديثة مثل "رفاعة الطهطاوي، وخير الدين التونسي، وبطرس البستاني، وعبد الرحمن الكواكبي، ومحمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، وغيرهم"، إلا أن الظروف الاجتماعية والسياسية التي سادت في المنطقة العربية بدءاً منتصف ثلاثينيات القرن العشرين أدت إلى كبوة المشروع النهضوي العربي، وانحسار الفكر التنويري.

التجربة التنويرية العربية الحديثة

في التجربة العربية لم يتكون تيار تنويري بمعنى المفهوم، ومعظم التنويريين العرب متمسكين في ضرورة وصل القطع التاريخي الذي يظنون أنه حصل في الماضي، قسم من التنويريين يؤمن بأن الرب لديهم تاريخ فيستشهدون بفكر المعتزلة ليعتدوا بأن الغرب ليس أفضل منا، وأظن أن هذه الإشكالية جعلت من مستقبلنا يتمترس خلفنا لأن بعض التنويريين العرب رغب في منافسة الفكر الغربي لكن بدون رؤية استشرافية، وهيأت لظهور "التنوير الأصولي" الذي يستعين دوماً بكل ما هو قديم من أجل بناء الجديد، وكأن المثقف التنويري العربي يخشى الإبداع والمغامرة - زكي نجيب انتهى به المطاف إلى أن ينشغل بالتراث - وكأن بعض الأسماء الحداثية لم تكن تستطيع أن يكونوا خارج إطار الفكر المحافظ - طه حسين أنكر كثير من الأشياء في الطبعة الثانية كان قد قالها في الطبعة الأولى من كتاب الشعر الجاهلي -.

حاول عدد من التنويريين العرب اختبار نظرياتهم الإصلاحية في الواقع، لكن ضمن ما هو متاح لهم، باعتبار أن أية محاولة للإصلاح الثقافي في العقلية والتركيبية النمطية سوف يعرض جملة القيم الموروثة والمسلمات لدى المجتمع للهنز البنيوي، وسوف يحتاج هذا الإصلاح إلى التصدي لكل ما يسبب الجهل والتخلف بالنقد والعمل على تقويمه وتغييره، مما يساهم في نهوض الواقع العام في هذا المجتمع أو ذاك. العمل الإصلاحي يضرب البنية المحافظة وكل فكر جامد لا يستجيب للتطورات الطبيعية للسيروية التاريخية. يجري هذا في إطار عمل تجديدي ابتكاري وإبداعي.

معركة شقاء

وبظني أن أحد أهم الأسباب التي أدت إلى فشل مشروع النهضة والإصلاح العربي هو تحول مفاهيمه وشعاراته وكوادره من الفكر البراغماتي إلى الفكر الأيديولوجي بهدف التصدي للمشروع الاستعماري الامبريالي الغربي، وذلك عبر أيديولوجية إسلامية تارة، وماركسية تارة، وقومية تارة أخرى، ثم انقسم المفكرون الإصلاحيون إلى فئة تبنت بالكامل الفكر والحضارة الغربية، وفئة أخرى رفضت بالكامل هذا الفكر، فأورثونا فشلاً في التجربتين. ومنذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لغاية يومنا هذا والجميع يتساءل عن أسباب انطفاء جذوة الحضارة العربية والإسلامية، وعن سبب هذا الانقلاب على تاريخنا لدى بعض النخب الفكرية العربية، والتسهيل للتقليد وإشاعة الجمود الفكري والانحطاط الثقافي. والكل يبحث عن العوامل التي أدت إلى حالة من تكلس العقل العربي لدرجة تقديم استقالته من أي نشاط تفكيري. وكيف وصلنا إلى هذا الحال من الجهل والتخلف وحولنا الأمم تحقق إنجازات حضارية، وهناك من يتساءل عن عدم مقدرة القوى والأفكار التنويرية الحداثية حسم معركتها مع القوى المحافظة والأصولية.

نحن نعيد طرح هذه الأسئلة لأننا نؤمن بأن عقل الأمة لا بد أن يستعيد عافيته ورشده كي يتمكن من رسم مسارٍ جديد مختلف كلياً بالمعنى التاريخي، ويعيد النظر في المسلمات سعياً لولادة نهضة تنويرية عربية حديثة. ومن المفكرين العرب من يؤمن بأن المشروع التنويري العربي لم يفشل، بل تعثر وهو قادر على تجاوز عثراته، إلا أنني أظن أن الأسماء التي قادت الحراك التنويري في العالم العربي خلال القرن العشرين، وصل بها الحال إلى أن تنقسم على نفسها: تيار سلفي يؤمن بكل ما هو قديم منذ ظهور الفكر الإسلامي ويرفض كل ما هو حديثي وعصري، وتيار تنويري يرفض كل ما هو قديم ويؤمن بالأفكار والقيم الحديثة ويظن أن الحل هو في التمثل بالحضارة الغربية التي حققت رقياً وبنيت حضارة عجزنا عنها. وبين هذين التيارين من المفكرين ضاعت الأمة وعاشت - ما تزال - في شقاء.

هل فشل المشروع التنويري العربي؟

إن بعض التنويريين العرب انشغلوا في الفكر النظري وغرقوا في التفاصيل، دون أية محاولات تطبيقية عملية لهذه الأفكار في الواقع المعاش. لقد كان المشروع التنويري العربي مشروعاً نخبياً بالكامل، ولذلك ظل معزولاً ولم يتجذر في عمق المجتمع، وبتاتاً لم يتحول إلى مشروع شعبي لأنه افتقد الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية المناسبة، وظل ضمن دائرة ضيقة من المتنورين.

لذلك نعم فشل التنوير في الوطن العربي، ولم يُنَحْ للمثقفين العرب تحويل الفكر التنويري إلى فكر جماهيري، حتى أن الفكر الاشتراكي فشل اليسار التقدمي في نقله وجعله قابلاً للحياة في مجتمعاتنا، وأظن أن التحديث والتقدم المادي في العالم العربي كان مفصولاً عن التطور العقلي، فعلى سبيل المثال قام العرب بإرسال الطلاب لتعلم العلوم المادية والتطبيقية والصناعية في الغرب، لكنهم لم يرسلوا أحداً لتعلم الفلسفة، وهذا ما أدى إلى فشل مشروعهم المادي، لأنهم حاولوا -بمعرفة أو جهل- فصل العقل عن المادة.

يمتلك العرب من الثروات ظاهرها وباطنها، ومن الكوادر العلمية والثقافية والاقتصادية ما يجعلهم في مكانة أفضل من الواقع الحالي، وتوهمهم لمشاركة فاعلة ومهمة في بناء هذا العالم. لكن كما تعلمون فإن هذه الثروات في معظمها مهدورة ومبددة أو مقيدة، وهذا يفسر الفشل الذريع في نهضة المؤسسات الحكومية في معظم الدول العربية، هنا يظهر دور المثقفين وخاصة ذوي العقول التنويرية وثقافة قادرة على التغيير، فالإصلاح الثقافي هو حجر الأساس لأي إصلاح بنيوي شامل، وهو الذي يبني الدول ويضعها في طريق التطور الديمقراطي.

يمكن بناء العقل إما بالعودة إلى ما هو قديم لمحاولة إحياء ما يصلح من عناصر قديمة وإعادة صياغتها من جديد بشكل معاصر، بما يتلائم مع كافة المتغيرات التي أصابت العقل وبما يتناسب مع المناخات والظروف الحالية في الواقع الراهن، والتي تختلف جذرياً عما كان عليه الحال حين تم إنتاج هذا القديم. وإما بناء العقل من خلال العقل الحداثي الغربي، واستخلاص ما يتناسب منه مع الحال الراهن للعقل العربي، بحيث يمكن له الخروج من حالة الجمود والاستعصاء الزمن. أو من خلال الاعتماد على الإنتاج المعرفي الخالص لبناء العقل العربي، دون الاستعانة بفكر الآخرين، مع مراعاة الاحتفاظ بالعناصر والخصائص الموروثة الضرورية والتي لا بد من التمسك بها لبناء عقل عربي يأخذ بالحسبان حقائق التطور والحدثة.

حالة عربية لا عقلانية

غياب الديمقراطية العامة في الوطن العربي أتاح للعنف أن ينتشر، والعنف مظهر يؤكد غياب العقلانية في العلاقات، عدم قدرتنا على تقبل فكرة الاختلاف لأننا نظن بامتلاك الحقيقة كاملة، وبالتالي تغيب المقدرة على إمكانية الاختبار طالما الحقيقة يمتلكها طرف ويحاول فرضها على الآخرين بالعنف.

هذا يحصل في غياب شبه تام لدور المثقف العربي الحقيقي الذي يمتلك المقدرة على خدمة محيطه الاجتماعي بما يحقق تقدمه وتطوره في سياق رؤية إصلاحية، لكن حين يتحول المثقف إلى حالة هلامية تنضح نرجسية وأناية فقل على البلاد السلام.

مناهج التعليم العربية التي تعتمد على التلقين وليس على تحريض العقل ومدارك الطلاب، هذه المناهج تقتل الإبداع والابتكار عند الطلاب العرب الذين يولدون أذكىء حتى يلتحقون بالمدرسة التي تقوم بعمليات تعليمية ترسخ الواقع العربي المقيت، بنمطية لا يمكن معها احترام فكرة الفردية والخصوصية في التعلم التي تنمي الخيال وتشجع على مقاربة علمية للتنافس بين الطلاب القائم على فكرة أنني حتى أتفوق فلا بد من هزيمة الآخرين.

وظل الفكر التنويري العربي يحضر فقط في شعارات بعض المفكرين، وخطابات بعض المثقفين، وعلى شكل دراسات أكاديمية الغاية منها الحصول على درجة علمية، لكن هذا الفكر بقي مهملاً دون تطبيق ودون تجربة ومن غير توفير فرصة الاختبار.

فك اشتباك

بظني أن العرب على موعد مع الفكر التنويري الذي ما زال يتعثّر، والحديث عن التنوير العربي يقودنا للتطرق إلى المشروع النهضوي العربي الذي غاب عن المنادين به أهمية ربط هذا المشروع بالمعرفة والعلم والعقل والتقنيات الحديثة، وعدم الاكتفاء بالتركيز فقط على العلاقة الاستهلاكية مع الغرب.

إن قدرة العرب على ملامسة ملامح المشروع النهضوي الإصلاحي التنويري العربي تتوقف بشكل أساسي على حسم حالة الاشتباك القائمة بين السلفية والقيم التقليدية والنظم المحافظة، وبين قيم الحدثة والعصرنة والتطور، وهي حالة من الالتحام ما زالت قائمة ثقافياً وفكرياً وسياسياً في العديد من الدول العربية.

لا بد لنا من معرفة ذواتنا ومحيطنا وواقعنا بهدف إزالة كافة العقبات أمام مشروع إصلاحي عربي يحقق علاقة سليمة بين المواطن والنظام السياسي بما يضمن مشاركة المواطنين في إدارة شؤون حياتهم، ويوفر ممارسة

ديمقراطية تحافظ على حقوق الناس الأساسية التي تم هدرها والتغاضي عنها طوال عقود من الحكم الاستبدادي في معظم الدول العربية، فلا سبيل إلا بالخروج من حالة الكبت السياسي، ومن وضع ثقافة الحاكم القسرية، ثقافة الاتباع والإلحاق والامتثال الجبري، ثقافة الخوف من السلطة ودفن الرؤوس في الرمال، ثقافة لا يمكن أن يكون عليه الحال أفضل مما هو عليه، الثقافة التي تشجع الأنانية والفردية وتضرب الانتماء للجماعة وللوطن.

نحتاج إلى ثقافة مغايرة، ثقافة إبداعية تغييرية، ثقافة تسعى إلى تطوير القيم الأخلاقية والإنسانية، ثقافة تدعو وتحترم حرية الاختيار، تحترم وتضمن الحق في المشاركة والحق في الاختلاف دون خوف.

نحن أمام ثقافتين في الواقع العربي، ومن يمتلك سلاح العلم والمعرفة والاتصالات، من يمتلك الإنتاج الثقافي والعلمي والمعرفي، من يستطيع تطوير الأيديولوجيات في خدمة الثقافة وليس العكس، من يستطيع أن يجعل من الثقافة قيمة تخدم مصالح الناس وتطور مجتمعاتهم، من يمتلك هذا سوف يكون الطرف الرابح في معركة التجاذبات القائمة حالياً.

تفكيك الجدار هذا ما نحتاجه

المشروع التنويري العربي مازال ينتظر خلف جدار من المعوقات التي تمنع تحقيقه، وهي الجمود الفكري، والتكلس العقلي، سيطرة ثقافة النصوص وتراجع العقل التحليلي والاجتهادي إلى مراحل خطيرة، أيضاً من المعوقات الانغماس الفكري في التراث القديم لدرجة تقديسه وهيمنة الخرافة والأساطير على بعض العقول، وانتشار النزعات التواكلية واللامبالاة مع تراجع مخيف للإبداع وللمبادرات الفردية، شيوع الأنانية والنرجسية لدى قطاع واسع من المثقفين العرب، تضخم بالنفاق الفكري والسياسي، وجود ثقافة تبريرية لكل شيء، انتهازية ثقافية وسياسية واجتماعية واسعة، غياب ثقافة المواطنة، لا وجود لدولة المؤسسات، وهيمنة المفاهيم والأعراف الاجتماعية والقيم العشائرية والطائفية والمذهبية على حساب القيم الوطنية والإنسانية والحضارية والقانونية، عدم تقدير الكفاءات في مختلف القطاعات، وانتشار المحسوبيات والواسطة، احتقار الإنتاج الوطني مهما علا شأنه وتقديس أي إنتاج وافد على بلادنا مهما صغر شأنه، شيوع نزعة التقليد للغرب في كل شيء دون معرفة ودراية بالثقافة الغربية، وجود ثقافة لا تحترم الموروث وتدعو إلى تبني ثقافة الآخر دون شروط ودون مراجعة ودون احترام خصوصية واقعنا، ثقافة هيمنة القيم والأنماط الاستهلاكية وتفشي النزعات المادية والغرائزية، والأنانية المفرطة، والتحلل غير المفهوم والعشوائي من منظومة القيم المجتمعية.

نحن نحتاج إلى بناء مراكز أكاديمية ومراكز أبحاث كبيرة، لبناء المؤسسات التربوية والتعليمية الوطنية وعلى المستوى الجمعي، للبدء في بناء مشروع تنويري يقوم بتعزيز الشخصية الوطنية والقومية والإسلامية والإنسانية للأمة العربية، مشروع لا يستثني أحداً من مكونات المنطقة من مختلف الأعراق والطوائف والمذاهب، يساهم فيه الجميع على قدر واحد من الحقوق والواجبات، في بناء مستقبل يضمن العيش الكريم للجميع في دولة المواطنة التي لا تفرق بين أبناء الوطن الواحد.

إننا نحتاج إلى المثقفين الذين يؤمنون بالممارسة وليس الملامسة، للبدء بمشروع نهضوي عربي يعتمد النقل والعقل والعلم - بقيادة العلم -، يبني الدولة العصرية التعددية المؤسسية، والقضاء على الفكر المطلق والأيديولوجية الشاملة، معتدين على جيل عربي شاب قوي وذكي ويستعمل وسائل اتصال حديثة تطورت بشكل مرعب خلال ربع القرن الأخير.

لذلك على المثقفين العرب والإصلاحيين والتنويريين الخروج من الغرف المغلقة والتخلص من الشعارات الخشبية كي يأخذوا دورهم المجتمعي الطبيعي في بدء حوار جمعي عقلاني حضاري هادئ بين جميع الأفكار لصياغة استراتيجية نهضوية جديدة، تكفل إعادة الاعتبار للعقل العربي وتوفر حياة كريمة لصاحب هذا العقل.

فالدور المطلوب من المثقفين والمفكرين العرب اليوم هو لعب هذا الدور الريادي المهم في استنهاض جميع مقدرات الأمة، هذا الدور يقوم على المشاركة الحقيقية للمثقفين في التغيير، وعدم الاكتفاء برصد ومراقبة وملاحظة التطورات والمفاعيل التي تحدث في واقعنا العربي، خاصة في هذه الفترة الفارقة في تاريخ العرب، فإما نكون أو لا نكون.

* حسن العاصي - كاتب فلسطيني مقيم في الدنمارك

ترجمة: الصباح: قامت لجنة الرقميات والثقافة والاعلام في مجلس العموم البريطاني بتحقيق حول المعلومات والأخبار الكاذبة بعد فضيحة بيانات كامبريدج أناليتيكا. واقترح النواب في تقريرهم أن تواجه شركات التواصل الاجتماعي قوانين أكثر صرامة أو ضرائب جديدة. ويقترح التقرير أيضا اجراءات لمكافحة التدخل في الانتخابات، وجاء تقرير النواب بعد أشهر من التحقيقات يحوي تأثير التكنولوجيا وكيفية تأثر المستخدمين بزيادة الأخبار الكاذبة على مواقع التواصل الاجتماعي.

ذكر النواب في تقريرهم: «ديمقراطيتنا في خطر وحن وقت العمل.» سلط التقرير الضوء على «الاستهداف المكثف لوجهات النظر الحزبية المفرطة، والتي تستغل مخاوف وانحيازات الناس، لأجل التأثير على تصويتهم،» وهو ما يراه المشرعون تهديدا للديمقراطية.

انتقد التقرير شركة فيسبوك بشدة، اذ تعرضت لتدقيق متزايد بعد فضيحة البيانات. فيقول: «أعانت فيسبوك جهود الحصول على معلومات بشأنها طيلة فترة التحقيق، ويبدو أن الشركة ظنت بأن المشكلة ستنتهي اذا امتنعت عن تقديم المعلومات المتعلقة بالأزمة، وتفاعلت فقط عند الضغط عليها. وقدمت شهودا غير راغبين باعطاء أجوبة كاملة على أسئلة اللجنة،» وكررت اللجنة مطالبة رئيس فيسبوك مارك زوكربيرغ بتقديم الأدلة، موضحة أنها تلقت «دلائل تثير القلق»، لم تنشر بعضها، عن قرصنة وتضليل وقمع المصوتين في الانتخابات منذ ٢٠١٠.

توصيات اللجنة

ووضعت اللجنة توصيات، منها: أن تتحمل مواقع التواصل الاجتماعي مسؤولية المحتوى «المؤذي» في خدماتها. فقد كررت شركات فيسبوك ويوتيوب إدعاءها بأنها مجرد «منصة» وليست «ناشرا»، وأنها ليست مسؤولة عن المحتوى الذي ينشره المستخدمون لخدماتها.

واقترحت اللجنة إنشاء تصنيف جديد لشركات التكنولوجيا، ليس بالضرورة منصة، أو ناشر وإنما حلا وسطا بينهما. ويعد المقترح «قاعدة لمسؤولية قانونية واضحة على شركات التكنولوجيا للوقوف ضد المحتوى المؤذي وغير القانوني على منصاتنا.»

كما أوصت اللجنة بأن تكون قواعد الحملات السياسية مناسبة للعصر الرقمي، فالقانون الانتخابي بحاجة «للتحديث لكي يعكس التغيرات في أساليب الحملات الانتخابية» واقترحت لذلك انشاء دائرة تسجيل عامة للدعاية السياسية ليتمكن الجميع من رؤية الرسائل الموزعة. أما الاعلانات السياسية الرقمية، فينبغي تضمينها بصمة رقمية تحدد هوية المسؤول، مثلما هو حال المنشورات والاعلانات المطبوعة.

ينبغي على مواقع التواصل الاجتماعي تحمل مسؤولية التدخل في الانتخابات عبر أطراف خبيثة، وضرورة زيادة غرامات الاحتيال الانتخابي في بريطانيا من ٢٠ ألف جنيه الى نسبة مئوية من الايراد السنوي للمنظمات. وأوصت اللجنة أيضا باخضاع أمن شبكات التواصل الاجتماعي للتدقيق، وقيام جهة مستقلة مثل هيئة المنافسة والأسواق بتدقيق شبكات التواصل، وتوفير آليات الأمن واللوائح التي تستخدمها من قبل تلك المواقع ليتسنى تدقيقها وضمان عملها بمسؤولية.

ونبهت اللجنة إلى أن الروايات الكاذبة على مواقع مثل فيسبوك وتويتر «لا تضر تجربة المستخدم فحسب، وإنما تحتال على المعلنين أيضا، لأنهم يدفعون أموالا مقابل الاعلان عن قصص لا يديرها أشخاص حقيقيون.

واختتمت اللجنة توصياتها بضرورة فرض ضريبة على شركات التكنولوجيا لتمويل التعليم، وتنظيم مواقع التواصل الاجتماعي مع المنظمات والمفوضيات الانتخابية، وتنفق تلك الأموال أيضا على برامج تثقيفية وحملة معلومات عامة لمساعدة الناس على تحديد المعلومات والأخبار الكاذبة.

احتمالات الحرب الغامضة

*د. باسم الطويسي

صحيفة (الغد) الأردنية: ٢٠١٨/٩/٩

التصعيد غير المسبوق الذي تقوده الولايات المتحدة منذ إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في ٨ أيار (مايو) انسحابه من الاتفاق النووي الذي وقعته إيران مع القوى الكبرى العام ٢٠١٥، وما تبعه من إعادة فرض عقوبات متعددة على إيران، بات يأخذ اتجاهات استراتيجية غامضة تتجاوز تسويات الاستراتيجية المتوقعة نتيجة تسوية الأوضاع في سورية، ما يجعل احتمالات أن تخرج الأمور من نمط إدارة الصراع التقليدي واردة وتحسب المفاجآت يوما بيوم.

الأوضاع في إيران تزداد تعقيدا في ضوء ازدياد وقع تأثيرات خطة الحصار والعقوبات الأمريكية الجديدة والتي تتضمن ١٢ خطوة اجرائية بهدف التضييق على النظام الإيراني وسقاطه من الداخل " وهذه الاستراتيجية وهي قيد التنفيذ حاليا، تتركز في محاولة منع إيران من الاستفادة من أي عوائد نفطية أي منعها عمليا من تصدير النفط وممارسة ضغوط اقتصادية ومالية هائلة وتشكيل تحالف دولي واقليمي لممارسة هذه الضغوط، وفي الداخل استهداف البنية الاقتصادية والصناعية الإيرانية ومنع حصول إيران على الذهب مقابل العملة، وحصار البنك المركزي الإيراني، وإخراج عشرات الشركات والمؤسسات الغربية العاملة في إيران والتي يعتمد عليها الاقتصاد الإيراني، ومنع وصول الغذاء والدواء وخلق حالة من الفوضى في الداخل بفعل الضغوط الاقتصادية وهو ما بدأ بالفعل في الأسابيع الأخيرة حيث وصل تردي الأوضاع المعيشية وتراجع الريال الإيراني الى درجة غير مسبوقة.

الخطة الأمريكية تمضي بسرعة كبيرة وتبدو أثارها واضحة بينما أخذت ردود الأفعال الإيرانية الرسمية متفاوتة من اقالة وزير الاقتصاد والشؤون المالية وصولا إلى استجواب الرئيس الإيراني من قبل البرلمان وسط نذر بحالة فقدان ثقة بين النظام وقواعده الشعبية التقليدية ومن المتوقع أن تزداد الحالة تعقيدا بسرعة وخلال الأسابيع القادمة وقبل نهاية هذا العام، في المقابل لا توجد مؤشرات كبيرة ترجح اقدام الولايات المتحدة على توجيه ضربة عسكرية قوية لطهران نظرا للكلفة المادية الكبيرة لمثل هذا العمل الى جانب الكلفة السياسية الباهظة وسط غياب الحد الأدنى من التوافق الدولي حول الخطوات الأمريكية وهو الامر الذي لا يتوقف على المواقف التقليدية للصين وروسيا بل يتجاوزها إلى دول أوروبا الغربية.

لا شك ان النخبة الأمريكية الجديدة الممثلة بالرئيس الأكثر اثارة وتطرف في تاريخ الرئاسة الأمريكية ومن حوله من رجال ونساء لديهم خطة أخرى للمنطقة تستكمل مسار التغيير والفوضى الذي اجتاحت المنطقة منذ العام ٢٠١١، ولكن يبدو هذه المرة يبدو انها تستهدف المناطق الأكثر استقرارا، فالتوقعات لا تذهب اليوم الى ان الولايات المتحدة هي من سيطلق الرصاصة الاولى بل ان الضغوط المتوالية على طهران سوف تدفعها الى عمل عسكري ما سواء كان مباشرا وهو مستبعد او من خلال اذرعها الاستراتيجية الممتدة من العراق حيث يوجد نحو ١٨٠ ألف جندي او سورية حيث توجد قوات أمريكية في الشمال السوري أو في اليمن حيث القطع العسكرية والبرامج الأمريكية وسفن النفط تجوب المضائق الدولية وهي في مرمى نار حلفاء إيران.

الولايات المتحدة تسعى الى خلق حالة جديدة في سوق النفط العالمي عبر حملة من الضغوط السياسية والاستراتيجية والاقتصادية لمستهلكي النفط الإيراني بهدف الوصول الى تشريعين الثاني القادم وقد اكملت طوق الحصار ووقفت تصدير النفط الإيراني، وتعويض السوق العالمية بنفط سعودي، فالعالم المستهلك للنفط الإيراني في أوروبا وآسيا يعرف تماما ماذا يعني اغلاق مضيق هرمز وتهديد أمن البحر الأحمر واغلاق باب المندب، فهناك ٤٠٪ من الانتاج العالمي من النفط يمر من هنا، وتصدر السعودية نحو ٨٨٪ من نفطها عبر مضيق هرمز بينما تصدر كل من إيران والكويت وقطر والإمارات كل نفطها من هذا المضيق بينما يعد مضيق باب المندب الأكبر عالميا في تصدير نفط حيث يمر منه نحو ٤,٨ مليون برميل يوميا.

صحيح ان النخبة الأمريكية تسعى الى تغيير قواعد لعبة النفط في العالم، وتأمين قلب العالم الجديد، ولكن في العمق يشتمل كل هذا التآزيم من اجل خدمة الاجندة الإسرائيلية للنصف الأول من القرن الحادي والعشرين.

حرب كبرى في المنطقة!

*يونس السيد

صحيفة (الخليج) الاماراتية : ٢٠١٨/٩/

تتزايد احتمالات اندلاع حرب إقليمية كبرى في منطقة الشرق الأوسط، وفقاً للتقارير المتواترة، نظراً لوجود أسس كامنة لاندلاع مثل هذه الحرب، مع التصعيد المستمر في الحروب الصغيرة المتناثرة هنا وهناك، والتي يمكن أن تتطور إلى حرب طاحنة قد تشارك فيها قوى من خارج المنطقة.

يرجح تقرير لـ «معهد واشنطن» أن تندلع مثل هذه الحرب «نتيجة لتصعيد غير مقصود، في أعقاب رد إيراني ضد «إسرائيل» من سوريا، أو في أعقاب ضربة «إسرائيلية» ضد «منشآت إنتاج الصواريخ» في لبنان أو سوريا، ويمكن أن تبدأ نتيجة لضربة أمريكية أو «إسرائيلية» ضد برنامج إيران النووي. أي أن «إسرائيل» تبقى هي محور مثل هذه الحرب، بسبب تدخلاتها المباشرة وغير المباشرة في شؤون المنطقة تحت ذرائع أمنية متعددة، وتبريرات تتعلق بأن أي تغيير في المنطقة لا يصب في صالحها يشكل تهديداً مصيرياً لوجودها.

ومن هذا المنطلق تواصل «إسرائيل» ملاحقة وضرب ما تعتبره أهدافاً ومواقع إيرانية وأخرى لـ «حزب الله» في سوريا، وصولاً إلى الحدود العراقية، وهناك تقارير تشير إلى أنها نفذت منذ عام ٢٠١٣ أكثر من ١٣٠ ضربة في سوريا ضد شحنات أسلحة موجهة لـ «حزب الله»، وجرى توسيعها منذ أواخر عام ٢٠١٧ لتشمل «منشآت عسكرية إيرانية في سوريا». وهي لا تتردد في توجيه ضربات لمواقع وأهداف سورية تابعة للنظام ترى فيها خطراً عليها، كما تضع لبنان والجنوب اللبناني تحت المراقبة الدائمة والمركزة، وذلك على الرغم من محاولات القوى العظمى ضبط إيقاع الحروب المتناثرة ومنع تحويلها إلى حرب شاملة في المنطقة.

تستعد «إسرائيل»، طبعاً، لمثل هذه الحرب بالأسلحة الأكثر تطوراً في العالم، ومنها طائرات «إف-٣٥»، وما كشفه وزير الحرب أفيجدور ليبرمان عن امتلاك جيشه صواريخ حديثة ومتطورة جداً، تستطيع ضرب أي مكان في الشرق الأوسط، بينما تبقى ترسانتها النووية الضمانة الأخيرة للردع والتفوق على جميع العرب.

في هذا السياق يتوقع خبراء عسكريون «إسرائيليون» اندلاع حرب إقليمية كبرى خلال العام المقبل (٢٠١٩)، وفق ما نقل المعهد الأمريكي عن هؤلاء. وي طرح هؤلاء العسكريون، ومنهم الرائد في الجيش «الإسرائيلي» ندف بين حور، والخبير في الشؤون العسكرية مايكل آيزنشتات، أربعة سيناريوهات للحرب المحتملة: أولها «حرب بين «إسرائيل» و«حزب الله» في لبنان»، يشارك فيها الإيرانيون ومقاتلون أجانب. وثانيها يتمثل في حرب تنشب «على الأراضي السورية بين القوات «الإسرائيلية» والقوات الإيرانية» والمسلحين الموالين لطهران، «وربما عناصر من الجيش السوري». والسيناريو الثالث، حرب على جبهتين «في لبنان وسوريا بين القوات «الإسرائيلية» والقوات الإيرانية»، وجماعات موالية لها. ويتوقع السيناريو الرابع نشوب حرب إقليمية، لكنه يصف احتمالاتها بالضعيفة، وتأثيرها بالقوي في حال حدوثها. كل الاحتمالات تبقى واردة، لكن أحداً لا يمكنه التكهن بنتائجها إن وقعت، لا قدر الله.

الهوية لم تعد أزمة الأقليات فقط، كل المجتمعات تتساءل: من نحن ؟

السياسة اليوم تتحكم فيها مسائل الهوية أكثر مما تتحكم فيها المشاغل الاقتصادية أو الأيديولوجية.

صحيفة (العرب) اللندنية: ٢٠١٨/٩/

المتابع لما يجري من أحداث وصراعات وأزمات داخلية في مختلف أنحاء العالم، قد يجد خيطا رفيعا يجمع بينها، وإن تباعدت في المظاهر والأسباب وعمق التفاصيل "يتعلق هذا الخيط بأزمة الهوية. في بوتقة هذه الأزمة تصب مختلف التطورات التي يشهدها العالم من صراعات في بعض دول المنطقة العربية، أو انفصال بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي، أو عن ترؤس دونالد ترامب للولايات المتحدة، أو صعود تيارات اليمين المتطرف، موجة معاداة الآخر التي تضرب اليوم بقوة ألمانيا، إلى طموح الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون لبناء أوروبا معاصرة قادرة على تولي دفاعها والتغلب على أزماتها وتطرح نفسها في العالم على قدم المساواة مع واشنطن وبكين، وحتى حملة "مي تو" ضد التحرش الجنسي.

عادة ما يحيل الحديث عن القلق المجتمعي المرتبط بالهوية إلى الأقليات والإثنيات، لكن في السنوات الأخيرة توسع الحديث عن أزمة البحث عن هوية لتشمل نطاقا أوسع من أقلية تشعر بالغبن في مجتمعها مقابل سيطرة أغلبية "مختلفة". اليوم، توسعت النظريات التي تتحدث عن أزمة الهوية وترصد نزوعا نحو الانغلاق و"القبيلة"، في مفهومها المضاد للعولمة، التي كلما توسعت زاد معها الإحساس بالاغتراب الذي تحول إلى رفض للآخر ومعاداة الأجانب ورغبة في السيطرة على الحدود، بمعناها الواسع، جغرافيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا. تغذى هذا الإحساس من مخلفات الأزمات الاقتصادية وما ولدته من بطالة وغلاء ومشكلات اجتماعية ثم تضاعف هذا الإحساس في ظل أزمات الهجرة واللجوء، حتى بات هذا الشعور القلق يشكل التوجهات السياسية، كما يشير إلى ذلك الفيلسوف والمفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما، بقوله إن السياسة اليوم تتحكم فيها مسائل الهوية أكثر مما تتحكم فيها المشاغل الاقتصادية أو الأيديولوجية.

بحث عن الهوية

الشباب الذين انتفضوا في ٢٠١١ في بلدان الربيع العربي، وجرت وراءهم بقية المجتمع، كانوا يبحثون عن هوية تعرفهم، ارتبطت هذه الهوية بالأساس بالعمل والكرامة "أوروبا حائرة اليوم بين التطبيق "الديمقراطي" لشعارات حقوق الإنسان التي كوَّنت هويتها لسنوات طويلة وبين ضغوط هذا التطبيق التي دفعت نحو صعود اليمين المتطرف ورغبة كبرى في العودة إلى الهوية "القبيلة" بمفهومها المرتبط بالمجتمع المنغلق" الأمريكيون الذين بكوا بحرقة على فقدان السيناتور جون ماكين، كانوا يكون الشخص والفكرة التي جسدها باعتباره أحد آخر وجوه الحقبة الأمريكية "الراقية"، وهو السياسي المضاد لكل ما تمثله ثقافة الرئيس الحالي دونالد ترامب، أكثر من يعارض سياسات الحدود المفتوحة واتفاقيات التجارة الحرة.

الخميس، أعلنت الشرطة الألمانية عن تعرض شاب سوري (٢٠ عاما) لضرب مبرح في متنزه بمدينة فيسمار شمالي البلاد على أيدي ثلاثة جناة بدافع معاداة الأجانب، وتم طرحه أرضا، وقام أحد المهاجمين بضرب الشاب بسلسلة حديدية. وبعد ذلك لاذ الجناة بالفرار. وهذا الحادث هو واحد من سلسلة حوادث مشابهة تعيش على وقعها ألمانيا حيث انتشرت مطاردة الأجانب والهتافات النازية وأعمال العنف، ضمن وضع يقول عنه الصحافي الألماني اليهودي ميشيل فريدمان "هذه ليست سوى قمة جبل الجليد لحركة متطرفة ذات قاعدة كبيرة".

الثقافة الألمانية، باتجاهاتها التي تناصر التسامح والتنوع، هي "قذرة وملوثة" بشكل خاص، في نظر هانس توماس تيلشنايدر العضو في حزب البديل لألمانيا، صاحب التوجهات اليمينية المتشددة. ويقول تيلشنايدر في تصريح لصحيفة فاينانشيل تايمز، يجب على الألمان أن يعودوا إلى التراث الثقافي المعروف. ويضيف "يجب أن نقدم إنتاجا جديدا لمسرحياتنا، لكنها يجب أن تكون مسرحياتنا، ولا بد لها أن تتناول الأمور التي تهمنا: من نحن الألمان؟ ومن أين نأتي؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟".

وجاء حديث تيلشنايدر تعقيبا على حملة ضد مسرحية (تاريخ العنف)، للمخرج توماس أوستراير، وهي مقتبسة من رواية متعمقة حول العرق والطبقة الاجتماعية والعنف كتبها الكاتب الفرنسي الشاب المشهور إدوارد

لوي. وينعكس البحث عن الهوية، في حديث تيلشنايدر، من خلال قوله إن المؤلفات الكلاسيكية هي التي تستطيع تقديم أجوبة على تلك الأسئلة، وكمثال على ذلك ذكر أسماء ثلاثة أعمال عظيمة من روائع الأدب الألماني، وهي مسرحية "فاوست" (١٨٠٨) من تأليف جوته، وثلاثية "فالنشتاين" (١٧٩٩) من تأليف شيلر، ومسرحية "معركة غابة التيوتوبورج" (١٨٠٨) من تأليف هاينريش فون كلايست، التي تستند إلى اللقاء الملحمي بين الرومان والقبائل الألمانية في السنة التاسعة للميلاد، وكان يُنظر إليها من قبل معاصري كلايست على أنها نداء قوي لحمل السلاح ضد فرنسا.

سلط الضوء على هذه التعقيدات الهوياتية، الفيلسوف والمفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما، في أحدث دراساته عن النزعة القبلية الجديدة وأزمة الهوية، مشيراً إلى أن كل التطورات التي تشهدها المجتمعات العالمية ترتبط بشكل أو بآخر بالتحويلات الاقتصادية والتكنولوجية للعولمة، لكنها أيضاً متجذرة في ظاهرة صعود سياسة الهوية.

الهوية تصنع السياسات

يفسر صاحب نظرية نهاية التاريخ قراءته بقوله إن السياسة خلال القرن الماضي كانت في معظمها تحددها المسائل الاقتصادية، حيث كانت السياسة من جهة اليسار متركزة على العمال والنقابات العمالية وبرامج الرفاه الاجتماعي وسياسات إعادة التوزيع.

وفي المقابل كان اليمين مهتماً بشكل أساسي بتخفيض حجم الحكومة وتعزيز القطاع الخاص. بيد أن السياسة اليوم تتحكم فيها مسائل الهوية أكثر مما تتحكم فيها المشاغل الاقتصادية أو الأيديولوجية. الآن لا يركز اليسار في الكثير من الديمقراطيات على خلق مساواة اقتصادية عريضة بقدر ما يركز على خدمة مصالح تشكيلة عريضة من المجموعات المهمشة مثل الأقليات الإثنية والمهاجرين واللاجئين والنساء والمثليين. في الأثناء أعاد اليمين تحديد مهمته الأساسية لتصبح حماية الهوية الوطنية التقليدية التي كثيراً ما ترتبط بشكل صريح بالعرق والإثنية والدين. يقلب هذا التحول تقليداً طويلاً (يرجع على الأقل إلى زمن كارل ماركس) يتمثل في اعتبار الصراعات السياسية انعكاساً للصراعات الاقتصادية، لكن على الرغم من أهمية المصلحة المادية الخاصة فإن البشر تحركهم أشياء أخرى أيضاً، وهي قوى تقدم تفسيراً أفضل لليوم الراهن. في كل أنحاء العالم حشد الزعماء السياسيون أتباعهم حول فكرة أن كرامتهم أُهينت ويجب استردادها.

وبالطبع في البلدان ذات النظام الاستبدادي، هذه الإغراءات أمر معتاد إذ تكلم الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عن "مأساة" انهيار الاتحاد السوفييتي وانتقد الولايات المتحدة وأوروبا لاستغلالهما ضعف روسيا أثناء فترة التسعينات لتوسيع حلف الناتو. كما يلمح الرئيس الصيني شي جينبينغ إلى "قرن الإهانة" لبلده، وهي فترة هيمنة أجنبية بدأت في سنة ١٨٣٩.

لكن الاستياء الناتج عن خدش الكرامة أصبح قوة جبارة في البلدان الديمقراطية أيضاً. لقد برزت حركة "أرواح السود مهمة" من سلسلة من حوادث شهيرة قامت فيها الشرطة بقتل أمريكيين من أصول أفريقية وأجبرت بقية العالم على أن يهتموا بضحايا وحشية الشرطة.

وفي الجامعات وفي المكاتب في مختلف أنحاء الولايات المتحدة عبرت النساء عن غضبهن مما يبدو أنه وباء تحرش واعتداء جنسيين واستنتجن بأن زملائهن من الرجال لم يعتبرهن بكل بساطة مساويات لهم. وأصبحت حقوق المتحولين جنسياً قضية شهيرة بعد أن كانوا من قبل غير معترف بهم أهدافاً مميزة للتمييز. والكثير ممن صوتوا لترامب تاقوا إلى زمن أجمل في الماضي لاعتقادهم بأن مكانهم في مجتمعهم الخاص كان أكثر أماناً.

مرة بعد أخرى غدت المجموعات تعتقد بأن هوياتها (سواء الوطنية أو الدينية أو الإثنية أو الجنسية أو المتعلقة بالنوع الاجتماعي أو غيرها) لا تلقى الاعتراف الكافي. ولم تعد سياسة الهوية ظاهرة صغيرة تظهر فقط في الحدود النادرة للجامعة أو توفر خلفية للمناوشات ذات الرهانات المحدودة في "الحروب الثقافية" التي تدعمها وسائل الإعلام. وبدلاً من ذلك أصبحت سياسة الهوية مفهوماً رئيسياً يفسر جزءاً كبيراً مما يحصل في الشؤون العالمية.

وهذا يترك الديمقراطيات الليبرالية الحديثة في مواجهة تحدٍ مهم حيث أنتجت العولمة تغييراً اقتصادياً واجتماعياً سريعاً وجعلت هذه المجتمعات أكثر تنوعاً بكثير، مما خلق مطالب بالاعتراف من قبل مجموعات كانت سابقاً لا تُرى بالنسبة إلى المجتمع السائد. أدت هذه المطالب إلى ردة فعل عنيفة وسط المجموعات الأخرى التي تشعر بأنها بصدد فقدان منزلتها ولديها شعور بالانزياح.

وهكذا تتعرض المجتمعات الديمقراطية إلى الانقسام إلى قطاعات تعتمد على هويات أضيق فأضيق، وهو ما بوسعه أن يهدد إمكانية التفاوض والعمل المشترك من قبل المجتمع ككل. وهذه طريق لا تؤدي إلا إلى انهيار الدولة والفشل في نهاية المطاف. وما لم تستطع هذه الديمقراطيات الليبرالية إيجاد طريقها ثانية نحو فهم كوني للكرامة الإنسانية فسيكون مصيرها (ومصير العالم) الصراع المستمر.

يؤكد فوكوياما أن المجتمعات تحتاج حماية المجموعات المهمشة والمقصية، لكنها تحتاج أيضا تحقيق أهداف مشتركة عبر التفاوض والإجماع. والتحول في أجندات كل من اليسار واليمين نحو حماية هويات المجموعات الضيقة يهدد في النهاية هذا المسار.

والحل، حسب نظريته، ليس التخلي عن فكرة الهوية التي تقع في قلب الطريقة التي يفكر بها الناس المعاصرون في أنفسهم والمجتمعات المحيطة بهم، بل هو تحديد الهويات الأوسع والأكثر اندماجية التي تأخذ في الاعتبار التنوع الحالي للمجتمعات الديمقراطية الليبرالية.

مستقبل موحد أكثر

المجتمعات البشرية لا يمكنها الإفلات من الهوية أو سياسة الهوية. إن الهوية حسب تعبير الفيلسوف شارلز تايلر هي "فكرة أخلاقية قوية"، والحل وفق فرانسيس فوكوياما يمكن أن يكون عبر توظيف الخيال. ويوضح بقوله ذلك إن أحسن طريقة للتعبير عن مخاوف المستقبل عادة ما تكون عبر الخيال، وبخاصة الخيال العلمي الذي يحاول تخيل العوالم المستقبلية على أساس أنواع جديدة من التكنولوجيا.

في النصف الأول من القرن الماضي ارتكزت الكثير من هذه المخاوف المتطلعة إلى المستقبل حول أنظمة بيروقراطية كبيرة، مستبدة ومركزية قضت على الفردانية والخصوصية، وأوضح مثال على ذلك رواية ١٩٨٤ لجورج أورويل، لكن طبيعة مدن الواقع المرير الخيالية بدأت تتغير في العقود اللاحقة من القرن الماضي، وتكلم فصيل معين معبرا عن المخاوف التي أثارها سياسة الهوية، حيث أن ما يسمى مؤلفي سايربانك مثل ويليام غيبسون ونيل ستيفنسون وبروس ستيرلينغ رأوا مستقبلا لا تهيمن عليه أنظمة دكتاتورية مركزية بل تفككا اجتماعيا خارجا عن السيطرة سهلتها الإنترنت.

رواية انهيار الثلج للكاتب ستيفنسون التي نشرت في سنة ١٩٩٢ قدمت واقعا افتراضيا من صنع الكمبيوترات يمكن للأفراد فيها تبني صورا رمزية وتغيير هوياتهم حسب الطلب.

وفي الرواية، انقسمت الولايات المتحدة إلى تقسيمات حضرية فرعية تخدم الهويات الضيقة، مثل جنوب أفريقيا الجديدة (للعنصريين) وهونغ كونغ العظمى للسيد لي (للمهاجرين الصينيين).

هناك حاجة إلى جوازات السفر والتأشيرات للسفر من حي لآخر، وتمت خصخصة سي آي إيه، وأصبحت حاملة الطائرات 'يو إس إس إنتربرايز' موطنا عائنا للاجئين. وانحسرت سلطة الحكومة الفيدرالية لتضم فقط الأرض التي توجد فيها البناءات الفيدرالية.

عالمنا الحالي يتحرك في الآن نفسه في اتجاه مدينتين متقابلتين للمركزية المفرطة والتشتت اللانهائي. الصين على سبيل المثال بصدد بناء نظام دكتاتوري ضخم تقوم فيه الحكومة بجمع معلومات شخصية خصوصية للعمليات اليومية لكل مواطن. وفي المقابل تشهد أجزاء أخرى من العالم انهيار المؤسسات المركزية وظهور الدول الفاشلة وتعاضل الاستقطاب وتنامي نقص الإجماع على الغايات المشتركة. لقد سهل الإعلام الاجتماعي والإنترنت بروز المجتمعات المتحفظة التي لا تعزلها الحواجز المادية بل الهويات المشتركة.

الشيء الجيد في ما يخص الخيال الذي يتحدث عن الواقع المرير هو أنه تقريبا لا يتحقق أبدا، وتخييل كيفية بروز الاتجاهات الحالية بطريقة أكثر مبالغة من أي وقت آخر بمثابة تحذير مفيد حيث أصبحت رواية ١٩٨٤ مثالا قويا لمستقبل كلياني أراد الناس تجنبه، كما ساعد الكتاب على تلقيح المجتمعات ضد النظام الاستبدادي. وبالمثل يمكن للناس اليوم تخيل بلدانهم أماكن أجمل تدعم المزيد من التنوع لكنها أيضا تتبنى رؤية لكيفية خدمة التنوع للغايات المشتركة وتدعم الديمقراطيات الليبرالية بدلا من تقويضها.

ويخلص فوكوياما مؤكدا، أن الناس لن يتوقفوا عن التفكير في أنفسهم ومجتمعاتهم في ما يتعلق بالهوية. بيد أن هويات الناس ليست ثابتة ولا تمنح بالمولد بالضرورة. ويمكن للهوية أن تستخدم للتقسيم، ولكن أيضا للتوحيد. وذلك في النهاية هو العلاج للسياسة الشعبوية الحالية.

إفلاس الفكرة "الإخوانية"

*د. عمار علي حسن

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية : ٢٠١٨/٩

في تصوري أن الفكرة التي قامت عليها "جماعة الإخوان" قد وصلت إلى طريق مسدود، بعد أن ذهبت عنها إمكانيات التطوير والمراجعة والتأهيل لملائمة زمن مختلف عن ذلك الذي انطلقت فيه قبل سبعين سنة. ويعول "الإخوان" في بقاء فكرتهم حياة على محنتهم الحالية التي أدخلوا أنفسهم فيها بالتحالف والتنسيق والتفاهم والتواطؤ مع تجمعات وتنظيمات ما تسمى بـ "السلفية الجهادية" التي تمارس العنف والإرهاب، وابتعادهم التام عن طريق الثقافة المدنية التي كانوا يعطون إشارات أحياناً، عبر بعض قياداتهم، بأنهم قابلون للمضي فيها، عبر استيعاب قيم الحداثة وتصوراتها ومختلف اتجاهاتها. لكن هذا التعويل لن يجدي نفعاً، لأن الفكرة نفسها تنهار كلما وضعت في اختبار حقيقي، حتى في ظروف عادية لا "محنة" فيها ولا "مظلومية".

وكان أول اختبار للفكرة "الإخوانية" أيام مؤسسها حسن البنا، الذي بدأ بحديث عن "الدعوة" لم يصمد سوى خمس سنوات وانتقل به إلى "الدولة"، مبرهنًا على أن تناول المسائل الخاصة بالخيرية والنفع العام وطهارة النفوس وإصلاح المجتمع، لم تكون سوى تمهيد لجمع الأتباع، بينما كان المقصد الجوهرى يدور في رأس البنا نفسه، وهو تحويل الإسلام إلى أيديولوجيا، واختزال الأمة في جماعة، والانحراف بالموعظة الحسنة إلى إجبار وإكراه، مارسه بإفراط "التنظيم الخاص" الذي أنشأه البنا، وأشرف عليه، وأعطاه إشارات بالاعتقال والتخريب، ثم حاول التوصل منه حين انكشف أمره، وضاق الخناق على جماعته، بقوله الشهير الذي وصف فيه أعضاء هذا التنظيم: "ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين".

وحاول "الإخوان" أن يجددوا فكرتهم من خلال كتاب وضعوا عليه اسم مرشداهم الثاني حسن الهضيبي عنوانه "دعاة لا قضاة"، لكن لم تمر سنوات حتى ظهر أن ما جاء في هذا الكتاب لم يكن سوى مراوغة ومهادنة أو "تقية"، إذ جاء اصطدام "الإخوان" سريعاً مع الأفكار التي كان يتبناها نظام عبدالناصر، وراقت في أيامه أغلبية المصريين، وصنعت اتجاهًا فكرياً، لم يخاصم الإسلام، كما زعم "الإخوان" دوماً، إنما وظفه في محاولة ترجمة أشواق الناس إلى العدالة الاجتماعية، والاستقلال الوطني، والدور الإقليمي الملموس، وإن كان قد أخفق في مجال الحريات، ولم يطور آلياته المدنية، بما سمح لـ "الإخوان" بالعودة على يد رجل آخر من نظام يوليو هو الرئيس السادات، عبر استعمال الجماعة في تصفية "اليسار" المصري. وبينما كان "الإخوان" يعانون خواء فكرياً، ظهر في حياتهم سيد قطب الذي انتحل الكثير من أفكار أبو الأعلى المودودي، لا سيما مسائل الحاكمية والجاهلية الجديدة والعصبة المؤمنة أو استعلاء الإيمان وتقديم رابطته على روابط الدم والجيرة والمصلحة المشتركة. وظف قطب براعته في الصياغة ليصنع أيديولوجية هائمة، تخاطب العواطف وتزدرى العقول، دون أن تجهر بهذا، فاستقطب أفئدة أتباع "الإخوان"، ومعهم الكثير من الجماعات والتنظيمات المتطرفة، لكن مثل هذه الأفكار المتطرفة كانت في جوهرها خطوة إلى الوراء.

وبينما راح بعض "الإخوان" يجارون لفظاً الجدل العام حول المسألة الديمقراطية، بما توجبه من إيمان جازم بالتعددية وتداول السلطة واحترام الحقوق والحريات، كانت أفكار قطب تتمكن من قلب الجماعة، وهي مسألة انتبه إليها الباحث الراحل حسام تمام في بحثه المهم "تسلف الإخوان" وشرح جوانبها، مبيناً عيوبها القاتلة، ووقوفها عقبة كؤود أمام إمكانيات تطور أفكار الإخوان، واصفاً هذا بأنه "تآكلٌ للأطروحة الإخوانية". وحين وصل "الإخوان" إلى السلطة تبين لكثيرين أن خطابهم السياسي المعلن لم يكن سوى طلاء يخفي تمكن "القطبيين" من أفكار التنظيم.

يعول "الإخوان" الآن على ضعف التيار المدني في مصر وغيرها، لمشكلات عديدة، في إمكانيات ملمة أشتات الجماعة والعودة من جديد، لكنهم يغفلون في سعيهم هذا أن فكرتهم لم تعد صالحة لزماننا، ولا يدركون أن مشكلتهم لم تكن إدارية، ولا مرتبطة بالصراع على السلطة، إنما لأن تصورهم لم يعد صالحاً لتسويقه على نطاق واسع وسط أجيال جديدة، انكشف أمامها المشروع "الإخواني"، وظهر تهافته، ولا تلوح في الأفق أي بوادر تبين أن أسسه ومنطلقاته قابلة للمراجعة، أو أن الواقفين على حراسته يمكنهم إبداء أدنى حد من المرونة في سبيل إجراء جراحة عميقة عليه كي يظل قابلاً للتداول، وربما يعود هذا إلى إدراكهم أن مثل هذه الجراحة، التي لا يفكر قادة الجماعة فيها أصلاً، ستودي بالفكرة "الإخوانية" تماماً، بعد أن صارت هشة متداعية.

إن الانفتاح على العالم، وتدفق الأفكار والقيم والتصورات، وتزعزع الهويات المسكونة بالتعصب والجمود، يطوق الفكرة "الإخوانية"، وينفذ إلى قلبها ليفككها في نعومة وهدوء، يظن أغلب "الإخوان" أنه أمر يتم بفعل سلطة تعاديهم، أو نخبة مدنية تواجههم، لكنه في الحقيقة هو بفعل تغير الحال والمآل، وفق قانون الطبيعة وسنة الحياة التي تقول: "إنك لن تستطيع أن تنزل النهر مرتين لأن المياه تتجدد باستمرار".

تحديد سياق الجهاد والتكفير في إطار المفهوم السنّي

معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى: ٢٠١٨/٩/

روبرت رابيل: أثار مفهوم الجهاد وتكفير المسلمين أو غير المسلمين ردود فعل متباينة ومخيفة في أوساط العديد من دول الغرب حيث يتصدّران غالباً عناوين العريضة ويتمّ تقديمهما من دون سياق إلى مَنْ قد لا يكون له تفاعلات شخصية معها.

وفي إطار النقاش العام في الولايات المتحدة وأوروبا، يعادل الجهاد والتكفير "الحرب المقدسة" وقطع رؤوس "الكفار" على التوالي. ولكن هذه التصورات مترسخة في الافتراض بأن هذه المصطلحات كما تُعرّف عنها الجماعات الإرهابية تعكس أيضاً وجهتي نظر السنة والشيعية عموماً بشأنها. ونتيجةً لذلك، يسيء هذا التفسير الخاطئ إلى كل من فهم العامة للإسلام باعتباره ديناً متعدد الأوجه والفهم الأمني الأمريكي للتهديدات الإرهابية التي تحرّكها مفاهيم الجهاد والتكفير الخاصة والمتطرفة.

الجهاد في سنوات الإسلام الأولى

في اللغة العربية، "الجهاد" يعني عموماً "الاجتهاد" أو بذل "جهد حثيث"، والمجاهد هو الشخص الذي يجتهد أو يشارك في الجهاد. وكثيراً ما يتسع معنى هذه الكلمة ليشمل الجهاد في سبيل الله، وذلك لأجل تمييز العبارة عن استخدامها ما قبل الإسلام والتأكيد على أنّ بذل "الجهد الحثيث" يتمّ بتوكيل من الله. غير أن الدلالات الدينية على نحو خاص للكلمة تحمل درجات مختلفة من المعاني حتى في القرآن الكريم، حيث أن معنى الجهاد يتغير بالتزامن مع البيئة الاجتماعية-السياسية المتغيرة التي طوّرت خلالها النبي محمد الإسلام.

فخلال الفترة "المكية" الأولى للإسلام، ركّزت رسالة النبي محمد عن الجهاد على نشر الإسلام مقابل نظام سائد اتّسم إلى حدّ ما بالوثنية وعبادة الأصنام وتعدد الآلهة. وعقب هجرة النبي القسرية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة في ٦٢٢ وتوحيد أمته، اتخذ الجهاد معنىً نشاطياً متخصصاً في الدفاع عن الدين ونشره. وبالفعل، يتعارض معنى الجهاد "السلبى" في الآيات القرآنية المكية الأولى مع المعنى "الإيجابى" و/أو "العدائي" للجهاد في الآيات القرآنية المدنية.

وبناء عليه، تطوّر الجهاد إلى مفهوميّ النزاعات الداخلية والخارجية على السواء. واستناداً إلى حديث يتكرر غالباً (رغم أنه غير مقبول عالمياً) للنبي محمد، يمكن للجهاد أن يكون عبارة عن مقاومة ميول المرء الآثمة (ما يعرف أيضاً بـ"الجهاد الأكبر") أو مكافحة الظلم، الذي يُعرف بـ"الجهاد الأصغر". هذا وتفترض العديد من الإشارات إلى الجهاد في مجموعة الحديث النبوي الشريف صحيح البخاري وبشكل ملحوظ، أن الجهاد يعني عملاً مسلحاً.

وكان أدّى انتشار الإسلام خلال سلالاتي الأمويين (٦٦١-٧٥٠) والعباسيين (٧٥٠-١٢٥٨) إلى بروز مفهوم للجهاد باعتباره شكلاً من أشكال الحرب يرتبط بانقسام العالم بين دار الإسلام ودار الحرب. وتصور الفقهاء حرباً دائمة بين المسلمين وغير المسلمين إلى أن يسود دار الإسلام بفعل ترسيخ الشريعة الإسلامية الشرعية من الناحية الدينية حيث يحلّ الإسلام محلّ المعتقدات الأخرى ويستحدث نظاماً اجتماعياً-سياسياً عادلاً.

في هذا السياق، طوّر الجهاد أشكالاً هجومية ودفاعية. ورمى الجهاد الهجومي إلى توسيع رقعة انتشار الإسلام باعتباره فرض الكفاية. غير أن الجهاد لم يقتضِ اعتناق الإسلام بالقوة - فقد ذكر القرآن الكريم على وجه الخصوص أن "لا إكراه في الدين". أما الجهاد الدفاعي فقد جعل إقدام كل مسلم على مقاومة أي اعتداء خارجي بمثابة فرض عين. وعلى وجه الخصوص، لم يتوقع الفقهاء أن يشنّ المسلمون حرباً لا متناهية في أي من الحالتين، وسمحوا بإبرام هدنات ومعاهدات سلام مع الأطراف الأخرى.

ووسط هزيمة الخلافة العباسية عام ١٢٥٨ على يد الحاكم المغولي هولاكو واعتناق نخبة المغول لاحقاً الديانة الإسلامية، تحوّل الجهاد إلى حدّ كبير إلى دعمٍ للتمرد على القادة الإسلاميين السوريين. وأكد أبرز علماء القرون الوسطى ابن تيمية أنه من المسموح التمرد على حاكم يعجز عن إنفاذ القانون الإسلامي، ليخلص إلى القول بأنّ الجهاد ضد المغول كان مباحاً باعتبارهم مسلمين سطحيين لم يحكموا وفق القانون الإسلامي. ويرى البعض أنّ

استنتاج ابن تيمية يشكّل انقساماً في وجهات النظر بشأن متى يُعتبر الجهاد مقبولاً - فاعتباراً من القرن الرابع عشر، وفيما واصل الإسلام السائد الترويج للإذعان للسلطة السياسية كوسيلة لمنع الفتنة ضمن الأمة الواحدة، عمد العلماء المنشقون إلى دعم الجهاد في وجه أي حاكم فاسد حتى ضمن دار الإسلام.

خلاصة القول، كان الجهاد في عصور ما قبل الحداثة، واستناداً إلى السياق، يشير إلى (أ) مسعى إلزامي للدفاع و/أو نشر دار الإسلام (ب) ميزة أساسية للتخلص من حكم فاسد (ج) وسائل ذاتية التنظيم للترويج لحرب فردية. ولم يُمسي هذا الجهاد المتعدد المعاني أكثر تشدداً سوى في القرن الماضي، بعد أن كان قد تطور في بادئ الأمر كركلاً على الحكومات الاستعمارية.

الجهاد في وجه الاستعمار

على خلفية الحركات الإسلامية الأولى المعادية للاستعمار، طور العالم الهندي-الباكستاني السنّي أبو العلاء المودودي (١٩٠٣-١٩٧٩) تعريف الجهاد إلى كونه حركة تحرير على امتداد العالم من أجل السماح بهيمنة الإسلام وتحقيق العدالة للجميع. وكتب المودودي:

الإسلام يتطلب الأرض ولا يقتنع بقطعة أو جزء منها، وإنما يتطلب ويستدعي المعمورة الأرضية كلها، ولا يتطلبها لتستولي عليها وتستبد بمنايع ثروتها أمة بعينها، بعدما تنتزع من أمة أو أمم شتى، بل يتطلبها الإسلام ويستدعيها ليستيفد الجنس البشري بأجمعه من الإيديولوجيا وبرنامج السعادة أو بالأحرى من "الإسلام" الذي يمثل برنامج سعادة بشرية جمعاء. ولهذه الغاية، يرغب الإسلام في تسخير كافة القوى التي يمكن أن تحقق ثورة ويتمثل مصطلح مركب لاستعمال كل هذه القوى في "الجهاد".

وعليه، يصبح الجهاد ثورة عالمية شاملة. كما أعاد المودودي تفسير عبارة الجاهلية كي تتناسب مع ثورته العالمية: وإذا كانت تُستخدم أساساً للإشارة إلى العرب ما قبل الإسلام، باتت تعبر عن أي زمان أو مكان لم تتحقق فيه الدولة الإسلامية. بعبارة أخرى، قسّم المودودي العبارة بين عالم إسلامي مقدّر إلهياً وعالم جاهل يجب السيطرة عليه من خلال الجهاد. ونتيجة لذلك، استلزم الجهاد بحسب المودودي اللجوء إلى كافة الوسائل والقوى الممكنة لإحداث ثورة عالمية شاملة تؤدي إلى تحقيق نظريته لعالم إسلامي.

وما يثير الاهتمام هو أن العالم المقدّر إلهياً الذي تحدث عنه المودودي يستثني الشيعة. ففي كتابه الردّة بين الأمس واليوم، وصفهم الكاتب بالكفرة، مشيراً إلى أئمة الشيعة الجعفرين الذين، "ورغم آرائهم المعتدلة (نسبةً إلى جماعات أخرى من الشيعة)، يغرقون في الكفر كما الكريات البيضاء في الدم أو كما السمك في الماء". وقد عوّل اثنان من قادة "الإخوان المسلمين" - هما حسن البنا وسيد قطب - على هذا التفسير للجهاد وتركيزه على بناء دولة إسلامية.

سيد قطب وإسلاموية "الإخوان المسلمين"

استشهد قطب بكل من المودودي وابن تيمية ليبرهن أن دولة جاهلية تسيطر على أي مجتمع مسلم يعيش في ظل حكام فاسدين. وبالتالي، يتوجب على المسلمين الصالحين فرض حاكمية الله على المجتمع. واعتبر قطب أن العالم الحديث بأكمله غارق في الجاهلية، قائلاً:

إذا نظرنا إلى مصادر وأسس أساليب الحياة المعاصرة، يتضح أن العالم بأسره غارق في الجاهلية وأن كل وسائل الراحة المادية المدهشة والاختراعات العالية المستوى المتوافرة لا تقلص من قدر هذا الجهل. فهذه الجاهلية تقوم على عصيان حاكمية الله على الأرض. كما تنقل إلى الإنسان إحدى أعظم سمات الله، وبخاصة الحاكمية، وتجعل بعض الرجال أسياداً على آخرين.

واستناداً إلى قطب، تتطلب هذه الجاهلية المعاصرة المعاملة نفسها التي استأصل النبي من خلالها الجاهلية الأصلية واستبدالها بدولة إسلامية. ويمثل هذا الجدل من منتصف القرن انحرفاً جذرياً عن نظرة القيادة التقليدية

القائمة منذ وقت طويل. وفي هذا الإطار، يُمسي القادة المسلمون كفاراً جراء افتقادهم إلى التقوى، ولا بدّ من طردهم من المجتمع. وقد أدان قطب هذه القيادة ورفض مطالبها سواء بالإسلام أو بالسلطة السياسية.

بعدها، زعم قطب أن الجهاد بموجب الظروف الحالية مشروعاً ومبرراً ضد القيادة. وفي كتاباته، لا سيما معالم في الطريق، أعاد قطب تفسير مفاهيم الإسلام التقليدية من أجل إباحة وتشريع الاستيلاء على الدول باللجوء إلى العنف. وبات مفهومه الفريد للجهاد مكوناً أساسياً كاملاً إيديولوجيته باعتباره المحفز لإعادة حاكمية الله على البشرية من خلال التحول السياسي. إشارة إلى إن هذا التعريف التوسعي للجهاد هو الذي أثر في الجماعات السنية اللاحقة الأكثر تطرفاً وأجج عدداً من المساعي الحديثة القائمة على الدين والرامية إلى إحداث تغيير سياسي.

على سبيل المثال، برّر قتلة الرئيس المصري أنور السادات الجهاد ضد الفساد و/أو القادة المسلمين السطحيين وضرورة إقامة دولة إسلامية في كتابهم الفريضة الغائبة. وحاول كاتبه محمد عبد السلام فرج أن يبرهن بأن العلماء المسلمين البارزين أهملوا الجهاد و"لا شك في أنه لا يمكن القضاء على طغاة هذا العالم إلا بقوة السيف". واستند فرج إلى كتابات ابن تيمية وابن خاطر، من بين مصادر أخرى، للتأكيد بأن الجهاد كعمل مسلح هو ركن الإسلام. كما أعلن أن الحكام الذين "لا يحكمون بما أنزله الله" هم كفار ومرتدون. ودعا المسلمين إلى بذل كل الجهود الممكنة لإقامة حكومة إسلامية وإعادة الخلافة ونشر دار الإسلام.

ووفق النهج التفكيري الذي وضعه المودودي وقطب وفرج، حوّل الإسلاميون السنة السياق والأنظمة التي تعيّن بموجبها تحقيق الجهاد، تفويض الجهاد - وهو مفهوم كان يرتبط سابقاً بالموجبات المجتمعية - إلى موجب فردي لكافة المسلمين. وتواجه هذه الآراء بشكل مباشر تركيز المفكرين الإسلاميين السائد حول الإدعان للسلطة السياسية، بغض النظر عن كيفية حكم الدولة، وحصر الجهاد كعمل عدائي فقط في حال الإعلان عنه في ظل ظروف محددة من قبل خليفة مسلم شرعي ومعتز به.

تركيز الجهاد في السلفية الجهادية

في حين واصلت التعريفات التقليدية للجهاد السيطرة على العديد من المسلمين، تطوّر التوسّع الجديد لدور الجهاد في الإسلام ضمن فضاءات مدرسة الإسلام السلفية المتشددة التي تسعى إلى إقامة دولة إسلامية مثالية من خلال العودة إلى المعتقدات والممارسات الأصلية للأجيال الأولى من المسلمين - "الأسلاف الصالحين". هذه الفصائل هي التي أثّرت في أسامة بن لادن وأيمن الظواهري. فقد حوّل بن لادن تركيز قطب على الهيكلية الاستعمارية إلى غضب على "غطرسة الولايات المتحدة الاستبدادية السافرة"، لا سيما إبان تدخلها في السعودية - ركيزة العالم الإسلامي. وقد وجّه بن لادن رسالته إلى المسلمين في العالم أجمع، ناشراً تفسيراته التي تطورت في شبه الجزيرة العربية إلى حركة صغيرة عديداً ولكن عالمية.

وعليه، طور بعض السلفيين عقيدة تركّز على أفضلية الجهاد. ويؤكد هؤلاء "الجهاديون السلفيون" أن وحده الجهاد في سبيل الله يمكنه أن يفضي إلى دولة إسلامية. في المقابل، تسعى السلفية الهدوئية إلى إقامة دولة إسلامية من خلال تعليم الأفراد وتلقينهم العقيدة الدينية، كما هي حال نموذج الوهابية في السعودية. ويعمل السلفيون الناشطون ضمن أنظمة سياسية قائمة لتقريبها من دولة إسلامية مثالية، على غرار النموذج الذي قدّمه اشتراك "الإخوان المسلمين" السابق في الانتخابات في مصر. وفي حين يسعى كل فصيل إلى تطبيق الإسلام على نطاقٍ أوسع وبلاستناد إلى آرائه الخاصة، وحدهم الجهاديون السلفيون يلجأون إلى نسخة عنيفة من الجهاد في مسعى لتحقيق هذه الغايات.

غير أن العنف سمح للجهادية السلفية بخلق نطاق رؤية كبيرة الحجم لنظرتهم للعالم دولياً. فتركيز "القاعدة" على الولايات المتحدة كان الهدف منه تحقيق غاية بحد ذاتها: ألا وهي تقليص الدعم الأمريكي لأنظمة "مرتدة" في الشرق الأوسط تحول دون إقامة الدولة الإسلامية المنشودة. وعليه، كَوّن تنظيم "القاعدة" بقيادة بن لادن و"الدولة الإسلامية" الذي يمثل أحد فروعها بشكل مثير وجهات نظر عامة في العالم الغربي حول معنى "الجهاد" وشكله. صحيح أن "الدولة الإسلامية" تتشارك "القاعدة" إيديولوجيتها، لكن التنظيم ركّز على هدف بديل قصير الأمد - إقامة حكومة إسلامية تعمل وفق مثاليات "الدولة الإسلامية". وكما هي الحال في كتاب الفريضة الغائبة لمحمد عبد السلام فرج، يروجّ التنظيم بشكل انتقائي لآيات مثيرة للجدل من القرآن الكريم واقتباسات من علماء تقليديين ومعاصرين بغية إضفاء الطابع الشرعي على حكمه. وتُظهر مراجعة ١٥ عدداً من مجلة دابق التابعة لتنظيم "الدولة الإسلامية" صدرت من حزيران/يونيو ٢٠١٤ ولغاية تموز/يوليو ٢٠١٦ وثيقة صلة أفكار ابن تيمية المستمرة في إنشاء فهم خاص للجهاد.

كما ركّزت منشورات "الدولة الإسلامية" على نشر مقاطع مثيرة للجدل من القرآن الكريم على حساب استبعاد أي مشاعر أخرى. ودائماً ما تستشهد مقالات دابق بسورة المائدة ٥، الآية ٥١، التي تقول: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين). وتنص سورة التوبة ٩، الآية ٥ على ما يأتي: (فإذا انسلك الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم). يبدو جلياً أن تنظيم "الدولة الإسلامية" لم يحاول تبرير أهمية دور الجهاد والتكفير فحسب، بل اعتمد أيضاً على هذين المفهومين من أجل تطوير إيديولوجيته وتحويلها إلى حركة نصر دينية. بعبارة أخرى، وجدت التفسيرات المتطرفة للجهاد والتكفير التي بدأت مع ابن تيمية في القرن الرابع عشر خواتيمها في إيديولوجية النصر التي أطلقها تنظيم "الدولة الإسلامية" والتي جرّدت "الآخر" من المسلمين وغير المسلمين من إنسانيته وحقّرتّه واتهمته بـ"الارتداد". واستناداً إلى هذه النظرة للعالم، بات "الآخر" هدفاً للقتل، لكن على المراقبين أن يدركوا أن هذا المفهوم هو فرع ديني مستقل عن العقيدة الإسلامية السائدة منذ القرن الرابع عشر.

لابدّ من الإشارة إلى أن معظم المؤسسات الدينية الإسلامية أدانت "الدولة الإسلامية" وترفض بشكل قاطع تفسير المنظمة للجهاد، متبينةً بدلا من ذلك مفهوم الجهاد الدفاعي. وبدورها، تستشهد هذه الشخصيات أيضاً بالقرآن الكريم، مسلّطة الضوء على تركيز القرآن على الطبيعة الدفاعية للجهاد - المثبتة بآيات على غرار الآية ١٩٠ في الفصل ٢: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين).

إلى ذلك، سمح الجهاديون السلفيون لامتعاضهم من "الآخر" - ويمكن تعريفه بأي شخص يعمل خارج التفسيرات السلفية الإطارية للإسلام والذي يُعتبر بالتالي "كافراً" - بأن يكون الدافع وراء إعلانهم الجهاد. ووفق هذه النظرة للعالم، تحوّل "الجهاد" إلى إيديولوجية نصر ديني موسّعة موجّهة نحو إبادة كل من لا يمثل لها. وما ساعد على انتشار هذه الإيديولوجية كان كل من قدرتها على "التستر" خلف حرمة المقدسات وتاريخ الإسلام الأصلي وكذلك عدم فهم العديد من أبناء الغرب الفوارق الدقيقة الكامنة خلف السلفية الجهادية التي تجعلها خطيرة للغاية.

ونتيجة لذلك، وفي حين أنه يسهل للجهات الخارجية تشريع الخلط الذي يطبقه الجهاديون السلفيون بين الجهاد والإرهاب، إلا أن معناه ليس محدداً. فالجهاد مفهوم طبع يحمل العديد من المعاني المحتملة. مع ذلك، فإن لكل من المفاهيم السنيّة والشيعة المتطرفة للجهاد تأثير هائل على الغرب. ففي حين أن النسخة السنيّة هي عبارة عن إيديولوجية نصر دينية غير قادرة على التعايش مع قيم أو مجتمعات الغرب، تلهم النسخة الشيعية أنظمة معادية للغرب بدورها.

تحديد سياق الجهاد والتكفير في إطار المفهوم الشيعي

معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى: ٢٠١٨/٩/٢

روبرت رابيل*: إن الفوارق في الاختلاف الفقهي بين المفهومين السنّي والشيعي للجهاد حدّدها بشكلٍ من الأشكال تاريخ المجتمع الشيعي ومقاربة علماء الدين الشيعة للسياسة. رغم أن المفهوم الشيعي للجهاد يتماشى غالباً مع المفهوم السنّي، حدّد التاريخ المختلف للمجتمع الشيعي كيفية تطوّر الجهاد وتطبيقاته. فيشتقّ المصطلح "شيعي" من الكلمة العربية "شيعة" ("حزب سياسي") وجاء ليرمز إلى أتباع علي، ابن عم النبي محمد ونسيبه. فعندما قتل الخليفة علي في سنة ٦٦١، سلط موته الضوء على الظلم الكبير المرتكب بحق الرجل الأول الذي اعتنق الإسلام وصاحب الصفات الاستثنائية التي تُشبه صفات النبي محمد والتي توحى بالحفاظ على إرثه، وهو ما اختلف بعده أشكال رئيسية عن الرواية السائدة (لدى السنّة). أمّا الحدث الثاني الذي شكّل أكثر من غيره الإيديولوجيا الشيعية والتقليد الشيعي، فكان استشهاد الحسين ابن علي في سنة ٦٨٠ على يد الخليفة الأموي يزيد في كربلاء بعد أن اعترض الإمام الحسين على تعيين الخليفة الأموي معاوية لابنه يزيد خلفاً له، مستبعداً مطالبة الحسين بالخلافة.

استشهاد الحسين

أنشأت مجزرة الإمام الحسين وأفراد أسرته ومناصريه بعداً أسطورياً وإيديولوجياً واجتماعياً-سياسياً في الإسلام الشيعة، حيث أصبح هذا الاستشهاد محورياً بالنسبة إلى هوية الشيعة وتقليدهم ولاهوتهم. فكان الإمام الحسين مثلاً لمعارضة الاستبداد والاضطهاد والكفاح ضد المظالم المزمنة في العالم. ولا يقلّ أهميّة عن ذلك في الوعي الجماعي الشيعي القيام بإذلال جسد حفيد النبي وتدنيسه. ولأكثر من ألف عام، وحتى مجيء آية الله الخميني، مال العلماء الشيعة إلى التهرب من السياسة - معتبرين الخلفاء السنة كمغتصبين للسلطة - وإلى الدفاع عن الهدوءية السياسية، لاسيما باعتبار أن الشيعة هم أقلية خالدة في الفكر الإسلامي.

إلا أن مثال الإمام الحسين ومن ثمّ مقتل أحفاد النبي محمد على يد الخلفاء السنّة هو ما شكّل بشكلٍ أساسي المفهوم الشيعي للجهاد. فبحسب طائفة الشيعة الاثني عشرية الأكبر، كان اثنا عشر إماماً - من سلالة النبي - الحكّام الشرعيين للأمة الإسلامية بأكملها. لكنّه تمّ قتل أحد عشر إماماً ولم ينحّ سوى الإمام الثاني عشر الذي أخفاه الله في سنة ٨٧٤. وأنقذ الإمام الثاني عشر حتى يعود في النهاية بصفة المهدي و"يملا الأرض قسطاً وعدلاً" مع يسوع.

المفاهيم المتبدّلة للقيادة

خلفاً للعقيدة السنّة، تعتقد المجتمعات الشيعية بشكلٍ أساسي بعصمة الأئمة وبقيادة الإمامة للأمة. لكن في ظلّ غيبة الإمام الثاني عشر، استلم المجتهدون قيادة الأمة، وهم علماء مطلعون في الإسلام، بمثابة وكلاء إلى حين عودة المهدي. فترك هذا الانتقال للسلطة من القيادة المعصومة إلى القيادة غير المعصومة مجالاً للنزاع، لا سيّما من ناحية متى يجب إعلان الجهاد وإذا ما يجب إعلانه.

في النهاية، برزت مدرستان للفقهاء الشيعي عالجتا الدور الروحي والاجتماعي-السياسي للعلماء في ظلّ غياب الإمام المخفي. فاعتبرت المدرسة الإخبارية بشكلٍ عام، على غرار الإسلام السنّة، أن القرآن وأقوال النبي والأئمة (الأخبار) كافية لتوجيه المؤمنين من دون استخدام الاجتهاد - وهو إصدار حكم وتفسير المخطوطات المقدّسة بشكلٍ علمي مستقل. والمهم هو أن المدرسة الإخبارية رفضت شرعية الجهاد في خلال غيبة الإمام.

في المقابل، اعتبرت المدرسة الأصولية أن المؤمنين طلبوا من المجتهدين الشروع بالاجتهاد لمواصلة توجيه الأمة. وبحسب هذه النظرة، على كل مؤمن أن يتبع أحد المجتهدين، فيكون هذا المجتهد بمثابة مرجع تقليد: أي نموذج يُحتذى به ويمكن اتّباعه. وأصبح كبار المجتهدين يُدعَوْنَ آية الله (علامة من الله)، ما تطوّر إلى مفهوم مرجع تقليدٍ واحدٍ يخضع له كل الباقيين. وبالتالي، تولّى كبار المجتهدين الواجبات الدنيوية التي كانت تُعتَبَر سابقاً من صلاحيات الأئمة المعصومين. فباستطاعة المجتهدين الآن، من جملة أمورٍ أخرى، أن يعلنوا الجهاد (الحرب المقدّسة)، وأن يُصدروا أحكاماً قانونية ملزمة عبر تطبيق أحكام المنطق على المصادر الإسلامية الموجودة.

انتصر نموذج المدرسة الأصولية على نموذج المدرسة الإخبارية، وأتت النهاية المنطقية لأهلية كبار المجتهدين، كوكلاء الإمام الثاني عشر، في فكرة ولاية الفقيه الخاصة بآية الله الخميني (حكم الفقيه العادل/وصاية الفقيه). ومن المهم الذكر أنه، وخلافاً للفقهاء السنة الذين تطلّعوا إلى إعادة بناء السلطة المسلمة، رأى معظم المجتهدين وما زالوا يرون أن الجهاد التوسّعي أو الهجوم ليس شرعياً في ظل غياب الإمام المخفي. وفي المقابل، يعتقد معظم المجتهدين على غرار الفقهاء السنة أن الجهاد الدفاعي ضد الاعتداء الأجنبي على الأمة إلزامي.

الخميني وتوسّع الجهاد

خلافًا لتطوّر الجهاد بشكل موسّع لدى بعض المنظرين السنة في خلال العصر الحديث، بقي المفهوم الشيعي للجهاد كمفهوم يُمارَس غير محسوم نوعاً ما حتى نهاية السبعينات (بقي الإجماع غائباً، إلا أن الخميني طور المفهوم أكثر فاكثراً). ففي خلال تلك الحقبة، أعطى الخميني مجموعة من المحاضرات في مدينة النجف في العراق، وشدد على مبادئ ولاية الفقيه، وهو مفهوم ثوريّ شكل في النهاية الدافع الإيديولوجي للثورة الإيرانية وتبناه الكثير من كبار الفقهاء الشيعة الآخرين أيضاً. نشأت هذه المبادئ من نظرة الخميني إلى العالم على أنه منقسم بين الظالمين والمظلومين، فضلاً عن اعتقاده بأن النضال في سبيل إنقاذ المظلومين وتحريرهم من قبضة الظالمين هو واجب ديني. وأكد على ضرورة إنشاء حكومة إسلامية لتطبيق تعاليم الإسلام وتوفير العدالة وتوحيد الأمة التي تفككت بسبب الاقتتال الداخلي والتأثير والاعتداء الخارجي. وحدّد الحكومة الإسلامية المثالية على أنها نوع خاص من الحكومة الدستورية مترسّخ في القوانين الإسلامية ومنوط بالفقيه الأكثر كفاءة، وهو نموذج سيحدد شكل النظام الحكومي لجمهورية إيران الإسلامية. فسوّج الخميني قائلاً:

أعطى الله عزّ وجلّ الصفة المطلوبة لممارسة الحكم إلى عدد كبير من علماء الدين منذ بداية الإسلام حتى قدوم إمام العصر. وهذه الصفة هي المعرفة المتعلقة بالقانون والعدالة. ويتمتع عدد كبير من علمائنا العصريين (الفقهاء) بهذه الصفة وعليهم أن يشبكوا الأيدي. فسيكون باستطاعتهم إنشاء حكومة عادلة في العالم.

بناءً على ذلك، رأى الخميني أن الثورة ضد الأنظمة الاستبدادية لإنشاء حكومة إسلامية هي السبيل الوحيد الصحيح، وذكر تقاليد الماضي لربط الجهاد بوصاية الفقيه وبتبنيه القرآن في ما يخص فرض الخير ومنع الشر. وشدد الخميني على أن "الخطوة الأولى هي مبدأ حكم الفقيه، والثانية هي أن يقوم الفقهاء، من خلال الجهاد والتمتع بالخير ومنع الشر، بفضح الحكام المستبدّين والإطاحة بهم وتحريك الناس حتّى تتمكن الحركة العالمية المؤلفة من المسلمين اليقظين من إنشاء حكومة إسلامية مكان الأنظمة الاستبدادية". كما شدّد على أنه من خلال تثقيف الناس حول الإسلام "سيصبح كافة السكان من المجتهدين".

تشكّل هذه الصورة الجديدة للجهاد التي تُظهره كأداة لمكافحة الأنظمة الاستبدادية وجهة نظر مشابهة لوجهة نظر الفقهاء السنة. ففي الواقع، حتّى آية الله مرتضى مطهري - وهو منظر إيديولوجي أساسي في الثورة الإيرانية رَفَضَ الجهاد الهجومي - أجاز مع ذلك الجهاد ضد مجموعة استبدادية ترتكب المظالم ضد شعب مضطهد. ودافع بشكل خاص عن إمكانية قبول الجهاد عندما يتمتع المسلمون بالسلطة لمساعدة مجموعة تُنتهك حقوقها على يد مجموعة أخرى.

جهاد الخميني كمفهوم مطبّق

اقتترنت فكرة الجهاد هذه ضد الاستبداد والظلم، وهي قائمة على تقليد استشهاد الإمام الحسين، بتطوّر الجهاد كحركات مقاومة. فقوى تحوّل الشيعة من المظالم المنتشرة في الماضي والحاضر هذا الإحساس بالحاجة إلى المقاومة الناشطة، وهي وجهة نظر تحوّلت إلى المبادئ التوجيهية لمنظمات مثل "حزب الله". فقد أيد آية الله محمد حسين فضل الله، الذي يُعتبر المرشد الروحي الراحل لـ "حزب الله"، الجهاد ضد الاحتلال على أنه حركة دفاعية. إلى ذلك، رغم الإشارة إلى الفرق اللغوي بين "الانتحار" و"بذل الذات"، سمح فضل الله بعمليات الانتحار كشكل من المقاومة العسكرية وبلاستشهاد على مثال الإمام الحسين. فشرح فضل الله قائلاً:

إن قتل النفس هو مثل قتل أي كائن بشري آخر فهو يتطلّب إذنًا. يحتاج المرء إلى إذن من الله لقتل نفسه أو لقتل الآخرين... وقاتل النفس أو الآخرين أمر حرام مبدئياً (يمنعه الدين) لكن في خلال الجهاد (الحرب المقدسة أو النضال المقدس في سبيل الإسلام)، الذي يشكل حرباً دفاعية أو وقائية بحسب الإسلام، يصبح القتل مقبولاً ومسموحاً، إذ يُعتبر الجهاد حالة استثنائية.

حدّد هذا الخطاب الجهاد والمقاومة على أنهما وجهان مختلفان للعملة نفسها، مطوّراً فكرة الجهاد إلى حركة مقاومة اجتماعية-سياسية شاملة. ففي الكتاب الذي يحمل عنوان حزب الله: المنهج، التجربة، المستقبل والذي صدر في سنة ٢٠٠٩، حدّد نائب الأمين العام لـ "حزب الله" نعيم قاسم هذه المجموعة على أنها "حركة جهادية هدفها بالدرجة الأولى جهاد العدو الصهيوني"، وتطرّق بشكل موسّع إلى نموذج المقاومة الخاص بـ "حزب الله" قائلاً: المقاومة بالنسبة لحزب الله، هي رؤية مجتمعية بكل أبعادها، فهي مقاومة عسكرية وثقافية وسياسية وإعلامية، هي مقاومة الشعب والمجاهدين، ومقاومة الحاكم والأمة، ومقاومة الضمير الحر في أي موقع كان. إن النظرة الشاملة لقيادة "حزب الله" في ما يخص المقاومة عزّزت المنطقة الرمادية الإيديولوجية التي طوّرها الفقهاء الشيعة العصريون بين الجهاد الدفاعي ونموذج مقاومة الاضطهاد الذي يمكن تصنيفه في حالات أخرى بمثابة جهاد هجومي. فمن وجهة النظر المؤاتية الغربية، شكل الجهاد الذي يظهر على شكل مقاومة، إنما الذي يحدث خارج حدود لبنان، أعمالاً إرهابية.

النموذج البديل للجهاد في الفقه الشيعي

خلافًا لتعاريف الجهاد الموسّعة مؤخراً التي طوّرها بعض الفقهاء الشيعة، بقي معظم الفقهاء حذرين من توجيه تهمة التكفير من دون الامتثال للفقه الإسلامي. وقد وضع إطار هذا الحذر آية الله علي الحسيني السيستاني، الفقيه الأكبر في العراق ومرجع التقليد، الذي حدد الكافر على أنه شخص ملحد أو غير مسلم أو مسلم أنكر الوحي. كما حافظ السيستاني على تعريف محصور جداً للجهاد، وحصر الإعلان القانوني عن الجهاد بالإمام المعصوم أو نائبه الخاص.

على نطاق شامل، تتعدد معاني مفهوم الجهاد بالنسبة إلى كل من الشيعة والسنة. ويكمن أحد الاختلافات النظرية الأساسية بين المفهومين في الاعتقاد الشيعي بأن الجهاد الهجومي لا يمكن تنفيذه في خلال غيبة الإمام المخفي، مع أن الجهاد الدفاعي لمساعدة المظلومين ما وراء حدود المجتمع المسلم المعني يمكن أن يحصل إذا تماشى مع الحكم القانوني للمجتهد. والجدير بالملاحظة هو أن إيديولوجيا السلفية الجهادية تحدد مفهوم الجهاد بشكل مماثل على أنه يجري دفاعاً عن الإسلام، لكنّ المفهوم الشيعي للجهاد لا يأخذ في الاعتبار هدف السلفية الجهادية المتمثل في إعادة تشكيل السلطة السياسية المسلمة، ولو في حالة الاضطهاد.

الأهم من ذلك هو أن إعلانات الجهاد والتكفير منظمة أكثر ضمن المجتمع الشيعي بما أنها تقتصر على مرجع التقليد، فيما طبق المنظرون الإيديولوجيون من السلفية الجهادية وجهات نظرهم الخاصة عن "الآخر" على إعلانات الجهاد والتكفير، لا سيما الآخر الغربي ككافر مجرد من الصفات الإنسانية، فاعتبروه بالتالي هدفاً شرعياً يمكن قتله. فلم يشعر تنظيمي "القاعدة" و"الدولة الإسلامية" بتبكيك الضمير حيال ذبح الكفار في العالم المسلم والعالم الغربي. وخلافًا للمجموعات السنية المتطرّفة مثل "القاعدة" و"الدولة الإسلامية"، تحوّل مفهوم الجهاد الشيعي أكثر إلى حركة دينية جيوسياسية تؤثر في السياسة الخارجية الأمريكية، كما يعبر عنه كلٌّ من إيديولوجيا الخميني و"حزب الله".

من المهم فهم أن هذه الصورة للجهاد الشيعي، إلى جانب أشكال السلفية الجهادية السنية التي نشرها مؤخراً تنظيم "الدولة الإسلامية"، هي تشويهاً لتعاليم الإسلام السائدة ولا تمثلها كما يُزعم أحياناً. فبالنسبة إلى معظم المسلمين، سواء من السنة أو من الشيعة، يعني الجهاد "الأصغر" بشكل لا لبس فيه الدعوة إلى الحرب الدفاعية عندما يتعرّض المرء للهجوم المباشر، فيما يبقى الجهاد "الأكبر" كفاعلاً مع الذات من أجل العيش بشكل أخلاقي وفاضل. فيتجاوز كلٌّ من هذين المفهومين المجتمع المسلم، ويُعترف بهما على نطاق واسع على أنهما معقولان وعادلان.

من خلال تأريخ التعاريف المتطرّفة للجهاد ورفض تشريع ادّعاءات المتطرّفين بأنهم يوفّرون تفسيراً غير تاريخي و"صحيحاً" عن الجهاد والتكفير، يمكن أن يساعد المسؤولون الأمريكيون في تقليص التأثير المتضخم الذي أحدثته المجموعات المتطرّفة في بعض أساليب الفهم الغربية للمفاهيم الإسلامية، وتقليص الجاذبية الإيديولوجية التي يمارسها التطرف على أولئك الضالين والباحثين عن تفسيرات حقيقية للإسلام. فيستفيد كلٌّ من المسلمين وغير المسلمين ما إن يتّضح للجميع أن تعاريف المتطرّفين للجهاد والتكفير هي تغييرات هامشية لمصطلحين طالما كانا محدّدين مسبقاً على أسس سليمة ضمن الإطار السائد في الإسلام.

*روبرت رايبيل: باحث مساعد بمعهد واشنطن

السلام ينتعش الاقتصاد والتبادل التجاري

تقرير لـ توني بلير يكشف عما يحمله المستقبل لمنطقة الشرق الأوسط

مجلة (المجلة) اللندنية: ٢٠١٨/٩/٢

يعرض تقرير لرئيس وزراء بريطانيا الأسبق توني بلير نظرة عامة للتنمية التجارية طويلة الأجل بين إسرائيل والعرب الذين تقيم معهم بالفعل اتفاق سلام، وهم: السلطة الفلسطينية والأردن ومصر.

يقول التقرير « في حين تتسم التجارة بين إسرائيل والأسواق الشرق أوسطية بضخامة الحجم، فإن هناك إمكانيات كبيرة لم تتم الاستفادة منها في مجال التعاون التجاري والاقتصادي بين إسرائيل والعرب». ويلقي التقرير الضوء على كيفية مساعدة اتفاقيات السلام على التنمية الاقتصادية، ليس من خلال فتح طرق تجارية جديدة فحسب، بل نظراً لأن أطرافها حققوا أرباحاً كبيرة من الاتفاقيات، حيث إن الأموال التي كانت ستُنفق على الدفاع يمكن استثمارها في مجالات أخرى. وسمحت اتفاقيات السلام مع إسرائيل لكل من الأردن ومصر بالحصول على قدر كبير من المساعدات الدولية، بالإضافة إلى ترتيبات تجارية ذات أفضلية مع الولايات المتحدة. ويلقي التقرير نظرة على ما يمكن أن يعنيه التعاون لهذه المنطقة في كل من التكنولوجيا والثقافة والتجارة، بالإضافة إلى فرص أخرى للتنمية الاقتصادية.

في حين تقيم إسرائيل والسلطة الفلسطينية صلات تجارية، يلقي التقرير مزيداً من الضوء على الاعتماد المتزايد للاقتصاد الفلسطيني على إسرائيل في الأعوام الأخيرة. في عام ٢٠١٦. كانت إسرائيل مصدراً لنحو ٦٠ في المائة من السلع الفلسطينية الواردة المسجلة. وإذا وضعنا في الاعتبار التجارة غير المسجلة، ترتفع نسبة إسرائيل إلى ثلثي السلع الواردة وأكثر من ٩٠ في المائة من السلع الصادرة. علاوة على ذلك، ارتفع عدد العمال الفلسطينيين العاملين في إسرائيل بنسبة كبيرة: من ٤٠ ألف عامل في عام ٢٠٠٢ إلى ١٣٠ ألف عامل في ٢٠١٦. من أجل دعم دولة مستقبلية مستقلة وقابلة للاستمرار اقتصادياً، يجب أن يُسمح للاقتصاد الفلسطيني بالنمو والتطور بعيداً عن إسرائيل. وأضاف التقرير «من دون الوصول إلى اتفاق الوضع النهائي مع الفلسطينيين، سوف يظل مجموع التكاليف المتعلقة بالأمن في إسرائيل على مستوى عالٍ نسبياً يقترب من ١٥ في المائة من الناتج المحلي الإجمالي. قد يُخفف حل النزاع الفلسطيني هذه التكاليف بنسبة قد تصل إلى النصف. كما أن التكلفة الاقتصادية التي يتحملها الفلسطينيون بسبب استمرار الصراع مع إسرائيل هائلة، ونحن الآن في نهاية ثلاثة عقود ضائعة من النمو الاقتصادي منذ اندلاع الانتفاضة الأولى».

وأشار التقرير أن التجارة في منطقة الشرق الأوسط تشهد نمواً، ولكن من أجل الوصول الفعلي إلى الفرص الكبرى التي تقدمها هذه الأسواق، سوف تحتاج إلى نهج إقليمي لعملية السلام“ نهج يضع القضية الفلسطينية على طريق الحل. ووفقاً للتقرير توجد إمكانيات هائلة إذا أمكن رفع القيود السياسية على الصادرات إلى الأسواق العربية، حيث تمر هذه المنطقة بمرحلة انتقالية كبرى، يجب أن يكون فيها الهدف النهائي هو اقتصادات مفتوحة خاضعة للقواعد، وتسامح ديني. وفي هذا الإطار الإقليمي الواسع، يجب أن تسمح الإمكانيات ونقاط القوة الاقتصادية التي تملكها إسرائيل لها بإداء دور محوري أكبر كثيراً في التعاون الاقتصادي الإقليمي. وإذا أمكن إزالة الحواجز السياسية، سوف يكون إسهام إسرائيل في الشرق الأوسط بالغ الأهمية، مما يقدم حلاً قابلاً للاستمرار لبعض من أهم التحديات التي تواجه المنطقة، ومنها ما يتعلق بمجالات المياه والطاقة والتنمية الصناعية المستدامة. ولكن من أجل المضي قدماً لتحقيق ذلك، يجب معالجة القضية الفلسطينية. ما نحتاج إليه هو الاستفادة من الديناميات الإقليمية المتغيرة لتقديم حل الدولتين. ويمكن أن يبني الاقتصاد والتجارة تكتلات، أو يكونا ركيزة للمساعدة على تنفيذ العملية.

بيد أن كل المذكور آنفاً لا يعني أن الاقتصاد يمكن أن يحل محل السياسة“ فمن دون حدوث تقدم سياسي، يصبح أي تقدم اقتصادي دائماً عرضة لخطورة التراجع. أحياناً ما يتم التشكيك في قضية حل الدولتين اليوم. ولكنها تظل الاحتمال الواقعي الوحيد لتحقيق سلام دائم. وتوضح مبادرة السلام العربية الالتزام الإقليمي بالسلام. وعلى الرغم من الجمود الراهن، تعلم القيادات الإسرائيلية والفلسطينية على وجه التقريب ما يبدو عليه حل الوضع النهائي وكيف يمكن تحقيقه في إطار سياسي أكثر إنتاجاً. وفي ظل تردّي الوضع في غزة بوجه خاص، يجب بذل كل جهد ممكن لوضع عملية السلام في مسارها الصحيح مرة أخرى. وإن لم يحدث، فلن تتحقق الفرص المذكورة هنا.

*رئيس الوزراء البريطاني الأسبق ورئيس مجلس إدارة معهد توني بلير

"ترامب" و"أردوغان" .. والنظام العالمي الجديد

*نيكولاس دانفورت

صحيفة (نيويورك تايمز) : ٢٠١٨/٩/٢

إن الأزمة الحالية بين أنقرة وواشنطن حول مصير القس الأمريكي المسجون أندرو برونسون، هي ذروة نزاع طال أمده حول طبيعة العلاقة الأساسية بين الولايات المتحدة وتركيا. يرغب الطرفان في استمرار العلاقة، ولكن لديهم توقعات متضاربة حول من ينبغي أن يستمر على شروطه. تسعى "واشنطن"، بعد سنوات من الإحباط، إلى فرض بعض القواعد الأساسية للتحالف من خلال التأكيد للرئيس التركي رجب طيب أردوغان، أنه سيدفع ثمناً لاعتقال الأمريكيين الأبرياء، وشراء الأسلحة الروسية وتجاهل عقوبات الولايات المتحدة ضد إيران.

تسعى "أنقرة" إلى تحدي ميزان القوى "غير المتماثل" داخل الحلف، وتصرعى أن "واشنطن" لن تستطيع بعد الآن إملاء علاقات تركيا الاقتصادية مع جيرانها، وتتجاهل مخاوفها الاستراتيجية بشأن المقاتلين الكرد في سوريا أو تعرض الحكومة التركية للفساد وانتهاكات حقوق الإنسان. تفترض كل من الولايات المتحدة وتركيا أنهما لا غنى عنهما للآخر ويتوقعان في النهاية أن يتصالحا، وما سيحدث بعد ذلك سيكون اختباراً لمدى تغير العالم ومكان كل بلد فيه.

منذ نشأتها في بداية الحرب الباردة، لم تكن العلاقة بين الولايات المتحدة -القوة العظمى العالمية- وتركيا، وهي دولة نامية تسعى للحصول على الدعم ضد الاتحاد السوفييتي، لم تكن واحدة من الأنداد. ومع ذلك، لم يكن تحالف (تركيا) مع (واشنطن) غير متساوٍ كما يظن الكثيرون في أنقرة الآن. على سبيل المثال، ولدت الجهود الأمريكية لمنع أو معاقبة تدخل تركيا في قبرص غضباً كبيراً، ولكن تركيا ما زالت تتدخل والتحالف يتحمل.

اليوم، ومع خروج الاتحاد السوفييتي وتصاعد معاداة الولايات المتحدة في تركيا، أصبحت الخلافات الاستراتيجية المماثلة أكثر صعوبة للتعامل معها. ليس من المستغرب أن يرى كلا الطرفين نفسيهما كحليف متضرر. وبعد أن فرض البيت الأبيض تعريفات جمركية على تركيا لتأمين إطلاق سراح (برونسون)، أعلن وزير الخارجية التركي أن هذه "التهديدات والاستفزاز" لن تؤدي إلا إلى الإضرار بحلف "النااتو". وقد صرح البيت الأبيض فيما بعد بأن "الحليف الحقيقي للنااتو لم يكن ليقوم باعتقال (برونسون) في المقام الأول".

لن يكون لنتيجة هذا المأزق علاقة كبيرة بمن لديه أفضل حال، فرفضه التراجع وإطلاق سراح (برونسون)، أثبت "أردوغان" استعداداه لمواجهة كارثة اقتصادية، لتأكيد رؤيته للاستقلال التركي. هذه الرغبة لا تعكس فقط تبجحاً قومياً، بل أيضاً افتراضاً حول التحول السريع لعالم متعدد الأقطاب. يراهن (أردوغان) على إيجاد مكان في نظام عالمي جديد لما بعد أمريكا. ويبدو أنه يراهن على أن "واشنطن" أثبتت فعاليتها في إبعاد حلفائها عن حلفها، وأن النظام العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة ينهار قبل الاقتصاد التركي.

بعد الدعوة إلى زيادة التعاون بين البلدان التي تستهدفها تعريفات الرئيس (ترامب) وعقوبات إيران المتجددة، سارعت "أنقرة" إلى الإعلان عن ردود الفعل الإيجابية من العواصم الغربية وغير الغربية على حد سواء. على المستوى الخطابي على الأقل، كان القادة الأوروبيون متعاطفين. وقد وعد الرئيس الفرنسي (إيمانويل ماكرون)، مؤخراً، بتعزيز العلاقات التجارية مع تركيا. وأعلن وزير خارجية ألمانيا أنه على أوروبا أن ترد على التدابير الاقتصادية للرئيس (ترامب)، ربما من خلال تطوير بديلها الخاص لنظام (سويفت). ليس من المستغرب أن روسيا سرعان ما وقفت إلى جانب "أنقرة"، مؤكدة رغبتها في إجراء معاملات مستقبلية بالعملة الوطنية. وتأكيداً على هذا، حصلت أنقرة على حزمة قرض بقيمة ٣,٦ مليار من البنك الصناعي والتجاري الصيني، بالإضافة إلى تعهد من حكومة قطر باستثمار ١٥ مليار في تركيا خلال السنوات القادمة.

لكن هناك حدود لمصادر الدعم البديلة هذه، ناهيك عن الظروف والعواقب الجديدة التي تأتي معها. على سبيل المثال، إذا أصبح حجم أزمة تركيا أكبر من أن تحتويها الأموال من الصين وقطر، فقد تمنع واشنطن المؤسسات المالية الدولية من التدخل. في الواقع، إن مشروع قانون أمام مجلس الشيوخ يجعل هذا إلزامياً. يمكن للقادة الأوروبيين، الذين يبدو أنهم أكثر قلقاً بشأن تصاعد أزمة تركيا المزعزعة للاستقرار، تقديم خطة إنقاذ بدلا من ذلك. لكن لديهم قضايا خاصة بهم مع السيد (أردوغان)، كما يفعل العديد من ناخبهم. وإدارة تداعيات سجن (برونسون)، مسبقاً، أجبر السيد (أردوغان) بالفعل على إطلاق سراح صحفي ألماني مسجون وجنديان يونانيان.

تستلزم روسيا تكريس المزيد من التضحيات وبدعم من "موسكو"، ويستعد الرئيس السوري بشار الأسد لاستعادة الأجزاء الأخيرة من الأراضي السورية التي يحتلها المتمردون الداعمين من تركيا، حيث يرسلون موجة من اللاجئين والمقاتلين الأجانب إلى تركيا. إن "أنقرة" وحدها لا تملك إلا القليل من النفوذ لمنع أو تخفيف هذا التطور الخطير.

حتى لو تم إطلاق سراح (برونسون) في نهاية المطاف، فإن الولايات المتحدة وتركيا ستستمران في مواجهة بعضهما البعض حول شروط علاقتهما. ويكاد يكون من المؤكد أن "أنقرة" ستكتشف التكلفة المرتفعة للسعي نحو سياسة أكثر استقلالية أو عدائية تجاه "واشنطن". وستكتشف "واشنطن" التكلفة الباهظة التي ترغب "أنقرة" في تحملها.

الخطر هو أنه عندما يحدث ذلك، فإن البيت الأبيض سيلجأ إلى اتخاذ خطوات صارمة ومزعزعة للاستقرار في ممارسة المزيد من الضغط على تركيا، ثم السعي إلى تسليح الحلفاء بقوة في اللعبة. وبقيامها بذلك، ستزيد "واشنطن" من إبعاد الشركاء الذين تحتاجهم لتطبيق ضغوط فعالة على المدى الطويل. إن اتباع نهج متسق ومُحَسَّن يبقي العالم إلى جانب "واشنطن"، من المرجح أن يحافظ على الظروف العالمية التي قد تعترف "أنقرة" في نهاية المطاف بمزايا العلاقة الأكثر تعاوناً مع الولايات المتحدة.

* نيك دانفورت هو محلل سياسي بارز لبرنامج الأمن القومي في مركز سياسة الحزبين الأمريكي. (Bipartistan)
(Policy Center) - ترجمة: هندرين علي / المركز الكردي للدراسات

متى يمكن الحديث عن نظامٍ عربيٍّ جديدٍ؟

*رضوان السيد

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية : ٢٠١٨/٩/٢

سؤال العنوان ليس من وضعي، بل هو سؤال الكاتب السياسي الأمريكي المعروف Marc Lynch في العدد الأخير من مجلة «الشؤون الخارجية الأمريكية» (سبتمبر «أيلول» – أكتوبر «تشرين الأول» ٢٠١٨). ولا يحسنّ القارئ أن الكاتب حاول الإجابة عن السؤال الذي وضعه، بل انصرف إلى المقارنة بين الوضع العربي في زمن عبد الناصر والملك فيصل (زمن الحرب الباردة العربية بحسب تعبير أو عنوان كتاب مالكولم كير)، وزمن صعود سوريا والعراق ومصر بعد وفاة الرجلين.

وبالطبع فإنّ الفقرة الأولى من المقال انشغلت بفشل الربيع العربي، أما بين الفترتين أو العهدين (أي بين ١٩٧٥ و٢٠١١)، فقد انشغل الكاتب بتتبع مصائر الدول العربية الثلاث التي أرادت وراثة تركة جمال عبد الناصر. خرجت مصر من المعادلة أولاً بالمصالحة مع إسرائيل ثم بالانكفاء إلى الداخل. ثم خرج العراق بعد حربين شنهما على إيران والكويت وجاءه الحصار الأمريكي فاحتلال الأمريكي، فالتقاسم الإيراني الأمريكي للبلاد. أما سوريا فتحطمت بالصراع بين النظام وشعبه من جهة، والاستعانة بإيران وروسيا على شعبه بالذات، والذي سقط منه نصف مليون قتيل مدني، وتهجير ١٠ ملايين بين الداخل والخارج. وفي ليبيا تغلب المسلحون على الدستوريين بعد عامين من مسار معقول.

وينتهي الكاتب الأمريكي إلى أنه لا يمكن الحديث عن نظام عربي الآن وفي المستقبل القريب، لأنّ الطرفين الدوليين الكبيرين الأمريكي والروسي يستوليان على القرار الاستراتيجي في عددٍ من الأنحاء، ولأنّ إيران تتحكم في مصائر عدة بلدانٍ توشك أن تصبح دولا فاشلة مثل لبنان والعراق وسوريا.

ولننظر إلى المفارقة بشأن الدول العربية الفاشلة، فلبنان لا يستطيع تأمين الكهرباء لشعبه، وإلى وقت قريب كان يشتري الكهرباء من سوريا، وهو الآن يعتمد على المولدات والبواخر التركية الراسية أمام شواطئه! وقبل أيام تواردت أنباء عن انتشار الكوليرا بالجزائر، وافتقار البصرة إلى مياه الشرب والري وهي المدينة العراقية العريقة الواقعة على بحر شط العرب، وفيها القسم الأكبر من آبار النفط، شأنها في ذلك شأن الجزائر!

هل نتابع تعداد مصائب وترديات هذا الاضطراب الشامل؟ لو كان ذلك مفيدا في فهم «تحولات» وإخفاقات النظام العربي، لكانت المتابعة مسوغة. لكننا نعلم جميعا أنّ وقائع الاضطراب والفشل في بُنى الدول الوطنية العربية معروفة وواضحة منذ قرابة العقد من الزمان، وما توقعه سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي الراحل من حالة الاضطراب، بل تحدث في مؤتمر القمة العربية (٢٠١٠) بسرت الليبية الخربة الآن عن حالة «الخواء الاستراتيجي» التي ستجلب التدخلات الإقليمية ومن ورائها التدخلات الدولية. الفيصل لاحظ وقتها الانقسام الفلسطيني بين رام الله وغزة، والنفوذ الإيراني في غزة، كما لاحظ التغلغل الإيراني في لبنان والعراق. وكان الحديث شائعا وقتها عن الانسحاب الأمريكي من العراق المحطّم، لكنّ الفيصل اعتبر أنّ الطبيعة تأبى الفراغ، فإذا انسحبت أمريكا حقا فستحلّ محلّها روسيا أو غيرها من الدول الكبرى. ونحن نرى أنّ الولايات المتحدة عادت ثانية إلى العراق بحجة «داعش» من جهة، ولكي لا تبقى إيران وحدها بالعراق. ومع أنّ الجنرال الإيراني قاسم سلیماني يزعم أنه هو الذي أقنع بوتين بالتدخل في سوريا فإنّ منطق الفراغ هو الذي قاد للتدخل الروسي الذي ضايق إيران وساعد إسرائيل.

لدينا ٣ مشكلاتٍ كبرى حاضرة إذن تقع في أساس تصدع نظام الأمن العربي، الضعف البنيوي في الدول والمجتمعات بسبب الطغيان الداخلي وغياب سياسات التنمية، والتدخلات الإقليمية والدولية، والافتقار إلى محور عربي يمكن أن يصون الدواخل من الاضطراب، وأن يفاوض النظام الدولي وقواه الكبرى على تمكين الاستقرار، ومنع القوى الإقليمية من تحويل عدة بلدان عربية إلى مواقع نفوذ، بل مواقع احتلال من جانب جيوش وميليشيات مأجورة. إن الطغيان وغياب سياسات التنمية هما أكبر أسباب التطرف العنيف. فلا ينبغي أن ننسى أن سوريا صارت طاردة لريفها منذ السبعينات من القرن الماضي. ففي بعض السنوات في التسعينات كانت العمالة السورية وبشكل اختياري تزيد على المليون في لبنان الصغير، ومليون آخر في الأردن. ولذلك فإن هؤلاء سهل عليهم التمرد عندما بدأت حركة الاحتجاج عام ٢٠١١. وقد صار معروفاً كيف جرى استخدام هؤلاء في الأحداث. ما كنا نصدق أن «حزب الله» والاستخبارات السورية علائق بـ«داعش»، حتى وجدناهم يدخلون إلى لبنان عام ٢٠١٣. ثم يخرجون منه عام ٢٠١٧. وقد جاءوا على الأقدام، لكنهم خرجوا بباصاتٍ مكيفة عندما انتهت مهماتهم «الجهادية»!

وقد ذكرت الكاتبة ديبورا أموس في كتابها عن مصائر أهل السنة بالعراق (٢٠١٠) أن الملايين الثلاثة من هؤلاء (ومعظمهم من الريفين) هاجروا إلى سوريا الطاردة لشعبها، بعد أن استحال عليهم العيش تحت وطأة الاضطراب بعد الغزو الأمريكي، والذي سبقه حصارٌ دام نحو العقد ونصف العقد.

وهكذا فإن الدول تصبح فاشلة بسبب الطغيان العنيف من جهة، وغياب التنمية، ودمار القطاع الزراعي من جهة ثانية. لماذا هذا الاستطرد في مسألة الطغيان والتنمية والهجرة؟ لأن أي سياساتٍ من جانب المحور العربي الممكن لاستعادة الاستقرار الاجتماعي والسياسي يكون عمادها استعادة العافية للبنى الاجتماعية والسياسية للدولة الوطنية. فالفشل في الإدارة السياسية والاقتصادية هو الذي يصنع العنف، ويصنع الاضطراب.

وعندما نتحدث عن محور عربي للقرار والاستقرار وتصور مستقبل آخر للدولة الوطنية في منطقة المشرق، فإنما نعني العربية السعودية، ودولة الإمارات، والكويت، ومصر، والأردن. ومع أن هذه الدول تتفاوت كثيراً في القدرات، لكنها تساندت وتضامنت في سنوات الاضطراب التي حلت بجوارها. وتدخلت بالفعل بأساليب شتى من أجل منع الاضطراب أو التخفيف من حدته، وإن لم تنجح دائماً في إيقاف النزف بسبب التدخل الإيراني، وعدم استجابة القوى الدولية.

ويعتقد ساسة وخبراء كثيرون أن التدخل العربي باليمن ما كان يمكن أن يتأخر أكثر، وإلا لتهدد أمن الخليج كله، ولفقدنا البقية الباقية من التماسك وإمكانات الخروج. والنموذج الذي كان ضرورياً باليمن، ينبغي أن يحدث شبيه له في ليبيا وإن اختيرت أساليب أخرى. لقد أنقذ الخليجيون البحرين والأردن، وينبغي أن يحاولوا إنقاذ ليبيا. والنجاح في نموذج أو نموذجين، يمكن أن يكون واعداً لسوريا ولبنان في الأمن كما في التنمية.

وإذا كان الكاتب الأمريكي ما استطاع تبين معالم لنظامٍ عربي جديدٍ بسبب هول الاضطراب، وأهوال التدخلات الخارجية، فإن رؤية العربي لنفسه وجواره ومن مواقع الأمل والالتزام، تقتضيه التدخل بالأسلوب الملائم في كل حالة، لتكون لنا حياة، وتكون حياة أفضل.

المثقف عارياً.. تغير المفهوم.. وتغيرت النظرة

*د. عبد الحميد الأنصاري

صحيفة (الجريدة) الكويتية : ٢٠١٨/٩/٣

لا نهضة من غير ثقافة بانية، تشكل المرجعية العامة للمجتمع والدولة، والمثقف هو ذلك الإنسان المنتج للمعرفة والذي يحتفظ باستقلاليته الفكرية عن السلطة السياسية من جهة، وعن الرأي العام من جهة أخرى، فلا يتملق الجماهير كسبا للشعبوية والنجومية، ولا يدهن السلطة، كسباً للمغانم المالية.

وإذا كان المثقف ليس موظفاً لدى الحكومة، يدافع عنها ويهاجم معارضيه، فذلك ليس هو مثقف الحزب أو الطائفة الدينية أو المذهبية أو القبلية، يبشر بأفكارها ويحامي عنها.

المثقف، هو ذلك الإنسان الخلاق فكرياً، الذي يسعى لرفع الوعي المجتمعي، والارتقاء بالذهنيات وتغيير النفسانيات، ناقداً لذاته وأفكاره في ضوء متغيرات الواقع.

وسواء كان المثقف مناضلاً في قضايا الحقوق والحريات، أو داعية تنوير، أو منتجاً للفكر: ثورياً أو إصلاحياً، فقد تغير مفهوم المثقف، كما تغيرت النظرة إليه.

وبعد أن كان ينظر إلى المثقف، ناقداً للمجتمع والسلطة، قائداً للفكر، مدافعاً عن الحريات والعدالة، منحازاً للمظلومين، أصبح هو موضع النقد، والتشريح والتحليل، سلطته وموقعه.

لاحظ علي حرب، الكاتب والفيلسوف اللبناني، أن المثقفين العرب، دعاة الحرية والثورة والوحدة والتقدم، كانوا قليلي الجدوى في مجريات الأحداث والأفكار التي مرت بها المجتمعات العربية، بل فشلت كافة مشاريعهم النهضوية، على اختلاف مشاريعهم، علمانيين أو إسلاميين، قوميين أو اشتراكيين، وهذا ما دفعه، لطرح تساؤلات حول العلل الكامنة في هذا الإخفاق، ومحاولة الإجابة عنها في كتابه: أوهام النخبة أو نقد المثقف.

يرى حرب: أن معظم المثقفين، لا يزالون غارقين في سباتهم الأيدلوجي، يرون علة الفشل في الواقع لا في أفكارهم، يسعون إلى قلوبية المجتمع حسب أطهرهم الضيقة، بدلاً من أن يراجعوا أفكارهم، ويشغلوا عليها، لفهم الأحداث والوقائع، أن للمثقفين أن ينقدوا أنفسهم بدلاً من لوم الآخرين، واتهام السلطات السياسية والدينية، والقفز فوق الوقائع.

وهذا يفسر لنا: كيف أن الحرية تتراجع مع كثرة المطالبة بها، والنهوض يترجم إلى التقهقر، والتنوير العقلي يؤدي إلى انتعاش الفكر الخرافي، والغزو الثقافي يؤول إلى زيادة التبعية.

يؤكد حرب أن المثقفين هم ضحايا أفكارهم، ومشكلة المثقف هي مع فكره، أولاً، مع نخبويته، ووصايته على القيم، وإعطاء نفسه الحق في تقرير ما هو في مصلحة الشعب والوطن، هذه النخبوية، الطليعية، الاصطفائية، الرسالية، تجعله يرى نفسه، الأوعي والأعلم والأحق، بل ضمير الأمة! وهذا هو مأزق المثقف والنخبة.

يطالب حرب، المثقفين أن يتواضعوا، فهم في النهاية، قطاع من قطاعات المجتمع، وهم لا يشكلون مجتمعاً مثالياً تحكمه العقلانية والقيم، فلهم حسناتهم ومساوئهم، وقطاعهم مجال للتنافس والصراع لتحقيق المكاسب والنفوذ، شأنهم شأن القطاعات والمهن الأخرى، وبقدر ما يتخلون عن نخبويتهم ونرجسيتهم، يصبحون أقدر على ممارسة فاعليتهم.

سلطة المثقف:

يعلن المثقف، استقلاليته عن السلطة، وانحيازه إلى المهمشين والمظلومين في مواجهة سلطة القهر، وهو يدعي تنوير الناس وتحريرهم، ولا هدف له إلا الدفاع عن قضايا الأمة، بتجرد ونزاهة، فهل هو فعلاً كذلك؟!!

هذا ما يقوله خطابه، لكن الخطاب، دائماً، يحجب أشكالاً من التسلط، ويتستر على آليات من التلاعب، فهو حين يعلن انحيازه إلى المقهورين فإنما يخفي تسلطه، صحيح أن سلطة المثقف، ليست مادية بل رمزية، لكن لها سلطان على العقول والنفوس، ومعنى ذلك، أن الصراع بين المثقف والسياسي، ليس مجرد صراع بين المعرفة والسلطة، وإنما هو صراع على المشروعية، أي على احتكار قول ما هو حق وباطل، وحين يقدم المثقف نفسه، كصاحب رسالة لا سلطة، فهو يخاتل، لأن المثقف صاحب مهنة، وكل مهنة وراءها مصلحة، وهو إذ يريد تحريك، يسيطر عليك بخطابه، ومن نادوا بالحرية فإنما أرادوا التسلط، بل إن المثقفين الأقل ديمقراطية، فكراً وممارسة.

ولهذا فإن مشاريع التحرير، آلت إلى أنظمة استبدادية أو شمولية أو عنصرية.

خاتمة: مهنة المثقف الأساسية، الانشغال بإنتاج المعرفة، وتغيير الذهنيات، لا الانشغال بتغيير الأنظمة والعالم، فهذه وظيفة الآخرين، والذين خدعوا بمقولة ماركس: على المفكرين الانتقال من الانشغال بفهم العالم إلى العمل على تغييره أحبطوا، العالم لن يتغير إلا بقدر ما تتغير أدوات فهمه وطرق التعامل معه.

تمثلت التوجهات السائدة والتحركات الحاكمة لسياسة التشيك إزاء الإقليم، خلال السنوات القليلة الماضية، في تسوية سلمية للأزمة السورية، ودعم الشرعية اليمنية في مواجهة الميلشيات الانقلابية، وتقديم مساعدات إنسانية إلى بؤر الصراعات العربية، ومواجهة الإرهاب العابر للحدود، ووقف تدفقات اللاجئين، والحد من الهجرة غير الشرعية، ومعارضة السياسات الإقليمية التركية، والمساهمة بجهود إعادة إعمار المناطق المنهارة داخل الدول، وتأييد السياسات الداعمة لإسرائيل، ودعم بعثة حلف الناتو في أفغانستان، على نحو يشير إلى تباعدها، إلى حد ما، عن سياسات دول الاتحاد الأوروبي في بعض القضايا، وتطابقها مع مصالح الولايات المتحدة وإسرائيل، وتوافقها مع سياسات بعض الدول العربية في قضايا أخرى.

وبوجه عام، يمكن تناول سياسات ومواقف حكومة براغ تجاه تفاعلات الشرق الأوسط فيما يأتي:

دعم الأسد:

١- تسوية سلمية للأزمة السورية: تتبنى التشيك رؤية مفادها تكثيف السعي نحو الوصول إلى حل سياسي للصراع في سوريا، يقوم على الحفاظ على سيادتها واستقلالها ووحدتها وعبر حوار سوري- سوري دون أي تدخل أجنبي. إذ ترى أن هذا الصراع لا يمكن حسمه عسكرياً بعد مرور ما يقرب من ثماني سنوات على اندلاعه، وإن كانت المؤشرات توحي بقدرة نظام الأسد على استعادة مزيد من المناطق التي كانت تسيطر عليها المعارضة المسلحة والتنظيمات الإرهابية دون أن يقود ذلك إلى تحقيق سلام، على نحو يتفق بدرجة كبيرة مع الرؤية الأمريكية، التي ترهن إعمار سوريا بتحويلات سياسية ودستورية.

ولعل التشيك هي الدولة الأوروبية الوحيدة التي لم تقطع علاقتها بالنظام السوري، حيث اعتبرت أن الخيار البديل له هو الفوضى والإرهاب، وتقدم التشيك خدمات قنصلية لمواطني الاتحاد الأوروبي وتقوم بالوساطة لدول أخرى. لذا قالت وزارة الخارجية التشيكية، في ٩ أغسطس ٢٠١٨: "إن جمهورية التشيك تفاوضت من أجل إطلاق سراح اثنين من الألمان العاملين في إحدى المنظمات الإنسانية في سوريا"، وأضافت: "إن العاملين انتقلا إلى براغ والتقىا مع ممثلين عن سفارتهما هناك"، بعد زيارة وزير الخارجية يان هاماتشيك إلى دمشق في اليوم نفسه.

ولفت وزير الخارجية التشيكي خلال لقائه وزير الخارجية السوري وليد المعلم، إلى "صواب قرار بلاده إبقاء سفارتها مفتوحة في دمشق بما أسهم في تعزيز التواصل بين البلدين والإطلاع على حقيقة الأوضاع في سوريا بصورة موضوعية"، معرباً عن "أمله في إمكانية التوصل إلى حل سياسي للأزمة في سوريا وإعادة الأمن والاستقرار إلى كل أرجاء سوريا بأقرب وقت ممكن". ومنذ عام ٢٠١٢، تقوم السفارة التشيكية في دمشق بحماية مصالح واشنطن، كما تفعل السويد في كوريا الشمالية، وسويسرا في إيران.

تسوية في اليمن:

٢- دعم الشرعية اليمنية في مواجهة الميلشيات الانقلابية: أشار رئيس لجنة العلاقات الخارجية والدفاع بمجلس النواب التشيكي كارل شفافسنبرغ، خلال لقائه سفير اليمن لدى براغ عمر سبعة في ٢٠ مارس ٢٠١٧، إلى أن جمهورية

التشيك على استعداد لتقديم مزيد من الجهود لدعم الحكومة الشرعية في اليمن والتوصل إلى تسوية سياسية تجنب اليمن مزيداً من الحرب والدمار الذي تسببت به الميليشيا الانقلابية.

معاونات إغاثية:

٣- تقديم مساعدات إنسانية ولوجستية إلى بؤر الصراعات العربية: أقرت الحكومة التشيكية برنامج المساعدات الإنسانية والتنموية لسوريا خلال الفترة بين عامي ٢٠١٦ و٢٠١٩، والتي تنقل مباشرة من براغ إلى دمشق من قبل الهلال الأحمر العربي السوري، على نحو ما حدث بالنسبة للأدوات والأجهزة الصحية، فضلاً عن تأهيل المنشآت التعليمية والاجتماعية والبنى التحتية الأخرى. كما عرضت الحكومة التشيكية مساعدتها لترميم الآثار السورية التي تعرضت لاعتداءات نتيجة الأعمال الإرهابية.

مكافحة الإرهاب:

٤- مواجهة الإرهاب العابر للحدود: تشير وجهة النظر الرسمية التشيكية إلى ضرورة قطع الأسلحة والأموال والمقاتلين عن بؤر الصراعات وخاصة في العراق وسوريا، وتنسيق العمليات العسكرية ضد تنظيم "داعش"، بالتوازي مع مشاركة الطائرات التشيكية في ضرب مواقع "داعش" في مناطق نفوذه الرئيسية، لا سيما أن هناك مقاتلين تشيك مرتبطين بالتنظيم، إلى جانب "جبهة النصرة"، فضلاً عن سائر الجماعات الأخرى المرتبطة بتنظيم "القاعدة".

وفي هذا السياق، قال الرئيس التشيكي ميلوش زيمان، في ٢٦ سبتمبر ٢٠١٤: "هناك خطر حقيقي نغض أعيننا عنه ويدعى داعش، فإذا نظرتم إلى خريطة الدولة الإسلامية حتى عام ٢٠٢٠ ستجدون أن الخلافة تحتل نصف أوروبا وكل آسيا الوسطى، ناهيك عن منطقة الشرق الأوسط. ستقولون أن ذلك حالة من الجنون، لكنه يوشك على التحقق، إنه أمر خطير وعلينا مكافحة الإرهاب الدولي معاً".

فالمسألة لا تتعلق بمحاربة إرهاب إقليمي بقدر ما هو إرهاب عالمي، إذ قال رئيس الوزراء التشيكي السابق بوهسلاف سويوتكا، خلال مؤتمر صحفي مع حيدر العبادي في ٢٧ أغسطس ٢٠١٧، أن "الحرب التي تخوضها القوات العراقية ضد داعش تعد حرباً عالمية ضد الإرهاب وليست حرباً عراقية"، وأضاف: "إن بلاده سعيدة لأن الترسانة العراقية التي حاربت الإرهاب كانت تضم طائرات تشيكية الصنع من طراز (١٥٩)، إذ بيعت للعراق في وقت سابق فضلاً عن الأسلحة التي أهدتها بلاده للجيش العراقي من ذخائر وبنادق آلية".

كما سبق أن أكدت التشيك، في ٢٨ نوفمبر ٢٠١٤، مساندتها للحكومة العراقية في الحرب ضد "داعش"، مع مشاركتها في تدريب القوات الأمنية والعسكرية التابعة للحكومة المركزية، وكذلك ميليشيا "البيشمركة" الكردية. وأكد وزير الخارجية التشيكي السابق لوبومير زاوراليك، في حوار مع وكالة أنباء الشرق الأوسط في ٣١ يناير ٢٠١٦، على "دعم التشيك للحكومة المصرية في محاربتها لتنظيم داعش والجماعات المتطرفة الأخرى بغض النظر عن الأسماء التي يستخدمونها".

كما أشار الرئيس ميلوش زيمان لقناة "تي في بليسك"، في ٧ يوليو ٢٠١٦، إلى ضرورة قيام التحالف الدولي المناهض للإرهاب بـ "ضم جهوده إلى جهود الرئيس السوري بشار الأسد لمكافحة تنظيم داعش"، وهو ما يعكس محورية التهديد الأمني للإرهاب على التشيك، ومدى اقترانه بما يسمى "الإسلاموفوبيا". لذا، قال وزير الخارجية التشيكي السابق لوبومير زاوراليك، في ٢٧ يناير ٢٠١٥: "إن المسلمين أنفسهم يجب أن يعالجوا سرطان الأيديولوجية المتشددة، وإن العرب تحديداً ينبغي أن يثبتوا أن القتل والإرهاب ليس من تعاليم الإسلام الصحيح".

إيقاف المتسللين:

٥- وقف تدفقات اللاجئين من بؤر الصراعات العربية: وخاصة سوريا، لذا، تنشغل الحكومة التشيكية بمواجهة اللاجئين المتسللين عبر الحدود بإجراءات يغلب عليها الاستبعاد. وتشير العديد من الكتابات إلى أن اللاجئين يعانون ظروفًا صعبة، دفعت اليونيسكو إلى التحذير من المخاطر التي قد تصيب أطفالهم نتيجة سياسات التشدد التي تتبعها حكومة التشيك (فضلاً عن المجر وكرواتيا وصربيا وسلوفينيا) إزاء اللاجئين مثل احتجازهم في معسكرات وتجريدتهم من ملابسهم. بل إن تقارير مختلفة أشارت إلى أن الشرطة التشيكية عمدت، في سبتمبر ٢٠١٥، إلى ترقيم المهاجرين بكتابة رقم على يد كل لاجئ في خطوة اعتبرت منظمات حقوقية أشبه بـ "ممارسات النازية". وفي السياق ذاته، وصف الرئيس ميلوش زيمان الموجة الحالية للمهاجرين بأنها "اجتياح منظم"، داعياً الشباب المهاجرين من سوريا أو العراق إلى حمل السلاح وقتال تنظيم "داعش" بدلاً من الهجرة إلى أوروبا. ولعل ذلك يفسر رفض التشيك استقبال ٤٥٠ شخصاً من طالبي اللجوء، في ١٥ يوليو ٢٠١٨، ثم إنقاذهم من قارب صيد في البحر المتوسط، حيث قال رئيس الوزراء أندريه بابيش على موقع "تويتر": "إن قبول بعض الركاب الذين تم إنقاذهم سيكون طريقاً إلى الجحيم، وسيُحَقِّزُ فحسب مهربي البشر على محاولة جلب المزيد من المهاجرين في رحلة بحرية محفوفة بالمخاطر"، وأضاف: "يجب علينا أن نساعد المهاجرين في بلدانهم، خارج الاتحاد الأوروبي".

معاربة عصابات الجريمة:

٦- الحد من الهجرة غير الشرعية: تهتم الحكومة التشيكية بتعزيز إجراءات مكافحة الهجرة غير النظامية، إذ استنكرت وزارة الخارجية بحكومة الوفاق الوطني الليبية تصريحات رئيس الحكومة التشيكية أندريه بابيش، في ١٧ ديسمبر ٢٠١٧، حول "استعداد بلاده لإرسال قوات تشيكية لحماية الحدود الجنوبية لليبيا"، في إطار المساهمة للحد من الهجرة غير الشرعية من منطقة الصحراء الإفريقية والشرق الأوسط عبر ليبيا إلى دول أوروبا الجنوبية. وأكدت وزارة خارجية الوفاق "سيادة دولة ليبيا واستقلالها ووحدة أراضيها، وأنه إذا ما كان هناك تعاون في مجال مكافحة الهجرة غير الشرعية مع المجتمع الدولي والدول الصديقة فإنه يقتصر فقط على المساعدة اللوجستية والاستخباراتية وفقاً لما تنص عليه الاتفاقيات الثنائية الموقعة مع تلك الدول والمنظمات، وبما لا يتعارض مع المواثيق والمعاهدات الدولية". وأشارت إلى أن "الحل الجذري ليس حلاً أمنياً فقط بل تنموي لدول المصدر، وكذلك معاربة عصابات الجريمة المنظمة التي تتخذ من تجارة البشر والهجرة مصدراً لتمويلها".

انتقاد أنقرة:

٧- معارضة السياسات الإقليمية التركية: اعتبر الرئيس التشيكي ميلوش زيمان، وفقاً لوكالة الأنباء التشيكية في ١١ ديسمبر ٢٠١٥، أن "تركيا تتصرف بين الحين والآخر كحليف لتنظيم داعش، أكثر منها حليف ضمن حلف الناتو"، الأمر الذي يفسر الاعتراض التشيكي على دفع مساعدات بمليارات اليورو من الاتحاد الأوروبي لتركيا لدعم رعاية اللاجئين، حيث قال الرئيس ميلوش زيمان في هذا الإطار: "إن تركيا قادرة على الاعتناء بهؤلاء اللاجئين فكلهما يدين بالديانة نفسها".

وقال نائب رئيس الوزراء التركي بكير بوزداغ، لوكالة أنباء الأناضول في ٢٧ فبراير ٢٠١٨، إن الحكم الذي أصدرته محكمة تشيكية لإطلاق سراح القيادي الكردي السوري صالح مسلم هو "قرار لدعم الإرهاب"، إن يعتبر مسلم قائداً سابقاً بالحزب الكردي في سوريا (حزب الاتحاد الديمقراطي) والذي تعتبره أنقرة جزءاً من حزب العمال الكردستاني، وهو مجموعة وصفتها كل من تركيا والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بـ "الإرهابية".

إعادة البناء:

٨- تعزيز جهود إعادة الإعمار: تتطلع بعض الشركات الحكومية والخاصة في التشيك للمساهمة في إعادة بناء ما دمرته الصراعات داخل دول الإقليم، إذ أشار وزير الخارجية العراقي إبراهيم الجعفري، خلال زيارة وزير الخارجية التشيكي السابق لوبومير زاوراليك إلى بغداد في نوفمبر ٢٠١٤، إلى أن "دولة التشيك لها خبرة واسعة في بناء المدن والإعمار والمجالات الاقتصادية الأخرى". وقال زاوراليك خلال مؤتمر صحفي في ١٦ مارس ٢٠١٧: "إن بلاده تمتلك الفرصة للمساهمة في إعادة الإعمار في سوريا والعراق بالنظر إلى استمرار علاقاتها مع هذين البلدين".

كما أعرب رئيس الوزراء التشيكي السابق بوهسلاف سويوتكا، خلال مؤتمر صحفي مع حيدر العبادي في ٢٧ أغسطس ٢٠١٧، عن أمله بأن تحظى الشركات التشيكية بفرصة للعمل وإعادة الإعمار بالعراق في المرحلة المقبلة، لا سيما الشركات المتخصصة في مجالات بناء المصافي وتطوير الصناعات النفطية والغازية والصناعات الثقيلة الأخرى، خاصة إنتاج الآلات الزراعية وصناعة السيارات وتمهيد الطرق.

وهنا تجدر الإشارة إلى ما قام به أمناء مكاتب التشيك - بالتعاون مع المنظمة الإنسانية للاحتياجات - من جمع تبرعات لإعادة إعمار مكتبة الموصل، بعد أن دمرتها الحرب ضد "داعش"، حيث تعد من أهم المكتبات في الشرق الأوسط، لا سيما أنها تحتوي على أكثر من مليون وثيقة من المخطوطات النادرة والمطبوعات القديمة.

دعم تل أبيب:

٩- تأييد السياسات الداعمة لإسرائيل: وهو ما يعكسه تأييد التشيك قرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بنقل السفارة الأمريكية للقدس في ٦ ديسمبر ٢٠١٧، وإعلان التزامها اتخاذ الخطوة نفسها. وبالتوازي مع ذلك، عطلت التشيك، إضافة إلى المجر ورومانيا، تبني إعلان أوروبي ينتقد القرار الأمريكي. وسبق أن أعلنت التشيك، في عام ٢٠١٢، معارضتها منح فلسطين صفة دولة مراقب غير عضو في الأمم المتحدة.

تعاون أمني:

١٠- المشاركة في بعثة حلف الناتو بأفغانستان: أثار مقتل ثلاثة من الجنود التشيك في هجوم انتحاري استهدف بعثة حلف الناتو في أفغانستان، في ٧ أغسطس ٢٠١٨، جدلاً حول أهمية وتداعيات التواجد العسكري للتشيك في الأخيرة. غير أن السفير التشيكي لدى حلف الناتو جيرى ساديفي، أكد أن الانسحاب سيقوض مصداقية التشيك كشريك مسئول في التحالف الدفاعي، على نحو يعكس رغبة التشيك في دفع تكلفة بقاء قواتها بما يعزز من دورها في إطار عمل الحلف.

اتجاهات متوازنة:

خلاصة القول، إن السياسات العشر التي تتبعها الحكومة التشيكية تبرز السير في اتجاهات متوازنة منها المضي قدماً في التسوية السلمية للصراعات العربية في سوريا واليمن، وتعزيز التنسيق الإقليمي والدولي لمواجهة إرهاب "داعش" وغيره من التنظيمات المتطرفة، ومعارضة السياسات التركية الملتبسة في علاقتها بالتنظيمات السابقة، والحصول على حصة من "كعكة" إعادة إعمار الدول المنهارة، ومواجهة المشكلات التي يعاني منها العمل في النقاط الساخنة على الحدود الخارجية للاتحاد الأوروبي، والبحث عن خطط بديلة لتقليل عدد المهاجرين إلى أوروبا، ودعم السياسات الأمريكية والإسرائيلية المرتبطة بالقضية الفلسطينية ومحورية القدس فيها، وتأكيد الشراكة مع حلف الناتو في كابول.

القبليّة الجديدة والتفوق على هوية «متجانسة»... وأزمة الديمقراطية

*فرانيسيس فوكوياما

مجلة <فورين أفيرز> الأمريكية : ٢٠١٨/٩/٤

قبل عقود قليلة، بدأ وجه السياسة الدولية يتغير تغيراً دراماتيكياً. فمنذ مطلع السبعينات الى العقد الأول من القرن الجاري، ارتفع عدد الديمقراطيات الانتخابية من نحو ٣٥ ديموقراطية إلى أكثر من ١١٠ أنظمة ديموقراطية. وفي المرحلة نفسها، تضاعف أربع مرات إنتاج العالم من السلع والخدمات، وطاول النمو أصقاع العالم كله. ونسبة الفقر المدقع انخفضت من ٤٢ في المئة من مجمل سكان المعمورة في ١٩٩٣ إلى ١٨ في المئة في ٢٠٠٨. لكن هذه المكاسب لم يقطفها الجميع. ففي عدد من البلدان، وفي الأنظمة الديمقراطية المتطورة على وجه الخصوص، تعاظمت هوة اللامساواة الاقتصادية. فمكاسب النمو قطفها الأثرياء والذين تابعوا تعليماً عالياً. وأفضى تعاظم حجم السلع والأموال وحركة الناس من مكان إلى آخر، إلى تغيرات سريعة ومزعجة. ففي الدول النامية، وجد القرويون الذين لم يعرفوا الكهرباء في قراهم أنفسهم يعيشون في مدن كبيرة يشاهدون التلفزيون ويتصلون بالإنترنت على هواتفهم الخلوية. ونمت طبقات وسطى ضخمة في الصين والهند - لكن العمل الذي زاولته الطبقات الوسطى الجديدة هذه تربع محل عمل الطبقات الوسطى الأقدم في الدول المتطورة. وانتقل التصنيع من الولايات المتحدة وأوروبا إلى شرق آسيا وغيرها من المناطق، حيث كلفة اليد العاملة أرخص. وفي وقت كانت النساء تنتزع من الرجال في سوق العمل وظائف تغلب عليها الخدمات، حلت الآلات الذكية محل العمال من أصحاب الكفاءات المتدنية. وهذه التغيرات أبطأت سيروية المضي قدماً في تشريع أبواب النظام العالمي الليبرالي. ووجهت الأزمة المالية في ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ وأزمة اليورو في ٢٠٠٩ ضربات قاصمة إلى النظام هذا. وفي الحالين (الأزمة المالية العالمية وأزمة اليورو)، نجم عن سياسات صاغتها النخب ركود عظيم ومعدلات بطالة مرتفعة وانخفاض مداخيل ملايين من العمال العاديين. وكانت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي النماذج الرائدة في الديمقراطيات الليبرالية. لكن الأزميتين هاتين ألحقتا الضرر بالنظام هذا كله.

وفي الأعوام الأخيرة، انحسر عدد الأنظمة الديمقراطية، وقوضت الديمقراطية في مناطق العالم كلها. وفي الوقت نفسه، قتل عدد من الدول المستبدة، على رأسها الصين وروسيا، عضلاته. وسارت دول بدا في التسعينات أنها ديموقراطيات ليبرالية ناجحة، القهقري إلى الاستبداد، ومنها هنغاريا وبولندا وتايلند وتركيا. وخلخلت الثورات العربية في ٢٠١٠ - ٢٠١١ الأنظمة المستبدة في الشرق الأوسط، لكنها لم تثمر إلا قليلاً من الديمقراطية. فالأنظمة الاستبدادية احتفظت بسلطتها، وعصفت الحروب الأهلية بالعراق وليبيا وسورية واليمن. لكن أكبر المفاجآت وربما أكثرها أثراً هي نجاح الشعبوية القومية في الانتخابات في ٢٠١٦ في أقدم الديمقراطيات الليبرالية: المملكة المتحدة، حيث اختار الناخبون الانسحاب من الاتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة حيث حاز دونالد ترامب نتيجة صادمة أو مزعجة رئيس يزدرى أفكار وسياسات ومؤسسات هي في نواة السياسة الخارجية الأمريكية ما بعد الحرب الثانية في السباق الرئاسي الأمريكي. وهذه التطورات تعود في شكل ما إلى الانعطافات الاقتصادية والتكنولوجية في العولمة. لكن جذورها تعود كذلك إلى ظاهرة أخرى: بروز سياسات الهوية. ففي شطر راجح منه، غلبت على

سياسات القرن العشرين المسائل الاقتصادية: إلى اليسار، كانت شؤون العمال والنقابات العمالية وبرامج الضمان الاجتماعي وتوزيع الثروات، محور السياسات. وإلى اليمين، كان مدار السياسة على تقليص حجم الحكومة وتغليب كفة القطاع الخاص. وعلى خلاف ما كانت حالها، لا تغلب على السياسة اليوم المشاغل الاقتصادية أو الأيديولوجية بل مسائل الهوية. واليوم، في عدد كبير من الأنظمة الديمقراطية، يولي اليسار الأولوية لترويج مصالح مجموعات مهمشة، مثل الأقليات الإثنية والمهاجرين واللاجئين ومجتمع المثليين والمثليات والمتحولين جنسياً، ولم تعد المساواة الاقتصادية شاغله الأول. ويرى اليمين اليوم أن مهمته هي حماية الهوية القومية التقليدية، وهذه مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعرق والإثنية أو الديانة.

وفي أصقاع العالم كله، يستميل القادة السياسيون المناصرين من طريق النفخ في فكرة بعث الكرامة ودرء المهانة. ولا يخفى أن مثل هذه الدعوات في الدول المستبدة قديمة. فالرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وصف انهيار الاتحاد السوفياتي بالمأساة، وانتقد أمريكا وأوروبا واتهمهما باستغلال ضعف روسيا في التسعينات لتوسيع النافذة. ويشير الرئيس الصيني شي جينبينغ، إلى مرحلة الهيمنة الخارجية على الصين التي بدأت في ١٨٣٩ بـ«قرن الذل». وبلغت عدوى النكمة والشعور بالمهانة والكرامة المجروحة البلدان الديمقراطية. فحركة «بلاك لايفز ماتر» انبثقت من تسليط الضوء على إرداء الشرطة أفريقيين أمريكيين، ولفتت أنظار العالم إلى ضحايا عنف الشرطة. وفي الجامعات والكليات والمكاتب في أنحاء الولايات المتحدة، ساد الغليان أوساط النساء نتيجة وباء تحرش جنسي واعتداءات، واستنتجت الإناث أن زملاءهن الرجال لا يرون أنهن أُنثى لهم. وبرزت حقوق المتحولين جنسياً. وكثير ممن اقترحوا لترامب، يحنون إلى وقت مضى، ويرون أن مكانتهم في المجتمع كانت حينها ثابتة وآمنة. فالمجموعات ترى أن هوياتها - سواء كانت هوية قوية أم دينية أو إثنية أو جنسية أو جندرية أو غيرها - لم تحز قدراً من الاعتراف يليق بها. ولم تعد سياسات الهوية ظاهرة ثانوية تقتصر على حرم الجامعات أو مناوشات هادئة الوطيس في «الحرب الثقافية»، بل صارت مفهوماً بارزاً وراء ما يجري في الشؤون الدولية. وهذا التغير يضع الأنظمة الديمقراطية الليبرالية أمام تحديات بارزة: فالعولمة حملت تغيرات اقتصادية واجتماعية سريعة، وعظمت تنوع هذه المجتمعات، فزاد الطلب على الاعتراف بمجموعات كانت غير مرئية وعلى هامش المجتمعات. وترتبت على هذه المطالب ردود مجموعات تشعر بخسارة المكانة والاقتلاع أو «الانزياح». وتتذمر المجتمعات الديمقراطية إلى هويات ضيقة، ويهدد التذمر هذا إمكان المداولة والعمل الجماعي في المجتمع على أنه كيان موحد غير منفرد العقد. وهذه الطريق تفضي إلى الإخفاق والانهيار. وإذا لم تفلح الأنظمة الديمقراطية الليبرالية في العودة إلى مفهوم جامع للكرامة الإنسانية، حكمت على نفسها بالنزاعات المزمنة.

ويفترض معظم الاقتصاديين أن البشر تحفزهم الرغبة في حيازة موارد مادية وسلع. وجذور المفهوم هذا ضاربة في الفكر السياسي الغربي وأسس الدراسات الاجتماعية المعاصرة. لكن هذا المفهوم يغفل ما سبق للفلاسفة الكلاسيكيين أن أدركوا أهميته: الرغبة في الكرامة. ورأى سقراط أن مثل هذه الحاجة هو ثالث جزء من الروح البشرية، والجزء الأول هو «الرغبة» والثاني هو الجانب الحسابي أو الذي يحتسب. وفي جمهورية أفلاطون، اشتق

الفيلسوف كلمة thymos، وتنقلها الترجمة الإنكليزية الى كلمة «روح»، وهذه ترجمة فقيرة. وفي السياسة «تيموس» تتجلى على شكلين، أولهما أصفه بـ megalothymia الرغبة في الإقرار بالتفوق. فالمجتمعات ما قبل الديمقراطية كانت تستند الى تراتبية، وكان تفوق طبقة من الناس - النبلاء والأريستقراطيون، والملكيون - نواة النظام الاجتماعي. لكن كلما كُرس تفوق أحدهم، شعر آخر بالنقمة وغياب الاحترام. وشعور الناس بالرغبة في أن يكونوا سواسية أو على القدر نفسه من «الجودة» أسمى بـ isothymia. وبروز الديمقراطية المعاصرة هو مرآة غلبة الـ isothymia على الـ megalothymia. فالمجتمعات الديمقراطية أقرت بحق الجميع في المساواة. وفي القرن العشرين، بدأت المجتمعات المقسمة الى طبقات تقر بحقوق عامة للناس، وسعت الأمم المستعمرة الى الاستقلال. وكان الحادي الى الكفاح العظيم في التاريخ السياسي الأمريكي ضد الرق والفصل العنصري، والنضال من أجل حقوق العمال ومساواة النساء، توسيع النظام السياسي دوائر الأفراد المعترف بمكانتهم بشراً كاملين أو أسوياء «من غير عيوب». لكن في الليبراليات الديمقراطية، لا تترتب على المساواة في الحقوق مساواة اقتصادية أو اجتماعية. فالتمييز ضد مروحة كبيرة من المجموعات قائم، واقتصاديات السوق تتمخض عن لا مساواة كبيرة، تباين اجتماعي كبير. وعلى رغم ثرواتها، تعاظم التباين في المداخليل دراماتيكياً في الولايات المتحدة والدول المتطورة في العقود الثلاثة الماضية. وعانت شرائح وازنة من شعوب الدول هذه ركود المداخليل، وسار بعض الشرائح الاجتماعية القهقري في السلم الاجتماعي (هبوط المكانة الاجتماعية).

ويساهم شعور المرء بأن مكانته الاقتصادية مهددة في تفسير بروز الشعبوية القومية في الولايات المتحدة وغيرها. ولم تكن أحوال الطبقة العاملة الأمريكية، وهي تعرف بحيازة أبنائها شهادة مدرسية ثانوية أو ما دون، جيدة في العقود الأخيرة. فمداخليلها راكدة والرواتب تميل الى الانخفاض والبطالة تنتشر، وتترافق العوامل هذه مع انهيار اجتماعي. وهذه السيورة تعود في أوساط الأفارقة الأمريكيين الى السبعينات، أي بعد عقود على الهجرة الكبيرة حين انتقل السود الى مدن مثل شيكاغو وديترويت ونيويورك، حيث عثر كثر منهم على وظائف في قطاع توضيب اللحوم والفولاذ أو صناعة السيارات. ومع أقول هذه القطاعات الصناعية، وبدء الرجال يخسرون أعمالهم في عملية العودة عن التصنيع، برزت سلسلة آفات اجتماعية، منها ارتفاع معدلات الجريمة، ووباء إدمان الكوكايين، وتدهور الحياة العائلية. وهذه العوامل ساهمت في توريث الفقر من جيل الى آخر.

وفي العقد الأخير، تفشت عدوى مثل هذا الأفل الاجتماعي الى الطبقة العاملة البيضاء. فنخر وباء إدمان الأفيون «الأدوية المسكنة الأفيونية» صفوف الطبقة العاملة الريفية البيضاء في أصقاع الولايات المتحدة كلها. ففي ٢٠١٦، أفضى استخدام المخدرات المكثف الى أكثر من ٦٠ ألف وفاة نتيجة جرعة زائدة، أي ضعف نسبة الوفيات في حوادث السير سنوياً في البلاد. وانخفض متوسط حياة البيض الأمريكيين بين ٢٠١٣ و ٢٠١٤، وهذا أمر غير مألوف في البلدان المتطورة. وارتفعت نسبة أولاد الطبقة العاملة البيضاء، الذين يشبون في كنف عائلة «أحادية» (أب أو أم فحسب) الى ٣٦ في المئة في ٢٠١٧، بعد أن كانت ٢٢ في المئة في العام ٢٠٠٠.

لكن أبرز ما حفز القومية الجديدة التي حملت ترامب الى البيت الأبيض (والمملكة المتحدة على الاقتراع بالانسحاب من الاتحاد الأوروبي) هو شعور شرائح من المجتمع بأنها غير مرئية. فالمواطنون الناقمون الذين يخشون خسارة مكانتهم في الطبقة الوسطى يلقون اللائمة على النخب، من جهة، فهم يرون أنها لا تراهم، ومن جهة أخرى على الفقراء، ويرون أنهم يحظون بمساعدات لا «يستحقونها» (ليسوا أهلاً لها). وغالباً ما يرى الناس الضيق الاقتصادي على أنه خسارة الهوية أو انتقاص منها أكثر مما يعتبرون أنها خسارة موارد. ويفترض بالعمل الشاق أن يسبغ الكرامة على العمال. لكن كثيرين من العمال البيض الأمريكيين يشعرون بأن الإقرار بمكانتهم وكرامتهم غائب، وبأن الحكومة تمنح مستحقات (مساعدات) وحوافز الى ناس لا يلتزمون القوانين.

وتساعد العلاقة بين الدخل والمكانة على تفسير أسباب رجحان كفة جاذبية القومية أو المحافظة الدينية على جاذبية اليسار التقليدي المستند الى اقتصاد الطبقات. فالقوميون يقولون للساخطين أنهم أبناء أمة عظيمة وأن الأجانب من المهاجرين والنخب، يتآمرون عليهم لإبقائهم في مرتبة دنيا. ولسان حالهم هو «بلدكم لم يعد لكم... لم تعودوا محترمين في أرضكم». ولسان حال اليمين الديني مشابه: «أنتم أبناء أمة مؤمنين عظيمة خانها غير المؤمنين. وهذه الخيانة أدت الى الفقر وهي جريمة في حق البارئ». وغلبة مثل هذه السرديات هي وراء تحول الهجرة الى مسألة مثيرة للخلاف والنزاع في عدد كبير من البلدان. وشأن التجارة، ترفع الهجرة الناتج المحلي، لكن المكاسب لا تجنيها غير مجموعات ضيقة، عوض مجموعات المجتمع كله. وغالباً ما يُنظر الى غالبية إتنية على أنها خطر على الهوية الثقافية، خصوصاً حين تدفق سيول ضخمة عبر الحدود على ما كانت الحال في العقود الأخيرة. لكن الغضب من الهجرة لا يفسر وحده استقطاب اليمين القومي أصوات الناخبين الذين درجوا على التصويت لأحزاب اليسار في الولايات المتحدة وأوروبا. ويبدو أن الأحزاب اليسارية الميل أخفقت في التوجه الى من خسروا نسبياً مكانتهم نتيجة العولمة والتغيرات التكنولوجية. وفي العصور السابقة، استمال التقدميون الناس من طريق خطاب تجربة جامعة ومشتركة: استغلال العمال والنقمة على الأثرياء الرأسماليين. وسعهم رص الصفوف تحت راية «يا عمال العالم اتحدوا!». وفي الولايات المتحدة، أيدت الطبقة العاملة الحزب الديموقراطي منذ إصلاحات الـ«نيو ديل» في الثلاثينات الى حين بروز رونالد ريغن في الثمانينات. واستندت الديموقراطيات الاشتراكية الأوروبية إلى نقابات تجارية والتضامن العمالي. لكن في عهد العولمة، غيّر شطر راجح من الأحزاب اليسارية استراتيجياته. وعوض ترجيح كفة التضامن بين جماعات واسعة مثل الطبقة العمالية أو المستغلين اقتصادياً، بدأت الأحزاب هذه بالتركيز على مجموعات صغيرة تجد نفسها مهمشة. ومبدأ الاعتراف بالسواسية الجامعة تحول الى دعوات الى الاعتراف الخاص «غير الجامع» بمكانة جماعة صغيرة. ومع الوقت، انتقلت الظاهرة هذه من اليسار الى اليمين.

* باحث في معهد فريمان سبوغلي للدراسات الدولية في جامعة ستانفورد ومدير مركز موسباشر للديموقراطية والتنمية وحكم القانون، «من كتابه الصادر حديثاً «الهوية: السعي الى الكرامة وسياسات النقمة» فاران، ستروس أند جيرو»، ٩-١٠/٢٠١٨، إعداد منال نحاس/الحياة اللندنية.

هل يقترب العالم من حرب عالمية ثالثة؟

مجلة "The Week" الأمريكية ٢٠١٨/٩/٤

إن الضربة الوشيكة للنظام السوري للمتمردين السوريين، ويبدو أن هذه الضربة من المرجح أن تثير ردود فعل انتقامية من الولايات المتحدة، وهذا من شأنه أن يذكي المخاوف من أن العالم قد يكون على شفا حرب عالمية. حذر الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الرئيس السوري من شن هجوم بمساعدة روسيا وإيران، على آخر معقل للمتمردين في البلاد، قائلاً إن الهجوم يمكن أن يؤدي إلى "مأساة إنسانية". وكتب "ترامب" على "تويتر": "الرئيس بشار الأسد في سوريا يجب ألا يهاجم بتهور مقاطعة إدلب"، مضيفاً: "الروس والإيرانيين سيرتكبون خطأً إنسانياً خطيراً للمشاركة في هذه المأساة الإنسانية المحتملة. يمكن قتل مئات الآلاف من الناس. لا تدعوا هذا يحدث!".

وجاء تحذير رئيس الولايات المتحدة، قائلاً "إن ما يصل إلى ثلاثة ملايين شخص في المنطقة يستعدون لهجوم وشيك من جانب القوات الروسية التي تشعر أن النصر في أحد الأجزاء الأخيرة من سوريا التي لا تزال خارج سيطرة النظام"، بحسب ما تقول صحيفة "ذي غارديان".

وأصدر وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو تحذيراً مماثلاً لوزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، قائلاً إن "الهجوم على إدلب هو أمر وافقت عليه سوريا وروسيا"، وأضاف أن "الولايات المتحدة تعتبر ذلك تصعيداً لخطر بالفعل للنزاع". مع استمرار التوتر في المنطقة، تفيد شبكة "سي. إن. إن" الأمريكية، بأن "خبراء الاستخبارات الأمريكية والعسكريين قد أنشأوا قائمة بمرافق الأسلحة الكيميائية السورية التي يمكن أن يتم ضربها إذا قرر ترامب طلب جولة جديدة من الضربات الجوية على سوريا". حتى الآن، "لم يتخذ قرار باتخاذ إجراء"، بحسب ما أكدت الشبكة الأمريكية، لكن مسؤولاً بالإدارة على دراية مباشرة بالوضع قال لـ "سي. إن. إن" إن الجيش "قد يستجيب بسرعة كبيرة" إذا شنت سوريا هجوماً بالأسلحة الكيميائية. التوترات بين روسيا والولايات المتحدة ليست بأي حال التهديد الوحيد للسلام العالمي، ومع ذلك، هناك عدد من النقاط الساخنة الأخرى في جميع أنحاء العالم.

حرب بالوكالة في سوريا

بيتر فوردي سفير المملكة المتحدة السابق في سوريا، قال إنه "من المتصور تماماً" أن هجوماً كيميائياً آخر مثل الهجوم المزعوم الذي نفذ في أبريل/نيسان على دوما، المدينة السورية التي كان يسيطر عليها المتمردون آنذاك، يمكن أن "يؤدي إلى أزمة خطيرة حقاً". لكن المحلل سايمون تيسدال، يقول إن روسيا "ستذهب لمبررات غير عادية لتبرير الهجوم القاتل الذي يخشى المراقبون أن يحل على إدلب".

"من أجل تبرير مهاجمة إدلب، غالباً ما يزعم النظام أن المحافظة مليئة بالإرهابيين، لكن الحقيقة هي أن الغالبية العظمى من السكان هم من المدنيين"، هكذا قالت متحدثة باسم "حملة سوريا"، وهي مجموعة للدفاع عن حقوق الإنسان. "من المتوقع أن يؤدي الهجوم إلى نزوح أكثر من ٧٠٠٠٠٠ شخص وخلق كارثة إنسانية لمئات الآلاف"، بحسب تصريحاتها.

الخوف الآن، الذي يشاطره مبعوث الأمم المتحدة في سوريا ستافان دي ميستورا، هو أن "الأسد" مع دعم "موسكو" يعتزم استئناف هجمات الكلور، وهو تحول في الأحداث من شأنه أن يشهد انتقاماً ثقيلاً من الولايات المتحدة. وقد أصدر مستشار الأمن القومي الأمريكي جون بولتون تحذيراً علنياً، قاله من إسرائيل الأسبوع الماضي: "لكي لا يكون هناك أي لبس هنا، إذا استخدم النظام السوري الأسلحة الكيميائية، فسوف نرد بقوة. ويجب عليهم التفكير في هذا الأمر منذ وقت طويل قبل أن يتخذوا أي قرار لأنه لا يوجد غموض في موقف الولايات المتحدة بشأن هذه النقطة".

وقال مسؤول في إدارة "ترامب"، لشبكة "سي. إن. إن"، إن الولايات المتحدة تعتقد أن الروس "ربما شاركوا في بناء السفن الحربية البحرية في البحر المتوسط، ليكونوا مستعدين لما يعتقدون أنه ضربات أمريكية رداً على نظام الأسد باستخدام الأسلحة الكيميائية". وتعتقد الولايات المتحدة أن الرادارات الروسية "يمكن أن تلجأ بعد ذلك إلى أنظمة مضادة للطائرات من طراز S-400 على الأرض في سوريا وتحاول إسقاط الصواريخ الأمريكية"، ما أثار مزيداً من الانتقام من "واشنطن".

إيران ضد الولايات المتحدة

انسحب "ترامب" من الاتفاق النووي الإيراني في مايو، وهو قرار وصفه أحد مستشاري الرئيس الأمريكي السابق براك أوباما للأمن القومي، بأنه "أسوأ خطأ ارتكبه الولايات المتحدة في الشرق الأوسط منذ حرب العراق". ورفض

"ترامب" الاتفاقية التي بموجبها وعدت إيران بوقف طموحاتها النووية مقابل رفع العقوبات الدولية باعتبارها "خيالاً عملاقاً".

لكن "ترامب" حث بهذا الشكل "المتشددون الإيرانيين على إعادة إطلاق برامج الأسلحة"، حيث تعتبر "غارديان" استراتيجية "ترامب" عالية المخاطر للغاية ومن المرجح أن تؤدي إلى مواجهة عسكرية بين الولايات المتحدة وإيران وربما النظام السوري". في الواقع، إن إلغاء الدعم الأمريكي للاتفاق النووي الإيراني له نتيجة واحدة فقط، وهي الحرب، بحسب ما يقول ديمون لينكر من الطبعة الأمريكية لصحيفة "ذا ويك".

يقول "لينكر" إن "صفقة إيران، مهما كانت عيوبها، كانت تمنع إيران من امتلاك قدرة نووية". ولكن إذا كان "هدفك الحقيقي هو إسقاط الحكومة الإيرانية"، لكان قد أثبت ذلك أنه مصدر إزعاج، بحسب ما يقول. وتقول صحيفة "واشنطن بوست" إن "ترامب" قد تم دفعه للخروج من الصفقة من قبل رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وولي العهد السعودي محمد بن سلمان، الذي تشارك دولته بالفعل في حروب منخفضة المستوى مع إيران. ويقول "لينكر" إن المملكة العربية السعودية "ستحبنا بشدة أن نحل مشكلة إيران الخاصة بهم.. وهذا يتركنا مع شيء قريب من العاصفة المثالية من المصير في اتجاه الحرب".

قطاع غزة

أدت الاحتجاجات القاتلة في غزة إلى مخاوف من انتفاضة ثالثة، وهي جهد فلسطيني عنيف للتخلص من السلطة الإسرائيلية والحصول على الاستقلال. وبعد سبعة عقود من تشكيل دولة إسرائيل، يبدو أن الصراع "يعود إلى جذوره"، بحسب ما تقول مجلة "تايم" الأمريكية. ويدافع من قرار "ترامب" بالاعتراف بالقدس كعاصمة لإسرائيل، تطالب إسرائيل بأن يعترف الفلسطينيون بحق اليهود في دولتهم في فلسطين التاريخية. وتقول المجلة إن الفلسطينيين "يطالبون بحق العودة إلى ديارهم.. ولا يمكن التوفيق بين الهدفين"، حيث كان يُنظر إلى حل الدولتين في السابق على أنه "الصيغة السحرية للسلام"، والهدف النهائي للولايات المتحدة بالنسبة للمنطقة، كما تقول هيثر هورلبرت من مجلة "نيويورك": "مع وجود (ترامب) الآن على رأس السلطة، يتحدث المتفائلون عن الوضع الراهن، مما يوحي بأننا لن نقرب أكثر من السلام ولكننا لن نحصل على حرب كاملة".

لكن "هورلبرت" يشير إلى أنه حتى "الوضع الراهن المعقد" يخاطر بتزايد المعاناة الفلسطينية وعزل إسرائيل على المستوى الدولي. ويقول إن "الفلسطينيين يشعرون أن الغرب وقادتهم قد أخفقوا في ارتكابهم، ويتخذون إجراءات مثل السير إلى حدود غزة.. الحكومات الإسرائيلية، التي تحتاج إلى إظهار القوة لدعم مواقفها الضعيفة ضد السخرية العامة، تفتح النار. استجابة الفلسطينيين لدعوات الجماعات المتطرفة العنيفة مثل القاعدة وداعش تتزاي". إن مسلحي "داعش" الذين طردوا من العراق وسوريا "بدأوا بالفعل العمل أقرب إلى إسرائيل، وستوفر انتفاضة ثالثة.. كل الدوافع التي يحتاجونها لإعادة تجميعهم وتجديد جهودهم القاتلة"، كما تقول صحيفة "إندبندنت". "إنهم بارعون في استغلال المظالم، وما قد يراه البعض على أنه ضم دبلوماسي أمريكي إسرائيلي لموقع القدس المقدس يوفر لهم مبرر بشكل خاص".

بحر جنوب الصين

في أواخر العام الماضي، وجد التحليل الذي أجراه مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية التابع للمركز الأمريكي، أن الصين "أنشأت منشآت عسكرية تبلغ أربعة أضعاف مساحة قصر باكنغهام في الجزر المتنازع عليها" في بحر الصين الجنوبي. وقد وصف التقرير عملية البناء بأنها "أزمة بطيئة الحركة" في واحدة من أكثر النقاط الساخنة خطورة في العالم. تقول صحيفة "ذي غارديان" إن الولايات المتحدة "تواصل بانتظام إرسال السفن الحربية فوق الجزر، وسط الاعتراضات الصينية، فيما يوصف بأنه تمارين حرية الملاحة". ويقول ماوتشون يو أستاذ التاريخ في الأكاديمية البحرية الأمريكية في ولاية "ماريلاند"، إن المواجهة في المنطقة "غير محتمة".

وتحاول "بكين" طرد حدودها وتوسيع السيطرة على المياه المحيطة. وبحسب مجلة "فورين بوليسي" الأمريكية، فإن "الأولوية الجيوسياسية والجيوسراتيجية للصين هي مراجعة أو تغيير النظام الدولي القائم الذي يستند إلى نظام معقد من القواعد والقوانين والأعراف التي تحكم مختلف المشاعات العالمية بما في ذلك بحر الصين الجنوبي". وذهب ستيف بانون مستشار "ترامب" السابق، خطوة أخرى إلى الأمام في مارس من العام الماضي، قائلاً: "سنخوض حرباً في بحر الصين الجنوبي خلال خمس إلى عشر سنوات.. لا شك في ذلك".

*ترجمة: المركز الكردي للدراسات

الثقة في مواجهة الإشاعة

*إبراهيم غرايبة

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/٩/٤

ليس لدينا (الحكومة والمجتمعات والأفراد والأسواق) لمواجهة الإشاعة سوى الثقة، ففي هذا الفضاء الشبكي المفتوح بلا حدود للمشاركة والتلقي لا تملك المؤسسات الرسمية والمجتمعية والخاصة سوى أن تنشئ حالة من الثقة بينها وبين الجمهور، وعلى قدر هذه الثقة يمكن أن ننشئ فضاء عاما يشارك فيه الجميع بلا استثناء ولا قيود سوى القانون. هكذا فإن السؤال العملي والحقيقي هو كيف نبني الثقة؟

ليس المطلوب بالطبع تجاهل الانتهاكات والإساءات إن كان ممكنا أن يطالها القانون، وعلى أي حال، فإن قوانين مواجهة الإساءة إلى المواطنين والقيم والدين والرموز الدينية موجودة ويفترض أنها تطبق منذ زمن طويل، ولم تنشأ هذه القوانين ابتداء حول شبكات التواصل الاجتماعي.

في هذا الفضاء العام الذي يشكل فيه كل مواطن مركزا مساويا لأي مواطن آخر أو مؤسسة عامة أو خاصة يصبح الجميع على قدم المساواة في الحرية والمسؤولية، وفي ذلك فإن رسالة المؤسسات العامة والاجتماعية أن تنهض بأداء وقدرات جميع المواطنين ليكونوا جميعا قادرين على المشاركة في الفضاء العام بالكفاءة والمعرفة والمسؤولية التي يعمل بها الإعلاميون والصحفيون المحترفون" حتى يتجنب جميع الفاعلين في الشبكة الوقوع في أخطاء قانونية تعرضهم للملاحقة وليمتلكوا أيضا المهارات والمعرفة التي تمكنهم من التمييز والنقد تجاه ما يبث في الشبكة، ثم ليستطيعوا المشاركة الإيجابية في خدمة رؤية ورسالة الفضاء الوطني العام بما هو جدر حرّ متاح للجميع بلا استثناء، ويستمتع فيه الجميع إلى الجميع.

إن بناء الثقة بين المؤسسات والنخب السياسية والاجتماعية من جهة وبين المجتمعات والأفراد والطبقات والجماعات المختلفة لم يعد يعتمد على أسلوب الـ "show" ولا الإبهار ولا الحركات الإعلامية منتهية الصلاحية أو التي تنتمي إلى إعلام ما قبل الشبكة، كما يدمرها العقل الباطن المستمد من العجرفة والوصاية، .. لكن يجب أن تمتلك النخبة بمن هم القادة السياسيون والاجتماعيون والاقتصاديون لياقة روحية واجتماعية عالية والشعور الحقيقي بالمساواة مع جميع المواطنين والتفاعل الحقيقي أيضا مع المواطنين جميعهم بافتراض المساواة والندية في الكفاءة والمعرفة.

لم تعد تفيد شيئا تلك البرامج ذات المحتوى الإعلامي والإعلاني أيضا، فلا يقنع المواطن تلك الجداول الجميلة المعدة في بور بوينت أو انفوغرافيك من دون محتوى حقيقي أو إذا كانت قائمة على حجب الحقائق والمعلومات والتلاعب بها! كما لم تعد مفيدة في شيء زيارة مطعم شعبي أو كشك للكتب أو ركوب حافلة عامة، .. بل إنها تثير السخرية!

يجب أن يقدم كل مسؤول في موقعه العام أو الاجتماعي أو الاقتصادي الحقائق والأفكار الواقعية والمستمدة من الأهداف العملية والواضحة ويربطها بوضوح وصراحة مع الفكرة الأساسية والحاكمة لعمل المؤسسات "إدارة وتنظيم الموارد بكفاءة وعدالة" وأن يتحدث في الفضاء العام بالروح والأداء نفسهما اللذين يخاطب بهما المسؤولين والمتخصصين! تنهار الثقة عندما يستولي على المسؤول شعور بأن المواطنين أقل مستوى معرفي منه، وأنه يمكنه أن يخفي المعرفة عنهم أو أن يبههم بأداء التسويق والعلاقات العامة، وبالمناسبة فإن الأداء الإعلاني والتسويقي في الفضاء العام يسيء إلى المنتجات والسلع التي يسوقها أكثر مما يفيدها.

والمؤسسات الإعلامية تحتاج لأن تدرك أن الأفكار والإنجازات الهزيلة سوف تظل هزيلة حتى لو وضعت في انفوغرافيك أو قدمت في بور بوينت. والمحتوى الهزيل يظل هزيلة حتى لو قدم بأجمل التقنيات وأدوات البث والنشر، .. ولا علاقة بين الجمال والوسامة والمحتوى.

بين المواطنة والتوطين

*مروان المعشر

مركز كارنيغي، ٢٠١٨/٩/٤

بون شاسع يفصل بين مفهومي المواطنة والتوطين، وبالرغم من بعض التشابه اللفظي بينهما، فإن المعنيين مختلفان تماما، وتطبيق كل من المفهومين يأتي بنتائج معاكسة لبعضهما بعضا. وفي حين أشعر أن ما أقوله في الحالة الأردنية يندرج تحت باب البديهيّات، فإن خلط هذين المفهومين، ومن قبل شخصيات عامة كثيرة، يستوجب توضيحا لهما، وصولا لإجماع وطني يتطلبه ما يواجه الأردن اليوم من محاولات إسرائيلية وأمريكية لتصفية القضية الفلسطينية على حسابه.

المواطنة المتساوية مفهوم إيجابي وضروري لمنعة الأردن، بل هو ضروري لمنعة أي بلد في العالم. وهو موضوع بت فيه الدستور بشكل حاسم منذ أن كتب العام ١٩٥٢ أي بعد النكبة الفلسطينية بقليل. وقد فهم المشرع الأردني حينذاك ضرورة ترسيخ هذا المفهوم في المجتمع الأردني سياسيا ومجتمعيا، فجاءت المادة السادسة من الدستور واضحة وضوح الشمس، خاصة فيما يتعلق بالمكون الفلسطيني بعد النكبة، وربما هناك حاجة لاستذكارها هنا. "الأردنيون أمام القانون سواء لا تمييز بينهم في الحقوق والواجبات وإن اختلفوا في العرق أو اللغة أو الدين". وقد أوضح الأردن في حينه أن هذه المادة لا تؤثر بشكل من الأشكال على حقوق المواطنين من أصل فلسطيني في العودة و/أو التعويض حسب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٩٤.

هذا المفهوم الراقى الذي يجعل من كل حامل رقم وطني أردني مواطنا كامل الدسم، هو ما انتبه إليه ورسخه المشرع الأردني منذ ما يقرب من سبعين عاما، وهو الذي يحصن الجبهة الداخلية اليوم ويقف سدا منيعا أمام المحاولات الخارجية لزعزعة استقرار هذا البلد الذي نحافظ عليه جميعا بقرّة العين، وهو الكفيل بالتصدي، بل إفشال صفقة القرن وكل المحاولات الإسرائيلية والأمريكية لإنهاء القضية الفلسطينية. المواطنة المتساوية مفهوم راق وإيجابي لأبعد الحدود، ويجب أن يقف وراءه كل أردني وأردنية يبتغون منعة الأردن.

أما التوطين، فهو مفهوم مغاير تماما، ينطبق على من لا يحمل الجنسية الأردنية، ويراد منه إنهاء الهوية الفلسطينية، ومنع قيام الدولة الفلسطينية المستقلة على ترابها الوطني، وإبقاء القدس تحت السيطرة الإسرائيلية، والتخلص من أعداد كبيرة من الفلسطينيين القاطنين اليوم تحت الاحتلال، باعتبار أن استمرار صمودهم خطر وجودي للمشروع الصهيوني، وبالتالي فإن تهجير أعداد كبيرة منهم مصلحة إسرائيلية بحتة تتعارض تماما اليوم مع المصلحة الأردنية العليا بنفس مقدار تعارضها مع المصلحة الفلسطينية.

إذا، التوطين بمعنى إعطاء الجنسية الأردنية لمن لا يحملها اليوم، بغض النظر عن أماكن تواجده، محاولة فاشحة لتمرير "صفقة العار" عن طريق محاولة تهميش الهوية الفلسطينية واقتلاع الفلسطينيين من أرضهم ومحاولة لإيجاد حل للقضية الفلسطينية على حساب الأردن.

التوطين إذا مفهوم خطير وسلبى، يهدد المصالح الأردنية والفلسطينية على حد سواء، وهو بذلك مفهوم معاكس تماما لمفهوم المواطنة. مواجهة صفقة القرن تكون بالوقوف مع المواطنة والوقوف ضد التوطين. الوقوف مع المواطنة يعني تحصين الجبهة الداخلية ضد أي محاولات خارجية للإخلال بالأردن، كما أن التصدي للتوطين يعني التصدي لصفقة القرن، ويجب أن يقرن بدعم بقاء الفلسطينيين والفلسطينيات على أرضهم، فإذا ما نجحنا في ذلك يصبح الفلسطينيون أغلبية داخل المناطق التي تسيطر عليها إسرائيل اليوم، وساعتها لن يكتب لا لصفقة القرن ولا لقطع المعونات عن الأونرو ولا لقرار نقل السفارة الأمريكية للقدس ولا لأي إجراء آخر يحاول النيل من الهوية الفلسطينية النجاح.

نعم للمواطنة المتساوية، وألف لا للتوطين.

ثقافة الإحباط

* محمد أبوorman

صحيفة (الغد) الأردنية؛ ٢٠١٨/٩/٤

يكفي أن تبدأ يومك بقراءة عناوين الأخبار، في الصفحة الأولى من الصحيفة، حتى تشعر بحالة شديدة من الإحباط والقلق!

فيديو مدرسة الفيصلية، وفيديو جامعة آل البيت، وصور الاعتداء على مدرسة طالبات في الزرقاء، ومعدل البطالة الذي وصل إلى مستوى قياسي (١٨,٧٪). من أي زاوية ننظر إلى ما سبق؟! هل هو فشل السياسات العامة، ونتائج أخطاء متراكمة، منذ أعوام طويلة، على صعيد التربية والتعليم، والاعتماد على التوظيف، والاعتبارات الجهوية والاجتماعية في التعامل مع الجامعات، وسياسات الاسترضاء والتنفيـع والممالة التي أدت إلى التمرّ على القانون والإدارة ونمو الهويات الفرعية والجهوية على حساب الاعتبارات الوطنية والمدنية، التي كانت أفضل حالاً لدينا قبل عقود، بمعنى أنّ مؤسسات الدولة نفسها تعرّضت لموجة من "التزييف"، وأصبحت ضحية لتلك السياسات!

كل ذلك صحيح، لكن نجم عنه أمر في غاية الخطورة، فلم يعد الأمر مرتبطاً فقط بقرارات وسياسات إدارية، أصبح ثقافة يومية وعامة، انتظار الوظيفة، العنف البنيوي في المجتمع في تعاملنا مع بعضنا بعضاً، في المدارس والجامعات والأحياء، ومن ذلك التطرف الديني وهو عنف رمزي، المحاصصة الاجتماعية والجهوية، استدخلت هذه المفاهيم في الثقافة الاجتماعية، وأصبحت جزءاً منها، وبدأت الثقافة المدنية والقانونية وكأنها استثناء، وليست الأصل، حتى في قلب الجامعات، التي من المفترض أنّها منصّة قيم التنوير والحداثة والتطوير.

بالتوازي والتزامن مع الحديث عن الإصلاحات المطلوبة، مالياً وسياسياً واقتصادياً وإدارياً وتعليمياً، فلا يجوز أن يبقى الإصلاح الثقافي مسألة ثانوية ومهملة، تأتي في ذيل أولويات الدولة واهتماماتها، وكأنها شأن مرتبط بأعمال الكتاب والأدباء والفنانين، وهذا صحيح جزئياً، لكن مع ضرورة أن يُربط ذلك بالثقافة العامة والسياسية والوطنية واليومية، وأن تكون ضمن المهمة الثقافية للدولة والحكومات، وفي نصّ الشأن العام، لا على هامشه!

إصلاح السياسات مرتبط بعضوياً بالعمل الثقافي، فمواجهة معدلات البطالة تتطلب ثقافة جديدة تقدّس قيم العمل والإنجاز وتردّ الاعتبار للعمل المهني والحرفي، بوصفه فناً محترماً ووسيلة من وسائل التنمية الاقتصادية وحلّ معضلة البطالة، فلا يمكن الاستمرار بتجاهل معادلة غريبة وعجيبة: أكثر من مليون عامل وافد مع معدلات بطالة تصل لدى الشباب في حدود الـ ٤٠٪، ولا يمكن انتظار الوظيفة الحكومية، وهي لم تعد تجدي حتى اقتصادياً، بالمناسبة، وعلى الشباب اليوم أن يحطّم الحواجز الثقافية والنفسية التي تحول دون ثقافة العمل أو تقلل من شأن التعليم المهني.

الحال كذلك بالنسبة لثقافة احترام القانون وتغليب قيم الكفاءة والنزاهة على مفاهيم الولاءات الجهوية والسياسية والاجتماعية، وهي -أي ثقافة القانون- مرتبطة بمهمة تبدأ منذ الأعوام الصغيرة حتى الكبر، تتواصل في غرس هذه القيم لدى الأطفال.

مواجهة العنف البنيوي والتطرف الديني مرتبطة أيضاً بإعادة تعريف وتطوير مفهوم الهوية الوطنية الجامعة، الهوية المنفتحة على الحوار والآخر والتعددية والمدنية، وليست الهوية المنغلقة المرتبطة المقعّرة، فأحد أهم أركان المهمة الثقافية اليوم تطوير مفهوم الهوية الوطنية الجامعة، وتخليصه من المفاهيم الخاطئة والارتكاسية.

ثمّة تحولات اجتماعية وثقافية هائلة حدثت، وتزاوجت الأمراض الموروثة مع العولمة المهيمنة على ثقافة الجيل الجديد (جيل الأيفون)، وهذا وذاك يعزز من أهمية وضرورة المهمة الثقافية وبناء رسالة ثقافية حضارية للدولة، تبدأ من ثقافة الحياة اليومية في قيم التعامل مع بعضنا بعضاً، وترعرع ثقافة الوظيفة العامة، وتصل إلى ثقافة المال العام والقانون وتحديد الحدود والواجبات لدى المواطنين وترسيم علاقتهم في الدولة.

فوق كل ذلك نحتاج إلى ثقافة إيجابية متفائلة في مواجهة ثقافة الإحباط والتشاؤم التي باتت تهيمن على المزاج العام.

الشرق الأوسط.. شعوب مسكينة

*توماس فريدمان

صحيفة (نيويورك تايمز) : ٢٠١٨/٩/٨

استمتعتُ جداً بمشاهدة فيلم «آسيويون أغنياء مجانين» لأنه علاوة على المواقف والعبارات المثيرة للضحك التي احتواها ذكرني بنقطة مهمة: أن آسيا الغنية أصبحت غنية حقاً ليس لأنه ليست لديها خلافات سياسية وقبلية وإثنية ودينية مثل المناطق الأخرى، ولكن لأنها تعلمت وضع تلك الخلافات جانبا والتركيز على بناء الأسس الحقيقية للثروة المستدامة، ألا وهي: التعليم، التجارة، والبنى التحتية، والرأسمال البشري، وفي أكثر البلدان نجاحا، حكم القانون. فقد أصبح معظم آسيا ينعم بالرخاء والازدهار ليس بفضل الموارد الطبيعية، وإنما من خلال استغلال واستثمار موارده البشرية – رجالاً ونساء – ومنحها الأدوات اللازمة لتحقيق إمكانياتها واستغلال طاقاتها.

وهو ما دفعني للتفكير في أنه لو قام أحد بصنع فيلم مماثل حول الشرق الأوسط، فيمكنه أن يسميه «شرق أوسطيون فقراء مساكين». لأنه، وفي ما عدا بعض الاستثناءات، فإن هذه المنطقة لم يسبق أن كانت بمثل الفوضى التي هي عليها اليوم، ولم يسبق أن تصارع فيها الناس حول من منهم يملك أي شجرة زيتون بمثل عدد من يتصارعون فيها اليوم، ولم يسبق أن كان لديها عدد أكبر من المدن التي تحولت إلى خراب بسبب تناحر الطوائف وأهدرت إمكانيات كبيرة جدا من اليوم.

إن المنطقة التي يفترض أن تكون غنية بشكل طبيعي في العالم أفقرت نفسها لأنها سمحت بشكل متكرر للماضي بأن يدفن مستقبلها، والمنطقة التي هي فقيرة بشكل طبيعي أغنت نفسها، لأنها سمحت للمستقبل بدفن الماضي.

الآن، يقول الرئيس دونالد ترامب، إنه يريد الخروج من الشرق الأوسط. ولكن الخيارين الحقيقيين أمام أمريكا هناك ليسا هما البقاء أو الذهاب، وإنما: أن تكون ذكياً أو غيبياً. وترامب أساء التقدير لأنه أوكل مهمة فرض النظام هناك لبعض حلفائنا، مثل إسرائيل وصديقه فلاديمير بوتين. واليوم، يتلقى ترامب درسا بخصوص ما يحدث عندما تعطي أمريكا شيكاً على بياض لحلفاء وأصدقاء – يتقاسمون معنا بعض المصالح، ولكن لديهم أيضاً ميولات متطرفة خاصة بهم – ويتنازل عن الزعامة الدبلوماسية الحقيقية.

لنذهب إلى شريط الأحداث، فقد أجهدت إيران نفسها بسبب تمددها وسعيها لتوسيع نفوذها الديني والعسكري الضار في اليمن، والعراق، ولبنان، وسوريا، حيث تحالفت مع نظام بشار الأسد العلوي/الشيوعي من أجل الانخراط في التطهير العرقي للسنة من مناطق من سوريا واستبدالهم بالشيعة. وهو عمل قبيح، قبيح للغاية.

وفي الأثناء، نسج رئيس الوزراء الإسرائيلي بذكاء علاقة مع بوتين خلال الثلاث سنوات الماضية – مع عشرات اللقاءات والاتصالات الهاتفية – وذلك لضمان أن تستطيع القوات الجوية الإسرائيلية الاشتغال ضد إيران في سوريا وأن تبقى روسيا الإيرانيين بعيداً عن الحدود الإسرائيلية، ولكن مع ذلك، ورغم أن الإسرائيليين تمكنوا من اختراق الوحدات الإيرانية لدرجة أن طائرات الحرس الثوري الإيراني المحملة

بالصواريخ تحط في دمشق في السادسة مساء وإسرائيل تفجّرهما بحلول الثامنة مساء - إلا أن الإيرانيين ما زالوا يواصلون محاولات تحويل سوريا إلى منصة صواريخ متقدمة ضد إسرائيل.

ويوم الثلاثاء، قصفت القوات الجوية الروسية محافظة إدلب - وهي آخر مركز تجمع رئيس للشوار الإسلاميين المعارضين للنظام في سوريا ومئات الآلاف من اللاجئين السنة الذين فروا من غازات النظام السامة وهجمات أخرى.

وقد بعث ترامب بتغريدة على تويتر قال فيها: «يجب على الرئيس السوري بشار الأسد ألا يقوم بمهاجمة محافظة إدلب بشكل متهور. سيرتكب الروس والإيرانيون خطأ إنسانياً فادحاً إن شاركوا في هذه المأساة الإنسانية الممكنة. فمئات الآلاف من الأشخاص يمكن أن يُقتلوا. لا تسمحوا بحدوث ذلك!».

وبالتالي، فيبدو أن ترامب رسم خطأ أحمر بتغريدته، ولكن لسان حال روسيا وإيران يقول للولايات المتحدة وإسرائيل: من دون جنود على الأرض، ليس لديكم الحق في التصويت. إننا سنجازف بكل شيء. فماذا سيفعل ترامب إذا تجاهلته إيران والأسد وروسيا؟

ثم ما الذي يفعله فريق ترامب في إسرائيل؟ فأولا، قام بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس - مانحاً الحكومة الإسرائيلية اليمينية بزعامة بينيامين نتنياهو جائزة كبرى - ولم يطلب شيئاً في مقابل ذلك.

والحال أنه كان بوسع ترامب أن يقول لنتنياهو إنه سيقوم بنقل السفارة، ولكن فقط في مقابل وقف إسرائيل لكل أنشطة البناء الاستيطاني خارج كتل الضفة الغربية في المناطق العربية ذات الكثافة السكانية التي من المرجح أن توضع تحت السيطرة الفلسطينية في أي اتفاق سلام. وكان من الممكن أن يساهم ذلك في الدفع بعملية السلام إلى الأمام، ولكن بدلاً من ذلك، تخلت الولايات المتحدة عن أوراقها الدبلوماسية القيّمة بالمجان. فما مدى حماقة في ذلك؟

واليوم، أخذ فريق ترامب يعاقب الفلسطينيين بسبب عدم قبولهم التفاوض مع نتنياهو - الذي لم يضع أي اتفاق على الطاولة - عبر قطع المساعدات على السلطة الفلسطينية - مساعدات كانت تذهب إلى مشاريع مثل المياه ومعالجة الصرف الصحي - والمساهمات في تمويل «وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين»، التي تُعد مشغلاً رئيساً في الضفة الغربية وقطاع غزة والمصدر الرئيس للتعليم العلماني - أي غير التابع لحركات الإسلام السياسي - للفلسطينيين.

فترامب يعتقد أنه يستطيع ببساطة أن يستمر في الضغط على الفلسطينيين، وألا يطلب من إسرائيل أبداً القيام بأي شيء شاق، وأن يحول دون تدهور الأمور. والحال أن الأمور يمكن أن تتدهور وتزداد سوءاً. فالسلطة الفلسطينية يمكن أن تنهار - وعلى الرغم مما تعانيه من ضعف ومشكلات، إلا أنها إذا رحلت، فإنه سيصبح من الصعب إعادة البناء، وسيتعين على إسرائيل توفير كل الإدارة في الضفة الغربية بتكلفة باهظة جداً.

الستار أسدل على لحظة امريكا في الشرق الأوسط .. ولكن، من يملأ الفراغ؟

*كالم بيرينتسميث

(إنترناشيونال بوليسي دايجست) : ٢٠١٨/٩/٨

ترجمة: علاء الدين أبو زينة: خلال السنوات العشر الماضية تقريباً، كان القادة في واشنطن مترددين في تحمل العبء الذي يفرضه وضع الولايات المتحدة باعتبارها القوة المهيمنة في الشرق الأوسط. ومع ذلك، لم يستند هذا القرار بالرجوع أو التراجع عن انخراط الولايات المتحدة في المنطقة على أي شكل من أشكال الحكم السليم والمنطق المحسوس، وإنما تأسس على التردد والخمول في سياسات واشنطن الشرق أوسطية. وفي هذه اللحظة سيئة التعريف، تبدو إدارة ترامب غير واثقة إزاء ما تريد وما هو المهم بالنسبة لها، وهو ركود يجعل الشرق الأوسط يمر بمرحلة إعادة تشكيل. وفي حين أن الأسئلة المتعلقة بالصراع الدائر في سورية وآفاق التوصل إلى سلام فلسطيني-إسرائيلي تبقى بلا إجابات في واشنطن، دخل لاعبون إقليميون جدد إلى المسرح، وتشكلت تحالفات جديدة كنتيجة للغياب الأمريكي.

تشكل إعادة التشكل الجارية في الشرق الأوسط إرثاً مشتركاً لباراك أوباما ودونالد ترامب. وقد ظلت الرسالة التي تم إعلانها خلال حقبة أوباما والرسالة التي نراها حالياً هي نفسها: إذا كان أصدقاء امريكا في المنطقة يرغبون في تحقيق الأمن الجيوسياسي، وتعزيز السلام، وبلوغ مستوى جديد من الاستقرار، فمن الأفضل أن يحاولوا حل مشاكلهم بأنفسهم بدلاً من الانتظار بلا عمل حتى تقدم لهم واشنطن الحلول. وفي الحقيقة، ظهر هذا الاتجاه لإعادة التمحور الأمريكي بوضوح كبير في العام ٢٠١٣، بقرار أوباما عدم إنفاذ "الخط الأحمر" المفترض ضد استخدام الرئيس السوري بشار الأسد الأسلحة الكيميائية. وقد أذن ذلك ببداية عملية بسط نفوذ روسيا البطيء، وإنما المتزايد في الصراع السوري، مع قرار ترك فجوة كان الرئيس بوتين سريعاً إلى ملئها.

على الرغم من آمال الكثيرين بأن ترامب -كشخص خارجي، وبروابط قليلة مع مؤسسة السياسة الخارجية- سوف يضح مقاربة جديدة ومستنيرة وبراغماتية في السياسة الأمريكية الخاصة بالمنطقة، من أجل استعادة وضع الولايات المتحدة باعتبارها القوة المهيمنة، فإن عملية إعادة موازنة القوى لصالح روسيا، والتي كانت قد بدأها أوباما، تكثفت فقط منذ ذلك الحين. وكان ترامب قد تسابق إلى المنصب على ظهر إعلان أنه سيتخذ موقفاً أكثر حذراً وأقل تدخلية تجاه الشرق الأوسط، وأنه سيتبنى نهجاً أكثر نزاهة وتعقلاً إزاء قضية إسرائيل وفلسطين، وسوف يتجنب توريط الولايات المتحدة في حروب لا تنتهي. ومع ذلك، ولدى تولي سدة الرئاسة، كان تطبيق أهداف الحملة هذه -باستثناء القتال ضد "داعش" - مشوشاً ومرتبكاً: فقد ظل ترامب متردداً وغير حاسم فيما يتعلق بالعمل الأمريكي في الصراع السوري من خلال توجيه ضرباته الصاروخية إلى ذلك البلد، وإغلاق التوازن الخاص بالتوصل إلى اتفاق سلام فلسطيني-إسرائيلي، كما هدد بالحرب مع إيران.

يعرض الصراع في سورية مثال على تكون نظام إقليمي ما-بعد-أمريكي في الشرق الأوسط. ويشكل عدم التنظيم في سياسة واشنطن السورية مؤشراً على فشلها في تحديد دور جديد لنفسها في النظام السياسي العالمي، كما دلت على ذلك العملية العسكرية ضد الأسد في نيسان (إبريل) ٢٠١٨. وعلى الرغم من الرسالة التي قصدت الولايات المتحدة وحلفاؤها في باريس ولندن إرسالها إلى النظام السوري، فقد حققت العملية القليل، وكشفت لقادة العالم أن ترامب لا يمتلك استراتيجية سورية. وهكذا، وبالنظر إلى هذا العجز عن تقرير أي دور هو الذي تريد الولايات المتحدة أن تلعبه، شرع الآخرون في ملء الفراغ. وقد استفادت القيادات في موسكو وطهران من هذا التقاعس الأمريكي، وأصبحت تنظر إلى توسيع نفوذها في سورية على أنه لا يتعلق بمجرد إنهاء الحرب المستمرة هناك، وإنما يتعلق أيضاً بإضعاف القوة الغربية في المنطقة. وفي الحقيقة، تشكل سورية مكاناً تنخرط فيه كل المصالح الأمريكية، والتي أصبحت كلها في خطر.

مع ذلك، ليس هذا النوع من إعادة موضعة السلطة شأنًا فريداً ومقتصراً على السياق السوري. فباستهداف النظام الإيراني واتخاذ موقف صارم ضد تركيا، قامت إدارة ترامب -عن غير قصد- ببناء تحالف بين روسيا وتركيا وإيران: وهو محور تأتي مصالحه المناهضة لأمريكا على حساب تفوق الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. وفي واقع الأمر، ليس هذا التحالف طبيعياً، وإنما كان النتيجة المباشرة لدبلوماسية ترامب المتعثرة والمتشددة. ومنذ الأيام التي كافحت فيها روسيا القيصرية ضد الإمبراطوريات العثمانية الفارسية، عانت روسيا من علاقات جيوسياسية متضاربة مع تركيا وإيران" وقد أفاد قبول تركيا في حلف الناتو بالكاد العلاقة بين موسكو وأنقرة أيضاً. ومع ذلك، وبينما تواصل التوترات تصاعدها بين البيت الأبيض وتركيا -مركزة حول فرض الإقامة الجبرية على القس الأمريكي أندرو برونسون في تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠١٦ والفرض اللاحق للعقوبات الأمريكية على تركيا- فإن بعض المحللين وضعوا على الطاولة خيار أن تركيا ربما ترغب في التخلي عن تحالف الناتو نفسه أكثر من التنازل للولايات المتحدة، والسعي بدلاً من ذلك إلى إبرام صفقات بديلة مع روسيا عن طريق التحرك أقرب إلى مدار نفوذها.

تزامن كل هذا مع قرار ترامب أحادي الجانب سحب بلده من الاتفاق النووي الإيراني للعام ٢٠١٥، وإعادة تطبيق العقوبات على إيران، وتطبيق المزيد من العقوبات على روسيا. ويبدو هذا النوع من الدبلوماسية محكوماً بحتمية التأثير سلباً على الولايات المتحدة فيما يتعلق بسياساتها تجاه الشرق الأوسط في المستقبل، وقد دفع مسبقاً نحو التئام تحالف ينطوي على إمكانيات القوة، والذي لا تتطابق أهدافه في المنطقة مع أهداف واشنطن.

كما أن حماس العرب للمشاركة مع ترامب فيما يخص "صفقة القرن" التي يعدها لتحقيق السلام الفلسطيني-الإسرائيلي أصبح يفتر بوضوح: وهو مجال آخر يشهد فيه النفوذ الأمريكي في المنطقة تراجعاً. فبعد أشهر من الدبلوماسية المكوكية وسلسلة من الاجتماعات مع القادة العرب، فشل مبعوثا الولايات المتحدة، جاريد كوشنر وجيسون غرينبلات، في إقناع مصر ودول عربية رئيسية أخرى مثل السعودية والإمارات العربية المتحدة بأن الولايات المتحدة يمكن أن تتوسط في صفقة عادلة. وفي حين قال رئيس لجنة الشؤون العربية في البرلمان المصري أن مصر ترى أن مزاعم ترامب عن الدعم المتواصل لعملية السلام هي "زائفة بالكامل"، فقد أشار بقوة أيضاً إلى أن "معظم العالم العربي، بما فيه مصر والسعودية- رفض صفقة القرن التي اقترحتها الولايات المتحدة".

في واقع الأمر، كانت عملية السلام التي تقودها الولايات المتحدة منحازة دائماً وبشكل لا يصدق لصالح الاحتلال الإسرائيلي، إلى حد جعل التوصل إلى تسوية عادلة مستحيلاً. ولكن، كانت هناك في الحد الأدنى درجة من النزاهة، والتي تستطيع معها الولايات المتحدة ادعاء أنها مفاوض نزيه قبل أن تقوم القوة العظمى بنقل سفارتها من تل أبيب إلى مدينة القدس متعددة الإثنيات، جاعلة من نفسها البلد الوحيد في العالم الذي يعترف بالمدينة عاصمة لإسرائيل. كما أن الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة هذا الصيف لإغلاق وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا) -التي تقدم المساعدة والعون للاجئين الفلسطينيين في الأردن وغزة والضفة الغربية- صبت الوقود فقط على هذا الحريق. وكانت النتيجة هي التسبب بخيبة الأمل للعرب الذين يتذكرون باعتزاز تلك الصورة الشهيرة في أيار (مايو) ٢٠١٧ في قمة الرياض لمحاربة الإرهاب.

إذا كان الحلم بـ"باكس امريكانا" للشرق الأوسط قد مات، فإن ذلك حدث فقط بسبب قيام أمريكا بنحر ذلك الحلم. وكان الكثير من الدول العربية المعتدلة لترحب بسياسة أمريكية أكثر انخراطاً ونشاطاً تجاه المنطقة، لكنها ستنتظر بخلاف ذلك إلى أماكن أخرى لطلب العون. وقد تضاعف التراجع الأمريكي فعلياً بفعل التحركات المناهضة للهيمنة الأمريكية، بقيادة دول مثل روسيا وتركيا وإيران، والتي شرعت في الانسياب إلى الفجوة التي تركها التقاعس الأمريكي. وقد قوبلت دعوة ترامب "دعوا الناس الآخرين يعتنون بذلك الآن" بالتلبية الصادقة" وإنما ليس من جهة أولئك الذين أمل الرئيس في أن يلتقطوا الراية.

سوف يكون أفضل مسار عمل للولايات المتحدة هو رفع الطلب على نشاطها في الشرق الأوسط، وبغير ذلك ستكون أمامها مشاكل أكبر لمواجهة هناك في المستقبل.

قمة طهران: ثلاثة لاعبين وشبح

*أمير طاهري

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/٩/٨

هل يتعامل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين مع الصراع السوري باعتباره نسخة جيوسياسية من سيمفونية لتشايكوفسكي؟ حسناً، لقد بدأ تدخله في سوريا كلفتة لطيفة مقصود بها توفير دعم مؤقت لقوات الطاغية السوري بشار الأسد قبل أن يشن أول تحركاته القوية في صورة قصف مكثف للعديد من المدن وبالأخص حلب لأجل إخضاعها.

وفي خطواته الثانية انتقل إلى العمل المتمهل وقدم العون لقوات الأسد لقتل أو طرد أكبر عدد ممكن من المقاتلين المناهضين للنظام.

الأسبوع الماضي شرع بوتين في الاستعداد فيما يأمل أنه سيكون النهاية الكبرى: شن هجوم على إدلب آخر معاقل القوات المناهضة للأسد. وسعيًا وراء ذلك، جمع الرئيس الروسي أكبر حشود جوية وبحرية قتالية تنشرها روسيا من أجل عملية واحدة منذ الحرب العالمية الثانية.

وفي طهران اليوم، يأمل بوتين في الترويج لهذه النهاية الكبرى لدى إيران وتركيا، وهما لاعبان مشاركان في الفوضى السورية قررا لأسباب مختلفة مساندة سيمفونية الموت والدمار التي يعزفها بوتين هناك.

كان قد تقرر أن تعقد «مجموعة آستانة» ثلاثية الأطراف اجتماعها الأخير في طهران لأن المرشد الإيراني آية الله علي خامنئي عاجز عن السفر بسبب مخاوف تتعلق بإصدار «الإنتربول» نشرة حمراء بناءً على أمر من محكمة جنائية في برلين. وحتى الآن يبدو أن بوتين سينجح في طهران في الفوز على الأقل بجزء من الاتفاق الذي يسعى خلفه.

ومثلما يبدو من السرعة التي جرى بها إفاد الرئيس حسن روحاني إلى كازاخستان للتوقيع على اتفاقية بحر قزوين التي أملتتها روسيا، يبدو أن القيادة في طهران في حالة توافق مع موسكو. والواضح أن كل ما يرغبه الماللي هو أن يسمح لهم بوتين بالإبقاء على وجود لهم داخل سوريا حتى وإن كان رمزياً في الجزء الغالب منه. وفي مواجهة أزمة اقتصادية متفاقمة ومظاهرات في مختلف أرجاء البلاد، يتشبث الماللي بخطاب يقوم على الادعاء بأنهم يقاتلون داخل سوريا كي لا يضطروا إلى مقاتلة الجهاديين المعادين للشريعة على أرض إيران نفسها. وحال اتضح زيف هذا الخطاب، فإن هذا سيكون بمثابة ضربة مذلّة وقاتلة لنظام لم يعد لديه ما يقدمه للإيرانيين.

ومن أجل الإبقاء على وهم أن طهران لا تزال عنصراً فاعلاً في سوريا بعث خامنئي بوزير الدفاع الجنرال أمير حاتمي، إلى دمشق لتوقيع ما جرى تصويره باعتباره معاهدة دفاعية. بيد أنه على أرض الواقع لم تكن هناك معاهدة أمنية. يذكر أن الجانبين سبق أن وقعا معاهدة دفاعية عام ٢٠٠٦ لم تتحقق على أرض الواقع بشكل كامل قط. أما الاتفاق الجديد فعبارة عن ملحق يحوي تصوراً للدور الإيراني في إعادة تنظيم والإبقاء على جيش الأسد عندما تنتهي الحرب.

ومع ذلك يعلم الجميع أن الغموض لا يزال يحيط بمستقبل الأسد ولا تزال روسيا صاحبة الكلمة الأخيرة في القضايا داخل سوريا على نحو لن يسمح للإيرانيين بضمان وجود كبير لهم في أي جيش سوري في المستقبل.

وربما يواجه بوتين صعوبة أكبر في إقناع الرئيس التركي رجب طيب إردوغان بالنهاية الكبرى في إدلب. منذ ٧ سنوات وفي وقت كانت جذوة «الربيع العربي» تنتقل من دولة إلى أخرى بدأ إردوغان يحلم بـ«فضاء» كبير من العثمانية الجديدة، إن لم تكن إمبراطورية، يمتد على مساحة واسعة من الأراضي من شمال أفريقيا حتى الحدود الإيرانية.

في سوريا تخلى إردوغان عن تحالف مبكر مع الأسد مقابل التحالف مع أفرع محلية من جماعة «الإخوان المسلمين». بحلول عام ٢٠١٨ كان حلم إردوغان الكبير قد انكمش إلى حلم صغير يدور حول بناء جيب «خالٍ من الكرد» داخل سوريا عبر الحدود. واليوم إذا نجح بوتين في طرد آخر حلفاء تركيا من السوريين خارج إدلب، سيبقى لدى إردوغان حلم أصغر يطلق عليه «منطقة درع الفرات» حيث يبني ما يبدو أنه جيب حكم ذاتي يخضع للسيطرة التركية (بانتوستان). لكن سيلاً من اللاجئين الفارين من إدلب من الممكن أن يمحوا هذا الجيب تاركاً إردوغان في موقف لا يحسد عليه ودون نتيجة تذكر مقابل استثمارات الدماء والأموال الضخمة التي دفع بها في هذه المغامرة غير المحسوبة.

في اعتقادي سيحاول بوتين إلقاء بعض الفتات لإردوغان لأنه لا يزال يأمل، وهو أمل كاذب في رأيي، أن باستطاعته تخفيف قوة الارتباط التركي التقليدي بالتحالف الغربي. وربما تؤدي الإساءة إلى إردوغان في هذه اللحظة إلى تقويض هذا الهدف الاستراتيجي.

أما خامنئي فربما ليس أمامه خيار سوى قبول بعض الدور التركي في سوريا لسببين الأول أنه، مثل بوتين، يأمل في أن تقصي تركيا نفسها عن حلف شمال الأطلسي (الناتو) وسبعة عقود من العلاقات المتينة مع واشنطن. أما السبب الثاني فهو أنه بمجرد أن تصبح العقوبات الأمريكية الجديدة سارية في نوفمبر (تشرين الثاني) فإن إيران سوف تحتاج إلى معاونة تركيا في الالتفاف على هذه العقوبات قليلاً لإبقاء الاقتصاد الإيراني على قيد الحياة حتى يغادر دونالد ترمب البيت الأبيض.

وماذا عن الأسد؟ الحقيقة أنه وعلى الرغم من الناحية الاستراتيجية لم يعد للأسد أهمية بالنسبة إلى مستقبل سوريا، فإن جميع العناصر الكبرى الفاعلة في سوريا بما في ذلك الولايات المتحدة وحلفاؤها المحليون الذين يسيطرون على نحو ٣٠ في المائة من الأراضي السورية بحاجة إلى وجود الطاغية السوري لأسباب مختلفة. روسيا وإيران تحتاجان إليه للدعاء بأنهما تشاركان داخل سوريا بناءً على دعوة من الحكومة الشرعية التي يترأسها الأسد. على أي حال كان الأسد من وقع عقد تأجير قواعد عسكرية لروسيا ووافق على وجود جيش من المرتزقة اللبنانيين والأفغان والباكستانيين والعراقيين تولت إيران تجميعه.

وتحتاج تركيا إلى الأسد لدعم ادعائها بأنها الحامي الأخير للغالبية السنية في سوريا في مواجهة أقلية حاكمة. كما تحتاج الولايات المتحدة وحلفاؤها الأسد في دور المجنون مرتكب المذابح الجماعية الذي يبرر وجوده في حد ذاته وجودهم على الأراضي السورية.

وإسرائيل أيضاً تحتاج إلى الأسد للمعاونة في إبقاء روسيا في هذا التّيه المأساوي، إضافة إلى أنه على مدار العقود الأربعة التي قضاها نظام الأسد في السلطة التزم خط وقف إطلاق النار في مرتفعات الجولان. وفي مذكراته التي نشرها للتو كشف جون كيري وزير الخارجية الأمريكي السابق، كيف أن الأسد عرض التنازل عن الجولان لإسرائيل مقابل ضمان بقاء نظامه.

في قمة طهران يشارك بوتين وخامنئي وإردوغان في حيل ومحاولات خداع متنوعة. أما الأسد فهو الشبح الذي يراه الناس ولا يسمعون صوته.

الأقطاب الثلاثة ومستقبل الإقليم

*وليد شرارة

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/٩/٨

على رغم تحول بلدين مركزيين في الإقليم، سوريا والعراق، إلى ساحتي تنازع وصراع بين مجموعة متعددة من اللاعبين المحليين والإقليميين والدوليين، دولتيين وغير دولتيين، فإن تطورات السنتين الأخيرتين قد عززت دور أقطاب ثلاثة، روسيا وإيران وتركيا، في تقرير مسار الصراعات الدائرة على حساب بعض اللاعبين المذكورين وبالتفاهم مع بعضهم الآخر. وقد تشكل قمة طهران الثلاثية بين رؤساء روسيا وتركيا وإيران محطة حاسمة في هذا السياق، إذا أفضت إلى تفاهات حقيقية حول مستقبل الوضع في إدلب. فبعد أكثر من سبع سنوات على انفجار المواجهة المحلية — الإقليمية — الدولية في سوريا، أدت نتائج وتداعيات استعارها إلى فرز تدريجي بين قوى متضررة منها (الأقطاب الثلاثة)، لتهديدها مصالحها القومية الحيوية وحتى استقرارها الداخلي وأخرى مستفيدة منها (الولايات المتحدة وحلفائها الخليجين والإسرائيليين) تحاول توظيفها في إطار استراتيجية استنزاف وإضعاف الأعداء والخصوم. عاملان إضافيان عمقا التقاطع بين الأقطاب الثلاثة، وهما تغيير موازين القوى الميدانية لمصلحة الدولة السورية وحلفائها، وكتلة المصالح المشتركة المتعاظمة بينها. ومن المفترض أن تدفع هذه المعطيات للتوصل إلى تفاهات تسرع الحل في سوريا، إلا إذا عرقلت حسابات سياسية خاطئة ذلك.

العجز الأمريكي عن التأثير في مجرى الأحداث، على رغم كثرة التهديد والوعيد باللجوء إلى القوة في حال استخدام السلاح الكيماوي، يوفر بذاته نافذة فرص لإمكانية التقدم باتجاه الحل السياسي في سوريا. فجأة، تحول الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، كما أظهرت تغريدته التي أطلقها في الثالث من هذا الشهر، إلى داعية ترو وتعدل ورأفة بالمدنيين، إذ طلب من الرئيس بشار الأسد (استخدم مفردة «رئيس») ومن حلفائه الإيرانيين والروس، عدم «التهور» في مهاجمة إدلب حفاظاً على أرواح المدنيين. هو ترامب نفسه الذي توعد في الأشهر الماضية بإزالة كوريا الشمالية عن الخريطة عدة مرات، وهدد بإلحاق خسائر بإيران لا سابق لها واقترح على قادته العسكريين، في خلال العام الماضي، اغتيال الرئيس السوري ومسؤولين آخرين. «تعقل» ترامب مؤشراً جديداً على العجز الأمريكي المتزايد. عن تغريدة ترامب، يقول الصحافي الأمريكي فريد كابلان: «دعوة الأسد إلى عدم شن هجوم متهور من الممكن أن تفسر بأن الهجوم قد يكون مقبولاً إن كان مدروساً. ومن ثم المطالبة بالحفاظ على حياة المدنيين هي صرخة متفجّ غير معني مباشرة بما يحدث ولا يملك النفوذ السياسي أو العسكري للتأثير في الأوضاع... لقد صدرت عن الإدارة الأمريكية تصريحات مشابهة قبل الهجوم على درعا لكنها لم تحرك ساكناً عندما بدأت سوريا وروسيا بالهجوم».

سعت الولايات المتحدة إلى تحويل الصراع الدائر في سوريا إلى حرب استنزاف للدولة السورية ولإيران وحزب الله، ولروسيا بعد تدخلها العسكري المباشر منذ أيلول ٢٠١٥. غير أن هذه الأطراف نجحت، من خلال التعاون في ما بينها و الزج بقواها في المعركة، في حسمها لمصلحتها. تركيا، من جهتها، اكتشفت أن الولايات المتحدة تسعى أيضاً في زعزعة استقرارها عبر الدعم النوعي الذي قدمته لـ «قوات سوريا الديمقراطية»، بذريعة محاربة «داعش»، وتورطها في المحاولة الانقلابية ضد الرئيس رجب طيب أردوغان. منذ تلك المحاولة، دخلت العلاقات التركية - الأمريكية في مسار انحداري مستمر تسارع أخيراً بعد اتهامات أردوغان لواشنطن بالتآمر على الليرة التركية.

ما كان للأزمة السورية أن تصبح حرباً ضرورياً لولا تورط تركيا المباشر فيها وتحولها إلى قاعدة خلفية لمجموعات المعارضة المسلحة ومعبر للسلاح والعتاد. وقد تقاطعت تركيا في حربها على سوريا مع جبهة ضمت الولايات المتحدة وفرنسا والسعودية، لكنها كانت تعتقد أنها الطرف الأكثر قدرة على التحكم بتطور المواجهة نظراً لوزنها ودورها المباشر ونفوذها بين أطراف المعارضة السورية. كانت لتركيا أجندتها الخاصة واعتقدت أنها قادرة على الاستفادة من مشاركة الآخرين بالحرب أكثر من قدرتهم على الاستفادة من مشاركتها. وقد زاد من رسوخ هذا الاعتقاد الأجواء التي سادت بعد «الربيع العربي» ووصول «الإخوان المسلمين» إلى السلطة في مصر وتونس واتخاذهم تركيا نموذجاً للحكم. سادت يومها تحليلات في دول المنطقة، بما فيها تركيا، عن بداية «عصر إخواني» بعد صفقة كبرى مع الغرب لرّم فيها هذا الأخير إدارة شؤونها للتنظيم الدولي مقابل الحفاظ على مصالحه وهيمنته الاستراتيجية. لكن التطورات اللاحقة أظهرت هشاشة هذه «الانتصارات» وهذه التحليلات، فقد خرج «الإخوان» من السلطة بالقوة، كما في مصر، أو بمزيج من الضغط والمساومات، كما في تونس، ولم يحرك الغرب ساكناً لمساعدتهم. لكن الأخطر بالنسبة لأنقرة هو أن الحرب السورية، بعد صعود دور الكرد على المستوى العسكري والسياسي بدعم من الولايات المتحدة، باتت مصدر تهديد لاستقرار تركيا ووحدةها. لقد كانت لتورط أردوغان في الحرب السورية نتائج على تركيا مشابهة لتلك التي حصدتها باكستان نتيجة تورطها الطويل بالحرب الأفغانية. هذه المعطيات، إذا أضيفت إلى أخرى أكثر بنيوية أبرزها رفض الاتحاد الأوروبي المزمع والمهين انضمام تركيا إليه، من جهة، ونشوء كتلة مصالح وازنة ومتعاضمة بينها وبين الصين وروسيا، من جهة أخرى، تسمح بتفسير عملية الانزياح الاستراتيجي التي شرعت بها ابتعاداً عن «الناتو» واقترباً من «القوى الأوراسية». هذا الانزياح، في حال استمراره، سيتيح لتركيا وللقطبين الروسي والإيراني أن تساهم في شكل كبير في صياغة مستقبل الإقليم، مما سينعكس إيجابياً على أمنهم ومصالحهم الحيوية. وتبقى سوريا ممراً إجبارياً لهذا التعاون الثلاثي الواعد.

الحروب الرقمية والقصف الإلكتروني

*نبيل عودة

هافنكتون بوست عربي: ٢٠١٨/٩/٩

يشهد العالم تطوراً سريعاً ليس في مجال تقنية المعلومات والاتصال فحسب، بل أيضاً في مجال الأمن واتساع مصادر التهديد.

فمع التطور المدهش في شبكة الإنترنت، وهيمنة الفضاء الإلكتروني على تفاصيل حياتنا اليومية، والقدرة الهائلة التي تتمتع بها الشبكات الرقمية من ربط كافة شؤون حياتنا، امتداداً من الشؤون الاقتصادية والتجارية إلى الشؤون السياسية والأمنية والترفيهية أيضاً، فإن مصادر التهديد باتت أقرب إلينا من أي وقت مضى، حيث لم يعد الخطر يأتي إلينا من البيئة الخارجية بل من مساكننا ومن أمام شاشات حواسيبنا الشخصية.

واحد من مصادر التهديد هذه تعرف بالحروب الرقمية Digital Warfare، التي تُوَرَّق على وجه الخصوص الدول الصناعية المتقدمة تكنولوجياً أكثر من غيرها.

ربما هذا شيء يبعث على السخرية، ولكن هذا لا ينفي حقيقة أن الدول المتقدمة تعاني من نقاط ضعف كثيرة بالمقارنة بالدول المتأخرة تكنولوجياً نظراً لاعتمادها الكبير على شبكة الإنترنت في تسيير أعمالها، الأمر الذي يجعل احتمالية تعرضها لهجمات رقمية مرتفعة جداً.

في الحقيقة يقسم خبراء الأمن الإلكتروني الحروب الرقمية إلى قسمين:

الأولى وتدعى الحرب الشبكية Netwar، ويتعلق هذا النوع من الحروب بالصراعات ذات الطابع المعلوماتي على مستوى الأمم والمجتمعات، وتهدف إلى تخريب أو تدمير ما يمتلكه الهدف من معرفة عن نفسه أو ما يعتقد أنه يعرفه عن نفسه أو عن العالم من حوله.

ويدخل استهداف الرأي العام أو النخب الحاكمة في نطاق أهداف هذه الحرب، وذلك من خلال المراوغة بين الأساليب الدبلوماسية والبروباغندا أو الحروب النفسية، ولكن مع ذلك يبقى التسلل إلى قاعدة البيانات أو شبكة الحاسوب الخاصة بالخصم السلاح المفضل في هذا النوع من الحروب.

أما النوع الثاني فيعرف بالحرب الإلكترونية cyberwar، وهي عبارة عن شن عمليات عسكرية، مستندة إلى مبادئ تكنولوجيا المعلومات، وتهدف إلى تخريب أو تدمير الأنظمة المعلوماتية للخصم، ومعرفة كل ما يتعلق به، بينما السعي في ذات الوقت لإبقائه في حالة ارتباك وتشويش تؤدي في نهاية المطاف إلى إحداث انقلاب في توازن قوى معلوماتي لصالح الطرف المهاجم الذي لا يتمتع في الغالب بتفوق مادي على الخصم.

ربما يكون من المبكر الحديث عن طبيعة هذا النوع من الحروب الرقمية، ولكن الأكيد أن هذا النوع من الحروب يفرض نفسه كأمر واقع، وتعبّر عن مدى الخطر الحقيقي الذي بات يهدد الأمن القومي للدول والجماعات والأفراد على حد سواء.

وعليه فإن السؤال حول إذا ما كان هنالك هجوم إلكتروني لم يعد مطروحاً حالياً على الإطلاق، بل المطروح هو متى؟ وكيف سيقع مثل هذا الهجوم؟

لا تعرف هذه الحروب الرقمية الحدود ولا المسافات، فقد يكون بين المهاجم والهدف آلاف الأميال، فالإلكترونيات لا تحتاج إلى جوازات سفر، لكي تعبر من دولة إلى دولة أخرى.

كما أن هذه الهجمات لا تعرف التقسيمات الزمنية المتعلقة بالفارق بين زمن الحرب وزمن السلم، فكما يمكن أن تشن الهجمات الإلكترونية في وقت الحروب الفعلية فهناك احتمالية كبيرة أيضاً أن تشن في زمن السلم، وذلك من أجل التعبير عن الاعتراض والاحتجاج ضد سياسة ما أو لغايات التجسس وجمع المعلومات. كما أن التمايز الواضح في الحروب التقليدية حول طبيعة الهدف، أي بين ما هو عسكري وبين ما هو مدني يكاد يتلاشى في الحروب الرقمية.

لقد ساد اعتقاد في البداية أن الحروب الإلكترونية لا ينجم عنها ضحايا فعليون، ولكن لك أن تتخيل كم عدد الضحايا سيقع في حال تم استهداف أحد المستشفيات الكبرى وتم تعطيل أنظمتها المعلوماتية وشبكات تزويد المياه والكهرباء، عندما سيجد العشرات بل المئات من المرضى أنفسهم بلا أدنى رعاية طبية، الأمر الذي سيعرض حياتهم للخطر.

وقد شهدت الحروب الرقمية تطوراً ملحوظاً فيما يتعلق بطبيعتها التدميرية، فبعد أن كانت الهجمات الرقمية بادئ الأمر مقتصرة على ما يمكن وصفه بالتحرشات أو الاحتجاجات الرقمية، فقد وصلت في الآونة الأخيرة لمستويات خطيرة بات البعض يطلق عليها اسم «أسلحة الدمار الشامل الرقمية».

ويشن النوع الأول من الحروب الرقمية في الغالب مجموعة من القراصنة «الهاكرز» يهدفون من خلالها لإيصال رسالة احتجاج محملة بالغالب بدوافع قومية.

ففي مطلع عام ٢٠٠١ -على سبيل المثال- تعرضت الكثير من المواقع الإلكترونية اليابانية سواء تلك التابعة للحكومة أو القطاع الخاص لحملات من قراصنة في كوريا الجنوبية، وذلك احتجاجاً على موافقة السلطات اليابانية على إصدار كتاب يتعلق بفترة الاحتلال الياباني لأراضي كوريا الجنوبية.

وقبل ذلك بعام واحد تعرضت مواقع إلكترونية هندية لهجمات من قراصنة باكستانيين على خلفية الصراع على الأراضي الكشميرية.

كما أن ما يقرب من ١٦٦ موقعاً إلكترونياً إسرائيلياً و١٥ موقعاً فلسطينياً تعرضت لهجمات من قراصنة تابعين للجهتين مع اشتداد المواجهات بينهما على الأرض إبان انتفاضة الأقصى في عام ٢٠٠٠.

أما الحرب الإلكترونية الحقيقية فقد شنها ما يعتقد أنهم عملاء تابعون لروسيا على جمهورية إستونيا على خلفية رفع الأخيرة تمثالاً يعبر عن الجنود الروس في حقبة الاتحاد السوفييتي.

وقد أخذ الهجوم الذي بدأ في شهر أبريل/نيسان من عام ٢٠٠٧ شكل حملة واسعة ومكثفة على الحكومة الإستونية والوكالات الرسمية والبنك المركزي والعديد من وسائل الإعلام باستخدام هجمات مكثفة من

الرسائل الإلكترونية أو ما يعرف بـ DOS Attacks التي أدت إلى ثقل كبير على شبكة الإنترنت العاملة في البلاد، حيث نجم عن ذلك توقّف شبه كامل للخدمات العامة لبعض الوقت.

لقد شكلت هذه الهجمة صدمة وصل صداها إلى العالم أجمع، فقد كانت هذه أول مرة يتم فيها تهديد الأمن القومي لدولة ما من خلال الهجمات الإلكترونية بهذا الحجم.

ولقد سلط الهجوم على إستونيا الضوء من جديد على خطر الحروب الإلكترونية بعد أن توارت خلف ضجيج الحرب الكونية على الإرهاب التي شنتها إدارة الرئيس الأمريكي بوش بعيد الحادي عشر من سبتمبر/أيلول وحتى وقتنا الحالي.

وفي أغسطس/آب ٢٠١٠ توقفت المعالجات النووية في موقع نتاز الإيراني عن العمل فجأة في ذروة التصعيد بين إيران من جهة والولايات المتحدة وإسرائيل من جهة أخرى.

كان هذا التوقف الفجائي بسبب فيروس عرف باسم Stuxnet، وقد اعتبر فيروس استكسنت الأكثر تطوراً من البرمجيات الخبيثة التي تعمل على التدمير الصامت والذكي للأنظمة الإلكترونية التي تخترقها.

وبالرغم من أن أحداً لم يعلن مسؤوليته عن الهجوم، فإن أصابع الاتهام وجهت لكل من إسرائيل والولايات المتحدة، فالبرنامج الذي أنتج فيروساً كهذا مكلف للغاية، كما أنه يحتاج لتقنيات متطورة جداً لا تمتلكها إلا الدول المتقدمة، فهذا الفيروس ببساطة يستطيع أن يصل إلى أهدافه حتى تلك غير المتصلة بشبكة الإنترنت. ويصف خبراء التكنولوجيا من أمثال رالف لانغر هذا الاختراع بمثابة أسلحة الدمار الشامل الإلكترونية، وذلك لقدرتها على تدمير أنظمة بأكملها بصمت ودون إدراك من أحد.

في نهاية المطاف لا يتوقف التحدي المتعلق بالحروب الإلكترونية على طبيعتها أو نوعية الأسلحة المستخدمة فيها، بل يتعداه ليشمل غياب الإجماع الدولي المتعلق بسنّ تشريعات من شأنها أن تنظم علاقة الدول في الفضاء الإلكتروني من جهة، وضعف تنسيق الدول فيما بينها للحد من الهجمات الإلكترونية والتصدي لها من جهة أخرى.

لا شك أن المستقبل سيحمل لنا الكثير فيما يتعلق بالحروب الإلكترونية، ولكنني لا أشعر بتفاؤل كبير - على المستوى الشخصي - حيال قدرة الدول الكبرى على التوصل إلى إجماع من نوع ما للحد من خطر الحرب الرقمية، فالنظام السياسي العالمي يشهد حالة مزرية من غياب التوافق الدولي فيما يتعلق بمعالجة المشاكل ذات الاهتمام الإنساني المشترك.

علينا فقط لكي ندرك حجم الفجوة في التوافق الدولي بالنظر إلى قرار الولايات المتحدة الانسحاب من معاهدة باريس للمناخ مؤخراً، وهذا في حد ذاته يبعث على القلق.

* باحث متخصص في الشؤون الدولية

القضايا الوطنية والسلوك الديمقراطي

*سعيد لعريفي

التجديد العربي: ٢٠١٨/٩/٩

نكاد نجزم أنه أقوى طرح مما سبق من تحليلات، من خلال نظرية التلازم، لأنه يتناول موضوعا قويا، له من الحساسية ما يكفي كي يجعل التحليل فيه مضمونه، تحليلا قويا ودقيقا، لأنه يلامس جانبا مهما من سلوك الدولة ويوضح للشعوب أن هناك امورا لا يمكنها ان تدخل منطق التداول بشكل مطلق، وهي أمور تدخل في اطار هوية الدولة وسيادتها وقداستها، بل هي صمامات الأمان في صرح الاستقرار السياسي للدولة.

صحيح، الموضوع يمكن أن يكون بالوضوح اللازم، حين نتمكن من اعطاء مفهوم للدولة، والذي سنتناوله لاحقا بالتحليل المفصل من خلال نقد للعناصر التقليدية المكونة للدولة، لننبه الى أن هناك أمورا تحتاج الى رصد دقيق، وتعامل صارم من المؤسسات القائمة.

غالبا ما طرح مفهوم الديمقراطية كسلوك يمكن ان يحول البنية القائمة برمتها، سواء تعلق بالنخب المسيرة واستبدالها بنخب أخرى لها قوة جماهيرية ودعم شعبي، يمكنها من تقلد مناصب التدبير، أو تعلق الأمر بهوية الدولة كاملة، وهنا نرصد أن الديمقراطية تحولت الى أداة انقلابية وليس فقط أداة تداولية.

هنا نستضيف أسئلة عميقة:

- هل هناك ثابت في الممارسة السياسية. أم أن الكل قابل للتحويل والتغيير؟
 - هل هناك ما يمكن أن يستعصي على التداول الديمقراطي؟
 - وهل هناك مشترك وجداني يمكنه أن يعتبر بنية صلبة غير قابلة للتحويل والتغيير؟
 - بشكل مبسط جدا، هل التعاقد مطلق مع مرور الزمان أم نسبي؟
- نعم نطرح أسئلة جد محرجة في الفكر السياسي. لأنها فعلا ستحيلنا الى كون التحولات الجذرية، يمكن أن تكون عبر مسالك سياسية، وعبر تحول فكري، سواء لذا الشعوب أو عبر التطور المعرفي لدى النخب. وليس بالضرورة أن يكون التحول تحولا دمويا..

إن تبني الواقعية السياسية، وما تطرحه من فرص واعدة في الحلم بأفاق واسعة، وما تقدمه من فرص حقيقية، تساهم في تجنب البلد لحالات التوتر بين النخب وشعوبها...

تحليلنا سيتوجه الى قضية مهمة جدا، قد ترفع اللبس بشكل كبير عن مفهوم الديمقراطية وعلاقتها ببعض المفاهيم الأخرى، كالفضوية، الانقلابية، الهيمنة، الاستبداد...

ان المناخ الديمقراطي، غايته تقوية البنية القائمة عبر اشراك كل الفاعلين السياسيين واعطائهم فرص التدبير الجيد لمقدرات الأمة والمساءلة ايضا عن التفريط في أي شكل من اشكال تبديد المال العام والأمن العام ايضا... يكون غاية هذا المناخ تقوية دولة المؤسسات واعطاء نموذج الدولة الحديثة...

الانقلاب عن الديمقراطية، مناخا وسلوكا يمكن أن يتم في حالة رفع سقف المطالب، بكل وضوح حين يتم العبث في اشكال المطالب التي يمكنها ان توجه الى ضرب النظام القائم، والتشكيك في مصداقيته، ويمكن أن يحدث ذلك في حالة السعي الى تجاوز مفهوم هوية الدولة وضميرها السياسي..

- الديمقراطية، كآلية للتحويل الشمولي يمكن أن نعتبره فضوية لا مرجع لها في الممارسة السياسية، مرهونة لمزاجية الشعوب، لأنه من الصعب ان تقبل الدولة ان تتشكل دون ان يكون لها ثابت في الممارسة، او ان لا يكون لها هوية تمكنها من الاستقرار..

- الديمقراطية، كآلية للتداول يمكن أن تتحول الى مسلك انقلابي ناعم. يمكنه ان يطرح هوية الدولة ونخبها الى المساءلة والمعايرة.

- الديمقراطية، كسلوك مقدس في الممارسة السياسية، يمكنه أيضا ان يتحول الى نوع من الاستبداد، تحت شعار حماية المناخ الديمقراطي، خاصة في بنية غير منسجمة فكريا، او في دولة طائفية، وهنا من الضروري الحسم في مفهوم الثابت ومفهوم التعاقد..

في كل الحالات، ومع تباين مفهوم السلوك الديمقراطي، نعتبر الدولة أهم فاعل في العملية، وهنا نعيد الكلام كي نقول: الدولة قبل السلوك الديمقراطي، وهي الفاعل الذي يمكنه أن يقدر ظروفها عبر مراحل التطور وعبر تقديرها لحجم التهديدات المحتملة، وهل تسمح بمزيد من الانفراجات لأن الهاجس الأمني محدد كي تتحكم الدولة في زمام الأمور، بشكل قوي أو ترخي الأمر الى نوع من الاشراك في التدبير، وهذا لا يمكن أن يحدث وسحب الخلافات والريب لازالت تخيم في علاقة الدولة مع شعوبها.

وهنا نطرح وبكل وضوح، أن المناخ الديمقراطي منحة من الدولة، وليس شيئا آخر. لأن الشعوب وحدها عنصر مهم في بناء الدولة، لكن عاجزة على ان تبني الدولة دون نخبة قادرة على ان تشكل ضمير البيئة وفكرها ومنطق تفكيرها..

اننا نجزم ان الأمر يحتاج الى كثير من الشرح - وسنعود لذلك في تحليل مقبل-، بقدر ندرة التحليلات التي تتناول مفهوم التعاقد بين الشعوب والنخب في بداية تشكيل الدولة، هل هو تعاقد قسري أم رضائي...؟ وهل التعاقد يتم عبر وثيقة تتوافق فيها، الشعوب الجريحة بويلات الانفلات، ونخب كلفت نفسها كي تقف بيد من حديد، مع صعوبة الأمر، في وجه الانفلات الأمني وويلاته.. أم هو تعاقد نظري رضائي عرقي. تفرضه مجريات الأمور، والوقائع المرافقة للوضع، ومرتبطة بالأساس بخصائص النخب وقدرتها على القيادة بصرامة الدولة، خاصة في حالات نشوء وانحطاط الدول..

الديمقراطية كسلوك ومناخ، هو حالة ما بعد تأسيس الدولة وليس قبلها. هو فعلا خلاصة نقاش يحسم في كثير من الأفكار والتحليلات الحاملة، التي تطالب بتعديل سلوك الدولة دون أن تراعي مناخ الدولة والوضع الاستراتيجي. الدولة فقط من تملك أن تمدد مجال التداول الديمقراطي، وهي فقط من تحسم في مساحة السلوك ونوعيته.. نعم، الشعوب قد تضغط، لكن في حدود ما لا يسمح بالانفلات الأمني، الا ان كان الأمر يتعلق بتيارات لها غاية انقلابية، يمكنها أن تستغل الأحداث لصالحها، وهو ما اصطالحنا عليه بالفاعل الانتهازي، وهو غالبا فاعل عاجز عن صناعة الحدث، ولكن ينتهز، هي معارضة راديكالية تقف على النظام وتسعى الى خلق مناخ قلق والترويج الى أفكار الأزمة و التأسيس الى المسلك العدمي في كل مبادرات الدولة، بشكل غير موضوعي وغير مرتبط بمفهوم المؤشرات التنموية.

ان استقرار الدولة، يلزمها ان تحتفظ بمنطقة سيادية، لا يمكنها ان تدخل في اطار العبث التداولي او الترف السياسي، الذي يمكنه ان يقحم كل شيء في دائرة النقاش والاستفتاء..

المنطقة السيادية، هي منطقة القضايا الوطنية التي انزلت الى التداول، يمكن أن يفقدها قدسيته ويعتبرها عنصرا متحولا، لا علاقة له بهوية الدولة وضميرها، وعقلها السياسي، ومجالها السيادي... ان القضايا الوطنية منطقة فوق التداول الديمقراطي، لكونها جمعت من عناصر الاجماع ما يعطيها قوة، ويعفيها من سؤال التداول، فتصبح مسلمة كقضية وطنية وكعنصر ثابت في ممارسة الدولة، وك مطلب يتجاوز مطالب الشعوب.

القضايا الوطنية في الغالب هي: طبيعة النظام القائم، وحدته الترابية، هوية الدولة سواء تعلق الأمر بالهوية السياسية أو بمشروعها السياسي..

ان عمق الصراع في الوطن العربي، غايته الحفاظ على التعددية والتصدي لكل أشكال الهيمنة التي يمكنها أن تدفع الشعوب الى التفكك او التناحر..

الديمقراطية مناخ يحفظ للجميع حق الفعل السياسي في اطار نظام قادر على استيعاب كل مكوناته. الديمقراطية برأيي لا تعني حكم الشعوب نفسها بنفسها، خاصة في بنية غير منسجمة فكريا ثقافيا وسياسيا، ولكن قد تعني أشياء أخرى يمكن أن نرجع اليها في مقالات مقبلة.

مصائر الشعوب بين الصفقات الدولية

*سيلفان علي

آذار/بريس: ٢٠١٨/٩/٩

أحياناً يتم تحليل الأمور والأحداث كما هو أو بنظرة سطحية دون النظر أو تحليل أو التعمق فيما يحدث خلف الكواليس وما يتم تدبيره من اتفاقيات ومؤامرات وحيل وخاصة بين الدول المتصارعة

فهل يمكن فقط القول: بأنه يوجد ضغوطات وتهديدات دونما معرفة الهدف منه فيما يعد من اجتماعات أو اتفاقات؟ فمثلاً هل بالإمكان قراءة مشهد الضغوطات على إيران لإخراج عديد قواتها من المسرح السوري كما هو وقصف إسرائيل لقوافلها بين الحين والآخر وغيرها من الأحداث التي تستحق التوقف عندها.

إذا كان بالفعل هناك اتفاق حول إخراج هذه القوة الإيرانية من الأرض السورية فلماذا تعقد الاجتماعات بين تركيا وروسيا وإيران ويتفقون فيما بينهم على الكثير من المصالح المشتركة الآنية.

هل نستطيع أن نقول بأنها صفقة من صفقات العصر بين هذه الدول بأن تحافظ إيران على تخصيب اليورانيوم وعلى بقائها في سوريا على أن تقطع علاقاتها بشكل كامل مع حزب الله والتخلي عنه ومساندة تركيا في الهجوم على القضية الكردية و وحدات الحماية؟؟ وهناك أسئلة كثيرة نستطيع سردها في هذا السياق

ولكن الأمر الذي يستدعي الوقوف عنده وطرح الأسئلة بشأنه هو أنه ما دامت الاجتماعات والمؤتمرات هي التي تأتي بمفاتيح الحل للقضية السورية كلها بما فيها تعديل الدستور“ فلم لم يحضر الجانب السوري هذه الاجتماعات؟؟

عل الرغم من أنه جرت اتفاقية بين هذه الأطراف قبل أشهر في تجميع وإرسال الجماعات الارهابية من الغوطة والقلمون إلى إدلب تحت حماية مشددة من هذه الدول وبرعايتها والآن ينادون بوجوب تحرير إدلب من الإرهاب

ألم يكن في القضاء عليهم دون إرسالهم إلى هذه المدينة كان تقصيراً في عمر الأزمة؟ ولكن بالأساس هذه اللعبة حصلت لتمديد حالة وأمد الحرب وعدم الاستقرار في الداخل السوري لتنفيذ مخططاتهم المستقبلية في المنطقة بشكل عام وفي ظل هذه المعمة والفوضى التي تعيشها الشرق الأوسط ستكون إسرائيل هي المستفيدة الوحيدة من هذا التمديد في حالة الحرب وعدم الاستقرار وذلك بتشكيل كيائها كدولة، وعندها سيتم الحاق الضربة بالدولة التركية ولن تستطيع النهوض منها وهذه الضربة التي بواردها بدأت بالأزمة الاقتصادية وتدني قيمة الليرة التركية مما سيؤدي وحسب الكثير من الدراسات الاقتصادية إلى اختناقها وإغراقها في الديون وهذا ما يحتم حصول انشقاقات ضمن الحكومة التركية وبذلك ستكون الأرضية المناسبة لضربة مميتة للدولة التركية.

المقصد هو أن السياسات القائمة والجارية تجر الدول نحو الهلاك بشكل بطيء وعلى سبيل المثال أي دولة من هذه الدول تم حل ازمتها بشكل جذري بتدخلات وسياسات خارجية؟؟ أهى ليبيا أم مصر أم العراق؟؟ فمشاكلها ما زالت مستمرة وعالقة فأين هي النتيجة سوى تعميق النزاع بين الأطراف والطوائف.

من المهم القول بأن المحادثات التي تتم تحت كثير من المسميات والتصريحات التي يتم الإدلاء بها كعود لجلب الحل من قبل الدول المهيمنة ليست سوى سياسة المماطلة وتخدير الشعوب التي تعاني من الظلم والاضطهاد والإرهاب.

من المهم أن نعي ونذكر بأن الحل الجذري يكون من الداخل وليس بالتدخل الخارجي وكلما تمكنا من معرفة ذاتنا وبنينا الارادة القوية سنتمكن من تنظيم أنفسنا وتحقيق مصالحنا بإرادتنا الحرة وأن القوة الجوهرية والذاتية للمجتمع هو الفرد نفسه.

هل بدأ التنوير أصلاً في العالم العربي؟

*البروفيسور كاظم حبيب

قراءة لمقال حسن العاصي حول التنوير العربي

موقع قنطرة الألماني: ٢٠١٨/٩/٩

نشر الكاتب والشاعر والصحفي الأستاذ حسن العاصي مقالاً في موضوع مهم على موقع قنطرة بتاريخ ٢٠١٨/٠٨/٣١ يتساءل فيه "هل فشل التنوير العربي أم تعثر؟". والمقال محاولة جادة للإجابة عن هذا السؤال، بما احتواه من معلومات وأفكار تستحق القراءة والمناقشة. إن قراءتي للمقال ولدت لدي مجموعة من الملاحظات التي أحاول التركيز على بعضها لتنشيط النقاش حولها وحول الموضوع الحيوي ذاته، الذي يحتمل طرح السؤال التالي أيضاً: هل بدأ التنوير أصلاً في العالمين العربي والإسلامي، أم لا يزال بعيد المنال، رغم الإرهاصات الأولية التي حصلت في القرن التاسع أو بداية القرن العشرين، ثم أجهضت؟ سأحاول تناول تلك الملاحظات فيما يأتي:

"نصف الحقيقة"

الملاحظة الأولى: يقول الكاتب ف مطلع مقاله: "وأنت تطالع كتب التاريخ تنبهر بصفحات مشرقة من تاريخ العرب والمسلمين، تجد مراحل عاشها أجدادنا وكانت منارات في مختلف العلوم التطبيقية والإنسانية والرياضيات والموسيقى والفلك والترجمة".

هذا الرأي يمثل نصف الحقيقة أو جانب واحد منها، في حين يتجنب الكاتب هنا الإشارة إلى النصف الثاني من الحقيقة المرة جانبها المعتم، لاسيما وهو يبحث في موضوع علمي يشمل جوانب سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، تمس تاريخ العالمين العربي والإسلامي، على حد تعبيره.

الجانب المشرق اقترن بما أشار إليه من منجزات كثيرة عبر التاريخ، ولكنه أهمل الجانب المظلم في تاريخ العرب والمسلمين على امتداد القرون المنصرمة، وسواء أكان ذلك في الإمبراطوريات العربية، كالدولة الأموية والدولة العباسية، أم الدولة العثمانية، وفي الدول الأخرى ذات الأغلبية المسلمة، كالدولة الفارسية، حيث تميز هذا التاريخ بالكثير من المظالم والتخلف والتمييز والاستغلال والبؤس والفاقة، التمييز الفاحش إزاء أتباع الديانات والمذاهب، وإزاء القوميات الأخرى، تاريخ تميز بالفتوحات الاستعمارية والحروب والهيمنة على مصائر الشعوب واستغلالها. ويمكن أن نورد ما تعرض له العرب أنفسهم على أيدي السلاطين العثمانيين على امتداد تاريخ هذه الدولة التي تبنت الإسلام وحكمت باسمه ما يقرب من ٤٠٠ سنة أغلب شعوب منطقة الشرق الأوسط، ولاسيما الشعوب العربية والشعب الكردي وشعوب أخرى في وسط أوروبا.

ومن يقرأ بعلمية وحيادية تاريخ العرب والمسلمين، فعليه أن يقرأ الجانبين المشرق والمعتم، والذي لم يقتصر بالعرب بالأساس، بل بالعرب وغير العرب من المسلمين. ويمكن للسيد حسن العاصي أن يقرأ كتاب "موسوعة العذاب" بسبعة أجزاء للكاتب العراقي الأستاذ عبود الشالجي ليدرك ما كان يجري في هذا العالم الذي لم يجد فيه سوى "منارات في مختلف العلوم.. إلخ. كما يمكن أن يعود لكتابي الموسوم "الاستبداد والقسوة في العراق" ليطلع على ممارسات الإمبراطوريات العربية وكذلك الإسلامية (الترك والفرس) من مظالم وجرائم بشعة تقشعر لها الأبدان، وكلها باسم الإسلام!

الملاحظة الثانية: في فقرة أخرى يكتب السيد حسن العاصي ما يلي: "إنتاج معرفي علمي استعان به الغرب ونقل عنه المعارف وقطف ثمار العصر الذهبي للعرب والمسلمين، مما مكنه من شق طريقه نحو التطور والحدثة، بينما نحن أهدرنا هذه الإنجازات في غمرة الصراعات السياسية والاحتقان المذهبي والتعصب الديني والاقتتال الطائفي".

"الشعوب تتعلم من بعضها"

لا شك في أن الغرب قد استعان، للخلاص من ظلمات القرون الوسطى، بما تحقق للعرب والمسلمين من منجزات في مجالات كثيرة. ولكن هذه الرؤية هي الأخرى ذات جانب واحد، إذ إن العرب والمسلمين أنفسهم قد استعانوا، لبناء الدولة الأموية والدولة العباسية، بمنجزات اليونان وفارس في العلوم والفلسفة والمنطق والتنظيم والإدارة، من خلال تكتيف ترجمة المنجزات اليونانية في العلم والفلسفة والرياضيات وغيرها، والتي لعب المسيحيون العرب والكلدان والآشوريين والسريان، على نحو خاص، دورهم المميز والأساسي في ترجمتها إلى اللغة العربية، إضافة إلى اللغة السريانية.

أشير إلى هذا لأؤكد بأن الشعوب تتعلم من بعضها في مختلف مجالات العلم والفلسفة والأدب والثقافة. حصل هذا في السابق ويحصل اليوم وسيحصل في المستقبل أيضاً، وهو أمر ضروري ولا يمكن بناء الحضارة الحديثة دون الدمج العملي بين التراث الإيجابي لشعوبنا من جهة، وما تحقق للغرب الأوروبي والعام من منجزات في جميع مجالات العلوم المختلفة والفلسفة، ولاسيما في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء والطب، والتقنيات الأكثر حداثة، في ثورتهم العلمية التقنية ومنجزاتها الكبيرة. أما وأن العرب قد دخلوا في صراعات سياسية واحتقان مذهبي.. الخ، فهي مسألة سأعود إليها في ملاحظة أخرى.

"أساليب قهرية"

الملاحظة الثالثة: في فقرة أخرى يعيد الأستاذ حسن العاصي ما يؤكد تاريخنا العربي الرسمي ويردده الكثير من الكتاب العرب والمسلمين واحداً بعد الآخر، حيث يكتب: "الأمة العربية والإسلامية دخلت العصر الظلامي حين دمر المغول بيت الحكمة في بغداد عام ١٢٥٨ ورموا أمهات المخطوطات العربية ونفائس كتب الطب والفلك والرياضيات في نهر دجلة".

ولكن إلى ماذا تشير الحقائق التاريخية، كما أرى، بهذا الصدد. الحقيقة التاريخية العلمية تقول غير ذلك. لقد كان القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، قمة ما وصل إليه العصر العباسي، رغم وجود جوانب سلبية كثيرة وكبيرة فيه. (يمكن الاطلاع في هذا الصدد على الكتاب المهم للدكتور عبد العزيز الدوري الموسوم "تاريخ العراق الاقتصاد في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، طبعة ثالثة ١٩٩٥).

ولكن، ومنذ منتصف القرن الحادي عشر والثاني عشر حتى منتصف القرن الثالث عشر كانت الدولة العباسية في تدهور شديد من حيث الفكر والسياسة، وفي الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، وفي ارتكاب المظالم بحق الناس من جانب الخلفاء والولاة والحكام وشيوخ الدين والفقهاء المسلمين. لقد انتعشت الدولة العباسية في فترات مختلفة، ولكنها لم تخلُ من مآلم وتهميز.

عهد الخليفة عبد الله المأمون (٧٨٦-٨٣٣م) تميز بالانفتاح على الثقافات والأفكار واهتم بالترجمة والتأليف. وقد برز الكثير من العلماء الممتازين في عهده. كما كان للمعتزلة دورهم الكبير في الحكم وشؤون الدين والمجتمع، لتبني المأمون رؤيتهم في هذه الأمور، ولاسيما في الموقف المعروف من خلق القرآن والصراع العنيف مع الحنابلة في هذا الصدد وممارسة الاستبداد الفكري ضد أتباع الرأي الآخر، ولاسيما ضد الحنابلة، تماماً كما مارس الحنابلة ذات الأساليب القهرية إزاء من كان يحمل رأياً في تفسير القرآن أو السنة المحمدية أو عموم الفقه الحنبلي.

وفي القرن الحادي عشر، حيث أقيمت دولة السلاجقة في إطار الإمبراطورية العباسية، لعب الفقيه الكبير أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري (١٠٥٨-١١١١م) دوراً تخريبياً ضد ما تحقق قبل ذلك من تطور في علوم الفلسفة والرياضيات والفيزياء وغيرها.

إذ ناهض أي أعمال فعلي للعقل، ووقف ضد الفلسفة والمنطق والرياضيات والفيزياء وترجمة الفكر اليوناني، وضد كل ما هو عقلي وعقلاني واستقر جامداً على النقل وليس العقل، كما ناهض فكر أخوان الصفا والمعتزلة. وشاركه في هذه العمل التخريبي في الفكر العربي وفي عقول المسلمين الوزير نظام الملك، قوام الدين أبو علي الحسين بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي (١٠١٨-١٠٩٢م)، الذي أقام مدارس المدارس النظامية التي اختصت بتدريس فقد الغزالي على نحو خاص. وكان أبو حامد الغزالي أبرز المدرسين في هذه المدارس.

لقد بدأ عصر العتمة وخراب الدولة العباسية ودخول العصر الظلامي قبل الغزو المغولي بعقود كثيرة، إذ لولا الخراب والانحيار الداخلي في الدولة العباسية والصراعات على السلطة والمال والنفوذ الذي تفاقم في تلك الفترة وفي عهد عبد الله المستعصم بالله (أبو عبد المجيد "المستعصم بالله" عبد الله بن منصور المستنصر بالله) (١٢١٣-١٢٥٨م) لما استطاع هولاكو غزو بغداد والإجهاز عليها، لقد كان غزو هولاكو بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير! إن ما حصل أثناء غزو هولاكو كان نتيجة وليس السبب في تدهور الأمة العربية والمسلمين.

"حركة تنويرية بطيئة"

الملاحظة الرابعة: لقد شهدت بلاد الشام (راجع: د. ماهر الشريف، رواد الحداثة المجتمعية والدعوة الوطنية في بلاد الشام، الحوار المتمدن-العدد: ٢٦٧٨ - ٢٠٠٩/٦/١٥)، ومصر حركة تنويرية بطيئة ووجلة في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ولكنها توقفت منذ الربع الأول القرن العشرين تقريباً ودفنت على عجل ولم تنتعش حتى الوقت الحاضر، رغم وجود بعض المظاهر المدنية التي تشكل جزءاً من مفهوم وعناصر عملية التنوير المجتمعية.

في المجتمعات العربية توجد نسبة مناسبة من المثقفين المتنورين الذين يسعون إلى نشر التنوير، ولكنهم حتى الآن عاجزون عن إنجاز ذلك. وهذا العجز لم ينشأ عن عجز الأشخاص أنفسهم، أي ليس لعجز شخصي في المواطن المثقف في الدول العربية، بل في طبيعة علاقات الإنتاج السائدة في الدول العربية والدول ذات الأغلبية المسلمة، في تخلف بنية الاقتصاد الوطني في كل منها، وفي البنية التطبيقية المشوهة للمجتمع الناجمة عن الواقع الاقتصادي، والتي تتجلى بشكل واضح في وعي الإنسان وقدرته على أعمال العقل لفهم واقعه وما يحيط به وما يفترض تغييره. فالفكر الديني الجامد والمجمل لعقل الإنسان ورفض الرؤية الفلسفية للحياة والمجتمع والعلم، الرؤية غير النقدية للواقع والفكر الديني... كلها وغيرها تساهم في إنتاج الأرضية الراضية للتنوير، إنتاج وإعادة إنتاج الإنسان غير الحر، العاجز عن التفكير المستقل، وغير العقلاني والرافض للتغيير. إنها الحالة الراهنة التي تعيش تحت وطأتها الغالبية العظمى من شعوب الأمة العربية والمسلمين في أنحاء العالم.

أي توجه صوب التنوير في الدول العربية يستوجب خوض النضال بلا هوادة من أجل تغيير علاقات الإنتاج السائدة فيها وتغيير بنية الاقتصاد الوطني، والتي ستساهم بدورها في تغيير البنية التطبيقية للمجتمع ووعي الإنسان. إنها عملية صيرورة وسيرورة معقدة ومتلازمة أو متشابكة، ولكن لا بديل عنها، وإن كان الغرب المتنور قد وقف طيلة العقود المنصرمة لا ضد التنوير فحسب، بل بالأساس ضد التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدول العربي والدول الأخرى ذات الأغلبية المسلمة، ضد تغيير بنية الاقتصاد، ضد التصنيع وتحديث الزراعة، لأنه يدرك بأن هذا التغيير هو الذي يقتزن تماماً ويسهل عملية التنوير، التي يمكنها أن تخلق إنساناً حر التفكير وقادراً على أعمال عقله باستقلالية عالية.

ورغم هذا الموقف من قبل العالم الغربي الرأسمالي الاستغلالي، لا يمكن لشعوب الدول العربية أن تنعزل عن الغرب، عن الحضارة الحديثة بكل منجزاتها العلمية والتقنية، عن عملية التنوير التي أصبح عمرها في الغرب الرأسمالي عدة مئات من السنين. لا يمكن للشعوب العربية أن تنعزل عن حضارة القرن الحادي والعشرين ولا عن المستوى الذي بلغته عملية التنوير فيها، ولا عن التأثير بهما.

إن هذا التماس والتفاعل الضروريين لا يعني بأي حال عدم الاستفادة من التراث الحضاري الإيجابي للشرق العربي، مع بلورة تلك النقاط التي يراد الاستفادة منها والتخلص من سلبيات فترة الجهل والامية وهيمنة الفكر الغيبي الخرافي على عقل وممارسات الإنسان في الدول العربية من جهة، والسعي لتجاوز ما يريد الغرب فرضه في الاقتصاد على استهلاك المنتج عندهم، دون تطوير القدرة على المبادرة والإبداع والتقدم، والتي لا يمكن أن تحصل دون تغيير في طبيعة علاقات الإنتاج والتدني الراهن في مستوى تطور القوى المنتجة، في غياب واسع للتصنيع والتحديث المناسب للزراعة وتغيير بنية المجتمع التطبيقية، بما يخلق تلك القوى الحاملة للمجتمع المدني، الطبقة البرجوازية الوطنية والطبقة العاملة والفئات المثقفة المتنورة.

إن المثقفين المتنورين من العرب وغير العرب في الدول العربية يمكنهم أن يساهموا بدور فعال في عملية التنوير في مجتمعاتهم، إذا ما ربطوا العملية الثقافية التنويرية بالنضال المشترك مع بقية فئات المجتمع من أجل إزالة المعوقات الكبيرة التي تقف بوجه التنوير، وهي كثيرة، بما فيها النظم الاستبدادية والرجعية القاهرة لإرادة ومصالح وطموحات الشعوب في المنطقة والمصادرة لحقوقهم العادلة والمشروعة، وكذلك سياسات هذه النظم التي تعتمد الربيع النفطي والدولة الاستهلاكية بدلاً من الدولة ذات التنوع في إنتاج الدخل القومي، حيث يشارك القطاع الصناعي والزراعة الحديثة في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية (البشرية) والتخلص من البطالة والفاقة والبؤس وغياب العدالة الاجتماعية.

"ردّة عميقة"

الملاحظة الخامسة: منذ ما يزيد عن أربعة عقود والعالمين العربي والإسلامي يعيشان في وضع ردّة فكرية وسياسية واجتماعية عميقة تشدد من حيث العمق والشمولية سنة بعد أخرى، حتى وصل الوضع إلى ما هو عليه واقع هذين العالمين في الوقت الحاضر، رغم المحاولات الجادة للمثقفين المتنورين وحركة شعبية متباينة في عمق مضامينها تفرض نفسها على هذا الواقع بين الحين والآخر، كما حصل فيما أطلق عليه بالربيع العربي والذي اختطف، في الغالب الأعم، بسرعة من قوى الردّة ذاتها، وبضمنها قوى الإسلام السياسي الرجعية والمتطرفة والعسكر.

"واقع مرير"

لا شك في أن هذا الواقع المرير لا يشكل كل المشهد السياسي والاجتماعي في هذين العالمين، ولكنه ما يزال المهيمن على الساحة السياسية ويده السلطات الثلاث في كل الدول العربية الشرق أوسطية والدول الأفريقية ذات الأكثرية المسلمة، إضافة إلى كل من إيران وتركيا وباكستان على نحو خاص، إلا إن المقاومة لهذه القوى المتطرفة وهذه النظم السياسية الدكتاتورية والثيوقراطية من جانب القوى الديمقراطية، وبضمنها الفئات المثقفة المتنورة وفئات البرجوازية الوطنية الصناعية وجمهرة من كادحي المدن والريف، ما تزال ضعيفة ولم ترتق إلى المستوى الذي تشكل فيه تهديداً لتلك النظم. وبالتالي فالحديث عن عملية تنوير واسعة تشمل شعوب هذه الدول ما تزال بعيدة المنال وتستوجب توفير مستلزمات كثيرة ووقت غير قصير لبلورة جديدة لأساليب النضال التي يفترض أن تخوضها قوى التقدم والديمقراطية والعلمانية والتنوير في المجتمع ومع البشر مباشرة. ولا شك في أن هذه العملية قابلة للتحقيق، سواء أطلال الزمن أم قصر.

ولا يمكن أن يمنع دين المسلمين تحقيق عملية تنوير هذه المجتمعات، كما عجزت الديانات الأخرى منع ذلك. فالديانات كلها متماثلة من حيث الجوهر وتلتقي عند نقطة مركزية واحدة، موقفها المناهض للعلم وإعمال العقل والتفكير الفلسفي الحر.. سواء أكان هذا الدين يهودي أم مسيحي أم إسلامي، أم غيرها. وهي، رغم جوهرها المشترك، يحاول بعضها نفي البعض الآخر على مدى القرون المنصرمة.

ورغم ذلك استطاعت البشرية أن تفرض عملية تنوير عميقة وواسعة في المجتمعات الأوروبية والغرب عموماً، وإن تباين مستوى التنوير، بمفرداته الكثيرة، في المجتمعات ذات الأكثرية المسيحية أو اليهودية، وعجزت البشرية حتى الآن عن تحقيق ذلك في المجتمعات ذات الأكثرية المسلمة، ولكن هذا لا يعني إنها غير قادرة على تحقيق ذلك في المستقبل شريطة أن يرتبط، كما ارتبط في الغرب المسيحي، بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية وفي الوعي الفردي والجمعي، التي سهلت عملية الانتقال من العتمة إلى النور، ومن الظلمات إلى الأنوار أو التنوير.

الغالبية المسلمة لا تزال تعاني من هيمنة الرؤية الدينية الجامدة المتكلسة التي عمرها أكثر من ١٤٠٠ سنة حتى الوقت الحاضر، رغم حركة الزمن، أو ما أطلق عليه الدكتور فالح مهدي بصواب "العقل الدائري" في كتابه الموسوم "نقد العقل الدائري"، (الدكتور فالح مهدي، الخضوع السني والإحباط الشيعي، نقد العقل الدائري، بيت الياسمين للنشر والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى ٢٠١٥)، حيث وضع إصبعه على الخلل في الفكر والتفكير، والذي حاولت الإشارة إليه في متن هذا المقال.

وأخيراً، فقد وفر لنا الأستاذ حسن العاصي مشكوراً فرصة المشاركة في النقاش حول موضوع حيوي وأساسي في منطقة الشرق الأوسط، والذي آمل أن يتسع النقاش ليساهم في نشر الفكر التنويري في مجتمعاتنا الراهنة.

أيدولوجيات العصر الراهن

*د. السيد ولد أباه

صحيفة (الاتحاد) الاماراتية : ٢٠١٨/٩/١٠

«دانيال كوهين» مفكر اقتصادي فرنسي صدر له مؤخراً كتاب مهم بعنوان «يتعين القول إن الأزمنة تغيرت»، يدرس فيه مسار الانتقال من الحضارة الصناعية إلى المجتمعات ما بعد الصناعية الراهنة التي تغيرت فيها جذرياً المعادلة الإنسانية في أبعادها المختلفة.

ما يبينه كوهين هو أن الخروج من الحضارة الصناعية قد انعكس في الحقل الاقتصادي بالانتقال من سرديّة العمل الإنتاجي المرتكز على المادة إلى اقتصاد الخدمات المتمحور حول التفاعل الإنساني بما يقتضي لتحقيق النمو الاقتصادي تحويل الإنسان إلى مادة رقمية مسجلة ومندمجة في الفضاء التواصلي المفتوح والمتزامن.

بيد أن المفارقة الكبرى الملاحظة حالياً هي أن مجتمعات العولمة الاتصالية أفضت إلى تقويض البنيات الإدماجية التي أنتجتها الحضارة الصناعية، من هياكل طبقية ومنظومات سياسية ومؤسسات يبروقراطية مركزية.. بما يفسر -حسب كوهين- بروز النزعات الشعبوية التي اجتاحت العالم في السنوات الأخيرة.

الشعبيويات الجديدة تعبر من هذا المنظور عن انهيار الوسائط الإدماجية للمجتمعات الصناعية التي تركزت على محورية الطبقة العاملة والأيدولوجيا الاشتراكية التي شكلت «الديانة اللائكية» للقرن العشرين، ومن هنا تشبثها بمفاهيم السيادة والوطنية التي انحسر زخمها.

ما نريد أن نبينه هنا هو أن الصراع الأيدولوجي الراهن يدور في الواقع ما بين ثلاثة توجهات كبرى متصادمة في الحلبة السياسية الانتخابية في الديمقراطيات الغربية، وهي: الشعبوية في نسختها اليمينية واليسارية، والليبرالية المحافظة، والنزعات القومية غير الليبرالية، وهي اتجاهات ثلاثة من الصعب أحياناً الوقوف بدقة على خطوط الفصل ما بينها.

ما تتفق فيه الشعبويات بلونيهما هو النظرة السلبية تجاه النخب المهيمنة والمؤسسات العمومية واعتماد تصور حيوي للسياسة من حيث هي التعبير عن الهوية الحقيقية للشعب في مقابل القوى المنظمة التي تدعي تمثيله. الفرق الأساسي بين الشعبوية اليمينية والأخرى اليسارية هو أن الأولى تميل إلى معايير الانتماء القومي والهوية المغلقة، في حين تميل الثانية إلى التصور الصراعى للسياسة ضمن فكرة تحالف الهيمنة المفضي للتغيير الثوري. الشعبوية اليمينية هي التي تتحكم حالياً في العديد من البلدان الأوروبية (إيطاليا وهنغاريا وبولندا ورومانيا)، وكذلك في الولايات المتحدة، بينما هيمنت الشعبوية اليسارية على أمريكا

اللاتينية في العقد الماضي. ومن التنظيمات المنتمية إليها في أوروبا حزب «بوديموس» الإسباني، و«سيريزيا» اليوناني، و«حركة فرنسا المتمردة» في فرنسا.

ما يميز الشعبوية اليمينية عن الليبرالية المحافظة، مع اشتراكهما في الخلفيات المرجعية على المستوى الاقتصادي، هو أن الليبرالية المحافظة تظل متشبثة بالقيم والمفاهيم النظرية لليبرالية السياسية التقليدية، من ذاتية فردية وتعددية إجرائية وتصور للمجال العمومي والخير المشترك. الليبرالية المحافظة هي التي حكمت في بريطانيا والولايات المتحدة خلال عهد تاتشر وريغان، وتشارك في الائتلاف الحاكم حالياً في ألمانيا، وإليها ينتمي المرشح اليميني الفرنسي للرئاسة في السنة الماضية رئيس الوزراء الأسبق فرانسوا فيون.

أما النزعة القومية غير الليبرالية فهي الاتجاه الحاكم حالياً في روسيا والصين (وجزئياً في تركيا التي تتداخل فيها مع الإسلام السياسي وفي الهند التي هي ديمقراطية عريقة ومستقرة)، وسمتها الأساسية هي منح دور محوري للدولة في ضبط الحقل السياسي من حيث هي التجسيد الموضوعي للهوية الجماعية العميقة للأمة، بما ينجر عنه اختزال الديمقراطية التعددية في آليات إعادة إنتاج النظام السياسي القائم.

تختلف النزعة القومية غير الليبرالية عن الشعبويات اليمينية في كونها وإن تقاسمت معها نفس النفور من القيم الليبرالية التعددية، إلا أنها تتميز بمفهومها الإجماعي التحشيدي للشعب منظوراً إليه في شكل أمة موحدة متجانسة بروح أصيلة تتجاوز الظرفيات التاريخية والتميزات الاجتماعية، في حين تتبنى النزعات الشعبوية مفهوم الصراع بين الضمير الوطني العميق والنخب «الفاسدة» أو «الخائنة».

ما تعبر عنه هذه الخارطة الجديدة هو تراجع الصياغتين التأليفيتين اللتين ضمننا الاستقرار السياسي والرفاهية الاقتصادية في المجتمعات الديمقراطية المعاصرة: اليمين الليبرالي الذي تبنى الإصلاحات الجوهريّة التي عرفتها رأسمالية ما بعد الحرب العالمية الثانية، كما تبنى الإصلاحات الاجتماعية التي طالبت بها القوى الحقوقية والمدنية بعد انتفاضة ١٩٦٨ التي عرفتها الجامعات الأوربية والأمريكية، واليسار الديمقراطي الذي تصالح مع القيم الليبرالية وتخلّى عن الراديكالية الثورية وسدد اختلالات اقتصاد السوق بما لها من تأثير على الحقوق الاجتماعية للأفراد.

وحاصل الأمر أن الصدام الأيديولوجي لم ينته بانتهاء العالم الصناعي التقليدي، بل إن ما حدث هو تغير موازين ومحددات ومفاهيم الخارطة الأيديولوجية بتغير نمط الحضارة الإنسانية نفسه.

فتيل الشرق الأوسط يشتعل مجدداً

*فريد كابلان

مجلة (Slate) : ٢٠١٨/٩/١٠

بعد أشهر عدة من أعمال العنف المتقطعة والتوتر المعتمل تحت الرمال، يبدو أن الشرق الأوسط على شفير ثورة عنيفة جديدة، وما من قوى خارجية تملك مصالح أو نفوذاً لتطفئ اللهب، وقد بدأ الدخان يتصاعد بكثافة من ثلاثة مواقع حامية هشة.

غرّد الرئيس ترامب منذ أيام بأنه "يجب ألا يهاجم الأسد بتهور محافظة إدلب. يقترب الروس والإيرانيون خطأ إنسانياً جسيماً بمشاركتهم في هذه الكارثة الإنسانية المحتملة، قد يموت مئات الآلاف من الناس. لا تدعوا هذا يحدث!". يا لها من رسالة غريبة! يشير إخبار الأسد بضرورة عدم مهاجمة إدلب "بتهور" إلى أنه لا بأس من مهاجمة هذه المحافظة بعد دراسة، ولا نملك في الواقع الكثير من النفوذ اليوم ولم نفعل في السابق، حتى عندما كانت فرق الجيش الأمريكي تجوب الشرق الأوسط وكان القادة والدبلوماسيون المخضرمون يعقدون الاجتماعات بغية التخفيف من وطأة الاعتداء، أو رده، أو نزع فتيله. نتيجة لذلك، تُعتبر جهود إدارة ترامب الأخيرة عابرة في أفضل أحوالها.

في المرات السابقة التي ثارت فيها هذه المنطقة، حاولت أحياناً القوى الخارجية (سواء كانت الولايات المتحدة، أو روسيا، أو الأمم المتحدة، أو جامعة الدول العربية، أو تركيبة ما من اللاعبين) التدخل لقمع العنف، لكن هذه القوى تملك اليوم نفوذاً محدوداً أو دوافع مختلطة، وهل من أمل في حل هذه المعضلات؟ تبدو الفرص ضئيلة.

أفادت وكالات أنباء عدة في الأيام الأخيرة بأن إسرائيل شنت هجمات، ولطالما خشيت إسرائيل بروز "الهلال الشيعي"، تلك الكتلة المتجاورة من الأراضي التي تمتد من إيران عبر العراق وصولاً إلى سورية وما بعدها على الأرجح، ولا شك أن انتشار صواريخ بالسستية في العراق يصل مداها إلى إسرائيل والسعودية يوجب هذه المخاوف.

من هذا المنطلق، لا أهمية لمدى صحة الرواية عن الصواريخ الإيرانية في العراق، فإذا كانت صحيحة، فقد تحفز ضربة استباقية تشنها إسرائيل، وإن لم تكن كذلك، فقد تساهم في إضفاء شرعية على ضربة قد تشنها إسرائيل مستبقة بذلك أي عمليات تسليم أسلحة مماثلة.

ينشأ هنا السؤال: نظراً إلى الوجود الأمريكي في العراق، هل تذهب إسرائيل إلى هذا الحد من دون إذن واشنطن؟ تذكر هيئة البث العامة الإسرائيلية KAN أن المسؤولين الأمريكيين أشعلوا ضوءاً أحمر كبيراً في وجه تل أبيب، طالبين من مسؤولي الدفاع الإسرائيلي: "اتركوا العراق لنا!".

لا نعرف وفق هذا التقرير ما إذا كان ضوء الإيقاف الكبير هذا قد جاء من وزارة الدفاع الأمريكية، أو وزارة الخارجية، أو البيت الأبيض، أو ما إذا كانت ترامب سيصغي إلى صديقه رئيس الوزراء بنيامين نتانياهو ويقتنع بتبديل الضوء إلى أخضر؟

أما كيفية تعاطي ترامب مع مجموعة من الصراعات المتجددة في المنطقة، فمسألة مختلفة بالكامل، إذ لا تملك إدارته أي سياسة بخلاف بعض العبارات المستهلكة الغامضة ولا أي تكتيكات دبلوماسية ولا أي استراتيجية حتى وفق التعريف الأكثر شمولية لهذه الكلمة. وإذا استخلصنا العبر من الأزمات السابقة، ندرك أنه من غير المرجح أن يكون مجلس الأمن القومي عقد اجتماعاً على مستوى الحكومة بشأن هذه المسألة.

نُشرت مقتطفات دسمة من كتاب بوب وودوارد الجديد "الخوف: ترامب في البيت الأبيض" في صحيفة واشنطن بوست. وتبدو المعلومات التي يكشفها مذهلة، مع أنها لا تشكل مفاجأة كبيرة، حيث أخبر وزير الدفاع جيم ماتيس صديقاً أن ترامب يملك فهم "ولد في الصف الخامس أو السادس". كما وصفه كبير موظفي البيت الأبيض جون كيلي بـ "غير المتزن" و "الغبّي"، حتى أن بعض المساعدين أخذوا مجموعة من الأوراق الخطيرة الخاصة بالسياسة من مكتبه كي يحولوا دون توقيعه عليها. نجم الكثير من هذه الملاحظات من تعاطي ترامب مع مسائل بسيطة نسبياً. لكن الشرق الأوسط بعيد كل البعد عن هذه البساطة، فتحقيق السلام فيه شبه مستحيل (في حين ظن ترامب أن هذه مسألة سهلة، فكلف بها جاريد كوشنر).

في معظم الحالات، يقتصر أقصى ما تستطيع الولايات المتحدة أو أي قوة خارجية أخرى فعله على إطفاء القليل من عידان الثقاب التي تشعل المنطقة، حتى الأشخاص الأذكى جداً الذين يعرفون ما يفعلونه يواجهون صعوبة كبيرة في التعاطي مع هذه المسألة، لذلك من الضروري إبقاء إنسان غبي غير متزن يملك تفكير ولد في الصف السادس بعيداً. دعوه يلعب الغولف قدر ما يشاء.

آليات تزييف الوعي لم تتغير

*د. باسم الطويسي

صحيفة (الغد) الأردنية: ٢٠١٨/٩/١٠

يعتقد كثيرون أن ثمة سوءا كبيرا أصاب الثقافة المجتمعية العربية نتيجة تغلغل شبكات التواصل الاجتماعي والإعلام الرقمي وأن الحل يكمن في لجم هذه الوسائل أو إسكات مستخدميها أو تأديبهم.

في الحقيقة، إن هذه الوسائل لم تعمل أكثر من كشف السوء الموجود فينا أصلا، والمتراكم على شكل طبقات من التزييف التي يعود بعض حلقاتها الى قرون“ فالآليات تزييف الوعي الاجتماعي ما تزال في أغلبها كما هي لم تتغير، وكل ما فعلته التكنولوجيا أنها كشفت هذه الأمراض“ وفي بعض الحالات منحتها حجمها الطبيعي“ حيث تعمل منظومة متكاملة من الآليات على تشويه الثقافة المجتمعية بعضها متوارث تماما، وبعضها الآخر نما وتطور في العقود الأخيرة بفعل الانكفاء الثقافي والاستلاب السياسي والهشاشة الاقتصادية.

يعيدنا هذا الواقع الى أعمال اثنين من أهم علماء الاجتماع العرب، قدما النقد العلمي الأهم للمجتمعات العربية في القرن العشرين الماضي، هما حلیم بركات وهشام شرابي، فلا يوجد فرق كبير يذكر بين وصفها في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات وبين ما يجري على الساحات الافتراضية المعاصرة“ لم تتغير الدنيا كثيرا أكثر من الآليات والأحوال التي وصفت في السابق، بل بتنا نشاهدها اليوم بمرايا محدبة تعطيك المشهد من أوسع زاوية.

حلیم بركات الذي وصفه زميله في جامعة جورج تاون، مايكل هدسون، بأنه "دوركهايم علم الاجتماع العربي" شرح في كتابه الموسوعي (المجتمع العربي المعاصر: بحث في تغير الأحوال والعلاقات) حجم التشوه في الأنساق الاجتماعية والثقافية للعرب المعاصرين من الفرد الى الأسرة ثم التنظيم الاجتماعي والاقتصادي وصولا الى الثقافة القدرية وآليات التسويق والتبرير وكأنه يقرأ على إحدى شبكات التواصل الاجتماعي المعاصرة، قريبا من ذلك قدم المرحوم هشام شرابي في (مقدمات لدراسة المجتمع العربي المعاصر) صورة أخرى أكثر شفافية وكأنه لا شيء يغير الراكد في هذا الجزء من العالم من الأبوية الممعة في بنية المجتمع وفي تركيبة السلطة الى أنماط إنتاج المعرفة.

إذا ما ذهبنا الى مناقشة ما يدور في تعبيرات الثقافة المجتمعية العربية "الجديدة"، نجد بالفعل أن آليات تزييف الوعي التقليدية ما تزال تعمل بكفاءة كما رصدت قبل نحو أربعة عقود“ وألاها الرقابة الذاتية المفرطة التي تجعل الأفراد والجماعات ينتجون أنماطا جديدة من الأبوية، وبالتالي لا تشكل الأبوية الجديدة مجرد قيد على الحرية بل وجدار يصد الناس ويمنعهم من الخروج من الصندوق، فالبيئات الجديدة التي تستهلك آخر منتجات الحداثة الغربية ما تزال طاردة للإبداع أو الابتكار ولا تشكل أكثر من ساحات لمعارك عمرها قرون، وهذا ما يقودنا الى آلية أخرى لتزييف الوعي في العالم الافتراضي وهي هيمنة الاتجاه السائد، فالجميع يذهب نحو موافقة الاتجاه المهيمن، ومن يتبقى لديهم بعض الشجاعة ويميلون الى الرفض نجدهم يذهبون الى الصمت، لا يمكن أن نتجاوز العالم الافتراضي العربي بدون التوقف عند حجم التسويق والتبرير، وهي آلية تقليدية تركز إليها الذهنية العربية في لحظات الضعف والاسترخاء، فالنصر مبرر والهزيمة مبررة والفقر مبرر والثراء مبرر، كما هو الحال في آلية تصدير الفشل والهزيمة لأسباب خارجية“ أي العودة دائما لحلقة المؤامرة والأمر الذي دبر في ليل ما.

على الرغم من صرامة النقد التاريخي والثقافي الذي قدمه كل من هشام شرابي وحليم بركات للمجتمعات العربية، إلا أنهما لم يتخليا عن تفاؤلهم التاريخي ودعا كل منهما الى منهجه في التحرر الذاتي“ ترى هل ما يزال ذلك التفاؤل التاريخي في مكانه ونحن نشهد أن آليات تزييف الوعي ما تزال تعمل وبكفاءة أكبر.

عن حماقة ودمارها

*عبدالله بشارة

صحيفة (القبس) الكويتية : ٢٠١٨/٩/١٠

الحكمة أمان وسلامة وارتياح ضمير، لا تؤذي من يلتزم بها، وهي ببساطة البعد عن المغامرة ورفض الاستسلام للعواطف، ومقاومة إغراء سطوة الجاه وسحر الجمال، وأكثر من ذلك الصلابة في عدم استغلال النفوذ وعدم الاستسلام لجاذبية السلطة، قليلون من الساسة عبروا فضاء الإغراء وقاوموا السطوة، لا سيما في الدول التي ليست فيها مؤسسات ترتكز على دساتير ديموقراطية.

سقط العديد من الحكام العرب في القرن العشرين في أفخاخ الزعامة والجاه، غابت عنهم حكمة النظر في مخاطر الانزلاق، وغلبتهم غريزة الطموح، وإذا وجد واحد منهم يدعو للتريث وإلى التقييم الواعي تكشف أوراق التاريخ أنه الصوت الضائع، فلا أحد يتوقف عند النصيحة العاقلة في أجواء تطغى فيها العواطف.

كنت أقرأ مذكرات السياسي المصري الدكتور محمد حسين هيكل باشا، رئيس مجلس الشيوخ المصري، وأحد زعماء حزب الأحرار الدستوريين في مصر، وهي مذكرات من ثلاثة أجزاء، يهمني ما جاء في الجزء الثالث عن القضية الفلسطينية، حيث يعرض الزعيم المصري تفاصيل المشاورات بين العرب عن الوضع في فلسطين بين عامي ١٩٤٦ - ١٩٤٨، ومنها نقف عند حجم الارتباك الذي واكب اتخاذ قرارات ارتجالية تدميرية.

يكتب الباشا أنه ترأس الوفد المصري لاجتماع دعت إليه الجامعة العربية، في شهر يونيو ١٩٤٦، ينعقد في مصيف بلودان في سوريا، وناقش المؤتمر أهداف الصهيونية في فلسطين وتوسع أهدافها، وقرر تشكيل لجنة سرية تقدم توصيات لتبني سياسة عربية تواجه المواقف.

كان الشيخ يوسف ياسين رئيساً لوفد المملكة العربية السعودية في ذلك الاجتماع، وقرأ برقية لاسلكية تلقاها من الملك عبدالعزيز آل سعود جاء فيها أن المملكة ترى التزام سياسة الحذر وألا تغامر الدول العربية بأمر لا تثق بنتائجه، وهنا تقدم رئيس اللجنة السياسية المنبثقة من المؤتمر وهو الزعيم السياسي فارس الخوري الذي تولى في ما بعد رئاسة الجمهورية، مقترحاً أن تلجأ الدول العربية إلى الأمم المتحدة لتأكيد عروبة فلسطين، وأقر المؤتمر ذلك المقترح، ويواصل الزعيم المصري حديثه بأن الأمم المتحدة أقرت التقسيم، وبسبب ذلك جاء اتفاق الحكومات العربية أن القوة العربية وحدها هي السبيل لمنع قيام دولة صهيونية في فلسطين.

واجتمعت الدول العربية في بيروت في ضوء قرار الأمم المتحدة حول التقسيم، وقررت إنشاء قوة عربية تتألف من أهل فلسطين ومن المتطوعين من أهل الدول العربية المختلفة، وأن تدمم الدول العربية بالسلاح وتسمح لضباط من جيوشها بالاستقالة ليتولوا قيادة هؤلاء المتطوعين، وقد بدئ في تنفيذ هذه السياسة قبل ١٥ مايو ١٩٤٨، وهو اليوم الذي حددته بريطانيا للانسحاب من فلسطين.

ويضيف الباشا أن النقراشي باشا رئيس وزراء مصر من أشد ممثلي الدول العربية حماسة لعدم اشتراك القوات الرسمية في القتال، لأنه لا يريد للجيش المصري المشاركة خوفاً من تحكم القوات البريطانية الموجودة في القناة في مصيره.

وتم اعتماد القرار الذي التزمت به الدول العربية حتى يوم ١١ مايو ١٩٤٨، ويسجل الكاتب أن النقراشي جاء إليه في يوم ١٢ مايو، طالباً عقد جلسة سرية لمجلس الشيوخ لتعرض عليه الحكومة قرارها بدخول القوات المصرية إلى فلسطين لقتال اليهود، وأن النقراشي يؤكد أن جيش مصر قادر وله من العتاد ثلاثة أشهر، ويشير إلى أن الفريق حيدر باشا وزير الحربية المصرية أكد لمجلس الوزراء أن الجيش المصري وحده بجنوده وعتاده قادر من غير حاجة إلى معونة عربية على الدخول إلى تل أبيب خلال أسبوعين.

واجتمع البرلمان المصري، حيث أكد النقراشي استعداد الجيش المصري، فله كل ما تقتضيه الحرب، وأن النائب الوحيد المعارض هو رئيس الوزراء السابق إسماعيل صدقي باشا الذي لم يصدق تأكيدات النقراشي، ويتساءل الكاتب عن مسببات التبدل الدراماتيكي في الموقف العربي، خصوصاً أن بعض الدول تعرف الكثير عن حقائق الوضع.

جاء السبب الرئيسي لهذا الانقلاب من موقف الملك فاروق الذي دخل في شكوك حول نوايا الملك عبد الله في الأردن وتصيده للزعامة العربية، وتصور أن ملك الأردن سيسرق الوهج والزعامة منه ومن مصر، ولذلك دفع بالجيش المصري الذي لم يكن مستعداً وألغى قرار العرب بدعم القوة الفلسطينية والمتطوعين فقط دون مشاركة من الجيوش.

وكان ما كان، والسبب انعدام الجدارة في القيادة، فالملك فاروق المبهور بالوهج المصري لم يكن كفواً ليقود، كان ضخماً شحماً فقط، ونحيفاً فكرياً، وصغيراً عقلاً، وكبيراً طموحاً، ومتواضعاً عطاء.

انطلقت رسالة الملك عبدالعزيز من عقلانية الصحارى، ومن حسن التقدير، ومن سلامة التدبير، فلا طموحات فوق الطاقات، مع حسن المشورة التي لم يأخذ بها ملك مصر المأخوذ بأوهام السلطة.

نحن الآن نمر بظروف ليست أقل من تلك الأيام العصيبة، كانت قضية فلسطين، والآن مع شأن الخليج وأمنه وسلامته، مع ضرورة حسن تطويق التوتر ووقف الانزلاق نحو مواجهة ليست في مصلحتنا، ولسنا من عشاقها ولا تضيف شيئاً لما نحن فيه.

اقتبس هذا التسجيل التاريخي من مذكرات رئيس مجلس الشيوخ المصري، مؤلف قصة زينب ورائعته عن النبي في كتاب «محمد» الذي قرأته منذ زمن.

في إحدى السفرات من لندن إلى البحرين جلست بجانب سيدة إنكليزية تقرأ في كتاب محمد المترجم إلى الإنكليزية، قالت لي إنها صارت مسلمة بعد قراءة الكتاب.

هناك فائدة في قراءة سطور المتنبي عن الحكمة والعقلانية والرأي وموقعه في الصدارة، ونصيحته بأن الرأي قبل شجاعة الشجعان.

من ١١ سبتمبر إلى المرشد الروسي

*غسان شربل

صحيفة (الشرق الاوسط) / رئيس التحرير: ٢٠١٨/٩/١٠

الوقت لص سريع الفرار. تبتعد الأحداث ويغشاها الضباب. لكن العالم لا يستطيع اليوم إلا أن يتذكر هجمات ١١ سبتمبر (أيلول) ٢٠٠١ فقد هزت العلاقات الدولية واقتلعت أنظمة وتسببت في قتل كثيرين. إنه يوم استثنائي في حياة أمريكا والعالم. ويوم باهظ في حياة الشرق الأوسط الذي أنجب «القاعدة» وبعدها «داعش».

في ذلك اليوم لم يخطر ببال صدام حسين أنه سينضم لاحقاً إلى لائحة الضحايا. وكان معمر القذافي واثقاً من غياب بصماته فقد ألق عن لعبة التحرش بالإمبريالية الأمريكية. وكانت طائرة الملك عبد الله الثاني فوق الأطلسي في الطريق إلى أمريكا. وسرعان ما أدرك فور وصوله أن النهار سيشكل منعطفاً في علاقات أمريكا بالعالم. ولم يصدق علي عبد الله صالح التقارير الأولية ثم أدرك هول ما حدث.

وحين رأى الطائرة الأولى تصطدم بالبرج، ظن مسعود بارزاني أن التلفزيون يعرض فيلماً عادياً لكن الطائرة الثانية دفعته إلى المتابعة. كان اسم الرئيس الإيراني محمد خاتمي ولم يكن حديث «الهلل الإيراني» مطروحاً بعد. وكان على برويز مشرف أن يعد باكستان للتعامل مع الزلزال المقترب. وكان اسم الرئيس اللبناني إميل لحود. واسم رئيس الوزراء رفيق الحريري. وكان سمير جعجع مقيماً في سجنه وميشال عون في منفاه. وكان مضي عام على تولي بشار الأسد الرئاسة لم يزر خلاله إيران.

عاقبت الإمبراطورية الأمريكية من استهدفوا رموز نجاحها وهيبتها ووسعت دائرة العقاب. جثة أسامة بن لادن ضائعة في المحيط. وأبو بكر البغدادي صنع الكارثة وتوارى بعدما خسر «دولته» ومعاقله. لكن الغريب أن فكرة استهداف مركز التجارة العالمي بطائرة مدنية لم تكن من صنع بن لادن.

تابع الإرهابي الفنزويلي الشهير كارلوس مجريات ذلك النهار من سجنه الفرنسي. «ولا يمكنني أن أصف ذلك الشعور الرائع بالارتياح». وفي رسالة بعث بها إلى من سجنه قال كارلوس: «في ربيع ١٩٩١ بعد الهجمات الجوية التي ألحقت دماراً هائلاً بالعراق حضرت اجتماعاً مثيراً لكوارث من منظمات معادية للإمبريالية من مختلف المنابت والأيدولوجيات تم فيه التوصل في شكل عفوي وغير رسمي إلى ضرورة الرد بتفجيرات في الولايات المتحدة. وطرح الشهيد مرتضى بوتو، الأمين العام لمنظمة «ذو الفقار» الباكستانية فكرة صدم المركز العالمي للتجارة في نيويورك بطائرة وعدم الاقتصار على الأهداف المرشحة بداهة في واشنطن».

كان الغرض من هجمات ١١ سبتمبر إشعال خطوط التماس بين الغرب والعالم الإسلامي وإحداث شرخ غير مسبوق في العلاقات الأمريكية - السعودية. كان الغرض أيضاً استدراج الجيش الأمريكي إلى حرب في وعورة المسالك في أفغانستان. لقد راود بن لادن حلم رؤية الجيش الأمريكي يخرج مثخناً من أفغانستان على غرار ما حصل مع «الجيش الأحمر» السوفيياتي. لكن بن لادن أساء بالتأكيد تقدير قوة الآلة العسكرية الأمريكية ومدى رفض العالم للإرهاب.

ومنذ يوم الهجمات إلى اليوم، عاش الشرق الأوسط سلسلة من الأعاصير مزقت خرائط ودولاً وهزت توازنات وغيرت ملامح. الحرب على «القاعدة». غزو العراق وسقوط الجدار الذي كان يمنع تدفق الجمر الإيراني في الإقليم. واندلاع «الربيع العربي» وإطالة «داعش». والجرح السوري المفتوح الذي تضمن أيضاً مبارزات إقليمية ودولية فوق بحيرة من الدم.

لم تنجح طائرات بن لادن في قلب المشهد الدولي وتوازناته. ولم تتمكن سكاكين البغدادي من الاستقرار طويلاً لحز أعناق الخرائط. التغير الكبير سيأتي من مكان مختلف وقاموس آخر وعلى يد ضابط استخبارات شاب خرج مجروحاً من الركام السوفياتي.

أغلب الظن أن بوريس يلتسين لم يكن يعرف أنه يهدي الغرب حزاماً ناسفاً. في الثامن من سبتمبر ١٩٩٩ وخلال محادثة هاتفية سأله الرئيس بيل كلينتون عن الشخص الذي سيفوز في الانتخابات الرئاسية في روسيا فأجاب يلتسين بأنه فلاديمير بوتين. وأضاف: «أخيراً وجدته. إنه الشخص المناسب. لقد درست سيرته الذاتية. إنه ديمقراطي ويفهم الغرب جيداً». وقال أيضاً: «لقد وجدته رجلاً قوياً وصلباً ظل على اطلاع ودراية جيدة بمختلف المواضيع تحت إدارته. وفي الوقت نفسه فإن نظريته شاملة وقوية، وهو شخصية اجتماعية للغاية. ويمكنه تأمين العلاقات الجيدة والتواصل مع مختلف الشخصيات من شركائه. وإنني متأكد أنك ستجده شريكاً مؤهلاً للغاية».

حين حدثت هجمات ١١ سبتمبر كان الكرملين في عهدة بوتين الذي دخله في اليوم الأول من القرن الحالي. كان الرجل في مرحلة التقاط الأنفاس محاولاً رد رياح التفكك عن الاتحاد الروسي ورياح التشتت عن «الجيش الأحمر». وتوهم قادة الغرب أن الرئيس الروسي الجديد سيسلم بعالم القوة العظمى الوحيدة وسيكتفي بترميم البيت الروسي وإشهار حلم الانتماء إلى «البيت الأوروبي المشترك».

لم يغفر بوتين لأمريكا أنها أسقطت الاتحاد السوفياتي ومن دون إطلاق رصاصة. وأنها تناست مطالب يلتسين بعدم استفزاز الروس بتحريك بيادق حلف الأطلسي إلى مقربة من حدودهم. وشعر الرجل الكثير الشكوك بأن الثورات الملونة جاءت من مطابخ الاستخبارات الأمريكية. كان عليه أن ينجز أولاً مرحلة إخضاع الجنرالات ورجال الأعمال والإعلام كي لا يكون للخارج أوراق داخل داره. وهذا ما حصل. وحين استكمل استعداداته اغتتم الحريق السوري لإطلاق انقلاب كبير. ضم القرم، وذكر أوكرانيا بوطأة الجغرافيا. تدخل عسكرياً في سوريا، وطوّع الموقف التركي، وضبط الجموح الإيراني. حول نفسه حاجة لكل اللاعبين. في قمة طهران الأخيرة مع إردوغان وروحاني بدا بوتين واثقاً من إلحاق إدلب بمصير مناطق «خفض التصعيد» السابقة. تجاوز سلوك الرئيس ليتصرف بعقلية المرشد. لم يشعر بضرورة مراعاة إردوغان أمام الميكروفونات.

تغير العالم. صارت هجمات ١١ سبتمبر من الماضي البعيد. إننا نعيش اليوم في زمن المرشد الروسي.

ترامب: لن نتوانى في مواجهة الشر

راديو سوا: ٢٠١٨/٩/١١

أكد الرئيس دونالد ترامب الثلاثاء، في كلمة بمناسبة الذكرى الـ ١٧ لهجمات الـ ١١ من سبتمبر أن الولايات المتحدة لن تتوانى في مواجهة الشر وحماية نفسها.

وقال ترامب الذي توجه إلى موقع تحطم الرحلة ٩٣ في شانكسفيل بولاية بنسلفانيا إن "هذا الحقل نصب تذكاري يجسد التحدي الأمريكي، إنه رسالة للعالم أن أمريكا لن تخضع أبدا للطغيان".

وأشاد الرئيس الأمريكي بشجاعة ركاب الطائرة التابعة لخطوط يونايتد، وأعرب عن شكره لتضحياتهم مؤكدا أن البلاد تتشاطر الألم والحزن مع ذويهم. وتابع "نكرمهم بألا نخفق أبدا في الحفاظ على سلامة أمريكا"، وأكد أن "مستقبل أمريكا لا يكتبه الأعداء".

تحية الولايات المتحدة الثلاثاء الذكرى الـ ١٧ للهجمات الإرهابية التي وقعت في نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا في الـ ١١ من أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠١ وحصدت أرواح ٣٠٠٠ شخص تقريبا فضلا عن آلاف المصابين.

ويشارك الرئيس دونالد ترامب والسيدة الأولى ميلانيا في مراسم تقام في الساعة ٩:٤٥ صباحا بالتوقيت المحلي (١٣:٤٥ ت.غ)، في شانكسفيل بولاية بنسلفانيا حيث تحطمت طائرة ركاب تابعة لخطوط يونايتد.

وقالت المتحدة باسم للبيت الأبيض سارة ساندرز إن ترامب سيركز على تذكّر هذا "اليوم المروع"، وتكريم الأرواح التي فقدت، ورجال الطوارئ الذين خاطروا بحياتهم في أعقاب ذلك.

وتقام مراسم ما بين الساعة ٨:٣٠ و ١٢:١٥ بالتوقيت المحلي (١٣:٣٠ و ١٧:١٥ ت.غ) في النصب التذكاري لضحايا ٩/١١ في نيويورك، والذين يزيد عددهم على ٢٧٠٠ شخص. وستتم قراءة أسمائهم وسيقف المشاركون دقيقة صمت ترحما على أرواحهم.

وستقرع أجراس جميع كنائس المدينة في التوقيت ذاته الذي استهدفت فيه الطائرات التي استخدمت في الهجمات برجى مركز التجارة العالمي والبنتاغون وشانكسفيل، وكذلك في اللحظة التي انهار فيها البرجان.

نائب الرئيس مايك بنس شارك إلى جانب وزير الدفاع جيمس ماتيس في مراسم في مقر وزارة الدفاع انطلقت في الساعة ٨:٤٥ بالتوقيت المحلي (١٣:٤٥ ت.غ) حيث تمت تلاوة أسماء الضحايا الذين سقطوا هناك وعددهم ١٨٤. ووقف المشاركون دقيقة صمت في الساعة ٩:٣٧.

بيان للوزير بومبيو في ذكرى اعتداءات ١١ أيلول الإرهابية

وزارة الخارجية الأمريكية/ مكتب المتحدث الرسمي: ٢٠١٨/٩/١١

نكرم الثلاثاء، حوالي ثلاثة آلاف شخص فقدوا حياتهم في الاعتداءات الإرهابية منذ ١٧ عاما يوم ١١ أيلول/سبتمبر. ويصادف الثلاثاء أيضا الذكرى السادسة للخسارة المأساوية للسفير ج. كريستوفر ستيفنز وغلين دوهرتي وشون سميث وتايرون وودز في ليبيا.

تذكرنا الجنسيات المختلفة لضحايا اعتداءات ١١ أيلول والهجوم في ليبيا بأن الإرهاب قضية دولية تتطلب من كل دولة ذات سيادة بذل جهود للتغلب عليها. تلعب الدبلوماسية دورا مركزيا في مكافحة الإرهاب، وذلك من خلال مكافحة التطرف وتعزيز الاستقرار والحرية في مختلف أنحاء العالم. وبينما تقدمنا كثيرا على مدى السنوات الـ ١٧ الماضية، لا تزال جهودنا للقضاء على الإرهاب تتواصل اليوم. يفتخر رجال وزارة الخارجية الأمريكية ونسائها بالعمل جنباً إلى جنب مع شركاء من مختلف أنحاء العالم في هذا الجهد ولن نتوانى في عزمنا على السعي لتحقيق السلام والأمن والعدالة.

سنذكر غدا ضحايا اعتداءات ١١ أيلول مع الناس من مختلف أنحاء العالم. لن ننسى يوما من فقدوا حياتهم ونستمر في الصلاة طالبين التوجيه والحكمة والحماية للرجال والنساء في الرزي العسكري والذين يقاتلون كل يوم لحماية العالم من الإرهاب، كما نصلي من أجل وحدة أمتنا والعالم في أوقات المخاطر والسلام على حد سواء.

حقائق عن هجمات الـ ١١ من سبتمبر

راديو سوا: ٢٠١٨/٩/١١

في مراسم يسودها الحزن واستذكار فترة مؤلمة من تاريخ البلاد، تحيي الولايات المتحدة الثلاثاء، الذكرى الـ ١٧ للهجمات التي استهدفتها صباح الـ ١١ من أيلول/ سبتمبر عام ٢٠٠١. ووقعت الهجمات التي استخدمت فيها طائرات مدنية اختطفها إرهابيون معظمهم من السعودية، في كل من نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا مخلفة حوالي ٣٠٠٠ قتيل وآلاف الجرحى. وهذه بعض الحقائق عن الاعتداءات الإرهابية:

عدد الضحايا

لقي ٢٩٧٧ شخصا من أكثر من ٦٠ جنسية، مصرعهم في الاعتداءات. سقط العدد الأكبر منهم والذي يتجاوز ٢٧٠٠ شخص، في نيويورك حيث صدمت طائرتا ركاب مخطوفتان برجى مركز التجارة العالمي. وقضى ١٨٤ شخصا بسبب ارتطام طائرة تابعة لخطوط أمريكان إيرلاينز، الرحلة ٧٧، بمبنى وزارة الدفاع (البنتاغون).

وفي شانكسفيل بولاية بنسلفانيا، قتل ٤٠ شخصا كانوا على متن طائرة تابعة لخطوط يونائيتد، الرحلة ٩٣، بعد أن سقطت في أحد الحقول. ويعتقد أن الخاطفين أسقطوها بعد محاولات من الركاب لإعادة السيطرة عليها.

أعمار الضحايا

تراوحت أعمار الضحايا بين عامين اثنين و ٨٥ عاما.

الرجال أغلب الضحايا

يشكل الرجال حوالي ٧٥ إلى ٨٠ في المئة من ضحايا الهجمات.

جنسيات المنفذين

نفذ الهجمات ١٩ شخصا من أربع دول عربية، هي السعودية ومصر والإمارات ولبنان. ومن بين المنفذين ١٥ سعودي.

الطائرات

استخدم المهاجمون أربع طائرات ركاب بعد أن خطفوها. اثنتان منها تتبعان لشركة أمريكان إيرلاينز واثنان تتبعان لشركة يونائيتد إيرلاينز. وكلتاهما شركتان أمريكيتان.

أسماء الضحايا

أسماء الضحايا تم نقشها بالبرونز على النصب التذكاري لضحايا هجمات الـ ١١ سبتمبر، وهي منشورة أيضا على الموقع الإلكتروني للمتحف والنصب التذكاري.

أين كان الرئيس أثناء الهجمات؟

أثناء الهجمات كان رئيس البلاد آنذاك جورج بوش الابن، في زيارة لولاية فلوريدا. وفي الساعة مساء عاد إلى البيت الأبيض، وألقى بعد ذلك بساعتين خطابا حول الهجمات.

وأبلغ بوش بوقوع الهجمات بينما كان في زيارة لمدرسة ابتدائية ويتحدث إلى أطفال أحد الصفوف. برجا التجارة

ارتطمت طائرتان ببرجي التجارة، كان البرجان يقعان في مانهاتن. وقد استكمل بناؤهما عام ١٩٧٣ وبقيتا لفترة وجيزة أطول برجين في العالم، لكنها ظلا أطول برجين في مدينة نيويورك من دون منازع حتى صباح الـ ١١ من أيلول/سبتمبر. وكان البرجان معلمان من معالم المدينة ويستقطبان يوميا قرابة ٧٠ ألف زائر وسائح.

ما الذي حدث في برجى التجارة؟

في الـ ٨:٤٦ صباحا ارتطمت طائرة أمريكان إيرلاينز (الرحلة رقم ١١) في الطوابق ٩٣ إلى ٩٩ من البرج الشمالي لمركز التجارة العالمي.

وبعد ١٧ دقيقة أي الساعة الـ ٩:٠٣ ارتطمت طائرة يونايتد إيرلاينز (الرحلة رقم ١٧٥) في الطوابق من ٧٧ إلى ٨٥ من البرج الجنوبي.

كلفة الأضرار

قدرت الخسائر الاقتصادية في الأسابيع الأولى التي تلت الهجمات بنحو ١٢٣ مليار دولار.

الخسائر الناجمة عن الأضرار التي لحقت بمركز التجارة العالمي والبنائات المحيطة به، إلى جانب مرافق مترو الأنفاق، قدرت بحوالي ٦٠ مليار دولار.

حجم الحطام

الحطام الذي تم تنظيفه من منطقة مركز التجارة العالمي بلغ ١,٨ مليون طن، تطلبت إزالته ٣,١ مليون ساعة من العمل.

اختتمت تلك الجهود في أيار/مايو ٢٠٠٢ بعد ثمانية أشهر و١٩ يوما على الاعتداءات.

إنشاء وزارة

أدت الهجمات إلى إنشاء الحكومة الأمريكية لوزارة الأمن الداخلي التي أوكل إليها عدد كبير من المهمات الأمنية ومن ضمنها اتخاذ إجراءات احترازية لمنع وقوع هجمات إرهابية.

أمريكا تحيي ذكرى هجمات سبتمبر بثلاثة آلاف شمعة

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/٩/١١

أحييت الولايات المتحدة لإحياء الذكرى السابعة عشرة لهجمات ١١ سبتمبر (أيلول) ٢٠٠١. وذلك بتكرار مراسم قديمة، وبإضافة مراسم جديدة. لأول مرة، سيفتتح معرض متنقل يحاكي أحداث وأصوات الهجمات في نيويورك. وستكون أولى نقاط المعرض المتحرك ولاية إنديانا، حيث يتوقع أن يفتتحه نائب الرئيس مايك بنس، الذي كان حاكما للولاية.

وسوف يحيي الرئيس دونالد ترمب ذكرى الهجمات اليوم الثلاثاء في ولاية بنسلفانيا، في مكان سقوط الطائرة الرابعة التي يعتقد أنها كانت متجهة نحو الكونغرس، أو البيت الأبيض. وستشهد نيويورك إشعال ٣ آلاف شمعة تقريبا، تمثل أرواح الضحايا، وتستمر تشتعل لمدة ٢٤ ساعة. أعيد افتتاح محطة مترو (قطار تحت الأرض) أول من أمس، كانت تحطمت مع انهيار برجى مركز التجارة العالمي حيث كانت تقع أسفل البرجين». وبعد ١٧ عاما على اعتداءات سبتمبر ٢٠٠١، لا تزال هويات أكثر من ١١٠٠ شخص من ضحايا الهجمات التي دمّرت برجى مركز التجارة العالمي في نيويورك مجهولة».

وفي ذكرى الهجمات على الولايات المتحدة، يكرر الأمريكيون مراسم تخليد: سيزور آلاف الناس النصب التذكاري لبرجى مركز التجارة العالمي في نيويورك. وستصمت كل أمريكا لدقيقة، مع توقيت أول هجمة على البرجين. وسيلقي الرئيس دونالد ترمب خطابا. وسيزور، مع زوجته، ميلانيا، مكان سقوط الطائرة الرابعة في ولاية بنسلفانيا. (في العام الماضي، زارا مبنى البنتاغون، الذي كانت ضربته الطائرة الثالثة. وربما سيزور في العام القادم مكان مبنى التجارة العالمي الذي ضربته الطائرتان الأولى والثانية). كعادته، غرد ترمب عن الذكرى حتى قبل يومها. وقال بأن الاحتفال

سيكون «أكبر مما كان في أي وقت مضى». وكعادته، تحدث عن إنجازاته في الحرب ضد الإرهاب. وقارنها بإنجازات الرئيسين قبله: جورج بوش الابن، وباراك أوباما. وقال: «لم يحارب رئيس الإرهاب مثلما أحاربه. قضيت عليهم كلهم أينما كانوا».

استمرار البحث عن الضحايا

مع استمرار احتفالات ذكرى الهجمات، واستمرار استغلال سياسيين وعقائدين لها، ومع استمرار المحاكمات في سجن غوانتانامو، يستمر البحث عن بقية ضحايا الهجوم في نيويورك، وتستمر محاولات التعرف على جميع القتلى. ويستخدم خبراء في مركز الطب الجنائي في نيويورك تكنولوجيا جديدة في تحليل الحمض النووي تساعد في التعرف على مزيد من ضحايا الهجمات.

لكن في مختبر معهد الطب الشرعي في الولاية الواقعة على الساحل الشرقي الأمريكي، لا يزال فريق علمي يعمل للتعرف على هويات أصحاب مئات العظام والبقايا البشرية في ظل تطور تكنولوجيا مستمر. في البداية، يختبرون بقايا العظام التي عثر عليها في ركام البرجين. وبعد تكسيرها وطحنها إلى رماد، يتم خلط البقايا البشرية بمادتين كيميائيتين لاستخراج الحمض النووي. ثم يجب أن تتطابق مع الحمض النووي المخزن لدى المختبر.

وقال مارك ديزاير الذي يقود المعمل الجنائي، إن التكنولوجيا الجديدة، التي تسمى «بروتوكول مركز التجارة العالمي»، استخدمت لتحديد ضحايا حوادث قطارات وطائرات وهجمات إرهابية في الأرجنتين، وكندا، وجنوب أفريقيا، وأماكن أخرى.

لكن نجاح كل ذلك ليس مضمونا بالنهاية، وأشار ديزاير إلى أن «العظام هي أصعب مادة بيولوجية يمكن العمل عليها». وتابع «وفوق كل ذلك، حين تتعرض العظام مثل التي كانت موجودة في غراوند زيرو للنيران والعفن والبكتيريا وأشعة الشمس ووقود الطائرات والديزل، كل ذلك يدمر الحمض النووي. لذا، في النهاية يمكن أن يكون بحوزتك عينة تتضمن قدرا صغيرا جدا جدا من الحمض النووي». وأجرى المعهد اختبارات على نحو ٢٢ ألف قطعة من البقايا البشرية التي عثر عليها في موقع الاعتداءات، بعضها خضعت للاختبار ١٠ أو ١٥ مرة.

وحتى الآن، تم التعرف رسميا على ١,٦٤٢ شخص فقط من أصل ٢,٧٥٣ من ضحايا الاعتداءات في نيويورك. ولا يزال ١,١١١ شخص مجهولين». وأحيانا تمر عدة أعوام دون أن يضيف المختبر اسما جديدا». وقال ديزاير «هذه نفس البروتوكولات الذي كانت لدينا عام ٢٠٠١، لكننا تمكنا من تحسين العملية في كل خطوة بدافع الضرورة». ورفض ديزاير تأكيد موازنة هذا البرنامج، إلا أن المختبر يعد الأفضل تجهيزا وتطورا في أمريكا الشمالية». وفي يوليو (تموز) الماضي، وبعد نحو عام من التعرف على آخر شخص، تم التعرف على سكوت مايكل جونسون البالغ ٢٦ عاما الذي كان يعمل محللا ماليا في مصرف الأعمال «كيف بروييت اند وودز» في الطابق ٨٩ للبرج الجنوبي عند وقوع الهجوم. وقالت فيرونیکا كانوا من فريق الأدلة الجنائية «شعرت بالارتياح إزاء ذلك».

وتابعت «لقد تدريبنا على ألا نتأثر، لكنه أمر يؤثر على الجميع بطريقة ما. أحاول أن أكون محترفة وأن ننهي المسائل لهذه الأسر». ويخصص المختبر جزءا من عمله فقط لتحديد هوية ضحايا ١١ سبتمبر، فيما يتعامل مع حالات وفاة واختفاء أخرى». وتجرى أعمال الفريق في مكاتب منفصلة تقع على بعد نحو كيلومترين، مما كان يعرف في السابق باسم «غراوند زيرو». وتتوقف عائلات الضحايا في بعض الأحيان عند المختبر». وقالت كانوا «من الصعب ألا تكون عاطفيا بسبب العناق وكلمات الشكر»، وتابعت «إنه أمر جيد بالنسبة لي أن أفعل شيئا لشخص ما». ويلعب الأقارب دورا بالغ الأهمية لأن المقارنة بين الحمض النووي للبقايا مع عينات مقدمة من أفراد الأسر يمكن أن تسمح بتحديد هوية البقايا البشرية المجهولة». ولدى المختبر نحو ١٧ ألف عينة، لكن لا توجد عينات لنحو ١٠٠ ضحية، ما يعقد من مساعي تحديد هوية تلك البقايا». ويسمح إجراء دقيق للغاية للأقارب بتحديد ما إذا كان سيتم

إبلاغهم بهوية الشخص الذي فقدوه وكيف سيتم إبلاغهم به». وقالت ماري فتشيت، التي فقدت ابنها براد البالغ من العمر، ٢٤ عاماً، عندما يتم إبلاغك، يعود بك الزمن إلى ذلك اليوم، والطريقة المروعة لقتلهم». وتابعت الأم الثكلى «لكنه أيضاً يمنحك بعض العزاء بأنك قادر على دفن ابنك بطريقة مناسبة». وشارك فتشيت في تأسيس «أصوات ١١ سبتمبر أيلول»، وهي مجموعة تساعد على تلبية الاحتياجات طويلة الأجل للمتأثرين بهذه الفاجعة وغيرها من المآسي».

في عام ٢٠٠١، أدرك رئيس مكتب الطب الشرعي تشارلز هيرش أن الوقت سيكون حليفاً في جهود التعرف على البقايا البشرية، وأمر بحفظها». ومن جميع أنحاء العالم، من الأرجنتين إلى جنوب أفريقيا، تأتي فرق الطب الشرعي الآن إلى نيويورك للتعلم من الفريق».

وفي اللقاءات مع أسر الضحايا، قال ديزاير إن الفريق يتحدث عن «المستقبل، عما نعمل عليه الآن ويساعد في التوصل إلى مزيد من التعرف» على هويات الضحايا.

وقال والابتسامة تعلق وجهه إن خبراء معهد الطب الشرعي الآن «ربما كانوا في المدرسة الابتدائية أو الابتدائية وقت الاعتداءات» وأضاف «لكنهم يرون أهمية ما يقومون به».

(فهرنهايت سبتمبر ١١)

قبل أسبوع من ذكرى الهجمات، أصدر المخرج السينمائي الأمريكي مايكل مور فيلماً وثائقياً آخر: «فهرنهايت سبتمبر ١١»، وهو الثاني في سلسلة بدأها عام ٢٠٠٤. عندما أصدر الفيلم الوثائقي «فهرنهايت ١١ سبتمبر» في الأول، انتقد الرئيس السابق بوش، وانتقد ما سماها بوش «الحرب العالمية ضد الإرهاب»، وغزو أفغانستان، وغزو العراق. وفي الفيلم الثاني، ينتقد الرئيس ترمب. ويتحدث عن: «هذه الأيام الغريبة والعجيبة التي نعيشها، ولا نعرف نهايتها». يتابع الفيلم ترمب منذ أن أعلن حملته الانتخابية في نهاية عام ٢٠١٥. ويقدم نصائح (بعضها سخري، بعضها فكاهي) عن طريقة «الاستيقاظ من هذا الكابوس». يشير جزء من الفيلم إلى تصريحات ترمب عن الهجمات، وعن مظاهرات ابتهاج نظمها مسلمون. وأعاد الفيلم الثاني لقطات من الفيلم الأول عن نفس الموضوع. وكان الفيلم الأول قال ما قاله تلفزيون «إيه بي سي» في الأسبوع الماضي، وهو أن مظاهرات ابتهاج المسلمين ليست إلا إشاعة.

التعويضات تستمر

مع استمرار أشياء كثيرة لها صلات بالهجمات، تستمر دعاوى مزيد من التعويضات لعائلات الذين قتلوا، أو الذين أصيبوا. وتتعدد هذه الدعاوى بتعدد أصحابها: قال بعضهم بأنهم أصيبوا بمرض السرطان لأنهم شموا رائحة غبار الهجمات، وقال آخرون بأنهم أصيبوا بأمراض نفسية، ليس فقط لأنهم كانوا قريبين من مكان الهجمات وشاهدوها، ولكن، أيضاً، لأنهم شاهدوا مناظر الهجمات في التلفزيون.

في الأسبوع الماضي، أكدت وكالة فدرالية في نيويورك بعض هذه الدعاوى. وقالت وكالة أسوشيتد برس الأمريكية أن آلاف الأمريكيين أصيبوا بمرض السرطان بسبب الهجمات. وأن ٩٧٩٥ شخصاً أصيبوا بالسرطان بسبب الغبار السام الناجم عن وقود الطائرات التي ارتطمت بالمبنيين، وغبار الإسمنت، وشظايا الزجاج المتطاير. وقال مايكل كرين، رئيس البرنامج الفيدرالي في مستشفى ماونت سيناي في نيويورك، إن هناك زيادة ملحوظة في أعداد المصابين بمرض السرطان، منذ أن بدأ البرنامج عمله قبل ٥ سنوات، لمتابعة الحالات المصابة بأمراض مرتبطة بهجمات ١١ سبتمبر.

الشرق الأوسط المتهب، كيف سيكون بعد ٣ أشهر؟..

مركز stratfor الأمريكي : ٢٠١٨/٩/١١

ستواصل الولايات المتحدة ستراتييجيتها المتشددة تجاه إيران خلال الربع الأخير من العام الحالي، لكن هذا التضيق سيواجهه سياسة أكثر تشدداً من قبل طهران، لكن في نهاية المطاف سينجو الرئيس حسن روحاني. بينما يقول تقرير لمركز stratfor الأمريكي بخصوص مستقبل الشرق الأوسط، إن الحرب الأهلية السورية تدخل مرحلة جديدة، في الوقت الذي سيستمر الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في تشبثه بموقفه من الأزمة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

ويوضح تقرير للمركز الأمريكي لتوقعات الربع الرابع والأخير من سنة ٢٠١٨، حول مستقبل الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، أن المملكة العربية السعودية سوف تبطئ من إصلاحاتها، بينما ستضغط الولايات المتحدة من أجل تشكيل «ناتو عربي» لتحمل «العبء الأمني الإقليمي» لواشنطن.

إيران سوف تتألم، لكنها ستنجو

سوف تستمر الولايات المتحدة في ستراتييجيتها المتشددة لعقاب إيران، وهو مسارٌ مُصمَّم جزئياً بالطبع لزيادة الاضطراب الداخلي. سوف تنتشر المظاهرات ذات الدوافع الاقتصادية، لكن إيران، سوف تكون قادرة في الوقت الراهن على التعامل معها. سوف يُسرّع المحافظون في الحكومة الإيرانية من هجماتهم السياسية ضد الحلفاء المعتدلين للرئيس حسن روحاني، لكن حماية المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي سوف تضمن النجاة السياسية لروحاني.

ومن المرجح أن تنصاع الشركات الأجنبية المتعاملة مع الولايات المتحدة، باستثناء الشركات الموجودة في الصين وروسيا، للعقوبات الأمريكية وإيقاف صفقاتهم مع إيران بدلاً من الإبقاء على عقودهم الإيرانية. وحسب تقرير مركز stratfor الأمريكي، فإن خطط الاتحاد الأوروبي لتقديم أموال للشركات في الكتلة التي تخاطر بالتعرض للعقوبات الأمريكية للتعامل مع إيران، ستكون علامة دعم سياسي لن تساعد إيران كثيراً من الناحية الاقتصادية.

ومن المرجح أيضاً أن يؤدي هذا إلى احتمالية حدوث احتكاك بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي لو حاولت واشنطن فصل البنوك الإيرانية عن SWIFT، وهي الشبكة الأساسية للمعاملات المالية الدولية. ولانتقام وبناء نفوذ للمفاوضات المستقبلية، سوف تقوم إيران بتعتيم حدود السلوك المقبول ضمن حدود الاتفاق النووي، المعروف باسم خطة العمل المشتركة الشاملة، والانخراط في تطوير نووي محدود. وسوف تتمسك إيران أيضاً بنشاطها العسكري بالوكالة في الخارج: سوف تنخرط في هجمات سيبرانية، وتعرض لسفن الولايات المتحدة وحلفائها والبنية التحتية النفطية في الخليج العربي، وتظاهر بإغلاق مضيق هرمز لبناء بعض النفوذ ضد الولايات المتحدة، حتى في الوقت الذي تسعى فيه لتجنيب إشعال صراع أوسع قد يؤثر على مستقبل الشرق الأوسط. الحرب الأهلية السورية تدخل مرحلة جديدة

سوف تتحدى الحرب الأهلية السورية الروس بطرقٍ جديدة، لا سيما في آخر المعازل الكبرى للمعارضة. سوف تحاول روسيا الموازنة بين إيران وتركيا في إدلب، وسوف تتخذ تركيا موقفاً حازماً. وسوف تستمر إسرائيل في ضرب إيران داخل سوريا، حتى مع محاولة روسيا ضمان عدم تحوّل هذه النزاعات إلى حربٍ إقليمية كبرى. وأخيراً، فإنّ الولايات المتحدة لن تنسحب من سوريا، لكنّ حلفاءها في قوات سوريا الديمقراطية سوف يستعدون للمستقبل من خلال بناء روابط خفية مع دمشق.

وظهر تباين في تصريحات قادة تركيا وروسيا وإيران خلال قمة طهران الأخيرة. فقد شدّد روحاني وبوتين على ضرورة استعادة قوات النظام السوري السيطرة على محافظة إدلب، آخر معقل للجهاديين ومقاتلي المعارضة في سوريا، بينما حذر أردوغان من «حمام دم» ودعا إلى إعلان «وقف لإطلاق النار» في المحافظة الواقعة على حدوده. وقال بوتين «إن أولويتنا المشتركة وغير المشروطة هي في تصفية الإرهاب نهائياً في سوريا»، مضيفاً «هدفنا الأساسي في الوقت الحالي طرد المقاتلين من محافظة إدلب حيث يشكل وجودهم تهديداً مباشراً لأمن المواطنين السوريين وسكان المنطقة كلها».

الرؤساء أكدوا كذلك في بيانهم أنهم «تناولوا الوضع في منطقة خفض التصعيد بإدلب، وقرروا معالجته بما يتماشى مع روح التعاون التي ميزت شكل أستانا، مؤكدين على عزمهم مواصلة التعاون من أجل القضاء في نهاية المطاف على تنظيم داعش الإرهابي وجبهة النصرة وجميع الأفراد والجماعات والمشروعات والهيئات الأخرى المرتبطة بالقاعدة».

والرئيس التركي لن يتراجع

في مواجهة الضغوط المترتبة على العلاقة المتدهورة بين تركيا والولايات المتحدة، سوف يغامر الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بتضخيم الأزمة الاقتصادية لبلاده عوضاً عن تطبيق سياسات مالية ونقدية أكثر تقييداً. ومع أنّ الحكومة التركية سوف تعلن خططاً للتخفيض من النفقات الوطنية وإيقاف التضخم، فإنّ السيطرة القومية لأردوغان على الحكومة سوف تحد من قدرة المؤسسات الاقتصادية في البلاد على تفعيل التغييرات المطلوبة. ولتجنّب التعرّض للضغوط من قبل الاتحاد الأوروبي لإجراء تحوّلات سياسية كبيرة أو التعامل مع ظروف حقوق الإنسان، فسوف يبحث أردوغان عن المساعدة بشكلٍ أساسي من الحلفاء الأجانب الودودين مثل قطر والصين وروسيا، بدلاً من صندوق النقد الدولي. لكنّ مثل هذا الدعم، خصوصاً لو انخفضت الليرة مرة أخرى، من المرجّح أن يكون محدوداً.

وفي هذا الربع سوف يستخدم أردوغان القوي الأزمة الاقتصادية والاحتكاكات المتزايدة مع الولايات المتحدة لحشد الدعم القومي. لو اختار الدعوة إلى انتخاباتٍ بلدية مبكرة، فسوف تأتي أيّ إصلاحاتٍ أعمق لاحقاً.

بينما السعودية ستبطن من إصلاحاتها

سوف تبطن السعودية أحد الدول التي تؤثر في مستقبل الشرق الأوسط، من سرعة كل من الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية في الربع القادم، مدعومةً بزيادة في عائدات النفط سوف تستخدمها لصياغة ميزانية توسعية جديدة في شهر ديسمبر/كانون الأول. ولا يزال صندوق الاستثمارات العامة السعودي المصدر الرئيسي لأموال خطط التحديث في المملكة، لكن بدلاً من استخدام الاكتتاب العام لشركة أرامكو، الذي لا يزال مُعلقاً حتى الآن، لتوريد رأس المال اللازم لذلك، تسعى الحكومة السعودية إلى إيجاد وسائل أقل إثارة للجدل السياسي.

وقد يشمل هذا الأمر السماح لأرامكو بإصدار دين لشراء حصة صندوق الاستثمارات العامة في شركة SABIC للبتروكيماويات والبالغ نسبتها ٧٠٪، وهو ما سوف تكون قيمته تقريباً ٧٠ مليار دولار.

وأمریکا ستضغط أكثر من أجل < ناتو عربي >

على الرغم من جهود الولايات المتحدة لبناء تحالف استراتيجي مع حلفائها العرب وتحديد ملامح مستقبل الشرق الأوسط، فإن الحقيقة أن شركاء الولايات المتحدة الشرق أوسطيين منقسمون بين أنفسهم وليسوا قادرين ولا مهتمين بتحمل العبء الأمني الإقليمي لواشنطن. سوف يؤدي الاصطفاف الإسرائيلي السعودي الإماراتي مع الولايات المتحدة إلى التقدم في بعض الأماكن، مثل سوريا مع إسرائيل، وفي اليمن مع السعوديين والإماراتيين، وفي العراق مع السعوديين، حيث يمكن لأمريكا تنفيذ استراتيجيتها لإضعاف إيران من خلال حلفائها.

لكن أياً من هذه القوى لن تلتزم بهذا النوع من التحالف الرسمي الإقليمي الشامل الذي تريده الولايات المتحدة. وفي غضون ذلك، فإن اللاعبين المحايدون مثل الكويت وعمان سوف يجدون أنفسهم مضغوطين لمواءمة سياساتهم مع سياسات السعودية والإمارات.

إن قال مسؤولون أمريكيون وعرب، إن إدارة الرئيس دونالد ترمب، تمضي قدماً بشكل خفي في مساعي تشكيل تحالف أمني وسياسي جديد مع دول الخليج، ومصر، والأردن، بهدف التصدي للتوسع الإيراني في المنطقة، ويطلق عليه اسم «ناتو عربي»

وذكرت أربعة مصادر تحدثت لوكالة رويترز، أن البيت الأبيض يريد تعزيز التعاون مع تلك البلدان بخصوص الدفاع الصاروخي، والتدريب العسكري، ومكافحة الإرهاب، وقضايا أخرى، مثل دعم العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية الإقليمية.

والخطة التي ترمي إلى تشكيل ما وصفه مسؤولون في البيت الأبيض والشرق الأوسط بنسخة عربية من حلف شمال الأطلسي أو «ناتو عربي»، من شأنها على الأرجح أن تزيد التوتر بين الولايات المتحدة وإيران، والمحتمم بالفعل بشكل متزايد منذ أن تولى الرئيس دونالد ترمب السلطة.

وقالت عدة مصادر إن إدارة ترمب تأمل أن تتم مناقشة ذلك التحالف الذي أُطلق عليه مؤخراً اسم «تحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي» خلال قمة تقرر مبدئياً أن تعقد في واشنطن في ١٢ و١٣ أكتوبر/تشرين الأول المقبل، وأكد البيت الأبيض أنه يعمل على فكرة التحالف مع «شركائنا الإقليميين الآن ومنذ عدة أشهر».

عن مواجهة فاشية القرن الحادي والعشرين

*عمرو حمزاوي

القدس العربي: ٢٠١٨/٩/١١

لم يترك اليمين المتطرف مكانا في أوروبا إلا وطرقه وسجل به صعودا لافتا تارة من خلال صناديق الاقتراع وتارة ثانية عبر الحراك الاحتجاجي ضد قضايا الهجرة واللجوء.

في مواجهة اليمين المتطرف بامتداداته العنصرية يقف سياسيا من جهة اليسار التقليدي الممثل في الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية واليسار التقدمي الذي تجسده أحزاب الخضر وأحزاب يسارية شبابية حديثة التأسيس، ومن جهة أخرى اليمين المحافظ الذي تحمل رايته الأحزاب المسيحية الديمقراطية وتتداخل معها أحزاب ليبرالية صغيرة.

أما الحراك الاحتجاجي لليمين المتطرف فيقارعه فقط باحتجاجات سلمية ترفض العنصرية وخطابات الكراهية ضد الأجانب واللاجئين اليسار التقليدي والتقدمي، بينما تسجل أحزاب اليمين المحافظ والأحزاب الليبرالية غيابا واضحا عن الشارع.

وقد دلت الانتخابات البرلمانية التي أجريت في السويد قبل أيام على طرق اليمين المتطرف كافة بقاع القارة الأوروبية موظفا لقضايا الهجرة واللجوء ومستخدمًا لمفردات سياسية تشبه المفردات العنصرية والشعبوية للرئيس الأمريكي دونالد ترامب.

في السويد، وهي معقل تاريخي للاشتراكية الديمقراطية، حصد اليمين المتطرف (حزب ديمقراطيي السويد) ١٧,٦٪ من أصوات الناخبين المشاركين في الانتخابات البرلمانية مسجلا نتيجته الأفضل منذ استقرت في القرن العشرين الملكية الدستورية والحكم البرلماني ودولة الرفاهية الاجتماعية.

في المقابل، توزعت بالتساوي أصوات ٨٠ بالمئة من الناخبين بين تحالف اليسار التقليدي والتقدمي وتحالف اليمين المحافظ والليبراليين على نحو سيصعب كثيرا من تشكيل حكومة ائتلافية جديدة ما لم يقرر القائمون على أحزاب اليسار واليمين التعاون. وسبق انتخابات السويد تنافس على الحراك الاحتجاجي في الشارع حاول من خلاله اليمين المتطرف نشر مشاعر الخوف من المهاجرين واللاجئين والإفادة منها انتخابيا.

وقارع اليسار ذلك بحراك رافض للعنصرية وبتذكير الناخبين بقيمة الدفاع عن حقوق الإنسان والحريات والحفاظ على الطبيعة المتسامحة والمنفتحة على الآخر للمجتمع السويدي.

لم يعد صعود اليمين المتطرف قاصرا على الديمقراطيات حديثة العهد نسبيا في وسط وشرق أوروبا (المجر مثالا)، ولا على الديمقراطيات المأزومة اقتصاديا في جنوبها (إيطاليا مثالا).

ولم يعد يمكن اختزال صعود المتطرفين والعنصريين في إشكاليات ذات طبيعة خاصة في بلدان أوروبية كبيرة كصعوبات اندماج ذوي الهوية الإسلامية في فرنسا وتحديات دمج الولايات الشرقية في ألمانيا الموحدة ونشر ثقافة التسامح مع الأجانب واللاجئين في مدن الشرق.

فقد صار صعود اليمين المتطرف ظاهرة عامة ومرشحة للبقاء في الحياة السياسية الأوروبية لفترة ليست بالقصيرة (بمعزل عن أسماء الكيانات الحزبية التي تمثل اليمين المتطرف والتي قد تتبدل مستقبلا).

بنجاحات انتخابية متتالية وبنسب تصويتية تقترب من ٢٠ بالمئة في الانتخابات البرلمانية الأخيرة في ألمانيا وإيطاليا والسويد وغيرها وبنسب تصويتية أعلى في الانتخابات الرئاسية الفرنسية خلال السنوات الماضية وبإخراج لبريطانيا من الاتحاد الأوروبي في استفتاء شعبي، بات اليمين المتطرف بامتداداته العنصرية والشعبوية كتلة سياسية مؤثرة في أوروبا.

وأغلب الظن أن ما ستشهده البلدان الأوروبية من صراعات خلال السنوات القادمة سيكثف، انتخابيا واحتجاجيا، حول الموقف من اليمين المتطرف وقضايا الهجرة واللجوء التي يوظفها..

بينما سيتواصل تراجع الأهمية السياسية لقضايا كبرى كمستقبل نظم الرفاه الاجتماعي وتوزيع الثروة وحظوظ محدودي الدخل من خدمات التعليم والرعاية الصحية ورعاية كبار السن ودور الدولة ودور القطاع الخاص في كل ذلك.

وإذا ما استثنينا الضوضاء المحيطة بدونالد ترامب، لا تختلف الملامح العامة للمشهد السياسي الأمريكي عن ملامح المشهد الأوروبي.

فصعود اليمين المتطرف بشعارات عنصرية وشعبوية وبخطاب كراهية ضد الأجانب ومواقف رافضة للهجرة واللجوء يقابله تلاقي إرادة القوى اليسارية والمحافظة على مواجته.

وتتنامي حظوظ اليسار التقدمي والشبابي في تصدر ساحات مقارعة اليمين المتطرف (نتائج مرشحي اليسار التقدمي والشبابي، خاصة النساء، في انتخابات التجديد النصفي للكونغرس الأمريكي).

لذا، لا يجافي الصواب الدفع بتشابه موجه اليمين المتطرف الراهنة في أوروبا والولايات المتحدة مع موجه الفاشية التي اجتاحت الحواضر الغربية في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين ورتبت صراعات سياسية حادة وحروباً أهلية دامية وحرباً عالمية شهدت غير المسبوق من الفظائع.

ومثلما تصدر اليسار وتبعه اليمين المحافظ والليبراليين مواجهة الفاشية، من إسبانيا الجنرال فرانكو إلى ألمانيا الهتلرية، يعود اليسار بزي تقدمي وشبابي للاضطلاع بمهمة مواجهة اليمين المتطرف وحماية الديمقراطيات الغربية من الانزلاق إلى فاشية جديدة وقودها رفض الأجانب واللاجئين.

ومثلما يواجه اليسار التقليدي والتقدمي متبوعاً باليمين المحافظ والليبرالي أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا والولايات المتحدة، سيتعين عليه أيضاً فكراً وحركياً مواجهة الحكومات الشمولية والسلطوية في روسيا والصين وفنزويلا وممالك وجمهوريات بلاد العرب..

وهذا يقتضي توظيف مفردات خطابه الإنساني القائم على المساواة والتسامح ومستغلاً قربه من الفئات العمرية الشابة وثقافتها التي أضحت ذات طبيعة عالمية صريحة في رفضها للظلم والتمييز.

أما المحافظون والليبراليون في مواطن الشمولية والسلطوية، فلن يقدموا للييسار غير بعض المفردات الإضافية عن ضرورات الحفاظ على التقدم الاقتصادي وأهمية الدفاع عن حقوق الإنسان والحريات التي لن تغلح في مواجهة الاستبداد ما لم يتحرك الناس بداية لإيقاف الظلم والتمييز.

* د. عمرو حمزاوي، أستاذ علوم سياسية وباحث بجامعة ستانفورد الأمريكية.

الغرور الفكري والسقوط في بئر التطرف

*همسة سنوسي

صحيفة (العرب) اللندنية: ٢٠١٨/٩/١١

للأسف، فإن غالب -إن لم يكن كل- خلافتنا، ترجع إلى حالة الغرور الفكري بوهم حيازة الحقيقة المطلقة، لأننا قد نغفل عن الوجه الآخر، رغم إيماننا بضرورة التعددية الثقافية!

«الاستعراض» أو «العرض»، ولا أقصد به استعراض أزياء أو عرضاً سينمائياً أو ما أشبهه، بل أقصد به أولى المحاكمات الفكرية التي سجلها التاريخ للمنتسبين إلى الإسلام.

كانت الفئة التي خرجت على خليفة المسلمين الرابع علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- والتي نسميها «الخوارج»، تقوم بهذا العمل المسمى «العرض» أو «الاستعراض».

فكانوا في هذا العمل يأتون لمن يلقونه في طريقهم ويسألونه عن الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- ويستعرضون قوله على معتقدهم حول هذين الخليفتين، فإن وافق قوله معتقدهم جعلوه يكمل طريقه، وإن خالفه قتلوه دون تردد.

كانوا أول فرقة عملية تمارس تكفير من خالفها وتقتله، واليوم نجد أنه ليس الخوارج فقط من استمر يقوم بذلك، ولا متشددى الطوائف الإسلامية، بل حتى الأفراد العاديين في مجالسهم.

جرب أن تخالف أي شخص في أمر ما، وستجد النكير وسيل التهم ينصب عليك من كل اتجاه، ليس فقط في المخالفة للقناعة الدينية، بل حتى المخالفة في الرأي السياسي، بل وحتى الاجتماعي أو الثقافي والفكري.

بات كل شخص يقوم باستعراضك قبل أن يحدد قناعته حولك، ومصير علاقتك به، وهم مع هذا يدعون التعددية والانفتاح الفكري، فإن خالفته حكم بؤدك إما اجتماعياً أو فكرياً، أو ربما عملياً من الحياة، كما يفعل الدواعش.

أصيب كثيرون بما يمكن أن أسميه «الغرور الفكري»، بحيث لا يتحمل فكرة أن يكون هناك احتمال لصواب الرأي الآخر، أو سلوكه.

التعددية الفكرية تعني تقبل الفكر الآخر مهما خالف قناعتك -ما لم يكن داعياً إلى هدر دمك- تعني في الأساس التواضع للمعرفة العظيمة اللامحدودة في هذه الدنيا، فليس كل ما تتبناه صحيح مئة بالمئة، ولا كل ما يتبناه الآخر خاطئ مئة بالمئة.

دائماً للحقيقة أكثر من وجه، ومن ادعى أنه يعرفها كاملة من كل الوجوه، فقد كتب بيده شهادة جهله وسقوطه في بئر التطرف والانغلاق، ورحم الله الشافعي الذي قال «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب».

بل إن الأمر نفسه يحتمل الوجهين، ويستوجب عليك تواضعك للحقيقة قبول الوجهين، ورسول الله يقدم لنا أعظم مثال في نسبية الحقيقة، وتقبل جميع الفهوم حولها، في حادثة «صلاة العصر في بني قريظة» وهي حادثة مشهورة وثابتة عن النبي، إذ إنه أمر أصحابه بالتوجه إلى بني قريظة لقتالهم، حين خانوا عهده بمناصرتهم وأعانوا عدوه عليه، فقال لهم -لأصحابه- «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة»، فارتحل أصحابه من فورهم تجاه حصن بني قريظة، وأدركتهم صلاة العصر في الطريق، فصلاها بعضهم وهو في طريقه، وأخراها البعض الآخر فصلاها مع المغرب بعد وصوله إلى بني قريظة.

الفئة الأولى تأولت كلامه -عليه السلام- أنه أراد منهم السرعة في السير لا تأخير الصلاة، بينما الفئة الثانية فهمت الأمر وطبقته حرفياً، ولم يعتب رسول الله على واحد من الفئتين، رغم أنه كان بإمكانه أن يقول لهم «قصدت بكلامي كذا»، لكنه تقبل اختلاف فهمهم للأمر الواحد.

الأمر الواحد قد يحمل أكثر من وجه، وبعضنا يرى وجهاً دون آخر، فمن الجهل والظلم أن ننكر الوجه الآخر، لأنه لم يقنعنا أو لم ندركه ببصرنا أو بصيرتنا، فحتى عندما يكون وجه الكون لديك ليلاً، فضع احتمالاً أن الآخر الذي يحدثك ربما كان وجه الكون عنده في الوقت نفسه مشرقاً، لأنه على النصف الآخر من الكرة الأرضية! للأسف، فإن غالب -إن لم يكن كل- خلافتنا، ترجع إلى حالة «الغرور الفكري» بوهم حيازة الحقيقة المطلقة، لأننا قد نغفل عن الوجه الآخر، رغم إيماننا بضرورة «التعددية الثقافية!». ورحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي.

توقعات لسياسات الشرق الأوسط خلال الربع الأخير من عام ٢٠١٨

مركز "ستراتفور" الاستخباراتي الأمريكي؛ ٢٠١٨/٩/١٢

نشر مركز "ستراتفور" الاستخباراتي الأمريكي توقعاته للسياسات خلال الربع الأخير من عام ٢٠١٨، وخص المركز فصلا من توقعاته للشرق الأوسط، وفيما يلي هذه التوقعات.

إيران ستعاني لكنها لن تموت

ستواصل الولايات المتحدة استراتيجيتها المتشددة المتمثلة في معاقبة إيران، وهو مسار يهدف في جوهره إلى إثارة الاضطرابات الداخلية.

سوف تنتشر الاحتجاجات ذات الدوافع الاقتصادية، لكن النظام سوف يظل قادرا في المدى المنظور على إدارتها، وسوف يعمل المحافظون داخل الحكومة الإيرانية على شن هجماتهم السياسية ضد حلفاء الرئيس "حسن روحاني" المعتدلين، لكن دعم المرشد الأعلى سوف يضمن بقاء "روحاني" سياسيا.

ومن المرجح أن تمثل الشركات الأجنبية العاملة في إيران للعقوبات الأمريكية وتقلص معاملاتها مع إيران باستثناء الشركات الإيرانية والروسية.

وستكون خطط الاتحاد الأوروبي لتوفير المال للشركات التي قد تتعرض لعقوبات أمريكية بسبب التجارة مع إيران علامة على الدعم السياسي، لكنها لن تساعد إيران اقتصاديا.

وعلى الجانب الآخر فإنها ستخاطر بوقوع احتكاكات بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي إذا حاولت واشنطن فصل البنوك الإيرانية عن "سويفت" وهي الشبكة الرئيسية للمعاملات النقدية الدولية.

ومن أجل اكتساب نفوذ في أي مفاوضات مستقبلية، ستحرص طهران على الالتزام بالخطوط العريضة للاتفاق النووي الإيراني وفرص رقابة ذاتية على جهود التطوير النووي.

ولكنها في المقابل سوف تتشبث بالحروب الوكالة خارج حدودها كما سوف تزيد من وتيرة الهجمات الإلكترونية وعمليات التحرش بسفن الولايات المتحدة والدول الحليفة لها في الخليج، وسوف تلوح بين الحين والآخر بقدرتها على إغلاق مضيق هرمز لبناء بعض النفوذ ضد الولايات المتحدة، حتى في الوقت الذي تسعى فيه لتجنب إثارة صراع أكبر.

مرحلة جديدة في الحرب السورية

ستتحدى الحرب الأهلية السورية الروس بطرق جديدة خاصة في معقل المعارضة الأخير في إدلب. ستحاول روسيا تحقيق التوازن بين مصالح إيران وتركيا في إدلب، وسوف تحتفظ تركيا بمواقعها. وعلى جانب آخر، ستواصل (إسرائيل) ضرب إيران داخل سوريا، في الوقت الذي تحاول فيه روسيا التأكد من أن هذه الصراعات لن تتحول إلى حرب إقليمية كبرى.

وأخيرا فإن الولايات المتحدة لن تنسحب من سوريا، ولكن حلفاءها في قوات سوريا الديمقراطية سوف يستعدون للمستقبل الأسوأ ببناء علاقات مع النظام في دمشق.

"أردوغان" لن يتراجع

بسبب الضغوط التي تتعرض لها علاقات بلاده المتدهورة مع الولايات المتحدة، فإن الرئيس التركي "رجب طيب أردوغان" يخاطر بتضخيم الأزمة الاقتصادية في تركيا بدلا من تطبيق سياسات مالية ونقدية أكثر تقييدا.

ورغم ذلك فإن الحكومة التركية ستضطر للإعلان عن خطط لخفض الإنفاق الوطني ووقف التضخم، لكن سيطرة "أردوغان" على الحكومة ستحد من قدرة المؤسسات الاقتصادية التركية على إحداث بعض التغييرات المرغوبة.

ولتجنب التعرض لضغوط من الاتحاد الأوروبي لإجراء تغييرات جوهرية في السياسات سوف يبحث "أردوغان" عن المساعدة في المقام الأول من حلفاء أجنبى ودودين مثل قطر والصين وروسيا وليس صندوق النقد الدولي.

لكن هذا الدعم، خاصة إذا انخفضت الليرة مرة أخرى، من المرجح أن يكون محدوداً. وفي هذا الربع، سيستخدم "أردوغان" القوي الأزمة الاقتصادية وتزايد الاحتكاكات مع الولايات المتحدة لحشد الدعم القومي، وإذا اختار أن يدعو إلى انتخابات بلدية مبكرة، فإن أي إصلاحات أعمق ستأتي بعد ذلك.

السعودية تبطئ إصلاحاتها

ومن المنتظر أن تبطئ المملكة العربية السعودية وتيرة الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية في الربع القادم، مدعومة بزيادة في عائدات النفط من المرجح أن يتم استخدامها لصياغة ميزانية توسعية في ديسمبر/كانون الأول. ويظل صندوق الاستثمار العام في الرياض المصدر الرئيسي لأموال خطط التحديث في المملكة، ولكن بدلاً من استخدام الاكتتاب الأولي العام لشركة "أرامكو" لتوليد المال، تسعى الحكومة السعودية إلى إيجاد وسائل أقل إثارة للجدل السياسي، وقد يشمل ذلك السماح لـ "أرامكو" بإصدار سندات دين لشراء حصة تبلغ ٧٠٪ في شركة "سابك" للبتروكيماويات بقيمة تقدر بحوالي ٧٠ مليار دولار.

واشنطن تسعى لـ "ناتو عربي"

على الرغم من الجهود الأمريكية لبناء تحالف استراتيجي مع حلفائها العرب، فإن الحقيقة هي أن شركاء الولايات المتحدة في الشرق الأوسط منقسمون فيما بينهم وليسوا قادرين ولا مهتمين بتحمل عبء أمن واشنطن الإقليمي.

وسوف يتقدم التحالف بين واشنطن وبين (إسرائيل) والسعودية والإمارات في أماكن معينة كما هو الحال في سوريا مع (إسرائيل)، وفي اليمن مع السعودية والإمارات، وفي العراق مع السعوديين، حيث تسعى أمريكا تنفيذ استراتيجيتها لإضعاف إيران من خلال حلفائها.

لكن أياً من هذه القوى لن يلتزم بنوع من التحالف الرسمي الذي يشمل المنطقة والذي تريده الولايات المتحدة.

وفي الوقت نفسه، ستجد الجهات الفاعلة المحايدة مثل الكويت وعمان نفسها مضطرة لمواءمة سياساتها مع سياسات المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة.

برميل بارود الشرق الأوسط يسخن مرة أخرى

*فرد كابلان

(سليت) ٢٠١٨/٩/١٢

ترجمة: علاء الدين أبو زينة: بعد مرور أشهر من العنف المتفرق والتوترات المتصاعدة، يبدو الشرق الأوسط على أعتاب انفجار آخر، وما من قوى خارجية لديها اهتمام -أو قدرة على إخماد أسنة اللهب.

يشعر الدخان في التصاعد من ثلاث بقع ساخنة معروفة:

أولاً، هناك محافظة إدلب في شمال سورية وعلى الحدود التركية، التي تؤوي ثلاثة ملايين مدني -نصفهم لاجئون شردهم الحرب من أجزاء أخرى من البلد- ونحو ٧٠,٠٠٠ من المتمردين المناهضين للنظام -الكثيرون منهم جهاديون. وقد تعهد الرئيس السوري بشار الأسد بالقضاء على كل القوى المناهضة للنظام باستخدام الحملات الجوية والبرية، والتي ستقتل بشكل حتمي آلاف المدنيين، وهي حقيقة لم تكن قد أقلقت في هجمات سابقة. ويقول حلفاؤه، الروس والإيرانيون، إنهم سيساعدون، وقد بدأ القصف فعلاً.

في الأثناء، نصبت تركيا أبراج مراقبة في داخل إدلب وحذرت الأسد من محاولة التوغل، وقالت إن العبور إلى إدلب سوف يكون "خطأً أحمر" -ولو أن من غير الواضح ما يعنيه ذلك بعد. وفي الوقت نفسه، أغلق الأتراك حدودهم أمام اللاجئين أو الجهاديين الذين يسعون إلى الهرب من الفوضى العنيفة الوشيكة.

تصف ديبورا آموس، الصحفية المخضمة في شؤون الشرق الأوسط، الصدام القادم بأنه "المعركة الأخيرة والأسوأ في الحرب". وكتبت في رسالة بالبريد الإلكتروني: "تشكل إدلب الملاذ الأخير للمدنيين الذين أجبروا على الخروج من حلب ودوما والغوطة"، وإذا تحققت خطط الأسد، فإنها ستكون على الأرجح موقعاً لـ "أزمة إنسانية كارثية".

قبل أيام، غرد الرئيس ترامب:

"لا يجب على الرئيس بشار الأسد في سورية مهاجمة محافظة إدلب بتهور. سوف يرتكب الروس والإيرانيون خطأً إنسانياً خطيراً بالمشاركة في هذه المأساة الإنسانية المحتملة. يمكن أن يُقتل مئات الآلاف من الناس. لا تدعوا هذا يحدث!".

وكان ذلك خطأً غريباً حقاً. يقترح القول للأسد بأنه لا يجب أن يهاجم إدلب "بتهور" أنه ربما لا بأس في أن يهاجم المحافظة بتعقل. والخاتمة: ("لا تدعوا هذا يحدث!") هي صرخة متفرج على الخطوط الجانبية، كما لو أنها ليست للولايات المتحدة أي علاقة بما سيحدث، ولا أي نفوذ سياسي أو عسكري يمكن أن يغير مسار الأحداث.

في واقع الأمر، ليس لدينا نحن الأمريكيين تأثير كبير حقاً ولم يكن لدينا الكثير من التأثير سابقاً، حتى عندما طافت قطاعات كاملة من القوات المسلحة الأمريكية أنحاء الشرق الأوسط، واحتشد القادة العسكريون والدبلوماسيون المخضرمون لتهئية وردع أو نزع فتيل أعمال العدوان. وكانت جهود إدارة ترامب الأخيرة ثانوية في أحسن الأحوال. ويقول جوشوا لاندیس، أستاذ دراسات الشرق الأوسط في جامعة أوكلاهوما وأحد المتخصصين البارزين في الشأن السوري، في رسالة بالبريد الإلكتروني: "لقد أصدرت الولايات المتحدة تصريحات مماثلة قبل هجوم درعا -آخر محافظة سقطت قبل بضعة أشهر- لكنها لم تفعل شيئاً عندما اندفعت القوات السورية والروسية إليها".

في انفجارات العنف السابقة في المنطقة، حاولت القوى الخارجية -سواء كانت الولايات المتحدة أو روسيا أو الأمم المتحدة أو جامعة الدول العربية أو مزيج ما من الجهات الفاعلة- التدخل لإخماد العنف في بعض الأحيان. والآن، أصبح لدى هذه القوى نفوذ محدود أو دوافع مختلطة. وقد تكون تركيا موضوعاً واضحاً للضغط الدبلوماسي، إما لفتح حدودها أو الاستعداد لصد الهجوم السوري الروسي. لكن علاقاتها مع حلفاء الناتو متوترة، وشهيتها لاستقبال اللاجئين تساوي صفراً، وهي تعتبر روسيا حليفاً جديداً متبرعاً. وقد يتبين أن هذه العلاقة الجديدة منتجة في التوصل إلى تسوية سلمية، لكن مصالح البلدين تبقى متناقضة في هذا الصراع، كما كتب لاندیس: فروسيا تريد أن يفوز الأسد، وقد تضعه معركة إدلب على القمة. ولا تنطوي تركيا على حب للجهاديين، لكنها تريد قبل كل شيء أن تمنع مئات الآلاف من السوريين -مهما تكن انتماءاتهم أو انعدام ولائهم- من التدفق عبر حدودها.

أما إذا كان سيتم حل هذه المعضلات أم لا، فإن التكهّنات تبدو قاتمة.

الموضع الثاني للنزاع الذي يلوح في الأفق هو العراق -أو على نحو أدق، نفوذ إيران المتنامي في العراق وتوسعها فيه. وقد ذكرت وكالة رويترز للأخبار مؤخراً، أن إيران تقوم بإرسال الصواريخ الباليستية إلى الميليشيات الشيعية المتحالفة معها في العراق. وتتمتع هذه الصواريخ بالمدى اللازم لضرب إسرائيل، والمملكة العربية السعودية، والقوات الأمريكية في المنطقة.

يمكن أن يكون الدافع هنا هو بالتحديد منع هذه الدول المذكورة من مهاجمة إيران. (إذا ضربت إيران، فإن إيران ستضربها). لكن ذلك لا يجعل الوضع أقل شحناً بالخطر. وتبقى سجلات التاريخ ملطخة بالدماء بسبب الدول التي كانت تلوح بأسلحة هجومية لأغراض دفاعية، ثم تعرضت للضرب أو تم جرهما بطريقة أو بأخرى إلى الحرب لأن بعض الدول المعارضة تُفسر الوضع بشكل مختلف.

لكن هناك شيئاً غريباً في هذه القصة: فحتى وقت متأخر في الأيام الماضية، كانت وكالة رويترز هي الوحيدة التي تبلغ عن وجود الصواريخ. وفي المقابل، يصر المتحدثون باسم الحكومة العراقية على أن هذه القصة "من دون أدلة"، لكنهم يحجمون عن شجبها صراحة. ولم يقل الإيرانيون من جانبهم شيئاً. ولكن، سواء كانت القصة صحيحة أم لا، فإنهم ربما يريدون أن يصدقها العالم على ذلك يمنحهم رادعاً مجانياً. (يجب أن يكونوا حذرين، مع ذلك: في ٢٠٠٢-٢٠٠٣، ساعد صدام حسين على نشر الأسطورة عن امتلاكه أسلحة دمار شامل، معتقداً أن ذلك سيردع الأمريكيين عن الغزو، لكن الخطة أتت بنتائج عكسية، على أقل تقدير).

يقودنا هذا إلى مرجل النزاع الثالث في المنطقة: ليس من باب الإفراط التساؤل عما إذا كانت القصة صحيحة أم لا. وإذا تبين أن هذا هو واقع الحال، التكهّن بأن الإسرائيليين زرعوها من أجل تقديم ذريعة لمهاجمة مواقع إيران العسكرية في العراق - التي يوجد منها الكثير، بغض النظر عما إذا كانت تحتوي على صواريخ باليستية أم لا.

أفادت وكالات أنباء عدة في الأيام الأخيرة بأن إسرائيل تستعد لشن هجمات من هذه القبيل. ولطالما كانت إسرائيل تشعر بالقلق من ظهور "هلال شيعي"، وهو عبارة عن كتلة أرضية تمتد من إيران عبر العراق إلى سورية، وربما أبعد من ذلك. وقد يعمل وجود الصواريخ الباليستية في العراق - بمدى ضرب إسرائيل والسعودية - على إنكاء تلك المخاوف. بهذا المعنى، لا يهم ما إذا كانت القصة عن وجود الصواريخ الإيرانية في العراق صحيحة أم لا: إذا كانت صحيحة، فإنها قد تدفع إلى ضربة استباقية توجهها إسرائيل. وإذا لم تكن صحيحة، فإنها قد تساعد في إضفاء الشرعية على ضربة وقائية توجهها إسرائيل، تحسباً لمثل هذه الضربات.

السؤال هو ما إذا كانت إسرائيل، في ضوء الوجود الأمريكي في العراق، يمكن أن تذهب إلى هذا الحد من دون إذن من واشنطن. ووفقاً لشبكة (CAN) الإذاعية العامة الإسرائيلية، فإن المسؤولين الأمريكيين غمروا تل أبيب بضوء تحذيري أحمر كبير، وقالوا لمسؤولي الدفاع الإسرائيليين: "اتركوا أمر العراق لنا".

ليس من الواضح من هذا التقرير ما إذا كانت إشارة التوقف التحذيرية الكبيرة هذه قد جاءت من وزارة الدفاع الأمريكية، أم من وزارة الخارجية، أم البيت الأبيض - أو ما إذا كان رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو سيتمكن من إقناع صديقه، ترامب، بتغيير الضوء إلى الأخضر.

الكيفية التي قد يتعامل بها ترامب مع مجموعة الصراعات المتجددة التي قد تندلع في المنطقة هي مسألة أخرى تماماً. فحتى الآن، لا توجد لدى إدارته أي سياسة تتجاوز الملاحظات الغامضة، وليست لديها أي استراتيجية - حتى بالتعريفات الفضفاضة لهذه الكلمة - ولا تكتيكات دبلوماسية في جعبتها. وإذا كانت الأزمات الماضية لتشكل سابقة، فمن غير المرجح أن يعقد مجلس الأمن القومي اجتماعاً على مستوى الوزراء لمناقشة القضايا المطروحة.

في الآونة الأخيرة، ظهرت في صحيفة "الواشنطن بوست" مقتطفات من كتاب بوب وودوارد الجديد، "الخوف: ترامب في البيت الأبيض". والاكتشافات التي يعرضها الكتاب آسرة، على الرغم من أنها لم تكن مفاجئة كثيراً: أخبر وزير الدفاع جيم ماتيس أحد أصدقائه أن فهم ترامب هو من مستوى "الصف الخامس الابتدائي أو السادس". ووصفه رئيس هيئة الأركان في البيت الأبيض جون كيلي بأنه "مشوش" و"أحمق". وقد أبعد بعض المساعدين أوراق سياسية خطيرة من على مكتبه لمنعه من التوقيع عليها. وكانت العديد من هذه الملاحظات مدفوعة بمسائل بسيطة فعلها إلى حد ما. لكن الشرق الأوسط هو نقيض البساطة. ففيه، يكاد يكون تحقيق السلام مستحيلاً (في حين اعتقد ترامب أنه سيكون سهلاً للغاية، وسلم الملف لجاريد كوشنر).

في معظم الحالات، سيكون أفضل ما تستطيع الولايات المتحدة - أو أي قوة خارجية - فعله هو النفخ على بعض أعواد الثقاب التي تشتعل في المشهد وإطفائها. ويواجه، حتى الأشخاص الأنكياء حقاً والذين يعرفون ما يفعلون، صعوبة بالغة في فهم ما يجري. ولذلك، ينبغي إبقاء معتوه أبله بعقلية تلميذ في الصف السادس بعيداً. دعوه يلعب الغولف بقدر ما يريد.

أضخم مناورات روسية منذ عقود تحاكي حرباً بين جيشين

روسيا اليوم: ٢٠١٨/٩/١٢

بدأت روسيا الثلاثاء أضخم مناورات عسكرية في تاريخها الحديث، تحاكي حرباً بين جيشين، بمشاركة ٣٠٠ ألف عسكري، إضافة إلى وحدات قتالية من الصين ومنغوليا.

وفي محاولة تهدئة مخاوف غربية، أبلغ رئيس الأركان الروسي فاليري غيراسيموف الملحقين العسكريين الأجانب المعتمدين في موسكو، أن للتدريبات طابعاً دفاعياً. لكن الحلف الأطلسي اعتبرها تدريباً على «نزاع واسع»، ويعتزم مراقبتها عن كثب، إضافة إلى الولايات المتحدة التي تحتفظ بوجود عسكري قوي في منطقة آسيا – المحيط الهادئ. ويسعى الغرب إلى الخروج بخلاصات عن التعاون العسكري بين موسكو وبكين، وتعزيز ترسانتيهما العسكريتين، علماً أن المناورات تتزامن مع توتر في العلاقات بين الغرب وروسيا، اعتبر الأسوأ منذ نهاية الباردة، لخلاف في شأن ملفات ساخنة، بينها أزمة أوكرانيا والحرب السورية، إضافة إلى تسميم العميل الروسي المزدوج السابق سيرغي سكريبال وابنته، في بريطانيا في آذار (مارس) الماضي. كما تتهم واشنطن موسكو بالتدخل في انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ٢٠١٦.

ويُرجَّح أن يتابع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين المناورات هذا الأسبوع، مع وزير الدفاع سيرغي شويغو الذي يشرف عليها. وتزامن بدء التدريبات مع لقاء بوتين الرئيس الصيني شي جينбинغ، على هامش المنتدى الاقتصادي في فلاديفوستوك في أقصى شرق روسيا. وقال بوتين: «لدينا علاقات ثقة (مع الصين) في ما يتعلق بالسياسة والأمن والمجال العسكري».

ويشارك في المناورات، الأضخم منذ العام ١٩٨١ والتي أُطلقَ عليها «فوستوك (الشرق) ٢٠١٨» وتستمر حتى ١٧ الشهر الجاري، حوالي ٣٠٠ ألف عسكري من كل مكونات الجيش الروسي، بينها كل الوحدات المحمولة جواً، إضافة إلى أساطيل وألف مقاتلة، وثلاثة آلاف جندي وثلاثين مقاتلة أو مروحية للجيش الصيني.

وأعلنت وزارة الدفاع الروسية، في بيان أرفق بتسجيل مصوّر لآليات مصفحة ومروحيات ومقاتلات، أن التدريبات خُصِصَت أمس لنشر القوات، فيما ستشهد اليوم تنفيذ مناورات لمواجهة جوية، مشيرة إلى أن «الحدث الرئيس سينفذ الخميس».

وأوضحت أن الهدف الرئيس من المناورات هو التحقق من استعداد أجهزة الإدارة العسكرية، عند التخطيط والتنفيذ، لإعادة تجميع القوات لمسافات طويلة، وتنظيم التفاعل بين الفرق البرية والقوات البحرية، إضافة إلى تدريب القادة والمقار القيادية على تحسين مهاراتهم في إدارة القوات.

وستنفّذ المناورات على مرحلتين، على مساحات واسعة في أقصى شرق روسيا والأورال وسيبيريا، بمشاركة نحو ٨٠ سفينة وقطعة بحرية من أسطولَي الشمال والمحيط الهادئ.

وتحاكي المناورات حرباً بين جيشين، الأول تمثله الوحدات العسكرية في الدائرة العسكرية الوسطى مع أسطول بحر الشمال، والثاني تمثله وحدات الدائرة العسكرية الشرقية وأسطول المحيط الهادئ. وستمتد ساحة المعركة على ملايين الكيلومترات المربعة من الأرض، مقسّمة على تسع ساحات للمناورات وآلاف الكيلومترات من الشواطئ.

١١ سبتمبر وإمارة الإرهاب

*د. محمد البشاري

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية : ٢٠١٨/٩/١٢

في كل مرة تحل فيها ذكرى أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، تنطلق التحليلات الإعلامية بإثارة واسعة عن شخصية منفذيها ومخططيها، وعلى رأسها أسامة بن لادن، زعيم تنظيم «القاعدة» الإرهابي السابق ويده اليمنى أيمن الظواهري، لكن يظل اسم خالد شيخ محمد يأخذ الحيز الأهم من المساحات والتقارير الصحفية على أنه العقل المدبر للهجمات الإرهابية الأكثر دموية في التاريخ الأمريكي. خالد شيخ محمد كويتي من أصل باكستاني ولد في ١ مارس ١٩٦٤ تربى في مدرسة «الإخوان» الإرهابية لينتقل بفكرها إلى مرحلة القيام بأعمال إجرامية، حيث اعترف خالد شيخ محمد بالتخطيط لـ ٢٩ عملية إرهابية أخرى، بما في ذلك شن هجمات على مبنى ساعة «بيج بن» ومطار هيثرو في لندن. ومن بين تلك الهجمات، التي قال محمد إنه مسؤول عن التخطيط لها، محاولة تفجير طائرة ركاب فوق المحيط الأطلسي، باستخدام متفجرات مخبأة في أحذية، وتفجير ملهى ليلي في جزيرة «بالي» بإندونيسيا، بالإضافة إلى هجوم آخر على مركز التجارة العالمي عام ١٩٩٣.

عن علاقة الإرهابي خالد شيخ محمد بالنظام القطري يشير ريتشارد كلارك، منسق الأمن ومكافحة الإرهاب في إدارتي كلينتون وبوش، في مقال بصحيفة «نيويورك دايلي نيوز»، إن الأغلبية يربطون اسم أسامة بن لادن بأحداث سبتمبر، لكن الأساس في هذه الهجمات خالد شيخ محمد، الذي كان على صلة مباشرة بتفجير مركز التجارة العالمي في ١٩٩٣، وكانت المؤسسة الأمنية والقيادة السياسية في واشنطن تعتبر أنه أخطر إرهابي هارب في التسعينيات، وبعدها اكتشفت الإدارة الأمريكية أن خالد شيخ محمد كان يعمل في قطر تحت غطاء رسمي. فبالرغم من طلب إدارة الرئيس الأسبق بيل كلينتون سنة ١٩٩٦ لأمير قطر - وقتها حمد بن خليفة آل ثاني - تسليم خالد شيخ إلى السلطات الأمريكية المختصة في ملاحقة الإرهابيين، والتي أوفدت فريق اعتقال من نقله للولايات المتحدة الأمريكية، «تمكن» فجأة من الهروب من الدوحة.

إذ أشارت صحيفة «نيويورك تايمز» إلى رسالة وجهها مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي «أف. بي. آي» في حينه «لويس فري» إلى وزارة الخارجية القطرية وجاء فيها: «تلقيت معلومات مزعجة تفيد أن خالد نجا من مراقبة سلطاتكم الأمنية وأنه على علم باهتمام FBI به. إن الفشل في اعتقاله سيساعده ومعاونه على مواصلة تنفيذ عمليات إرهابية».

صحيفة «ذا هيل» الأمريكية هي الأخرى قد رصدت الدور الذي لعبته قطر في إيواء خالد شيخ محمد، العقل المدبر للهجمات ١١ سبتمبر الإرهابية في عام ٢٠٠١، وأوضحت الصحيفة في مقال نشرته في أغسطس ٢٠١٧، أن «شيخ محمد» استخدم قطر مركزاً لإطلاق الإرهاب بدعم مباشر من أميرها حمد بن خليفة، مشيراً إلى أنه عمل في الدوحة وعاش فيها، ومنها خطط ونفذ أفعاله الإرهابية.

وفي جلسة عقدتها لجنة الشرق الأوسط في مجلس الشيوخ الأمريكي عن العلاقات بين قطر وواشنطن، كشفت رئيسة اللجنة، «إيليانا روز ليتنين»، عن تورط قطر في دعم الإرهاب، مؤكدة أن هناك مسؤولاً قطرياً رفيع المستوى قدم دعماً للإرهابي خالد شيخ محمد. المسؤول القطري رفيع المستوى هو الشيخ عبدالله بن خالد آل ثاني الذي

شارك ابن عمه الشيخ حمد بن خليفة في إنجاح الانقلاب على الوالد الأمير، حيث جعل من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية فرصة تمويل أنشطة التنظيم الدولي لـ«الإخوان»، وقادة في فروع تنظيم «القاعدة»، كما مكن لتنظيم السروريين بالاستيلاء على هياكل الوزارة وإدارة مسجد محمد بن عبد الوهاب بالدوحة. وبعد الانقلاب تولى الشيخ عبدالله وزارة الداخلية إلى عام ٢٠١٣. وبعد أن تنازل الأمير الأب لولده تميم تم إعفاؤه.

وصنفت الدول الداعمة لمكافحة الإرهاب الشيخ عبدالله بن خالد آل ثاني ضمن قائمة المحظورين لديها، إذ يستضيف في مزرعته في الدوحة أكثر من مئة إرهابي مجرم على مرأى من السلطات القطرية من بينهم مقاتلون في أفغانستان من «طالبان» وعرب، وقام بمدعمهم بجوازات سفر لتسهيل تنقلاتهم عبر الدول باستخدام ماله الخاص وأموال الدولة لتمويل أنشطتهم الإرهابية.

لقد استطاع خالد شيخ محمد وغيره، بدعم مباشر من الشيخ عبد الله بن خالد آل ثاني، أن يجعل من قطر حلقة وصل بين مقاتلي «القاعدة»، فقد سافر عضو «القاعدة» إلى الفلبين عام ١٩٩٤ للعمل على مؤامرة بوجينكا، التي كانت تهدف لتدمير ١٢ طائرة تجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وشرق آسيا وجنوب شرق آسيا.

ويذكر عدة محاولات للاستخبارات الأمريكية لاعتقال شيخ محمد ونقله من قطر قبل فراره منها، لكنها باءت كلها بالفشل لتنتقله المستمر بعدة جوازات سفر غير مراقبة. من ناحية أخرى، ذكرت مجلة «يو أس نيوز آند ريبورت» أن اعتقال شيخ محمد جاء نتيجة التنصت الذي كان يمارس على أكثر من عشرة هواتف نقالة كان يستعملها.

السؤال المطروح: طالما أن قطر الرسمية، ممثلة في وزير داخليتها، متورطة في رعايتها للإرهاب، ولدى الإدارة الأمريكية كل تلك المعلومات والوثائق القطعية، فلماذا لا تحاسب قطر، وتوضع في قفص الاتهام؟

ولماذا الإصرار على ابتزاز المملكة العربية السعودية بالرغم أن القضاء الأمريكي برأها في فبراير ٢٠١٦ من أي علاقة بأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١؟ كما قضى بتغريم إيران ١٠,٧ مليار دولار، لتصرف كتعويضات لصالح أسر ضحايا الهجمات، بعد ثبوت تورطها في الأمر. وأصدر الحكم، القاضي جورج دانيلز، بعد انتهائه من نظر دعوى رفعها مدعون أمريكيان، في وقت سابق، قدموا خلالها أدلة حول «مساعدة طهران للإرهابيين الذين نفذوا الهجمات»، بحسب وكالة الأنباء الإيرانية «تسنيم».

وأوضح المصدر أن القاضي، حكم بوجود مسؤولية إيران عن الهجمات المذكورة، وقضى بتغريمها ٧,٥ مليارات دولار، تصرف لعائلات الضحايا، و٣ أخرى لصالح شركات التأمين التي تضررت أيضاً.

هنا يجب ملاحظة أن اكتمال هذه القضية، كان في عهد الرئيس السابق باراك أوباما، ومعروف عن هذا الرئيس أن لديه أجندة تمكين الإسلام السياسي في المنطقة العربية بدعمهم لهم بتونس ومصر وليبيا وسوريا، واستطاع أن يحقق جزءاً من مشروعه مدعوماً بإعلام الجزيرة وفتاوى القرضاوي والمال القطري. وعندما انتهت فترة حكم أوباما وتولى الرئيس دونالد ترامب السلطة، كان من أوائل الإجراءات التي تبناها كهدف استراتيجي لسياسته، الحرب على الإرهاب، وتوجيه الاتهام إلى قطر كراعية أولى، وممولة، وداعمة للإرهاب. فهل يستطيع الرئيس ترامب ملاحقة قطر كراعية للإرهاب وتحميل جماعة «الإخوان» مسؤولية الوعاء الفكري والأيدولوجي للإرهابيين بمختلف مسمياتهم، أم سيحجب المال والنفط وتجارة الأسلحة الأقدام على ذلك؟

مستقبل الإرهاب

*بيتر بيرغن

مؤسسة <أمريكا الجديدة> ٢٠١٨/٩/١٢

بينما تقرأ هذا المقال، يحتفل تنظيم «القاعدة» بعيد ميلاده الـ ٣٠. وتبعاً لسجلات الاجتماع التأسيسي للتنظيم التي عثر عليها في البوسنة عام ٢٠٠٢، التقى أسامة بن لادن وسبعة رجال آخرين في بيشاور بباكستان، على مدار عدة أيام في أغسطس (آب) ١٩٨٨، لمناقشة تأسيس «القاعدة».

وكان جميع الرجال الذين اجتمعوا لمناقشة تأسيس «القاعدة» قد شاركوا في الجهاد ضد السوفييات في أفغانستان. ومع انحسار الحرب ظهرت بداخلهم الرغبة في نقل الحرب المقدسة إلى ساحات أخرى.

واتسم البيان التأسيسي الذي أصدره فيما يتعلق بـ «القاعدة» بالغموض والفخامة. وأشار البيان إلى أن التنظيم سيكون «فصيلاً إسلامياً منظماً، هدفه إعلاء كلمة الله ونصرة دينه».

وأشارت الوثائق التأسيسية للتنظيم الإرهابي، إلى أن «عمل (القاعدة) بدأ في ١٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨ بمجموعة تتكون من ١٥ أخاً».

وبعد مرور ثلاثة عقود، لا تزال «القاعدة» مستمرة في إرهابها. ومع أن التنظيم لا يبدو أنه قادر اليوم على تنفيذ هجمات ضخمة ضد الولايات المتحدة على غرار هجمات ١١ سبتمبر، فإن «القاعدة» والجماعات الموالية لها لا يزال لها وجود داخل أفغانستان وشمال أفريقيا وباكستان وسوريا واليمن.

وتعتبر العقود الثلاثة فترة طويلة بالنسبة لبقاء جماعة إرهابية على قيد الحياة خاصة جماعة تتعرض لهجمات مستمرة وقاسية من جانب الولايات المتحدة وحلفائها.

ومع هذا نجحت «القاعدة» في البقاء، ويبدو أنها تعد حمزة بن لادن، أحد أبناء أسامة، ليكون الزعيم القادم للجماعة. جدير بالذكر أن حمزة (وهو في أواخر العشرينات من عمره) ظهر خلال العامين الماضيين في عدد من الفيديوهات الدعائية لـ «القاعدة».

من ناحيته، يضيف حمزة بن لادن وجهاً أكثر شباباً على «القاعدة»، عن زعيمها الحالي المصري الدكتور أيمن الظواهري، وهو في أواخر الستينات من عمره.

بعد الغزو الأمريكي للعراق، خرج تنظيم «القاعدة في العراق» من رحم التنظيم الأصلي، وبعد عقد تحول إلى تنظيم داعش.

وفي ذروة قوته، سيطر «داعش» على أراضٍ في حجم المملكة المتحدة، وعدد سكان يكافئون سكان سويسرا. إلا أن هذا كله تقريباً تلاشى الآن. واليوم لم تعد رايات «داعش» السوداء ترفرف فوق أي مدينة عراقية. وداخل سوريا يسيطر «داعش» على مساحات صغيرة من الأراضي. وتعتبر خسارة الأراضي التي كان يسيطر عليها في وقت مضى، صفة قوية لـ «داعش»، الذي ادعى أنه أقام دولة خلافة حقيقية على الأرض. وفي ذروة قوته اجتذب «داعش» إليه ١٥٠٠ مقاتل أجنبي، سافروا للانضمام إلى صفوفه كل شهر من

مختلف جنبات العالم، وجاء الآلاف منهم من الغرب. أما اليوم، فيقترب تدفق المقاتلين الأجانب على «داعش» من صفر» لأنه لا أحد يرغب في الانضمام إلى فريق خاسر.

بالتأكيد لا يزال بمقدور «داعش» إلهام هجمات في شتى أنحاء العالم، مثلما فعل في أكتوبر (تشرين الأول)، عندما اقتحم سيف الله ساييوف بسيارته حشداً من الناس في أحد الشوارع المزدهمة في حي مانهاتن، وتسبب في مقتل ثمانية أشخاص. إلا أن هذا الهجوم لا يقارن بالهجمات الضخمة التي دبرها ووجه إليها «داعش» في باريس، في منتصف نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠١٥، عندما قتل ١٣٠ شخصاً.

اليوم تحول «داعش» إلى مجرد صورة باهتة لما كان عليه ذات يوم. ومع ذلك فإنه يشكل عرضاً لمشكلات أعمق داخل الشرق الأوسط وأوروبا، وهي مشكلات لم تختف، ومن المحتمل أن تمهد الساحة أمام ظهور وليد جديد على غرار «داعش» في المستقبل.

وتتضمن هذه المشكلات العميقة، حروب المنطقة التي تسببت في تفاقم التوترات بين الدول الخليجية وإيران. تجدر الإشارة هنا إلى أنه من رحم الحرب الأهلية السورية ظهر «داعش» للمرة الأولى. وأضيف إلى ذلك انهيار الحكومات في دول مثل ليبيا واليمن، وظهور جماعات مثل «داعش» في دول مسلمة ضعيفة.

وازداد الوضع تعقيداً بسبب استمرار ضعف اقتصادات عربية، الذي أدى إلى موجة غير مسبوقة من هجرة المسلمين إلى أوروبا. وغالباً لا يندمج المهاجرون المسلمون بصورة جيدة داخل الدول الأوروبية، ويخلق هذا بدوره بداخل بعض الشباب المسلم مشاعر اغتراب تدفعهم باتجاه الحركات الجهادية المسلحة. وازداد هذا الشعور بالاغتراب بسبب صعود أحزاب أوروبية قومية متطرفة كانت مهمشة في وقت مضى على الساحة السياسية الأوروبية لكنها أصبحت قوى سياسية مهمة اليوم، ولها شعبية غير قليلة نتيجة مواقفها القوية المعادية للهجرة.

ومن المحتمل أن يخلق هذا المزيج من العوامل موجة إرهابية جهادية جديدة، ربما لا تكون في قوة «داعش» لكنها سوف تظل مشكلة داخل الشرق الأوسط وأوروبا على امتداد المستقبل المنظور.

ومن المعتقد أن الجماعات الجهادية في المستقبل ستتبع نهج «داعش» فيما يخص حشد الأنصار من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، وتجنيد النساء، وإلهام هجمات في الغرب.

وسوف تضيف الجماعات المستقبلية إلى تكتيكات الدهس بالسيارات التي يكاد يكون من المستحيل منعها. وسوف تشن هجمات باستخدام قنابل مصنوعة من بيروكسيد الهيدروجين، وهي مادة متوفرة ومن السهل الحصول عليها، كما ستستخدم طائرات من دون طيار مسلحة، والتي يصعب التصدي لها.

* نائب رئيس مؤسسة «أمريكا الجديدة». ألف سبعة كتب عن الحرب في أفغانستان. خير «سي إن إن» في مكافحة الإرهاب. أول صحافي غربي يلتقي بن لادن في تورا بورا.

هل يقترب العالم من حرب عالمية ثالثة؟

مجلة "ذاويك" الأمريكية: ٢٠١٨/٩/١٥

حذر الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الرئيس السوري من شن هجوم بمساعدة روسيا وإيران، على آخر معقل للمتمردين في البلاد، قائلاً إن الهجوم يمكن أن يؤدي إلى "مأساة إنسانية". وكتب "ترامب" على "تويتر": "الرئيس بشار الأسد في سوريا يجب ألا يهاجم بتهور مقاطعة إدلب"، مضيفاً: "الروس والإيرانيين سيرتكبون خطأً إنسانياً خطيراً للمشاركة في هذه المأساة الإنسانية المحتملة. يمكن قتل مئات الآلاف من الناس. لا تدعوا هذا يحدث!".

وجاء تحذير رئيس الولايات المتحدة، قائلاً "إن ما يصل إلى ثلاثة ملايين شخص في المنطقة يستعدون لهجوم وشيك من جانب القوات الروسية التي تشعر أن النصر في أحد الأجزاء الأخيرة من سوريا التي لا تزال خارج سيطرة النظام"، بحسب ما تقول صحيفة "ذي غارديان".

وأصدر وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو تحذيراً مماثلاً لوزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، قائلاً إن "الهجوم على إدلب هو أمر وافقت عليه سوريا وروسيا"، وأضاف أن "الولايات المتحدة تعتبر ذلك تصعيداً خطيراً بالفعل للنزاع". مع استمرار التوتر في المنطقة، تفيد شبكة "سي.إن.إن" الأمريكية، بأن "خبراء الاستخبارات الأمريكية والعسكريين قد أنشأوا قائمة بمرافق الأسلحة الكيميائية السورية التي يمكن أن يتم ضربها إذا قرر ترامب طلب جولة جديدة من الضربات الجوية على سوريا".

حتى الآن، "لم يتخذ قرار باتخاذ إجراء"، بحسب ما أكدت الشبكة الأمريكية، لكن مسؤولاً بالإدارة على دراية مباشرة بالوضع قال لـ "سي.إن.إن" إن الجيش "قد يستجيب بسرعة كبيرة" إذا شنت سوريا هجوماً بالأسلحة الكيميائية. التوترات بين روسيا والولايات المتحدة ليست بأي حال التهديد الوحيد للسلام العالمي، ومع ذلك، هناك عدد من النقاط الساخنة الأخرى في جميع أنحاء العالم.

حرب بالوكالة في سوريا

بيتر فورد سفير المملكة المتحدة السابق في سوريا، قال إنه "من المتصور تماماً" أن هجوماً كيميائياً آخر مثل الهجوم المزعوم الذي نفذ في أبريل/نيسان على دوما، المدينة السورية التي كان يسيطر عليها المتمردون آنذاك، يمكن أن "يؤدي إلى أزمة خطيرة حقاً". لكن المحلل سايمون تيسدال، يقول إن روسيا "ستذهب لمبررات غير عادية لتبرير الهجوم القاتل الذي يخشى المراقبون أن يحل على إدلب".

"من أجل تبرير مهاجمة إدلب، غالباً ما يزعم النظام أن المحافظة مليئة بالإرهابيين، لكن الحقيقة هي أن الغالبية العظمى من السكان هم من المدنيين"، هكذا قالت متحدثة باسم "حملة سوريا"، وهي مجموعة للدفاع عن حقوق الإنسان. "من المتوقع أن يؤدي الهجوم إلى نزوح أكثر من ٧٠٠٠٠٠ شخص وخلق كارثة إنسانية لمئات الآلاف"، بحسب تصريحاتها.

الخوف الآن، الذي يشاطره مبعوث الأمم المتحدة في سوريا ستافان دي ميستورا، هو أن "الأسد" مع دعم "موسكو" يعتزم استئناف هجمات الكلور، وهو تحول في الأحداث من شأنه أن يشهد انتقاماً ثقيلاً من الولايات

المتحدة. وقد أصدر مستشار الأمن القومي الأمريكي جون بولتون تحذيراً علنياً، قاله من إسرائيل الأسبوع الماضي: "لكي لا يكون هناك أي لبس هنا، إذا استخدم النظام السوري الأسلحة الكيميائية، فسوف نرد بقوة. ويجب عليهم التفكير في هذا الأمر منذ وقت طويل قبل أن يتخذوا أي قرار لأنه لا يوجد غموض في موقف الولايات المتحدة بشأن هذه النقطة".

وقال مسؤول في إدارة "ترامب"، لشبكة "سي.إن.إن"، إن الولايات المتحدة تعتقد أن الروس "ربما شاركوا في بناء السفن الحربية البحرية في البحر المتوسط، ليكونوا مستعدين لما يعتقدون أنه ضربات أمريكية رداً على نظام الأسد باستخدام الأسلحة الكيميائية". وتعتقد الولايات المتحدة أن الرادارات الروسية "يمكن أن تلجأ بعد ذلك إلى أنظمة مضادة للطائرات من طراز S-400 على الأرض في سوريا وتحاول إسقاط الصواريخ الأمريكية"، ما أثار مزيداً من الانتقام من "واشنطن".

إيران ضد الولايات المتحدة

انسحب "ترامب" من الاتفاق النووي الإيراني في مايو، وهو قرار وصفه أحد مستشاري الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما للأمن القومي، بأنه "أسوأ خطأ ارتكبته الولايات المتحدة في الشرق الأوسط منذ حرب العراق". ورفض "ترامب" الاتفاقية التي بموجبها وعدت إيران بوقف طموحاتها النووية مقابل رفع العقوبات الدولية باعتبارها "خيالاً عملاقاً".

لكن "ترامب" حث بهذا الشكل "المتشددون الإيرانيين على إعادة إطلاق برامج الأسلحة"، حيث تعتبر "غارديان" استراتيجية "ترامب" عالية المخاطر للغاية ومن المرجح أن تؤدي إلى مواجهة عسكرية بين الولايات المتحدة وإيران وربما النظام السوري". في الواقع، إن إلغاء الدعم الأمريكي للاتفاق النووي الإيراني له نتيجة واحدة فقط، وهي الحرب، بحسب ما يقول ديمون لينكر من الطبعة الأمريكية لصحيفة "ذا ويك".

يقول "لينكر" إن "صفقة إيران، مهما كانت عيوبها، كانت تمنع إيران من امتلاك قدرة نووية". ولكن إذا كان "هدفك الحقيقي هو إسقاط الحكومة الإيرانية"، لكان قد أثبت ذلك أنه مصدر إزعاج، بحسب ما يقول.

وتقول صحيفة "واشنطن بوست" إن "ترامب" قد تم دفعه للخروج من الصفقة من قبل رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وولي العهد السعودي محمد بن سلمان، الذي تشارك دولته بالفعل في حروب منخفضة المستوى مع إيران. ويقول "لينكر" إن المملكة العربية السعودية "ستحبنا بشدة أن نحل مشكلة إيران الخاصة بهم.. وهذا يتركنا مع شيء قريب من العاصفة المثالية من المصير في اتجاه الحرب".

قطاع غزة

أدت الاحتجاجات القاتلة في غزة إلى مخاوف من انتفاضة ثالثة، وهي جهد فلسطيني عنيف للتخلص من السلطة الإسرائيلية والحصول على الاستقلال. وبعد سبعة عقود من تشكيل دولة إسرائيل، يبدو أن الصراع "يعود إلى جذوره"، بحسب ما تقول مجلة "تايم" الأمريكية. وبدافع من قرار "ترامب" بالاعتراف بالقدس كعاصمة إسرائيل، تطالب إسرائيل بأن يعترف الفلسطينيون بحق اليهود في دولتهم في فلسطين التاريخية. وتقول المجلة إن الفلسطينيين

"يطالبون بحق العودة إلى ديارهم.. ولا يمكن التوفيق بين الهدفين"، حيث كان يُنظر إلى حل الدولتين في السابق على أنه "الصيغة السحرية للسلام"، والهدف النهائي للولايات المتحدة بالنسبة للمنطقة، كما تقول هيلث هورلبرت من مجلة "نيويورك": "مع وجود (ترامب) الآن على رأس السلطة، يتحدث المتفائلون عن الوضع الراهن، مما يوحي بأننا لن نقرب أكثر من السلام ولكننا لن نحصل على حرب كاملة". لكن "هورلبرت" يشير إلى أنه حتى "الوضع الراهن المعقد" يخاطر بتزايد المعاناة الفلسطينية وعزل إسرائيل على المستوى الدولي. ويقول إن "الفلسطينيين يشعرون أن الغرب وقادتهم قد أخفقوا في ارتكابهم، ويتخذون إجراءات مثل السير إلى حدود غزة.. الحكومات الإسرائيلية، التي تحتاج إلى إظهار القوة لدعم مواقفها الضعيفة ضد السخريّة العامة، تفتح النار. استجابة الفلسطينيين لدعوات الجماعات المتطرفة العنيفة مثل القاعدة وداعش تتزاي".

إن مسلحي "داعش" الذين طردوا من الكثير من العراق وسوريا "بدأوا بالفعل العمل أقرب إلى إسرائيل، وستوفر انتفاضة ثالثة.. كل الدوافع التي يحتاجونها لإعادة تجميعهم وتجديد جهودهم القتالية"، كما تقول صحيفة "إندبندنت". "إنهم بارعون في استغلال المظالم، وما قد يراه البعض على أنه ضم دبلوماسي أمريكي إسرائيلي لموقع القدس المقدس يوفر لهم مبرر بشكل خاص".

بحر جنوب الصين

في أواخر العام الماضي، وجد التحليل الذي أجراه مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية التابع للمركز الأمريكي، أن الصين "أنشأت منشآت عسكرية تبلغ أربعة أضعاف مساحة قصر باكنغهام في الجزر المتنازع عليها" في بحر الصين الجنوبي. وقد وصف التقرير عملية البناء بأنها "أزمة بطيئة الحركة" في واحدة من أكثر النقاط الساخنة خطورة في العالم.

تقول صحيفة "ذي غارديان" إن الولايات المتحدة "تواصل بانتظام إرسال السفن الحربية فوق الجزر، وسط الاعتراضات الصينية، فيما يوصف بأنه تمارين حرية الملاحة". ويقول ماوتشون يو أستاذ التاريخ في الأكاديمية البحرية الأمريكية في ولاية "ماريلاند"، إن المواجهة في المنطقة "غير محتمة".

وتحاول "بكين" طرد حدودها وتوسيع السيطرة على المياه المحيطة. وبحسب مجلة "فورين بوليسي" الأمريكية، فإن "الأولوية الجيوسياسية والجيواستراتيجية للصين هي مراجعة أو تغيير النظام الدولي القائم الذي يستند إلى نظام معقد من القواعد والقوانين والأعراف التي تحكم مختلف المشاعات العالمية بما في ذلك بحر الصين الجنوبي". وذهب ستيف بانون مستشار "ترامب" السابق، خطوة أخرى إلى الأمام في مارس من العام الماضي، قائلاً: "سنخوض حرباً في بحر الصين الجنوبي خلال خمس إلى عشر سنوات.. لا شك في ذلك".

*ترجمة: المركز الكردي للدراسات

صرخة الحرب الكونية

*حازم صاغية

صحيفة (الحياة) : ٢٠١٨/٩/١٥

في الثلاثينات، مع صعود الحركات الفاشية في أوروبا، ظهرت أحزاب وحركات في منطقتنا تنسج على منوالها. «الحزب السوري القومي» في لبنان و «مصر الفتاة» في مصر وشبيبة «الفتوة» في العراق.. هؤلاء اختاروا أربعة أعداء لهم «صدف» أنهم كانوا، هم أنفسهم، أعداء الفاشيين الأوروبيين: الانتدابات والاستعمارات البريطانية والفرنسية. اليهود. الشيوعيين. الحياة السياسية الديمقراطية. الآن، وبغض النظر عما إذا كانت الشعوب ستؤدي إلى فاشيات أم لا، وهو نقاش حار، فالواضح أن منطقتنا لا تكتم التأثر بهذه الشعوب مثلما تأثرت قبلاً بالفاشية. هذا جزء من ترابط عالمنا، لا سيما اليوم في ظل العولمة. أما الوجه الأوضح لهذا التأثر فهو انتعاش ظاهرة الزعيم القائد – الأب المعصوم. أشخاص، عسكريون أو مدنيون، أقل من عاديين، وغالباً أقل كثيراً، إلا أنهم لا يُصورون بأقل من مخلصين أقدان عاش التاريخ طويلاً موعوداً بهم. الأعداء الذين اشترك بعضنا مع الفاشية الأوروبية في معاداتهم تغيروا، أو تغير التعبير عن العداء لهم. فالانتدابات والاستعمارات ولّت، و «اليهود» صارت معاداتهم تُرتب مسؤولية على الحكام بعد نشأة دولة إسرائيل وتاريخ الحروب معها، والشيوعية «المخرية» لم تعد تستطيع «التخريب» بعد انهيار المعسكر السوفياتي وتضاؤل حجم الأحزاب الشيوعية، أما الديمقراطية فلم يعد أحد يقول، لا هناك ولا هنا، إنه ضد الديمقراطية. طبعاً، يبقى في هذه البيئة الفكرية والشعورية الكثير من كراهية الغريب ومن مناهضة السامية ومعاداة الديمقراطية وبغض الشيوعية، إلا أن التعبير الصارخ عن ذلك سيبدو اليوم وقحاً أو مُورطاً لصاحبه وأحياناً دونكيشوتياً بحتاً. تعالوا مثلاً نتخيل أن بشار الأسد، المحمي بالروس والإيرانيين، يخوض حرباً عالية النبرة على «الأجانب»، أو على «اليهود» فيما يعاد العمل باتفاق «فض الاشتباك» الذي عقده أبوه، حافظ، عام ١٩٧٤، مع إسرائيل. العدو اليوم هو الإسلاميون، وبالتالي إرهابهم. هذا، بدوره، ينهل من خواف الإسلام (الإسلاموفوبيا) الضارب في الغرب. يتغذى منه ثم يغذيه. الملحق بهذه العداوة، والمتم لها، هو حقوق الإنسان. إنها توضع على نحو تناحري في مقابل السيادة الوطنية، أي القدرة على البطش بالسكان من دون رقابة أو ردع خارجيين. أيضاً البعد الكوني حاضر هنا بقوة: فحقوق الإنسان مُعطى يرفضه ويمجه ترامب وبوتين وأوربان وأضرابهم. إنهم يضعونها في مقابل السيادة الوطنية والقومية فيتخفطون على جميع الروابط العابرة للحدود، لا سيما منها الاتحاد الأوروبي الأكثر تشديداً على حقوق الإنسان. في هذا المعنى، تشكل واحدة العداء للإسلاميين في يومنا هذا أبرز صيغ العداء للديمقراطية. إنها ما يمكن قوله، بل ما يُحتفى بقوله، للتعبير عما لا يمكن قوله ولا يُحتفى بقوله. هل هذا يعني تعاطفاً مع الإسلام الراديكالي و غرضَ نظر عن إرهابه؟ بالطبع، لا. لكن نقد الاحتلال الأجنبية في الثلاثينات لا يقود إلى تأييد الأشكال القومية التي سادت في معارضة تلك الاحتلالات. بالمعنى نفسه فالموقف من الإسلاميين وإرهابهم لا يقود إلى الوقوف في صف نقادهم هؤلاء ممن لا ينفذون إلا بالسلاح. فإذا كان وصف المقموع ضرورة نظرية وعملية، فوصف القامع ضرورة نظرية وعملية أكبر. والقامع يفسر المقموع أكثر مما يفسر المقموع القامع. فهؤلاء الذين يسكنون بمفاتيح السجون، يقاوضون إرهاب الإسلاميين بإرهاب أكبر حيال المجتمعات التي يحكمونها، ويبادلون استبدادهم بتوطيد استبداد يحولهم طواطم معبودة، كما يقابلون تخلفهم القديم بفرض عبودية حديثة على رعاياهم. أما العلاقة بالعالم التي يقطعها الإسلاميون، فلا يعاود هؤلاء ربطها إلا مع أسفل السافلين في هذا العالم.

النجاح والفشل في موازين اليساريين والقوميين

*رضوان السيد

صحيفة (الاتحاد) الاماراتية: ٢٠١٨/٩/١٥

كثيرة في الشهور الأخيرة هي المواقف السياسية والفكرية من الأحداث والمآسي في العراق وسوريا ولبنان. بيد أن البارز فيها إدانة المعارضات العربية التي أرادت التغيير السلمي في البلدان المذكورة وغيرها. والإدانة التي أقصدها ذات شقين رئيسيين "الأول يعتبر المعارضين بشتى فئاتهم أطرافاً في مؤامرة أو مؤامرات دولية، والثاني يرى للإدانة سبباً وحيداً هو الفشل! وتبعاً لهذا المنطق لو أن المعارضين اليساريين والمدنيين الذين بدأوا المظاهرات عام ٢٠١١ في سوريا نجحوا في إرغام بشار الأسد على التنحي، لكان الحكم عليهم مختلفاً. وهذه هي الطريقة البراغمية الأمريكية، بل والغربية بعامة في الحكم على حركات العصيان في أفريقيا وآسيا. فالنجاح يُرغم أطراف المجتمع الدولي على التعامل مع السادة الجدد. بخلاف ما لو حصل شيء من ذلك في أحد بلدان أوروبا وأمريكا (مثل رومانيا مثلاً) فإنّ الفشل أو النجاح له تقييّمه الآخر لأنها شعوب متحضرة حتى في عصيانها وتمردتها! أما أنصار الشكل الآخر أو التعليل الآخر، أي المؤامرة، فالوضع معهم أصعب، وهم قسمان" القسم الذي يعتبر الاستقرار أياً كان نوعه الصيغة الأفضل والأصلح لبقاء الدولة والمجتمع. وهو فريق قد تجد لبعض أطرافه مبررات من نوع ما، على الأقل من حيث المآلات، بالنظر لما كلفت المحاولات التغييرية أو الإصلاحية من قتلى وخراب. لكن المشكلة مع القسم الثاني من أنصار تعليقات المؤامرة. فهؤلاء يعتبرون نظام بشار الأسد أو المالكي أو القذافي نظاماً قومياً عربياً ممتازاً! ولذلك فإنّ الثوار عليه أو عليها لا بد أن يكونوا أعضاء ضالعين في مؤامرة دولية أمريكية بالطبع!

ولكي لا نبقى في مجال التنظير، نمضي فنذكر أن الوطنيين اللبنانيين أثارهم مقتل الرئيس رفيق الحريري عام ٢٠٠٥، فاحتشدوا للتغيير ولاستعادة الدولة والاستقلال والنظام: بإخراج الجيش السوري ومخابراته من البلاد، ودفع «حزب الله» لضبضة سلاحه، والعهد لجيش الدولة وقواها الأمنية باستعادة الأرض والسيادة والحريات ونظام العيش. أما السوريون فخرجوا ولم يخرجوا، وأما الحزب فأثار حرباً مع إسرائيل، وأقبل خلال ذلك على اغتيال قيادات الحركة التغييرية، ومحاصرة الحكومة المنتخبة القائمة، وانتهاءً باحتلال بيروت بالسلاح، لأنّ الحكومة ما نفذت ثلاثة أمور: التوقف عن السعي لإقامة محكمة دولية لمحاكمة قتلة الحريري، وقبول أن تكون للحزب شبكة هاتفية خاصة بحجة مكافحة إسرائيل، والتسليم بسيطرة الحزب على أمن المطار! ومنذ احتلال بيروت عام ٢٠٠٨ وحتى اليوم استمرت خطوات الحزب للسيطرة الكاملة على البلاد مؤسسات ومطاراً ومرفأً وجيشاً، وأخيراً رئاسة الجمهورية، ومجلس النواب. وخلال أكثر من عشر سنوات كانت التهمة الرئيسية الموجهة إلى قوى ١٤ آذار أنها أمريكية ومتآمرة، رغم أنها فازت في انتخابات العام ٢٠٠٩ بالأكثرية الشعبية. لقد فشلت القوى الاستقلالية إذن، والبلاد تتصدع الآن مالية واقتصاداً ومؤسسات وأمناً وخدمات. فهل يعتبر القوميون واليساريون الأشاوس لبنانيين وغير لبنانيين والذين وقف معظمهم مع سوريا الأسد، ومع «حزب الله»، أنهم فازوا؟ وكيف وبماذا وإلى أين؟ إذا كان المقياس مقياس النجاح، فقد نجحوا في إرعاب الوطنيين الذين لا يزال بعضهم على قيد الحياة. لكن ماذا قدّموا لوطنهم ومواطنيهم، وماذا قدّموا لأبنائنا وأبنائهم؟ في الحقيقة ما نجحوا في شيء إلا في استضعاف مواطنيهم

والاستغناء عن شراكتهم، وفرض الهيمنة عليهم وتخويفهم، وإلا فماذا الذي يجمع هؤلاء الليبراليين والديمقراطيين العريقلين مع سلاح الحزب الطائفي، ونظام ولاية الفقيه، بل وأين هي الدولة التي كانوا يشكون من استئثار الطائفيين بها، وهي لم تعد الآن نظاماً ولا دولة؟!

ولنذهب إلى العراق، لأنّ النموذج السوري مفضوح ولا يحتاج إلى الكثير من الحجج. لقد تشجع عراقيون كثيرون في مختلف المحافظات في عامي ٢٠١١ و٢٠١٢ واعتقدوا أنه يمكن لهم القيام باحتجاجات سلمية احتشد لها مئات الآلاف، لكنّ المالكي سمّاها فقاّعات. وقد أُنذره كثيرون وقد أقبل على القمع والقتل في المحافظات الأكثر ثوراً بأنّ الآتي يمكن أن يكون أعظم! وما ارتدع، بل اتهم الجميع بالطائفية والتآمر، إلى أنّ ظهر «داعش» عام ٢٠١٤ في سوريا والعراق، ففرّ الجيش العظيم الذي كان يقتل المتظاهرين السلميين. أما في سوريا، فإنّ الدواعش انصرفوا وقتلوا لمقاتلة المتمردين على حكم الأسد في حمص وحلب وشرق سوريا وشمالها وجنوبها ووسطها!

نعم، لقد فشل المعارضون غير مسلحين ومسلحين في العراق وسوريا. وجاءت عدوة القوميين الولايات المتحدة فضربت المتطرفين العنيفين في العراق وسوريا. وما قال القوميون العرب الأشاوس شيئاً ضد الإمبريالية الأمريكية، وكذلك إسلاميو إيران الذين أرادوا مساعدة الأمريكيين ضد المتطرفين أعداء الشيعة. الآن فقط، يريد القوميون الأشاوس إقناعنا أنّ المتطرفين هم الذين خربوا، وأنّ الروس وليس الأمريكان هم الذين أتوا لحماية الأنظمة القومية المتحالفة مع إيران ولاية الفقيه! وقد أراد أحد الأصدقاء أخيراً مني الحضور في اجتماع انعقد ببيروت، احزروا أيها القراء لمن ولماذا؟ للتضامن مع إيران وتركيا في وجه الولايات المتحدة!

لا أمريكا عادت إلى العراق ودخلت إلى سوريا من أجل العروبة والقومية، ولا روسيا جاءت إلى سوريا لتُصرة الدولة العربية السورية! وبالطبع ما أحببت إيران الأسد من أجل عروبتة وسواد عيونه. فلماذا هذا الحماس لإيران ولروسيا وأخيراً لتركيا. طوال أربع سنوات كان القوميون واليساريون الأشاوس يشتمون تركيا إردوغان الداعمة لـ«الإخوان»، أما الآن فنسوا كل ذلك، واعتبروا تركيا حليفاً للقومية والحريات، وعدواً للإمبريالية الأمريكية!

إنّ مشكلة اليساريين القوميين، والقوميين اليساريين سابقاً ولاحقاً، أنهم يكرهون مصر ويكرهون المملكة العربية السعودية. وهم مستعدون لتأييد الأمريكيين والروس والصينيين والهنود بشرط أن لا يكون بين هؤلاء وبين العرب الكبار حائط عامر. هل سمعتم أن شيوعياً أو يسارياً أو قومياً أوروبياً أيد قتل نصف مليون وتهجير عشرة ملايين من أي شعب وبأي حجة؟! فحتى الأمريكيون الذين أيدوا غزو العراق عام ٢٠٠٣ يعتذرون عن ذلك الواحد بعد الآخر! هذا داءٌ عيائ لا يفيد فيه نجاحٌ أو فشل. إننا أمة تُعاني من مشكلة عميقة في الوعي والإحساس بالكرامة. وقد جادلني قومي كبير مؤخراً بأنه لا يجوز الحديث لا عن أمة ولا عن عالم، بل عن عوالم عربية! وهذا داءٌ عيائ لأنه منتشر بين النُخب وليس بين العامة:

يا معشر العلماء يا ملح البلد

من يصلح الملح إذا الملح فسد.

أزمة الهوية الوطنية تجعل أمريكا أقرب إلى الشرق الأوسط

ذا هيل : ٢٠١٨/٩/١٦

غزت الولايات المتحدة العراق عام ٢٠٠٣، مدعية أنها ستستبدل صدام بنظام ديمقراطي معتدل، وبعد ١٥ سنة، ما زال هذا الهدف بعيد المنال، فقد تغلب العراق أخيراً على اعتداء شنه تنظيم داعش وشمل احتلالاً مطوّلاً لمدينة الموصل الشمالية. كذلك لن تؤدي الانتخابات البرلمانية في مايو إلى حكومة فاعلة، أما النفوذ الأجنبي الأبرز في هذا البلد، فلا يعود للولايات المتحدة بل لإيران.

تقوم مشكلة العراق على غياب أي شعور بهوية وطنية شاملة، فما من هوية تُدعى العراق يتمسك بها المواطنون، ليفضلوها على مجموعتهم الإثنية، أو طائفهم، أو منطقتهم، أو قبيلتهم.

ويعتبر العراق مثلاً لإخفاق الدولة الناجم عن ضعف الهوية الوطنية، وفي الشرق الأوسط عانت سورية، وليبيا، والصومال، وأفغانستان حروباً أهلية نتيجة سياسات هوية خرجت عن السيطرة. أخبرني سياسي عراقي مخضرم أن الأمريكيين، بعد غزو ٢٠٠٣، راحوا ينصحون العراقيين باستمرار بوضع خلافاتهم الطائفية والإثنية جانباً، والسعي وراء وحدة وطنية أكبر.

واليوم، يرمي هذا السياسي بإغاشة هذه النصيحة ذاتها في وجه الأمريكيين. بدل "أمركة" الشرق الأوسط، يرى هذا السياسي أن الولايات المتحدة اكتسبت تدريجياً "طابعاً شبيهاً بالشرق الأوسط"، فانقسام المجتمع الأمريكي حاد جداً، حتى بات الحزبان الجمهوري والديمقراطي أقرب إلى قبيلتين متحاربتين.

يبدو أن عدداً كبيراً من الجمهوريين يعتبر الولاء لترامب أكثر أهمية من التزامهم بحكم القانون أو الحفاظ على الديمقراطية، أما الحزب الديمقراطي، فابتعد عن الائتلافات الواسعة التي تستند إلى الطبقات الاجتماعية، مثل الصفقة الجديدة والمجتمع العظيم، ليرجّح لهوية عناصر المجموعات التي يتألف منها: النساء، الأمريكيين المتحدرين من أصول إفريقية.

من السهل القول إن الولايات المتحدة تتحول إلى دولة شرق أوسطية، ولكن من المفرج أننا ما زلنا بعيدين جداً عن معدلات الكره العنيف الذي يبرز في العراق أو سورية.

وقد بدت الهوية العقائدية واقعاً ثابتاً قبل بروز ترامب، لكن هذا الرئيس منح شرعية لجيل جديد من أنصار حركة الهوية، الذين يسعون إلى إعادة البلد إلى التعريف الإثني لمعنى كلمة "أمريكي". لكن تلك الهوية تصطدم أيضاً بتحدٍ بين اليساريين الذين يعتقدون أنه لا داعي لدمج المهاجرين في هذه الهوية الشاملة أو من يظنون أن هذه الأخيرة ترتبط بالضرورة بالتعصب والاستبعاد.

يمكننا تعزيز الهوية العقائدية بالطريقة التي نعلم بها الشبان التربية الوطنية، كذلك نستطيع تدعيمها من خلال برنامج للخدمة الوطنية يقوم على فكرة أن المواطنين ليسوا أصحاب حقوق فحسب، بل عليهم أيضاً واجبات تلزمهم بدعم الخير العام.

وفي نهاية المطاف، فإن الهوية الوطنية تُعزّز من خلال القصص التي يرويها الأمريكيون عن أنفسهم وما إذا كانت تشدد على ما يجمعهم بقدر تركيزها على ما يفرقهم. لم تُعطَ هذه الرواية التكاملية الأولوية في الكثير من دول الشرق الأوسط. وما هي تدفع الثمن اليوم!

مستقبل أوروبا في قبضة الشعبوية؟

*مصطفى كركوتي

صحيفة (الحياة) : ٢٠١٨/٩/١٦

مهما كان الترتيب الذي سيتم التوصل إليه بين الاتحاد الأوروبي وبريطانيا في شأن شكل وطبيعة خروج هذه الأخيرة من الاتحاد (بريكزيت)، لم يتوصل الجانبان بعد إلى تقديم صيغة تقريبية لمستقبل أوروبا في القرن الحالي. فالعمل الأوروبي المشترك انطلق في ١٩٥٦ بتأسيس المجموعة الأوروبية للفحم والصلب وعضوية فرنسا وألمانيا وإيطاليا ودول «البينالوكس» الثلاث، وتطور في القرن العشرين ليصبح اتحاداً من ٢٨ دولة. وهو يواجه الآن تحدياً مصيرياً غير مسبوق ليس مصدره بريكزيت فحسب، بل صعود الشعبوية يميناً ويساراً في حياة أوروبا السياسية لأول مرة منذ الحرب العالمية.

ما يميز سياسات أوروبا راهناً بروز نماذج غامضة من السلوك الانتخابي، فضلاً عن خضات اقتصادية مفاجئة، إضافة إلى أزمة تدفق اللاجئين، ما سمح للحركات الشعبوية بالظهور السريع على يمين ويسار الأحزاب واستغلال فشل الأداء الانتخابي لعديد الأحزاب السياسية في كل من يمين الوسط ويساره.

فمنذ الاستفتاء على بريكزيت في ٢٠١٦ كتب كثيرون ونشرت دراسات عدة في مسعى لفهم ظاهرة انتشار الشعبوية الراديكالي من داخل يمين الأحزاب الأوروبية ويسارها. وفي حين تُجمع معظم الدراسات على أن هذا الانتشار يخضع بعنف المشهد السياسي التقليدي لسياسات أوروبا المعاصرة، في زمن يشهد فيه الاتحاد الأوروبي أزمات غير مسبوقة منذ الحرب، فإنه لم يجر البحث بعمق في انعكاس هذه التغيرات الجوهرية على مسلك الرأي العام في ممارسة حقه في الاقتراع وحظوظ الظاهرة الجديدة من يمين ويسار شعبي على صعيد القرارات الوطنية.

نتائج انتخابات السويد الأحد الفائت تؤكد أن هذه الظاهرة ليست عابرة أو ليست استثنائية بسبب الخضة التي شهدتها جميع الأحزاب. فالحزب الديمقراطي الاشتراكي كان سعيداً لأنه لم ينهر تماماً مثل مثيليه في هولندا وألمانيا، على رغم انخفاض حصته من الأصوات بنسبة ٣ في المئة عن ٢٠١٤، وشريكه في الائتلاف الحكومي، حزب الخضر، تنفس الصعداء لأنه لا يزال موجوداً في البرلمان. كذلك سعد يمين الوسط (المعتدلون) على رغم انخفاض حصتهم من ٢٣،٥ إلى ٢٠ في المئة. في المقابل حقق اليمين المتطرف (ديموقراطيو السويد) زيادة في حصته من ١٣ إلى ١٨ في المئة تقريباً، ما يضعه في موقع تفاوضي قوي مع أي من الحزبين الكبيرين لتشكيل الحكومة الجديدة، كما يعكس تقدم أداءه الشعبي مرتين على التوالي في انتخابات ٢٠١٤ و٢٠١٨.

كما في السويد كذلك في دول أوروبية أخرى، حصدت أحزاب اليمين ويمين الوسط مكاسب أفضل من غيرها في الانتخابات العامة المتتالية، فيما تراجعت أحزاب يسار الوسط الرئيسية، ما يوضح خسارة هذه الشريحة من الأحزاب في مرحلة ما بعد الأزمة الاقتصادية والهجرة عبر أوروبا. وقد تكون أحزاب اليسار الراديكالي في هذه الأثناء حققت تقدماً في مجموع المقترعين لها، لكن هذا التقدم كان أقل كثيراً مما حققه اليمين المتطرف.

هناك سمة رئيسية تميز أحزاب اليمين المتطرف وهي حشدتها السريع لتأييد الجماهير على خلفية أزمة الهجرة، ولعل أفضل مثالين على ذلك ما حصل إثر الانتخابات التشريعية في النمسا في ٢٠١٧ وإيطاليا في ٢٠١٨. في الأولى شهدت النمسا دخول حزب الحرية في إئتلاف مع يمين الوسط، حزب الشعب، وفي الثانية تشكيل ائتلاف حكومي بين اليمين الراديكالي (العصبة) وحركة النجوم الخمسة.

أما أحزاب اليسار الراديكالي التي حققت اختراقات هامة في الانتخابات الوطنية فكان تكتل اليسار في البرتغال الذي رفع حصته بنسبة جيدة في الانتخابات التشريعية لعام ٢٠١٥، كما لأحزاب أخرى مثل سيريزا في اليونان وبوديموس في إسبانيا اللذين حققا تقدماً برلمانياً لافتاً في العقد الماضي. ولكن يجب التشديد على أن هذا التقدم ليس شاملاً، إذ إن بعض هذه الأحزاب كان أقل حظاً من مثيله الأوروبي.

والسؤال المهم في الحقيقة: ما هي العوامل التي توضح تقدم أحزاب اليمين الراديكالي في الانتخابات؟ هناك عاملان: الأول مرتبط بـ استراتيجيات أحزاب اليمين المتطرف، إذ تبدو للناخب العادي بسيطة وواضحة بتركيزها المستمر على الهجرة وربطها بجميع المشكلات التي يعاني منها ذاك الناخب وعلى الامتناع من بيروقراطية الاتحاد الأوروبي عموماً. والثاني هو تمتع اليمين الراديكالي بقاعدة انتخابية تستهدفها تلك الأحزاب بانتظام، وهي أوسع مما هو لدى أحزاب اليسار. وتظهر دلائل عدة على نجاح أحزاب اليمين في استقطاب الرأي العام الواسع، لا سيما الطبقة العمالية التقليدية أكثر من قدرة أحزاب يسار الوسط، وهذا يعود إلى براعتها المميزة في الاستخدام الفعال لسلاح الهجرة في عملية التعبئة العامة.

إذاً، البساطة والوضوح في رسالة اليمين الراديكالي إلى جماهير أوروبا هما مفتاح نجاح أحزابهم. فهذه الرسالة تحمل دائماً صور الوطن وثرواته الغنية والتاريخية في مواجهة مشكلات مصيرية تهدد الأمة ومستقبلها وفي مقدمها الهجرة. وتبين جميع البحوث كيف أن مصدر المخاوف الشعبية تسطرها حُطَبُ وبيانات اليمين الراديكالي. وما يميز هذه الرسالة أنها تتقدم كثيراً عن رسالة يسار الوسط وحتى يمين الوسط لسهولة وسرعة وصولها إلى الجمهور.

في المقابل وعلى النقيض من اليمين، لا يزال اليسار بجميع أشكاله تقريباً مصدراً لأفكار يجد المواطن العادي صعوبة في فهمها، نظراً لتجريديتها وكونها تعكس مواقف سياسيين غير قادرين على الخروج من ثياب التنظير المبهم. فمثل هكذا أفكار يفشل سياسيو اليسار في ترجمتها إلى شعارات بسيطة تلامس مباشرة أحاسيس الجماهير العفوية. فشل اليسار الواضح في صوغ سياساته إزاء الأزمات الراهنة لا يساعد قضيته، وبخاصة عجزه عن تقديم تفسير مباشر ينافس ما يقدمه اليمين من رسائل تتناول الاقتصاد والهجرة. ويبدو اليسار الأوروبي في أحيان كثيرة وكأنه يتهرب من طرح إجابات عن أسئلة يومية ملحة، وذلك على عكس اليمين.

في كل الأحوال، يأتي اليمين الراديكالي في مقدمة معظم الأحزاب الأخرى في تقديمه رسالة شعبية واضحة تتناول مسائل معقدة مثل جدوى الاتحاد الأوروبي وما تشكله الهجرة من تهديدات للقيمة خبز المواطن، محققة بذلك مكاسب على صعيد الانتخابات. وما لم يبدأ اليسار ويسار الوسط بطرح خطاب أوضح للقضايا المعدة يلامس مصالح الجماهير مباشرة فلا مجال أمامه غير المزيد من التراجع وفقدان مركز التأثير في صنع القرار... ومن ثم الزوال.

الاعتراف بالأخطاء

*عبير هلال

صحيفة (الصباح) : ٢٠١٨/٩/١٦

تكاد مجتمعاتنا العربية تخلو اليوم من ثقافة الاعتراف، واقصد بثقافة الاعتراف هنا السلوكيات الاجتماعية التي تعبر عن اعترافنا بالآخر او الاعتراف بثقافته او في أضعف الايمان ان نعترف بالخطأ، ونعترف عند وقوعنا بالفشل بأننا فشلنا وهذا كله يعود لسبب اساسي الا وهو تنشئتنا على فكرة اننا دائما على صواب، واننا على معرفة تامة بالحقيقة ونحن من نمتلك الحقيقة ولا احد يملكها غيرنا من هذا المنطلق الاجتماعي الذي اوصلنا الى جدار مسدود في علاقاتنا الاجتماعية من مبدأ التشبث والتمسك بالرأي والفكرة مع العلم انها خاطئة وفاشلة لأن من طبيعة الشخص العربي الاجتماعية، عناده، وتمسكه برأيه مهما كلفه الأمر.

الاعتراف بالخطأ هو حجر الاساس لخطوات النجاح والاصلاح، ربما في هذه المرحلة يستطيع العقل الانساني ان يدرك اخطائه، ليدرك طرق تصحيحها وتصويبها.

فلو ان كل فرد اعترف بأخطائه، لتوصلنا سريعا لوضع حلول لمشاكلنا المتراكمة. فمثلا في مدننا العربية نرى الصراعات والحروب الاهلية التي وقعت في كل مدينة، لكن من المستحيل ان تعترف فئة او جماعة انها اخطأت في القرارات التي تم اتخاذها في هذه الحروب. دائما نرمي الاخطاء على الطرف الآخر مع اصرارنا على موقفنا الذي قد يكلف الكثير من خسائر في الارواح البشرية، وتدمير بني المجتمع.

في ظل غياب هذه الثقافة التي نحن اليوم بأشد الحاجة اليها في مجتمعاتنا لخلق أفق من التآخي والتسامح للأجيال المقبلة، هناك استراتيجيات مهمة اهمها زرع قيمة الاعتراف بالخطأ في النفوس، من خلال التنشئة المنزلية والمدرسية، وتشجيع الفرد على هذا السلوك، وتعميق هذه القيمة في المناهج التعليمية والسلوكيات والتواصل بين الافراد، أما الدور الاكبر في تأسيس هذه الثقافة، فيقع على عاتق الحكومات، وصناع الرأي العام، ورجال السياسة والاحزاب الذين من واجبههم تقديم نموذج يعترف بالخطأ والفشل حين يقع فيه ليكون نموذجا يقتدى به عند الاجيال الصاعدة وفئة الشباب لأن الاعتراف بالخطأ فضيلة، تؤسس للوعي بالخطأ و العدول عنه.

عندما تكون لدينا الجرأة في الاعتراف بالخطأ والوقوع بالفشل نكون قد اجتزنا اكثر من نصف الطريق، فمجرد ادراك الفكرة ومعرفة الخطأ نكون امام خطوة البحث عن الحل للمشكلة او الهفوة التي ادت بنا الى الفشل وهذا النوع من سلوكيات التعايش الاجتماعي يصنع بيئة من التسامح والاستقرار، ويكون باباً مفتوحاً لحوار بناء و صادق لحل جميع مشاكلنا.

*كاتبة و باحثة في علم الاجتماع

روسيا تطلق المناورات العسكرية الأضخم

إيلاف : ٢٠١٨/٩/١٦

نصر المجالي: أعلنت وزارة الدفاع الروسية، يوم الثلاثاء، انطلاق مناورات "الشرق-٢٠١٨" العسكرية، والتي تعد الأكبر في تاريخ الجيش الروسي منذ ٣٧ سنة، تحت إشراف وزير الدفاع سيرغي شويغو. ويشارك في المناورات عسكريون صينيون ومنغوليون في سيبيريا الشرقية. وترسل الصين ٣٢٠٠ عسكري للمشاركة في تدريبات "فوستوك-٢٠١٨" علاوة على العديد من المركبات المدرعة الصينية وبعض الوحدات من جيش منغوليا. ونشرت وزارة الدفاع الروسية على صفحتها الإلكترونية شريط فيديو يوثق انطلاق المناورات في أقصى الشرق الروسي، التي تشارك فيها عشرات الآلاف من القطع والآليات العسكرية. وحسب وسائل الإعلام الروسية، يظهر الفيديو عدداً كبيراً من الدبابات والمقاتلات والسفن الحربية وأنظمة الدفاع الجوي الصاروخية التي تشارك في المناورات. ومن المقرر أن تستمر المناورات أسبوعاً وسيشارك فيها ٢٩٧ ألف عسكري و١٠٠٠ طائرة حربية و٣٦ ألف آلية عسكرية مختلفة، إضافة إلى ٨٠ قطعة بحرية. وقالت وزارة الدفاع في بيان: "يشارك في مناورات "الشرق-٢٠١٨" أكثر من ٦ آلاف جندي من ثلاثة تشكيلات، ووحدتان عسكريتان منفصلتان من القوات المظلية".

١٠ تشكيلات

وأضافت الوزارة أن هذه التشكيلات ستشارك: "للقيام باستطلاع من الجو في مناطق الإجراءات العملية، وسيتم تشغيل نحو ١٠ تشكيلات من الطائرات المسيرة "إيريون-٣" و"أوران-١٠" من وحدات الطائرات بدون طيار التابعة للقوات المظلية". وكانت آخر مناورة عسكرية بهذا الحجم أجرتها روسيا عام ١٩٨١ أثناء الحرب الباردة، ومع ذلك تتجاوز الأعداد المشاركة في فوستوك -٢٠١٨ ما شهدته مناورة الثمانينيات من القرن العشرين. وتأتي المناورة العملاقة تزامناً مع ارتفاع حدة التوترات بين روسيا وحلف شمال الأطلسي (ناتو) بعد أن ساءت العلاقات بين موسكو والحلف، المكون من ٢٩ دولة، منذ ضم روسيا لإقليم القرم في أوكرانيا للاتحاد الروسي في ٢٠١٤.

خمس ساحات

وتتنوع أنشطة التدريب في إطار هذه المناورات على خمس ساحات تدريب عسكرية، وأربع قواعد جوية، وبعض المواقع في بحر اليابان وبحر أوخوتسك بمشاركة ٨٠ قطعة بحرية من الأسطول الروسي. وقالت السلطات الروسية إن المناورات لن تقترب من جزر الكوريل المتنازع عليها بين روسيا واليابان. وقالت قناة التلفزيون التابعة لوزارة الدفاع الروسية إن ثلاثة ألوية مظلية روسية ستلعب دوراً رئيسياً خلال هذه المناورات في ميدان تشوغول العسكري بالقرب من الحدود الروسية مع الصين ومنغوليا. وقال التقرير الذي بثته القناة إن الهدف من المناورة هو تعزيز القدرة على الانتشار السريع لآلاف القوات والطائرات والمركبات علاوة على القدرة على الانتقال من غرب روسيا إلى المناطق الشرقية عبر آلاف الأميال، ما يشير إلى أن ثمة عمليات تزويد للطائرات بالوقود في الجو. ويوازي عدد القوات المشاركة في مناورة الشرق (فوستوك) - ٢٠١٨ العسكرية عدد القوات التي شاركت في إحدى أكبر معركتين خلال الحرب العالمية الثانية.

ما المشكلات التي تواجهنا فعلاً في القرن ٢١ ؟

*بيل جيتس

صحيفة (نيويورك تايمز) : ٢٠١٨/٩/١٦

يحتاج العقل البشري إلى القلق، وهو ليس بالضرورة أمراً سيئاً. فعلى سبيل المثال "إن كنت مهدداً من قبل دب ضخم، فبعض القلق ربما يكون سبباً في نجاتك. وعلى الرغم من أننا لسنا بحاجة لفقدان النوم والأرق للنجاة من الدببة هذه الأيام! إلا أن الحياة المعاصرة تقدم لنا بعض الأمور المؤرقة أيضاً مثل "الإرهاب، والتغير المناخي، وتفوق الذكاء الاصطناعي، وانتهاك الخصوصية وإلى جانب كل ذلك، الضعف الواضح في أمور التعاون الدولي.

يستعرض بيل جيتس - أحد مؤسسي شركة مايكروسوفت وصاحب مؤسسة بيل جيتس- في مقال نشرته صحيفة «نيويورك تايمز»، الكتاب الجديد للمؤرخ الإسرائيلي يوفال نوح هراري، «٢١ درساً في القرن ٢١». والذي يراه جيتس كتاباً مثيراً للاهتمام حيث يضع إطاراً عاماً لمواجهة المخاوف التي تواجهنا في القرن الحالي. وقد قدم المؤرخ من قبل كتابين "الأول، «تاريخ مختصر للجنس البشري»، والكتاب الثاني، «تاريخ مختصر للغد». وخلال كتابيه السابقين، ناقش المؤرخ الماضي والمستقبل، وهو في كتابه الجديد يتعرض للوقت الحاضر.

يوضح جيتس في مقاله عن الكتاب، أن الحيلة التي تمكننا من مواجهة شعورنا بالقلق ليس من خلال توقفنا عن الشعور تماماً بالقلق، بل بمعرفة أي الأشياء تستحق منا القلق بالفعل، وما مدى القلق الذي يجب أن نشعره تجاهها. وكما يتساءل الكاتب في مقدمة كتابه: «ما هي أكبر التحديات التي تواجهنا اليوم وما هي التغيرات الأكثر أهمية؟ ما الذي يجب أن يحوز على اهتمامنا؟ وما الذي يجب أن نعلمه لأولادنا؟».

وعلى الرغم من أن الكتاب يتناول قضايا وأسئلة هامة عن الحرب والعمل والجنسيات والهجرة ... إلخ، يرى جيتس أن عنوان الكتاب ليس اختياراً موفقاً، بالرغم من وجود عدد من الدروس المستفادة بالفعل. الكاتب في رأي جيتس يرفض الأطروحات المتداولة ويهتم بتقديم ضبط وتعريف محدد للمصطلحات مع زاوية تاريخية وفلسفية.

يعرض بيل جيتس في جزء من المقال مثلاً يراه ذكياً، طرحه الكاتب في كتابه: إلى أي مدى استطاع البشر خلق حضارة عالمية عظيمة؟ يقول الكاتب: تخيل محاولة تنظيم ألعاب أولمبية في عام ١٠١٦؟ آسيا وأفريقيا وأوروبا لم يكونوا مدركين بوجود الأمريكيتين! إمبراطورية «سونج» الصينية لم تكن تتصور أن على الأرض كياناً سياسياً مكافئاً لها على الإطلاق! لم يكن أحد لديه علم لبلاده أو نشيد وطني يُغني في الاحتفالات! أما الآن، فالمنافسة على المستوى الرياضي أو حتى التجاري تقدم لنا بحق اتفاقاً دولياً مذهلاً، والذي بدوره يساعد في التعاون الدولي كما يخلق التنافس. عليك أن تتذكر ذلك جيداً في أي وقت تشعر فيه بالشك في قدرتنا على حل أي مشكلة دولية مثل مشكلة المناخ. ربما تراجعنا قليلاً في التعاون الدولي خلال السنوات الماضية، ولكننا بالفعل قطعنا آلاف الخطوات إلى الأمام على مدار السنين.

من ثم، لماذا نشعر بأننا في حالة تراجع؟ يعتقد بيل جيتس أن السبب في ذلك يعود بشكل كبير إلى فقدان الرغبة في تحمل سوء الحظ والبؤس المحيط. فعلى الرغم من انخفاض معدلات العنف العالمية، نركز بشكل أساسي على من يموت كل عام بسبب الحروب، باعتبار ذلك نوعاً من السخط والغضب تجاه الظلم.

يستعرض جيتس نقطة أخرى في كتاب «هراري» تدور حول التساؤل التالي: في عالمنا المعقد بصورة متزايدة، كيف يحصل أي منا على معلومات كافية للوصول إلى أي قرار مدروس بشكل جيد؟ يبدو أن اللجوء إلى الخبراء هو الخيار الأصوب ولكن ماذا لو كانوا هم أيضاً يتبعون العامة أو الجمهور؟! يقول الكاتب: إن مشكلة الجهل لدى

التفكير الجماعي أو الفردي لا تؤثر فقط على أصوات الناخبين أو الزبائن في الأسواق بل تصل إلى الرؤساء والمديرين التنفيذيين. والذي يؤكد بيل جيتس خلال تجربته في شركة مايكروسوفت ومؤسسة جيتس.

يتحدث جيتس عن فكرة هراري في التعامل مع هذه الأمور، فيقول إن فكرته الرئيسية تدور حول التأمل. بالطبع لا يقصد أن جميع مشكلاتنا سوف تُحل بعد أن نجلس جميعاً في وضعية زهرة اللوتس ونمارس قوانين اليوجا! ولكنه يؤكد على أن مشكلات القرن الحادي والعشرين تحتاج منا جميعاً ذهنًا كامل التركيز. بأن نتعرف بشكل حقيقي على أنفسنا، وكيف نساهم في معاناة حياتنا الخاصة. يقول جيتس: «الأمر يبدو سهلاً للسخرية ولكنني بصفتي الآن أحصل على دورات في التأمل وتنقية الذهن أقول إن الأمر يستحق».

على الرغم من أن الكتاب قد نال استحسان بيل جيتس إلا أنه لم يوافق على كل شيء ذكر فيه. فعلى الرغم من سعادته بوجود فصل كامل عن عدم المساواة، إلا إنه متشكك بعض الشيء فيما يخص تنبؤات هراري عن القرن الواحد والعشرين. حيث يرى هراري أن البيانات سوف تتفوق على كل من الماكينات والأرض باعتبارهم أهم الأصول التي تميز الأغنياء عن غيرهم. ويرى جيتس أن الأرض دائماً تبقى ذات أهمية كبيرة خاصة مع اقتراب سكان الأرض من ١٠ مليارات، وفي نفس الوقت، البيانات هامة لتحقيق الغايات الإنسانية، على سبيل المثال، كيف يتم إنتاج الطعام أو زيادة الطاقة؟ باختصار، لن يكون امتلاك المعلومات هو الميزة التنافسية، بل ما نفعله بهذه المعلومات.

وكما ذكر جيتس أن هراري لاحظ بصورة صحيحة أن المعلومات التي يتم جمعها الآن عبر الأفراد أكبر بكثير من قبل، ولكن هراري لم يميز بين هذه المعلومات. نوع حذائك المفضل أم الأمراض التي يحتمل إصابتك بها وراثياً! من يقوم بجمع هذه المعلومات؟ وفي أي غرض يتم استخدامها؟ بالطبع تاريخ مشترياتك يختلف تماماً عن تاريخك الطبي ولا يتم جمعهم من قبل نفس الجهة، أو حمايتهم من نفس المجموعة، أو حتى استخدامها لنفس الغرض. ولذلك، فالتمييز بين هذه النقاط بالتأكيد سوف يجعل النقاش أكثر فائدة.

كذلك يعرض جيتس جزء التواصل المجتمعي ويقول إنه غير راضٍ عنه، حيث يعتقد هراري أن وسائل التواصل الاجتماعي ومنها فيسبوك ساهمت بشكل كبير في حالة الاستقطاب السياسي، من خلال عزل أنفسهم والتفاعل فقط مع نفس الأفكار ووجهات النظر. يقول جيتس إنها بالفعل ملاحظة صحيحة ولكن هراري غفل عن فوائد تواصل الأسرة والأصدقاء عبر العالم. كما أنه خلق نموذجاً من «الإنسان الهش» الذي يتصور أن وحده فيسبوك يمكنه حل مشكلة الاستقطاب السياسي! بالطبع لا يمكنه ذلك وهو أمر غير مفاجئ بالنظر إلى تداخل مشكلات المجتمع والحكومات، والمجتمع المدني، والقطاع الخاص كلها تلعب دوراً كبيراً في ذلك وتمنى جيتس أن يقول هراري المزيد عن ذلك.

يقول بيل جيتس أنه على الرغم من عدم اتفاقه مع هراري في كثير من الأمور، إلا أنه لا يزال كاتباً محفزاً جعله يريد الاستمرار في القراءة والتفكير. فكتب هراري الثلاثة تتصارع مع الرؤى حول السؤال التالي: ما الذي يجعل لحياتنا معنى في العقود والقرون المقبلة؟ ولهذا فإن تاريخ الإنسان طالما كان مدفوعاً بالرغبة في عيش حياة أكثر سعادة وصحة. فإذا ما كان العلم قادراً على تحقيق هذه المتطلبات ولم يعد الإنسان مطالباً بالعمل بحثاً عن الطعام أو الملابس، فما الذي يدفعنا للاستيقاظ في الصباح؟!

في نهاية المقال يقول جيتس: إنه ليس نقداً إذا قلت إن هراري لم يقدم الإجابة عن السؤال كما لم يفعل أحد غيره. لذا أتمنى أن يعمل هراري بشكل أكبر على هذه الأسئلة مستقبلاً. بينما الآن لقد قدم بالفعل نقاشاً عالمياً حاسماً حول كيفية التعامل مع مشكلات القرن الحادي والعشرين.

بعد ٢٥ عاماً على إبرامها.. ماذا قدمت اتفاقية أوسلو للفلسطينيين؟

* < واشنطن بوست >

صحيفة (واشنطن بوست) : ٢٠١٨/٩/١٦

لافيداي موريس: بعد مرور ٢٥ عاماً الآن على توقيع اتفاقية أوسلو في الحديقة الجنوبية للبيت الأبيض، ومصافحة الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين مصافحة تاريخية، وسط تصاعد تصفيق الحضور، تنشر «واشنطن بوست» تقريراً يعرض عدداً من آراء جيل ما بعد الاتفاقية من الطرفين الفلسطينيين والإسرائيليين في الاتفاقية الشهيرة وكذلك مستقبل الطرفين في ضوء نصوصها.

يقول كل من «لوفداي موريس» و«روث إجلاش» -كاتبي التقرير- إن توقيع اتفاقية أوسلو الأولى في ١٣ سبتمبر (أيلول) عام ١٩٩٣، يعد انتصاراً للسلام بعد عقود طويلة من الصراع، إذ اعترفت الحكومة الإسرائيلية ومنظمة التحرير الفلسطينية رسمياً ببعضهما البعض للمرة الأولى في التاريخ، واتفقتا على السعي إلى التعايش معاً، وإبرام اتفاق دائم للسلام، وعلى الرغم من ذلك، انبثق عن هذا الاتفاق برزخ من العذاب، بدلاً من خلق وضع جديد كلياً مغايراً لما يسبقه.

ويذكر التقرير أن على الرغم من نص الاتفاقية على حكم ذاتي جزئي للسلطة الفلسطينية على بعض المناطق في الضفة الغربية وقطاع غزة، إلا أنها لم تُنه الاحتلال، أو تحقق الأمن لإسرائيل، بل ساعدت على ترسيخ القطيعة، وإقامة حواجز دون إرساء حدود دائمة. فأصبحت علاقة الشعبين تتلخص في أن قليلاً من الإسرائيليين يلتقون بسكان الضفة الغربية، وسكان الضفة الغربية لا يتقابلون مع سكان قطاع غزة، وسكان قطاع غزة لا يتقابلون مع أحد بل إن المكاسب التي أصبح تحققها ممكناً بتوقيع اتفاق أوسلو، أمست آخذة في التبدد، لا سيما بعد إعلان إدارة ترامب يوم الاثنين الماضي، إغلاق مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن. وبينما يجهز البيت الأبيض خطته للسلام التي يروج لها بكثافة، يبدو أن حل الدولتين الذي ترمي إليه اتفاقية أوسلو باعتباره أقصى هدف يمكن تحقيقه، صار احتمال تحقيقه هو الآخر أبعد من أي وقت مضى.

كتب الكثير عن الأخطاء التي وقعت فيها وبسببها الاتفاقية، ولكن ليس هناك رأي جامع حول أي منها، فعلى سبيل المثال اغتيال رابين، الذي ناشد مواطنيه بإتاحة فرصة للسلام، بعد ما يزيد على العامين بقليل من يوم التوقيع في الحديقة الجنوبية للبيت الأبيض، وكان اغتياله برصاص طالب إسرائيلي من اليمين المتطرف. واستمرت إسرائيل في بناء المستوطنات اليهودية في الأراضي المحتلة. وفي ظل الإحباط الذي ألم بالتطلعات الكبيرة نتيجة الأحداث على الأرض، أُلقي باللوم على الاتفاقيات بأنها تسببت في اندلاع موجة جديدة من الانتفاضة الفلسطينية. يعرض التقرير آراء الشباب الذي وُلد في ظل اتفاقية أوسلو، تبلغ أعمارهم الآن ٢٥ عاماً تقريباً، حول الإرث الذي انتقل إليهم، ويشير التقرير إلى أنهم من الطرفين، ربما اتفقوا على أمر واحد فقط، أن موجة التفاؤل التي ولدوا في ذروتها قد تلاشت منذ أمد بعيد.

١. عمري رفتوف

«عمري رفتوف»، شاب إسرائيلي نشأ في تل أبيب، يدرس الفلسفة والتاريخ والاقتصاد في الجامعة العبرية بالقدس المحتلة، أدى خدمته العسكرية بسلاح المدفعية.

يقول «عمري» إن اتفاقية أوسلو ترتبط في مخيلته بإسحاق رابين، وعرفات، وبيل كلينتون، لكنها أيضاً ترتبط بالصراعات التي اشتعلت عقب توقيعها كإغتيال رابين، واندلاع الانتفاضة، ويعتقد أن ما فعلوه كان أمراً شجاعاً متمثلاً في توصل إسرائيل إلى اتفاقية مع فئة لطالما اعتبرتهم جماعة إرهابية. ويعتقد أن تلك الاتفاقية غيرت الوعي الإسرائيلي على نحو حاسم، إذ غيرت من نظرتهم للفلسطينيين، ويضيف أن الإسرائيليين اليوم عندما يفكرون فيمن هم بحاجة إلى التوصل إلى اتفاق معه، يأتي في المقدمة الفلسطينيون قبل السوريين واللبنانيين، موضحاً أن «أول ما يتبادر إلى أذهاننا هم الفلسطينيون، والفضل في ذلك يرجع إلى اتفاقية أوسلو».

إلا أنه يعتقد أيضاً أن الاتفاقية قد تلاشت نوعاً ما مع مرور السنين. ويذكر أنه على سبيل المثال لم يتعامل مع الفلسطينيين من سكان الضفة الغربية على الإطلاق، ويقول «لكم أود أن أזור مناطقهم، لكنني أظن أن هناك العديد من الحواجز. لدي صديق مقرب ذهب إلى ألمانيا والتقى بفلسطينيين، ومن ثم فكرت متعجباً، لماذا نضطر للذهاب إلى ألمانيا كي نقابل فلسطينيين؟ لأنهم يعيشون على بعد ٢٠ دقيقة من بيتي!».

يذكر «عمري» ما حدثه والده بشأنه دائماً «الأوقات التي كان من السهل على الإسرائيليين الذهاب إلى قطاع غزة. لم يكن الأمر مرعباً آنذاك، كان هناك شعور بالنشوة والانشرح عندما وقعت اتفاقية أوسلو، فقد حققنا شيئاً يشبه السلام في نهاية المطاف»، لكنه يقول إنه لم يشعر بتلك النشوة أبداً. وينهى كلامه بأن من المخجل «عدم وجود قيادة تسعى لتعزيز السلام، أو حتى مناقشته، ينطبق ذلك على قيادتنا وقيادتهم، لا أعرف حقاً إن كان ذلك نابعاً من أيديولوجية ما تقول إن السلام لن يحقق الأمن. أنا أتماهى مع فكرة أننا بحاجة إلى الشعور بالأمن إلى جانب السلام».

٢. أنس أبو عريش

«أنس أبو عريش»، مواطن فلسطيني من الضفة الغربية، من بلدة بيت أولا، القريبة من مدينة الخليل، يعمل محرراً في إحدى الوكالات الإخبارية.

يشير «أنس» إلى أن كثيراً من الناس ظنوا أن أوسلو ستجلب بعض التغيير الإيجابي في المنطقة، وكذلك ستتخلص من الحكم العسكري الإسرائيلي، وتأسيس دولة فلسطينية مستقلة بعيداً عن سطوة الاحتلال، لكنه يعتقد أن الناس قد أساءوا فهم هذه الاتفاقية، واعتبروها شيئاً يختلف عما كانت عليه في الواقع. ويضيف قائلاً: «أعتقد أن القيادة حينها رأت أن ليس ثمة طريقة لتحرير كامل التراب الفلسطيني دفعة واحدة، ومن ثم، تكونت لديها تلك الرؤية التي تهدف إلى تحرير فلسطين على مراحل» أعتقد أن ذلك ما كان يفكر فيه ياسر عرفات».

أما عن فترة ما بعد الاتفاقية فيقول: «لم تكن الفترة التي أعقبت اتفاق أوسلو فترة رعد، بل كانت فترة قاسية ملتزمة. كان التواصل بيني وبين الإسرائيليين يقتصر فقط على التعامل مع الجنود الإسرائيليين. إذ يقف الجنود دائماً في نقاط التفتيش، وإذا أردت الانتقال من مدينة إلى أخرى داخل الضفة الغربية، لا بد أن أقابل جنوداً إسرائيليين في طريقي».

وحسب ما قاله فإن اتفاقية أوسلو ساهمت في إنشاء كيان مستقبلي لدولة فلسطينية، إذ نقلت الفلسطينيين من الفوضى وانعدام الرؤية إلى مرحلة صار لديهم فيها مؤسسات فلسطينية، ويضيف: «على الأقل في الوقت الراهن، نستطيع الحديث عن شكل الدولة الفلسطينية المستقبلية التي سوف نبنيها». إلا أنه يعتقد أن «بدون قهر الصهيونية، لا يمكن إحلال السلام في المنطقة على الإطلاق. أعلم أن من الصعب قول ذلك، لكن الحل لأحد الشعبين هو نفسه الهلاك للآخر، إما هلاك الصهاينة، أو هلاك الفلسطينيين».

ففي رأيه ليس هناك أي حل أمام الصهاينة إلا أن يرحلوا إلى حيث أتوا، وهم بلا شك سيرفضون ذلك» «فمعظم الإسرائيليين في نفس عمري نشؤوا في مكان يُدعى إسرائيل، في عالم مختلف عن عالم آبائهم، وبالتأكيد لن يوافقوا على ذلك».

٣. الزوجان يائيلي وناتان دويك

«يائيلي دويك» و«ناتان دويك»، زوجان إسرائيليان، نشأ كلاهما في مستوطنة في الضفة الغربية، ويعيشان حالياً في مستوطنة أخرى، تُعرف باسم كريات نتافيم، مع طفليهما. يعمل «يائيل» مساعداً إدارياً لدى شركة أدوية، وتدير «ناتان» مصنعاً.

تقول «ناتان» إنها وزوجها لم يعرفا الكثير بشأن اتفاقية أوسلو، لذا، هرعا إلى محرك جوجل للبحث. تقول «ناتان» إنها ما إن بحثت حول الاتفاقية، فهمت أن جل ما حققته الاتفاقية، أن سمحت بتأسيس دولة فلسطينية، وأن تكف

إسرائيل يدها عن المنطقة. بينما يقول «يائيلي» إنه يتذكر والدته، عندما كان صغيراً، تنتقد الاتفاقية برمتها، مرددة أن «العرب سيئون، والاتفاقية سيئة، ولن يُنفذ أي شيء من هذه العملية»، إذ كان يُنظر إليها من جانب غاية في السوء.

أما عن علاقتهما بالفلسطينيين، تقول «ناتان» إنها تعرف فلسطينيين بالفعل في العمل، لكنها علاقة عمل بشكل أساسي. إلا أنها تصفهم بـ«الأصدقاء»، فتذكر على سبيل المثال أن في كل عيد عند الفلسطينيين، يحضرون معهم حلوى وأشياء أخرى لزملائهم من اليهود.

يضيف «يائيلي» إن الفلسطينيين «ودودون جداً» فعلى سبيل المثال، يقول الإسرائيليون دائماً، إن تعثرت وسط عاصفة ليلاً لن يهب لمساعدتك سوى العرب، كناية عن أن العرب يساعدونهم في أوقات الشدة. وترد «ناتان» قائلة: «أنا لم أذهب إلى مناطقهم. هناك قصص كثيرة عن إسرائيليين ذهبوا إلى مناطق أصدقائهم الفلسطينيين، لكنهم لم يخرجوا أحياء».

يعتقد «يائيلي» أن الطرفين لو أرادا سلاماً حقيقياً «فإن فكرة دولتين منفصلتين لشعبي لن تحقق النجاح المنشود. لهذا السبب، ومن أجل أمننا وسلامتنا، يتحتم علينا السيطرة على الأمور». بينما تعتقد «ناتان» أن هناك كثيرين يريدون فعل أي شيء في سبيل تحقيق السلام، «لكن الأمر يبدو وكأن أقدامنا جميعاً قد غاصت بالفعل عميقاً في الوحل» فمن ناحية، الإسرائيليون يريدون دولتهم. إنها أرض الميعاد، وهي حق لنا. وقد عدنا إليها، وفزنا بها. ومن ناحية أخرى، هناك شعب آخر يريد لها أيضاً. نحن لا يمكننا بأي حال من الأحوال تقسيم شيء ارتبطت به أمتان بهذه الطريقة».

٤. رباب الحاج

«رباب الحاج»، فلسطينية تعيش في قطاع غزة، حيث درست اللغة العربية في الكلية، وتعمل الآن بدوام جزئي في التسويق الإلكتروني.

تعتقد «رباب» أن القضية الفلسطينية بيعت عندما وقعت اتفاقات أوسلو، وتقول إن «ياسر عرفات وقع عليها تحت ضغط، على الرغم من أنها لم تحتو على أي شيء لصالح الفلسطينيين، إنهم السبب في حياتنا البائسة الآن» هم السبب وراء خسائر جميع الأجيال القادمة. ضاع مستقبلنا، ولا يفكر الناس سوى بالهجرة، ففي كل بيت فلسطيني تقريباً هناك شخص غادر إلى الأبد».

تضيف «رباب» أن لديها أصدقاء في الضفة الغربية، لكنهم تعارفوا عبر الإنترنت، ولم يلتقوا قط، وهذا بمثابة حلم وتقول: «نتحدث دائماً عن لقائنا، لكنني أشك في أنه سيحدث أبداً». على سبيل المثال تقول إنها سافرت خارج غزة مرة واحدة فقط، عندما كانت صغيرة مع عائلتها إلى مصر، إذ درس والداها في مصر، ولديها العديد من الأقارب هناك. أما بالنسبة للضفة الغربية، تقدمت بطلب عدة مرات للحصول على تصريح، لكنها لم تفلح في الحصول عليه أبداً. تعتقد «رباب» أن كل شيء بشأن تلك الاتفاقية كان مزيفاً، «أنى لنا التحدث عن سلام بينما يوجد قصف وقتل يومي تقريباً؟ بحجة أن الفلسطينيين هم الإرهابيون دائماً».

وحسب رأيها فإن تحقيق سلام مع إسرائيل «أمر ليس ممكناً» إذ يلتزم الفلسطينيون دائماً بجانبهم من الاتفاق، لكن الإسرائيليون لا يلتزمون أبداً بأي اتفاق تم توقيعه. يراوغ الزعماء الفلسطينيون عندما يتحدثون عن إمكانية تحقيق السلام. تذكر «رباب» أن الإسرائيليون صادروا قريتها الأصلية، وهم يعيشون هناك الآن، في حين أنها لا تستطيع حتى رؤيتها. تقول: «لا أعرف كيف سيحدث السلام في مثل هذا الموقف، ولا أعتقد أن حل الدولتين هو الحل الأفضل، نحن بحاجة إلى أرضنا».

«أحمد الشيخ» فلسطيني يدرس الإعلام في جامعة القدس في أبو ديس في الضفة الغربية بعد أن سجن لمدة ثلاث سنوات بتهمة إلقاء الحجارة على الإسرائيليين.

يستهل «أحمد» حديثه بذكر رأيه في الاتفاقية قائلاً «للأسف، لم تكن هناك أية نتائج لاتفاقية أوسلو، ولسوء الحظ، لم تحترم السلطات الإسرائيلية أي اتفاق أبرمته، فضلاً عن أن المفاوضات الفلسطينية لطالما كانت ضعيفة». ويعتقد أن الاتفاقية لم تفصلهم جغرافياً فحسب، بل اجتماعياً وثقافياً أيضاً يقول إن «القدس منفصلة عن الضفة الغربية، لا يستطيع الناس التواصل بحال من الأحوال، فضلاً عن أنني لا أستطيع الذهاب إلى القدس. وعلى سبيل المثال تزوجت أختي شخصاً من العيسوية -حي بالقدس الشرقية- ولم أراها لمدة ست سنوات».

إلا أنه يوضح موقفه من تقسيم فلسطين، فيقول: «سأقبل بالحدود التي أوجدتها حرب ١٩٦٧ باعتبارها تدييراً مؤقتاً، وسأقبل بواقع احتلال إسرائيل للأراضي التي احتلها في عام ١٩٦٧، وكذلك الحق غير المشروط في العودة، لكنني لن أقبل تقسيم القدس» القدس كلها فلسطينية للشعب الفلسطيني، ولن أقبل بوجود دولة إسرائيلية على أرض فلسطين. سأقبل وجود الشعب الفلسطيني واليهودي في دولة واحدة، لا يهم من سيديرها، لكنني لن أقبل بدولة صهيونية».

يقول والد أحمد، «محمد الشيخ» -٧٣ سنة- «كان الكثير من الناس سعداء، أتذكر ذلك جيداً. لكننا يومياً بمرور الأيام فقدنا الانتفاع بالأرض، خسرنا الأرض يومياً لصالح المستوطنات الإسرائيلية. نحن لسنا ضد الشعب اليهودي، فقط ضد أولئك الذين طردونا» الآن صار وضعنا أسوأ مائة مرة من التسعينيات».

ويوضح أنه لا يطلب فلسطين كلها، لكنه يقول: فقط أعطني شيئاً، بل مجرد دولة واهية، دولة ضعيفة للغاية. بل أنهم لا يعطونا حتى أقل القليل من الأرض» أو حتى الضفة الغربية فقط، وينتهي حديثه بأنه سيفضل استرداد قريته «أمواس»، حتى لو عرضوا عليه الجن» لا يستبدلها أبداً.

٦. ستاف نسيم شوشان

«ستاف نسيم شوشان» إسرائيلي ترعرع في كيبوتس ماتسوبا في الجليل، يعمل لصالح شركة إنتاج بعد إنهائه الخدمة العسكرية في وحدة دبابات.

يقول «ستاف» إن الاتفاقية التي وقعت قبل ٢٥ عاماً من الآن، هي من خطت واقع اليوم، لم يكن الهدف حينها إنشاء دولة، بل إنشاء سلطة، وبعبارة أخرى أقل قليلاً من بلد، حتى تظل إسرائيل قادرة على تتبع وضعها الأمني، ولكن كي يمنحها بعض الاستقلالية» واعترفت فلسطين هي الأخرى بإسرائيل، أو أظن قادتهم هم من تقابلوا.

يذكر «ستاف» أنه كان يلتقي بالفلسطينيين فقط خلال خدمته العسكرية، بحيث كان موقع خدمته في الضفة الغربية، لمدة ثمانية أشهر، ويشير إلى أنه عندما كان جندياً يرتدي الزي العسكري، «بالطبع كنت أرى أن حياتهم من الخارج مختلفة تماماً عن الواقع»، وفي إحدى المرات يقول إنه ومجموعة من أصحابه ذهبوا إلى قرية» كان الأمر مريحاً للغاية وباعثاً على الاسترخاء، ويضيف «جاء الشباب الفلسطيني للتحدث إلينا حول كرة القدم، وعن برشلونة وريال مدريد، والشاطي في تل أبيب». ويقول إن حلمه حينها كان أن يصبح محامياً ويذهب إلى تل أبيب.

في نهاية المطاف، يقول «ستاف» إنهم يتشاركون جميعاً بعض النواحي التراثية والتاريخ نفسه، ويعتقد أنه سيكون من المدهش زيارة رام الله وتناول الحمص هناك، يقول «كنت سأذهب إذا شعرت بالأمن والأمان، وربما لو كنت أتحدث العربية، لكن أن أذهب غريباً يبدو علي ظاهرياً أنني يهودي، قد يكون أمراً رائعاً، لكنني لست متأكداً من مدى صحة ذلك». ويختتم كلامه قائلاً إن في مجموعة أصدقائه المقربين «نحن نؤيد السلام، لكننا لا نتحدث حول ذلك كثيراً حقاً» نحن مشغولون ببناء حياتنا».

ثقافة المعارضة عند الغوغاء

*د. إميل شكرالله

حرية التعبير التي تهدف إلى خلق الفوضى لا تسمى معارضة

موقع إيلاف السعودي: ٢٠١٨/٩/١٧

"استخدام الحقوق ليس من الضروري أن يكون دائماً مفيداً" هذه النظرية عادة نبرهنها للطلاب في علوم الرياضيات. فأحياناً يكون للطلاب الحق في استخدام طريقة معينة لأنها لا تتطلب شروطاً محددة على المسألة، ولكن عن التطبيق يجد أنها لا تؤدي إلى النتائج المرجوة!! ولذلك من الحكمة عند استخدام الحق أن نتأكد من أنه سوف يؤدي إلى الحلول الصحيحة. علينا قبل أن نبحث عن الحل أن نتأكد أنه موجود حتى لا يضيع الجهد في البحث عن أشياء غير موجودة.

من هذه الحقيقة العلمية البسيطة أجد أنه من الضروري أن نعرف الحق في المعارضة وكيف يتحول عند الغوغاء إلى "مقاومة" حيث يعتقد الغوغاء أن لهم الحق في حرية التعبير عن الرأي حتى ولو كان هذا الرأي مدمر للاستقرار الأمني وللسلم الاجتماعي للمجتمعات التي يعيشون فيها. في الحقيقة أنني بحثت في معظم القواميس العربية فعرفت أن الغوغاء هم السّفلة والرّعاع من النّاس " لكثرة لَغْطهم وصياحهم بدون هدفا واضحا. فالغوغاء لا يفهمون الفروق بين معاني المعارضة و المقاومة.

في العلوم السياسية يمكن لنا أن نلخص مفهوم المعارضة على أنه الرأي الآخر الذي يحسن ويضبط سياسات الحكومات في اتجاه تحقيق خطط الإصلاحات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية وذلك عن طريق تقديم المشورة والنصيحة المخلصة من خلال مجالس النواب.

بيد أن الكثيرين ممن يعتبرون أنفسهم معارضين لا يهدفون إلى تقويم السياسات الحكومية بل إلى مقاومتها وحتى إلى هدمها وطمس إنجازاتها إن أستطاعوا إلى ذلك سبيلاً وذلك لأنهم من الهوجاء الذين إذا ما دخلوا في فضاء السياسة أذاعوا الشائعات وحرفوا الواقع وقلبوا الحقائق بهدف تشتيت قدرات وطاقات الحكام والحكومات عن الاتجاه قدما نحو تحقيق طموحات الشعوب.

تعالوا أنظروا ما هي آليات المعارضة الصحيحة التي تنتهجها الدول الحديثة.. فقد صرحت السيدة أندريا ناليس "الحزب الديمقراطي الاشتراكي لن يوافق، لا في البرلمان ولا في الحكومة، على مشاركة ألمانيا في الحرب في سوريا". وكان ذلك رداً على تصريحات المستشار المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل " إن ألمانيا لا يمكنها أن تدير ظهرها لدى حدوث هجوم على مدينة إدلب بسوريا". كما قال بعض الخبراء رداً على سؤال للحزب اليساري الراديكالي "دي لينكه" المعارض للضربات إن "استخدام القوة العسكرية ضد دولة لمعاقبتها على انتهاكها اتفاقية دولية يشكل انتهاكاً لحظر اللجوء إلى العنف الذي ينص عليه القانون الدولي".

هكذا يتضح أن مكان المعارضة الوطنية هو في البرلمان أو في اجتماعات ومناقشات الحكومة وأن الرأي المعارض يجب أن يكون مع مصالح الدولة بالحجة القانونية وتقديم الحلول البديلة وليس ضد المصالح العليا للبلاد كما يفعل الغوغاء.

لكن من الجهة الأخرى نرى أن على الحكام العرب والحكومات والشعوب دوماً أن يتأملوا في القول الحكيم "قَالَ سَنَنْظُرُ أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ" بالتوازي مع " إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ".

أيها الحكام العرب إن الغوغاء الذين يدعون أنفسهم معارضين ليسوا كذلك.. انهم مقاومون أشرار والمقاومة شيء والمعارضة شيء آخر. فالمعارضة تهدف كما اسلفنا الى تحسين الأداء أما المقاومة فتهدف إلى عرقلة بل وهدم الإنجازات.. المقاومة تهدف إلى إحباط الشعوب.. المقاومة تهدف إلى تشويه صورة الحكام والمسؤولين ونشر مقاطع إعلامية ومقاطع فيديو هات من هنا ومن هناك لأفساد السلم الاجتماعي حيث يقدمون معلومات مبنية على الأوهام وكما قال ستيفين هوكينج " وهم العرقة أخطر من الجهل".

إن أخطر عدو تواجهه المنطقة العربية هم المعارضون الهوجاء الذين تمولهم للأسف دول معادية للعرب وتمولهم بالمال وتفصح لهم الفضائيات التي تديرها بعض أجهزة الاستخبارات المعروفة أو المجهولة بهدف أسقاط الدول التي لم يستطيعوا إسقاطها بآليات ما يسمى الربيع العربي.

إن مقاومة الدول المستقرة أمنياً لا تسمى معارضة.. مقاومة السلم الاجتماعي لا تسمى معارضة.. مقاومة الإصلاحات الثقافية والفكرية لا تسمى معارضة... نشر الأكاذيب والشائعات عن المسؤولين والحكومات لا تسمى معارضة... حرية التعبير التي تهدف إلى خلق الفوضى لا تسمى معارضة... حرية الرأي التي تساعد الدول والكيانات العدوة على إضعاف الدول المستقرة واسقاطها ليس معارضة. ولذلك فهؤلاء ليسوا بمعارضين بل مقاومين يجب التصدي لهم بكل القوة والحزم وأن تتخذ ضدهم الإجراءات القانونية والدستورية باعتبارهم جناة في حق شعوبهم وأوطانهم.

على الحكام العرب ألا يسمحوا بالمصالحة مع أولئك المقاومين الفسدة الفاسدين والحقدة الحاقدين الذين قاوموا ولا يزالون يقاومون في العلن والخفاء من خلال الفضائيات ووسائل التواصل. لا تبالوا بمن ينادي من وقت لآخر بالتصالح بين النور والظلام لأنه إما جاهل جهول وإما مسيس ممول خائن وعميل وهو أيضاً يدخل ضمن قائمة المقاومين الهوجاء، مع خالص التحيات والتقدير.

shoukrala@hotmail.com

النقد في الإعلام.. تطوير ودعم له

*الدار خليل

روناهي: ٢٠١٨/٩/١٧

يعتبر الإعلام سلاحاً قوياً يتم استخدامه وبخاصة في الوقت الحالي وفي الوضع الراهن، حيث تعتمد الكثير من الأطراف على سياسة إعلامية خاصة أولئك الذين يحاولون إخفاء الحقائق وتقديم مشروعاتهم بعكس ما هو في الباطن، اعتماد الكثير من القوى على الإعلام كسلاح نابع من أهميته ودوره. لقد تعرض شعبنا لحملة إعلامية شرسة مع بداية حالة التنظيم الذاتي في شمال وشرق سوريا، حاولت المخططات المذكورة تقديم مشروعنا على أنه عكس ما ننادي به، أطلقت حملات التشويه وخاضت ضدنا مخططات خاصة كان هدفها تجريد الحقيقة ومنع تطور الحالة الموجودة على الأرض. نؤمن بأن الإعلام له دور في رصد الحقيقة. لذا، أولينا الاهتمام به ولكن خبرة القوى المعارضة ضد مشروعنا ولأنها تركزت على أكاذيب وتلفيقات سبق وأن جربتها واستولت من خلالها على عقول وأذهان البعض كانت هي الأقوى (هنا لا نبرر إنما نشخص). تجربتنا الحديثة في الإدارة والإعلام وإن كان عمرها قصيراً إلا أننا نشتم ما تم تقديمه خلال الفترة التي مضت. لكن، تطلعاتنا لا تقف عند حدود معينة ولا عند نهاية إفشال مشروع معين مضاد، حقيقة الاستهداف تتطور دوماً بحسب التبدلات والمتغيرات وما نحتاجه دوماً هو متابعة وتطوير ومواكبة، الجانب الأهم هو انفتاحنا على النقد وتقبله ومحاولة جعله الطريق السهل نحو النجاح مع التدقيق الكبير، نحتاج لكل الآراء والرؤى كافة وأن عزمنا على النجاح لن يكون دون سماع الآراء وتقبلها ولا بد لنا من أن نؤمن بأن عملنا واستمرارنا فيه يعني أننا قد نقع في أخطاء والنقد هو إنقاذ لنا. لذا، علينا التفكير بهذا المنطق لا المنطق الذي يؤمن بالموت على المذبحة دون الإنقاذ من خلال النقد.

من أجل تطوير الحالة الإعلامية وصناعة رؤية إعلامية تواكب حالة مشروعنا الديمقراطي ونوعيته وملائمته علينا التحلي بأفاق واسعة لمشروعنا كونه الحل للمعضلات التي تجذرت في المنطقة وعلى وجه الخصوص مشروع الأمة الديمقراطية السبيل الأضمن نحو خلاص أكيد لكل المشاكل التي تسببت نتيجة تداخل السلطة والمال والاحتكار والصهر الثقافي والتاريخي وانزياحات الانتماء التي نجحت في البعض منها الدولة كمفهوم والسلطات الموجودة التي تعكسها يجعلنا ندفع بثقة، لذا نحتاج إلى أن نتعامل مع النقد بمنطق التطوير وبخاصة النقد البناء، أن نتعامل مع ما يتم وروده إلينا بخاصة من الذين هم خارج المنطقة والذين ينظرون إلينا بعين أخرى بروح عالية من التقبل، نحن نعيش في ثورة حقيقة وهذه الثورة في داخلها تفاعلات كثيرة لأننا نريد تغيير ما تأكل وبلغ نصيبه من الصدا.

عملية التجديد والتغيير لن تكون خاصة في المجال الإعلامي دون أن ننفتح على كل الآراء، تظهر أخطاء من البعض ممن هم حريصون على هذه الثورة وعلى شهادتها وعلى مكتسباتها لكن الحفاظ الأكمل يكون من خلال تطويرها وليس منع سماع الآراء ومنع تقبل النقد، لدينا مؤهلات كافية لتمييز بين النقد البناء والنقد المشوه فلماذا ننع في أخطاء ولدينا حقائق ووقائع، تعاملنا مع ما هو صحيح وإن كان التلافي أو التدارك يكون السبيل نحو التطوير دوماً، في الحفاظ على ما تم إنجازه أحدث، أما مقابل ذلك، فإننا نحتاج كذلك لعدم التصرف بردة فعل، من يطرح النقد عليه تقبل النقد، ويظهر الوعي بشكل كبير في تقبلنا للنقد غير الصحيح ومن ثم العمل على تصحيحه من خلال النقاش والحوار، من ينقد يريد التصحيح فلماذا لا نصح ما يورد إلينا وإن كان خطأ إذا؟؟ نحن نحمل مشروعاً ريادياً، الأولى بنا أن نتم بعض ونتدارك أخطاءنا بالنقد والتطوير، الترشق في هذا الوقت ليس مناسباً أكثر من أي وقت مضى، وعينا يقودنا إلى التقدم وحوارنا الوطني المسؤول يحقق لنا التأثير والثقل. علينا كذلك التعامل مع التطوير الذي يجب البحث عنه على الدوام أنه في أساسه المتين يعتمد على تقبل النقد ومتابعة التطورات وأن نتجرب بقدر حبنا للحفاظ على ثورتنا ومكتسباتنا من العقلية الضيقة أو المحدودة في التعامل مع الوارد دوماً من النقد. لدينا من الحقائق الكثير ما يجعلنا أقوياء في مواجهة أية مواقف. لكن ذلك لا يمنع من أن نتناول الرؤى التي تأتي بحكم إنها تريد دعمنا في النجاح، الإعلام يعني المهنية، يعني الأخلاق والحقيقة، حيث المهنية تقتضي البحث الدائم عن التطوير وتقديم أطروحات الإيصال الصحيح للمادة، والأخلاق يعني المسؤولية في ذلك والتعامل السليم مع الوقائع دون إضافة شوائب يمكن أن تخلق تشويشاً عن الحقيقة، أما الحقيقة فهي ما يجب أن نوضحها دوماً ولا نتمسك بشيء ونقدمه على أنه الحقيقة مع إخفاء الجزئيات الهامة فيها، في كل هذه الأمور تقبل النقد إجراء طبيعي وعامل مساعد لتحقيق النجاح دوماً، نتطور بحجم انفتاحنا على التطور، أما الانعزال والإصرار على الرأي دون التفكير فيه بعمق فيضيق من آفاق النجاح ويحد من جوانب الإبداع دون شك.

الحرب الأهلية العالمية

*عادل درويش

صحيفة (الشرق الأوسط) : ٢٠١٨/٩/١٧

العنوان يبدو متناقضاً مع نفسه، فالحروب الأهلية، كانت دوماً داخل الدولة القومية الواحدة، حتى إذا سُمي بعضها حروب استقلال بانقسام منطقة جغرافية كدولة مستقلة، أو اتسعت بتدخل قوى عالمية لدعم الأطراف فلا تزال أهلية لا حرباً عالمية.

لماذا اخترنا العنوان كإضافة للقاموس الصحافي؟

بواخر الحرب الأهلية تبدو في أمريكا، وبريطانيا، وأوروبا، والشرق الأوسط، وبينها عوامل مشتركة، عابرة للحدود، وتتداخل وتتقاطع معها مصالح الاستثمارات والمؤسسات عابرة الجنسية، والحكومات، وأيديولوجيات التيارات السياسية المتصارعة داخلياً في بلدان أخرى في قارات عدة.

ليست حرباً جغرافية، أو عرقية أو طائفية بل أيديولوجية ثقافية بين مفهومين لشكل المجتمع، ومنظورين للعالم، وكل طرف متشدد في رفضه الحلول الوسط، والتعنّت من ملامح الحروب الأهلية التي تنتهي عادة بهزيمة ساحقة لطرف، أو استقلاله جغرافياً.

ولأن القوتين المتصارعتين تجدان دعماً من قوى مشاركة أيديولوجياً، وحكومات ومؤسسات ومنظمات دولية عابرة للحدود، تتخذ الحرب الأهلية ملامح الحرب العالمية.

شهد عصرنا ثلاث حروب عالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)، والثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥)، والثالثة الحرب الباردة (١٩٤٧ - ١٩٩١).

النظام العالمي الجديد تطور إلى الحرب الرابعة.

ليست بين تكتلات دولية، وإنما الحرب الأهلية العالمية.

لندن صباح الأربعاء: النائب المحافظ الأرستقراطي جي كوب ريس - موغ، ابن المؤرخ الراحل البارون ويليام ريس - موغ (١٩٢٨ - ٢٠١٢) يحمل طفله الرضيع، ويودع طفليه الصغيرين في طريقهما إلى المدرسة، اعترضهم محتجون متطرفون يتزعمهم رئيس الجماعة الفوضوية «الحرب الطبقيّة» (شعاراتها «اكروهوا الأثرياء») «حطموا المؤسسات» كالبوليس والمدارس.

خاطب الأطفال المذعورين «تعرفون أن أباكم شخص غاية في الفظاعة؟ كثير من الناس لا يحبون أباكم... ربما لم يخبركم أبوك بذلك، لكنه بالفعل مكروه من الكثيرين». أما الفرع النسائي من «الحرب الطبقيّة» فاستهدف في المساء نفسه مربية أطفال ريس - موغ وزوجته.

بررت «دكتورة» في العلوم السياسية في جامعة لندن الاحتجاج في وجه أطفال دون العاشرة، قالت لتلفزيون «سكاي»، إنها تحيي «شجاعة» المحتجين، وتدعمهم في «شن الحرب الطبقيّة على أرستقراطيين مثل ريس - موغ».

خروج ريس - موغ بصحبة أطفاله الكثيرين (النائب وزوجته متدينان والكاثوليكية تحرّم تحديد النسل) إلى الشارع، في رأي الدكتورة، تصريح سياسي يجعل الأسرة «هدفاً مشروعاً لكل من يرفض القيم التي يمثلها». تشابه كبير مع تبريرات مثقفين أمريكيين في استهداف الجماعات النسوية واليسارية طفلاً في الثانية عشرة بالاحتجاجات المهينة لأنهم مناهضون لسياسة وشخصية أبيه الرئيس الأمريكي دونالد ترمب.

الجماعات النسوية واليسار والليبراليون احتجوا على استمرار حبس مواطنة بريطانية في طهران بالتظاهر في الشهر الماضي أمام الخارجية البريطانية لا أمام السفارة الإيرانية في لندن.

العوامل المشتركة، أن ترمب، مثل ريس - موغ، يرفضان الإجهاض من أسس دينية، كقتل نفس، ورغم تباين الأسلوب (ترمب المباشر والمسبب للحرّج كثيراً، وريس - موغ المذهب بارد الأعصاب)، فكلاهما متمسك بالقيم المحافظة، مؤيد لاستقلال بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي، ويرى النظام الإيراني منتهاكاً لحقوق الإنسان وخطراً على السلام العالمي.

ستراسبورغ - الثلاثاء: قوبلت كلمة الزعيم المجري فيكتور أوربان أمام البرلمان الأوروبي، بمقاطعات لا تليق ببرلمان يرفع شعارات الليبرالية مثل التصفير وصيحات «عنصري» و«فاشي» من الخضر والنسويات والليبراليين والاشتراكيين من نواب نيف وعشرين بلداً أوروبياً.

المفوضية الأوروبية تفرض عقوبات على حكومة المجر المنتخبة ديمقراطياً لالتزامها بوعودها للناخب، ورفضها قرارات المفوضية غير المنتخبة.

وصراع مشابه مع حكومة بولندا المنتخبة لرفضها شروط بروكسل ومع الحكومة الإيطالية الجديدة حيث تصطدم رغبة أغلبية الناخبين الإيطاليين مع المفوضية.

لكن الأخيرة تعترف بنعم «اليسار الليبرالي» المجري (أقلية) والبريطاني (أقلية) والبولندي (أقلية) والإيطالي (أقلية). «اليسار الجديد» الأوروبي ممثلاً في مؤسسات الاتحاد لا يتعاطف مع يسار هذه البلدان فحسب، بل يدعمهم مادياً وباللوائح التنظيمية.

«اليسار» وأضيف «الجديد»، أستخدمه مجازاً لأن القوى الجديدة ليست اليسار التقليدي المثقف الاشتراكي التقدمي“ ولم يعد «الليبراليون الجدد» متسامحين يقبلون التعددية وحرية التعبير.

مؤسسات صناعة الرأي العام تتخذ موقفاً معاكساً لحكومات انتخبتهما الأغلبية، فتلحق برؤساء هذه الحكومات صفة «شعبي» التي تترجم احتقار المثقفين للطبقات الأقل حظاً في المجتمع رغم تشدق النخبة الليبرالية المثقفة التي تسيطر على الصحافة الليبرالية والمؤسسات السياسية بمصطلحات المساواة وتذويب الفوارق الطبقة.

المواجهات مع أطفال ريس - موغ، وفي البرلمان الأوروبي، هي معارك متفرقة في الحرب الأهلية العالمية الثقافية بين قبيلتين أيديولوجيتين.

صورة الحرب أكثر وضوحاً في أمريكا لاحتدامها بين الرئيس ترمب وناخبيه في ناحية، وبين المؤسسة الحاكمة التقليدية في ناحية أخرى، تجاوزت الانقسام الحزبي بين الجمهوريين والديمقراطيين.

المؤسسة الليبرالية النخبوية اعتبرت فوز مرشح من خارج المؤسسة التقليدية غشاً في الامتحان“ فلا بد من إلغاء النتيجة.

منذ اختراع الأثينيون الديمقراطية (٥٠٧ ق.م) وحتى اليوم، تنتهي الانتخابات التمثيلية بتولي ممثلي الأغلبية الحكم.

لكن الأقلية التي خسرت الانتخابات (في تصويت الاتحاد الأوروبي، والرئاسة الأمريكية، وبولندا والمجر وإيطاليا) ترفض قبول النتيجة الديمقراطية“ لأن الطبقات «الشعبوية» في نظرها «غير جديرة» بالحكم.

فصل جديد في تاريخ الإنسانية هو الصراع الأيديولوجي الثقافي، فالقبيلتان المتصارعتان في أنحاء العالم كافة تنتميان إلى عالمين مختلفين.

التعليم الأكاديمي والحرم الجامعي في ستينات وسبعينات القرن الماضي، حيث تلقى أبناء الطبقات المتوسطة العليا تعليمهم (وهم اليوم المؤسسة الحاكمة حول العالم: صفوة الأكاديميين ومديرو مؤسسات صناعة الرأي العام)“ كانا ساحة اغتيال القيم الاجتماعية، واعتبار الإرث الإمبراطوري، والقيم المحافظة (وهي التي وفرت لهم التعليم والتفوق) كالأسرة والوطن، ثياباً لا تصلح للعصر يتنافس الليبراليون والمثقفون على التخلص منها.

تيارات معسكر الليبرالية الجديدة تتوحد بالالتفاف حول أهداف عالمية متناقضة كإسقاط الرئيس ترمب وتوحيد أوروبا الفيدرالية رغم أنف أغلبية الناخبين وضع شعارات البيئة الخضراء قبل أرزاق العاملين والتعاطف مع جماعات كـ«الإخوان المسلمين»، والنظام في إيران“ ودعم زواج المثليين والإجهاض كقضية سياسية وإخضاع المجتمع الذكوري «القديم» للسيطرة النسوية واستبدال «ديانات جديدة» كالبينة والنسوية والديكتاتورية الليبرالية بالقيم الأخلاقية وحرية التعبير، وحرية الاختيار“ وخوض الحرب الثقافية ضد المحافظين التقليديين من الجيل القديم الذي بذل التضحيات ليضمن لهم حرية التمرد الاجتماعي فحولها حرباً أهلية كونية على العالم المألوف.

يبحث الفقراء والعاملون المظلومون الضائعون بين المعسكرين عن ممثلهم بانتخاب «الخوارج» («الشعبيين» في لغة المثقفين الموسرين).

ولهم أيضاً معسكرهم العالمي العابر للحدود.

التحالفات الدولية.. صعوبات وتحديات تفرض نفسها !!

*أحمد بن سالم الفلاحي

صحيفة (عمان) العمانية: ٢٠١٨/٩/١٧

منذ الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) وصولاً إلى بدء وانتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ظلت فكرة التحالفات قائمة، وتكون خلال هذين الحربين حلفان، كل حلف روج لنفسه أنه جاء ليقف غطرسة الحلف الآخر، ويقيم العدالة في العالم، وتكون على إثر ذلك معسكران متناوئان عبر حلفي وارسو والأطلسي «الناتو» خلال الحرب الباردة التي سبقت سقوط الكتلة الشيوعية، تفرض بعض المفاهيم سطوتها وقوتها، انعكاساً، لما تظهره من نتائج على الوقع، ومن خلال هذه النتائج تستحوذ على الاهتمام الخاص والجاد، وبالتالي تصبح مثار جدل، وأسئلة تبحث عن إجابات مقنعة، خاصة عندما يحمل الواقع صوراً غير تلك التي تشير إليها هذه المفاهيم أو تلك، ومن هذه المفاهيم «التحالفات والتكتلات الدولية» والحديث هنا لا يبحث عن النشأة والتطور، لأنها مفهوم قديم ومعروف، ويعود إلى العصر الجاهلي.

كما توثق بعض المصادر عن «حلف الفضول» على سبيل المثال: «أحد الأحلاف الجاهلية التي شهدتها قريش، حيث تم عقد هذا الحلف في دار عبدالله بن جدعان القرشي، وهو من أسياد قبيلة قريش وكان الحلف بين عدد من عشائر القبيلة في مكة المكرمة، في شهر ذي القعدة من عام (٥٩٠) ميلادي وذلك حدث بعد شهر من انتهاء (حرب الفجار) بين قيس عيلان وكنانة، وقد شهد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ذلك الحلف قبل البعثة حيث كان عمر الرسول صلى الله عليه وسلم ٢٠ سنة، حيث قال: «لقد شهدت مع عمومي حلفاً في دار عبدالله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت» وذلك حسب موقع (<https://mawdoo3.com/>) ويأتي العصر الحديث، وتتأصل أكثر وأكثر مفاهيم الأحلاف والتكتلات الدولية، ولدواع سياسية بحتة، تحت عناوين كثيرة، معلنة وغير معلنة، منها ما تكون على مستوى الإقليم الواحد، ومنها ما يتخذ بعداً دولياً أكبر، حتى يتجاوز مساحة القارة الواحدة.

ويؤرخ العصر الحديث لأهم تحالفين أنشأ بعد الحرب العالمية الثانية، وهما: حلف شمال الأطلسي «للكتلة الغربية» وحلف وارسو «للكتلة الشرقية»، وهما الحلفان المعلن عنهما وفق معاهدات جمعت بين مختلف الدول في كل حلف على حدة، ومنذ ذلك التاريخ أي في منتصف القرن العشرين المنصرم، وإلى اليوم ظل مفهوم التحالفات والتكتلات الدولية يأخذ مساره عبر مختلف العناوين: السياسية منها، والاقتصادية، ويتكئ في كثير من الأحيان على مبررات ربما قد لا تكون منظورة لمختلف الأطراف، إلا للأطراف التي تتقارب لتكوين حلف ما، تحت عناوين مخفية، تظهر بعد ذلك وخاصة عندما تنشب صراعات ومواجهات عسكرية بين أطراف الحلف، وبين أطراف أخرى تجر إلى ميادين الصراع من غير حول منها ولا قوة.

يذهب الحديث هنا أكثر إلى الإجابة عن الأسئلة التالية، وهي الأسئلة التي تتقارب إلى البحث عن ما يحمله العنوان أعلاه، ومن ذلك: هل هي حقيقة أن التحالفات أياً كان نوعها ومقاصدها تبحث عن مسحة شرعية للبقاء والوجود لمجالات عملها؟ محور البحث عن «قوة» إضافية هو الهاجس قبل البدء في تكوين تحالف ما، هل يعتبر ذلك نية مبيتة لحقيقة توجهات هذه التحالفات إقليمياً ودولياً؟ هل تخرج مجمل التحالفات عن مبادئ التأسيس التي تعلن عنها في بداية التكوين؟ ما مدى قوة المجتمع الدولي - الممثل في منظماته

المختلفة - في الحد من التقليل من التحالفات الدولية؟ وإلى أي حد يستطيع المجتمع الدولي أن ينظم آليات العمل في هذه التحالفات عندما يشعر أنها تعمل خارج إطار القانون الدولي؟ ومن خلال الخبرة المتراكمة لدى المجتمع الدولي للآثار التي تنتج عن هذه التحالفات هل بإمكانه الحد منها؟

يسجل الواقع أنه منذ الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) وصولاً إلى بدء وانتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) ظلت فكرة التحالفات قائمة، وتكوّن خلال هذين الحريين حلفان، كل حلف روج لنفسه أنه جاء ليوقف غطرسة الحلف الآخر، ويقيم العدالة في العالم، وتكوّن على إثر ذلك معسكران متناوئان عبر حلفي وارسو والأطلسي «الناتو» خلال الحرب الباردة التي سبقت سقوط الكتلة الشيوعية، وبعدها، يبدو أن المسألة أخذت أبعاداً مختلفة دولية وإقليمية، فباستطاعة كل مجموعة دول أن تكون حلفاً مناوئاً لقوة دولية لا تتفق مع أجندة هذه الدول، وتتطور المسألة من مناقشات إعلامية إلى مواجهات عسكرية.

يظل غير منكور إطلاقاً أن التحالفات تسعى بتكوينها إلى البحث عن «مسحة شرعية» دولية، وهذه المسحة هي التي تقدمها قرباناً للمجتمع الدولي، على أنها جاءت لإشاعة العدالة والسلام لدى المجتمع الإنساني الذي تتكالب عليه القوى صغيرها وكبيرها من هنا وهناك، ولذلك تنتقل مجموعة أنشطتها بعد ذلك سيئها وحسنها إلى مقار ومجالس منظمات المجتمع الدولي للبحث عن حلول وعن دعم، خاصة بعد أن تتعقد القضية التي أنشئ لأجلها التحالف، وكان من المفترض أن تذهب جهود دول التحالف إلى حل القضية لا إلى تعقيدها، وهذه من الإشكاليات التي تقع فيها التحالفات المعلن عنها أمام المجتمع الدولي، ولكن يبدو ثيمة البحث عن «قوة» إضافية بمباركة دولية هي حقيقة ما في الأمر، ليس إلا، لأن كثيراً من التحالفات التي كانت، وبعضها لا يزال في الميدان، لا ينبئ عن توجه يرغب في إشاعة السلام والأمن الدوليين، وإنما السعي إلى تحقيق مصالح معينة على حساب شعوب ودول أخرى، وهذا ما يشار إليه في حقيقة توجهات مجمل التحالفات الدولية، وهو ما يثبته الواقع عبر ممارسات كثيرة منذ أواخر القرن العشرين المنصرم، وإلى يومنا هذا.

ولذلك -دائماً- ما يكون المجتمع الدولي، غير قادر على وقف ما تقوم به التحالفات الدولية، خاصة إذا ظهرت قوى أو أطراف أخرى داعمة لتوجهات هذا التحالف أو ذاك بناء على أسباب أو مصالح أو مبررات ما. وتبقى الظروف هي الفاصل المحوري لتصدع كثير من التحالفات، وذلك عندما تتغير القناعات، كما حدث بالنسبة لحلف وارسو بعد تفكك الاتحاد السوفيتي السابق عام ١٩٩٠، أو عندما تستجد أحداث تربك هذه الكتلة التحالفية أو تلك إما لتنازع المصالح بين أطراف التحالف، وإما لتقاطع الأهداف، وإما لمكوث عمل التحالف أكثر مما هو متوقع، وإما لحدوث أزمات تنغص البقاء وتحمل الأطراف تكلفة تربك برامجها في الداخل.

لذلك تظل حسابات الربح والخسارة هي المعول عليها لبقاء التحالف أو تشتت أعضائه، وهي حسابات تظل قائمة في ظل ظروف غير مستقرة، وفي ظل غياب نظرة مستقبلية لها بعد محدد، خاصة وأن الدول تمتحن أكثر في برامجها التنموية، وقدرتها على التوفيق بين مختلف القوى في محيطها المحلي والإقليمي. ولعل ذلك هو ما يفسر صعود وانتهاء الكثير من التحالفات التي ظهرت على مدى العقود الأخيرة إقليمياً ودولياً أيضاً.

في الذكرى السابعة عشرة لهجمات ١١ سبتمبر

*د. عبد الحميد الأنصاري

صحيفة (الجريدة) الكويتية: ٢٠١٨/٩/١٧

مرت سبعة عشر عاماً على العدوان الإرهابي القاعدي على الولايات المتحدة الأمريكية، هذه الفاجعة المروعة التي راح ضحيتها ٢٧٥٢ ضحية بريئة من مختلف الجنسيات والأديان. وفي هذه المناسبة المناسبة المأساوية الأليمة، أحييت أمريكا ذكراها السنوية بإشعال ٣ آلاف شمعة تمثل أرواح الضحايا ظلت مشتعلة مدة ٢٤ ساعة، كما أُعيد افتتاح محطة مترو أنفاق كانت قد تحطمت مع انهيار برج مركز التجارة العالمي بنيويورك، وزار آلاف الناس النصب التذكاري للبرجين، وصممت أمريكا دقيقة حداد مع توقيت أول هجمة، وألقى الرئيس الأمريكي ترامب خطاباً في الحفل التذكاري تعهد فيه بتأمين بلاده والعمل على ما يلزم لإبقاء الولايات المتحدة آمنة ضد الإرهاب المتشدد. الآن: ما هي الدروس والعبر والدلالات من هذه الهجمات الإرهابية على رموز الكبرياء الأمريكية؟

أول هذه الدروس أن عقيدة التضحية بالذات في سبيل ما يعتقد الشخص أنه هدف أسمى يستحق أن يموت من أجله، إذا استحوذت على العقل والنفوس وتملكتهما، فإنه لا توجد قوة تمنع هذا الإنسان من التضحية بنفسه، وذلك بغض النظر عن صحة هذا المعتقد أو بطلانه في نظر الآخرين، والملاحظ أن هذا الإنسان الذي تملكته العقيدة، لا يبالي بأي شيء في سبيل تحقيق هدفه، وهذا هو التفسير المنطقي المقبول لاستمرار العمل الإرهابي الانتحاري حتى الآن ومستقبلاً، إذ لا يزال العمل الإرهابي القاعدي مستمراً، وكذلك العنف الإرهابي الداعشي رغم زوال دولتيهما ومقتل زعيم القاعدة والقضاء على كثير من الإرهابيين ومطاردة فلولهم في كل مكان، ومحاصرتهم وتجفيف مصادر تمويلهم، لا يزال الإرهاب حياً ناشطاً يضرب ويسقط الضحايا من كل ملة وجنس، رغم كل جهود المجتمع الدولي في مواجهته ومحاصرته ومحاربه.

وثاني الدروس: أن مواجهة الإرهاب لن تكون فاعلة إلا بالمواجهة الفكرية والثقافية والدينية عبر استراتيجية شاملة، تعليمية وثقافية وإعلامية ودينية، لتقوية مناعة الشباب، وتعزيز حصانتهم في مواجهة الفكر الإرهابي، وتشارك في هذه الاستراتيجية كل القطاعات المجتمعية والحكومية ومنظمات المجتمع المدني والأحزاب السياسية المختلفة، صحيح أن العمل العسكري والأمني، ضرورة في مواجهة العمل الإرهابي عبر هدم أوكاره والقضاء على رموزه وجنوده، وعبر العمليات الاستباقية التي تستهدف إجهاد العمليات الإرهابية مسبقاً، لكن هذه الضربات تقوض جسد الإرهاب وهيكله لا فكره الذي هو الأخطر، الفكر الإرهابي يبقى كالفيروس المتنقل في الهواء لا يمكن القضاء عليه إلا بالمصل الواقعي، الفكر المحصن المضاد.

وثالث الدروس: سقوط كل النظريات التي ربطت العمل الإرهابي بعوامل ثانوية: مثل عامل الفقر والبطالة والضائقة الاقتصادية أو بعامل غياب الحريات والعدالة والديمقراطية أو بعامل وجود الظلم وتسلط الأنظمة وتعذيبها للمعارضة، أو بعامل الاغتراب كما في حالة الذئاب المنفردة في أوروبا، أو بعامل الاستفزاز العلماني للرموز الإسلامية كما يقول بعض الكتاب والدعاة والخطباء الدينيين، فقد ثبت على مدى ١٧ عاماً أن هذه العوامل ثانوية لا تقوى على تحويل شاب يافع في عمر الزهور إلى قنبلة بشرية تضحي بنفسها... لا قوة تجعل الإنسان يستعذب الموت إلا عقيدة عليا غالبة، ومن ناحية أخرى، فإن الفتية التسعة عشر الذين شاركوا في هذه الهجمات العدوانية، لم يكونوا يشكون فقراً أو ظملاً أو ضيقاً مالياً، وقد أتوا من أسر اجتماعية من الطبقة الوسطى، وكلهم متعلمون جامعيون درسوا في جامعات أوروبا وأمريكا، بل إن الأربعة الذين قادوا الطائرات الأربع إلى أهدافها الانتحارية درسوا الملاحة الجوية في المعاهد الأمريكية.

ورابع هذه الدروس: ضرورة تطوير التعليم العام والتعليم الديني بوجه خاص بما يخدم أهداف الانفتاح والتسامح والحرية والكرامة والعدالة وتقبل الآخر واحترام معتقده ودينه من منطلق المواطنة المتساوية والحاضنة لكل المكونات والأطياف المجتمعية بدون أي تمييز أو تفرقة... فتعزيز المواطنة المتساوية بين أفراد المجتمع ومعاملتهم على قدم سواء ووفقاً للفرص المتكافئة هما الحصن الحصين في مواجهة غزو الفكر الإرهابي للشباب.

وخامس الدروس: سقوط نظرية المؤامرة، والتي فسرت هجمات ١١ سبتمبر، بأن وراءها الاستخبارات الأمريكية، بهدف إصاق التهمة بالمسلمين وضرب "طالبان" و"القاعدة" في أفغانستان... سقطت نظرية المؤامرة، لسبب منطقي بسيط هو أن الفكر الجهادي الإرهابي المنحرف الذي اعتنقه الفتية التسعة عشر ودفعهم إلى ضرب أمريكا، هو نفس الفكر الجهادي المنحرف الذي يدفع شباباً وتنظيمات في الدول العربية والإسلامية والإفريقية والغربية وغيرها، للقيام بهذه العمليات الإرهابية حتى اليوم... هذا فضلاً عن الاعترافات التي صرح بها أتباع "القاعدة" ومن تعاطفوا معها إلى درجة المباهاة والفخر، والاحتفال بها سنوياً من قبل أصوليين لندن تحت شعار العظماء التسعة عشر، إضافة إلى آلاف الوثائق والأدلة القاطعة.

* كاتب قطري

لا مفاجآت في الشرق الأوسط!

*عبد المنعم سعيد

المركز الاقليمي للدراسات في القاهرة: ٢٠١٨/٩/١٨

يقال إنه من كثرة المفاجآت في الشرق الأوسط، فإنه لم يعد هناك مجال لمفاجآت جديدة“ ومع ذلك فإنه لا يمر مؤتمر أو ندوة أو تجمع عن المنطقة، إلا ويكون السؤال مطروحاً: ما هي المفاجأة الجديدة القادمة؟ عندما أمم الرئيس المصري جمال عبد الناصر قناة السويس، لم يصدق أحد أنه فعلها“ لأن آخر التأميمات التي جرت قبلها فعلها مصدق في إيران بتأميم النفط، وكان الثمن هو نهاية حكمه. وعندما جاء الثمن بالعدوان الثلاثي على مصر، كانت المفاجأة أن المعتدين الثلاثة انسحبوا بتأثير من العرب والرأي العام الدولي والتهديدات السوفياتية والمعارضة الأمريكية، والتي كان اجتماعها جميعاً على أمر هو المفاجأة.

في عام ١٩٦٧، لم تكن المفاجأة في العدوان الإسرائيلي، وإنما في نتائج هذا العدوان الذي انتهى باحتلال واسع النطاق للجلولان وسيناء والضفة الغربية وغزة والقدس الشرقية. وكان الظن بعدها أن العرب لم يعد لهم لا حول ولا طول، ولكن المفاجأة جاءت في ١٩٧٣ بالسلح والنفط“ ولم تكن تلك آخر المفاجآت، وإنما تبعتها مفاجأة ذهاب السادات إلى القدس، وعقده معاهدة سلام مع إسرائيل.

وفي أوقات كثيرة، جرت ثورات وانقلابات وحروب أهلية وإقليمية من أنواع شتى، ولكن المجتمع الأكاديمي في العالم كله فوجئ بما سمي الربيع العربي. ولفترة جرت محاكمات داخل الجامعات ومراكز البحوث السياسية والستراتيجية: لماذا فشل الجميع من الخبراء في التنبؤ بما حدث؟ كان هناك بعض من الغش أحياناً عندما بدأ الكتاب والباحثون يبحثون في دفاترهم القديمة، لكي يعثروا على جملة أو فقرة يمكن فهمها على أنها نبوءة بما حدث“ حتى من قال كلمة أو عبارة في مسرحية عن الأوضاع القلقة في المنطقة، اعتبروها نوعاً من «البشارة» المبكرة، أو «التحذير» المبكر!

بعد ذلك توالى «المفاجآت»، لم يكن أحد يعرف أن للإسلام السياسي مثل تلك القدرة على الاستيلاء على السلطة في أكثر من بلد عربي“ بل إن فروعاً منهم («داعش») أقامت لنفسها «خلافة إسلامية» نظرتها العالم مدهوشاً، حتى جرى لها ما جرى من هزيمة منكرة.

الحروب الأهلية في أكثر من بلد عربي، بما كان فيها من ضحايا وتدمير، كانت مفاجأة، ولكن المفاجأة الأكبر كانت أنه بعد كل ما جرى، فإن «الدولة العربية» لا تزال باقية ضمن حدودها التقليدية، حتى ولو تغير مضمون ما هو داخل الحدود. عادت الدولة ربما مرهقة، ولكنها عادت“ ومعها فإن الجغرافيا السياسية فرضت نفسها مرة أخرى، لم يعد ما بين العرب والفرس نوع من الانقسام الشيوعي السني كما شاع، وإنما أطماع إيرانية صريحة صراحة التاريخ القديم والحديث.

الإصلاح الجاري في أكثر من بلد عربي“ خاصة في مصر والسعودية، كان مفاجأة لكثير من المؤسسات الدولية“ خاصة أن الإجراءات مست أموراً كانت تبدو من قدس الأقداس التي لا يمكن المساس بها، ومع ذلك حدثت. فما هي المفاجأة الجديدة المقبلة في الشرق الأوسط؟ المفاجأة هي حدث لم يتوقعه ولم يتنبأ به أحد، وكانت نتيجته تغييرات جوهرية في المنطقة. عودة «والت ديزني» إلى مصر ربما تكون مفاجأة“ لأنها تعني أن المحروسة لم تعد تعني منطقة مخاطر، ولكن الحدث نفسه لا يفيد أكثر من عودة السياحة.

قيام إيران بتسديد صواريخ إلى المنطقة الكردية في شمال غربي إيران، فيه بعض من المفاجأة، ومع ذلك فإن كرد إيران مثلهم مثل كرد العراق وسوريا، باتوا يريدون استغلال المرحلة لكي يحصلوا على قدر من الحكم الذاتي الاستقلال لم يعد مطروحاً. السؤال هو: لماذا استخدمت إيران كل هذه القسوة؟ وهل ذلك من قبيل الفرع أن تدفع ثمن وجودها في سوريا ولبنان واليمن، وقبل كل ذلك في العراق؟

الفلسطينيون بات من الصعب أن يقدموا مفاجأة لأحد، فلا حدوث المصالحة بين «حماس» و«فتح» مفاجأة، لأن التاريخ يشهد كثرة من المصالحات التي تنتهي بانتهاء التوقيع عليها ولا مفاوضات «حماس» مع إسرائيل مفاجأة لأن لا هذه ولا تلك تريد حقاً التهدة الاستراتيجية. التهدة مثلها مثل المصالحة، نوع من التكتيك الذي له أغراض محلية.

أكثر المفاجآت التي يجري الحديث عنها، هي نشوب الحرب بين إيران وإسرائيل ولكن من كثرة الحديث عن المفاجأة فيها، فإنها لم تعد مفاجأة! المسألة هي أن الأجواء ساخنة بشدة لأغراض محلية في أغلبها، سواء فيما بين إيران والولايات المتحدة، أو بينها وبين إسرائيل. أن تكون هناك تناقضات جوهرية لا يشك أحد فيها، ولكن التناقضات دائماً ما تجعل هناك استعدادات للحرب، ولكنها أيضاً تفتح أبواباً للتفاوض. ترى ما الذي يجري في القنوات الخلفية، وجس نبض المسار الثاني؟ وما الذي تفعله العواصم الأوروبية التي احتفلت سوياً مع روسيا والصين بالاتفاق النووي مع إيران، ثم بعد ذلك وجدت نفسها من دون الولايات المتحدة التي خرجت من الاتفاق؟ وأكثر من ذلك أنها أعادت المقاطعة، وفرضتها على كل من يتعامل مع إيران. كل ذلك ليس فيه من المفاجأة شيء لأن توالي التغيرات الداخلية في أمريكا وأوروبا جعل الأجواء ساخنة، وعندما تكون الأجواء ساخنة فإنه لا يستبعد وجود شرارة ما تشعل الأمر كله. جماعة الحرس الثوري الإيراني أشعلت النار في أكثر من بلد عربي، ولا يهمها بعد تدمير العراق وسوريا واليمن أن تدمر أطرافاً أخرى ولكن مثل هذا الجنون يوجد منه في إسرائيل كم كبير.

معركة سوريا على وشك أن تصل إلى نهايتها بعد معركة إدلب، فهل تكون المفاجأة هي أنه في إدلب لا تنتهي الحرب، وإنما تطول أو تحصل على نفس آخر يطيلها فترة إضافية؟ الموضوع كله ربما لا يتوقف لا على الحرس الثوري ولا سوريا ولا حتى إسرائيل، فليس مستبعداً أن الأمر سوف يتوقف كله على المفاجأة التي سوف تأتي من انتخابات التجديد النصفي للكونغرس، فإذا فاز الديمقراطيون باكتساح كما يتمنون، فإن المفاجأة سوف تعني أن ترمب ربما لن تكون له فترة ثانية وأن تعود أيام «العولمة» إلى سيرتها «الطبيعية» الأولى. ولكن المفاجأة ربما تكون مقلوبة، فيفوز الجمهوريون، أو تكون هزائهم لا تخل بتوازن القوى الحالي ولا شك أن ذلك سوف يصيب وسائل الإعلام الأمريكية في نيويورك بالجنون، بعد أن باتت تعد الأيام على بقاء دونالد ترمب في البيت الأبيض.

بالطبع من الممكن أن تكون المفاجأة ألا تحدث مفاجآت على الإطلاق، وتبقى الأمور على ما هي عليه سواء فيما يخص الشرق الأوسط أو أمريكا أو أوروبا أو العالم كله فالأصل في الدنيا أنها تقوم على قوانين الطبيعة وقواعد المؤسسات وتقاليد الشعوب والدول. ولكن إذا كان هذا الأصل مختلاً لأسباب لا توجد مساحة لذكرها، فربما يكون علينا انتظار المفاجأة المقبلة، أيا كانت في مكانها أو موعدها!

بين الحرية ونزعات التحكم والسيطرة

*د. محمد العباسي

صحيفة (الثقف) : ٢٠١٨/٩/١٨

هل ولي الأمر "يمتلك" من في رعايته ويملك كامل الحق في تقرير مصائرهم كيفما يشاء؟ هل الأب يمتلك الأبناء ويتسلط ويتحكم في إرادتهم، فقط لأنه يدير أمورهم في مراحل معينة من حياتهم؟ هل كل أب أو أم، بغض النظر عن ممارساتهما الإيجابية أو السلبية، يستحقان من الأبناء الولاء والطاعة مدى الحياة دون قيد ولا شرط؟ هل الزوجة ملكية خاصة للزوج؟ هل المواطن في ظل حكومة ما مجرد ترس من تروس ديمومة تلك الدولة دون رأي أو قرار؟ هل يحق معاملة هؤلاء الأبناء والزوجات والمواطنين كسجناء تحت رحمة سجانين غلاظ القلوب دون حقوق ولا إرادة؟ رغم دخولنا الألفية الثالثة لا يزال بيننا آباء وأولياء أمور يفرضون على بناتهم الزواج قسراً رغماً عنهن.. وأحياناً دون السن القانوني.. وأحياناً لرجل يكبرها بعشرات السنوات.. وفي بعض الأحيان تكون عملية التزويج نوع من المبادلة، زوجة مقابل التنازل عن ديون مثلاً.. أي تصبح الفتاة في هكذا عملية مجرد بضاعة يمتلكها شخص بحكم أبوته وسلطته عليها إلى شخص آخر، ليغتصب براءتها وطفولتها تحت مسمى الزواج.. ويتم التضحية بهذه الإنسانية والحكم عليها بالسجن المؤبد مع الأعمال الشاقة في كنف من يستعبدوها.. ولن يستحي الأب من تكرار جملة "أنا حر في عيالي".. وكذلك لن يتوانى الزوج المفرض على الفتاة من تكرار القول "أنا حر في حالي".

وقد نرى زوج يعامل زوجته كأنها ملك خاص اشتراها من ذويها وله السلطة في أن يعاملها كيفما يريد.. يطالبها بمطالبات زوجية فوق طاقتها تحت مسمى حقوقه الزوجية.. يفرض عليها الالتزام بأمر هو فقط يراها مناسبة دون الأخذ برأيها ومصلحتها.. يستحوذ على مالها أو معاشها ليتحكم بها ولا تخالفه في أمر.. يفرض عليها الحمل وتحمل أعباء الحمل دونما مراعاة لصحتها وقدرتها الجسدية.. يتحكم بعلاقاتها الأسرية وزياراتها لأهلها وزيارتهم لها تحت ذرائع واهية.. تصبح الزوجة مجرد أداة تخدم شهواته ورغباته وتطيع أوامره وتسير في ركبه دون أدنى مراعاة لحقوقها وكيونيتها.. تعيش هذه المسكينة جسداً بلا روح في ظل "سي السيد" الطاغي غصباً عنها.. وقد يتمادى الزوج بكيال الإهانات أو حتى الضرب لزوجته بلا أدنى مراعاة لحقوقها ومشاعرها.. ولا ولن يقبل النصح تحت مقولة "أنا حر".

يقول الأستاذ "جاسم المطوع" (الأنباء) أن كثير من الآباء لا يتدخلون من أجل الدفاع عن بناتهم المتزوجات من زوج ظالم بذريعة أن "ما عندنا بنات يتطلقن" أو أن الزوج هو "جنتك ونارك".. وكأنما الزوج يمتلك الحرية التامة في معاملته السلبية للزوجة، بينما الزوجة لا تمتلك ذرة من الحرية أو الحقوق في شئونها ومصيرها.

وقد كتبت زوجة مظلومة في مدونة (مكسات) رسالة لزوجها الظالم: "احترتُ كيف أبدأ رسالتي.. من أين.. وكل شيء يرسم ملامح نهايتي.. أريد منك أن تفهم قبل أي شيء أنني لست كلمة تكتبها متى تشاء وتمحوها متى تشاء.. لستُ العصفورة التي برصاصة منك تُسمعُ أَلحانها والغناء.. لستُ المدفأة التي تطفئها في صيفك وتشعلها في شتاتك.. لستُ المكان الذي تأوي إليه فقط في شتاتك.. لا أعتقد أن الفراق قد غيّر بك شيء يُذكر.. لا أعتقد أنك تنوي أن تبني ما تدمر.. سنين أمضيتها معك في ناري وأنيبي.. أفنيت معك عمري.. أفنيت معك سنيني.. طال صبري عليك.. و

أنت تهينني وتضربني بيديك... طال صبري عليك.. وأنت تُريني من العذاب كل ما لديك.. وفي كل مرة أصمت وأبكي.. لا أتكلم ولا أشتكي.. سنين وأنا أحاول أن أغير شيئاً فيك.. سنين وأنا من نبع الغرام أسقيك.. سنين وأنا أصرخ من عذابي في وصالك.. فوجدت نفسي خاسرة وقلبي هالك.. اسمعني يا زوجي المصون.. يا سفينة عذابي في بحر الظنون.. يا قدرتي الميرير والقدر لا يوقفه القانون.. إن كان ابتعادي لم يؤثر فيك.. وإن لم تشعر بملائكة الرحمة تناديك.. فليس بوسعي إلا أن أقوم بفعل ما أفكر فيه.. لن أنتظر بعد أكثر.. فجرحي محتاج لأحد يداويه".

إن مفهوم الحرية له دلالات عديدة.. وبالذات في مجتمعاتنا التقليدية، نمارسها على هوانا.. نحققها لأنفسنا ونمنعها عن سوانا.. وفي شئون زواج الأبناء مثلاً قد نلزم البعض بالطاعة العمياء والولاء فقط لأننا نعتقد بكل أنانية أننا أدرى بمصالحهم منهم.. كما هو الحال مع الأبناء واختيار الزوجات.. بل قد يأمر أب أو أم أحد أبنائه بتطليق زوجته التي يحبها فقط لعدم قبولهما هما بها.. لأسبابهما الخاصة بهما، دونما اكتراث لرغبة الابن وحرية اختياره لشريكة حياته.. هذا مجرد مثال قد يحصل في أي أسرة حولنا.. فهل يحق لأولياء الأمور بمثل هذا التدخل الصارخ ومطالبة الأبناء بطاعتهم وتنفيذ رغباتهم بذريعة "بر الوالدين"؟ بينما بر الوالدين لا علاقة له إطلاقاً بالزواج، بالذات إن كانت هذه الزوجة مؤمنة تطيع زوجها.. لكن لمجرد أن يكون الأب مثلاً لا يحبها فيأمره بتطليقها.. هذا الأمر لا يتوجب تنفيذه إطلاقاً.. فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.. ما ذنبها، وما ذنب الزوج أيضاً؟ هذا مجرد مثال بسيط قد ينطبق على أمور أخرى كثيرة تتعدى على حقوق وحرية من نعتبرهم ضمن دائرة سلطاتنا.. نفرض عليهم كل شيء حسب أهوائنا نحن ورغباتنا.

لو توسعنا قليلاً إلى أمر أكثر اتساعاً وشمولية.. ونظرنا إلى أحوالنا كرعية ومواطنين محكومين ضمن منظومة الولاية وسلطة الحكومات والملوك.. فهل السلطان أو الأمير أو الحاكم أو الملك أو شيخ القبيلة يملك حق التملك؟ هل للمسئول الحق في أن يتحكم في مصائر من تحت سلطته وضمن دولته أو عشيرته؟.. هل مفهوم "الملك" يعني أنه "يمتلك" الأرض بما فيها من خيرات.. ويمتلك كل ما عليها وكل من يعيش فيها؟ هل للسلطان حقوق وحریات في التصرف كيفما يشاء، بينما الشعب محروم من حقوقه ومن حرية اختياراته وأسلوب حياته؟ وإلى أي مدى يحق للحاكم أن يتحكم في الحريات المتفق عليها دولياً في مسائل تتعلق بالتعبير والرأي؟

موقع (مواطن) الإلكتروني يشرح ذلك: "أمام هذا التدفق اللامتناهي لاستخدام أو توظيف كلمة "الحرية" سيبدو أي حديث عنها مملاً وغير مجد ربما، خاصة وأننا في الشرق الأوسط نشاهد أكثر المعاني سوءاً لكلمة الحرية، وأكثر الطرق بشاعة في توظيفها! فقد نجحت الأنظمة القمعية وبكل اقتدار وتفنن في تصوير "حرية" التعبير والرأي في مجال السياسة، على أنها الدمار والخراب وانعدام الأمن..

كما نجحت التيارات والمذاهب الدينية المختلفة إلى تقديم الحرية على أنها عدم الالتزام بالضوابط الشرعية ومناداة إلى العري والتردي الأخلاقي.. وكذلك نجح "المحافظون" في مختلف المجتمعات العربية إلى تقديم الحرية على أنها "فيروس" سيتسبب انتشاره إلى غياب كافة هوية المجتمع وأصالته وعراقته.. من هكذا نوع من الأمثلة بصورة عامة مع الإشارة إلى مظاهر "قمع" السلطة أو الدين أو المجتمع لأي صوت مختلف معارض.. حتى تطوّر هذا الوضع ليصل إلى النخب المثقفة والمتعلمة في كل مجال.. والتي بدورها قد تمارس القمع مستندة على "الأمن" و"الدين" و"الأعراف والتقاليد".. إما كل حجة على حدة، وإما جميعهن سواء".

فهل يحق للمواطن أن يمارس حريته وينتقد سلطة وسيطرة ولاية الأمر على خيرات وطنه؟ فمن المعروف أن بعض الدول قد تكون طاغية ويحكمها طغاة مستبدون.. ويتحكم الولاة بشعوبهم وكأنهم سُخرة لديهم وعبيد.. لا حق لهم إلا فيما يجود به الوالي عليهم من عطاءات، وبالتالي عليهم القبول والرضوخ و"تقبيل الأيادي" الكريمة دون اعتراض.. وقد يتم منع كثير من أشكال الحريات المدنية المتفق عليها عالمياً بذريعة درء أسباب الشقاق والانشقاق عن سلطة الدولة.. وربما تهرباً من المسائلة والمحاسبة.. وقد ينتج عن مثل هذا التحكم المطلق في كبح الحريات إلى خلق بُؤر للطامعين في الصيد في الماء العكر، والقيام ببث الفتن والنعرات و"تسييس" المطالبات المستحقة إلى مآرب أخرى لا يُحمد عقباها.

يقول الأستاذ "حسين التتات" (الوطن): "هناك الكثير ممن "يخلطون" بين أمرين متعاكسين للغاية، بين حرية التعبير، وبين التعدي على الآخرين، تحت شعار "حرية التعبير".. فالأولى هي الفضاء المفتوح لإبداء الرأي، دون الحاجة إلى مهاجمة الطرف الآخر بشراسة أو دون امتهان لكرامته وهويته وإنسانيته، أما التعدي على حريات الآخرين والطعن في كرامتهم وشرفهم والسخرية من معتقداتهم أو أي أمر آخر له علاقة بخصوصيات الأفراد والجماعات فهذا الأمر لا علاقة له بالحرية مطلقاً، وإنما هو نوع من أنواع الجريمة التي يعاقب عليها القانون وترفضها الأخلاق".

مثل هذه المغالطات إنما تنشأ في ظل الحرمان من المشاركة في موارد الدولة، ومن الحرمان من المشاركة في تسيير دفة الحكم لما فيه مصلحة الجميع.. أما إذا تحكمت بعض الأنظمة في كل شيء ومنعت من شمول موارد الوطن كافة المواطنين، فهنا تتكون بذور عدم الرضى والنشوز والاختلاف مع أصحاب السلطة.. ومن ثم تنمو الاختلافات إلى خلافات تآكل في مسارها "الأخضر واليابس". فكما قد نستهنج سيطرة الأب على الأبناء والتحكم بمصائرهم، ونرفض الزوج المتسلط الظالم، نرفض تحكم الدول وأصحاب الشأن والمتنفذين الأقلية في مصائر الأغلبية من أفراد الشعب.. ولا يستقيم الوضع إلا بتنفيذ بنود الدساتير المتفق عليها بالعدل ونبذ كل تلك الممارسات التي تخدم فئات بعينها وتحرم الآخرين.

و تبقى الحرية مثار نقاش وتأويل.. فحرية التعبير أو حرية الرأي هي الحق السياسي لإيصال أفكار الشخص عبر الحديث.. وقد يُستخدم مصطلح حرية التعبير أحياناً بالترادف، ولكن يتضمن أي فعل من السعي وتلقي ونقل المعلومات أو الأفكار بغض النظر عن الوسط المستخدم.. عملياً، حق حرية التعبير ليس مطلقاً في أي بلد.. ولا ضير من بعض القيود لمنع الانفلات الشاذ والضرار بحقوق الآخرين.. لكن لا بد من السماح لحيز من الحرية للسيطرة على تمادي بعض الأنظمة المغالية في سلطاتها.. وهنا يأتي دور المجالس النيابية لطرح مشاكل وحاجات الشعب والدفاع عن حقوقهم ومكتسباتهم.. فالأصل المتعارف عليه أن الحكومات تخدم شعوبها وتراعي مصالح المواطنين.. فالعلاقة بين الوطن والمواطن كما العلاقة بين كل راعي ورعيته، علاقة تكاملية، ترسخ مفهوم الانتماء الحقيقي، وتترتب عليها آثارها العظيمة، وتعبّر عن صدق الفهم وحسن المعاملة والحرص على المصلحة العامة.

* أكاديمي بحريني

إعادة النظر في الاستشراق

*د. السيد ولد أباه

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية: ٢٠١٨/٩/١٨

«إعادة النظر في الاستشراق» هو عنوان الكتاب الجديد لوائل حلاق الذي صدر بالانجليزية، وكما هو جلي يحيل مباشرة إلى كتاب إدوارد سعيد الشهير الذي يناقشه المؤلف بصرامة وحدة. أوجه الشبه عديدة بين الرجلين اللذين كلاهما باحث وأستاذ جامعي متميز من أصول فلسطينية مسيحية، وقد انتقل كلاهما إلى الولايات المتحدة الأمريكية بل درساً في الجامعة نفسها (جامعة كولومبيا العريقة)، ولا يخفي حلاق تأثره بسعيد في نظراته النقدية للدراسات الغربية حول الإسلام من منظور تحليل علاقات القوة والمعرفة في الخطاب الاستشراقي.

بيد أن الفرق الجوهرى بين الرجلين يتعلق بالاختصاص، فسعيد ناقد أدبي متميز مع تشبع عميق بالكتابات الفلسفية التفكيكية، ولم يتجاوز في نقده الاستشراق الوقوف على الصور النمطية العامة للإسلام والمسلمين في الأدبيات الغربية، في حين أن حلاق لا يبارى في الدراسات الفقهية والأصولية وتاريخ المذاهب الإسلامية وقد قوض بعمق ودقة الأطروحات الاستشراقية المألوفة في الفقه الإسلامي التي لا شك أن أهمها هي أطروحة المستشرق الألماني «جوزف شاخت».

بيد أن موضوع كتاب حلاق ليس نقد الاستشراق الفقهي الذي كتب حوله دراسات كثيرة، وإنما طموح المؤلف أوسع وأكبر، يلخصه حسب عباراته بنقد البراديغم الحداثي الغربي المتولد عن فكر الأنوار كما يتجلى في المقاربات المعرفية إجمالاً، بحيث لا يشغل الموضوع الإسلامي سوى الجانب العرضي من اهتمام المؤلف. ما يعيبه حلاق على سعيد هو أن نقده للاستشراق ظل ضيق الأفق، يطبعه التردد والغموض، فلم يدرك الجذور الحقيقية للاستشراق من حيث هو نمط من المعرفة والخطاب يتجاوز الحالات الفردية التي وقف عندها وكأنها استثناء في حين أنها تعكس موقفاً نظرياً عميقاً لا يتسنى ضبطه إلا من خلال إبراز طبيعة الرؤية الحداثية الغربية للطبيعة والأخلاق والسلطة كما تنعكس في النماذج والتقاليد المعرفية والبحثية والتربوية.

أن سبب قصور مقاربة سعيد حسب حلاق هو أنه يتبنى نفس الخلفية المعرفية للاستشراق التي هي «النزعة الإنسانية العلمانية» المتولدة عن فكر الأنوار في تصورها السلبي للحرية (أي اختزالها في الفردية المستقلة عن الجماعة) ونظرتها الأدائية للأخلاق من منطلقات قانونية إجرائية لا تقيم شأناً لأداب السلوك والتسامي الخلقي.

هذا الموقف الأدائي حسب حلاق هو البنية العميقة للفكر الأوروبي الحديث في محدداته الأبستمولوجية أي المعرفة من حيث هي تطبيق تقني ناجع وفي محدداته المعيارية أي النظرة العدوانية للطبيعة، التي هي الخلفية البعيدة لظواهر الاستعمار والكلانية الاستبدادية، التي يعكسها معرفياً نمط الخطاب التأويلي للآخر المختلف الذي يندرج فيه الاستشراق. وهكذا يخلص «حلاق» إلى أن النقد الحقيقي للاستشراق لا بد أن يمتد إلى الأسس التي بلورتها حركية التنوير الأوروبي، وهي العقلانية المادية والفردية الانعزالية ونزعة الهيمنة على الطبيعة، في الوقت الذي كرس التقليد الإسلامي الوسيط الذي يطلق عليه الشريعة تصورات مغايرة تقوم على الأمانة والاستخلاف بدلاً من السيطرة والسيادة وألوية الأخلاق على القانون، وألوية الجماعة على الدولة.

«حلاق» يوظف عدة مفهومية كثيفة من المفاهيم والمصطلحات الفلسفية، انسياقاً مع المسلك الذي بدأه في «الدولة المستحيلة»، وهو هنا يرجع بوضوح إلى الأطروحات الجديدة في نقد الحداثة والتنوير لا من منطلق تفكيكي عديمي، وإنما بإعادة الاعتبار للتقليد والجماعة والمعايير المطلقة، بما يذكرنا بمفهوم «التنوير الوسيط» الذي طرحه الفيلسوف الألماني- الأمريكي «ليو شتراوس» بدلاً من التنوير الحداثي التاريخاني الحديث. الإشكال الذي يطرحه هذا التصور هو ترجمته في خيار مجتمعي عملي قادر على التعامل الإيجابي مع تطلعات المجتمعات المسلمة المعاصرة في النهوض والإقلاع، فضلاً عن ما يطرحه هذا النموذج الانفصالي مع التجارب الغربية الحديثة من أسئلة منهجية معرفية بالنظر لتداخل السياقات التاريخية والفكرية بين المجالين الغربي والإسلامي.

إن حلاق ينتهي إلى تخيير المسلمين بين تقليد يقدمه في صورة ناصعة ويدافع عن سموه الأخلاقي والمعرفي وحداثة تنويرية ينتقدها في جذورها العميقة ويرى أنها غير قابلة للتأقلم مع البنية الروحية والأخلاقية العميقة للإسلام، وبعبارة أخرى إن حلاق يغلق المنافذ على المسلم المعاصر ويرغمه على الانفصام بين ضميره الأخلاقي وواقعه التاريخي.

ازدواجية حقوق الإنسان

*بيري كاماك

مركز كارنيغي: ٢٠١٨/٩/٢٣

غرد دونالد ترامب مستخدماً عبارة "حقوق الإنسان" أربع مرات خلال رئاسته. وهذه المرات الأربع جاءت على امتداد ثلاثة أيام متتالية كان أولها ليلة رأس السنة لعام ٢٠١٧ (هنا، هنا، هنا، وهنا)، وكانت إيران المستهدفة في جميع هذه التغريدات.

لم تنته هجمات إدارة ترامب على سجل إيران في حقوق الإنسان عند هذا الحد. ففي أيار/مايو الماضي، فرض وزير الخزانة الأمريكي ستيف منوشين، سلسلة جديدة من العقوبات على القادة الأمنيين الإيرانيين بسبب انتهاكات حقوق الإنسان والرقابة، مشيراً إلى أن "أمريكا تقف إلى جانب الشعب الإيراني". وكثيراً ما يسلط وزير الخارجية مايك بومبيو الضوء على انتهاكات حقوق الإنسان في إيران، وبلغ الأمر ذروته في خطاب ألقاه في ٢٢ تموز/يوليو بعنوان "دعم الأصوات الإيرانية". بالفعل، اختارت إدارة ترامب التركيز على انتهاكات حقوق الإنسان في إيران كدعامة محورية في حملتها ضد الجمهورية الإسلامية. بيد أن تخصيص إيران من دون سواها، مع إشاحة النظر عن انتهاكات أسوأ في أماكن أخرى يحمل في طياته خطر التسبب بأضرار حقيقية.

لا جدال في أنه لإيران سجل مشين في حقوق الإنسان. فخلال العام المنصرم، سحقت الأجهزة الأمنية الإيرانية المعارضة الشعبية، ما أسفر عن وفاة متظاهرين سلميين في السجون. كذلك، تضطهد السلطات المدافعين عن حقوق الإنسان، والصحافيين، والنشطاء، والمثليين والمثليات وثنائيي الميول الجنسية والمتحولين جنسياً، والأقليات الدينية، فضلاً عن النساء اللواتي يتظاهرن ضد الحجاب الإلزامي. وتجدر الإشارة إلى أن نسب إعدام السجناء هي من الأعلى في العالم، بما في ذلك إعدام الأحداث وأشخاص آخرين يُحرَمون من الإجراءات القانونية الأساسية. وقد ساهمت إيران في الفظائع التي شهدتها سورية من خلال دعمها العسكري للرئيس بشار الأسد والمساعدات التي تُقدّمها للمليشيات الشيعية المختلفة.

السياسة الخارجية عملٌ فوضوي. فاتخاذ القرار حول الطريقة التي يجب التحدث بها عن حقوق الإنسان هو من أصعب أفعال التوازن التي تواجهها الحكومات الديمقراطية. تعتمد حكومات مختلفة مقاربات مختلفة، مع العلم بأنها تكون عادةً أشدّ صرامة مع الأعداء منه مع الأصدقاء. يعود جزءٌ من الجاذبية الدبلوماسية التي تمارسها روسيا والصين بالنسبة إلى الأنظمة السلطوية في الشرق الأوسط، إلى أنهما، وخلافاً للأوروبيين أو الأمريكيين الشماليين، لا تحاضران عن حقوق الإنسان.

أظهرت إدارة ترامب، لدى تسلمها سدة الحكم، رغبة في تغيير المعايير الدبلوماسية. فقد أكد ترامب، في خطاب تنصيبه، على أن الولايات المتحدة لن تسعى بعد الآن إلى "فرض نمط حياتنا على أحد". أثنى بعض المراقبين الخارجيين على المقاربة الوطنية للإدارة الجديدة معتبرين أنها أكثر صدقاً من سابقتها، ولا سيما عند مقارنتها مع السجل المتفاوت للجهود الأمريكية الهادفة إلى نشر الديمقراطية، والتي غالباً ماتعود بنتائج عكسية.

لكن في الممارسة، عنى هذا السلوك المتغاضي تحولاً مقلقاً نحو السلطويين. لقد أشاد ترامب بقيادة من روسيا والسعودية والفيليبين، وحتى كوريا الشمالية، فيما أبدى ازدراءاً لحلفاء أمريكا التقليديين.

للوهلة الأولى، تبدو إدارة ترامب وكأنها قلقة على حقوق الإنسان في إيران دون سواها من الدول. بيد أن الخشية على خير الإيرانيين لاتنسجم مع حظر السفر الذي فرضه ترامب، وكان الهدف منه في الأصل "منع هجرة المسلمين".

لقد أُدرج المواطنون الإيرانيون في جميع قرارات حظر السفر الصادرة في العام ٢٠١٧. وأُعفيت فئات قليلة من المسافرين من الحظر، منهم ١٢٠٠٠ طالب إيراني مشاركين في برامج تبادل، في أحدث تجليات قرار حظر السفر، مع العلم بأنهم لا يزالون يخضعون لتفتيش مشدد. ومن غير المرجح أن تؤدي إعادة فرض العقوبات التي تهدف إلى دفع الاقتصاد الإيراني نحو الانهيار، إلى المساهمة في تحقيق التطلعات الديمقراطية الإيرانية.

غالب الظن أن هذا الاستخدام الوقح لحقوق الإنسان سيتسبب، لسوء الحظ، بإلحاق مزيد من الأضرار بالمعايير المتبعة في مجالات أخرى، في لحظة تشتد فيها السلطوية. فهو يؤشر إلى أن إدارة ترامب تنظر بشكل أساسي إلى حقوق الإنسان على أنها أداة يجب استغلالها في الضغط على طهران. أسوأ من ذلك أن الرسالة لحلفاء أمريكا السلطويين واضحة: مادمتم تقولون أشياء جميلة عن دونالد ترامب، لكم كامل الحرية بقمع شعوبكم كما يحلو لكم. لقد أشاد ترامب بالديكتاتور الكوري الشمالي كيم جونج-أون واصفاً إياه بأنه "محترم جداً"، مع العلم بأنه يحكم دولة أشبه بمعسكر اعتقال. وأعلن بحماسة أن الرئيس الفيليبيني رودريغو دوترتي قام بـ "عمل لا يُصدق لمعالجة مشكلة المخدرات"، على الرغم من أن حكومته اتهمت بتنفيذ آلاف عمليات الإعدام خارج نطاق القضاء.

ولنتوقف عند مصر والسعودية اللتين تُعتبران من الشركاء الأقرب إلى ترامب في العالم العربي. لقد أشرف الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي (الذي "قام بعمل مدهش"، وفقاً لترامب) على توقيف آلاف السجناء من دون محاكمة، وإغلاق مئات المنظمات غير الحكومية والمواقع الإلكترونية. في العام ٢٠١٧، علقت وزارة الخارجية الأمريكية مساعدات أمنية أمريكية بقيمة ١٩٥ مليون دولار أمريكي، مشيرة إلى ارتفاع مستويات القمع وانتهاكات حقوق الإنسان. لكن في تموز/يوليو، عدل بومبيو عن القرار، متحدثاً عن تحسينات غير محدّدة ومشكوك فيها. لقد تبدّد أي تأثير يُحتمل أن تكون المساعدات الأمريكية قد امتلكتها من قبل. فقد منحت إدارة ترامب مصر شهادة حسن سلوك. السبب الفات، أصدرت محاكم مصرية حكماً بإعدام ٧٥ شخصاً على خلفية دورهم في احتجاجات العام ٢٠١٣ التي خرجت عن السيطرة في ميدان رابعة في القاهرة. وعلى الرغم من أن القوى الأمنية قتلت مئات المتظاهرين في أعمال العنف التي اندلعت آنذاك، لم يمثل أي عنصر من القوى الأمنية أمام القضاء.

وفي السعودية، يتواصل تطهير المعارضين الذي بدأ الخريف الماضي. لقد سلّطت الحكومة السعودية الضوء على قرارها بالسماح للمرأة بالقيادة، بيد أن هذه الخطوة تزامنت مع توقيف اثني عشر ناشطاً سعودياً معظمهم من المدافعين عن حقوق المرأة. ويطلب المدعي العام عقوبة الإعدام للشيخ المرموق سلمان العودة الذي وجّه انتقادات للأسرة الحاكمة. في غضون ذلك، استمرت إدارة ترامب في تقديم مساعدات عسكرية للحملة السعودية والإماراتية في اليمن، على الرغم من المخاوف المتزايدة التي يعبر عنها مسؤولون في الأمم المتحدة من أن الهجمات التي يشنها التحالف ضد المدنيين ربما تندرج في إطار جرائم الحرب.

قال بومبيو في خطابه في ٢٢ تموز/يوليو: "أودّ أن أوجّه رسالة إلى الشعب الإيراني: الولايات المتحدة تسمعكم" الولايات المتحدة تدعمكم" الولايات المتحدة تقف إلى جانبكم". قد يسأل المواطنون في مصر والسعودية وميانمار وكوريا الشمالية وبلدان أخرى إذا كانت الولايات المتحدة تقف إلى جانبهم أيضاً.

كيف نحمي أنفسنا من «الحقائق» الزائفة؟

*ديفيد اكناتيوس

صحيفة (واشنطن بوست) : ٢٣/٩/٢٠١٨

ترجمة قاسم مكي: أكثر ما يزعجني من بين زحمة المشاكل التي ظهرت في عام ٢٠١٧ أن الناس، كما يبدو، ما عادوا يعرفون ما هو الحقيقي (غير الزائف).

فالحقائق هذا العام صارت تكتب بين قوسين. وكل مصاعب ترامب السياسية الأخرى تندرج في هذه المشكلة.

فإذا لم نكن متأكدين عما هو حقيقي كيف يمكننا العمل لجعل الأشياء أفضل؟

وإذا لم نكن نعرف أين موقعنا على الخارطة كيف يمكننا أن ندرك في أي اتجاه نذهب؟

تفترض الديمقراطية وجودا لمواطنين يملكون معلومات جيدة ويمكنهم أن يتجادلوا حول الحلول وليس الحقائق. في مقدورنا جميعنا ضرب أمثلتنا المفضلة على المشقة المستفحلة التي تعانينا أمريكا في الاتفاق حول الدليل (الذي يدل على الحقائق). من بين هذه الأمثلة ازدياد العلم وسط الذين يتشككون في حقيقة التغير المناخي ورفض تصديق الاتهامات التي توجه للأشخاص الذين نُحِبُّهم واللهفة الزائدة لإدانة أولئك الذين نكرهم والطريقة التي انتشر بها الاستقطاب السياسي في كل مجال من مجالات حياتنا العامة بما في ذلك قطاع الرياضة. ما الذي ينبغي أن يفعله أصحاب الفكر بشأن هذه المشكلة البالغة الأهمية؟ جزء من الإجابة يوجد في مهنتي التي أمتننها.

مهنة الأخبار:

نحن بحاجة إلى بذل المزيد من العمل لكي نسرد الحقيقة دون تحيز لا أن نكون مجرد سلسلة من غرف الصدى. (بحسب قاموس أكسفورد، غرفة أو حجرة الصدى هي البيئة التي يجد فيها الشخص الآراء والأفكار التي تتوافق مع آرائه وأفكاره فقط الأمر الذي يعزز وجهات النظر القائمة ولا يكون هناك اعتبار للأفكار البديلة.

غرفة الصدى هذه يمكن أن تكون حزبية أو إيديولوجية أو خلاف ذلك - المترجم.) وحين يبدو كل خبر في صحيفة أو موقع على الإنترنت أو قناة تلفزيونية ماضيا في نفس الاتجاه فسيكون ذلك علامة ومؤشرا على أن ثمة شيء خاطئ. هذا أحد الأسباب التي تجعلني أتمنى عودة «نظام المحققين» في شكاوى الأفراد من أجل إخضاع مؤسسات صناعة الأخبار للمحاسبة. كما يحتاج الصحفيون أيضا إلى أدوات.

فنحن لا يمكننا دائما تدقيق كل حقيقة. نحن نعتمد على مصادر محددة موثوقة وخدمات إخبارية مثل آسوشيتدبرس ورويترز.

رغما عن ذلك فحتى هذه الجهات الجامعة للحقائق والفائقة في مهنتها تواجه أحيانا متاعب في التحقق من المعلومات.

ويمكن أن تساهم وسائل التواصل الاجتماعي في هذا المجال. فالناس يمكنهم تحميل شريط فيديو عن الأحداث في أثناء وقوعها بواسطة هواتفهم النقالة. ولكننا بدأنا ندرك أن وسائل التواصل الاجتماعية يمكنها أن تكون أدوات للخداع وللحقيقة كذلك.

لذلك أطرح هنا مقترحا متفائلا. فكما أن أصالة عمل فني ما تتأسس بواسطة مؤرخي الفنون أو الجهات التي تشرف على بيع هذا العمل وشرائه عن طريق المزاد فنحن نحتاج كذلك إلى أدوات تقنية تساعد على تأكيد أصالة الحقائق.

الفكرة بسيطة:

فمثلا سيرغب من يشتري لوحة تُعزى إلى الرسام ليوناردو دافنشي في التأكد من أن دافنشي هو من رسمها حقا (أي أنها ليست مزورة). لذلك يسعى المتخصصون إلى إعادة بناء سلسلة ملكية اللوحة وتوثيق الكيفية التي تنقلت بها بين جامعي ومتاحف الأعمال الفنية على مر العصور.

لا يتمكن العلماء دائما من تأسيس روابط مباشرة تعود بهم إلى الرسام الحقيقي (ويبدو أن مثل هذا الشك يحوم حول لوحة ليوناردو دافنشي «سالفاتور موندي» التي تم شراؤها مؤخرا بمبلغ ٤٥٠ مليون دولار). لكن هذا النهج ضروري لضمان الأداء السليم في أسواق اللوحات الفنية. بل هنالك مقاربة جديدة تعرف باسم «التأصيل الرقمي».

وقد تم تناول هذا الموضوع في مؤتمر انعقد الشهر الماضي في متحف كارنيجي للفنون ببتسبيرغ. حيث تطرقت مجموعة من المشاركين في المؤتمر لموضوع «التصوير البياني لتاريخ الأشياء» بما في ذلك دراسة «انتقال الأشياء والناس عبر الزمان والمكان» وعلى شركات الإنترنت العملاقة مثل جوجل وفيسبوك ضبط أنظمتها كي تتمكن من تأصيل الحقيقة.

من جانبي، أتمنى أن أشاهد هذه الشركات وهي تستخدم «تعليم الآلة» لمساءلة الحقائق المفترضة من أجل التحقق من مصدرها وكيف ظهرت أول مرة وكيف تم تمريرها من مستخدم إلى آخر. فإذا وجدت فجوات في سلسلة الأصل (حلقة مفقودة ومجهولة في سلسلة الأدلة أوعلامات على خطأ في التنسيب) فحينها يتم كشف هذه العيوب تلقائيا.

وبهذا المشروع الذي يتعلق بتأصيل الحقائق أمل أن نكون قادرين على تعقب المعلومات إلى مصدرها ورصد الأدلة التي تشير إلى التلاعب بها.

وبناء على هذا فإن مؤسسات الأخبار التي يتضح أن سجلها موثوق ستحظى بتقدير إيجابي من قبل النظام الرقمي (لتأصيل الحقائق). مثل هذا القياس لموثوقية المصدر سيتطلب براعة وحذرا. لكنه لا يبدو لي مستحيلا. فشركة جوجل تفعل شيئا شبيها بذلك كلما تطيع (أنت) كلمة أو عبارة على «خانة البحث».

ورغما عن ذلك يمكن أن يستمر الناس في اتخاذ قراراتهم بناء على «حقائق» مريبة وغير مُحَقَّق من صحتها. تماما كما يمكن أن يشتري جامع لوحات لوحةً مشكوك في مصدرها «أصلها». ولكن على الأقل سيتوافر قدر معقول من التحذير. نحن كثيرا ما نتحدث عن «سوق الأفكار» توقعا منا بأن الأسواق تعمل بطريقة عقلانية وبكفاءة.

وفي مثل هذه النظرة، يفترض المستهلكون أن معظم الأسواق لا يوجد بها تلاعب وأن المنتجات الفاسدة أو غير الآمنة يتم استبعادها. لكن من الواضح أن تلك المشكلة تصبح معقدة حين تكون السلعة معلومات. يسمح لنا التعديل الأول (للدستور الأمريكي) بالترويج للأفكار دون اعتبار لسلامتها. لكنه لا يحمي الغش أو التشهير.

نحن نعيش في «نظام بيئي» معلوماتي إذا أصابه التلوث ستكون كل الكائنات التي تعتمد عليه عرضة للخطر.

ونحن نقول أن أشعة الشمس هي أفضل مطهر.

لكن هذا القول يصح فقط حين تكون الشمس شديدة السطوع.

صراع الماحور إذ يدخل مرحلة «الضرب تحت الحزام»

*عريب الرنتاوي

مركز القدس للدراسات: ٢٣/٩/٢٠١٨

تكشف واقعة الهجوم على «منصة العرض العسكري» في إقليم الأحواز، عن جانب آخر من «استراتيجية مناهضة إيران» التي تعتمدها أطراف إقليمية ودولية عدة، يقوم على زعزعة استقرار إيران الأمني، واستهدافها من الداخل، و«نقل المعركة» ضدها إلى عمقها... العقوبات الاقتصادية وسياسة «الخنق» التي تحدثت عنها نيكى هيلي، ومطاردة النفوذ الإقليمي لإيران في سوريا والعراق ولبنان واليمن والخليج، ودعم حركات الاحتجاج المطالبية السلمية، وتسليط الأضواء الكاشفة على برنامجيها النووي والصاروخي، يبدو أنها خطوات لم تعد كافية، ويتعين تعزيزها بالسعي للمس بأمن إيران الداخلي.

الاعتداء ليس الأول من نوع (ولن يكون الأخير)، وإن كان ثقيلاً من حيث حجم خسائره البشرية... إيران تتعرض منذ مدة لمسلسل من الاعتداءات، تقوم بها جماعات مختلفة، تارة تحت شعار «قومي - إثني» تقوم به مجموعات تطالب بحقوق قومية لأقليات إيرانية (عرب، كرد، بلوش)... وتارة أخرى تحت شعار «جهادي» تقوم به جماعات سلفية جهادية، تضع إيران في قلب دائرة الأعداء سياسياً وفكرياً... وثمة أعمال عدائية تقوم بها فصائل معارضة في الخارج، فضلاً عن عمليات استخبارية كالاغتيالات واستهداف مواقع إيرانية حساسة (لإسرائيل دورٌ أساسي في هذا النمط من العمليات).

في ذروة حرب الماحور المحتمدة في المنطقة، هدد قادة عرب علناً بأنهم سينقلون المعركة مع إيران إلى الداخل الإيراني، وأنهم لن يسمحوا باستمرار المواجهة مع إيران فوق ساحات وداخل دول ومجتمعات عربية... يبدو أن هذا التهديد لم يبق في حدوده اللفظية... يبدو أن ثمة خطط واستراتيجيات قد وضعت لترجمة هذا التوجه، والأرجح بتنسيق وتعاون مع أجهزة سياسية وأمنية واستخبارية دولية، لا تخفي عدائها الشديد لإيران، مع أنها ما زالت ترفض - رسمياً على الأقل - هذا النمط من عمليات الاستهداف.

ولقد لوحظ أن كتاباً ومثقفين كبار، مقربون من دوائر صنع القرار في عدد من الدول العربية، لم يخفوا فرحتهم بالعملية... وانبرى بعضهم للقول بأنها ليست إرهابية ولا يمكن تصنيفها كذلك، طالما أنها استهدفت «عرضاً عسكرياً» ولم تستهدف المدنيين العزل، مع أن من بين القتلى والجرحى مدنيون كانوا يجلسون على مقاعد النظارة والمشاهدين.

لن تعلن أية جهة رسمية، تأييدها للعملية أو تبنيها للجهة التي أقدمت على تنفيذها، بل ولن يكون هناك «ترحيب رسمي» بمثل هذه الأنماط من الأعمال التي تثير حساسية الرأي العام، كونها تشبه أنماطاً من العمليات تقوم بها جماعات إرهابية، ولأن تبرير هذه العملية أو الترحيب بها، «يشرعن» حق الآخرين بالرد واعتماد وسائل مماثلة... لكن المهمة ستترك لمنابر وجهات غير رسمية، تقول ما تشاء، جرياً على مألوف المنطقة، وما درجت عليه أحوالها في السنوات الأخيرة.

إيران قالت إنها تعرف من يقف وراء الأحوازية التي أعلنت مسؤوليتها عن الحادث، وقادة في الحرس الثوري وجهوا أصابع الاتهام لدولة خليجية وللولايات المتحدة، وتعهدت بالرد على العملية، وبالرد فوراً وعلى نحو حاسم... لا نعرف ما الذي ستفعله إيران، وإن كانت سترد بالمثل أم لا، وأية أدوات تتوفر عليها طهران لتنفيذ تهديداتها. خلاصة القول، أن ساحات حروب الوكالة المنذلة والمفتوحة بين الماحور المتصارعة في المنطقة، لم تعد كافية لتسوية الحسابات بين الأطراف.. الاستهداف المباشر للأمن الداخلي، قد يكون سمة المرحلة المقبلة في صراع الماحور، وقد نسمع قريباً عن «عمليات متبادلة» يجري تنفيذها على ضفتي الخليج، وقد يحظى الإعلام بأسماء جديدة لمنظمات وجماعات تزعم مسؤوليتها عن عمليات إرهابية في عمق الدول المتنازعة، وقد تتعدد «المسميات» و«المظلوميات»، بيد أنها لن تنجح بحال في إخفاء حقيقة أن الصراع الإقليمي دخل مرحلة «الضرب تحت الحزام».

أمريكا والصين.. وصراع الزعامة

*مايكل موريل

صحيفة (واشنطن بوست) : ٢٣/٩/٢٠١٨

بعد مرور قرابة عقدين على هجمات الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية، إلا أن اللافتة على الجدار في الرواق داخل مركز مهام مكافحة الإرهاب بوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، لا تزال الكتابة عليها كما هي: «اليوم هو ١٢ سبتمبر ٢٠٠١». وتشير اللافتة إلى شعور بالإلحاح أن الضباط الذين يعملون هناك لا تزال مهمتهم هي حماية الدولة، في كل يوم، من الإرهاب. وقد حظيت جهودهم منذ ذلك الحين بنجاح ملحوظ، بالنظر إلى أن الإرهابيين المتطرفين حاولوا مرارا وتكرارا مهاجمة الأراضي الأمريكية. لكن على أية حال لم يتم القضاء على الإرهاب الدولي، لذا، لا يزال الحذر مطلوباً. غير أن الدولة أكثر أماناً بكثير مما كانت عليه قبل الحادي عشر من سبتمبر، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى أننا وضعنا خلافاتنا السياسية جانبا من أجل مصلحة الأمن القومي. بيد أن ذلك التضامن اهتز بسبب حالة الاستقطاب السياسي المتزايدة في السنوات الأخيرة، وهو تطور خطير لأن الولايات المتحدة تواجه في الوقت الراهن تحديات أمنية عالمية جسيمة. والوحدة الوطنية ضرورية بينما ترد أمريكا على التهديدات الخارجية، بما في ذلك محاولات روسيا إضعافنا في الداخل والخارج، ومغامرات إيران العسكرية الخطيرة ودعمها للإرهاب، واستمرار التهديد النووي من كوريا الشمالية.

لكن أصعب التحديات، وربما أشدها هولا الذي تواجهه أمريكا منذ الحرب العالمية الثانية، هو كيفية الرد على صعود الصين. فعلاوة على رغبتها في استعادة مكانتها كدولة مهيمنة في آسيا، تسعى الصين أيضا إلى أن تصبح أقوى دول العالم وأكثرها نفوذاً. كما أن نجاحها الاقتصادي يجعل من الممكن أن يتحول نظامها السياسي ونظامها الاقتصادي المختلط إلى نموذج تحتذي به دول أخرى. وللمرة الأولى منذ عقود، ثمة جدال في أرجاء العالم حول أفضل صورة للحكم والنظام الاقتصادي.

وجيش التحرير الشعبي الصيني في طريقه ليصبح قوة عسكرية أقوى من أي جيش واجهته الولايات المتحدة منذ أيام الاتحاد السوفييتي. وتدرج بكين في الوقت الراهن أن أية منافسة في آسيا بين الصين وأي خصم، بما في الولايات المتحدة، ستكون مواجهة بحرية وجوية في المقام الأول، وقد تاهبت الصين بناء على ذلك، وطورت قدرات متطورة في البحر والجو، وحتى في الفضاء. ويجري الجيش الصيني كذلك إبراز الإصلاحات التنظيمية منذ تأسيس الدولة الصينية المعاصرة في ١٩٤٩. وتبدو بكين أكثر قدرة من ذي قبل على استعراض قوتها العسكرية.

وعلاوة على جيشها المتنامي، تشكل الصين تحدياً خاصاً، باعتبارها خصماً يستخدم تكتيكات اقتصادية ودبلوماسية مشروعة، مثل اتفاقات التجارة الحرة والمساعدات التنموية، كما تستخدم تكتيكات غير مشروعة مثل التعدي على حقوق الملكية الفكرية، والإجبار الاقتصادي، ومصادرة الجزر المتنازع عليها في بحر الصين الجنوبي.

والسؤال حول كيفية تعامل قوة راسخة مع صعود قوة عالمية جديدة هو سؤال قديم قدم المؤرخ الإغريقي «ثوسيديدس» صاحب كتاب تاريخ الحرب. وعلى الولايات المتحدة أن تجيب على هذا السؤال، وبسرعة!

ورغم ذلك لم نتوصل حتى الآن إلى استراتيجية. لكن الوضع الراهن ليس خياراً لأن الصين تزداد ثقة كل يوم في أن بمستطاعها المضي قدماً في طريقها. كما أن الاحتواء ليس خياراً هو الآخر لأن قوة الصين أضحت بالفعل أكبر من أن تحتوى، واعتماد بقية دول العالم عليها صار أكبر من المتصور. ويعتقد البعض في مجتمع الأمن القومي أنه لا بد من التوصل إلى اتفاق، تتخلى بموجبه الولايات المتحدة عن بعض نفوذها العالمي في مقابل موافقة بكين على الإذعان لقواعد النظام الدولي. ويشكك آخرون في أن الصين تحتاج إلى التوصل إلى اتفاق مع الولايات المتحدة لتصبح أقوى دولة في العالم، ويشيرون إلى أن علينا أن نفكر في الطريقة المثلى لإدارة شؤوننا كثنائي قوة في العالم، مثلما فعلت بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية.

وبصفة شخصية، لا أزال أأمل أن يكون من الممكن التوصل إلى صفقة، لكن الأمر سيقتضي أن تقنع الولايات المتحدة الصين بأنها إذا ما أرادت النجاح عالمياً، فإنها تحتاجنا. ولن يحدث ذلك إلا إذا واجهت واشنطن أي انتهاك صيني للقواعد القائمة بقوة، على أن تقبل في الوقت ذاته، بل وتكافئ بكين، عندما تلتزم بهذه القواعد. ويعني ذلك ضرورة المواجهة بقوة لأي تحركات عدوانية مثل عسكرة بحر الصين الجنوبي، بينما ترحب بخطوات مثل إطلاق بكين بنك الاستثمار في البنية التحتية الآسيوية قبل عامين.

وقد لا تتفق جميعاً على استراتيجية محددة، لكن التعاون بين الفرقاء السياسيين في أمريكا هو أمر ضروري لوضع وتطبيق أية خطة طويلة الأمد ومعقدة بما يكفي للتعامل مع التحدي الذين تمثله الصين. وفي خضم الانقسامات السياسية الشرسة التي تشهدها واشنطن حالياً وتشتت الانتباه بشكل كبير، ستكون أية قضايا سياسية خارجية معرضة لخطر التجاوز وضياح الفرص. وقد أظهرت هجمات الحادي عشر من سبتمبر لنا تكلفة ألا نكون متأهبين.

تشاؤم أولبرايت.. وحدود أزمي الرأسمالية والديموقراطية

*وحيد عبد المجيد

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية: ٢٠١٨/٩/٢٢

تحذر وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين أولبرايت، في كتابها الصادر حديثاً تحت عنوان مثير «فاشية: تحذير»، من عودة الفاشية، ولكن من دون أن توضح كيف يمكن أن تعود، وهي التي ارتبطت بمرحلة تاريخية محددة.

تفترض أولبرايت أن الفاشية ليست تجربة معزولة أو فريدة في التاريخ، بل قابلة للتجدد، وأنه ليس هناك ما يحول دون إعادة إنتاجها، وسقوط العالم في هونها المظلمة مرة أخرى. ولكنها لم تحاول إثبات هذا الافتراض، بل اعتبرته ثابتاً، وانتقت من ظواهر تطرف قومي وشعبي في أمريكا وأوروبا اليوم ما يدعم الاعتقاد بأنها قريبة من تلك التي أنتجت الفاشية منذ صعود الدوتشي موسوليني إلى السلطة في إيطاليا في ١٩٢٢.

تجد أولبرايت في الصراعات العالمية، والتفاوت الاجتماعي المتزايد في معظم الدول، والاستقطاب المتنامي في المجتمعات، ما يشبه الأوضاع التي سادت أوروبا عقب الحرب العالمية الأولى، وأتاحت لحركات وأحزاب فاشية الصعود إلى السلطة عبر التلاعب بمشاعر قطاعات من المجتمعات.

لكنها تغفل اختلافات مهمة بين العالم الآن، وما كان عليه في ذلك الوقت. كان النظام الرأسمالي في أزمة خانقة بلغت ذروتها في الدول المهزومة في الحرب الأولى، فنجحت حركات وأحزاب فاشية في خلق حالة جمعت بين استغلال الغضب الوطني العارم من الإذلال الذي اقترن باستسلام هذه الدول، واستثمار الغضب الطبقي من تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

وكان وجه الفريدة التاريخية في تلك الظروف وجود حالتين تعبويتين يصعب جمعهما إلا على سبيل الاستثناء الذي لا يتكرر، لأن إحداها (الوطنية أو القومية) شاملة، بينما الثانية (الطبقية) جزئية موجهة بالضرورة ضد مصالح قطاع ممن تشملهم الأولى. كما أن الحركات والأحزاب الفاشية بلورت أفكاراً محددة قد لا ترقى إلى مستوى المرجعية الفكرية المتكاملة، لكنها لم تكن مجرد شعارات عامة من النوع الذي ترفعه الحركات الشعبوية، والقومية المتطرفة، التي تُحذر أولبرايت منها.

غير أن أكثر القلقين من صعود هذه الحركات الآن يتجنبون سؤالاً لا بد من إثارته، وهو: هل تهدف إلى إلغاء النظام الديموقراطي، وتعمل من أجل إقامة نظام شمولي يقوم على حزب أحادي؟ لا نجد، حتى الآن، في برامج هذه الحركات وخطاباتها ومواقفها ما يدل على رغبتها في إلغاء النظام الديموقراطي، بخلاف الأحزاب والحركات الفاشية السابقة، كما أنها لا تستطيع ذلك حتى إذا رغبت فيه. فأقصى ما في إمكانها هو التحايل على النظام الديموقراطي الذي يعني استمراره أن وجودها في السلطة مؤقت.

وهذا فرق مهم مثلاً بين ترامب وموسوليني اللذين تحاول أولبرايت في كتابها إثبات وجود جوامع بينهما، فتبدو كما لو أنها لا تعيش في الولايات المتحدة وتتابع كل يوم حملات ضد الرئيس الأمريكي كانت كلمة واحدة من إحداها تكفي لإرسال قائلها أو كاتبها إلى المقصلة في إيطاليا الفاشية.

لكن كتابها يفرض فتح نقاش جاد، نستله هنا، حول حدود الأزمة الراهنة للنظام الرأسمالي العالمي، وأثرها في مستقبل الديمقراطية. ويتطلب هذا أن نلقي نظرة سريعة على حجج الفريقين اللذين يختلفان على طبيعة أزمة الرأسمالية التي بدأت في الثلاثينات وهل هي ممتدة حتى اليوم على نحو يُدعم رؤية أولبرايت، أم إن الأزميتين اللتين نشبتا بعدها (في السبعينات ثم في نهاية العقد الماضي) منفصلتان عنها.

هناك اتجاه في دراسة أزمة النظام الرأسمالي في العالم يذهب إلى أنها أزمة واحدة يُعاد إنتاجها في ظروف مختلفة، الأمر الذي يجعلها متراكمة. ويعتقد أنصار هذا الاتجاه أن أزمة الرأسمالية في السبعينات لم تنته، بل حجب الانتصار في الحرب الباردة الدولية مظاهرها مؤقتاً، وأن ما حدث في نهاية العقد الماضي (منذ ٢٠٠٨) يُمثل امتداداً لها. جوهر أطروحة هذا الاتجاه أن الرأسمالية استنفدت طاقاتها الاقتصادية، ولم تعد قادرة على تحقيق نسب نمو مرتفعة، أو الاستجابة للمطالب الاجتماعية، أو حتى المحافظة على ما حققته في هذا المجال. ويرون أن هذا يدفعها إلى التراجع عن الاعتماد على أشكال سياسية ذات طابع ديموقراطي، أو التضحية بما يسميه ولفغانغ ستريك «الغطاء الديموقراطي» الذي حافظت عليه لفترة طويلة.

غير أن الأطروحة المضادة تبدأ بتفكيك فكرة امتداد الأزمة، وتسعى إلى إثبات أن أزمة الرأسمالية في كل مراحلها ظلت محصورة في منظوماتها المالية، ولم تصل إلى الاقتصاد الحقيقي، وأن هذه الأزمة تدل على وجود تناقضات كامنة داخل عالم الإنتاج (إنتاج السلع والخدمات)، وليس على احتدام أزمته.

كما يقدمون استقرار نسبة الفائدة منذ منتصف الثمانينات، وحتى منتصف العقد الماضي، باعتباره دليلاً على أن الرأسمالية تجاوزت أزمة السبعينات، وأن الأزمة التي اندلعت في ٢٠٠٨ تُعد بالتالي جديدة، فضلاً عن اختلاف مصدرها الذي ارتبط بانفجار فقاعة عقارية في الولايات المتحدة.

هناك أربع أزمات في تاريخ الرأسمالية، وليست أزمة ممتدة، وفق أطروحة هذا الاتجاه، وهي أزمات ١٨٧٣ - ١٨٩٦، والثلاثينات (الكساد الكبير)، والسبعينات، و٢٠٠٨. ويعترف أصحاب هذه الأطروحة بأن الأزمات الثلاث الأخيرة يجمعها ازدياد الأرباح المالية، وما يُطلق عليه رأس المال الوهمي، ولكنهم يلفتون الانتباه إلى الفروق الكبيرة بينها كما أي في الحجم، ونوعاً أي في العوامل المُسببة، مع تأكيد أنها لا تُمثل خطراً على الاقتصاد الحقيقي.

وما يعنينا في الخلاف بين الاتجاهين أن أولهما يرى أن أزمة الرأسمالية وصلت الآن إلى مرحلة تدفع إلى إعادة إنتاج الفاشية في صورة الحركات القومية المتطرفة والشعبوية الصاعدة في الغرب، بينما يضع الثاني تلك الأزمة في ما يعتبره حجمها الحقيقي، ويستبعد بالتالي أن تؤدي إلى تقويض الديمقراطية.

وتفيد المقارنة بينهما بأن الأول مدفوع إما بخلفيات أيديولوجية أو مخاوف زائدة عن الحد، فيبالغ في تصور علاقة بين أزمة الرأسمالية وصعود الحركات القومية والفاشية، ويعتقد أن الديمقراطية تتداعى. أما الثاني فيبدو أكثر واقعية، ويفسر صعود تلك الحركات بعوامل لا تتعلق بحال النظام الرأسمالي، وهي ضعف أداء المؤسسات، وتدفق المهاجرين واللاجئين، وانتشار الإرهاب، ويستبعد تالياً تقويض النظام الديموقراطي، لكنه يعترف بالضعف الذي ينتابه في المرحلة الراهنة.

وتبدو حجج الاتجاه الثاني أقوى، إذ لا نجد حتى اليوم ما يدل على أن الحركات القومية والشعبوية الصاعدة تهدف إلى الانقراض على الديمقراطية، بل يوجد بينها من يعتقدون أن حملاتها على المؤسسات السياسية الحاكمة عقوداً طويلة يمكن أن تُحرر النظام الديموقراطي من أصفاد كبلته بها نخب محدودة العدد. ويأتي شعار «إعادة السلطة إلى الشعب» في سياق هذا الغضب على النخب السياسية وهيمنتها على المؤسسات، أكثر منه في إطار رفض الديمقراطية والسعي إلى القضاء عليها.

الشرق الأوسط في فوضى: عن الأنظمة والحدود

*يوست هاترمان

تجاهل مسعود بارزاني للمبادرات ادى إلى انتكاس طموحات الكرد لعقود

مركز الشرق للفكر الاستراتيجي: ٢٥/٩/٢٠١٨

ملخص: مئة عام مرّت على تشكل حدود الشرق الأوسط الحديث للمرة الأولى. مضت حينها بريطانيا وفرنسا، المنتصرتان في الحرب العالمية الأولى، في تقسيم بقايا الإمبراطورية العثمانية المندحرة. وبقيت الحدود التي رسمتها الدولتان حتى يومنا هذا، وتطورت الأنظمة السياسية التي وضعتا قواعدهما، لكنّها لم تفلت أبداً من اعتماديتها على قوى خارجية متعدّدة، ما أفضى إلى أنظمة حكم تتوطّن فيها أوجه الخلل. هذا النظام الفوضوي الذي امتدّ قرناً من الزمان قد واجه تحدياً ممتداً في أثناء انتفاضات ٢٠١١ الشعبية التي جابت منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وأتاح الانهيار اللاحق لعددٍ من الدولة العربية بدوره الفرصة لمجموعتين من الجهات الفاعلة من غير الدول كي تمحو الحدود التي تعتبرها ظالمة، وتعمل على رسم حدودٍ جديدة: الأولى تضمّ الكرد، الذين عانوا بشدّة في نضالهم من أجل تأسيس دولة حرّموها منها قبل مئة عام، والثانية تضمّ أتباع الدولة الإسلامية (داعش)، الساعين إلى تأسيس خلافة إسلامية عالمية تسمو فوق الدول القومية. وفشل المجموعتين حتى الآن في تحقيق طموحاتهما يشهد على قوة حدود منطقة الشرق الأوسط. ربما تسنح الفرصة لاحقاً لكن في الوقت الراهن، ربما يكمن حلّ مشكلة الحدود الظالمة في ترتيباتٍ سياسية أكثر فعالية داخل هذه الحدود. وبينما تبدأ مجتمعات الشرق الأوسط في انتزاع نفسها من هوة النزاع، كما يفعل العراق اليوم فيما يبدو، فإنّ ذلك هو التحدي الذي سيتحمّل عليها مواجهته، أي إعادة صياغة العقود الاجتماعية، وتأسيس بنى حكم قادرة على استيعاب احتياجات شعوبٍ شديدة التنوع، والمساواة بينها، والإدارة السلمية للنزاعات الإقليمية مع الجيران.

حين يتعرض الناس للصدمة وينجون منها، فإن طموحاتهم في التغلّب عليها ومنع تكرارها لا تموت. بل بالعكس، تزداد تلك الطموحات قوة بمرور الوقت، برغم الانتكاسات – الكارثية أحياناً – حتى يأتي يومٌ يمنحهم فرصة كسر الحواجز الخارجية المفروضة عليهم، وتحقيق الأحلام التي طال انتظارها. لكنّ النجاح ليس مضموناً. فحراك الشعوب – أي استعدادها للكفاح والتضحية – قد يكون جوهرياً في تحقيق الأهداف، لكنّه لا يكفي وحده. إن تلعب البيئة الجيوسياسية المتغيّرة باستمرار دوراً هي الأخرى في تحديد النتيجة.

وهناك مثالان قريبان على ذلك: استفتاء استقلال كرد العراق في أيلول/سبتمبر عام ٢٠١٧، الذي اتضح أنّ توقيته أسىء تقديره إساءةً جسيمةً، والانتفاضات العربية الفاشلة، التي سعت إلى إسقاط أنظمة الدول المصنوعة في أعقاب انهيار الإمبراطورية العثمانية (تطورت هذه الأنظمة في الأعوام المئة المنصرمة، لكنّها اتسمت بالخلل الوظيفي، وفقدت في نهاية المطاف البقية الباقية من شرعيتها). إن الحدثين منفصلان لكنهما متصلان أيضاً، فانهيار نظام الدول العربية غذى إيمان الكرد بإمكانية المضي قدماً من أجل تحقيق حلم الدولة الكردية. وكلا الحدثين أيضاً يرجع أصله إلى الفوضى الناشئة عن الحرب العالمية الأولى وتفكك الإمبراطورية العثمانية، التي وفرت لقرونٍ شيئاً من النظام لقاطنيها رغم أوجه الخلل المتزايدة بها.

الحدود وضحاياها

إن الغنائم تذهب للمنتصر، ويخرج المندحر بأعمق مشاعر الحقد يغذّيها الانتقام الذي لم يتحقّق. بدأت القوى المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، وهي بريطانيا وفرنسا، في تقسيم بقايا الإمبراطورية قبل نهاية الحرب بكثير. وتنازعت الدولتان على ترسيم الحدود لبضعة أعوام منذ اتفاقية سايكس بيكو لعام ١٩١٦، واستقرتا في النهاية على

التسوية الباقية إلى يومنا هذا. وقطعت بريطانيا وفرنسا وعوداً للشعوب الخاضعة لهما، وحنثتا بها بالسرعة نفسها. وفي الكثير من الحالات، لم تكن هذه وعوداً حقيقية، بل مجرد أفكارٍ برزت في خضمّ التفاوض ورسم الخطوط على الأوراق. فلم يحصل الكرد على دولتهم الخاصة التي طالبوا بها وظنوا أنّهم قد وعدوا بها، بينما انقسمت "الأمة" العربية إلى دولٍ شتّى، رسمت حدودها المصالحُ الإمبريالية التي فصلت العائلات عن بعضها والقبائل عن بعضها، وكانت الدوافع الرئيسية هي الولوج إلى موارد المياه والنفط. وخرجت تركيا دولةً ذليلة منفصلة عن الإمبراطورية. لكنّها - مدفوعةً بحماسةٍ قومية جديدة تحت قيادة مصطفى كمال أتاتورك - تمكّنت من كبح الطموحات الإقليمية لخصومها والسعي الكردي إلى الاستقلال.

وكان الشعب الكردي، الذي هو واحدٌ من أكبر الشعوب في العالم بلا دولة، ضحيةً واضحةً لآلاييب القوى الإمبريالية وخيانتها من وجهة نظره. فبعد أن عُرِضَت عليه احتمالية إقامة دولة في معاهدة سيفر عام ١٩٢٠ - في مساحةٍ جغرافية لا تضمُّ غالبية الكرد - حُرِم الكرد منها بعد ثلاثة أعوام فقط في معاهدة لوزان. وفي البنية الجديدة للشرق الأوسط، انقسم الكرد إلى أربع أقاليم منفصلة: في تركيا، وإيران، ودولتي العراق وسوريا العربيتين الجديدتين. وتاريخ الكرد من بعدها هو تاريخ كفاح من أجل الحريات والانفصال، من أجل الاستقلال بدولتهم أو الاتحاد الذي تأخّر كثيراً تحت مظلة دولة كردية جامعة.

من السهل فهمُ دافع الكرد، فقبائلهم وعشائريهم وعائلاتهم مزقتها الحدود الجديدة. فلم يعد بمقدور رعاة الغنم نقل قطعانهم من سهول شمال تركيا إلى المراعي الصيفية المعتادة في جبال جنوب شرق تركيا، وواجه التجار رسوماً جمركية غير مألوفة لكي يتمكنوا من البيع في مجتمعهم الخاص، ولم يعد مسموحاً بالانتماء والتمثيل السياسي إلا إن استتبع الولاء لدولة مركزية هي بالنسبة إليهم غريبة وعدوانية في المعتقد. وأي احتجاج - وبالأخص أي تعبير عن قومية كردية عابرة للحدود - قوبلَ بالقمع العنيف. وصارت حدود ما بعد الحرب العالمية الأولى مقدسةً بالنسبة إلى تركيا وإيران والعراق وسوريا، بغض النظر عن رأيهم فيها، ورأوا في أي محاولة لإزالتها تهديداً وجودياً، وسبباً كافياً للاتفاق برغم خلافات هذه الدول السياسية والأيدولوجية والجيوستراتيجية العميقة. وصارت كلمة "التقسيم" هي أكثر الكلمات المكروهة في لسان العرب.

حصل العرب على دولهم، لكنّ الطموح الذي عاش لأعوام وصاغه القوميون العرب بإنشاء كيانٍ واحد تربطه اللغة والثقافة والتاريخ تم إحباطه. وامتنع القوميون العرب من الطبيعة الاعتبارية - في نظرهم - للحدود المفروضة عليهم، وقاوموا نية بريطانيا المعلنة بتأسيس وطنٍ لليهود على أرضٍ عربية، باعتبارها محاولة خبيثة لإبقاء العرب منقسمين. وبدافع من هذه المظالم، تمتعت حركة الوحدة العربية بشعبية جارفة في معظم القرن العشرين. وحركتها نخب علمانية حاولت - في بعض الأوقات - إعطاءها تعبيراً متماسكاً وقُبلة حياة عبر ضم دولتهم إلى دولة أخرى رأوا فيها الطموحات نفسها: كوحدة مصر وسوريا، والعراق والأردن، والجهود المشابهة. كانت كل هذه المشروعات بلا استثناء قصيرة العمر، إن كانت قد تحققت من الأصل. وعلاوةً على ذلك، رضيت النخب الحاكمة مع مرور الوقت بالحدود التي ورثتها، واعتنقت بإخلاص الهويات المنفصلة (العراقية والسورية والأردنية والمصرية وغيرها) التي تميز دول الشرق الأوسط الحديث.

كانت نقطة التحول هي هزيمة الجيوش العربية في حرب ١٩٦٧، التي حملت الاسم المهيّن "حرب الأيام الستة". فقد أظهرت الحرب أنّ الوحدة العربية قد فشلت (استُبدلت لبعض الوقت بالقومية الفلسطينية). وتراجعت النخب العلمانية، وبرزت أيديولوجيات جديدة بقيادة إسلاميين يطمحون إلى الوحدة الإسلامية أكثر من الوحدة العربية. بعبارةٍ أخرى: وحدة عمياء عرقية، بين العرب والأتراك والكرد وغيرهم، تحت راية الإسلام. وكان أول التعبيرات السياسية عن هذه الحركة جماعة الإخوان المسلمين، الجماعة ذات الأصول المصرية التي أنبتت جماعات زميلة بأيدولوجية مشابهة في أنحاء الشرق الأوسط. ويرجع بقاء هذه الجماعات، التي حظرتها أنظمة علمانية راسخة مدعومة من الغرب، بشكل كبير إلى تفادي العمل السياسي الصريح. وقد مرت هذه الجماعات أيضاً بدرجة من التحول إلى التطرف، إذ اندفع الشباب الساخط إلى ساحات الحرب في أفغانستان في ثمانينيات القرن الماضي، ولاحقاً في العراق مع الغزو الأمريكي. وهناك اكتسب الشباب مهارات التنظيم والقتال، وسمعة الأبطال المتصدين للغزاة

الأجانب، وصنعوا نموذجاً رغب الكثيرون في الوطن العربي أن يحذو حذوه. وفي أكثر مظاهرهم التنظيمية تطرفاً، ألا وهو تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، استهدف الإسلاميون استعادة الخلافة التي أنهارت بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية.

وحين اندلعت الانتفاضات العربية في عام ٢٠١١، لم يتحرك المحتجون بدافع من ظلم حدود دولهم واعتباطيتها، بل بسبب طبيعة ترتيبات الحكم داخل هذه الحدود، التي تمخضت عن المحسوبية والمحاباة وأشكال أخرى من الفساد، وفشلت فشلاً متزايداً في تقديم الخدمات وتوزيع ثمار أي نمو اقتصادي (اختلف حجم النمو من دولة إلى أخرى، وتراكمت أغلب الثروات في دول الخليج). وجاء السعي إلى تغيير الحدود بين البلدان من فصيلين محدودين: الكرد، الذين ليست لديهم دولة من الأصل، وعانوا بشدة في سعيهم إلى إنشاء دولة كردية على مدار قرن، وأتباع الدولة الإسلامية (داعش)، الذين احتفلوا في حزيران/يونيو ٢٠١٤ باختراق الحدود العراقية السورية كخطوة أولى تجاه تأسيس خلافة إسلامية عالمية تسمو فوق الدول القومية. وفشل المجموعتين حتى الآن في تحقيق طموحاتهما يشهد على قوة حدود منطقة الشرق الأوسط، في مقابل اصطناعيتها المزعومة.

كيف تتغير الحدود؟ إن اعتمدنا على التاريخ، فتغيرات الحدود – خاصة المتنازع عليها – تنشأ بشكل رئيس من أحداثٍ درامية تُطرح بما هو أكثر من الحدود – مثل تفكك إمبراطورية – ويخرج منها خاسرون وفائزون واضعون. وكانت الحرب العالمية الأولى مجموعة من تلك الأحداث التي رجّت الأرض، وكذلك كانت الحرب العالمية الثانية، التي تمخّض عنها الاتحاد الأوروبي، الذي هو اتحاد يتسع تدريجياً لمجموعة من الدول القومية في وحدة واحدة، تُزال فيه الحدود بينها جزئياً بمرور الوقت. وأدت نتيجة الحرب أيضاً إلى تقسيم ألمانيا إلى دولتين، ولم تتوحد الدولتان مجدداً إلا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي بعد أكثر من أربعة عقود. وكذلك سمح تفكك الاتحاد السوفيتي بافتراق التشيكيين والسلوفاكيين ودياً. وفي أماكن أخرى، تشكلت دولٌ وحدودٌ جديدة في آتون الحرب، كما حدث في البلقان وفي السودان وجنوب السودان. حتى داخل أوروبا، بدأت النزعات الانفصالية – التي جرى احتواؤها لمدة طويلة بسبب الدمار الذي يعرف الجميع إمكانية أن تتسبب به حركات الانفصال – في الاشتداد مجدداً. انظر إلى التطورات في إسبانيا/كاتالونيا في ٢٠١٧.

إن الكرد تلاميذُ منكبّون على دراسة التاريخ والجغرافيا، وهدفهم الرئيس هو فهم تركيبة العوامل التي ستساعدهم في إنشاء دولة خاصة بهم، ومتى يمكنهم ذلك. وقد دخل الكرد مراراً في تحالفات مع القوى العظمى على أمل أنها ستدعم السعي الكردي إلى الاستقلال في مقابل المنافع التي سيقدمها الكرد بموجب هذه التحالفات. وحين رأى قادة كرد العراق الضعف الذي حلّ بدولة العراق بعد ٢٠٠٣، وسقوط سوريا في الحرب الأهلية بعد ٢٠١١، ومنعطف التدمير الذاتي الذي اتخذته تركيا بعد ٢٠١٥، وحين استغلوا بنجاح حاجة القوى الغربية إلى قوات برية محلية في قتال الدولة الإسلامية (داعش) بعد ٢٠١٤ عن طريق توفير القوة البشرية وجهود الحشد، وحين منحتهم القوى العظمى في المقابل المعدات العسكرية والتدريب إضافة إلى الدعم والتعاطف السياسي – ظنَّ الكرد أنَّ اللحظة قد حانت.

وفي سبتمبر/أيلول ٢٠١٧، تجاهل مسعود بارزاني، رئيس إقليم كردستان في العراق، كل الاحتجاجات من هؤلاء الحلفاء أنفسهم – الولايات المتحدة والحكومات الأوروبية وتركيا – ومن خصومه – الحكومة الفيدرالية في العراق وإيران. لكنّه في حميته أساء تقدير القوة الباقية للتيارات القومية في العراق وسوريا، وتحكّم تركيا في دخول الكرد من صادرات النفط، والعزم الإيراني على نشر قواتٍ وكيلة لمنع انفصال الكرد عن العراق، واستعداد واشنطن للتغاضي عن الإجراءات المضادة المشتركة من الجهات المذكورة حفاظاً على مصلحتها الأتقى، وهي الحفاظ على التماسك الإقليمي للعراق. وبدلاً من تحقيق استقلال كردستان العراقية، أجبر قادة الكرد على سحب قواتهم الأمنية من الأراضي العراقية، ومن ضمنها كركوك التي تحتوي ثورة نفطية كان من الممكن أن تصبح محركاً لاعتماد الكرد على أنفسهم اقتصادياً، وهو انسحابٌ أدى إلى انتكاس طموحات الكرد السياسية بما يقدر بعقود.

كذلك انهزمت طموحات الدولة الإسلامية (داعش)، لكن بوسائل أخرى. حوصرت تلك الطموحات بالقرار الاستراتيجي الذي اتخذته التنظيم بإطلاق مشروعه من قاعدة إقليمية بدلاً من محاولة بناء حركة منتشرة جغرافياً

يصعب استهدافها، كما فعل تنظيم القاعدة والجماعات الموالية له. وفي أواخر عام ٢٠١٧، كان مقاتلو داعش قد طرد أغلبهم من العراق وسوريا، وأُعيد إرساء الحدود. وربما يبقى التنظيم، متغذياً على العداوات ذاتها التي أدت إلى نشأته، لكن من المستبعد أن يتمكن قريباً من تنفيذ محاولة أخرى لاستعادة الخلافة عبر احتلال المناطق. لا ينبغي توقع أن يتخلى أي من المعسكرين عن طموحاته. غير أنهما - إن كانا قد تعلّما من الإخفاقات - سيختاران وسائل مختلفة لتحسين فرصهما، انتظاراً للحظة الذهبية.

الأنظمة والفوضى الكامنة فيها

بمجرد انتهاء فرنسا وبريطانيا من تقسيم الشرق الأوسط ما بعد العثمانيين عبر ترسيم حدود الدول الجديدة، مضت الدولتان إلى تشكيل النظام السياسي داخل تلك الحدود، وفي كل الحالات أسست أنظمة خاضعة. شكلت الدولتان تلك الأنظمة جزئياً على صورتها: أنظمة ملكية في الدول الخاضعة للانتداب البريطاني، وأنظمة جمهورية في الدول الخاضعة للانتداب الفرنسي. وكان لجوء بريطانيا إلى الهاشميين من أجل تولي حكم العراق والأردن مكافأة على دعمهم بريطانيا في القتال ضد العثمانيين في الجزيرة العربية، وكان الهاشميون وشكل حكومتهم غرباء على الشعوب الخاضعة لحكمهم. بقي الهاشميون حُكّاماً للعراق لخمسة وثلاثين عاماً، وحُكّاماً للأردن حتى اليوم. ومن السمات المميزة للأنظمة التي صنعتها بريطانيا وفرنسا فهما لمجتمعات الشرق الأوسط على أنها تكتل من مجتمعات عرقية وطائفية فاقدة لأي مبدأ تنظيمي أعلى، ومن ثم لا يمكن توقع انصهارها في دول متماسكة. فقد لعبت تلك الأنظمة على هذه الاختلافات باستراتيجية فرق تسد الإمبريالية، فانحازت إلى الأقليات وخاصة الأقليات الدينية، لمنع الأغلبية من الوصول إلى السلطة واتباع نهج أكثر استقلالية: كاليهود في فلسطين، والعلويين في سوريا، والكردي في العراق.

وقد تنوعت سبل الدول الجديدة لتحقيق الاستقلال الرسمي في طولها، لكن اعتمادها على المراكز الإمبريالية الغربية (وفي بعض الحالات في أثناء الحرب الباردة على الاتحاد السوفيتي) في توفير الحماية العسكرية كان طویل الأمد. وقدمت هذه الأنظمة للدول الغربية في المقابل أقصى رغباتها: الولوع إلى الموارد، والولاء (وقمع النزعات القومية التي استغلها الاتحاد السوفيتي)، والطاعة وحتى الدعم المادي في الحروب (على سبيل المثال في الكويت)، ومعاهدة سلام مع إسرائيل.

وبمرور الوقت، أفضت الأنظمة الخاضعة إلى أنظمة لا يُعتمد عليها، وتوقف الأمر على من يتولى السلطة، فالمجتمعات نفسها كانت في حالة تقلب مستمرة، والعالم من حولها تعرض لتغيرات مفاجئة على مدار القرن. والتجربة العربية ما بعد العثمانيين هي تأريخ لسعي المجتمعات إلى التكيف مع التدخلات المستمرة من لاعبين خارجيين أكثر قوة، وهذه التدخلات مكروهة بسبب استغلالها النيوكولونيالي للموارد الطبيعية ودعمها للأنظمة السلطوية التي تجعل هذا التدخل ممكناً، لكنها مرغوبة بسبب خواصها التحديثية. وسعت تلك المجتمعات كذلك إلى مقاومة هذه التدخلات، أو إن أمكن تحويلها ودمجها. والطبيعة المختلطة للدول الناشئة عن ذلك - المدفوعة جزئياً بمصالح إمبريالية، وتعكس جزئياً البنى والممارسات المحلية القائمة - جلبت معها أزمة شرعية مستمرة قد تجلب نهاية الأنظمة الفوضوية ما بعد العثمانيين، مثل كل الأمراض المزمنة.

في مئة عام، مرت المنطقة بسلسلة من التجارب السياسية والأيدولوجية، لكن أنظمة الدول بشكل شبه دائم، وبغض النظر عن قشورتها الأيدولوجية، كانت قائمة على حكم الأقليات العسكري القمعي، بلا معارضة لجشع القوى الخارجية في امتصاص الموارد. وصارت الانقلابات العسكرية الوسيلة المفضلة للوصول إلى السلطة، خاصة في أواخر الأربعينيات والخمسينيات والستينيات. واستغل المستبدون المؤسسات العسكرية الأمنية في السيطرة على المجتمعات، وسحقت هذه المؤسسات الحياة السياسية، ودخلت في دائرة مفرغة عطلت الآليات التي تضمن التداول السلمي المنتظم للسلطة. وصار الحكم العسكري متوطناً في تلك الدول.

ومع تغيير الأنظمة بالقوة، تراجع دور المؤسسات المدنية التي أنشأتها القوى الاستعمارية، مثل البرلمانات الوطنية والمحاكم والسلطات القضائية، على عيوبها. وأزال هذا أي نظام يشبه الضوابط والموازنات الرقابية، أو

توفير الخدمات عبر الأجهزة التكنوقراطية، وخلف مكانه أنظمة فاسدة لا تخضع للمساءلة، تعيش على أرباح النفط بشكل مباشر أو غير مباشر.

ومع تغير مجتمعات الشرق الأوسط، فقدت تدريجياً بصمة صانعيها المميزة. ومن الخطأ أن نلوم هذه المجتمعات اليوم على العيوب الكثيرة في بنى الحكم التي استقبلتها في بادئ الأمر. فقد اكتسبت حياة خاصة بها، بصراعاتها الداخلية المستقلة على الأيديولوجيا والسياسة وتوزيع الموارد. غير أن هذه الحيوات تشكلت أيضاً بالتفاعل المستمر مع عالم خارجي يفوقها قوة بكثير، اقتصادياً وعسكرياً. وقاد هذا إلى عملية "حل مشاكل" خارجية بواسطة التدخلات العسكرية، بدعوة من الدولة أحياناً (آخر الأمثلة، روسيا في سوريا في ٢٠١٥) لكن بلا دعوة في أغلب الأحيان (العراق في ٢٠٠٣، وليبيا في ٢٠١١، أمثلة قريبة). ودائماً ما تعمق التدخلات الخارجية مواطن الخلل في أنظمة الحكم بدلاً من تحسينها.

وكشفت الانتفاضات العربية في ٢٠١١ عن التصدعات العميقة في أنظمة الحكم وإخفاقاتها، لكن حركات "نزول الشعب إلى الميادين" افتقرت بدورها إلى الإرادة والتنظيم اللازمين لتقديم رؤية بديلة. وفي أغلب الحالات، تعرضت تجارب الشعوب العربية في الحشد الشعبي إلى السحق التام أو التخفيف، أو سقطت في هوة الحرب الأهلية مع تصاعد قمع الدول البوليسية المحاصرة. غير أن السعي إلى نظام حكم أكثر فعالية مستمر في الشرق الأوسط، وغياب الحل لا يُفضي إلا إلى استجلاب موجة شعبية جديدة أكثر عنفاً في المستقبل. ولا يمكن أن يخرج الحل المناسب إلا من رحم كل مجتمع على حدة" فإن أي شيء آخر سيئسّم بالخلل والضعف نفسه أمام التدخل الخارجي.

أنظمة أفضل بواسطة حدود أفضل؟

سمحت النتيجة المؤسفة للانتفاضات الشعبية للجهات الفاعلة من غير الدول باستغلال الفوضى الناشئة، والضغط في اتجاه تحقيق طموحاتهم بتعديل الحدود المرفوضة منذ وقت طويل، بل وإزالتها. وقد انقسمت هذه الجهات إلى مجموعتين مختلفتين اختلافاً كبيراً: الدولة الإسلامية (داعش) والكرد. وفشل كلاهما في تحقيق هدفه. ويُمكن الدفع بأن هدف الكرد كان الأقل طموحاً بين الاثنين – حتى مع الفشل في تحقيقه حتى الآن: فبعد حرمانهم من إقامة دولة خاصة بهم منذ قرن مضى، لم يُرد قادة الكرد أكثر مما يرون أن كل شعب آخر قد حصل عليه بالفعل: دولة خاصة بهم. كان هذا ليتطلب تعديلاً للحدود القائمة لكي تسع أقلية كبيرة، وتقليصاً في حجم الدول "المستضيفة" للكرد، وهي تركيا وإيران والعراق وسوريا. ولا توجد دولة تتقبل تقليص حجمها، إضافة إلى أن الاضطراب الداخلي في العراق وسوريا بالأخص لم يخلق موقفاً يمكن للكرد النجاح فيه.

أما طموح الدولة الإسلامية فهو الأكبر، أي إنشاء خلافة للمسلمين في أنحاء العالم. كان هذا ليتطلب محو الحدود، ليس فقط في الشرق الأوسط بل في رقعة جغرافية أوسع بكثير. ومن الخطأ الاستهانة بقوة هذا المشروع الأيديولوجي وجاذبيته الدائمة، أو قوة الجماعات الجهادية مثل القاعدة، التي تعمل بصبر على تحقيق هذا الهدف. لكن يصعب رؤية كيف يمكن لهذا المشروع النجاح في عالم إسلامي متنوع تنوعاً كبيراً، وفي وجود الكثير من القوى المتعارضة بشرعية محلية أكبر أو أقل.

إن الحدود ستتغير مرة أخرى بالطبع، وفي الشرق الأوسط أيضاً، لكن الأمر قد يتطلب حدثاً آخر يرجّ الأرض قبل أن يحدث هذا. وفي الوقت الراهن، سيتعين أن يأتي حل مشكلة الحدود الظالمة من تأسيس ترتيبات سياسية أكثر فعالية داخل هذه الحدود، تستند إلى عقود اجتماعية مجددة في مجتمعات ما بعد الصراع، مجهزة ببنى حكم قادرة على استيعاب احتياجات شعوب شديدة التنوع، والمساواة بينها، والإدارة السلمية للنزاعات الإقليمية مع الجيران. وربما يبدو هذا هدفاً غير واقعي. لكن، بينما تبدأ مجتمعات الشرق الأوسط في انتزاع نفسها من هوة النزاع، كما يفعل العراق اليوم فيما يبدو، فإن هذا سؤال ينبغي الإجابة عليه. والطريقة التي ستتم بها الإجابة عليه ستحدد طبيعة الأنظمة والحدود المستقبلية في المنطقة.

كلمة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب أمام الدورة الـ٧٣ للجمعية العامة للأمم المتحدة

الانصات المركزي : ٢٠١٨/٩/٢٩

السيدة رئيس الجمعية العامة، السيد الأمين العام للأمم المتحدة، زعماء العالم، السادة السفراء، المندوبون المحترمون

قبل عام مضى وقفت أمامكم للمرة الأولى في هذه القاعة الكبيرة. وتحدثت عن التهديدات التي تواجه عالمنا، وعرضت رؤية من أجل تحقيق مستقبل أفضل للإنسانية جمعاء.

واليوم أقف أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة لكي أتبادل معكم التقدم الرائع الذي حققناه.

خلال أقل من سنتين، إن حكومتي أنجزت أكثر مما أنجزته أي حكومة في تاريخ بلادنا.

إن أمريكا— وهذا حقيقي (ضحك) لم تكن تتوقع رد الفعل هذا، ولكن لا بأس (ضحك وتصفيق).

إن اقتصاد أمريكا يزدهر كما لم يحدث من قبل. منذ انتخابي، أضفنا ثروة تقدر بـ ١٠ تريليون دولار. وسوق الأسهم والسندات بلغت أقصى ارتفاع لها في التاريخ على الإطلاق، وطلبات إعانة البطالة تدنت إلى أدنى نسبة لها خلال ٥٠ سنة. والأمريكيون الأفارقة، والأمريكيون الهسبان، والأمريكيون الآسيويون انخفضت نسبة البطالة بينهم جميعا إلى مستوى قياسي. وقد أضفنا أكثر من ٤ ملايين فرصة عمل جديدة بما فيها نصف مليون فرصة عمل في قطاع الإنتاج والتصنيع.

ولقد وافقنا على أكبر نسبة تخفيض في الضرائب وفي الإصلاح في تاريخ أمريكا. وبدأنا تشييد سور رئيسي ضخ على الحدود، كما عززنا بدرجة كبيرة أمن الحدود.

وتمكننا من تأمين مبلغ قياسي لتمويل جيشنا - ٧٠٠ بليون دولار في العام الحالي، و٧١٦ بليون في العام القادم. وفي القريب العاجل سيصبح جيشنا أكثر قوة عما كان في أي وقت من قبل.

بعبارة أخرى، إن الولايات المتحدة أصبحت أكثر قوة، وأكثر أمناً، وأكثر ثراءً عما كانت عليه حينما توليت المنصب منذ أقل من عامين.

وإننا ندعم أمريكا وندعم الشعب الأمريكي. كما أننا ندعم العالم كله.

وهذه أنباء طيبة بالنسبة لمواطنينا ولكل الشعوب المحبة للسلام في كل مكان. وإننا نؤمن بأنه حينما تحترم الدول حقوق الدول المجاورة لها، وتدافع عن مصالح شعبها، فإنها تستطيع أن تعمل معاً بشكل أفضل من أجل تأمين النعم التي حصلت عليها: الأمن، والازدهار والسلام.

وكل منا هنا اليوم هو مبعوث لثقافة متميزة، وتاريخ ثري، ولشعب متماسك برباط من الذكريات، والعادات والتقاليد، والقيم التي تجعل من أوطاننا نماذج فريدة لا تشبه أي مكان آخر في العالم.

وهذا هو السبب في أن أمريكا سوف تفضل دائماً الاستقلال والتعاون على التحكم في العالم والسيطرة والهيمنة.

إنني أحترم حق كل دولة في هذه القاعة في أن تواصل اتباع عاداتها، ومعتقداتها، وتقاليدها. إن الولايات المتحدة لن تملي عليكم كيف تعيشون أو تعملون أو تتعبدون. ولكننا نطلب منكم فقط أن تحترموا سيادتنا في المقابل.

من وارسو إلى بروكسل، إلى طوكيو إلى سنغافورة، كان لي أعظم الشرف أن أمثل الولايات المتحدة في الخارج. وقد تمكنت من تكوين علاقات وصداقات وعلاقات شراكة قوية مع زعماء دول عديدة في هذه القاعة. وقد أسفر أسلوبنا عن تغيرات رائعة.

وبدعم من عدد كبير من الدول الموجودة هنا اليوم، استطعنا التواصل مع كوريا الشمالية لكي نحل دفعة جديدة نحو السلام محل شبح الصراع.

وفي شهر حزيران/يونيو، سافرت إلى سنغافورة لكي أقابل وجهاً لوجه مع زعيم كوريا الشمالية رئيس المجلس كيم جونج أون. وجرت بيننا حوارات ولقاءات مثمرة جداً، واتفقنا على أنه من مصلحة البلدين أن يتم نزع السلاح النووي من شبه الجزيرة الكورية. ومنذ ذلك اللقاء، رأينا بالفعل عدداً من الإجراءات المشجعة التي كان البعض لا يتصور حدوثها قبل وقت قصير.

فالتصاريخ والقذائف لم تعد تطير في كل اتجاه. والتجارب النووية توقفت. وبعض المرافق العسكرية تم بالفعل تفكيكها. وتم الإفراج عن رهائننا. وكما وعدنا، تتم إعادة رفات أبطالنا الذين سقطوا إلى الوطن لكي تخلد إلى الراحة في التراب الأمريكي.

وإنني أود توجيه الشكر إلى الرئيس كيم على شجاعته وعلى الخطوات التي اتخذها، وإن كان ما زال يتبقى الكثير الذي ينبغي عمله. والعقوبات ستظل في مكانها إلى أن يتحقق نزع السلاح النووي.

وأود أن أشكر أيضاً العديد من الدول الأعضاء التي ساهمت في الوصول إلى هذه اللحظة - لحظة هي في الواقع أعظم بكثير مما يمكن أن يتفهمه الناس - أبعد بكثير - وأيضاً على دعمهم وعلى الدعم المهم الذي سوف نحتاجه جميعاً ونحن نتقدم نحو الأمام.

والشكر الخاص للرئيس مون رئيس كوريا الجنوبية، ورئيس وزراء اليابان آبي، ورئيس الصين شي.

وفي الشرق الأوسط، فإن أسلوبنا الجديد يسفر أيضاً عن خطوات كبيرة وتغيير تاريخي جداً.

ففي أعقاب زيارتي للمملكة العربية السعودية العام الماضي، افتتحت دول الخليج مركزاً جديداً يستهدف تمويل الإرهابيين. وهم يفرضون عقوبات جديدة، ويتعاونون معنا لتحديد وتتبع الشبكات الإرهابية، ويتحملون مسؤوليات أكثر لمكافحة الإرهاب والتشدد في منطقتهم.

فدولة الإمارات العربية المتحدة، والمملكة العربية السعودية، وقطر تعهدت ببلايين الدولارات لمساعدة الشعب السوري واليمن. وهم يسعون على مسارات متعددة من أجل إنهاء الحرب الأهلية البشعة والمروعة في اليمن.

وفي نهاية المطاف، فإنه يتعين على دول المنطقة أن تقرر نوعية المستقبل الذي تريده لنفسها ولأطفالها.

ولهذا السبب، فإن الولايات المتحدة تعمل مع دول مجلس التعاون الخليجي، والأردن ومصر لتكوين تحالف استراتيجي إقليمي حتى تستطيع دول الشرق الأوسط إن تدفع بالازدهار، والاستقرار، والأمن في جميع أرجاء منطقتها.

وأوجه بالشكر لقواتنا المسلحة وعلاقات الشراكة مع عدد كبير من الدول، ويسرني أن أعلن أن القتلة من المتعاطشين للدماء المعروفين باسم داعش قد تم طردهم من المناطق التي كانوا يسيطرون عليها في العراق وسوريا. وسنواصل العمل مع أصدقائنا وحلفائنا لكي نحرم الإرهابيين المتطرفين الإسلاميين من أي تمويل أو أراض أو دعم أو وسيلة للتسلل عبر حدودنا.

إن المأساة المستمرة في سوريا تُدمي القلوب. وإن أهدافنا المشتركة ينبغي أن تكون عدم تصعيد النزاعات العسكرية، إلى جانب إيجاد حل سياسي يحترم رغبة الشعب السوري. وفي هذا السياق، فإننا نحث على تفعيل عملية سلام بقيادة الأمم المتحدة. ولكن ليكن معلوماً ومؤكداً أن الولايات المتحدة سترد إذا قام نظام الأسد بنشر أسلحة كيميائية.

إنني أشيد بشعب الأردن وشعوب الدول المجاورة الأخرى على استضافة اللاجئين من هذه الحرب الأهلية الوحشية جداً.

وكما نرى في الأردن، فإن أكثر السياسات الرحيمة هي تسكين اللاجئين في أقرب مكان لديارهم بقدر الإمكان لتسهيل عودتهم في نهاية المطاف ولتكون جزءاً من عملية إعادة البناء. وهذا الأسلوب يساعد أيضاً على الاستفادة القصوى من الموارد المحدودة لكي تتم مساعدة عدد من الناس أكبر بكثير، وزيادة تأثير كل دولار يُنفق.

إن كل حل للأزمة الإنسانية في سوريا ينبغي أن يتضمن استراتيجية لمواجهة النظام الوحشي الذي دعمته ومولته: الدكتاتورية الفاسدة في إيران.

إن الزعماء الإيرانيين زرعوا بذور الفوضى والموت والدمار. إنهم لا يحترمون جيرانهم ولا حدودهم، ولا حقوق السيادة للدول. وعوضاً عن ذلك فإن زعماء إيران نهبوا ثروات الدولة لإثراء أنفسهم ولنشر الدمار في جميع أرجاء الشرق الأوسط وما يتجاوزها.

إن الشعب الإيراني غاضب ومعه الحق في ذلك من أن زعماءهم اختلسوا بلايين الدولارات من خزانة إيران، واستولوا على قطاعات مهمة وقيمة من الاقتصاد، ونهبوا الأوقاف الدينية المملوكة للشعب، وكل ذلك ليملاؤوا جيوبهم ويبعثوا وكلاءهم لشن الحرب. وهذا ليس بجيد.

إن جيران إيران تكبدوا خسائر فادحة بسبب برنامج النظام (الإيراني) للعدوان والتوسع. وهذا هو السبب في أن دولا كثيرة في الشرق الأوسط أيدت بشدة قرارى بانسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي البشع مع إيران للعام ٢٠١٥ وإعادة فرض العقوبات النووية عليها.

إن الاتفاق مع إيران كان مكسباً كبيراً للزعماء الإيرانيين. وفي السنوات التي أعقبت توقيع الاتفاق، ارتفعت ميزانية الجيش الإيراني بنسبة ٤٠ في المائة. واستخدم النظام الدكتاتوري الأموال في تمويل تصنيع صواريخ قابلة لأن تكون نووية، وزيادة القمع في الداخل، وتمويل الإرهاب، وتمويل الخراب والمذابح في سوريا واليمن.

وشنت الولايات المتحدة حملة من الضغط الاقتصادي لحرمان النظام من التمويل الذي يحتاجه ليدفع ببرنامجها الدموي. وفي الشهر الماضي، بدأنا إعادة فرض العقوبات الشديدة التي كانت قد رُفعت بمقتضى الاتفاق النووي مع إيران. وهناك عقوبات إضافية سنُستأنف في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر، والمزيد سيتبع ذلك. وإننا نعمل مع الدول التي تستورد البترول الإيراني الخام لكي تخفض مشترياتها بشكل كبير.

إننا لا نستطيع أن نسمح للدولة الأولى الراعية للإرهاب في العالم بامتلاك أكثر الأسلحة دماراً على سطح الكوكب. إننا لا نستطيع أن نسمح لنظام يهتف "الموت لأمريكا"، ويهدد إسرائيل بالإبادة والتدمير بأن يمتلك وسائل تصويب رأس نووي نحو أي مدينة في العالم. إنني لا أستطيع أن أفعل ذلك.

إننا نطلب من كل الدول أن تعزل النظام الإيراني طالما استمر في عدوانه. وإننا نطلب من كل الدول أن تدعم الشعب الإيراني وهو يناضل من أجل استعادة حقه في اختيار العقيدة الصالحة له.

وفي العام الحالي اتخذنا أيضاً خطوة أخرى مهمة نحو الأمام في الشرق الأوسط. واعترافاً منا بحق كل دولة ذات سيادة في اختيار عاصمتها، فإنني نقلت السفارة الأمريكية في إسرائيل إلى القدس.

إن الولايات المتحدة ملتزمة بتحقيق مستقبل من السلام والاستقرار في المنطقة، بما في ذلك السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين. هذا الهدف قد تقدم، دون أي أذى، بالاعتراف بالحقائق الواضحة.

إن سياسة أمريكا المتمثلة في الواقعية القائمة على المبادئ تعني أننا لن نظل رهائن للمعتقدات القديمة، والأيديولوجيات التي فقدت مصداقيتها، وما يسمى بالخبراء الذين ثبت أنهم على خطأ على مر السنين، مرات ومرات عديدة. وهذا حقيقي ليس فقط في الموضوعات الخاصة بالسلام، إنما أيضاً في الموضوعات الخاصة بالازدهار.

إننا نعتقد أن التجارة يجب أن تكون عادلة ومتبادلة. والولايات المتحدة لن تُستغل بعد الآن. فلعلقود طويلة، أبقت الولايات المتحدة اقتصادها مفتوحاً - وهو الأكبر حتى الآن على وجه الأرض - بشروط محدودة. فسمحنا للسلع الأجنبية من جميع أرجاء العالم بأن تتدفق بحرية عبر حدودنا.

ولكن، الدول الأخرى لم تسمح بفتح أسواقها أمامنا بصورة عادلة ومتبادلة في المقابل. والأسوأ أن بعض الدول أساءت استخدام انفتاح أسواقنا لتغمرها بمنتجاتها، وتدعم سلعها، وتستهدف صناعاتنا، وتتلاعب بعملتها، لكي تكسب مزايا غير عادلة من بلدنا. ونتيجة لذلك، تضخم عجزنا التجاري ليصل إلى ٨٠٠ بليون دولار سنوياً.

ولهذا السبب، فإننا نواصل بانتظام إعادة التفاوض حول الاتفاقيات التجارية الضعيفة والسيئة. وفي الشهر الماضي، أعلننا عن اتفاق تجاري رائد بين الولايات المتحدة والمكسيك. وبالأمر فقط وقفت مع الرئيس مون للإعلان عن الاستكمال الناجح لاتفاق تجاري جديد بين الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية. وهذه ليست سوى البداية.

ووافق عدد كبير من الدول الموجودة في هذه القاعة على أن نظام التجارة في العالم يحتاج احتياجاً شديداً للتغيير. وعلى سبيل المثال، الدول التي سُمح لها بالانضمام إلى منظمة التجارة العالمية وهي خالفت كل مبدأ من المبادئ التي تأسست المنظمة عليها. بينما تتبع الولايات المتحدة وعدد كبير آخر من الدول القواعد المعمول بها. تلك الدول

التي تستخدم التخطيط الصناعي الذي تديره الحكومة والمشاروعات المملوكة للدولة لكي تتلاعب بالنظام لصالحها. إنها تشارك بلا هوادة في سياسة إغراق السوق، ونقل التكنولوجيا بالقوة، وسرقة حقوق الملكية الفكرية. إن الولايات المتحدة فقدت أكثر من ٣ ملايين فرصة عمل في التصنيع، وما يقرب من ربع فرص العمل في مجال إنتاج الصلب، و٦٠ ألف مصنع بعد انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية. وتكبدنا ١٣ تريليون دولار في العجز التجاري خلال العقدين الماضيين.

لكن تلك الأيام قد ولت. فلن نتسامح مع مثل هذه الانتهاكات. ولن نسمح لعمالنا بأن يكونوا ضحايا، وأن يتم خداع شركائنا، وأن يتم سلب ثروتنا ونقلها. إن الولايات المتحدة لن تعتذر أبداً عن حماية مواطنيها. لقد أعلنت الولايات المتحدة عن فرض رسوم جمركية على المزيد من السلع الصينية بقيمة ٢٠٠ بليون دولار، لتبلغ القيمة الإجمالية ٢٥٠ بليون دولار. إنني أبدي احتراماً كبيراً ومودة عظيمة لصديقي، الرئيس شي، لكنني أوضحت أن اختلال التوازن التجاري بيننا أمر غير مقبول. لا يمكن التسامح مع تشوهات السوق الصينية والطريقة التي يتعاملون بها.

وكما أثبتت حكومتني، فإن أمريكا ستعمل دائماً من أجل مصلحتنا الوطنية. لقد تحدثتُ أمام هذه الهيئة في العام الماضي وحذرتُ من أن مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة قد أصبح يشكل إحراجاً خطيراً لهذه المؤسسة، حيث يحمي منتهكي حقوق الإنسان الفاسدين وفي الوقت ذاته ينتقد أمريكا وأصدقاءها الكثيرين.

لقد وضعت سفيرتنا لدى الأمم المتحدة، نيكى هيلي، برنامجاً واضحاً للإصلاح، ولكن على الرغم من التحذيرات المعلن عنها والمتكررة، لم يتم اتخاذ أي إجراء على الإطلاق. لذا اتخذت الولايات المتحدة المسار المسؤول الوحيد: لقد انسحبنا من مجلس حقوق الإنسان، ولن نعود إلى أن يتم فرض إصلاح حقيقي.

ولأسباب مماثلة، لن تقدم الولايات المتحدة أي دعم اعترافاً بالمحكمة الجنائية الدولية. وفيما يتعلق بأمريكا، فإن المحكمة الجنائية الدولية ليس لها اختصاص ولا شرعية ولا سلطة. المحكمة الجنائية الدولية تدعي امتلاكها سلطة قضائية شبه عالمية على مواطني كل بلد، منتهكة جميع مبادئ العدالة والإنصاف ومراعاة الأصول القانونية. إننا لن نسلم أبداً سيادة الولايات المتحدة إلى بيروقراطية عالمية غير منتخبة وغير خاضعة للمساءلة. أمريكا يحكمها الأمريكيون. ونحن نرفض أيديولوجية العولمة، ونعتقد عقيدة الوطنية.

في جميع أنحاء العالم، يجب على الدول المسؤولة أن تدافع عن التهديدات ضد السيادة، ليس فقط من الحوكمة العالمية، ولكن أيضاً من أشكال القهر والهيمنة الجديدة الأخرى.

في أمريكا، نحن نؤمن بقوة بأمن الطاقة لأنفسنا ولحلفائنا. لقد أصبحنا أكبر منتج للطاقة في أي مكان على وجه الأرض. الولايات المتحدة تستعد لتصدير إمداداتنا الوفيرة والمعقولة التكلفة من النفط والفحم النظيف والغاز الطبيعي.

منظمة أوبك ودول أوبك، هم كالعادة، ينهبون بقية العالم، وأنا لا أحب ذلك. ولا ينبغي لأحد أن يحب ذلك. نحن ندافع عن العديد من هذه الدول مقابل لا شيء، وبعد ذلك، يستغلوننا من خلال إعطائنا أسعار نفط مرتفعة. أمر غير جيد.

إننا نريدهم أن يوقفوا رفع الأسعار، نريدهم أن يبدأوا في تخفيض الأسعار، ويجب أن يساهموا بشكل كبير في الحماية العسكرية من الآن فصاعداً. إننا لن نتسامح بعد الآن مع ذلك—مع هذه الأسعار الرهيبة—لفترة أطول.

إن الاعتماد على مورد أجنبي واحد يمكن أن يترك أي بلد عرضة للابتزاز والترهيب. ولهذا السبب نهى الدول الأوروبية، مثل بولندا، على قيادة بناء خط أنابيب في بحر البلطيق بحيث لا تعتمد البلدان على روسيا لتلبية احتياجاتها من الطاقة. وألمانيا ستصبح معتمدة كلياً على الطاقة الروسية إذا لم تغير مسارها على الفور.

إننا، هنا في نصف الكرة الغربي، ملتزمون بالحفاظ على استقلالنا من تعدي وتجاوزات القوى الأجنبية التوسعية. لقد كانت السياسة الرسمية لبلدنا منذ الرئيس مونرو أننا نرفض تدخل الدول الأجنبية في هذا النصف من الكرة الأرضية وفي شؤوننا الخاصة. لقد عززت الولايات المتحدة مؤخراً قوانيننا لتحسين مراقبة الاستثمارات الأجنبية في

بلادنا لرصد أي تهديدات ضد الأمن القومي، ونحن نرحب بالتعاون مع الدول في هذه المنطقة وحول العالم التي ترغب في القيام بالشيء نفسه. وأنتم بحاجة إلى القيام بذلك لحماية أنفسكم.

إن الولايات المتحدة تعمل أيضاً مع شركاء في أمريكا اللاتينية لمواجهة التهديدات ضد السيادة الناتجة عن الهجرة غير الخاضعة للرقابة. فالتسامح مع معاناة البشر وتهريب البشر والاتجار بهم ليس إنسانياً. إنه شيء فظيع يحدث على مستويات لم يسبق لأحد أن شاهدها من قبل. إنه أمر قاس جداً.

الهجرة غير القانونية تمول الشبكات الإجرامية والعصابات الوحشية وتدفق المخدرات القاتلة. الهجرة غير القانونية تستغل الفئات المعرضة للمخاطر، وتضرّ المواطنين المجتهدين في أعمالهم، وتنتج حلقة مفرغة من الجريمة والعنف والفقر. فقط من خلال حماية ودعم الحدود الوطنية، وتدمير العصابات الإجرامية، يمكننا كسر هذه الحلقة وإرساء أساس حقيقي للرخاء والازدهار.

إننا نعترف بحق كل أمة في هذه القاعة في وضع سياستها الخاصة بالهجرة وفقاً لمصالحها الوطنية، تماماً مثلما نطلب من البلدان الأخرى أن تحترم حقنا في أن نفعل الشيء نفسه - وهو ما نفعله. وهذا أحد الأسباب وراء عدم مشاركة الولايات المتحدة في الاتفاق العالمي الجديد بشأن الهجرة. لا ينبغي أن تحكم الهجرة هيئة دولية لا تخضع للمساءلة من قبل مواطنينا أنفسهم.

وفي نهاية المطاف، فإن الحل الوحيد على المدى الطويل لأزمة الهجرة هو مساعدة الناس على بناء مستقبل أكثر أملاً في بلدانهم الأصلية. اجعلوا بلادهم رائعة مرة أخرى.

نحن حالياً نشهد مأساة إنسانية، كمثال، في فنزويلا. فقد فرّ أكثر من مليوني شخص من المعاناة التي سببها نظام مادورو الاشتراكي ورعايته الكوبيين.

منذ وقت ليس ببعيد، كانت فنزويلا واحدة من أغنى البلدان على وجه الأرض. واليوم، أدت الاشتراكية إلى إفلاس هذه الدولة الغنية بالنفط ودفعت شعبها إلى براثن الفقر المدقع.

لقد أدت الاشتراكية أو الشيوعية، في كل مكان تقريباً جُربت فيه، إلى المعاناة والفساد والانحلال. إن تعطش الاشتراكية للسلطة يؤدي إلى التوسع والاجتياح والقمع. يجب على جميع دول العالم مقاومة الاشتراكية والبؤس الذي تجلبه للجميع.

ومن هذا المنطلق، فإننا نطلب من الدول المجتمعة هنا الانضمام إلينا في الدعوة إلى استعادة الديمقراطية في فنزويلا. اليوم، نعلن عن فرض عقوبات إضافية ضد النظام القمعي تستهدف الدائرة الداخلية لمادورو والمستشارين المقربين.

ونحن ممتنون لكل العمل الذي تقوم به الأمم المتحدة في جميع أنحاء العالم لمساعدة الناس على بناء حياة أفضل لهم ولأسرهم.

إن الولايات المتحدة هي أكبر مانح للمساعدات الخارجية في العالم حتى الآن. لكن القليل منها يعطينا بالمقابل بعض الشيء. وهذا هو السبب في أننا ننظر نظرة فاحصة على المساعدات الخارجية الأمريكية. وسيتأثر ذلك وزير الخارجية مايك بومبيو. وسندرس المساعدات التي تستحق الاستمرار، والتي لا تستحق، وما إذا كانت البلدان التي تتلقى دولاراتنا وحمايتنا تضع مصالحنا أيضاً موضع اهتمام.

وإذ نمضي قدماً، فإننا فقط سنقدم المساعدات الخارجية لأولئك الذين يحترمونا، ولمن هم، بصراحة، أصدقائنا. ونتوقع من الدول الأخرى أن تدفع نصيبها العادل مقابل تكاليف الدفاع عنها.

إن الولايات المتحدة ملتزمة بجعل الأمم المتحدة أكثر فعالية وخضوعاً للمساءلة. وقد قلت مراراً إن الأمم المتحدة لديها إمكانات غير محدودة. وكجزء من جهود الإصلاح، أبلغت مفاوضينا بأن الولايات المتحدة لن تدفع أكثر من ٢٥ في المئة من ميزانية حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة. وهذا من شأنه تشجيع الدول الأخرى على التقدم والانخراط ومشاركة هذا العبء الكبير.

ونحن نعمل على تحويل المزيد من تمويلنا من الأنصبة المقررة إلى اشتراكات طوعية حتى نتمكن من استهداف الموارد الأمريكية للبرامج بأفضل سجل للنجاح.

فقط عندما يقوم كل منا بدوره ويساهم بحصته، يمكننا تحقيق أعلى طموحات الأمم المتحدة. يجب أن نسعى إلى السلام دون خوف، وإلى الأمل دون يأس، وإلى الأمن دون اعتذار.

إذا نظرنا في أرجاء هذه القاعة حيث وقع الكثير من أحداث التاريخ، فإننا نفكر في الكثيرين قبلنا ممن حضروا إلى هنا لمواجهة التحديات التي كانت ماثلة أمام دولهم وفي أزمانهم. وتتحول أفكارنا إلى السؤال نفسه الذي مرّ بجميع خطاباتهم وقراراتهم، ومن خلال كل كلمة وكل أمل. إنه السؤال الذي يدور عن نوع العالم الذي سنتركه لأطفالنا ونوع الأمم والبلدان التي سيرثونها.

إن الأحلام التي تملأ هذه القاعة اليوم متنوعة مثل الأشخاص الذين وقفوا على هذه المنصة، ومتنوعة مثل الدول الممثلة هنا في هذه الهيئة. إنه حقاً شيء. إنه حقاً عظيم، تاريخ عظيم. هناك الهند، مجتمع حرفيه أكثر من بليون شخص، نجحت في انتشال ملايين لا حصر لها من الفقر ورفعهم إلى الطبقة الوسطى.

هناك المملكة العربية السعودية، حيث يسعى الملك سلمان وولي العهد إلى إصلاحات جديدة جريئة. هناك إسرائيل، التي تحتفل باعتزاز بالذكرى السبعين لقيامها ديمقراطية مزدهرة في الأرض المقدسة. وفي بولندا، يقف شعب عظيم مدافعاً عن استقلاله وأمنه وسيادته. العديد من البلدان، كل منها يسعى إلى رؤية فريدة خاصة به، وبناء مستقبله المفعم بالأمل، وملاحقة أحلامه الخاصة المتمثلة في المصير، والإرث، والوطن.

إن العالم أجمع أكثر ثراءً، والإنسانية أفضل، بسبب هذه المجموعة الرائعة من الأمم والبلدان، كل منها خاص جداً، كل منها فريد من نوعه، وكل منها مشرق بشكل براق في الجزء الخاص به من العالم. وفي كل منها، نرى وعداً مبشراً لشعب مرتبط ببعضه البعض من خلال ماضٍ مشترك ويعمل نحو مستقبل مشترك. أما بالنسبة للأمريكيين، فنحن نعرف نوع المستقبل الذي نريده لأنفسنا. نحن نعرف أي نوع من الأمة يجب أن تكون أمريكا دائماً.

في أمريكا، نحن نؤمن بعظمة الحرية وكرامة الفرد. نحن نؤمن بالحكومة التي تراقب نفسها وسيادة القانون. ونحن نكافئ الثقافة التي تحافظ على حريتنا - ثقافة مبنية على أسس قوية، وإيمان عميق، واستقلال شديد. نحن نحتفل بأبطالنا، ونعتز بتقاليدنا، وقبل كل شيء، نحن نحب بلدنا.

إن داخل كل إنسان في هذه القاعة العظيمة اليوم، وكل إنسان يستمع في جميع أنحاء العالم، هناك قلب شخص وطني يشعر بالحب القوي ذاته لبلده، والولاء الشديد ذاته لوطنه.

إن الحماس الذي يشتعل في قلوب الوطنيين وأرواح الأمم قد ألهم الإصلاح والثورة والتضحية ونكران الذات والإنجازات العلمية والأعمال الفنية الرائعة.

إن مهمتنا هي عدم إخماده، وإنما احتضانه. والبناء من خلاله. والاستفادة من حكمته القديمة. وأن نجد في داخله الإرادة لجعل بلداننا أعظم وأروع، ومناطقنا أكثر أماناً، والعالم أفضل.

ولإطلاق هذه الإمكانيات المذهلة في أبناء شعوبنا، يجب علينا الدفاع عن الأسس التي تجعل كل شيء ممكناً. فالدول المستقلة ذات السيادة هي الوسيلة الوحيدة على مر التاريخ التي ظلت فيها الحرية نابضة بالحياة، أو ظلت الديمقراطية مستمرة، أو ظل السلام مزدهراً. ولذا يجب علينا حماية سيادتنا واستقلالنا العزيز فوق كل شيء. وعندما نفعل ذلك، سوف نجد سبباً جديدة للتعاون تتكشف أمامنا. سوف نعثر على شغف جديد بصنع السلام في داخلنا. وسوف نجد معنى جديداً وعزيمة جديدة وروحاً جديدة تزدهر في كل مكان حولنا، ما يجعل هذا العالم مكاناً أجمل للعيش فيه.

لذا دعونا معا نختار مستقبلاً من الوطنية والازدهار والاعتزاز. دعونا نختار السلام والحرية على الهيمنة والهزيمة. ودعونا نأتي إلى هذا المكان لنقف من أجل شعوبنا وبلدانهم، دائماً أقوياء، دائماً ذوي سيادة، ودائماً عادلين ومنصفين، ودائماً شاكرين على نعمة الله وعلى خيره ومجده. شكراً لكم. وليبارككم الله، وليبارك الله أمة وبلدان العالم.

حول مكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل

كلمة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب أمام مجلس الأمن الدولي ٢٦ سبتمبر ٢٠١٨

البيت الأبيض / مكتب السكرتير الصحفي : ٢٩/٩/٢٠١٨

شكرا جزيلا. ندعو لانعقاد الاجتماع رقم ٨٣٦٢ للمجلس.

جدول أعمال هذا الاجتماع هو: "الحفاظ على السلام والأمن الدوليين: عدم انتشار أسلحة الدمار الشامل".
تم اعتماد موضوع جدول الأعمال.

إنني أتشرف بأن أكون هنا اليوم لرئاسة هذا الاجتماع لمجلس الأمن الدولي للأمم المتحدة. وإنني أتشرف أيضاً بأن أرحب برؤساء الدول والحكومات والزعماء الآخرين والمندوبين الموجودين معنا اليوم. شكراً لكم. وأود أن أرحب بحرارة أيضاً بانضمام الأمين العام أنطونيو جوتيرش إلينا. شكراً جزيلاً لكم السيد الأمين العام. إن مجلس الأمن الدولي سيدرس الآن البند الثاني في جدول الأعمال. سأقوم بإلقاء بياني بصفتي رئيس الولايات المتحدة الأمريكية:

إنه لشرف كبير لي أن أكون موجوداً هنا اليوم في اجتماع مجلس الأمن الدولي للأمم المتحدة لمناقشة موضوع له أهمية ملحة يتعلق بمكافحة انتشار الأسلحة المميتة الكيماوية والبيولوجية والنوية ووسائل نقلها أو توصيلها. إن دول العالم أدركت منذ زمن بعيد أن بعض الأسلحة أسلحة خطيرة ويمكن أن تترتب عليها معاناة أكبر، مما يستدعي أن يكون لدينا جميعاً اهتمام كبير بأن نمنع أي مزيد من التطوير لتلك الأسلحة أو نشرها واستخدامها. ومنذ تقلدي منصب الرئاسة، فإن الولايات المتحدة اتخذت إجراءات جريئة لمواجهة هذه التهديدات الشريرة. والعديد مننا يركزون على أخطار الأسلحة النووية، وهم محقون في ذلك، ولكننا ينبغي ألا ننسى أبداً الخطر الذي تمثله الأسلحة البيولوجية والكيماوية.

إن الولايات المتحدة كانت إحدى أوائل الدول التي تخلت طواعية بمفردها عن استخدام الأسلحة البيولوجية، ومنذ الحرب العالمية الأولى قدنا الجهود الدولية ضد مصيبة الحرب الكيماوية. وفي الآونة الأخيرة، في سوريا، فرضنا مرتين عواقب وخيمة على نظام الأسد لاستخدامه أسلحة كيماوية ضد المدنيين الأبرياء. وأود أن أوجه الشكر إلى رئيسة الوزراء ماي والرئيس ماكرون على علاقة الشراكة الوثيقة لبلديهما في تلك الجهود خلال شهر نيسان/إبريل الماضي.

إن مجازر النظام السوري أصبحت ممكنة نتيجة تمكن من روسيا وإيران. إن النظام الإيراني يصدر العنف والرعب والفوضى. إنه يشتري بصورة غير قانونية مواد حساسة لكي يطور برنامج صواريخه الموجهة وينشر تلك الصواريخ في جميع أرجاء الشرق الأوسط.

إن النظام الإيراني هو الراعي الأول للإرهاب في العالم ويؤجج الصراع في المنطقة وما يتجاوزها بكثير. ونظام بهذا السجل القياسي ينبغي ألا يُسمح له بامتلاك أسلحة نووية.

ولهذا السبب، فإنني أعلنت في أوائل العام الحالي أن الولايات المتحدة يجب أن تنسحب من الاتفاق النووي مع إيران.

إن هذا الاتفاق البشع، أحادي الجانب سمح لإيران بالاستمرار في مسيرتها نحو تصنيع قنبلة ومنح النظام خط إمداد نقدي في الوقت الذي كانوا أكثر احتياجاً إليه. كانوا واقعين في مشاكل ضخمة جداً. وكانوا يحتاجون إلى النقد. ونحن منحناه لهم.

وفي السنوات التي أعقبت التوقيع على الاتفاق، فإن عدوان إيران تزايد. واستخدم النظام التمويل الجديد الذي حصل عليه نتيجة الاتفاق في دعم الإرهاب، وتصنيع صواريخ قابلة لأن تكون نووية، وأثار الفوضى.

وفي أعقاب انسحاب أمريكا من الاتفاق، بدأت الولايات المتحدة إعادة فرض عقوبات تتعلق بالأسلحة النووية على إيران. وكل العقوبات الأمريكية المتعلقة بالأسلحة النووية ستصبح مطبقة بقوة في أوائل شهر تشرين الثاني/نوفمبر. ستكون مطبقة بقوة.

بعد ذلك ستسعى الولايات المتحدة إلى فرض عقوبات إضافية، عقوبات مشددة بشكل أكبر مما سبق على الإطلاق، لمواجهة النطاق الكامل لسلوك إيران الشائن. وأي فرد أو كيان يخفق في الالتزام بتلك العقوبات سيواجه عواقب وخيمة.

إنني أطالب كل أعضاء مجلس الأمن الدولي بالعمل مع الولايات المتحدة الأمريكية لضمان أن النظام الإيراني سيغير سلوكه وأنه لن يسعى أبداً لامتلاك قنبلة نووية.

وبعد كل ما قيل، أود أن أشكر إيران وروسيا وسوريا على أنها -بطلب ملحّ مني- أبطأت إلى حد كبير عملية هجومها على إدلب وعلى الـ ٣ ملايين شخص الذين يعيشون هناك من أجل القبض على الـ ٣٥ ألفاً من الإرهابيين المستهدفين. أمسكوا بالإرهابيين، ولكنني أمل أن يستمر ضبط النفس. فالعالم يراقب ويتابع.

وأتوجه بالشكر أيضاً إلى تركيا للمساعدة في التفاوض بشأن ضبط النفس. وأي شيء تستطيع الولايات المتحدة القيام به للمساعدة في حل هذه المشكلة من أجل إنقاذ ربما مئات الآلاف من الأرواح، وربما أكثر، فإننا مستعدون وقادرون. نحن جاهزون للمساعدة.

في كلمتي بالأمس أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، حددت التزام حكومتي ببناء مستقبل أكثر عدلاً وسلاماً. للأسف، وجدنا أن الصين تحاول التدخل في انتخابات ٢٠١٨ المقبلة التي ستجري في تشرين الثاني/نوفمبر ضد حكومتي. إنهم لا يريدون لي، أو لنا، الفوز لأنني أول رئيس يتحدى الصين بشأن التجارة. ونحن نفوز في مسألة التجارة. ونفوز على كل المستويات. لا نريدهم أن يعبثوا أو يتدخلوا في انتخاباتنا القادمة.

وكما ذكرت أيضاً بالأمس، فقد رأينا نتائج الجهود التاريخية لفتح مسارات جديدة للسلام في شبه جزيرة كوريا الشمالية - في شبه الجزيرة الكورية. وهذا شيء نفخر به للغاية.

ويسرني أن أقول إن كوريا الشمالية لم تجر اختباراً صاروخياً منذ تشرين الثاني/نوفمبر الماضي. ولم تجر تجارب نووية منذ أيلول/سبتمبر الماضي. وقد تم إرجاع الرهائن لنا. والأهم من ذلك، أن وفات أبطال أمريكا عادت الآن إلى الوطن.

في شهر حزيران/يونيو، عقدت قمة تاريخية مع الرئيس كيم جونج أون في سنغافورة، حيث أعاد التأكيد على التزامه بنزع السلاح النووي بشكل كامل. وفي الأسبوع الماضي، كرر الرئيس كيم هذا الالتزام للرئيس مون في قمتهما الثالثة، وكرره لي في شكل خطاب قوي جداً.

أعتقد أننا سنبرم اتفاقاً. ولكن للأسف، لضمان استمرار هذا التقدم، يجب علينا تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي حتى يتم نزع السلاح النووي.

ومع ذلك، فقد اكتشفنا أن بعض الدول تنتهك بالفعل عقوبات الأمم المتحدة هذه. ويشمل ذلك عمليات النقل غير القانونية من سفينة إلى سفينة، والتي يجب أن تنتهي على الفور. إن سلامة شبه الجزيرة الكورية والمنطقة والعالم تعتمد على الامتثال الكامل لقرارات مجلس الأمن الدولي. هذا مهم جداً جداً.

ولكن الأهم من ذلك، أعتقد أن الرئيس كيم جونج أون، وهو رجل أعرفه وأحبه، يريد السلام والازدهار لكوريا الشمالية. هناك أشياء كثيرة تحدث خلف الكواليس - بعيداً عن وسائل الإعلام، ولا يعرفها أحد - لكنها تحدث رغم ذلك، وهي تحدث بطريقة إيجابية للغاية. لذا أعتقد أنكم ستتلقون بعض الأخبار الجيدة القادمة من كوريا الشمالية في الأشهر والسنوات القادمة.

كما أنني أقدّر كثيراً ما قاله لي الرئيس مون، رئيس كوريا الجنوبية، الليلة الماضية في المقابلات التلفزيونية. لقد كان العمل مع الرئيس مون شرف كبير لي. وبالمثل، كان العمل مع الرئيس الصيني شي، ورئيس الوزراء الياباني آبي بمثابة متعة وشرف.

كل واحد منا يسير على خطى عدد لا حصر له من قادة العالم والدبلوماسيين والموظفين الحكوميين الذين جاؤوا إلى هنا إلى الأمم المتحدة بالهدف النبيل ذاته: بناء مستقبل جدير بالوطنيين - وطنيين حقيقيين فعلاً - ضحوا بحياتهم من أجل بلداننا ومن أجل المستقبل.

إننا لكي نكون ناجحين، نحتاج إلى التزام من كل دولة ممثلة في هذه القاعة. فبالعمل معاً، يمكننا أن نستبدل بفضائع الحرب نعمة السلامة والأمان، والوعد الجميل المبشّر بالسلام.

بيان حقائق.. ترامب ملتزم بمكافحة انتشار الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والنووية

البيت الأبيض / مكتب السكرتير الصحفي : ٢٠١٨/٩/٢٩

“إذا لم تواجه الكثرة الخيرة القلة الشريرة فسوف ينتصر الشر.” – الرئيس دونالد ج. ترامب يقود جهود مكافحة انتشار الأسلحة: الرئيس دونالد ج. ترامب ملتزم بمكافحة انتشار الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والنووية.

يحث الرئيس ترامب أعضاء مجلس الأمن الدولي على العمل معاً لمواجهة انتشار الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والنووية.

لقد اعترفت دول العالم منذ مدة طويلة بخطر هذه الأسلحة، وللمجتمع الدولي مصلحة حيوية في الحيلولة دون زيادة تطويرها وانتشارها واستخدامها.

اتخذت الولايات المتحدة وحلفاؤها، تحت قيادة الرئيس ترامب، إجراءات جريئة لمواجهة التهديد العالمي الذي يشكله هذا السلاح على السلم والأمن الدوليين.

في مجال محاسبة سورية: اتخذ الرئيس ترامب خطوات قوية من أجل محاسبة النظام السوري على استخدامه للأسلحة الكيميائية.

الرئيس ملتزم بمواجهة استخدام النظام السوري البربري للأسلحة الكيميائية، إضافة إلى أولئك الذين يدعمون استخدامها أو يجعلون ذلك ممكناً.

قامت الولايات المتحدة وحلفاؤها في عهد الرئيس ترامب، بضربات عسكرية لمحاسبة سوريا على تنفيذ هجمات مروعة بالأسلحة الكيميائية ضد مواطنيها المدنيين.

في وقت سابق من هذا العام، أطلقت الولايات المتحدة وفرنسا والمملكة المتحدة ضربات دقيقة على أهداف مرتبطة بقدرات سوريا في مجال الأسلحة الكيميائية.

في شهر نيسان/أبريل ٢٠١٧، وجه الرئيس ترامب ضربات ضد مطار سوري استخدم في شن هجوم بالأسلحة الكيميائية على المدنيين الأبرياء.

يدعو الرئيس ترامب المجتمع الدولي للعمل سوية لدعم حظر الحرب الكيميائية.

في مجال مجابهة إيران: تتخذ إدارة ترامب إجراءات لمواجهة النشاط الإيراني الخبيث وتضمن ألا يحصل النظام المارق على السلاح النووي أبداً.

النظام الإيراني يروج العنف وسفك الدماء والفوضى في جميع أنحاء المنطقة والعالم.

أنفقت إيران مليارات الدولارات لتغذية الصراعات في سوريا والعراق واليمن.

إيران هي الدولة الرائدة في العالم في رعاية الإرهاب وتمويل وكلاء الإرهابيين مثل حماس وحزب الله.

انسحب الرئيس ترامب من اتفاق إيران وبدأ بإعادة فرض العقوبات المتعلقة بالمسائل النووية للمساعدة في ضمان منع هذا النظام بشكل دائم من الوصول إلى أي من السبل لصنع سلاح نووي.

كافة العقوبات المتعلقة بالمسائل النووية ستكون سارية المفعول في أوائل تشرين الثاني/نوفمبر.

يحث الرئيس الشركاء الدوليين على العمل مع الولايات المتحدة لضمان أن يغيّر النظام الإيراني سلوكه وألا يقدم على امتلاك قنبلة نووية.

في مجال العمل على نزع السلاح النووي في كوريا الشمالية: شهدت سياسات الرئيس ترامب تقدماً تاريخياً فيما يتعلق بكوريا الشمالية، التي وافقت على العمل من أجل نزع السلاح النووي الكامل.

عقد الرئيس ترامب وكيم جونج أون قمة تاريخية في سنغافورة، حيث أعاد الزعيم كيم التأكيد على موافقته على إخلاء شبه الجزيرة الكورية من الأسلحة النووية.

تم إحراز تقدم كبير في هذا المجال والرئيس ترامب واثق من أن كوريا الشمالية ستفي بموافقتها على إتمام نزع السلاح النووي، ولكن العقوبات ستبقى حتى يحدث ذلك.

لم تقم كوريا الشمالية بإجراء أي تجربة نووية منذ أكثر من عام أو أي اختبار صاروخي خلال ١٠ أشهر.

انتهكت بعض الدول التزامات الأمم المتحدة المفروضة على العقوبات. إن سلامة العالم تتوقف على الامتثال لقرارات مجلس الأمن ووينبغي على الدول التي تفعل ذلك أن تنتهي عنه.

"إيران ونكت الوعود"

خطاب وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو أمام منظمة "متحدون ضد إيران النووية" ٢٥ سبتمبر ٢٠١٨

وزارة الخارجية الأمريكية / مكتب المتحدث الرسمي : ٢٠١٨/٩/٢٩

طاب يومكم.

أعلم أنني أحد أسباب زحمة السير الخانقة في نيويورك في خلال أسبوع الجمعية العامة للأمم المتحدة، لذا أشكركم وأعتذر لأي شخص شجاع حارب الزحمة ليصل إلى هنا. آمل ألا تغضبوا مني لهذا السبب. سأستقل الميتر.

يشرفني أن أحاطب الوطنيين في هذه المجموعة. تبذل منظمة "متحدون ضد إيران النووية" جهودا حيوية للتأكد من أن النظام الإيراني غير قادر على تطوير أسلحة نووية ومواصلة حملاته من الإرهاب المدعوم من الدولة ومواصلة تعبئة جيوبه فيما يعاني الشعب في إيران.

أريد أن أشكر بشكل خاص رئيس منظمة "متحدون ضد إيران النووية" السيناتور ليبرمان على دعوته وهذه المقدمة.

مازال السيناتور ليبرمان صوتا يصدح بلا هوادة من أجل السلامة الأمنية القومية، تماما كما كان في خلال سنوات خدمته الجميلة والعديدة في مجلس الشيوخ.

نحتاج إلى المزيد من أمثالك في الكابيتول هيل ممن يفهمون حقيقة تهديد النظام الإيراني يا حضرة السيناتور. إنها لمفارقة ملائمة ولكن حزينة أننا نتحدث عن إيران في خلال أسبوع الدورة الثالثة والسبعين للجمعية العامة للأمم المتحدة.

استغل قادة النظام الإيراني والدبلوماسيون الإيرانيون هذه مناسبة الجمعية العامة للأمم المتحدة مرات عديدة وعلى مر السنين ليسحروا الحكومات الأجنبية ويخفوا حقيقة أعمالهم في الداخل والخارج. ينتهز الرئيس الإيراني روحاني ووزير الخارجية ظريف وشخصيات إيرانية أخرى هذه الفرصة ليقدموا أنفسهم كرجال دولة معتدلين. ولكن العالم يعرف الحقيقة فسحرمهم الدبلوماسي المصقول هو محاولة شفافه لخداع الدول المسؤولة لتفكر أنهم "ليسوا ربما سيئين إلى هذا الحد".

هذان في الواقع من كبار المسؤولين في نظام يتحدى بوقاحة رؤية الأمم المتحدة ومتطلبات القانون الدولي ومبادئ السيادة الوطنية. لقد أثبت سجل النظام الإيراني على مدى الأربعين سنة الماضية أنه من بين أسوأ المخالفين لميثاق الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن الدولي، إن لم يكن الأسوأ على الإطلاق. إنه نظام خارج عن القانون بكل ما للكلمة من معنى.

دعونا نلقي نظرة على ميثاق الأمم المتحدة. إنه يدعو دولنا إلى "العيش معا بسلام كجيران جيدين". وحيثما يكون ثمة تهديد لهذا السلام، يتطلب من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة تنفيذ القرارات التي يتخذها مجلس الأمن بشأن ما ينبغي القيام به لمعالجة هذا التهديد.

هل عاشت إيران مع الدول الأخرى في سلام؟ هل كانت جارا جيدا؟ هل ساهمت في صون السلام والأمن الدوليين بالالتزام الكامل بقرارات مجلس الأمن؟ دعونا نأخذ جولة صغيرة حول العالم وسترون أن الجواب الصارخ هو "لا". لنبدأ من أوروبا.

اعتقلت السلطات في مختلف أنحاء أوروبا قبل بضعة أشهر فحسب العديد من النشطاء الإيرانيين - بما في ذلك مسؤول إيراني في النمسا - كونهم شكلوا جزءا من مؤامرة لوضع قنبلة في تجمع سياسي في فرنسا. جرى ذلك فيما كان النظام يجري مسرحية كاملة أمام الدول الأوروبية لتبقى في الاتفاق النووي. وكرد عادل على هذا الدعم للإرهاب، أجلت حليفتنا فرنسا إلى أجل غير مسمى كافة الأسفار الدبلوماسية غير الأساسية إلى إيران قبل بضعة أسابيع. يمثل ذلك خطوة أولى جيدة ونأمل أن نرى دولا أخرى تتخذ المزيد من الإجراءات المماثلة. يجب أن نضغط على النظام لكبح جماح تدميره ونطالب بأن تتصرف إيران كدولة عادية.

للأسف، شعرت الولايات المتحدة الليلة الماضية بانزعاج وخيبة أمل عميقة لسماع إعلان الأطراف المتبقية في الصفقة أنهم يضعون نظام دفع خاص لتجاوز العقوبات الأمريكية. هذه واحدة من أكثر التدابير ذات النتائج العكسية التي يمكن تخيلها للمسلم والأمن الإقليميين والعالميين. أنتم تقومون بتعزيز تصنيف إيران كالدولة الأولى الراعية للإرهاب من خلال المحافظة على إيرادات النظام وتمكنون تصديرها العنيف للثورة وتثرون النظام في الوقت الذي يبحث فيه الشعب الإيراني عن الفتات. أستطيع أن أتخيل كيف كان الآية الله والحرس الثوري الإيراني الفاسدون يضحكون صباح اليوم.

هذا القرار غير مقبول على الإطلاق بالنظر إلى مجموعة الأنشطة الإرهابية التي تدعمها إيران في أوروبا. دخل أربعة من عملاء قوة القدس إلى تركيا في العام ٢٠١٢ لمهاجمة أهداف إسرائيلية، ولكن أحبطت السلطات التركية هذا الهجوم.

وفي العام عينه، قام حزب الله اللبناني - وهو أحد أكثر المجموعات العاملة بالوكالة إخلاصا للنظام - بتفجير حافلة في بلغاريا كانت تقل سياحا إسرائيليين. وقتل ستة أشخاص في الهجوم، من بينهم سائق بلغاري، وأصيب ما لا يقل عن ٣٢ آخرين.

قدمت إيران في العام ١٩٩٢ الدعم اللوجستي إلى عملاء حزب الله اللبنانيين الذين قاموا باغتيال أربعة معارضين كرد إيرانيين في مقهى في برلين.

ولكن لا ينحصر الإرهاب الإيراني المدعوم من الدولة في أوروبا، بل ينتشر في مختلف أنحاء العالم. لنتابع رحلتنا في أفريقيا.

ألقي القبض في العام ٢٠١٣ على ثلاثة ناشطين إيرانيين في نيجيريا بسبب تخطيطهم لشن هجمات ضد مكاتب الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية وقطاع أعمال إسرائيلي ومركز ثقافي يهودي وفنادق يتردد عليها إسرائيليون وأمريكيون.

وألقي القبض في العام ٢٠١٢ على ناشطين في قوة القدس في نيروبي في كينيا بسبب التخطيط لتفجيرات ضد مصالح غربية واكتشف معهما ٣٣ رطلا من المواد المتفجرة.

وماذا عن أمريكا الجنوبية؟ طرد دبلوماسي إيراني كبير في أوروغواي في العام ٢٠١٥ بسبب تخطيطه لهجوم بالقرب من السفارة الإسرائيلية. وقدمت إيران الدعم اللوجستي لهجومين انتحاريين بسيارات في بوينس آيرس في الأرجنتين، أحدهما في العام ١٩٩٢ والثاني في العام ١٩٩٤. وقد تسبب هذان الهجومان بمقتل ما مجموعه ١١٤ شخصا وجرح ما يقرب من ٥٠٠، مع الإشارة إلى أن تفجير العام ١٩٩٤ كان أعنف هجوم إرهابي في تاريخ الأرجنتين.

آسيا هي المحطة التالية في جولتنا الخاصة بالإرهاب المدعوم من النظام الإيراني. ألقي القبض على إيراني مسافر بجواز سفر إسرائيلي مزيف بسبب قيامه بمراقبة السفارة الإسرائيلية في كاتماندو في نيبال في العام ٢٠١٣.

وقامت قوة القدس بتفجير استهدف دبلوماسيين إسرائيليين في نيودلهي في العام ٢٠١٢. واغتيال عملاء إيرانيين الدبلوماسي السعودي حسن القحطاني في كراتشي في العام ٢٠١١. وتقدم إيران لطالبان منذ العام ٢٠٠٦ مجموعة واسعة من الأسلحة، بما في ذلك القذائف الصاروخية وقذائف الهاون والصواريخ والمتفجرات البلاستيكية.

لقد حاولت إيران القيام بأعمال مماثلة في قارتنا. ففي العام ٢٠١١، دعمت قوة القدس خطة لاغتيال السفير السعودي في الولايات المتحدة.

ألقت الولايات المتحدة في شهر آب/أغسطس الماضي القبض على اثنين من عملاء مزعومين لإيران بسبب إجرائهما عمليات مراقبة سرية وأنشطة لجمع المعلومات الاستخبارية ضد أهداف إسرائيلية وأمريكية على حد سواء.

واستغلت إيران الإنترنت في الفضاء السيبراني لإشغال فتيل الرأي العام ومحاولة تحريض الأمريكيين بعضهم ضد البعض الآخر. وقد أزال كل من الفيسبوك وتويتر وإنستغرام ويوتيوب الشهر الماضي آلاف الحسابات التي تنشأ داخل إيران من أجل أنشطة مضللة منسقة.

لا يخجل القراصنة الإلكترونيون المرتبطون بالنظام الإيراني باستهداف الأنظمة الأمريكية واختراقها. ففي شهر آذار/مارس من هذا العام، تم اتهام تسعة قراصنة إلكترونيين إيرانيين بشن حملة تهديدات عبر الإنترنت استهدفت ١٤٤ جامعة أمريكية و ٣٠ شركة أمريكية وخمس وكالات حكومية أمريكية.

وقام قراصنة إلكترونيون إيرانيون في حزيران/يونيو ٢٠٠٩ بالتسلل عبر الإنترنت إلى نظام التحكم في سد يقع على بعد أقل من ٢٠ ميلا من.. احزروا من أين.. من مدينة نيويورك.

وحاول قراصنة إلكترونيون مرتبطون بالحرس الثوري الإيراني سرقة أبحاث حساسة من الجامعات في أستراليا. وبالطبع، وجه النظام الإيراني مجموعة من الأنشطة العنيفة والمدمرة إلى جيرانه في الشرق الأوسط. يزود النظام حزب الله اللبناني، وهو منظمة إرهابية، بمبلغ ٧٠٠ مليون دولار سنويا.

حزب الله مسؤول عن بعض من أكثر الهجمات الإرهابية القاتلة ضد الأمريكيين في الخارج في الشرق الأوسط، فقد قام في العام ١٩٨٣ وبموافقة النظام الإيراني وتمويله بتفجير السفارة الأمريكية في بيروت، مما أسفر عن مقتل ٦٣ شخصا، من بينهم ١٧ أمريكيا.

وقام حزب الله أيضا في العام ١٩٩٦ بتفجير مجمع أبراج الخبر في المملكة العربية السعودية والذي أسفر عن مقتل ١٩ من أفراد سلاح الجو الأمريكي.

يوفر النظام الإيراني أكثر من ١٠٠ مليون دولار سنويا للجماعات الإرهابية مثل حماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني، والأكثر منافقة في ما يحصل هو أن آية الله يزعم أنه يهتم لأمر الفلسطينيين، إلا أن إيران لم تمنح إلا ٢٠ ألف دولار إلى وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى من العام ٢٠٠٨ حتى العام ٢٠١٧، بينما قدمت الولايات المتحدة ما يقرب من ٣ مليارات دولار في خلال الفترة عينها، أي أكثر بـ ١٥٠ ألف ضعف.

يقوم النظام الإيراني بتجنيد شباب فقراء في أماكن مثل أفغانستان والعراق وباكستان، ويعرض لهم رؤيا مغرية للاستشهاد، ثم يشحنهم للقتال في سوريا باتجاه قاسم سليمان وقوة القدس. لقد أغرى النظام أطفالا أفغانا لم يتجاوزوا الرابعة عشرة من العمر للقتال في سوريا.

تقوم السفن الإيرانية بالتعرض للسفن في الممرات المائية الدولية على أساس مطالبات بحرية تتحدى القانون الدولي على النحو الوارد في اتفاقية قانون البحار. إذا كان النظام الإيراني يعتقد أن مضيق هرمز ملك له وحده، فبإمكانهم المراهنة بكل ما يملكون على أن الولايات المتحدة لن تقبل بذلك على الإطلاق.

شنت الميليشيات التي تدعمها إيران في العراق هجمات صاروخية مهددة ضد مجمع السفارة الأمريكية في بغداد والقنصلية الأمريكية في البصرة قبل بضعة أسابيع. لم توقف إيران هذه الهجمات التي نفذها وكلاء دعمتهم بالتمويل والتدريب والأسلحة.

ستحمل الولايات المتحدة النظام في طهران مسؤولية أي هجوم يتسبب بإصابة موظفينا أو يلحق الضرر بمنشآتنا. سترد الولايات المتحدة بسرعة وبجزم للدفاع عن حياة الأمريكيين.

تتحدى كافة هذه الأنشطة الخبيثة على أقل تقدير روح ميثاق الأمم المتحدة. ولكن ماذا عن الخطاب القانوني في شكل قرارات مجلس الأمن الدولي وغيرها من صكوك القانون الدولي؟ هذا سيل من الأدلة يؤكد على أن إيران نظام خارج عن القانون.

يحظر قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٢٣١ تصدير الأسلحة من إيران. ويحظر قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٢١٦ توفير الأسلحة إلى الحوثيين، ولكن قامت إيران بالعكس وسلحت الحوثيين إلى أبعد الحدود.

يطلب قرار مجلس الأمن رقم ١٣٧٣ من كافة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة الامتناع عن تقديم أي شكل من أشكال الدعم للكيانات المشاركة في الأعمال الإرهابية. ويتطلب القرار رقم ١٧٠١ من كافة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة منع الإمداد المباشر أو غير المباشر بالأسلحة من مواطنيها أو من أراضيها إلى لبنان مع بعض الاستثناءات. لم يردع أي من هذين القرارين النظام الإيراني عن أن يكون المورد الأول لترسانة حزب الله اللبنانية.

أصدر مجلس الأمن الدولي من العام ٢٠٠٦ إلى العام ٢٠١٠ ستة قرارات مختلفة بشأن برامج إيران النووية والصاروخية. ولكن أصدر مجلس المحافظين في الوكالة الدولية للطاقة الذرية من العام ٢٠٠٧ إلى العام ٢٠١٥ ما لا يقل عن ٣٣ تقريراً يوجب عدم امتثال إيران لكل من هذه القرارات.

لقد نص قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٩٢٩ على أنه "لا ينبغي أن تقوم إيران بأي نشاط يتعلق بالصواريخ الباليستية القادرة على نقل أسلحة نووية، بما في ذلك عمليات إطلاق الصواريخ باستخدام تكنولوجيا الصواريخ الباليستية"، إلا أن إيران قد أجرت عدة عمليات إطلاق للصواريخ الباليستية بين العامين ٢٠١٠ و ٢٠١٥ وشكل كل من هذه العمليات انتهاكا صارخا لهذا الحكم.

وفيما يتعلق بالإعفاء من العقوبات المفروضة بحسب خطة العمل الشاملة المشتركة، حتى عندما أحل مجلس الأمن محل هذا البند في قرار مجلس الأمن رقم ٢٢٣١ بدعوة لإيران لعدم القيام بأي نشاط يتعلق بمثل هذه الصواريخ، لم تقل وتيرة إطلاق الصواريخ الإيرانية واختباراتها. أجرت إيران العديد من عمليات إطلاق الصواريخ الباليستية منذ إبرام الصفقة في كانون الثاني/يناير ٢٠١٦. تمتلك إيران اليوم أكبر قوة صواريخ بالستية في الشرق الأوسط ويكلف كل من تلك الصواريخ مليون دولار أو أكثر.

أتساءل عن ماهية رأي الشعب الإيراني ببرنامج صاروخي يستنزف خزانته العامة ويتسبب بفرض عقوبات اقتصادية تقيد ازدهاره.

وقد خلص فريق الأمم المتحدة العامل المعني بالاحتجاز التعسفي مؤخراً إلى أنه ليس لحكومة إيران أي أساس قانوني لاعتقال الطالب الأمريكي الخريج شيبوي وانغ واحتجازه.

ودعا الفريق العامل عينه في العام الماضي إلى الإفراج الفوري عن أمريكي آخر، وهو سياماك نامازي، الذي تم اعتقاله بشكل تعسفي في العام ٢٠١٥ أثناء زيارته لوالديه في إيران. وفي العام ٢٠١٦، خلص الفريق العامل إلى أنه قد أُلقي القبض على بوب ليفنسون المفقود في إيران منذ أكثر من ١١ عاماً بدون أي أسس قانونية ويجب الإفراج عنه فوراً.

نواصل الضغط على إيران للوفاء بالتزامها بمساعدة الولايات المتحدة لتحديد مكان بوب حتى يتمكن من العودة إلى عائلته. يجب أن يعودوا كل هؤلاء الأمريكيين وغيرهم من المحتجزين في إيران إلى ديارهم.

تهدر إيران الكثير من الوقت هذه الأيام في محاولة لتشويه سمعة الولايات المتحدة بسبب قرارنا الشرعي والمبرر بالخروج من الصفقة النووية الإيرانية. ولكن سجل إيران في مجال انتهاك القانون الدولي هو من بين الأسوأ في العالم، إن لم يكن الأسوأ على الإطلاق. تمارس إيران أنشطتها بلا أي اعتبار للقانون الدولي أو الحدود أو الأرواح.

لا أعرف كم من الأدلة علي أن أقدم بعد. لا شك في أن الأنشطة الإيرانية المدمرة عالمية بحق في نطاقها. ولذلك يتعين على كل دولة أن تنضم إلى جهودنا لتغيير سلوك النظام الخارج عن القانون. إن الطبيعة القائمة ومتعددة القوميات ومتعددة القارات للنشاط الإيراني الخبيث لا تترك مجالاً للتقاعس أو التردد.

ستواصل الولايات المتحدة تعزيز الجهود الدولية لتغيير السلوك الإيراني من خلال الضغط والردع وتقديم الدعم للشعب الإيراني. نريد أن تنضم كافة الدول إلى هذه الحملة وهذا من بين أهم الأولويات الدبلوماسية للرئيس ترامب. ينعكس توافق الآراء القائم بالفعل بشأن أنشطة إيران غير النووية في قرارات مجلس الأمن التي ذكرتها للتو، فضلاً عن صكوك القانون الدولي الأخرى.

ولكن يجب أن يكون تطبيق تلك القرارات الحد الأدنى من تحركاتنا لمحاسبة إيران.

تواجه الدول في أعقاب قرار الرئيس ترامب سحب الولايات المتحدة من الصفقة النووية خيار أن تواصل التعامل مع إيران أم لا. لسنا نعيد فرض العقوبات ونحبط الأعمال الدولية مع إيران من باب الرغبة في الإيذاء، فهذا إجراء أممي ضروري. يجب ألا نسمح أن يحصل النظام بعد الآن على مليارات الدولارات التي ثبت أنها ستتحول إلى دول حليفة له ومجموعات متمردة وإرهابيين. لا تؤدي ممارسة الأعمال التجارية في إيران إلا إلى ضخ الأموال في نظام يقوم بتكديسها لنفسه ويسيء استخدامها لأغراض عنيفة. هذا ما حدث أثناء الصفقة وما سيحدث إذا لم نقم جميعاً بالتحرك معاً.

لقد سعى العالم طوال عقود لتحقيق الهدف المراموغ المتمثل باستقرار الشرق الأوسط، فما هي الطريقة الفضلى للمضي قدما تجاه هذا الهدف أكثر من قطع الموارد عن أكثر نظام مسؤول عن عدم الاستقرار في المنطقة؟ يجب أن نبذل قصارى جهودنا لوقف تمويل الحرس الثوري الإيراني ووزارة الاستخبارات، بحيث لا يستطيع عملاؤهم متابعة الإرهاب والتخريب في كل القارات. ولكن لا يخطئ أحد، فهذه العقوبات والضغوط الاقتصادية موجهة ضد النظام ووكالاته الخبيثة وليس ضد الشعب الإيراني.

لهذا لدينا إعفاءات إنسانية لجميع العقوبات القانونية التي يعاد فرضها ومجموعة من التراخيص القائمة التي تتيح أنشطة معينة تعود بالفائدة على الشعب الإيراني.

إذا أراد العالم أن يرى بأم العين المدى الكامل للنشاط الخبيث للنظام الإيراني، فقد أصدرت الولايات المتحدة للتو كتيباً يوثق الأنشطة المدمرة التي ارتكبها هذا النظام الخارج عن القانون على مر السنين في مختلف أنحاء العالم.

يمثل هذا الكتيب مورداً عظيماً لأي شخص يريد أن يرى ما هي الأولويات الثورية لهذا النظام. قوموا بزيارة موقع State.gov لتنزيل الكتيب.

لقد تحدثت كثيراً اليوم عن الوعود التي نكثها النظام الإيراني بعد أن قطعها على الدول الأعضاء في الأمم المتحدة. ولكن ثمة مجموعة أخرى لا تثق بكلام قادة إيران، ألا وهي الشعب الإيراني نفسه.

أجرى آية الله الخميني مقابلة في العام ١٩٧٨ قبل عودته من المنفى وتحدث فيها عن الأمور المجيدة التي ستحصل للشعب الإيراني في ظل حكم الجمهورية الإسلامية.

ووعده من بين جملة أمور أخرى "بالقضاء على الفقر" و"تحسين نوعية الحياة لغالبية الناس الذين تعرضوا للاضطهاد بطرق مختلفة".

كيف يتحقق ذلك؟ توقعات بعض العرافين عبر الاتصالات الهاتفية أكثر دقة من توقعاته.

قال الرئيس الإيراني حسن روحاني بنفسه إن "الكثيرين قد فقدوا إيمانهم بمستقبل الجمهورية الإسلامية ويشكون في قوتها". نتفهم هذا الموقف عندما يكون ثلث الشباب الإيراني عاطلاً عن العمل، في حين أن مرائب الحكومة مليئة بسيارات من طراز رينج روفر وبي إم دبليو.

يكافح الشعب الإيراني نقصاً شديداً في المياه وأزمات بيئية بسبب سياسات النظام الفاشلة.

قال وزير الطاقة الإيراني العام الماضي إنه ثمة ٢٩٥ مدينة تواجه موجات جفاف ونقصاً في المياه. وأنفق النظام في هذا الوقت مليارات لا تعد ولا تحصى على برنامج النووي على مر السنين. يهتم النظام الإيراني بالمياه الثقيلة أكثر من مياه الشرب.

ومن حيث "تحسين نوعية حياة من تعرضوا للاضطهاد":

ما زالت إيران تزج الناس في السجون بتهمة زائفة مثل "السلوك المناهض للثورة" و"الفساد على الأرض" و"الوقوف إلى جانب الغطرسة العالمية" و"الجرائم ضد الإسلام". تتنقل فانات النظام في شوارع المدن الرئيسية وتجتمع النساء اللواتي لا يطيعون قوانين الحجاب المقيدة. وأصدرت محكمة في العام الماضي أحكاماً بالسجن لخمس سنوات ضد أربعة أشخاص من الطائفة السنية بسبب جريمة.. الركن كجزء من اضطهاد أكبر للأقلية السنية.

يحظر القانون على المواطنين المسلمين تغيير معتقداتهم الدينية أو رفضها. وحتى تعليم الموسيقى – الموسيقى غير مشجع في المدارس.

إذا لم تتأثر الدول بالأدلة لتغيير سياساتها تجاه إيران، فهذا حقها. ولكن كيف يمكن لأي دولة تدعي التعاطف مع شعب إيران أن تستمر في علاقاتها التجارية مع آيات الله الخارجين على القانون والقمعيين؟

تخاطب الولايات المتحدة الشعب الإيراني بالقول إن تعهداتنا بدعمكم لا تنتهي بالكلام. تستمع الولايات المتحدة إليكم وتدعمكم وتقف إلى جانبكم. نحن ندعم حقوقكم بالعيش كشعب حر في ظل حكومة تمارس المساواة وتتعامل معكم باحترام.

أنتم تستحقون أفضل من الثورة العقيمة التي فرضها عليكم ثيوقراطيون فاسدون.

تتسق رسالتنا مع ما يطالب به المحتجون في شوارع إيران وما يردده الملايين من الإيرانيين في الشتات في مختلف أنحاء العالم منذ ما يقرب من أربعين سنة. تسعى الولايات المتحدة إلى طريق أفضل للمضي قدما مع إيران والشرق الأوسط. كما نعلم أن جيران إيران يريدون جميعا أن يتخذ قاداتها مسارا مختلفا. يريد العالم بأسره ذلك.

وكما قال الرئيس ترامب وأنا أيضا مرارا وتكرارا، يمكن إبرام اتفاق جديد، ولكن يجب إحداث تغيير في المجالات الاثني عشر التي حددتها في أيار/مايو وفي سجل إيران في مجال حقوق الإنسان.

سيلتقي ممثلنا الخاص الجديد لإيران براين هوك هذا الأسبوع مع أعضاء من الشتات الإيراني هنا في نيويورك. سيتبادلون قصصهم الشخصية حول ما عانوا منه وما عانتها عائلاتهم وأصدقائهم. وسوف يتحدثون عن آمالهم لمستقبل بلدهم الأصلي والجيل القادم من الإيرانيين. سيتحدثون عما نستطيع القيام به لمواصلة دعم الشعب الإيراني ومناصرتهم وتمكينه. يجب الاستماع إلى كافة الإيرانيين الذين يتوقون لحكومة طبيعية في إيران. سنواصل هذه المحادثات ليعرف النظام في إيران إلى أي جانب نقف بشكل لا لبس فيه.

أريد أن أختتم كلامي بمقولة من أمريكي تخطى الخطوط الحزبية غالبا للدفاع عن الحقيقة، تماما مثل صديقنا السيناتور ليرمان. مثل دانيال باتريك موينيهان ولاية نيويورك الكبرى لمدة ٢٤ عاما في مجلس الشيوخ الأمريكي، كما شغل منصب سفير الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة في عهد الرئيس فورد.

قال ذات مرة إن "ميثاق الأمم المتحدة يفرض واجبين على الأعضاء. الأول معروف جيدا، وهو الالتزام بالقانون في علاقاتها مع الدول الأخرى: ألا تهاجمهم وألا تخربهم وما إلى هنالك. ولكن ثمة التزام ثان، وهو بكل بساطة الالتزام بالقانون في معاملة مواطنيها".

لقد فشلت إيران في كل من هذين الالتزامين.

وقال السفير موينيهان أيضا ذات مرة إنه "يحق لكل شخص أن يتمتع برؤيته الخاصة، ولكن ليس بحقائقه الخاصة".

الحقيقة هي أن عرض إيران الساحر خلف الأبواب المغلقة لا يغطي سلسلة الوعود التي نكثتها في مجلس الأمن. الحقيقة هي أن النظام الإيراني يسرق شعبه لدفع ثمن الموت والدمار في الخارج.

الحقيقة هي أن النظام الإيراني الخارج عن القانون قد أفسد قدرة الناس في كل قارة على العيش بسلام وكرامة، بما في ذلك شعبه.

تطلب الولايات المتحدة من كافة الدول الاعتراف بهذه الحقائق ومحاسبة إيران بطرق لم يسبق لها مثيل. عندها فقط نستطيع اتخاذ خطوات جديدة وصادقة نحو مزيد من الأمن لشعبنا المحب للسلام ونحو حرية أكبر

لمن هم داخل إيران.

شكرا لكم.

لقاء مع مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي+٢

البيت الابيض/ مكتب السكرتير الصحفي: ٢٠١٨/٩/٢٩

يُنسب البيان الآتي إلى المتحدث باسم الوزارة باسم الوزارة هيدر نويرة:

استضاف الوزير مايكل بومبيو وزراء خارجية كل من البحرين ومصر والأردن والكويت وعمان وقطر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة في اللقاء الوزاري لدول مجموعة "مجلس التعاون الخليجي+٢" على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك.

وتقدّم الوزير بومبيو بالشكر إلى وزراء الخارجية لشراكتهم مع الولايات المتحدة. وشدد الوزير على أهمية هزيمة داعش وغيرها من الجماعات الإرهابية، وعلى تحقيق السلام والاستقرار في سوريا واليمن وضمان عراق مزدهر لجميع فئاته، وأكد على أهمية وقف النشاط الإيراني الخبيث في المنطقة.

واتفق جميع المشاركين على ضرورة مواجهة التهديدات الإيرانية الموجهة إلى المنطقة والولايات المتحدة. وكان للوزير بومبيو ووزراء الخارجية في المجموعة مناقشات مثمرة حول تأسيس تحالف استراتيجي للشرق الأوسط، يركز على وحدة مجلس التعاون الخليجي، لدفع عجلة الرخاء والأمن والاستقرار في المنطقة. ويتطلع الوزير بومبيو إلى مواصلة هذه المناقشات خلال الأسابيع والأشهر المقبلة.



 www.pukmedia.com/ensat
 Facebook: **ensatpuk**
 ensatmagazen@gmail.com
 Mobile: **0770 156 4347**